

مَوْسُوعَةُ النَّابُلْسِيِّ لِلحُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ

شرح الحديث الشريف
من

دروس الجامع الأحمدي

الدرس {119-01} : التجارة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-02-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما تعريف التجارة بمفهومى العام والقرآنى؟ :

أيها الأخوة الكرام, من أبسط تعريفات التجارة: أن تشتري بضاعة, وأن تبيعها بسعر أعلى, والفرق بين السعيرين هو الربح, لكن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة التجارة في القرآن الكريم, بمعنى: أن تؤمن بالله ورسوله, وأن تجاهد نفسك وهواك, فهذه أعظم تجارة عند الله, قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

[سورة الصف الآية:10]

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الصف الآية:11]

من هو التاجر الموفق؟ :

أيها الأخوة, التاجر الموفق يبحث عن أعلى ربح في أقل جهد, هذا هو الأصل, أعلى ربح في أقل جهد .
فسيدنا عثمان -رضي الله عنه- جاءه ستمئة جمل, محمل بشتى أنواع البضائع, قوافل من أضخم القوافل التجارية, جاءت المدينة المنورة, فلما جاءه التجار ليشتروا منه, كلما دفعوا له سعراً, يقول: دفع لي أكثر, إلى أن ضجروا, من دفع لك أكثر؟ قال: الله عز وجل .

فالله عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

[سورة الصف الآية:10]

فالتجارة مع الله من أرباح أنواع التجارة .

إذا التاجر ربح بالمئة ثلاثين, أربعين, بالمئة مئة, بالعرض يأتي, فكيف إذا ربحت بالمئة مليون؟ بالمئة مليار؟ بالمئة ألف مليار؟ هذه تجارة الله عز وجل .

نقطة دقيقة :

النقطة الدقيقة: أن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان يحب التجارة, والشيء الذي يمكن أن يلهيه عن الله: هي التجارة, فلما ذكر الرجال, قال تعالى:

﴿رَجَالٌ﴾

[سورة النور الآية:37]

ويقصد بهم: أبطال, كلمة رجل في القرآن الكريم: تعني أنه ذكر, تعني أنه بطل:

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾

[سورة النور الآية:37]

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾

[سورة الجمعة الآية:11]

ما المقصود بالتجارة هنا في هذه الآية؟ :

وردت التجارة مرة ثانية في آية كريمة, وتعني بها: التجارة مع الله, قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾

[سورة فاطر الآية:29]

لن تخسر، ولن تكسد.

هذا ما يؤلم التاجر، وهذا ما وعد الله المؤمن :

الحقيقة: لما ربنا عز وجل قال:

﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:24]

ما الذي يؤلم التاجر؟ أن يرى المستودع ممتلئ بالبضاعة، ولا أحد يسأله، ماذا عنده؟ شعور لا يوصف، قال تعالى:

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾

[سورة التوبة الآية:24]

فرينا عز وجل عد المؤمن الذي يؤمن بالله، ويستقيم على أمره، ويتوب إليه:

﴿يرجو تجارة لن تبور﴾

وعد الإيمان بالله ورسوله، والبذل في سبيل الله؛ بذل الأنفس والأموال، أيضاً: من أريح أنواع التجارات، ونبهنا إلى أن التجارة، يمكن أن تكون ذا مفعول سلبي في الإيمان، يمكن أن تصرفنا عن طاعة الله .

قاعدة :

القاعدة الأساسية: أن أي عمل، ولو كان تجارة، إذا كان في الأصل مشروعاً، وسلكت به الطرق المشروعة، وأردت به كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم يشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، انقلب إلى عبادة،

فالأعمال التجارية بالانضباط الشرعي: تتقلب إلى عبادات, هذا ما جاء في القرآن الكريم عن التجارة, وعن التجارة مع الحق, والتجارة مع الخلق, وكيف أن للتجارة سلبيات؟ وكيف أن لها سلبيات؟ .

ماذا تعني: الصفة قيد؟ :

في الجامع الصغير, ورد الحديث الشريف:

((إن أطيب الكسب كسب التجار...))

قبل أن أتابع الحديث, لو قلنا: إنسان كم شخص تغطيه هذه الكلمة؟ تغطي كل البشر, كلمة إنسان تغطي خمسة آلاف مليون, أضف للإنسان كلمة, قل: إنسان مسلم, الخمسة آلاف مليون, صاروا مليار ومئتي مليون, الخمسة آلاف مليون بكلمة, إنسان مسلم, أصبحت الدائرة مليار ومئتي مليون فقط, حسناً: إنسان مسلم عربي مئة وخمسون مليون, إنسان مسلم عربي مثقف فرضاً: خمسون مليون, إنسان مسلم عربي مثقف طبيب مليون, إنسان مسلم عربي مثقف طبيب قلب مئتا ألف, إنسان عربي مسلم مثقف طبيب قلب جراح قلب مئة, إنسان مسلم عربي طبيب جراح قلب مقيم في سوريا اثنان, ماذا فعلت أنا؟ .

كلما أضفت صفة, ضاقت الدائرة .

علماء المنطق قالوا:

((الصفة قيد))

الآن أقول: أنا أريد موظف, مليون إنسان يريدون وظيفة؛ يتقن اللغة الإنكليزية, والفرنسية, ذهب ثلاثة أرباعهم, يتقن الكمبيوتر ذهب نصفهم, قضى عسكرية ذهب عمرهم, عمره من كذا لكذا كلما تضيف شرطاً, تضيق الدائرة, فحتى الواحد ما ينغش .

النبي قال :

((إن أطيب الكسب كسب التجار؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا

-ضاققت الدائرة-

وإذا ائتمنوا لم يخونوا

-بالأمانة, يكون ضايغ رحلاته, وسفرياتة, هو وزوجته بالفنادق, على البضاعة أنت تعمل سيران, لست عاملاً تجارة, بالأمانة غير الأرقام- وإذا وعدوا لم يخلفوا, -باع, وقبض, وصار إيجاب وقبول, وفجأة ارتفع السعر, الآن مشكلة, خرج من البيعة قلب معناها- وإذا اشتروا لم يذموا -الدوائر تضيق, تلاحظون: تضيق . صديق بدأ بالأقمشة, اشترى صفقة, عرضها على تاجر قديم من باب الاستشارة, فقال له: أصلحك الله, هذه ليست تمشي إطلاقاً, وكم نرد؟ قال له: بخمسة آلاف, قال له: أصلحك الله مرة ثانية, ظل يقول له: أصلحك الله حتى بركه, بعد ذلك: أخذه برأس مالها هذه, باعها في اليوم الثاني بالضعف, قال تعالى:

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

[سورة الأعراف الآية:85]

وإذا باعوا لم يظروا -ممنوع تدم البضاعة المشتراة, ممنوع تمدح البضاعة التي تتبعها, طبعاً: تمدحها بما فيها ليس مانع, (بما فيها), أما بما ليست فيها لا يجوز-.

وإذا كان عليهم لم يظروا

-يعني يؤدي ما عليه بلا إبطال-

وإذا كان لهم لم يعسروا))

هؤلاء بهذه الصفات السبعة، إن كسبهم أطيّب المكاسب .

((إن أطيّب الكسب كسب التجار؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يمطروا، وإذا كان لهم لم يعسروا))

هذا الحديث ورد في الجامع الصغير .

بشرى لك أيها التاجر :

ويقول عليه الصلاة والسلام، كما قلت لكم من قبل: هذا الحديث يمكن لا يوجد حديث شريف، يلقي في قلب التاجر الطمأنينة والسرور كهذا الحديث .

يقول عليه الصلاة والسلام:

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء))

[أخرجه الترمذي في سننه والحاكم في مستدركه]

نقطة معالجة :

النقطة الدقيقة التي سأعالجها الآن: الجنة ليست لبعض الناس، الجنة لكل الناس، كل في عمله، فالتاجر الصدوق الأمين، هذا قدوة، وهذا مثل أعلى، وهذا داعية، داعية في تعامله التجاري، كيف أن أكبر دولة إسلامية

الآن أندونيسيا: دخلوا في دين الله أفواجاً، على يد التجار المسلمين؛ بصدقهم وأمانتهم، كذلك: ممكن باستقامتك الصارمة، الصدق الذي لا حدود له، والأمانة: أن تجعل الناس يلتفون حولك، معتقدين بصحة مبدئك، وسلامة دينك .

تفسير حديث النبي: التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء :

أيها الأخوة، هذا الحديث، لا يُفسر إلا بالشكل التالي: عندما ينوي التاجر أن يكون مسلماً نموذجياً، أن يكون مسلماً قدوة، أن يكون داعية بعمله، ولقد قالوا:

((لغة العمل أبلغ من لغة القول))

فلاحظوا أخواننا الكرام، يعني: معظم الناس لهم أعمال؛ يعمل، ويجهد، ويتعب، ويربح، أو يخسر، ولا أجر له، أما المؤمن إذا مارس عمله المهني، تجارته .

كان السلف الصالح إذا فتح دكانة يقول:

((نويت خدمة المسلمين))

في شخص ليس له مصلحة من أخواننا الحاضرين، وأنا معكم، هذه المصلحة مشروعة، فإذا نويت بها خدمة المسلمين، ماذا يحصل؟ مهنة مألوفة معروفة، أنت بهذه النية الطيبة تقلبها إلى عبادة، بهذه النية الطيبة تنقلب إلى عبادة، والمؤمن دائماً يوجد عنده مقياس لا يخيب، دقيق جداً، يضع نفسه محل الطرف الآخر، إذا كنت أنت المشتري، هل ترضى عن بائع يبيعك بهذه الطريقة؟ هذه قاعدة .

والإنسان إذا قال: أننا إذا لم نعمل هكذا لا نربح، وعلينا مصاريف ضخمة، والناس مالها حرام، تستأهل الغش، هذا كلام شيطان، ليس كلام مؤمن، أنت عليك أن تستقيم، وعلى الله الباقي، هو الرزاق ذو القوة المتين، ومعنى رزاق: يعني الله عز وجل، هناك ملايين الأساليب؛ يعطيك مالاً وفيراً، بجهد قليل، إن علم منك أخيراً، وعلم منك استقامة، هذا الشيء ملموس، النية الطيبة، سبب الرزق: النية الطيبة، فأنت إذا نويت خدمة المسلمين

تاجر صادق :

حدثني أخ، اشترى معمل في صناعات غذائية للأطفال، أقسم لي بالله -أنا والله أصدقه-، كلما أراد يشتري مواد أولية، اشترى أفضل شيء لأولاد المسلمين، في مواد أولية درجة خامسة وسادسة، في مواد جيدة جداً، لأن الله يراقبه، فكان يشتري المواد الأولية من أعلى مستوى، لا يبتغي بها أحد؛ لا تموين، ولا سجل صناعي، ولا شيء

من هذا القبيل، يبتغي أن يرضي الله، يعني: عليه ديون كانت كثيرة، وفاها بأقل من عام، قدم لها ثلاث سنوات، فالله عز وجل رب النوايا .

ف:

((التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة))

موظن فيه إغراء :

أيها الأخ الكريم، فألا تحب أن تغدو حرفتك دعوة إلى الله؟ حرفتك .

أحياناً: يكون عندك موظفين، رأوا منك استقامتك، ورعك، صدقك، أمانتك .

قال له: عندك بيض؟ قال له: نعم عندي، قال له: تازة؟ لا والله، من ستة أيام، لكن جاري الآن أتى بالبيض، اذهب إلى جاري، هذا المؤمن .

كان السلف الصالح إذا استفتح، لا يقبل زبوناً أخرق، لو تذهب إلى جاري، أنا استفتحت، فالله رب النوايا .

فهذا التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة .

ألا تغريك هذه المنزلة استقامة؟ .

بيان قرآني :

أيها الأخوة الكرام، معقول الإنسان إذا استقام يقل رزقه؟ هذا الإله العظيم، لأنك أطعته، يضاعف لك رزقك، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت الآية:30]

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

[سورة فصلت الآية:31]

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾

[سورة فصلت الآية:32]

ما معنى هذا الحديث؟ :

أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((الاقتصاد في المعيشة، خير من بعض التجارة))

يعني: إذا تجارة فيها مواد محرمة، تجارة فيها أساليب ربوية، تجارة فيها شبهات، تجارة فيها قرض كبير .

((الاقتصاد في المعيشة خير من بعض التجارة))

هذا ما أرشدنا النبي إليه :

أيها الأخوة، ثبت أن الشدة النفسية وراء أي مرض؛ الأمراض العضوية، أمراض جهاز الهضم، أمراض القلب، أمراض الشرايين، ضغط الدم، السكري، القرحة، آلام الأعصاب، حتى الآن الورم الخبيث، ثبت أن: هذا الورم الخبيث، يتأتى من ضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة ماذا يُضعفه؟ الشدة النفسية .

الآن: إذا كان تجارة فيها عريضة، فيها مخاطرة، فيها مواد محرمة، فيها قروض ربوية، فيها مشكلات، فيها مواد ممنوعة، هذه الشدة النفسية التي تصيب الإنسان وراء أكثر الأمراض، فلذلك: يقول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الرائع:

((الاقتصاد في المعيشة خير من بعض التجارة))

يعني: يصير معك عرس في الشيراتون بمئة مليون، وبالأكرم بمئة ألف، بخمسين ألف، ممكن تعمل عقد قران متواضع، أحسن ما تدخل بمغامرات، ومخاطرات، وضربات تسحق الإنسان أحياناً، لا .

النبي قال:

((الاقتصاد في المعيشة خير -لم يقل: من كل التجارة, لا- من بعض التجارة))

إذا تجارة محرمة؛ فيها مغامرة, فيها مخاطرة, في علاقة ربوية, فيها بضاعة ممنوعة, هذه تعمل لك شدة نفسية ساحقة جداً .

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- هكذا يرشدنا .

لك أيها التاجر :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله, -من هؤلاء الثلاثة-: التاجر الأمين))

أردت أن يكون الموضوع متعلقاً بالتجارة .

العلوم قسمان هما :

العلماء قالوا:

((العلم علمان؛ فرض عين, وفرض كفاية))

الفرض: العلم الذي هو فرض عين, يتعلق بأصول الإيمان, أركان الإيمان, وأركان الإسلام, وأحكام الفقهية المتعلقة بحرفتك, هي فرض عين, الأحكام الفقهية المتعلقة بحرفتك, تعلمها فرض عين .

يعني: شخص تزوج زوجة صالحة, وهو متفاهم معها إلى أبعد الحدود, ولا يفكر أبداً بتطليقها, فلو جهل هذا الإنسان -مثلاً- أحكام الطلاق, لا شيء عليه, أما إنسان أراد أن يبيع ويشترى, فإذا جهل أحكام البيوع, وقع في إثم شديد, لأن أحكام البيوع بالنسبة للتاجر, من العلوم التي ينبغي أن تعلم بالضرورة, ولا يعفى إنسان من الجهل بها, كما أنه في القانون: لا جهل في القانون, وعند الله لا عذر في أن تجهل أحكام دينك, لأن النبي عليه

الصلاة والسلام يقول:

((طلب العلم فريضة على كل مسلم))

فريضة؛ كيف أنك تصلي، لكن الصلاة فرض، كيف أنك تصوم رمضان الصيام فرض، كيف أنك تحج البيت إذا كنت مستطيعاً الحج فرض .

و:

((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))

الفرض متعلق فيما ينبغي أن تعلم بالضرورة، العلوم التي ينبغي أن تعلم بالضرورة؛ تكون تاجراً، تكون طبيباً، مهندساً، موظف، العلوم التي ينبغي أن تعلم بالضرورة، هي أركان الإيمان، وأركان الإسلام، والأحكام الفقهية المتعلقة بحرفتك، هذه ينبغي أن تعلم بالضرورة .

احذر من أن تقع في هذا يا تاجر :

ف:

((من اتجر من غير فقه أكل الربا شاء أم أبى))

((من اتجر من غير فقه من اتجر من غير فقه))

مثلاً: شيء مألوف عند التجار، يأخذ من شخص مئة ألف، يعطي عليه مبلغاً بالشهر ثابت، هي عين الربا، لا بد من ربح حقيقي أو خسارة، أما إذا أعطيت أرباحاً ثابتة على مبالغ ثابتة .

أنت محل تجاري، مثل البنك تمام فعلت أنت، فلذلك:

((من اتجر دون أن يتفقه، وقع في الربا شاء أم أبى))

((ثلاثة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ التاجر الأمين))

والأمانة تأتي من معرفة أحكام الفقه، ومن إرادة تطبيق الشريعة، فلذلك: العلم فرض عين .

و:

((طلب العلم فريضة على كل مسلم))

وليس لك خيار في معرفة الحق من الباطل، لأنك

إذا -مثلاً- السيارة ممكن لا تعرف نوع معدن المحرك، ممكن لا تعرف كيف يصنع المكبح؟ لكن لا بد من أن تعرف كيف توقف السيارة؟ وكيف تتطلق بها؟ وكيف تعطف يميناً ويساراً؟ هذه معلومات لا بد منها، من أجل أن تضمن سلامتك، وكذلك من أجل أن أضمن تجارتي في التجارة، ينبغي أن أتقيد بقواعد الشرع .

هذا ما قصدته :

قال لي شخص: والدي كان تاجر صوف، فلما تقدمت به السن، ندبني أن أكون مكانه، فذهب أول رحلة إلى البادية، ليشتري الصوف والسمن، قال لي: أخذت سيارة شاحنة، وأخذت أبان، ذهبت، قال لي: أنا راجع .

وقال لي شخص كلمة، تركت في نفسي أثراً: أن البدو ادبحهم، بمعنى: كيفما كان، خذ بضاعته بأرخص سعر، فوصل لزبون ثابت، يعني: يعرف والده كان، قال لي: زين الجزء، تطلع ثلاثة وثلاثون وثمانمئة غرام، أن خمسة وعشرين، وثمانين، سمع ثمانمئة، جديدة عليه، في حياته ما زان بالგრارات، لكن لم ينتبه الجلوة، ثلاثة وثلاثون، أن خمسة وعشرين وثمانمئة.

قال له: والله زينك زينك، في تفاصيل لا يعرفها سابقاً هذه، فبعد ما انتهى الوزن، وأخذ الرقم الإجمالي بالشعور الخاص، هذه الكمية وزنها قليل جداً، بدوي، قال له: إن شاء الله تلقاها بصحتك، إذا كنت تغشني .

يقول لي هذا الأخ: والله كلمة خوفنتي، قال لي: مشينا، بدأت بصراع مع نفسي، أرجع أعطيه الفرق، ظل صامتاً، أرجع بعد جمعة، قال لي: من بعد ما أخذت البضاعة إلى قبل الضمير، وأنا في صراع مع نفسي، قال لي: عند

الضمير قلت كلمة, قلت: حط بالخرج .

الآية الكريمة:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:79]

يعني: هكذا طلع معك, بعد ذلك: تحط بالخرج! .

يقسم بالله, ما هي إلا دقائق معدودة, إلا ورأى نفسه وسط بركة من الدماء, السيارة قلبت, وتتك السمن البلدي انكب, وهو جاء تحت الرفراف, وجرح, ودمه مشي, أنقذوه, وأخذوه إلى خيمة, وبعد فترة: سأل أحد شيوخ الشام - توفي رحمه الله-, قال له: هكذا عملت, وهذا البدوي, قال له: اذهب استسمح منه, وأعطه الفرق فذهب, قال له: لا, أنا سامحتك, وهذه تتكتنا سمنة هدية عوضاً عنهم, لكن قصدي: إذا شخص تاجر من دون فقه, في ضربات قاسية جداً .

النبي قال:

((استقيموا لن تحصوا))

فالإنسان لما يكون فقيهاً؛ يعرف الحق والباطل, الحلال والحرام, يكون وقافاً عند كتاب الله, وقافاً عند الحدود .

((من أخذ أموال الناس يريد أداءها, أدى الله عنه, ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها, أتلفه الله))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ليتها تتلف, لا يتلف معها, فالله كبير .

أحياناً إنسان: لا يدخن, الخوف من الله في حساباته, يظن أنه يفعل ما يشاء, لكن أحياناً ربنا عز وجل, يؤدب تأديب كبير .

من هو التاجر الذي يحبه الله، ومن هو التاجر الذي يبغضه الله؟ :

ف:

((ثلاثة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله، -من هؤلاء الثلاثة؟- التاجر الأمين، وثلاثة يبغضهم الله عز وجل -من هم؟- التاجر الحلاف))

قال:

((اليمين منفقة للسلعة، محقة للبركة))

وفي حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((التاجر الصدوق لا يُحجب من أبواب الجنة، والتاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة، والتاجر الصدوق مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة))

هذا هو الأصل في البضاعة :

أيها الأخوة، فما قولكم: أن تكون حرفة أحدنا سبباً لدخول الجنة، وسبباً لدخول أعلى مرتباتها، لكن هذا يحتاج إلى علم، وإلى استقامة، وإلى التزام.

الأصل: أن تكون البضاعة في أصلها مشروعة، البضاعة في أصلها مشروعة، لا بد من أن يكون التعامل مع الناس وفق المنهج الإلهي؛ لا كذب، ولا غش، ولا تدليس، ممكن يكتب على البضاعة صنع فرنسا، وهي صنع تايواند، ممكن، هذا تدليس أخو الكذب .

العبرة في المقاصد والمعاني لا في الألفاظ والمباني :

قال لي شخص: كيف التدليس؟ قلت له: شخص خطب فتاة، من أسرة من أسر دمشق، سألوه على البيت، قال لهم: بيتي في المالكي، وافقوا فوراً، معنى بيته بالمالكي، يعني وضعه المادي جيد جداً، بيت ثمنه خمسون مليون، ثم كشف أن بيته في المالكي في شارع بيلدا، شارع المالكي، هو لم يكذب، لم يكذب أبداً، هذا اسمه تدليس،

التدليس أخو الكذب, أنا لم أكذب يا أخي, التدليس عند الله كذب .

الآن: إذا شخص طرق بابك, خرج ابنك, فتح, قال لك: الوالد موجود؟ الابن دارس لغة, قال له: والله الآن راح يا عمو, معنى راح: عاد إلى البيت, غداً: ذهب إلى عمله قبل الشمس, وراح: عاد إلى بيته, قال له: الآن والله راح, حسناً: الابن لم يكذب, قال له: سلم عليه, لغة لم يكذب, أما شرعاً: كذب, ماذا فهم منه؟ أنه ليس في البيت, قال له: سلم عليه .

فالله عز وجل لا يحاسب على اللفظ, على القصد .

مثلاً: أخي ما سعر المصحف؟ حرام, هذا وهبته مئة ليرة, إن قلت: وهبته, وإن قلت: ما دام قبضت ثمنه مئة ليرة, أنا لا أقول حرام تأخذ حقه, لا, لكن قبضت حقه مئة بالتمام والكمال, لا تقل: بيع, وهبته مئة ليرة .

العلماء قالوا:

((إذا قلت: وهبتك هذا الكتاب بمئة ليرة, هذا اسمه عقد بيع, وإذا قلت: بعتك هذا الكتاب بلا ثمن, هذا اسمه عقد هبة))

إذا قلت: بعتك هذا الكتاب بلا ثمن, هذا عقد هبة, قلت: بعتك, عقد هبة, إذا قلت: وهبتك هذا الكتاب بمئة ليرة, عقد بيع, العبرة: في المقاصد والمعاني لا في الألفاظ والمباني .

فأحياناً الإنسان: يعمل مداخلات, يظن أنه فعل خيراً, الله عز وجل يكشف كل إنسان على حقيقته.

هذا ما ورد في هذا الحديث القدسي :

أيها الأخوة, الذين يبغضهم الله عز وجل: التاجر الحلاف, والفقير المختال, والبخيل المنان .

ورد بالحديث القدسي:

((أحب ثلاثاً وحبى لثلاث أشد؛ أحب الطائعين وحبى للشاب الطائع أشد, أحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد, أحب الكرماء وحبى للفقير الكريم أشد, وأبغض ثلاثاً وبغضى لثلاث أشد؛ أبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد, وأبغض العصاة وبغضى للشيخ العاصي أشد, وأبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد))

خاتمة القول :

أختم هذا الدرس بهذا القول:

ذكرت لكم من قبل:

((العدل حسن لكن فى الأمراء أحسن -يعنى فى الأمير ألزم ما يلزمه العدل- والورع حسن لكن فى العلماء أحسن -والعالم ألزم ما يلزمه الورع- والسخاء حسن لكن فى الأغنياء أحسن -والغنى ألزم ما يلزمه السخاء- والصبر حسن لكن فى الفقراء أحسن))

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-02} : الزكاة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-02-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

من استنباطات هذه الآية :

أيها الأخوة الكرام, فضل كلام الله على كلام خلقه, كفضل الله على خلقه .

حينما يمضي الإنسان وقتاً ثميناً في فهم كلام الله عز وجل, يصل من خلاله إلى حقائق دقيقة جداً, فالله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

في هذه الآية استنباطات دقيقة جداً؛ أولاً: كلمة خذ: فعل أمر, يأمر الله النبي أن يأخذ من أموال المؤمنين صدقة تطهرهم .

قد يسأل سائل :

قد يسأل أحدكم: لماذا لم يأمر الله المؤمنين أن يدفعوا زكاة مالهم؟ لم توجه إلى النبي وأمره أن يأخذ منهم صدقة تطهرهم؟ .

استنبط: أن النظام الاقتصادي في الإسلام محوره الزكاة, ويبنى على أداء الزكاة سلامة المجتمع, وفقير, كما قال الإمام علي:

((كاد الفقر أن يكون كفراً))

والمال قوام الحياة، فحينما تتجمع الأموال بأيدٍ قليلة، وتحرم منها الكثرة الكثيرة، في الأعم الأغلب: أن أكثر مشكلات العالم سببها: أن واحداً يملك كل شيء، ومليون لا يملكون شيئاً، حينما تدفع الزكاة، يصبح المال متداولاً بين الأيدي:

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

[سورة الحشر الآية:7]

لأن سلامة المجتمع الإسلامي، متوقفة على دفع الزكاة، كأن الأمر بأخذ الزكاة، وليس الأمر بدفعها .

تفسير معنى هذه الآية: - خذ من أموالهم - :

قال تعالى:

﴿خُذْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

فالزكاة تُؤخذ ولا تُعطى، تُفترض ولا تُستجدى، ليست عملاً من أعمال البر، تفعله أو لا تفعله، ليست عملاً صالحاً، تتقرب إلى الله بعمله، أو أنت معفى من عمله، لا، الوضع آخر، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

أما كلمة من هذه، من: تفيد التبويض، لم يقل الله عز وجل: خذ أموالهم، خذ بعض أموالهم، بالنسبة: الزكاة اثنان ونصف في المئة، يعني مبلغ لا يذكر، أما أصل المبلغ، فجاءت من هنا: للتبويض:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

أما صدقة، أما أموال، لم لم يقل: خذ من مالهم؟ جاء المال جمعاً، قال:

((لأن الزكاة مفروضة على كل أنواع المال من دون استثناء))

ما أنتجته الأرض؛ الأنعام، الإنتاج الصناعي، البضائع، الإنتاج الحيواني كالعسل، كل هذا اسمه في عرف الشرع مال .

لم جاءت (من) بضمير الجمع في هذه الآية؟ :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

لم لم يقل: خذ من ماله؟ جاءت من: ضمير الجمع، قال:

((لأن جميع المسلمين مكلفون دفع الزكاة، لا يستثنى واحد منهم، ولا تخفض له النسبة، ولا تعفى، ولا تطوى هذه الزكاة عن أحد))

فمن كلمة خذ فهم حكم، ومن كلمة من فهم حكم، ومن كلمة أموال فهم حكم، ومن كلمة فِ من أموال فهم حكم، أما الزكاة وردت في القرآن زكاة، أما هنا جاءت صدقة، جاءت صدقة هنا، ليُفهم منها: أن الزكاة تؤكد صدق الإنسان مع ربه، تؤكد تطابق أفعاله مع عقيدته، وتطابق عمله مع وعد ربه .

من صفات المتقين :

قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾

[سورة آل عمران الآية:134]

بدأ ربنا عز وجل، حينما وصف المتقين بإنفاق مالهم، لأن إنفاق المال متناقض مع طبع الإنسان، طبع الإنسان يقتضي أن يقبض المال، والإنسان لا يرقى عند الله عز وجل، إلا بفعل يناقض طبعه، هذه حقيقة ثابتة .

هذا هو الفرق بين الطبع والتكليف :

الإنسان أمر بغض البصر، لكن طبعه يدعو إلى النظر، أمر بصلاة الفجر، طبعه يدعو إلى النوم، أمر بضبط لسانه، طبعه يدعو إلى الحديث عن الناس، وعن أخطائهم، وعن فضائحهم، وعن مشكلاتهم؛ فلولا أن التكليف ذو كلفة، لولا أن التكليف ذو كلفة، لما ارتقى به الإنسان، فقبض المال متوافق مع الطبع، أما إنفاق المال متناقض مع الطبع، لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة آل عمران الآية:14]

هذا معنى الصدقة في هذا الحديث :

أيها الأخوة، كلمة صدقة؛ تؤكد صدق إيمانك، وصدق اعتقادك، وتؤكد أنك مصدق لله عز وجل فيما وعدك الله به، لهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((الصدقة برهان))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

برهان على إيمانك .

يعني: إنسان أحياناً يصوم نفلاً، أو يصوم صيام رمضان، ما الذي يمنعه إذا دخل بيته منفرداً، ألا يأكل أو ألا يشرب؟ خوفه من الله، فالصيام عبادة الإخلاص، لا أحد يستطيع أن يضبط إفطاره إلا الله، وهذا من عظمة الدين.

ما الفرق بين النظام الوضعي وبين الدين؟ :

أخواننا الكرام, النظم الوضعية كلها أساس الرادع الخارجي, أما الدين: أساسه الوازع الداخلي.
يعني: يوجد في الإسلام قضية: أن الإسلام ينمي في المسلم الوازع الداخلي, يصبح المسلم رقيب نفسه, من دون رقابة هو ملتزم, ولو وضعت للمنحرف ألف رقيب ورقيب يتغلت.

ما فائدة الزكاة؟ وما هي الأمراض التي تطهرها الزكاة؟ :

الله عز وجل سمى الزكاة في هذه الآية, سماها: صدقة, ما فائدة الزكاة؟ قال:

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

معنى في أمراض, ما هي الأمراض التي تطهرها الزكاة؟ أولاً: مرض الشح, مرض الشح من أخطر الأمراض, والدليل: أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر الآية:9]

((شر الناس أو أندم الناس, من دخل ورثته بماله الجنة, ودخل هو بماله النار))

((أندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً))

يعني: ما أنفق

روح الميت ترفرف فوق النعش, تقول:

((يا أهلي, يا ولدي, لا تلعبن بكم الدنيا, كما لعبت بي, جمعت المال مما حل وحرّم, فأنفقته في حله وفي غير حله, فالهناء لكم والتبعة علي))

فالزكاة تطهر نفس الغني من الشح, مرض خطير, فهذا المرض قد يجعل صاحبه محروماً كل شيء, ألا تعرفون أناساً يحرمون أنفسهم كل شيء, ومعهم أموال لا تأكلها النيران ليموتوا أغنياء فقط؟ هذا مرض يحتاج إلى معالجة, فالزكاة تشفي من مرض الشح .

هذا الدليل على أن من دفع زكاة ماله برىء من الشح :

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((برىء من الشح من أدى زكاة ماله))

وأي مبلغ من المال, لو أنه سبعة آلاف ليرة سورية, وهذا نصاب الفضة الذي تجب فيه الزكاة, السبعة آلاف ليرة سورية, تعد عند الله كنزاً, إن لم تؤد زكاته, والألف مليون إن أدبت زكاتها, ليست في كنز, هذا كلام دقيق .
أي مال هو كنز يحمى على صاحبه في نار جهنم, فتكوى بها جبهته وجنبه, هو المال الذي لا تؤدى زكاته, وأي مال أدبت زكاته, فهو ليس بكنز .

هل تطهر الزكاة نفس الغني؟ :

سؤال: هل تطهر الزكاة نفس الغني؟ لا, تطهر نفس الفقير, فقير محروم, يشعر بالحرمان, يشعر أنه هين على الناس, لا أحد يهتم به, الكل يأكلون, ويشربون, ويتمتعون, وهو ملقى في زوايا الإهمال, أما حينما يطرق الغني باب الفقير, خذ يا أخي, خذ اشتر طعاماً, اشتر ثياباً, فرح أولادك, ينتعش الفقير, يشعر أن مجتمعه لم ينسه, يشعر أنه عضو في المجتمع بارز, لذلك: تمتلئ نفس الفقير إخلاصاً للغني, إخلاص؛ بين أن يكون الغني حوله أعداء يحقدون عليه, ويتربصون به الدوائر, وبين أن يكون بين أحباب, فلذلك: يشفى المريض من مرض الحقد, الغني يشفى من مرض الشح, والفقير يشفى من مرض الحقد .

ماذا عن المال؟ قال:

((المال مطهر من تعلق حق الغير به))

إذا شخص والده ترك له بيت، وله أربعة أخوة، فهو سكن في البيت وحده، وتمتع فيه، بيت قبلي، واسع، بحي راق، بتدفئة مركزية، مفروش أعلى فرش، هو حينما تمتع بهذا البيت، هذا البيت تعلقت به حقوق أخوة له، هذا البيت يقول: الحجر المغصوبة في بيت رهن بخرابها، لذلك: تعلقت حقوق الغير بهذا المال، فإذا أدت زكاة المال، تطهر المال من تعلق حق الغير به.

لذلك قال النبي الكريم:

((من أدى زكاة ماله أذهب الله عنه شر))

لم يعد في خطر الحريق، خطر المصادرة، خطر الضياع، خطر الإلتلاف، في مليون خطر، الحياة كلها مطبات .

دققوا في هذه الآية:

﴿تَطَهَّرْهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

تطهر الغني من مرض الشح، وهو من أخطر الأمراض، تطهر الفقير من مرض الحقد، وهو من أخطر الأمراض، تطهر المال من تعلق حق الغير به.

قال تعالى:

﴿وَتُرْكِيهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

الزكاة هي النماء, فالغني فضلاً عن أنه يظهر من مرض الشح, تنمو نفسه, كيف تنمو؟.

لو فرضنا وزع زكاة ماله على من يلوذ به من المحتاجين والفقراء المعدومين, اعمل لهم زيارة في العيد, أنت أعطيته عشرة آلاف, في السابع والعشرين من رمضان, وفي العيد زرتة: أهلاً وسهلاً, رحب ترحيب, بذل المستطاع, قدم لك فواكه, ماذا يوجد عنده قدم لك, أطال الله في عمرك, وأنت بركتنا, أنت فضلت علينا, بماذا يشعر الغني؟ .

أنني أنا مهم بالحياة, أنا الآن دخلت إلى قلوب الناس, فالآن نفسه تنمو, أول موضوع تطهر من الشح, أما الآن تنمو بمحبة الناس له, يشعر الغني أن له دوراً في المجتمع خطير, هو محسن, أصبح في قلوب الناس, حل مشكلات بعض الأسر, رسم البسمة على وجوه الأطفال, أكل الأطفال اللحم في العيد, أكلوا الحلويات, لبسوا الجديد, بفضل هذه الزكاة, فلما رأى عمله أمامه, رأى أسراً تسعد, تطرب, فالآن: نمت نفسه نمواً, طهرت, ونمت, قال:

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

كيف تنمو نفس الفقير حينما يدفع الغني زكاة ماله له؟:

أيها الأخوة، نفس الفقير كيف تنمو؟ طبعاً: الإنسان، الحرمان:، له مفعول سيء جداً، لبس بدلة جديدة، رفع رأسه، أكل طعاماً لذيذاً، ألبس زوجته ثياب جميلة على العيد، زوجته أحبته أكثر، لكن أولاده ... هو كان محروم، لا يوجد معي، اذهب عن وجهي، مشغول، متضايق، اتركوني بحالي، فلما أعطيته زكاة مالك، واشترى ثياباً لأولاده، واشترى تدفئة، واشترى طعاماً، واشترى شراباً، كله بفضل الزكاة .

فالآن: نفس الفقير نمت، شعرت بقيمتها، لبس، أكل، جار الناس .

إذاً: تنمو نفس الغني، وكأنه انتصر على نفسه، وتنمو نفس الفقير، وقد شعر بمكانته.

كيف ينمو المال حينما يدفع زكاته؟ :

فكيف ينمو المال؟ هنا الشيء الدقيق في هذه الآية:

الأغنياء حينما يؤدون زكاة أموالهم، ماذا يفعل الفقير بهذا المال؟ سينفقه على شراء طعامه، وشرابه، ولباسه، سوق تحرك، من حرك السوق؟ دفع الزكاة، الذي دفع الزكاة، نما ماله مرة ثانية، نما بطريقة القانون البشري، لأنه الآن يقول لك: لا يوجد قوة شرائية، تجد كل، لكن لا يوجد مال، الكيلو بخمس وثلاثين، لم يعد في السلام عليكم، الكنزة ألف وثمانمئة السلام عليكم، كلما رأى السعر مرتفعاً ذهب، أما لما تعطي زكاة مالك، يشتري، ضع لي كيلين، فلما الفقير يأخذ زكاة الغني، يشتري فيها طعام، وشراب، ولباس، معنى: حرك السوق .

الآن: الدول الغنية جداً، المتقدمة، انطلاقاً من مصلحتها الصرفة، تدفع معونات للدول الفقيرة، هذه الدول الفقيرة: تشتري من عندها معدات، وأجهزة، وتصنيع، ومواد أولية، فيتحرك بلدها بالمساعدات، هذا منطق، منطق علمي هذا، فالغني إذا دفع زكاة ماله، ارتفع ربحه، وراجت بضاعته .

العلماء قالوا:

((هناك طريقة لا نعلمها , الله يعلمها))

طريقة العناية الإلهية, الله يعلم, وأنت لا تعلم, ففي صفقة تقلس, يصرفها عنك, وفي صفقة تريح منها كثيراً, يلهمك إياها .

الآن بطريقة أخرى: أنت ملهم بما هو مريح, ومصروف عما هو مخسر, هذه طريقة أخرى في نماء المال, طريقة العناية الإلهية المباشرة, الله عز وجل يقذف في قلبك, اشترى بضاعة, يشتريها, يريح فيها, بضاعة أخرى, يقول لك: لا أريدها, يقول لك: ما انشרכת.

الذي أدى زكاة ماله, الله يقبض له قلبه عن بضاعة تخسره, يشرح له قلبه على بضاعة تربحه, يكون البضاعة ثمانية, الذي في الآلة الحاسبة تحير الأمور, انت بآلة حاسبة, معك مثلاً مئة ألف, ناقص ألفين ونصف زكاة, بقي سبع وتسعون ونصف, لكن الله لم يقل هكذا, قال:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:276]

القرآن عكس هذه آلة حاسبة, الآلة الحاسبة إذا كان أقرضت المئة ألف قرض حسن, يأتيك آخر السنة ناقص, التضخم النقدي ناقص سبعة عشر بالمئة, أليس كذلك؟ .

إذا شخص أقرض إنساناً مئة ألف, وتركه سنة, ردهم إليه, يرجعون مئة ألف عدداً ونقداً, أما كقوة شرائية انخفضوا سبعة عشر في المئة, فبالآلة الحاسبة القرض الحسن مخسر, أما القرض الربوي مريح, أما بالآية القرآنية:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:276]

بالعناية الإلهية المباشرة .

ما هي الآية التي هي أصل في الزكاة؟ وهل هناك أحاديث وردت في شأن الزكاة؟ :

فقال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

هذه الآية أصل في الزكاة .

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((احصنوا أموالكم بالزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، والطبراني في المعجم الأوسط]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

بماذا فسر بعض العلماء هذا القول: -الأقربون أولى بالمعروف -:

إذا دخلنا في التفاصيل

أحياناً: الإنسان في رمضان، مثلاً: يفرز مال الزكاة، قد لا يجد في وقت قصير أناساً طيبين، مؤمنين، يستحقون هذا المال، فبعض أخواننا الكرام المؤمنين: يتوهمون أنه بمجرد أن تدفع زكاة مالك انتهى الأمر، نقول لكم: لا يا

أخي ما انتهى الأمر, ولا بد من أن تجتهد غاية الاجتهاد في وضع المال في المكان الصحيح .

قالوا:

((الأقربون أولى بالمعروف))

بعض العلماء فسر هذه الكلمة على الشكل التالي, قال:

((الأقربون مثلاً, والأقربون إلى الفقر, والأقربون إلى الإيمان))

فأنت أمام مسكينين, أحدهما أفقر من الثاني, تعطي من؟ الفقير أمام فقيرين, أحدهما أكثر إيماناً من الثاني, تعطي من؟ الأكثر إيمان .

أنت أمام فقيرين مؤمنين في مستوى واحد, لكن واحد ابن خالتك, تعطي ابن خالتك, تعطي الأقرب .

يوجد عندك ثلاثة مقاييس؛ مقياس الفقر, مقياس الإيمان, مقياس القرابة .

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يقبل الله زكاة مال أحد, وفي أقربائه محايج))

لأنه لما الشرع الحنيف كلف كل إنسان يتفقد أقباءه, هذا نظام التكافل الاجتماعي, إذا كل إنسان تفقد أقباءه

.....

هذا ما تفعله بعض الأسر الملتزمة :

أسمع أشياء لطيفة جداً, يعني: بعض الأسر المنضبطة, المتماسكة, يؤلفون مجلس أسرة, يتبرعون من زكاة مالهم بصندوق, يتفقدون شباب الأسرة كلهم؛ يزوجون الشباب, يشترون بيوت للشباب, هذا عمل عظيم, الآن لا يوجد عمل, أعظم عمل على الإطلاق: من أن تزوج الشباب المؤمن .

يعني: ما الذي يمنع الإنسان يعمل بناء بمنطقة رخيصة قرب بببلا, قرب عين ترمة؟.

يعني: بيت ستون متر، أقل كسوة ممكنة، يكلف البيت حوالي أربعمئة ألف، تعطيه برأس ماله للشباب تقسيطه، هذا عمل عظيم .

يعني: أنت لما تزوج شاب وشابة مؤمنة، أنشأت عرساً إسلامياً، جبرت خاطر فتاة، وحصنت فتى .

فأحياناً: تعطيه مئة، مئتين، خمسة، خذ، يصرفهم، أما لو عملنا مشروع تأسيس بيت مثلاً، إنسان إذا كان يستطيع يعمر كم بيت، هكذا هذا عمل عظيم، تزوج شباب، تؤمن بيوت، تؤمن دخول، تؤمن أعمال، فنحن نريد أن تُدفع الزكاة بشكل صحيح .

فعندنا عامل القرابة، وعامل النسب، وعامل الإيمان .

نقطة مهمة :

في شيء آخر: أنت ممكن دفعت زكاة مالك بالتمام والكمال، واحد شوال جاءك، باثنين شوال، شخص مضطر أن يجري عملية جراحية لابنه، أنا دفعت، ليس لك علاقة عندي، نقول له: لا يا أخي، يقول عليه الصلاة والسلام:

((في المال حق سوى الزكاة))

ممكن تدفعهم صدقة، أو تدفع حساب جديد لزكاة العام القادم، فأنت على مدار العام، انت بطلبات معقولة، طلبات إنسانية، قنعان فيها تماماً، أصحابها صادقين، فأنت لست محرراً، معك سنة بكاملها، تقف حساب زكاة العام القادم، وكلما جاءك طلب مشروع؛ عملية جراحية، طالب علم مثلاً، إنسان عليه دين، مشكلة إنسانية ساحقة، تؤديها من زكاة العام القادم سلفاً، جاء شهر رمضان الثاني، مثلاً: عليك ثمانية عشر، دفعت ستة عشر، بقي ألفان تدفعهم، أغلقت السنة الماضية، جاء شوال، افتح حساب جديد، بهذه الطريقة: يمكن أن تدفع الزكاة إلى المستحقين، إلى المؤمنين، إلى الذين تحسبهم أغنياء من التعفف، إلى الذين لا يسألون الناس إلحافاً، يمكن أن تُدفع الزكاة إلى مثل هؤلاء .

تحدثت في هذا الدرس عن آية الزكاة, وهناك حديث آخر عن الأحاديث الشريفة التي وردت فيها الزكاة, وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفعل الخير, والحمد لله رب العالمين, الفاتحة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-03} : أحاديث تبدأ بكلمة (ويل)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-02-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ماذا تعني هذه العبارة من أحاديث رسول الله: ويل من كذا، من كذا؟ :

أيها الأخوة الكرام، في كتاب الجامع الصغير، من أحاديث البشير النذير عليه الصلاة والسلام، طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ، تبدأ بكلمة: ويل، والويل هنا: بمعنى الهلاك، ويل للأعقاب من النار، ويل للعالم من الجاهل، سوف تأتي عليها إن شاء الله بعد قليل، ولكن قبل أن نشرع في شرح بعضها، أريد أن أضع بين أيديكم: ماذا تعني هذه العبارة: ويل لكذا من كذا؟ .

لو قلنا مثلاً: ويل للمدخن من التدخين، الله سبحانه وتعالى جهز جسم الإنسان بأجهزة بالغة الدقة والفاعلية .

مثلاً: الإنسان حينما يرى أفعى، أو عقرباً، أو حينما يتهدده خطر، ما الذي يحصل في جسمه؟ .

العلماء قالوا:

((إن شكل الأفعى، أو العقرب، أو المسدس، ينطبع على الشبكية في العين))

وشبكية العين فيها مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط، في عشر طبقات في قعر العين، هذه الشبكية تتلقى الصور .

الإنسان إذا رأى أفعى، أو رأى عقرب، أو رأى خطراً يتهدده، صورة هذه الأفعى تنطبع على الشبكية إحساساً، وتنتقل إلى الدماغ إدراكاً، في الدماغ مفهومات؛ في سني الطفولة، في التعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي. في بعض القصص تتراكم مفهومات عن الأفعى، معناها شيء مخيف، قاتل، لدغتها قاتلة، فالعين تتلقى الصورة، وتقلها إلى الدماغ، الدماغ يحلل هذه الصورة، ويعرف خطرها الدماغ، ملك الجهاز العصبي، الجهاز العصبي

ملكه الدماغ, يُعطي أمراً إلى ملكة الجهاز الهرموني, هي الغدة النخامية, الغدة النخامية في الدماغ, لكنها ترسل أوامرها على أساس هرمونات, لا على أساس أوامر كهربائية, هذه الغدة الهرمونية النخامية, وزنها نصف غرام, تتلقى أمر, أن هناك خطر يهدد الإنسان, تصرفي أيتها الملكة, هذه الملكة تُرسل أمراً إلى الكظر, الكظر غدة فوق الكلوية, الكظر يعطي خمسة أوامر:

الأمر الأول: يتوجه إلى القلب, فتزيد نبضاته, فالخائف يضطرب قلبه مئة وثلاثون, مئة وأربعون, مئة وستون, هذا الأمر أرسله الكظر بناء على أمر النخامية, بناء على أمر الدماغ إلى القلب.

الأمر الثاني: يتجه إلى الرئتين ليزداد وجبيهما, كي تتوقفان مع القلب.

الأمر الثالث: يتجه إلى الأوعية الدموية في الجسم, ولا سيما المحيطة في الجلد, تضيق لمعتها من أجل أن يتوفر الدم إلى العضلات.

الخائف الذي يهدد خطر, لا يعيننا مظهره, ولا لون جلده, ولا تألقه, يعيننا نجاته, لذلك الأمر الثالث: يتجه إلى الأوعية, تضيق لمعتها, فالخائف يصفر لونه .

والأمر الرابع: يتجه إلى الكبد, وفي الكبد يفرز هرمون اسمه: هرمون التجلط, فدم الخائف لزج, لأن هذا الخائف قد يفقد بعض دمه, لزوجة الدم تمنع من نزيفه.

ويتجه أمر خامس إلى الكبد, لي طرح كمية سكر إضافية في الدم, هذا الخائف مضطرب قلبه, ويزداد وجيب رئتيه, ويصفر لونه, وتزداد نسبة السكر في دمه, وتزداد نسبة التجلط في دمه, هذا رد العضوية على الخطر الدائم.

طبعاً: القلب تزيد سرعته من أجل أن ينتقل الدم إلى العضلات سريعاً, والرئتان يزداد وجبيهما كي تتوقفان مع الدم, والأوعية تضيق لمعتها من أجل أن يوفر الدم للعضلات, والكبد يفرز هرمون التجلط, لو ضُرب بسكين لا ينزف دمه, والأوعية تضيق من أجل توفر الدم في العضلات.

النيكوتين الذي في الدخان, يفعل الفعل نفسه, المدخن يزداد ضربات قلبه, ووجيب رئتيه, ويصفر لونه, وترتفع نسبة السكر في دمه, ويرتفع نسبة هرمون التجلط فيه.

فإذا قلنا مثلاً: نفس الأثر, الأثر الذي يحدثه الخوف في جسم الإنسان, هو نفسه الذي تحدثه مادة النيكوتين التي في الدخان .

لذلك: أحياناً: المدخن تبتر بعض أعضائه, لماذا؟ .

لأن الدم صار لزجاً, مع لزوجته لا يسري في أدق الأوعية, ففي أطراف الجسم في نهايات الأطراف, تضيق الأوعية كثيراً, فالدم اللزج لا يصل, فإذا لم يصل, صار في نقص تروية, صار في نواة, صار في غرغرين, بترت

طبعاً: غير السرطان, وغير الأمراض الكثيرة التي نتحدث عنها بعد قليل. يعني: أكبر سبب للجلطة: هو الدخان. طبيب من أطباء هذا القطر, من جراحي القلب المشهورين, قال لي بالحرف الواحد: من ثماني سنوات, وأنا أجري عمليات قلب مفتوح, ومن أغرب الصدف: أنه ما أجرى عملية إلا لقلب مدخن.

يعني: نسبة إصابة المدخن بأمراض القلب, ترتفع ثمانية أمثال -نعم-, فإذا قلنا: ويل للمدخن من الدخان, ماذا نعني؟ يعني: الهلاك ينتظر المدخن بسبب الدخان.

هذه العبارة مهدت لهذه الأحاديث بهذه العبارة, كي نعرف أن الويل هو الهلاك, وكلمة من: تعني السبب, ويل للمدخن من الدخان.

معنى هذا الحديث :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ويل للمالك من المملوك))

[أخرجه البزار في مسنده]

المملوك قد يُظلم, قد لا يأخذ حقه, قد يُبخس حقه, قد يُفهر, قد يُحرم, فالمالك محاسب.

يعني: الله عز وجل يقول:

﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:24]

فالإنسان إذا ملك, سوف يحاسب على ما ملك, هل أدى حق الله عز وجل؟ هل قال من حوله: يا رب, لقد أغنيته بين أظهرنا, فقصر في حقنا؟ هل نسي فرض صلاة؟ هل تجاوز حده؟ هل استعلى على خلق الله؟ .

((ويل للمالك من المملوك))

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((قليل تؤدي شكره, خير من كثير لا تؤدي شكره))

الشيء القليل مع الشكر, أفضل ألف مرة من شيء كثير بلا شكر, أو بإيدان, أو بتعلق حقوق.

((ويل للمالك من المملوك -الآن-: وويل للمملوك من المالك))

[أخرجه الزوار في مسنده]

إن لم يؤد الأمانة, إن لم ينصح, أنت عينت موظف, ما أدى الأمانة, ما نصحك في عمله, ما أعطى الوظيفة حقها, ما فعل ما ينبغي أن يفعله, فالذي يملك ويل له إذا أساء إلى مملوكه, والمملوك ويل له إذا خان مالكة, فالإنسان إذا ملك له حساب خاص, نعم.

((من ولي أمر عشرة فلم ينصحهم, أو ولى عليهم من ليس أهلاً لهذه الولاية, لقي الله خائناً, من تزوج امرأة وفي نيته أن لا يؤدي لها صداقها, لقي الله زانياً, من أخذ أموال الناس يريد إتلافها, أتلفه الله))

فالمالك مسؤول, والمملوك مسؤول, المالك مسؤول: هل أعطيته حقه؟ المملوك مسؤول: هل أديت ما عليك بالتمام والكمال؟ .

فلذلك: الإنسان أشد الناس عذاباً: هم الذين ملكوا وقصروا .

هكذا يعد عمر نفسه :

سيدنا عمر، كان يتجول في المدينة ليلاً، فرأى قافلة أنأخت الركب في أطراف المدينة، فتوجه إليها ليحرسها مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف، سمع طفلاً يبكي، توجه إلى أمه، وقال:

((أرضعني - سيدنا عمر الخليفة نفسه: أرضعني - أرضعته، ثم بكى ثانية، قال: أرضعني، أرضعته، ثم بكى ثالثاً، قال لها: يا أمة السوء أرضعني، عندئذ ضجرت وقالت له: وما شأنك بنا؟ - لم تتدخل؟-، قالت له: إني أفطمه، قال: ولم؟ قال: لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام.

يروى كاتب القصة: أن عمر بن الخطاب ضرب جبينه، وقال: ويحك يا بن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين!؟.

-عد نفسه قاتلاً لأطفال المسلمين، لأنه أعطى التعويض العائلي للأم بعد الفطام، فأصبحت الأمهات يفظمن أولادهن قسراً- .

وأرسل كتاباً إلى الأنصار: أن العطاء يستحق عند الولادة، وصلى صلاة الفجر، وما سمع أحد صوته في الصلاة من شدة بكائه.

وكان يقول: ربي هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزبها؟))

عمر يسأل أحد ولاته هذا السؤال:

سأل أحد الولاة، قال له:

((ماذا تفعل إذا جارك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده، قال: إذا: فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل، فسأقطع يدك.

قال: يا هذا، إن الله استخلفنا عن خلقه؛ لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً، التمس في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية))

فإذا ملكت فأنت محاسب، وإن ملكت فأنت محاسب، إن ملكت تحاسب على أداء الاستحقاق، وإن ملكت تحاسب على الوفاء بالوعد.

أيها الأخوة الكرام، كلما ازداد علم الإنسان، يزداد خوفه من الله عز وجل.
وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((رأس الحكمة مخافة الله))

والإنسان إذا أدى الحقوق، نجا من عذاب الله عز وجل.

((ويل للمالك من المملوك))

عمر يحكم بالقضاء :

مرة أحد الولاة سأل سيدنا عمر، قال:

((يا أمير المؤمنين، إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، لست أقدر على استخراجهم منهم، إلا أن أمسهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت -يعني: نعذبهم حتى يعترفوا-، فأجابه عمر، قال له: ويحك، أتستأذني في تعذيب بشر؟ وهل لك أنا حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البينة، فإن قامت فخذهم بالبينة، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم، فإن لم يقرروا فادعهم لحلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وإيم الله! لأن يلقوا الله بخيانتهم، أهون من ألقى الله بدمائهم))

((ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك))

[أخرجه النزار في مسنده]

عمر بن عبد العزيز يستشير الحسن البصري :

سيدنا عمر بن عبد العزيز، سيدنا الحسن البصري، وهو من كبار التابعين، كان مرة عند والي البصرة، وقد جاء البريد، وفيه توجيه لوالي البصرة، لإجراء شيء لا يرضي الله عز وجل، وقع في صراع شديد: أينفذ أمر الخليفة ويغضب الله عز وجل، أم لا ينفذ أمر الخليفة ويغضب الخليفة؟.

كان إلى جانبه الحسن البصري, قال:

((ماذا أفعل يا إمام؟ -دلني, عرض عليه المشكلة- , فأجاب الإمام إجابة جامعة مانعة موجزة كافية, قال -
ودققوا في قوله-: إن الله يمنعك من يزيد, ولكن يزيد لا يمنعك من الله))

((إن الله يمنعك من يزيد -لو أراد بك سوءاً-, لكن يزيد -إذا أراد بك سوءاً- لا يمنعك من الله))

فكن مع القوي, وكن مع الرحيم.

هذه مسؤولية العالم ومسؤولية الجاهل :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ويل للعالم من الجاهل, وويل للجاهل من العالم))

كيف؟

سيدنا علي رضي الله عنه, له قول رائع, يقول:

((قوام الدين والدنيا أربعة رجال؛ عالم مستعمل علمه, وجاهل لا يستنكف أن يتعلم, وغني لا يبخل بماله,
وفقير لا يبيع آخرته بدنياه))

قال:

((إذا ضيع العالم علمه, استنكف الجاهل أن يتعلم))

يعني: العالم إذا لم يكن ورعاً, الجاهل يرفض التعلم, وهذه الفكرة خطيرة جداً: العالم إن لم يكن ورعاً, إن لم يجسد
بسلوكه ما قاله بلسانه, تفقد الكلمة قيمتها, يقول لك: كلام, صف كلام, كلام فارغ.

ف :

((ويل للعالم من الجاهل))

الجاهل عندئذ لا يتعلم, ولا يقتدي, ويرفض العلم, ويبقى جاهلاً, لأن الذي يعلمه, ما رأى فيه المصادقية, وما رأى فيه التطبيق.

فالإنسان قبل أن يتكلم, يجب أن يعلم أنه محاسب على كل كلماته.

قال:

((وويل للجاهل من العالم))

إنسان أتيح له أن يتعلم, ويبقى جاهلاً؟ .

فالجهل جريمة بحق الإنسان, فإن تعلمت, فأنت مسؤول, هل طبقت ما تعلمته؟ وإن لم تتعلم, فأنت مسؤول, لم لم تتعلم؟ ليس العار أن تكون جاهلاً, ولكن العار أن تبقى جاهلاً.

لا تظن الأمر هكذا :

أخواننا الكرام, الإنسان يظن أن حضور مجلس علم, يعني: عملية أنا اليوم ليس عندي عمل نحضر, الدنيا شتاء, الليل طويل, في درس لطيف في الجامع الفلاني, هذه قضية متعة, قضية عمل ثانوي, أما هو الأمر أخطر من ذلك.

يعني: أنت حينما لا تعلم أمر دينك تهلك, لا بد من أن تقع في انحراف, ولكن انحراف عقاب من الله عز وجل.

ممكن إنسان لأول مرة يركبه طائرة, يقول له: حلق, احتمال سقوطه بالمئة مئة, يعني: قيادة طائرة, تحتاج إلى تدريب مسبق, وإلى علم, وإلى معرفة, وإلى صفات معينة, فلو ركبنا إنسان طائرة, وقلنا له: قدها, سقوطه محتم, والحياة فيها مطبات, وفيها ألغام, وفيها انحرافات, كما لو أنك تركب طائرة, فإن لم تتفقه, أكلت الربا شئت أم أبيت, لا بد من التفقه, لذلك الإنسان: حينما يعمل عملاً معيناً, معرفة أحكام الفقه لهذا العمل, فرض عين عليك, فإن لم يعرفها وقع في الحرام.

حديث آخر :

((ويل للأغنياء من الفقراء))

قبل أن أمضي:

((إذا ضيع العالم علمه, استتكف الجاهل أن يتعلم, وإذا بخل الغني بماله, باع الفقير آخرته بدنياه غيره))

يعني: إنسان اعتنق عقيدة الإلحاد, أصابه مرض عضال, يعني لجأ إلى بعض المساجد, جمع له الأخوة ما يكفي لمعالجة هذا المرض, بعد أن شفي من مرضه, صار من كبار الملتزمين بالمسجد, كان ملحدًا.

((كاد الفقر أن يكون كفراً))

أنت حينما ترعى الناس, وتعاونهم على أمر دنياهم, تقربهم إلى الله عز وجل.

ف

((ويل للمالك من المملوك, وويل للمملوك من المالك, وويل للجاهل من الجاهل, وويل للجاهل من العالم))

العالم محاسب على تطبيقه ما تعلم, والمتعلم مكلف أن يطلب العلم.

هذه مسؤولية الأغنياء :

الغني:

((الأغنياء أوصيائي, والفقراء عيالي, فمن منع مالي عيالي, أدقته عذابي ولا أبالي))

يعني: قبل أيام, أو قبل أسبوعين, نشرت إحدى الصحف الدمشقية اليومية, قصة مؤثرة جداً حول مرض الإيدز, فتفقدوا بعض الفنادق في دمشق الهابطة, فحصوا دم امرأة تقيم في الفندق, وهي عاهرة, فإذا هي مصابة بهذا المرض, وقد نقلته لعشرين رجلاً, أخذوا أسماء النزلاء الذين التقوا معها, وتتبعوا أحوالهم, وفحصوا دمهم, فإذا هم

مصابون, عشرون رجل نقل إليهم هذا المرض, من خلال هذه المرأة حسناً, ما قصة هذه المرأة؟ .

حققوا معها, امرأة فقيرة جداً, لها زوج, دخله محدود, وخمسة أولاد, حينما ضاقت بهم الدنيا, وهم جاهلون طبيعاً, لجأت لهذا الفندق, تمضي كل شهرين أسبوعين, فتأخذ بالأسبوعين مبلغاً يرمم مصروفها.

فالأغنياء حينما قصروا في معاونة هذه الأسرة, فاضطرت أن تذلل قدم المرأة بعلم زوجها, وأن تنتقل المرض إلى زوجها, وإلى أولادها, وإلى عشرين رجل في

الأغنياء إذا نسوا, نسوا ما عليهم من واجبات, ألا يحاسبون؟ .

اقرأوا معاشر الأغنياء :

حدثني صديق تحت بيته فيه ملابسات أخلاقية لا ترضي, يعني: بيت دعارة, استجد بالشرطة, وأغلقوا البيت, وأغلقوه, فصار في لقاء مع صاحب هذا البيت, قال له بالحرف الواحد: والله تأتيني نساء كثيرات, يطلبن هذا العمل ليأكلن.

قال له: بعد ما أنا اغتيت بالعمل, صرت ردهن, وأعطيتهم مبلغاً من المال حتى ما تذلل قدمهم.

فبلدة, إنسانة تباع عرضها من أجل أن تأكل, وهناك أغنياء مترفون, يقيمون الحفلات, والمأدبات, والأعراس بالملايين.

((الأغنياء أوصيائي, والفقراء عيالي, فمن منع مالي عيالي, أذقته عذابي ولا أبالي))

فالإنسان عليه أن يؤدي زكاة ماله, وعليه أن يتقوى, أن يدفعها عند المستحق, لأن الغنى مسؤولية.

اعلم أيها التاجر :

أخواننا الكرام, مرة ثانية أقول لكم: أنا لا أصدق, لولا أن النبي قال, لا أصدق أن تاجراً يبيع ويشترى, وهو مع النبيين يوم القيامة, لأنه أدى ما عليه, لأنه علم الناس الاستقامة, لأنه نصح الناس في البضاعة, لأنه صدقهم, لأنه كان أميناً.

((التاجر الصدوق الأمين, مع النبيين والصديقين يوم القيامة))

أنت لا تعلم ما تفعل الزكاة فعلها, هذه الزكاة تصون بها أسرة, تحفظ بها ماء وجه, تُدخل الفرحة على الفقراء, فلذلك:

((ويل للأغنياء من الفقراء, إن لم يؤدوا الحقوق))

الويل لمن شملهم هذا الحديث :

((ويل للعالم من الجاهل, ويل للمالك من المملوك, ويل للمتألمين على الله, الذين يقولون: فلان في الجنة, فلان في النار, -فلان فاسق, فلان كافر, تقييم العباد من شأن رب العباد, تقييم العباد من شأن رب العباد . قال:- ويل للمتألمين من أمتي, الذين يقولون: فلان في الجنة, وفلان في النار, ويل للمكثرين إلا من قال: لفلان كذا, ولفلان كذا:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة الآية:34]

ويل لهم, ثم ويل, قال: ويل لمن لا يعلم سيهلك نفسه, وويل لمن علم ثم لا يعمل, ويل لمن لا يعلم: لم لم يتعلم؟ وويل لمن تعلم: لم لم يعمل؟))

يعني: الهلاك, الهلاك للجاهل, والهلاك للعالم المقصر, نعم.

اثان لا يجتمعان في المؤمن هما :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ويل للذي يحدث فيكذب))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((كفى بها خيانة, كفى بها خيانة: أن تحدث أخاك بحديث, هو لك به مصدق, وأنت له به كاذب))

((ويُطبع المؤمن على الخلال كلها, إلا الخيانة والكذب))

((كفى بها خيانة, أن تحدث أخاك حديثاً, هو لك به مصدق, وأنت له به كاذب))

فويل للذي يحدث فيكذب, ويل له, ثم ويل له.

طوبى لمن؟ وويل لمن؟ :

((طوبى, طوبى للعلماء, وطوبى للعباد, وويل لأهل الأسواق))

طبعاً: الذين لم يتقوهوا في دينهم, لأنهم سيحلفون يمينا, هذه منققة للسلعة, ممحقة للربا, أو سيكذبون, أو سيغشون, لذلك:

((إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم, وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم, وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم))

..... هذه بالوضوء.

إذا الإنسان توضأ, ولم يسبغ الوضوء, ولم يبيل الماء كل رجله, هذا وضوء سريع, لا يوجد إتقان, وكما تعلمون: الوضوء مفتاح الصلاة, والوضوء فرض, لأن الفرض لا يتم إلا به.

((ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض, ما لا تتم السنة إلا به فهو سنة, ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب))

فإن لم يصح الوضوء, لم تصح الصلاة, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-04} : الزكاة في الحديث النبوي

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 20-02-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذه هي الشريعة الإسلامية :

أيها الأخوة الكرام، يقول بعض العلماء :

((الشريعة رحمة كلها، عدل كلها، مصلحة كلها))

فأية قضية، خرجت من الرحمة إلى القسوة، من المصلحة إلى المفسدة، ومن العدل إلى الجور، فليست من الشريعة، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل، فرق بين العبادات وبين الطقوس؛ الديانات الوثنية، والوضعية، لها طقوس، حركات، وإيماءات، وكلام بلا معنى، لكن العبادة التي شرعها الله عز وجل: معللة بمصالح الخلق، العبادات معللة، لأنها أمر خالق السموات والأرض، شرف الأمر من شرف الأمر.

ما المراد بهذا الحديث؟ :

فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

عبادة الزكاة عبادة مالية.

تحدثنا في الجلسة الماضية عن حكمها، بقي أن نتابع بعض الحكم، لا من خلال الآية الكريمة، بل من خلال السنة المطهرة، وأن نقف عند بعض الأحكام.

فهناك حديث شريف, له مدلول اقتصادي كبير جداً.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((اتجروا في أموال اليتامى, لا تأكلها الزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

لو أن المال كُنز وُخزن, وكان صاحبه مسلماً, وعليه أن يؤدي زكاته, أكلته الزكاة.

فالله سبحانه وتعالى: حينما فرض على الأموال النامية الزكاة, شيء طبيعي, أما حينما فرض الزكاة على النقدين, والنقدان أموال ليست نامية, بالعكس متدهورة, طبيعة العصر الحديث فيها تضخم نقدي, معنى

التضخم: الدول المتخلفة أو النامية, تضخمها كبير, في

العام الواحد التضخم سبعة عشر بالمئة, يعني المئة ألف, لو أبقيتها في البيت, وكنزتها, وخفت عليها, قيمتها بعد عام: ثلاثة وثمانون ألفاً, فإذا أدبت زكاتها, فالمال الذي لا يُستثمر, هذا تأكله الزكاة, يأكله التضخم, وتأكله الزكاة, فالزكاة على المال المكنوز سيف مسلط؛ فإما أن تتفع به المسلمين, إما أن تتشأ به مشروع زراعي, تجاري, صناعي, إما أن توظفه مع أولي الخبرة مع الصادقين المؤمنين, أو يأكله التضخم, وتأكله الزكاة. فهذه إشارة: إلى أن المال في خدمة الإنسان, وليس هو في خدمته, يمكن أن نرسم خط عمودي مدرج, بين هذه الدرجات درجة حمراء, دون هذه الدرجة الحمراء, المال في خدمتك, فوق هذه الدرجة الحمراء, أنت في خدمته, لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أندم الناس من عاش فقيراً, ليموت غنياً))

((أندم الناس رجل دخل ورثته بماله الجنة, ودخل هو بماله النار))



المال الذي لا يستثمر يأكله التضخم والزكاة

-نعم-

((اتجروا في أموال اليتامى, لا تأكلها الزكاة))

معناها: أن الله ﷻ, أراد أن تأكل الزكاة المال المكنز, الذي لا يوضع في مصالح الخلق نعم.

لم فرضت الزكاة؟ :



أيها الأخوة, يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن الله لم يفرض الزكاة, إلا ليطيب بها ما بقي
من أموالكم))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

قال تعالى:

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[سورة هود الآية:86]

يعني: أنت لك مال, جزء من هذا المال من حق الفقير, فإذا أديت الزكاة, ذهب عنك شر هذا المال, هذا المال في لغم حق الفقير, لغم في المال, قنبلة موقوتة, متى يتلف؟ لا نعرف, متى يصادر؟ متى يحترق؟.

((حق الفقير رهن بإتلاف المال, فمن أدى زكاة ماله, ذهب عنه شر المال))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله تعالى لم يفرض الزكاة، إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم))

كيف نوفق بين هذه الآية وبين ما ورد عن رسول الله من سنته الفعلية وعن أصحابه الكرام بما فيهم عمر؟

أيها الأخوة، كلما تحدثنا عن الزكاة، يسوقنا الحديث إلى الوقت، الوقت له زكاة، حضور هذا المجلس؛ أن تقتطع من وقتك الثمين وقتاً لسماع العلم هذا زكاة الوقت، أن تصلي التراويح في المسجد هذا من زكاة الوقت، أن تدعو إلى الله هذا من زكاة الوقت، أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هذا من زكاة الوقت، لذلك: الله عز وجل قال -ودققوا في هذه الآية-:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

لكنه ورد عن سيدنا عمر:

((أنه كان إذا سار أسرع، وإذا أطمع أشبع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع))

ورد عن النبي ﷺ:

((أنه كان إذا سار لم يلتفت))

فكيف نوفق بين الآية الكريمة:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

ببطء، بتمهد، بتؤدة، وبين ما ورد عن رسول الله من سنته الفعلية، وعن أصحابه الكرام، وفيهم عملاق الإسلام عمر؟ .

الحقيقة: العلماء قالوا:

((يمشون هوناً: لا بمعنى أنهم يببطشون في سيرهم))

لا، المؤمن إذا سار لا يلتفت، إذا سار أسرع، لأن هدفه كبير، وقته ثمين، لا يوجد عنده وقت للسير الهوينى، لكن الآية الكريمة:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

أي لا يسمحون للعالم أن تستهلكهم، لا يسمحون لمشكلات الدنيا أن تسحقهم، لا يسمحون لكسب المال أن يستحوذ عليهم، لا يسمحون لتجاريتهم أن تقبرهم.

أحياناً: إنسان ينتهي بمشكلة؛ مشكلة تستحويه، وتستهلكه، وتتهيه، مشكلة واحدة، أنت مخلوق لمعرفة الله.

إذاً: يمشون هوناً؛ أي يقتطعون من وقتهم وقتاً لمعرفة الله، يقتطعون من وقتهم وقتاً لتربية أولاد، يقتطعون من وقتهم وقتاً لطلب العلم، يقتطعون من وقتهم وقتاً للدعوة إلى الله، يقتطعون من وقتهم وقتاً لخدمة الخلق، لا يسمح لحرفته أن تستهلكه.

هذه هي البطولة :

أيها الأخوة، أحياناً: إنسان وهو لا يشعر يجر إلى الدنيا بالتدريج؛ ليله ونهاره، وإقامته وسفره، في تجارته، إذا صلى، يكشف فرق الصندوق بالصلاة، حينما توجه مشكلته، صفقاته، ديونه، حساباته، علاقته مع شريكه، شراء البضاعة، شحن البضاعة، قبض ثمن البضاعة، محاسبة الزبائن، هذا شغله الشاغل، ماذا حل بهذا الإنسان؟ تجارته استهلكته، أو كانت قبراً له، قبر بها، والدليل:

﴿فَأِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾

[سورة الروم الآية:52]

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة فاطر الآية:22]

معنى:

﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ﴾

يعني: لا يسمح لتجارته أن تستهلكه, لا يسمح لعمله أن يلغي وجوده الإيماني, لا يسمح لمشكلة أن تسحقه, هو جاء إلى الدنيا ليعرف الله, فوقته منظم.

أخطر شيء: الإنسان يكون حركاته اليومية ردود فعل, كل فعل له رد فعل, أما البطولة: أن تبدأ أنت بالفعل, لا أن يكون عمالك رد فعل .

ما ورد عن النبي بحق أداء الزكاة ومنعها :

أيها الأخوة,

((من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والطبراني في المعجم الأوسط, والإمام أحمد في مسنده, وابن خزيمة في صحيحه]

((إن الله تعالى لم يفرض الزكاة, إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم))

فما لم أديت زكاته, الآن: أطيب المال محفوظ, محصن من التلف, من الضياع, من المصادرة, من السرقة.

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والطبراني في المعجم الأوسط]

((ما تلف مال في بر أو بحر, إلا بحبس الزكاة))

أيها الأخوة، الوقت إذا أديت زكاة وقتك بحضور مجلس علم، بطلب علم، بأداء الصلوات، بالجلوس مع الأهل للتوجيه والتربية، لخدمة الخلق، ما الذي يحصل؟ بارك الله لك في بقية وقتك، بقية الوقت معنى: بارك الله لك، أي بوقت قليل، فعلت أعمالاً عظيمة.

أحياناً: الإنسان يرسم خطة، مجموعة مشكلات في قائمة، ليحلها في أحد الأيام، أول شخص ما وجده، الثاني الآن ذهب للمحل، الثالث مسافر، الرابع سوء تفاهم بالعنوان، ما عرف العنوان، يقول لك: لم تحل معي ولا مشكلة، الله قادر يتلف المال، وقادر يستهلكك الوقت استهلاكاً سخيلاً.

أحياناً: ارتفاع حرارة، على الطبيب، نحتاج تحليل، نحتاج صورة تصوير طبقي، نخشى وجود شيء بالدماع، أضاع ثلاثين ساعة؛ من طبيب، لمحلل، لمصور، وضع عشرة آلاف، بعد ذلك: لم يطلع في شيء.



الله قادر يستهلك لك وقتك الثمين بلا طائل، مع الانزعاج، فإذا ضننت على الله بربع ساعة، تحضر بها مجلس علم، بارك الله لك بقية وقتك.
قال:

((هم في مساجدهم والله في حوائجهم))

((عبي كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد))

في رواية أخرى:

((عبي كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يصلحك))

لا تكلف نفسك أن تقول لي: ماذا تحتاج؟ أنا أعرف ما يصلحك.

((عبدى خلقت لك السموات والأرض، ولم أعي بخلقهن، أفيعيني رغي فخبز أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمتني فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

لذلك قالوا:

((الدنيا تفر وتضر وتمر))

((أوحى ربك إلى الدنيا: أنه من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه))

الإنسان: لما ينظم وقته، يطلب العلم، ويبحث عن منهج الله، ويتقوى الحكم الشرعي، ويقرأ القرآن، ويتعرف إلى سنة النبي العدنان، ويقوم الإسلام في بيته، وفي عمله، ويضبط جوارحه، ودخله، وإنفاقه، الله سبحانه وتعالى أراه من آياته الدالة على وجوده وكماله، الشيء الكثير.

من هم المبرؤون من الشح كما ورد في الحديث؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:



من أدى زكاة ماله برئ من الشح

((بريء من الشح، من أدى زكاة ماله، -يعني: إذا أنت وصفت إنساناً أنه شحيح، وقد أدى زكاة ماله، وقعت في الإثم، لا يسمى شحيحاً من أدى زكاة ماله- .
بريء من الشح من أقرى الضيف، -يعني: أكرم الضيف-،
وبريء من الشح من أعطى على النائبة))

إنسان مصاب بمصيبة، أعطيت على النائبة، أو أكرمت الضيف، أو أديت زكاة مالك، فأنت لست بشحيح.

حديث مخيف :

قال عليه الصلاة والسلام:

((خمس بخمس, ما نقض قوم العهد -عهد ربهم-, إلا سُلِّطَ عليهم عدو, يأخذ ما في أيديهم.
-ألم يقع هذا؟ سبعمئة وخمسون مليار, انتقلت من الخليج إلى بلاد الغرب, عقب حرب الخليج-.
وما حكموا بغير ما أنزل الله, إلا فشا فيهم الفقر, وظهرت فيهم الفاحشة, إلا فشا فيهم الموت, -يعني:
الأمراض الوبيلة-, ولا طففوا المكيال, إلا منعوا البنات والقطر من السماء, ولا منعوا الزكاة, إلا منعوا القطر
خمس بخمس))

لأن ربنا عز وجل يقول:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[سورة مريم الآية:59]

تجب الزكاة في....:

أخواننا الكرام, الحديث الشهير:

((تجب الزكاة في الحنطة, والشعير, والزبيب,
والتمر))

التفاح لم يرد, والفريز لم يرد, الكرز لم يرد, والإجاص
لم يرد, والعدس لم يرد, والكيوي لم يرد, لم يرد هنا, لا
يوجد عليها زكاة.



العلماء قالوا:

((الزكاة تجب في علتها, لا في عينها))

ما علة الشعير؟ محصول زراعي أساسي, أي محصول زراعي, في عليه زكاة, ما علة التمر؟ أنه مادة أساسية في حياة الإنسان, التفاح كذلك, فتجب الزكاة في كل ما أنتجته الأرض, ولكن النبي عليه الصلاة والسلام ترفق بأصحابه, فخاطبهم بمحاصيل يعرفونها, فلو ذكر محاصيل لا يعرفونها, كان كلامه مبهماً نعم. إذاً: تجب الزكاة في القمح, والشعير, والزبيب, والتمر.

دعاء عند دفع الزكاة :

أيها الأخوة, يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا أعطيتم الزكاة, فلا تنسوا ثوابها أن تقولوا: اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرمًا))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

لأن المؤمن إذا أنفق ماله, يرى هذا الإنفاق مغنم, أما المنافق إذا أنفق ماله, يرى هذا الإنفاق مغرمًا, يتألم أشد الألم, حينما يقتطع من ماله مال الزكاة.

ما سمعته بأذني :

والله سمعتها بأذني, أناس كثيرون, إذا قال لك: أنا معي خمسة, ستة ملايين, على كل مليون خمسة وعشرون ألف, معقول أذفع مئة ألف زكاة؟ معقول ونصف, هذا حق الفقير.

((الأغنياء أوصيائي, والفقراء عيالي, فمن منع مالي عيالي, أذقته عذابي ولا أبالي))

أخواننا الكرام, غلطة في الجسم, خلل بأحد الأعضاء, تصبح الحياة قطعة من الجحيم, فشل كلوي, تشمع كبد, ورم خبيث في الدماغ, صمام قلب معطل, أقل عملية تحتاج إلى مليون, يقول لك: نجاحها بالمئة خمسين, بالمئة ثلاثين, بالمئة ستين؛ فلو أن الإنسان أدى زكاة ماله, وحفظ الله له صحته.

حق لك على الله إذا أدبت ما عليك :

قلت لكم: كل شيء بقضاء من الله وقدر, فالإنسان حينما يؤدي ما عليه, له أن يطالب الله بماله.

قال له:

((يا معاذ بن جبل, ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم, سكت النبي, قال: يا معاذ بن جبل, ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم, سكت النبي للمرة الثالثة, قال: يا معاذ بن جبل, ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم, قال: حق الله على عباده: أن يوحدوه, وألا يشركوا به شيئاً, وأن يعبدوه -أن يوحدوه-, ثم قال: يا معاذ بن جبل, ما حق العباد على الله, إذا هم عبده وأطاعوه؟ -صار لك حقاً-, قال: الله ورسوله أعلم, قال: يا معاذ بن جبل -مرة ثانية-, ما حق العباد على الله إذا هم أطاعوه؟ قال: الله ورسوله أعلم, للمرة الثالثة قال: حق العباد على الله إذا هم وحدوه وأطاعوه: ألا يعذبهم))

اقرأ هذا الاستنباط للشافعي :

الإمام الشافعي له استنباط رائع:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

هكذا ادعوا, رد الله عليهم. قال:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

الاستنباط الدقيق: لو أن الله أقرهم على دعواهم, من أنهم أبناء الله وأحباؤه, لما عذبهم, ما دام قد عذبهم, إذا: هم كاذبون في دعواهم.

الإمام الشافعي استنبط:

((أن الله لا يعذب أحبابه))

إذا أحبك الله لا يعذبك, الآن: إذا عبدته ووحده, حق لك عليه ألا يعذبك.

دقق :

أدق آية في هذا الموضوع:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

ماذا يفعل الله بعذابنا إن شكرنا وآمنا؟ .

في إنسان بالأرض لا يتمنى السعادة والسلامة, يتمنى البحبوحة, الصحة, زوجة طائعة, أولاد أبرار, رزقه في بلده, منزل واسع, مركبة هنيئة؟ هذه مطالب أساسية.

النبي الكريم قال:

((من سعادة المرء في الدنيا, -أعطاه مقياس دنيوي محض-, قال: أن تكون زوجته سالحة, وأولاده أبراراً, ورزقه في بلده, ومنزله واسعاً, ومركبه وطيناً))

ماذا بقي؟

مرة ملك سأل وزيره -والملك جبار-, قال:

((من الملك؟ -الوزير انخلع قلبه, ما هذا السؤال؟! ملك يقول: من الملك؟!-, قال له: أنت الملك, قال له: لا, لا, الملك رجل لا يعرفه ولا يعرفنا, له زوجة ترضيه, وبيت يؤويه, ورزق يكفيه, إنه إن عرفنا, جهد في استرضائنا, وإن عرفناه, جهدنا في إزاله))

((لا نعرفه ولا يعرفنا؛ له زوجة ترضيه، وبيت يؤويه، ورزق يكفيه))

فقال عليه الصلاة والسلام:

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافى في جسمه، عنده قوت يومه، فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها))

يجب أن تضع يدك على جوهر السعادة، السعادة مطلب كل واحد منكم، السلامة والسعادة مطلب كل واحد، وإذا انطلقت من حرصك على ذاتك، وحبك لذاتك، إذا انطلقت من فرط حبك لذاتك، تستقيم على أمر الله، والله عز وجل له منهج دقيق.

الآن: يظهر قانون يسير في الأرض، لا يوجد عقوبات معه، لو ألغينا العقوبات، انتهى القانون، ومن يخالف - مثلاً- تسحب إجازته، وتحجز المركبة أسبوعين، ممكن يكون مادة في قانون السير بدون عقوبات؟ مستحيل، وكذلك منهج الله عز وجل، له مؤيدات قانونية. ف:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه الآية:124]

لما أمرك بالعفة، وما انصاع الناس، ساوى إيدز، كل عشر ثوان يموت إنسان في أمريكا، كل عشر ثوان، الله عنده ردع، عنده يسمونه في القانون مؤيد قانوني، افعّل، فإن لم تفعل، الله كبير، كل أمرك بيده:

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية:123]

أخواننا الكرام، كلما كبر عقل الإنسان، ازداد خوفه من الله، أبدأ، كلما كبر عقل الإنسان، ازداد خوفه من الله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((رأس الحكمة مخافة الله))

فأن تخاف الله وحده، أنت حكيم، وفي الإسلام لا يوجد حرمان.

((ما ترك شيئاً لله، إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودينه))

توضيح لمعنى الحديث:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مانع الزكاة يوم القيامة في النار))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

فقط أحتاج أن أوضح هذا الحديث:

((من منع الزكاة، وأنكر فرضيتها، من لم ينكر فرضيتها، ومنعها، هذا اسمه عاص، يتلف الله ماله، لكن لا يخلد في النار، أما الذي يمنع الزكاة، وينكر فرضيتها، هذا خالد مخلد في النار))

الحديث الأخير للزكاة نختم به الدرس :

آخر حديث:

((اعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة المكتوبة، وأد الزكاة المفروضة، وحج واعتمر، وصم رمضان - معروفة-، وانظر ما تحب الناس أن يأتوه إليك فافعله بهم))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

يوجد معك قاعدة ذهبية رائعة جداً: في كل تعاملك اليومي مع الناس، ضع نفسك مكان الطرف الآخر، أنت بائع، ضع نفسك مكان المشتري، أتحب أن يغشك؟ أتحب أن يوهمك؟ أن يدلس عليك؟ أن يخفي عليك عيب البضاعة؟ إذا كنت لا تحب، فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-05} : لمحات حول قوله تعالى - لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل -

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-03-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

دعوة شكر :

أيها الأخوة الكرام، بادئ ذي بدء: أشكر جزيل الشكر فضيلة الشيخ سعيد، على هذه الكلمة الترحيبية، وأسأل الله سبحانه وتعالى: أن يكون الدعاة في بلاد المسلمين؛ متعاونين متحابين، فهذا يؤكد إخلاصهم، أما إذا تنازعوا، وتنافسوا، فهذا يؤكد عدم إخلاصهم، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

ما لم يكن انتماءك إلى مجموع المؤمنين، ففي الإيمان خلل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

وإنما: أداة قصر وحصر، فانتفاء الإنسان المؤمن في حقيقته إلى مجموع المؤمنين، والله سبحانه وتعالى يقول، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((يد الله مع الجماعة، ويد الله على الجماعة، وعليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))

ماذا لو عرف المؤمن ربه؟ :

أيها الأخوة الكرام، نحن في سوق تجاري، من أشهر أسواق دمشق، والحقيقة: أن الإنسان بعد أن يعرف الله سبحانه وتعالى، أن المؤمن إذا عرف الله سبحانه وتعالى، لا شيء يشغل باله، إلا معرفة أمره ونهيه. المؤمن بالكون يعرف الله، وبالشرع يعبد، أما إذا عرفت الله من خلال الكون، إذا تأملت في خلق السموات والأرض، إذا نظرت في ملكوت السموات والأرض، إذا تأملت في آيات الله في الآفاق، في آيات الله في النفس، واستقرت حقيقة الإيمان في نفسك، أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، واحداً، كاملاً، رحيماً، عليمًا، إلى آخر أسماء الله الحسنى

إن استقرت هذه الحقيقة في نفسك، تجد نفسك مندفعاً اندفاعاً لا حدود له، إلى معرفة الأمر والنهي .

هذه الآيات التي تعرف المؤمن بمنهج ربه :

في القرآن الكريم: آيات تعرف المؤمن بربه، وآيات تعرف بمنهجه، من الآيات التي تعرف بمنهج الله عز وجل، قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة البقرة الآية:183]

وكلكم يعلم: أن الله سبحانه وتعالى يخاطب عامة الناس بأصول الدين، إلا أنه يخاطب المؤمنين بفروع الدين، هذا المؤمن عرف الله، إذًا: يجب أن يتلقى عن الله الأوامر التفصيلية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة النساء الآية:29]

منزلتان خطيران يؤتى منهما المؤمن هما :

أيها الأخوة الكرام, لو أخذنا ألف مسلم, كم واحد منهم يقتل؟ كم واحد منهم يزني؟ كم واحد منهم يشرب الخمر؟ قلة قليلة, لكن الذي يقع في أموال الناس بالباطل كثرة كثيرة, هناك منطقتان كبيرتان, يؤتى منهما المؤمن؛ منطقة النساء, ومنطقة الأموال, أكثر المعاصي تتعلق بالنساء وبالأموال, لذلك: ورد في القرآن الكريم, وفي السنة المطهرة أحكام كثيرة, كثيرة, متعلقة بالأموال.

الإنسان إذا ترك قتل النفس, وشرب الخمر والزنا, الأشياء التي يمكن أن يقع فيها المنزقات, التي يقع فيها كل يوم, أن يأكل مالا فيه شبهة, أن يأكل مالا بالباطل, وهو لا يدري أو يدري, لكن كسب المال منزلق خطير, لذلك قال سيدنا عمر:

((تفقهوا قبل أن تدخلوا السوق, لأنه من دخل في السوق دون تفقه, ربما أكل الربا شاء أم أبى))

هل خطر في بالك هذا السؤال؟ :

الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:29]

ألم تسألوا هذا السؤال: لم لم يقل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموال غيركم, أموال أخوانكم, أموال الآخرين, أموال الناس؟ لم قال: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم؟ هل يعقل: أن آخذ مئة ليرة من جيب, أضعها في جيب؟ هل يعد هذا أكلاً للمال؟ لكن علماء التفسير قالوا:

((يجب أن تعد مال أخيك مالك من زاوية واحدة, مال أخيك هو مالك, لا من زاوية أن تأكله, من زاوية أن

تحافظ عليه, فلأن تمتنع عن أكله من باب أولى))

متى تنقلب الأعمال إلى عبادات؟ :

أيها الأخ الكريم، أنت مأمور من قبل الله، أن تعد مال أخيك مالك، مال هذا الزبون، أليس مسلماً؟ أليس من عامة المسلمين؟ ألم يأت ليشتري من عندك شيئاً؟ المال الذي بحوزتك هو مالك، لكن ليس من كل الزوايا، من زاوية واحدة، من زاوية وجوب المحافظة عليه، أنت لست مكلفاً أن تأكله، أنت مكلف أن تحافظ عليه، فلأن تمتنع عن أكله من باب أولى، فإذا كنا مؤمنين حقاً، إذا كنا مسلمين حقاً، إذا أخلصنا لله عز وجل، ربما انقلبت حرفتنا إلى عبادة.

أيها الأخوة، الأعمال التي يفعلها معظم الناس بدافع حبهم للمال، من ضرورتهم له، الأعمال التي يفعلها معظم الناس، يفعلونها بحكم وجودهم، واستمرار وجودهم، هذه الأعمال إذا رافقتها نوايا طيبة، انقلبت إلى عبادات. من يصدق: أنك إذا تاجرت، أو فتحت محلّك التجاري، ونويت خدمة المسلمين، وحل مشكلاتهم، وتوفير السلع لهم بأسعار معتدلة، وكنت لطيفاً معهم، ورحمتهم، أنك في محلّك التجاري تعبد الله عز وجل؟ لذلك الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:29]

قال العلماء: (بينكم): يعني: هذه الكتلة النقدية التي بين أيدي الناس، إن كانت موزعة بينهم جميعاً، فهذا متطابق مع منهج الله، الكتلة النقدية إذا كانت موزعة بين أيدي الناس جميعاً، فهذا مما يشير إلى صحة المجتمع، أما هذه الكتلة إذا تجمعت في أيدي قليلة، وحرمت منها الكثرة الكثيرة، كان هلاك المجتمعات.

ما البلاء الذي ينزل على الأمة المسلمة إن لم ينفقوا أفرادها من أموالهم؟ :

قال تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة الآية:195]

إن لم تنفقوا، الأموال إذا تجمعت بأيدي قليلة، وحرمت منها الكثرة الكثيرة، وصار هناك تفاوتاً كبيراً بين الأغنياء

والفقراء , الفقر ولد حقد, الفقر ولد جريمة, الفقر ولد اضطراب حبل الأمن, الفقر ولد شقاء, الفقر ولد مآسي.

وقد ورد عن سيدنا علي أنه:

((كاد الفقر أن يكون كفراً))

والغنى الشديد ولد بطر, ولد كبر, ولد استعلاء, ولد إسراف, ولد تبذير, أما إن كانت هذه الكتلة موزعة بين أفراد الأمة جميعاً, كان الوضع سليماً, والصحة الاجتماعية سليمة, لذلك:

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:29]

مال أخيك مالك, من زاوية وجوب الحفاظ عليه, أنت لست مكلفاً أن تأكله, أنت مكلف عكس ذلك, أنت مكلف أن تحافظ عليه, من هنا: التاجر ينصح المؤمنين, ينصحهم, يوفر لهم أفضل الحاجات, بأقل الأسعار, هذا من أعماله الصالحة.

كلمة لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

لسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كلمة رائعة, قال:

((ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان))

ما كل الريح, قال: هناك ريح؛ أن تريح رضوان الله, أن تريح محبة الله لك, أن تريح آخرتك, أن تريح قبرك؛ إما أن يكون روضة من رياض الجنة, وإما أن يكون حفرة من حفر النيران .

قال تعالى:

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة النساء الآية:29]

أن تأكلها بالباطل, أن تأكلها بغير حق, فإذا قدمت سلعة لوصف, وهي ليست كذلك, هذا الوصف غير المطابق للحقيقة, هذا أكل أموال الناس بالباطل, هو لماذا اشترى هذه القطعة من القماش؟ على أنها صنع بريطانيا, إنكليزي يقول لك, فإن لم تكن كذلك, هو دفع ثمن بضاعة ذات منشأ معين, فإن أعطيته بضاعة ذات منشأ آخر, أنت أكلت ماله بالباطل.

يعني: آلاف عشرات ألوف الأساليب, التي يأكل بها الإنسان أموال الناس بالباطل؛ الكذب, التدليس, إخفاء العيب, الاحتكار, الاستغلال, هذه كلها تدعو إلى أكل أموال الناس بالباطل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة النساء الآية:29]

أما حينما تشتري سلعة بسعر, وتبيعها بسعر أعلى, أنت أكلت أموال الناس, لكن هذا الأكل سمح به الشرع, ليس بالباطل, بالحق, نظير استيراد هذه البضاعة, وانتقاء هذه البضاعة, ودفع ثمن هذه البضاعة, وتخليص هذه البضاعة, وعرض هذه البضاعة, وتوزيع هذه البضاعة, بذلت جهداً كبيراً, وفرت الحاجات للناس, فإذا بيعت البضاعة بأعلى ما اشتريتها, فهذا الأكل بالحق لا بالباطل:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾

[سورة النساء الآية:29]

يعني: هذا الذي يشتري, إذا كُشف له, أو كُشف هو أصل البضاعة, ومنشأها, وصفاتها, وسعرها, ورآك ربحت ربحاً معقولاً نظير هذه الخدمة, يمتن منك ويرضى, أما إن رأى أنه قد ربحت عليه أضعافاً مضاعفة فاحشة, أو

أعطيته بضاعة سيئة، أو أوهمته بصفات ليست فيها، أو صار هناك غبن في الثمن، أو في الكيل، أو في الوزن، أو في المساحة، هذا كله يجعل أكل أموال الناس بالباطل، لذلك:

((أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

((أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

قصة لها مغزى :

أنا زرت شخص، والد صديق لي توفي -رحمه الله-، كان عمره ستة وسبعين عاماً، زرت في العيد، قال لي بالحرف الواحد، قال لي: والله عملنا تحليل كامل، الحمد لله كله طبيعى، تحليل كامل؛ الشحوم، الكوليسترول، الأسييد أوريل، كل أنواع التحاليل كاملة، ثم قال لي، قال لي: والله في حياتي كلها، ما أكلت درهماً حراماً، وما عرفت الحرام بالنساء.

((من اتقى الله وقاه، ومن حفظ الله في صغره، حفظه الله في كبره، ومن تقصى الحلال، بارك الله في ماله

((الحلال))

لا تبال، بال أن يكون هذا الدرهم حلالاً، أن تأخذه من وجد حلال، بطريقة مشروعة، مقابل ربح حلال، بضاعة مشروعة؛ لا فيها كذب، لا فيها تدليس، لا فيها غش، لا فيها إيهام، لا فيها غبن؛ لا بالسعر، ولا بالوزن، ولا

لماذا تقيس القماش إذا اشتريته مرخياً، أما إذا بعته مشدوداً؟ لماذا؟ يجب أن تقيس القماش في البيع والشراء على حد سواء.

فهذه الآية تعد من الآيات الدقيقة جداً في كسب الأموال، لا تأكل مال الآخرين بالباطل، لأنه في الأصل مالك.

هذا ما أضافه علماء التفسير لمعنى هذه الآية :

في معنى آخر أضافه علماء التفسير: أنك إن أكلت مال أخيك أضعفته، وإن أضعفته، أنت ملزم به، أضعفت نفسك، لأن المؤمنين كتلة واحدة، جسد واحد.

((إن اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))

أنت إن أكلت مال أخيك وأضعفته، أضعفت نفسك، أخوك أنت ملزم به، إن قوي أخوك، فأنت في خير، وإن ضعف أخوك، فأنت في مشكلة.

إذاً: إن أكلت ماله، فكأنما أكلت مالك، الذي حوله أقرباء، إن كانوا أقوياء، وأغنياء يرتاح، وإن كانوا فقراء وضعفاء، يلقون عليه ثقلاً كبيراً، هذا معنى آخر:

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة النساء الآية:29]

هذا ما ورد في صحيح البخاري :

أيها الأخوة الكرام، أريكم نموذجاً من أصحاب رسول الله رضوان الله تعالى عليهم.

ورد في صحيح البخاري، أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، لما قدم المدينة، آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع.

وبالمناسبة: ماذا يمنع، ونحن في آخر الزمان: أن يتآخى المسلمان اثنين اثنين؟.

أنت اصطف من المسجد أخ واحد، اجعله أخاً لك في الله، تفقده؛ تفقد مجيئه، زره، تفقد شؤونه، إن مرض عده، إن أصابه غم فرج عنه، إن أصابته مصيبة عزه، إن استقرضك أقرضه، إن استعان بك أعنه، اصطف أخ، فالنبي هكذا فعل، والنبي قال:

((تأخيا اثنين اثنين))

أنا لا أقول لك: آخ عشرة، واحد، اتخذ من أخوان المسجد أحاً واحداً، واجعله أحاً في الله، إن لم يحضر الدرس، اسأل عنه، اتصل به هاتفياً في العيد، زره إن أنجب مولوداً، بارك له، وقدم له هدية، إن تزوج أعنه، إن مرض عده.

((تأخيا اثنين اثنين))

هكذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام، الله يحبنا مجتمعين، يحبنا متحابين، يحبنا كتلة واحدة.

يعني: تفضل أستاذنا الكريم

في غزوة تبوك، النبي سأل عن صحابي، في شخص لمز وغمز به، فقام أحد الصحابة قال:

((والله يا رسول الله، لقد تخلف عنك أناس، ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو علموا أنك تلقى عدواً، ما تخلفوا عنك، سر النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الدفاع))

المفروض: هذا المسلم ينبغي أن تدافع عنه، أن تكون له حصناً منيعاً.

فالنبي عليه الصلاة والسلام: آخى بين عبد الرحمن بن عوف المهاجر، وسعد بن الربيع الأنصاري.

طبعاً: سيدنا سعد بن الربيع كان من أثرياء الصحابة، عرض على عبد الرحمن بن عوف نصف ماله، اختر أحد البستانين، اختر أحد الدكانين هكذا، نصف ماله، والشيء الذي لا يصدق: أنه بقدر ما كان الأنصار أسخياء، بقدر ما كان المهاجرون أعفة، الشيء الجميل الأول سخي، والثاني عفيف، عرض عليه نصف ماله، أحد بستانيه، أحد دكانيه، فما كان من عبد الرحمن بن عوف، إلا أن قال له:

((بارك الله لك في مالك، ولكن دنني على السوق، دنني على السوق، فدلته على سوق قينقاع، قال: فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بإقط وسمن، ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن، عليه أثر صفرة، -معنى أثر صفرة: أي طيب له رائحة ولون-، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: تزوجت يا عبد الرحمن؟ قال: نعم، تاجر، وريح، وتزوج))

يعني: إذا كان إنسان دخل السوق، بنيته أن يجبر الله كسره، وأن يرزقه رزقاً حلالاً، وكان مستقيماً، حق على الله عز وجل أن يرزقه.

ما الهدف من ذكر هذه القصة؟ :

مرة كنت في سفر إلى الساحل، رأيت مسجداً رائعاً قبيل جبلة، دخلت لأصلي فيه، فإذا رجل يدعوني إلى شرب فنانج قهوة، دخلت إلى غرفته الخاصة في المسجد، فإذا هو الذي بنى المسجد، ذكر لي، قال لي: والله الذي لا إله إلا هو قبل كذا عام، أنهيت الخدمة الإلزامية، ولا أملك قرشاً واحداً، إلا إنني أردت أن أسافر، وأخذت من أختي قطعة ذهب، بعته بثلاثمئة ليرة، واشترت بها بطاقة طائرة، سافرت بها إلى الخليج، هذا الرجل يقسم -وهو حي يرزق-: أنه في الطائرة ما تكلم، ولا حرك شفتيه، إلا أنه خطر في باله: أن الله إذا أكرمه، سيبنى لله مسجداً، أقسم بالله: أنه ما ذكر هذا بلسانه، فقط خاطر، وأقام فترة من الزمن هناك، وأكرمه الله إكراماً شديداً، وأتى بخمسة دونمات في جنوب جبلة، وأراد أن ينشئ مسجداً، لا يوجد موافقة، لأن المنطقة زراعية، والقوانين تمنع، قابل محافظ طرطوس، قال له: عمر، وأنشأ المسجد، وهو في حالة رضية جداً.

على اختيار: إنسان دخل السوق، بنية أن يكسب مالاً حلالاً، يكفي به نفسه، ويكفي به أولاده، وأحد الصحابة يقول:

((حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي))

الصحابي الجليل -وأظن أبا ذر-، أعطى وظيفتين للمال كبيرتين:

((أصون به عرضي))

عندك زوجة، عندك أولاد؛ تطعمهم، تكسوهم، تسكنهم في بيت مريح، هذا الهدف هدف نبيل، ثم تتفع المسلمين، في فقراء، في مساكين، في أرامل، في إنسان بحاجة لعملية جراحية.

إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين :

مرة زرت شخصاً، أجرى عملية في قلبه، زرتة قبل العملية، رأيت الحزن والأسى مخيماً على البيت، اتصلت به امرأة محسنة عبر الهاتف، قالت له: اذهب إلى الطبيب الفلاني، وقد أمن تلك إجراء عملية مجاناً، الطبيب قال له: العملية غداً، والعملية نجحت، وبعد حين زرتة في البيت، والله وجدت أولاده يكادون يرقصون من شدة الفرح.
الإنسان

((إذا أردت أن تسعد، فأسعد الآخرين))

لم ينتبه أحد لسر السعادة، يظن إذا أكل طعاماً طيباً يسعد، لا، إذا كان سكن في بيت فخم، يزداد سعادة، لا، هذا البيت يمل بعد حين، كل شيء له بريق، يفقد بريقه بعد حين، إذا دخل إنسان لبيت واسع، يُدهش به، أما صاحب البيت غير مدهوش، إن ركبت مركبة فاخرة، تُدهش بها أول مرة، أما صاحبها غير مدهوش، طبيعة الدنيا أنها في هبوط.

فالمؤمن إذا أراد أن يسعد حقيقة، عليه أن يسعد الآخرين.

أين وردت هذه القصة؟ :

فسيدنا سعد بن الربيع قال له:

((نعم تزوجت، قال: ومن تزوجت؟ قال: امرأة من الأنصار، قال: كم سقت لها مهراً؟ قال: زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: أولم ولو بشاة))

هذا في صحيح البخاري، معنى سعد بن الربيع: عفته، وترفعه عن مال الآخرين، عبد الرحمن بن عوف، ونيتة العالية في كسب المال الحلال، جاء إلى المدينة لا يملك شيئاً، باع إقطاً، -هذا لبن مجفف- وسمن، بعد حين كسب مالاً، تزوج امرأة، تعطر، سأله النبي، قال:

((تزوجت من؟ امرأة من الأنصار؟ كم سقت لها؟ قال: نواة من الذهب، قال له: إذأ: أولم بشاة))

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام ذكرت هذا من قبل.

ورد في بعض الأحاديث:

((أن أطيب الكسب كسب التجار؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يمطروا))

لا يمطر، ولا يعسر، ولا يمدح، ولا يذم، ولا يخون، ولا يكذب، ولا يخلف الوعد، إن كنت كذلك، فأنت من أطيب التجار.

((والتجار مع النبيين والصدّيقين يوم القيامة))

في نقطة قلما ينتبه الناس إليها، وهي في الحديث الصحيح: ورد في سنن أبي ماجة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من باع داراً أو عقاراً، فلم يجعل ثمنه في مثله، كان قمناً ألا يبارك فيه))

أحياناً: الإنسان يبيع بيتاً، لا يشتري بيتاً آخر، يبيع محلاً تجارياً، لا يشتري مكانه محلاً آخر، في ثابته، لها قيمة كبيرة جداً، قد ينفق ثمن هذا البيت خلال سنتين وانتهى الأمر، خسر البيت.

يعني: شخص أعرفه، أراد أن يسافر إلى الزائر، عنده بيت قال: معقول جمد هذا البيت خمس سنوات، فباع البيت، ووضع ثمنه عند رجل، عاد بعد خمس سنوات، البيت صار ثمنه عشرة أمثال، والمبلغ ربح بالمئة خمسة. فدفقوا في هذا الحديث: ورد في حديثين، يقول:

((من باع -الثاني في مسلم، والأول عند أبي ماجة-، من باع داراً، ولم يجعلها ثمنها في مثلها، لم يبارك له فيها))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

يعني: القيم الثابتة: هذه لأولادك, ولذريتك من بعدك, بيت تسكنه دكان, تعمل بها هذه الثوابت, لا ينبغي أن تفرط بها لسبب طارئ.

فالإنسان, هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام, ورد هذا في حديثين.

ينبغي أن تعلم هذا :

أيها الأخوة, هناك أحاديث كثيرة حول قواعد التجارة, والبيع, والشراء, هذه الأحاديث من فرض العين, لأن الإنسان إذا تاجر, معرفة أحكام البيع والشراء, فرض عين عليه.

الحقيقة: هناك علم ينبغي أن يُعلم بالضرورة, وهناك علم فرض كفاية.

أنت إذا كنت تاجراً, فمعرفة أحكام البيع والشراء, فرض عين عليك, لأنه في مزالق كثيرة جداً, المرأة غير هكذا.

قال:

((المرأة إذا صلت خمسه, وصامت شهرها, وأطاعت زوجها, وحفظت نفسها, دخلت جنة ربه))

أما أنت رجل تكسب المال, آلاف المنزلقات في كسب المال.

أحياناً: كذبة واحدة, تجعل البيع حراماً.

لا تغش أحداً :

حدثني أخ, يبيع قطع تبديل, قال لي: قطعة ثمنها عشرون ألف, بقيت خمس سنوات, نرحلها من جرد إلى جرد, جاء زبون طلبها, قال لي: فرحت أشد الفرح, سعدت إلى السلم لأناوله إياها, سألني وأنا على السلم: أصلية؟ هي ليست كذلك, قال لي: شعرت بصراع, إن قلت له: ليست أصلية لا يشتريها, آثرت رضاء الله عز وجل, قلت له: لا ليست أصلية, قال له: هات كلمة كلمة, قال له: ليست أصلية, قال له: هات البيع حلال, لو قال له: أصلية, حرام البيع.

فأحياناً كلمة, تقاب الصفقة إلى صفقة, محرمة, كذب, تدليس, لا تغش أحداً:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

[سورة الذاريات الآية:58]

طبق شرع الله ولا تخف على رزقك :

كان في محل بآخر الحمديّة, يبيع عصير على اليمين, الآن: غير أعتقد المصلحة, معقول إنسان إذا أذن الظهر, يغلق, يذهب على الأموي, معقول ينتظرونه حوالي ثلاثين رجل, ينتظرونه, اذهبوا صلوا معه, ينتظرونه حتى يعود, لا يوجد إنسان يطبق شرع الله, هكذا بقوة, إلا الله عز وجل يريه من آياته.

يعني: أنت أقم منهج الله, ولا تعبأ بأحد, تجد هذا الذي تساومه, يأتيك فرعناً, أنت كن صادقاً معه, وكن مخلصاً لله, ولا تبدل, ولا تغير, الله عز وجل يلقي في قلبه رغبة في هذه البضاعة .

هذا ما أعرفه عن هذا الرجل :

أنا أعرف رجلاً, وأنا أعرفه ولا أزكي على الله أحداً, يدفع ثلث دخله, ثلث دخله لله غير الزكاة, الثلث ثلاثون بالمئة, يبيع بضاعته في بقاع بالعالم كثيرة.

يقول لي: شخص بجدة, نبيع -مثلاً- عشر قطع من إنتاجه, لنبيع قطعة فرنسية, ما هذا السر؟ ليست أوروبية, الأوروبي أجمل, وأتقن, وأرخص, قال لي: نبيع عشرة لنبيع واحدة.

قال له:

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

((أنفق أنفق عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

الإنسان إذا ما عامل الله معاملة مباشرة.

أعرف رجلاً، عمر بناء، وصدقوني: القصة صعب تتصدق، مئة وحدة سكنية، والقصة من عشرين سنة، وما طوبت إلى الآن.

إنسان اشترى بيت ثلاثين ألف، صار ثمنه اثنا عشر مليون، لكن لم يطوب، عرضوا عليه كل بيت مليون، لكن طوب لنا، مليون.

يقسم لي بالله العظيم، -أحد أخواننا من الحريقة-، من هنا أنه هو كان الوسيط، عرضوا عليه مئة مليون ليرة، لكن طوب لنا، لكن هو ليس سبباً بعدم الطابو، لما صار في إمكان يطوب، جمعهم جميعاً والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وجزى الله عنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أهله، وجزى عنا أستاذنا الجليل ما أهله، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {06-119} : تماسك الأسرة - ما هو أساس دعائم وتماسك الأسرة المسلمة

وأساس ضعفها؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-03-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

تماسك الأسرة يتناسب مع الإيمان :

أيها الأخوة, تماسك أفراد الأسرة, يتناسب طرئاً مع الإيمان, فكلما ازداد الإيمان, تماسكت الأسرة في

وقد ورد في الصحاح, أحاديث كثيرة تشير إلى هذه الظاهرة, التفكك دليل ضعف الإيمان, التماسك دليل قوة الإيمان, وكلما اشتد حبك للأولاد, كلما كان الإيمان أكثر, وكلما قلت المحبة, وكان كل إنسان يتحرك وفق مصالحه, ضعف الإيمان.



مفهوم الرحمة :



يقول عليه الصلاة والسلام, فيما يرويه الإمام البخاري عن أبي هريرة, قال:

((قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ, وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ, فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ, مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا, فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ, ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ))

الطفل بحاجة إلى حنان أمه وأبيه, أشد من حاجته إلى حليب أمه, الطفل حينما يأوي إلى البيت, يرى فيه

العطف، والحنان، والمحبة، وتوفير حاجاته، التصق بالبيت، أما إذا رأى فيه القسوة والإهمال، التصق بأصدقائه، وشرب منهم، وانحرف أحياناً.

فالبيت يجب أن يكون جنة يا أخوان، ليس بالمعنى المادي، قد يكون صغيراً، قد يكون فقط جنة بالمعنى بالمعنى الاجتماعي. فالنبي الكريم كان يقبل الحسن بن علي، عنده الأقرع بن الحابس التميمي، قال الأقرع:

((إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه النبي ﷺ وقال: من لا يرحم لا يرحم))

والحديث الصحيح القدسي:

((إذا أردتم رحمتي، فارحموا خلقي))

وأول ناس برحمتك أولادك، يعني: المؤمن يعيش لأولاده، يعيش لهم.

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

((زعمت المرأة الصالحة خولة بن الحكيم، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو محتضن أحد ابني ابنته،

وهو يقول: إنكم لتبخلون وتجبون))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الإنسان: قبل أن يأتي بأولاد، يعني: إنفاقه عشوائياً، ويقتحم الأخطاء أحياناً، أما حينما يكون له أولاد يعيش لهم، يضبط إنفاقه، ربما ضبط موافقه، ضبط الإنفاق، وضبط الواقف، دليل عنده أولاد، ويسعى على مصالحهم. فقال عليه الصلاة والسلام:

((إنكم لتبخلون، وتجبون، وتجهلون))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الإنسان أحياناً: يغفل مجلس علم، أحياناً: من أجل عمله، من أجل تجارته، من أجل تربية أولاده، فلذلك النبي

عليه الصلاة والسلام: علمنا كيف نحرص على أولادنا؟ وكيف نمحضهم حبنا ورحمتنا؟.

سيدنا الصديق, دخل على ابنته عائشة, وقد أصابتها حمى, فرأت أباها, فقيل خدها, وقال:

((كيف أنت يا بنية؟))

أناؤكد مرة ثانية, كلما ازداد الإيمان, ازدادت هذه المشاعر, وتلك العواطف, وأصبح البيت جنة.

كل أب بإمكانه يجعل بيته جنة؛ بعطفه, بحنانه, بدعابته لأولاده, بالعناية الفائقة بهم, بطعامهم, بشرابهم, بلباسهم,

بتدفئتهم, بدراستهم, يجب أن يعيش الأب لأولاده, لأن أولاده زاده إلى الله عز وجل.

الأبوة المثالية كافية لدخول الجنة. النبي عليه الصلاة والسلام وسع الدائرة, قال:

((نزل رسول الله ﷺ منزلاً, فانطلق إنسان إلى غيضة, فأخرج منها بيض حمرة, -حمرة أحد أنواع الطيور, أخذ

بيض حمرة-, فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله, ورؤوس أصحابه, فقال عليه الصلاة والسلام: أيكم

فجع هذه بأولادها؟ فقال رجل من القوم: أنا أصبت لها بيضة, فقال عليه الصلاة والسلام: اردهه رحمة لها))

يعني: لم يرض أن تفجع طير ببيضها.

((اردهه رحمة لها))

يمكن أن أقول: أن نسبة الرحمة في قلبك, كنسبة اتصالك لله عز وجل, بقدر اتصالك بالله عز وجل, تزداد

الرحمة في قلبك.



لم يرض الرسول الكريم أن تفجع طير ببيضاها

((ومن لا يرحم لا يُرحم, وإذا أردتم رحمتي فارحموا
خلقي))

لم يقل: ارحموا الناس خلقي, هذه الحمرة الطائر,
ولها بيض, فلما فجعت ببيضاها, رفرت فوق رأس
رسول الله, وفوق رؤوس أصحابه.

فقال عليه الصلاة والسلام:

((أيكم فجع هذه بأولادها؟ قال: أنا, قال: اردده
رحمة لها))

لأن الأسرة أساس المجتمع, فإذا تماسكت.

يعني: في أسرة دخلها قليل, لكن الحب فيما بينها كثير, العبرة بهذا الحب بالمودة, يمكن تأكل الأسرة أحسن
طعام, أرخص طعام, أصغر بيت, أحسن أثاث, لكن في محبة, في رحمة, يعني: ما في أجمل من أسرة متماسكة,
ما في أجمل من أسرة, حينما يتقدم الأب والأم في السن, الأولاد يحفون بهما بشكل غريب.

مر عليه الصلاة والسلام في نفر من أصحابه -يمشون-, وصبي في الطريق, فلما رأت أمه القوم, خشيت على
ولدها أن يضرب, فأقبلت تسعى, وتقول:

((ابني ابني, وسعد, فأخذته, فقال القوم: يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار.

-رأوا حرصها, كيف اندفعت إلى وليدها؟ أخذته من الطريق, خوفاً أن يطأه أحد من أصحاب رسول الله, هذا
خطأ-.

فقال عليه الصلاة والسلام: لا والله, يلقي بحبيبه في النار, ناية هذه الأم رحمة, رحمة من الله عز وجل))

وفي رواية أخرى: النبي مع أصحابه: رأى أمّاً تخبز خبزاً, وكلما وضعت رغيفاً في التنور, قبلت ابنها, فقال عليه
الصلاة والسلام:

((أتلقي هذه بولدها في النار؟ قالوا: معاذ الله! قال: والذي نفس محمد بيده, لله أرجم بعبده من هذه بولدها))

يقول لك: الله يفعل ما يشاء, يمكن تطيعه كل حياتك, وتقني كل حياتك بطاعته, ويضعك في جهنم, هو حر يفعل ما يشاء, ولكن النبي ما هكذا قال, قال:

((هذه الأم لا تلقي بولدها إلى النار, ولا الله عز وجل يلقي بحبيبه في النار))

امرأة هي أم حارثة, أتت النبي ﷺ, وقد هلك حارثة, يوم بدر استشهد, أصابه سهم, فقالت:

((يا رسول الله! قد علمت موقع حارثة من قلبي, فإن كانت الجنة, فلن أبكي عليه, وإلا فسوف ترى ما أصبره

,.....

-بالجنة لأسكت, أما إذا كان غير الجنة, أريد أن أقتل نفسي-.

فقال عليه الصلاة والسلام: اهدي, -أنت جنيت-, أو جنة واحدة!؟ إنما جنان كثيرة, وإنه في الفردوس

((الأعلى))

جنة, أحد جنان كثيرة, وهو في الفردوس الأعلى, أنا أذكر لكم رحمة الأم بولدها.

تفكك الأسرة يبدأ من قسوة الأم :

في أمهات قاسيات جداً, الطفل يلتصق بأصدقائه, يسهرون, تأتي الساعة الثانية, البيت لأنه ممل, البيت مثل قبر؛ لا يوجد مودة, لا يوجد رحمة, لا يوجد أكل يعتنى به, لا يوجد لبس, فكلما جعلت البيت يجذب الابن, تكون أب حكيم, وتكون الأم حكيمة. يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما نحل والد ولده, أفضل من أدب حسن))



بيوت الأمهات القاسيات كالقبر ينفر الأبناء

يعني: أكبر عطاء أن تربي ابنك على طاعة الله، وعلى التحلي بالأخلاق الفاضلة.



الطفل الصغير قطعة من الجمال وموته فجيعة لأهله

قال:

((أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ، ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: أتعبه؟ قال: نعم يا رسول الله! أحبك الله كما أحبه -يعني: نحبه حباً غير مرفوض-، ففقدته النبي ﷺ فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ قالوا: يا رسول الله! مات، مات ابنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: ألا تحب ألا تأتي باباً من أبواب

الجنة، إلا وجدته ينتظر؟ فقال رجل: يا رسول الله! أله خاصة أم لكلنا؟ قال: بل لكلكم))

يعني: إذا شخص له ابن مات صغير، طبعاً: شيء لا يحتمل، الابن لما يكون بأجمل سنين حياته وهو صغير، يعني: قطعة من الجمال، قطعة من الأدب، قطعة من المحبة، من براء، من صفاء، من ذاتية، فالطفل لما يكون صغير، يكون محبوباً جداً عند أهله، فإذا مات في هذا السن، فهذه فجيعة لا تحتمل.

فالنبي أشار إلى أنه من فقد طفلاً صغيراً، أي باب من أبواب الجنة دخله، يرى ابنه ينتظره في الجنة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إن لله تبارك وتعالى عباد لا يكلمهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، قيل له: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: متبر من والديه، راغب عنهما))

يعني: الطفل، أو شاب، أو ابن، يعني: انسلخ عن والديه، يقول لك: أب دقة قديمة، أب غير فهم، يعني: احتقر والده، تبرأ منه أهله، ورجل أنعم عليه قوم، فكفر نعمتهم، وتبرأ منهم.

يعني: إنسان تبرأ من والديه، وإنسان تبرأ من قوم، أنعموا عليه، وأكرموه، فكان لثيماً معهم، مثل هذين الرجلين، الله

سبحانه وتعالى يوم القيامة: لا يكلمهم, ولا يزكيهم, ولهم عذاب أليم.

إنسان تبرأ من والديه, الآن: سبب وجود الإنسان: إذا كان الأب منحرف, لا يوجد مانع, أنت اخدمه, أحسن إليه, تلطف معه, عامله بالمواقف.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من كان له ثلاث بنات, فصبر عليهن, فأطعمهن, وسقاهن, وكساهن, كن له حجاباً من النار))

والله شيء رائع, في بيت لا يوجد بنات؛ أطعمها, واسقها, واكسها, وربها, ودلها على الله, وزوجها شاباً مؤمناً, وانتهت مهمتك, هذه البنات كن لوالدهن حجاباً من النار.



تربية ثلاث بنات تربية صالحة حجاب من النار

جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ, فضمهما إليه, ثم قال:

((إن الولد مبغلة مجبنة))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

النبي ﷺ الكلام.

أيها الأخوة, تجد شخص ينفق كثيراً, يغير وعيه, لما يتزوج, ويأتيه أولاد, اختلف, لم يعد يأكل في المطاعم أبداً, لأنه عنده أولاد في البيت.

فأحياناً: الابن يحمل أباه على الإنفاق الحكيم, وأحياناً: يحمل أباه على الموقف الحكيم, أحياناً في تهورهم.

وكان عليه الصلاة والسلام.....

عن أسامة بن زيد قال:

((كان النبي ﷺ يأخذني والحسن, ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما, اللهم إني أحبهما فأحبهما))

هذه الأحاديث التي قرأتها لكم, يتضح: أن محبة الأب لأولاده, تتناسب مع إيمانه, وأن الرحمة التي في قلبه, تتناسب مع اتصاله بالله عز وجل, والحقيقة الكبيرة: شهادتك الرائعة؛ أولادك شهادتك, شهادتك عند الله, وعند الناس, أولادك؛ تربيتهم, دراستهم, انضباطهم, أخلاقهم, فإذا فعلت هذا, نلت رضا الله عز وجل.

وهذه الأحاديث كلها في الصحاح, تبين الحب, والرحمة, والاهتمام, والعطف, والشفقة, التي كانت في قلوب أصحاب رسول الله على أولادهم, وكلما الإنسان قسا, وأهمل, وقصر مع أولاده, دليل ضعف إيمانه, وضعف الرحمة في قلبه, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-07} : من دلائل نبوة النبي محمد

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى -فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-04-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما معنى أن النبي ﷺ يوحى إليه؟ :

أيها الأخوة الكرام, مع الدرس الخامس من دروس السيرة النبي عليه الصلاة والسلام, رسول من عند الله عز وجل يوحى إليه:

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾

[سورة يونس الآية:15]

معنى: أن النبي ﷺ يوحى إليه, أي: أن كل شيء جاء به هو حق مطلق.

إليكم بعض المشاهد من الكتاب والسنة على أن ما جاء به النبي إن في الكتاب أو السنة وحي من عنا الله:

1-مشهد من الكتاب :

أيها الأخوة الكرام, أضع أيديكم على بعض الشواهد:

الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَآلَافَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة الآية:173]

العالم حينما كفر برسالة السماء, وحينما أدار ظهره لشريعة الخالق, وتحرك وفق ما يمليه عليه عقله, والعقل أعظم شيء خلق الله عز وجل, لكن هذا العقل محدود المهمة, كيف أن العين مهما ارتقت, ومهما دقت, ومهما كان

نظرها حاداً، تحتاج إلى نور، كي يكون النور وسيطاً بين العين وبين الأشياء، لو أطفأنا الأنوار كلها، ما قيمة العين؟ هذا المثل ذاته ينطبق على العقل.

العقل أعظم جهاز أوضعه الله في الإنسان من دون استثناء، ولكن العقل وحده من دون هدى من الله ضل، والدليل:

العالم الغربي بأكمله اعتمد على العقل وحده، وكفر بالأديان كلها، ما الذي حصل؟ حصل: أن البشرية ضلت سواء السبيل، قدمت هذه المقدمة، لأن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

((ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، -ثلاثة قال-؛ ما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أنصرف فيها، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى انصرف عنها، وما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى))

فالنبي عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن الكريم، وجاء بسنته المطهرة، ويجب أن نعلم علم اليقين: أن القرآن الكريم وحي الله إلى رسول الله ﷺ، وإلى سنة رسول الله ﷺ المطهرة.

علماء الأصول قالوا:

((القرآن الكريم وحي متلو، والسنة المطهرة وحي غير متلو، وكل شيء قاله النبي من عند الله))

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

[سورة يونس الآية:15]

الله عز وجل حرم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ما الذي حصل الآن؟.

هذا البقر أطمعوه الميتة، والدم، ولحم الخنزير، أطمعوه الجيف، أطمعوه مشيمات النساء من المستشفيات، أطمعوه لحم الكلاب الميتة، أطمعوه الدم، ما الذي حصل؟

أصيب البقر بمرض اسمه: الاعتلال الدماغي الإسفنجي، اصطلح على تسميته اختصاراً بجنون البقر، هذا المرض ينتقل إلى البشر، ليته بقي في البشر، هذا المرض ينتقل إلى البشر، لذلك الآن: دول أوروبا كلها منعت

استيراد لحوم البقر، ودهون البقر، وشحوم البقر، وأحشاء البقر، ومخلفات البقر، وروث البقر، وجلود البقر، وألبان البقر، ومشتقات ألبان البقر، وكل ما يتصل بالبقر بصلة، لأن الإنسان إذا تناول هذا اللحم المصاب، أصيب بمرض آخر اسمه: الاعتلال الدماغى الإسفنجى، هذا الإنسان؛ يفقد ذاكرته، يفقد نطقه، يفقد توازنه الحركى، يفقد توازنه الحركى كذلك، يفقد التوافق العضلى، ومن أول ظهور أعراض هذا المرض، إلى نهاية الإنسان، المدة أقل من سنة، يموت الإنسان، حسناً: ما الذى حصل؟.

الذى حصل: أنهم غيروا خلق الله، يغيرون خلق الله، والعالم كله -كما تسمعون، وكما ترون-، يضح بهذا المرض، الذى اضطر البريطانىون إلى أن يعدموا أحد عشر مليون، قيمتها ثلاثة ومليون مليار جنيه إسترليني. إذاً: الذى جاء به النبى؛ إن فى القرآن الكريم، وإن فى السنة المطهرة، ليس من عنده:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية:4]

2-مشهد من السنة :

لا زلنا فى موضوع الطعام، النبى عليه الصلاة والسلام قال:

((كلوا الزيت وادهنوا به))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

ودرسنا اليوم السيرة، لكن هذه السيرة محورها: دلائل نبوة النبى عليه الصلاة والسلام إلى سنتين ليس غير .

كان الشائع فى الأوساط الطبية: أن الزيت يؤذى الإنسان، ثم اكتشف: أن قيمة الزيت العلاجية، تفوق قيمته الغذائية، أى: أن أمراض الكوليسترول، وأمراض الضغط، وأخطر الأمراض: تصلب الشرايين، وأمراض المفاصل؛ المفاصل، تصلب الشرايين، أمراض الكوليسترول، ارتفاع الضغط، كل هذه الأمراض، زيت الزيتون يقى منها.

فالآن: هناك اتجاه إلى الإكثار من استعمال زيت الزيتون، لا على أنه غذاء، بل على أنه دواء .

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((كلوا الزيت وادهنوا به))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وقد تاه الأطباء عشرين أو ثلاثين عاماً، وهم يحذرون من تناول زيت الزيتون، مع أن زيت الزيتون هو الدواء.

قال عليه الصلاة والسلام:

((كلوا الزيت وادهنوا به))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يجب أن نعلم: أن الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام وحي يوحى.

من دلائل نبوة النبي ﷺ :

النبي عليه الصلاة والسلام: أمرنا أن نذبح الذبيحة من أوداجها، دون أن نقطع رأسها، العصر الذي عاش فيه النبي ﷺ، وكل مراكز الحضارات التي عاصرت النبي؛ حضارة الروم، حضارة الفرس، حضارة الهند، كل الحضارات التي عاصرت النبي ﷺ، وعصر النبي -ﷺ- نفسه، وإلى ألف عام، وإلى ألف وأربعمئة عام بعده، كل المعطيات العلمية، لا تسمح بتفسير هذا التوجيه، لماذا نقطع أوداج الخروف، ونبقي رأسه؟ لم لا نقطع رأسه كلياً؟ كما تفعل الآن معظم المسالخ في العالم: تعلق البقرة أو الخروف، وتقطع الرؤوس كلها، فرق كبير جداً بين الحالتين.

القلب، الآن اكتشف بعد ألف وخمسمئة عام: أن القلب البشري ينبض ثمانين نبضة، هذا النبض النظامي، يتلقى الأمر من القلب نفسه، يوجد في القلب ثلاثة مراكز كهربائية؛ مركز أول، وثان، وثالث، إذا تعطل الأول عمل الثاني، تعطل الثاني عمل الثالث، إلا أن هذه المراكز الكهربائية في القلب، تمد القلب بالنبض النظامي.

الإنسان حينما يواجه خطراً، حينما يواجه عدواً، حينما يضطر أن يركض، حينما يضطر أن يبذل جهداً، لا بد من ضربات أخرى استثنائية، تكافئ الجهد الإضافي، لذلك: القلب يتلقى أمراً عن طريق الدماغ بالضربات

الاستثنائية، فالقلب ينتقل نبضه من ثمانين نبضة في الدقيقة إلى مئة وثمانين نبضة في الدقيقة، مهمة القلب بعد الذبح: إخراج الدم كله من الذبيحة، لأن الدم نجس.

لو أنك قطعت رأس الخروف، أو البقرة، أو الجمل، قطعاً كلياً، تعطل الأمر الاستثنائي، بقي القلب ينبض على الأمر الطبيعي النظامي ثمانين ضربة، وهذه الضربات الثمانين، لا تكفي لإخراج الدم من الذبيحة، إذا بقي رأسه معلقاً، جاء الأمر الاستثنائي عن طريق الدماغ، لرفع ضربات القلب إلى مئة وثمانين ضربة، عندئذ: هذا النبض السريع، يخرج الدم كله من الذبيحة، الذي قاله النبي في عصره.

أعود وأقول لكم: كل مركز الحضارات في عصر النبي ﷺ، وإلى ألف عام أو أكثر، ليس فيها من التقدم العلمي ما يكفي لتفسير هذا التوجيه الكريم، هذا من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

من توجيهات النبي ﷺ في الصحة :

شيء آخر: هو أن النبي عليه الصلاة والسلام له توجيهات كثيرة جداً من قبيل الصحة. فمثلاً:

قال: الإنسان إذا تناول الطعام:

((بحسب ابن آدم لقيمات، فإن كان -لا بد فاعلاً-؛ فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه))

[أخرجه الترمذي عن مقدم بن معد يكرب]

هذا حديث صحيح، الإنسان له أن يشرب مع الطعام، وكان كل الأطباء لثلاثين عام سابقة، يحضرون على الإنسان: أن يكثر من شرب الماء مع الطعام، لماذا؟.

قال: لأن العصارة الهاضمة تتمدد، ثم اكتشف قبل عام أو أكثر: أن شرب الماء مع الطعام بلا حدود، مما يزيد عملية الهضم، لأن الماء يحرض العصارات الهاضمة على الإفراز، والماء يخلل هذه العصارات إلى سنيات الطعام، والماء يقلب قوام الطعام من قوام جامد إلى قوام لزج، وهذا يعين على هضمه.

ينبغي أن تعلم هذه الحقيقة :

فالذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام هو الصواب, طبعاً: ليس هناك مجال للحديث عن كل شيء قاله النبي, لكن يجب أن نعلم: أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس كما يتوهمه بعض الناس عبقرى, هو رسول الله, لا ينطق عن الهوى, إن هو إلا وحي يوحى, وفرق كبير بين أن تعتقد أنه عبقرى, ومصالح اجتماعي, يعني: حكم عقله, وجاء من اجتهاداته, وبين أن تعتقد أن النبي عليه الصلاة والسلام يوحى إليه, ومعنى أنه يوحى إليه: أن يتلقى الحقيقة الصرفة المطلقة, فلذلك: لن تجد إنساناً أو أمة, خالفت منهج رسول الله, إلا ودفعت الثمن باهظاً, لن تجد. يعني: حينما أطعمنا الأبقار مسحوق لحوم الجيف, وحينما أطعمنا الأبقار الدماء المجمدة المجففة, وحينما أطعمنا الأبقار مخلفات المشيمات التي تضعها النساء, هذا البقر مصمم ليأكل النباتات, فلما أطعمناه هذا الطعام المحرم, أصيب بهذا المرض, وهذا المرض ينتقل لبني البشر.

هذا ما كشفه العلم :

أيها الأخوة الكرام, كلما تقدم العلم, كشف أن الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام حق مطلق:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:4]

شيء يلفت النظر: هو أن النبي عليه الصلاة والسلام, قال في حديث صحيح:

((ما عام بأمطر من عام))

هذا الكلام كيف نتحقق منه؟.

الآن: بعد أن أمكن قياس كميات الأمطار الهاطلة في العالم, كل بلد عندها مراكز رصد لكميات الأمطار, بشتى بقاع الأرض, الآن في حقيقة يعلمها علماء الجغرافية, هذه الحقيقة: أن كمية الأمطار الهاطلة في العالم, لا تزيد

ولا تنقص في كل الأعوام, إلا أن كميات تنتقل من مكان إلى مكان, فإذا كان هناك فيضانات في الهند, جفاف في الشرق الأوسط, ثلوج كثرة في أوروبا, جفاف في أفريقيا, أما كميات الأمطار لا تزيد ولا تنقص على مر العصور والأيام على مستوى الأرض.

حسناً: كيف يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما عام بأمطر من عام))

لا ينطق عن الهوى, إن هو إلا وحي يوحى, يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً: أن كل شيء قاله النبي عليه الصلاة والسلام وحي يوحى.

شيء آخر: النبي عليه الصلاة والسلام قال في حديث صحيح, قال عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح:

((ستعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً))

متى ستعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً؟ أي أنها كانت.

والآن: الربع الخالي في الجزيرة العربية, كشف عن ما تحت الرمال, فإذا حضارة عريقة, إذا قصور, وبساتين, وقنوات, ومجاري, ومسارح, معنى ذلك: أن الربع الخالي كان مروجاً وأنهاراً, ثم جاء الجفاف, وجاءت الرمال, فغطت هذه المعالم.

قال عليه الصلاة والسلام:

((ستعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً))

وهذه كلها أحاديث صحيحة, وردت بالبخاري ومسلم.

إذاً: النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديث, يعطينا دلائل نبوته ﷺ, فدنو البشر الذي خرج عن منهج الله, والذي غير خلق الله, أدى إلى جنون البقر.

هذا ما يستند عليه النبي ﷺ في نهيه عن شيء :

أيها الأخوة، الإنسان صفاته الجسمية، العقلية، والاجتماعية، والنفسية، كمال في الرجل، وصفات المرأة الجسمية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، كمال فيها، والرجل والمرأة متكاملان، هذه فطرة الله عز وجل، فلما اتجه الذكر إلى الذكر، نشأ مرض الايدز، وهذا المرض يئن منه البشرية.

أيها الأخوة، تصوروا دولاً عظيمة، تملك مئات ألوف ملايين، تملك أعلى مخابر في العالم، تملك أعلى طاقة فكرية في العالم، كل هذه الدول تقف مكتوفة الأيدي، أمام أضعف فيروس على الإطلاق، كل عشر ثوان يموت إنسان في أمريكا بمرض الايدز.

في بعض الدول بأفريقيا، نسبة المصابين سبعة بالمئة من الشعب، في التقدير الأولي: أن هناك سبعة عشر مليون مصاب بالإيدز في العالم.

حسناً: النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إذا كنتم في بلد فيها طاعون، إذا كنتم في هذا البلد، لا تخرجوا منها))

أما توجيه النبي ﷺ بعدم الدخول واضح، لئلا نصاب بالعدوى، أما عدم الخروج، لم يكن له تفسير سابق، الآن اكتشف: في إنسان له صحيح، وله مريض، هذا الإنسان حامل مرض، هو صحيح، لكنه يحمل الجرثوم، فلما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن خروج إنسان مقيم في بلد، مصابة بمرض عضال، هذا النهي مستند إلى أساس علمي، ولن تزيد الأيام السنة إلا تألقاً.

هذه من سنن نبيك ﷺ يا مسلم :

قال عليه الصلاة والسلام:

((مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً، فإن الكباد من العب))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((من أكل التراب، فقد أعان على قتل نفسه))

من أكل: يعني من أكل فاكهة دون أن يغسلها, كأنه أكل التراب, معنى ذلك: هناك جراثيم ربما تفتك بالإنسان, هذه التوجيهات الصحيح.

قال:

((كان عليه الصلاة والسلام يشرب قاعداً, ولا يشرب واقفاً))

ولما قال:

((مصوا الماء مصاً))

يعني: الإنسان, الماء قد يكون بارد, اثنان أو ثلاثة, فإذا شربه غباً, انتقل الماء إلى جوفه مباشرة, والجوف سبع وثلاثون حرارته, هذا الفرق الحراري يحدث صدمة, ما هي الصدمة؟ قال: هناك عصب اسمه العصب الحائر المبهم, هذا العصب بين القلب والرئتين.

ويوجد اثنتا عشرة حالة في العالم موت مفاجيء, من شرب الماء البارد دفعة واحدة, العصب متصل بين المعدة والقلب, اسمه العصب المبهم, أو العصب الحائر, أسألوا عنه الأطباء يعرفونه, هذا العصب إلى الآن لم تعرف وظيفته بعد, إلا أنه متصل بين المعدة والقلب, فأى إحداث تأثير جاد, وفي المعدة, ربما انتقل هذا التأثير إلى القلب, ونهاه عن الحركة.

فالنبي قال:

((مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً, فإن الكباد من العب))

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام وصل في سنته التي أوحاها الله إليه, إلى أدق التفاصيل في العلاقات الحميمة بين الزوجين, فقد نهى النبي الأزواج أن ينصرفوا عن أزواجهم, قبل أن يقضي الزوجة حاجاتها, وفي هذا ظلم لها, وتعقيد لها, من وصف هذه الأشياء الدقيقة.

لو تتبعنا سنة رسول الله ﷺ.

هذا ما قرأت :

قرأت مرة: أن طبيباً لامعاً، بحسب علمه، يقترح أن يأكل الإنسان صباحاً خمسين بالمئة من حاجته الغذائية، الإنسان له حاجة يومية، يجب أن يأكل صباحاً خمسين بالمئة، السبب: لأن هذه الوجبة يليها ثماني ساعات عمل، أما وجبة الظهر، ينبغي ألا تزيد عن خمسة وثلاثين بالمئة، أما وجبة العشاء ينبغي ألا تزيد عن خمسة عشر بالمئة؛ خمسون، خمسة وثلاثون، خمسة عشر، الناس بالعكس، يعمل عشاء دسم، يذهب ينام، استيقظ صباحاً، كله للتخزين يذهب، أثناء يجب أن تحرق، ليس أكلاً صباحاً، أثناء يجب أن يحرق، ليس أكلاً، يدوخ.

أيها الأخوة، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟.

قال:

((أذيبوا طعامكم بذكر الله، ولا تناموا عليه فتفسو قلوبكم))

تفسو القلوب.

يعني: هذا الشريان

هذا ما قاله الطبيب :

مرة سألنا طبيب، قلنا له: لو أن إنساناً نجا من أمراض القلب، والرئتين، والكبد، أمراض المفاصل، أمراض الأمعاء، أمراض الكولون، ما الذي يميته؟.

سألنا طبيباً فقال: لو أن الإنسان نجا من كل الأمراض، يموت بمرض اسمه تصلب الشرايين، فالإنسان عمره من عمر شرايينه، لو نجا من كل الآفات، ما الذي ينهي حياته؟ تصلب الشرايين، لأن القلب -أيها الأخوة- مضخة، والشريان أنبوب مطاطي، فإذا ضغط القلب الدم إلى الشريان، الشريان مرن، يتوسع بحسب الضغط، يتوسع، كأن تتفخ بالون يتوسع، لأن الشريان مرن إذا توسع، ما معنى مرن؟ ينبغي أن يعود إلى ما كان عليه، فإذا عاد إلى ما كان عليه، صار قلب الشريان، الشريان نقل الدم الحركة، هذه حركة قلب، فكل الشرايين في الجسم قلوب القلب، يضخ الدم الشريان، يتجاوز معه، يتوسع، يرتاح القلب، يتوسع، ثم يضغط، ينقل الدم لمحل ثان، وهكذا الشريان، إذا فقد مرونته، وتصلب جهد القلب، أكثر أمراض القلب، سببها: تصلب الشرايين.

فالنبي قال:

((أذبيوا طعامكم بذكر الله، ولا تناموا عليه - على الطعام - فتفسد قلوبكم))

أن الإنسان لما يكون مستلق، هذا الدم يمشي ببطء شديد، هذا القلب في الليل يضرب حوالي خمس وخمسين ضربة، فالدم يمشي ببطء، ماذا يوجد من مواد دهنية، تترسب بالجدران، تعمل كوليسترول، تعمل تصلب شرايين، فذلك: هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام.

والله -أيها الأخوة- لو أمضينا وقتاً لا حدود له في دراسة توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

هذا ما دهش به هذا الشخص من أمريكا :

أنا جاءني شخص من أمريكا، مدهوش بندوة تلفزيونية، رآها حول: أن ركوب الخيل يقي أمراض القلب، والكبد، والكليتين، بينما ركوب السيارة المريحة الفخمة، تجلب أمراض القلب، والكليتين، والكبد، تجلب، معنى: كل شيء الله صممه، هذا التصميم رائع جداً، فما علينا إلا أن نعكف على سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ندرسها حديثاً حديثاً، ونعتقد اعتقاداً جازماً: أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

أعود فأقول: عود على بدء: أن سيدنا سعد بن أبي وقاص، قال:

((ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس؛ ما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما أقول حتى أنصرف فيها، ولا سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ، إلا علمت أنه حق من الله تعالى))

فكل إنسان يطبق السنة، يسعد في حياته.

متى يعذبنا الله سبحانه وتعالى، ومتى لا يعذبنا؟ :

آخر شيء أقوله لكم: قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

يعني: إذا كان سنة النبي ﷺ مطبقة فينا؛ في بيوتنا، في أعمالنا، في محلاتنا التجارية، في بيعنا، في شرائنا، ما كان الله ليعذبنا، وإذا ما طبقنا: هناك عذاب لا يحتمل:

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:286]

تشاهدون: كيف أن الناس يحملون ما طاقة لهم به؟:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾

[سورة الأنعام الآية:65]

صواعق أو صواريخ:

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾

[سورة الأنعام الآية:65]

زلازل أو ألغام:

﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام الآية:65]

انظر الآيتين:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

فإن لم تكن سنة النبي فينا, يعذبنا ربنا عز وجل:

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

[سورة هود الآية:113]

﴿لَا تُنصَرُونَ﴾

[سورة هود الآية:113]

إذا ركنا إلى الذين ظلموا؛ إلى مبادئهم, إلى عقائدهم, إلى أنماط حياتهم, إلى سلوكهم, إلى قيمهم, إلى وسائلهم في احتقالاتهم, إلى صحتهم, إذا ركنا إليهم, مسنا العذاب, والله سبحانه وتعالى لا ينصرنا.

خاتمة القول :

أيها الأخوة, فهذا الدرس فيه دلائل نبوة النبي, وفيه أن الإنسان إذا خالف منهج رسول الله, سوف يدفع الثمن باهظاً, والعالم كله الآن يدفع أمدح الثمن, لأنه خالف سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {08-119} : ما هي فحوى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام؟ وما هي بعض

وصاياهم لأصحابه ولأمتهم؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-05-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مفتاح الدرس :

حدثنا أبو النضر قال:

((حدثنا الحكيم بن فضيل، عن خالد، عن أبي تميم، عن رجل من قومه، أنه أتى رسول الله ﷺ، أو قال: شهدت رسول الله ﷺ، وآتاه رجل، فقال: أنت رسول الله؟ أو قال: أنت محمد؟ فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، قال: فإلام تدعو؟ -يعني: ما ملخص دعوتك؟ ما فحوى دعوتك؟- قال عليه الصلاة والسلام: أدعو إلى الله عز وجل وحده، من إذا كان بك ضر فدعوته، كشفه عنك.

-الآن: النبي عليه الصلاة والسلام: سيشرح لهذا الرجل ضعيف الثقافة، يشرح له مفهوم الألوهية بشكل مبسط.-

أدعو إلى الله عز وجل وحده -التوحيد من الله- من إذا كان بك ضر فدعوته، كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته، أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضلت فدعوته، رد عليك))

يعني: أضلت بعيرك.

لماذا ربنا سبحانه وتعالى خلق الإنسان هلوفاً؟ هكذا قال:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:20]

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:21]

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج الآية:22]

هذا ضعف خلقي، هذا ضعف في أصل خلقه، ولا ذنب له به، شديد الخوف، فإذا أوتي شيئاً؛ شديد الحرص، شديد الخوف، وشديد الحرص.

والحقيقة: أن هذين الضعفين الخلقين لصالحه، شديد الخوف، فإذا خاف التجأ إلى الله، وأقبل عليه، واصطاح معه، وتاب إليه، وإذا كان حريصاً على ما بيده فقربه، تقرب إلى الله، الخوف يدفعه، والإنفاق يقربه، لو لم يكن حريصاً على ما بيده، وأنفق المال، لا قيمة للمال عنده، ولا قيمة لهذا الإنفاق أصلاً، لأنه حريص على ما بيده، من مال، أو متاع، أو دار، أو دكان، لحرصه على ما في يده، فإذا أنفق يرقى، ولشدة خوفه، فإذا ما خاف يلتجئ، فهذا الضعفان الخليان هما لصالحه، كما لو جعلت في آلة بالغة التعقيد، غالية الثمن، عظيمة النفع، قاطع ضعيف، وصلة ضعيفة، جوز، فإذا جاء التيار عالياً، لئلا تحرق الآلة الغالية، يحرق هذا الفاصل أو الواصل، فنتفادى بحرقه تلف الآلة، فهذا ضعف في خلق الإنسان:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:20]

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:21]

ما الحكمة من هذه المصائب التي ابتلي بها الإنسان؟ :

أيها الأخوة، وفوق أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان هلوياً، هناك آلاف، وأقول: آلاف، بل عشرات الألوف من السيوف المسلطة على رأس الإنسان، كم مرض في الأرض؟ هناك أمراض تصيب العينين، هناك أمراض تصيب الدماغ، هناك أورام خبيثة، هناك أمراض تصيب القلب، تصيب دسامات القلب، تصيب كهرباء القلب، أمراض تصيب المعدة، الأمعاء، التنفس، العضلات، الأمراض لا تعد ولا تحصى، وكلها سيوف مسلطة على الإنسان.

كم من احتمال أن يصاب الإنسان بأولاده، أو بزوجته؟ كم من احتمال أن يقل دخله؟ أن تكسد تجارته؟ أن تضعف ملكاته؟ أن يفقد ذاكرته؟ أن يفقد أضلاعه؟ كل هذه الأخطار، مضافاً إليها هلع الإنسان الشديد، من أجل أن تلتجئ إلى الله، إن التجأت إليه؛ هو يطمئنك، هو يلقي في قلبك السكينة، هو يلقي في قلبك الأمن والاستقرار، هو الذي يلقي في قلبك الثقة بالمستقبل، هو الذي يلقي في قلبك السعادة، فخلقك هلوياً، وجزوعاً، ومنوعاً، لصالحك، وجعل هذه السيوف فوق رؤوسنا جميعاً، من أجل أن نقبل عليه؛ لذلك قالوا:

((من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة، فمصيبته في نفسه أكبر))

هذا ما أدهشني :

الذي أدهشني: أن النبي عليه الصلاة والسلام، وهو في أعلى مراتب العلم، نزل إلى مستوى هذا الأعرابي، ليبين له مفهوم الألوهية، قال:

((أنت محمد؟ أو أنت رسول الله؟ قال: نعم, قال: فإلام تدعو؟ قال: أدعو إلى الله عز وجل وحده, وأن المساجد لله))

﴿فلا تدعو مع الله أحداً﴾

يجب أن تكون الدعوة في بيت الله إلى الله وحده, ولا يحتمل بيت الله دعوة إلى غيره, وأن المساجد لله:

﴿فلا تدعو مع الله أحداً﴾

قال له:

((أدعو إلى الله عز وجل وحده))

الألوهية مع التوحيد, من هو الله بالتعريف المبسط؟.

وأحياناً: يقول بعض العلماء:

((هذا من السهل الممتنع))

شيء يبدو بسيط, أما لن تستطيع أن تقلده.

معنى هذه المقاطع من هذا الحديث :

قال:

((من إذا كان بك ضر فدعوته, كشف عنك - هذا الضر؛ مرض, في خوف, في شبح مصيبة, في عدو متآمر, وفي انقباض-, ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته, أنبت لك.
- هو الذي ينبت الزرع والزيتون, هو الذي يكشف الضر-, ومن إذا كنت في أرض قفر فأضلك بعيرك فدعوته,
ردها لك))

هذا هو الله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد الآية:4]

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:60]

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:60]

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[سورة البقرة الآية:186]

فإنسان لا يوجد عنده مشكلات.

صدقوني أيها الأخوة، ما هذه المشكلات إلا أن ترقى بها إلى رب السموات والأرض، ما أصابنا من مصيبة، فلكي ننطلق منها إلى الله عز وجل، كي نندفع بها إليه.

هذه وصية رسول الله ﷺ لهذا الرجل :

قال له:

((من كان بك ضر فدعوته، كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته، أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضلت، فدعوته، رد عليك، قال: فأسلم الرجل، ثم قال: أوصني يا رسول الله.
-ما معنى: أوصني؟ الوصية شيء مقدس، الموصي دائماً في القمة من العلم، والخلق، والحب، عليم ويحبك-.

قال: أوصني يا رسول الله, قال: لا تسين شيئاً))

الآن: أكثر الناس يلعن الساعة التي عرف فيها زوجته, يلعن الساعة التي رأى الزبون, دائماً يلعن.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أنا لم أبعث لعاناً))

دائماً يلعن, النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أنا لم أبعث لعاناً))

قال:

((مالك يا بني؟ قالت: حمى لعنها الله -السيدة فاطمة- قال: لا تلغنيها, فو الذي نفس محمد بيده, لا تدع

المؤمن وعليه من ذنب))

هذا ما أكدده العلماء :

العلماء يؤكدون: أن كل المصائب التي تصيب المؤمن مكفرة له لذنوبه.

((وعزتي وجلالي, لا أقبض عبدي المؤمن, وأنا أحب أن أرحمه, إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها؛ سقماً في جسده, أو إقتاراً في رزقه, أو مصيبة في ماله أو ولده, حتى أبلغ منه مثل الذر, فإذا بقي عليه شيء, شددت عليه سكرات الموت, حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

يعني: إذا وصلنا إلى شفير القبر كما ولدتنا أمهاتنا, فنحن من أسعد السعداء.

قال عليه الصلاة والسلام في وصيته الثمينة:

((لا تسين شيئاً))

ليس في الكون شر مطلق, في شر موظف للخير المطلق, الله عز وجل لا يمكن أن يكون موجوداً, وفي الكون

شر مطلق, في شر مبطن, شر نسبي.

انظر إلى وفاء هذا الرجل للنبي عليه الصلاة والسلام :

النبي قال:

((لا تسبَّ شيئاً, أو قال: أحداً, قال: فما سببت بغيراً ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ))

انتهى, يعني

أحياناً: الإنسان فقد مركبته, فقد سيارته, فقد بغيره, فقد غنمته.

قال:

((ما سببت بغيراً ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ))

من تتمة وصية النبي عليه الصلاة والسلام لذلك الرجل :

قال له:

((ولا تزهد في معروف, إنما خلقت من أجل المعروف.
-لذلك: الإنسان حينما يأتيه ملك الموت, يندم على ماذا?:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

له تجارة معطلة, قد يكون تاجر بناء ما أنهى البناء, قد يكون مستورد ما أنهى الصفقة, يقول:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية: 100]

قال له-: ولا تزهد في معروف.

-أن تلقى أخاك بوجه طلق, أن ترحب به, أن تبتسم في وجهه, هذا معروف, هذا يؤنس.

أحياناً: الإنسان يظن على من حوله بابتسامة, يظن على من حوله بكلمة, يظن على من حوله بسلام, يظن على من حوله بسؤال, وهذا من أشد أنواع البخل, كلمة لا تكلف شيئاً.

يعني: أحياناً: الإنسان يكون حوله أشخاص دونه, لو سألهم عن صحتهم, عن أولادهم, عن أحوالهم, كيف أحوالكم؟ لملأ قلوبهم رضى-.

لا تزهد في معروف.

-ولو منبسط وجهك إلى أخيك, وأنت تكلمه-.

وأفزع من دلوك.

-في إناء المؤثرة, حياة المؤمن مبنية على المؤثرة-.

واتزر إلى نصف الساق, فإن أبيت فإلى الكعبين, وإياك وإسبال الإزار, فإنها من المخيلة))

والله تبارك وتعالى لا يحب المخيلة.

هذا هو الله ﷻ :

أيها الأخوة, من هو الله؛ الذي إذا دعوته أجابك؟ إذا سأله أعطاك؟ إن استغفرته غفر لك؟ إن تبت إليه تاب

عليك؟.

((الله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد, والعقيم الوالد, والظمان الوارد))

((إذا رجع العبد إلى الله ناد مناد في السموات والأرض: أن هنتوا فلاناً, فقد اصطاح مع الله))

والحقيقة: التهنتة, الحقيقة: يوم تصطح مع الله, وتستقيم على أمره, ومن وصية رسول الله ﷺ.

هذه وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل :

عن معاذ رضي الله عنه قال:

((أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات, قال: لا تشرك بالله شيئاً.

-لأن الشرك ظلم عظيم, ولأن الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾

[سورة النساء الآية:48]

وإن قتلت, وحزقت, ولا تعقن والديك, ولا تعقن والديك, -لأنه:

((ليعمل العاق, ما شاء أن يعمل, فلن يُغفر له))

اللذان كانا سبب وجودك, لا يمكن أن يقبلك الله وأنت عاق لهما, لذلك قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

رفع الإحسان إلى الوالدين, إلى مستوى عبادة الله, لأن العطف يقتضي المشاركة.-

وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك, ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً.
-لأن هذه الصلاة من تركها فقد كفر.

((لا خير في دين لا صلاة فيه))

((الصلاة عماد الدين, من أقامها فقد أقام الدين, ومن هدمها فقد هدم الدين))

الصلاة عبادة أساسها الاتصال بالله, من ثمارها نور يقذفه الله في قلبك, لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة نور, والصلاة طهور, والصلاة حبور))

يعني: طهور, ونور, وحبور, أي سعادة, لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

والصلاة معراج المؤمن, والصلاة عقل:

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

والصلاة مناجاة:

((لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل))

والصلاة ميزان:

((فمن وفى استوفى))

هي نور, وطهور, وحبور, وميزان, وعروج, ومناجاة, وعقل:

﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

هذه الصلاة من أداها كما أمر الله عز وجل, أنجاه الله من النار.-

فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً, فقد برئت منه ذمة الله, ولا تشرين خمراً, فإنه رأس كل فاحشة.

-في قصة رمزية: أن خير إنسان بين أن يشرب الخمر, وبين أن يزني, وبين أن يقتل, فتوهم أن أقل هذه الأشياء: أن يشرب الخمر, فلما شرب الخمر, فزنا وقتل, جمع الشر كله في بيت, ثم أفرج عليه, فكان مفتاحه السكر.

((وما أسكر كثيره فقليله حرام, وما أسكر قليله فملء الكف منه حرام))

((ومن شرب الخمره - هذا قول النبي ﷺ - وقع على أمه, أو عمته, أو خالته))

يعني: زنا المحارم أسبابه: شرب الخمر, زنا المحارم.

قال:- وإياك والمعصية, فإن بالمعصية حل سخط الله.

-يعني: كفاك على عدوك نصراً, أنه في معصية الله:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

الفوز العظيم في طاعة الله, أنت بالكون تعرفه, وبالشرع تعبهه.-

وإياك والفرار من الزحف, وإن هلك الناس, وإن أصاب الناس موت فاثبت, وأنفق على أهلك من طولك, ولا ترفع عصاك عنهم أدباً, وأخفهم في الله))

هذه وصية رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص :

هذه وصية رسول الله ﷺ لسيدنا سعد بن أبي وقاص:

((أخفهم في الله, لا ترفع عنهم عصاك أدباً, أنفق على عيالك, من طولك, من مالك, إذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم, فاثبت -أي لا تهرب-, وإياك والفرار من الزحف, ولا تشربن خمراً, فإنه رأس كل فاحشة, وإياك والمعصية, فإن بالمعصية يحل سخط الله عز وجل))

هذا ما قاله معاذ بن جبل :

ومن وصايا رسول الله ﷺ:

يقول معاذ بن جبل:

((كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز -ليسافر- أن قال: يا معاذ, أحسن خلقك للناس))

[أخرجه مالك في الموطأ]

لأن الخلق الحسن هو جوهر الدين, وأساس الخلق الحسن: الإيمان.

كلمة مهمة :

أيها الأخوة, أحياناً: الإنسان يوصي رجل كبير, يوصي رجل خبير, يوصي رجل عليم, يأخذ هذه الوصية, ويحفظها, ويطبّقها, وكأنها شيء ثمين, فكيف إذا أوصاك رسول الله ﷺ؟ لأنه أرحم الخلق بالخلق, وأعلم الخلق بالخلق, هو أعلمنا, وأرحمنا, وهذه وصيته, فلذلك: احفظوا وصية رسول الله ﷺ.

ومن وصايا رسول الله ﷺ: حدثتنا أم سلمة, أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه:

((الصلاة - أي عليكم بالصلاة - وما ملكت إيمانكم))

هؤلاء الذين تحت أيديكم, هؤلاء الذين عهد الله إليكم أمرهم.

((الصلاة وما ملكت إيمانكم))

يعني: أوصيكم بالصلاة, وأوصيكم بما ملكت إيمانكم, لأن قلب المؤمن إذا كان متصلاً بالله عز وجل, يفيض رحمة, والرحمة تسبب اللين, لذلك قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

يعني: لينك, ومحبتك, وتواضعك, بسبب رحمة استقرت في قلبك:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

لو لم تكن هذه الرحمة في قلبك:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

معنى: في قانون أنت متصل, معنى في رحمة بقلبك, هذه الرحمة تحملك على اللين, وهذا اللين يجمع الناس حولك, لو كنت منقطعاً, لخلا قلبك من الرحمة, فكان فظاً غليظاً, هذا يجعل الناس ينفضون من حولك. إذاً: قانون الالتفاف, أو الانفصاض؛ اتصال: رحمة, التقاف, رحمة, لين, انقطاع: قسوة, فظاظة, تفرق, إن أردت

أن تجتمع الناس حولك, فكن ليناً:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

الوصية الأخيرة في هذا الدرس :

آخر وصية من وصايا رسول الله ﷺ: حدث عثمان بن أبي العاص, قال:

((آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ: إذا أمت قوماً, فأخف بهم الصلاة))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والنسائي في سننهما]

يعني: الإنسان لا يكون منفراً.

قال سيدنا معاذ وقد قرأ الواقعة بكاملها, قال:

((أفتان أنت يا معاذ؟ روحوا القلوب ساعة بعد ساعة, فإن القلوب إذا كُتت عميت))

كان عليه الصلاة والسلام يتخللنا بالموعظة, فلذلك: الإنسان إذا صلى منفرداً, فليطل ما شاء, أما إذا أمّ الناس, عليه أن يخفف من صلاته, لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي صلاة الفجر, وقد سن لنا أن نقرأ الصفحات الطويلة في صلاة الفجر, لأنها ركعتان.

والإنسان بعد استيقاظه, ونوم مريح, ومع ذلك: مرة في أحد المرات, كان عليه الصلاة والسلام يؤم الناس في صلاة الفجر, فعلى غير عادته قرأ أقصر سورة وسلم, فعجب الصحابة الكرام, فقال عليه الصلاة والسلام:

((سمعت طفلاً يبكي, ينادي أمه ببكائه, فأردت أن أرحمها))

فقرأ أقصر سورة وسلم, لذلك قال تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:55]

من معاني المعتدين: الدعاء الطويل.

أحياناً: الدعاء نصف ساعة, ساعة أحياناً الدعاء, فالدعاء ينبغي أن يسبقه تضرعاً, وأن يسبقه صوتاً منخفضاً, وألا تكون معتدياً, لأن الله لا يستجيب دعاء المعتدين.

خاتمة القول :

أيها الأخوة الكرام, هذه بعض وصايا رسول الله ﷺ, أضعها بين أيديكم, فعمل الله سبحانه وتعالى ينفعنا بها, إلا أن ملخص الدرس: أن هناك أخطاراً لا تعد ولا تحصى, مسلطة فوق رأس الناس؛ أنواع الأمراض, وأنواع المصائب, وأن الإنسان في الأصل خلق هلوياً, وما خلقه هلوياً جزوعاً منوعاً, إلا ليفر إلى الله عز وجل إذا خاف, وليتقرب إليه بما هو حريص عليه, وهذا ملخص الدرس, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {09-119} : أحاديث تبدأ بكلمة (ويل) - ما هي الأخطار التي حذرنا منها النبي عليه الصلاة والسلام من خلال هذه الأحاديث؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-06-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة :

أيها الأخوة الكرام، في الدرس الماضي: ذكرت شرح بعض الأحاديث الشريفة، التي بدأت بقوله ﷺ:

((طوبى))

واليوم نأخذ زمرة ثانية، طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ، تبدأ بكلمة: ويل، والويل هو الهلاك، الإنسان قد يخسر بعض حاجاته، أما حينما يهلك، ينتهي.

هناك مجموعة موضوعات ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، ربما كانت سبب هلاك الإنسان.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ارحموا تُرحموا))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

في حديث آخر قدسي:

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

في حديث ثالث:

((من لا يرحم لا يُرحم))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والبخاري في مسنده]

من هم أقماع القول، ومن هم المصرون؟ :

((ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم، ويل لأقماع القول.

-من هم أقماع القول؟ الذين يستمعون إلى الحق ولا يطبقونه.

لو أنك ألقيت دلو ماء في أنبوب، ليس له قعر هذا الأنبوب، هل يمسك شيئاً؟ أبداً، هناك أشخاص يستمعون ويصغون، أما على حيز التطبيق: لا ترى من قناعاتهم شيئاً مطبقاً في حياتهم-.

ويل للمصرين، الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

لأن الله سبحانه وتعالى وصف في قرآنه الكريم المؤمنين، الذين إذا أخطؤوا:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿﴾

[سورة آل عمران الآية:135]

لم يصروا، ويل لرجلان؛ رجل استمع إلى الحق، ولم يطبق منه شيئاً، كان كالوعاء بلا قعر، مهما ألقيت فيه من الحق لا يمسك شيئاً، هذا الإنسان ربما أهلك نفسه بهذه الطريقة، والإنسان الثاني: هو الذي ألف شيئاً من معاصي الله، من المخالفات، فأصر عليها، ولم يحدث نفسه بالتوبة منها، كل إنسان لا يحدث نفسه بالتوبة، من ذنب وقع فيه، أو لا يحدث نفسه بتطبيق ما يسمع، فقد أوصل نفسه إلى الهلاك.

يقول عليه الصلاة والسلام في الجامع الصغير:

((ارحموا ترحموا، واغفروا يُغفر لكم، ويل لأقماع القول.

-يعني: كأن هذا الإنسان قمع، القمع معروف، مهما ألقيت فيه من السوائل لا يمسك شيئاً-.

ويل للمصرين، الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون))

طوبى لمن, وويل لمن؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:

((طوبى للعلماء, طوبى للعباد, ويل لأهل الأسواق, الذين شغلتهم تجارتهم عن ذكر الله))

أهل الأسواق, الذين شغلوا بديانهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة المنافقون الآية:9]

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

[سورة النور الآية:36]

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾

[سورة النور الآية:37]

فالتجارة مسلية, وجذابة, وقد يستهلك الإنسان وقتاً طويلاً دون أن يشعر؛ قد يفوته فرض صلاة, قد تفوته طاعة, قد يفوته عمل صالح, فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((طوبى للعلماء, الذين عرفوا ربهم وأطاعوه, أو طوبى لمن أطاع الله وحده))

المطيع لله يسمى عبداً, والعالم هو الذي عرف الحكمة, العابد مقاومته هشة؛ لا يصمد أمام الفتن, لا يصمد أمام الضغوط, لا يصمد أمام المغريات, لا يصمد أمام الشبهات, شبيهة تقنته, ضغط شديد يصرفه, وإغراء لماع يحوله, أما العلم, العلم سلاحه؛ فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((فضل العالم على العابد , كفضلي على أدناكم .
-المسافة بين رسول الله ﷺ, وهو سيد الخلق , وبين أقل مؤمن على وجه الأرض , هي نفسها بين العلماء
وبين العباد- .

فضل العالم على العابد , كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))

ما هو السلاح الذي ينبغي على المسلم أن يتخذه في مجتمع الفتن والشهوات؟ :

مرة ثانية: إذا كان في عصر سابق, يمكن أن نحيا بالتقليد, يمكن أن نسلم بالتقليد.
قبل مئة عام, أو مئتي عام, المجتمع تحوطه غاية الله؛ الفتن قليلة, الشهوات نائمة, بمثل هذه العصور, يمكن أن تكون عابداً ناجحاً, لكن في عصر الفتن فيه مستقرة, والشهوات ملتهبة, والمعصية في كل مكان, والدنيا خضرة نضرة, في مثل هذا المجتمع لا يصلح له إلا الإيمان, إلا العلم, العبادة وحدها لا تكفي.
كما قلت قبل قليل: العابد مقاومته هشة, ضغط يسير يفتنه, إغراء يسير يصرفه, شبهة تفتنه, لأن الله سبحانه وتعالى: أردنا أن نطلب العلم.

((الناس رجالان؛ عالم ومتعلم, ولا خير فيمن سواهما))

((يا بني الناس ثلاثة؛ عالم رباني -كلام سيدنا علي-, ومتعلم على سبيل نجاة, وهمج رعا ع أتباع كل ناعق,
لم يستضيئوا بنور العلم, ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق, فاحذر يا كميل أن تكون منهم))

لذلك:

((طوبى للعلماء , طوبى للعباد , ويل لأهل الأسواق , الذين تشغلهم تجارتهم وبيعهم عن ذكر الله))

((اليد العليا خير من اليد السفلى))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما، ومالك في الموطأ]

((ليس الفقير الصابر بأقل أجراً من الغني الشاكر))

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف))

لا ندعوكم إلى ترك أعمالكم، ولا إلى ترك تجارتكم، ولا إلى ترك بناء أمتكم، ولا بناء وطنكم، ولكن ندعوكم إلى التوازن، ألا تغلب الدنيا على الآخرة، ألا ننسى طاعة الله من أجل الدنيا، ألا ننسى عملاً صالحاً من أجل الدرهم والدينار، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد الخميصة -ثياب، يعني: يخشى على أناقته، فلا يصلي حفاظاً على

بنطاله مثلاً، هذا عبد للثياب، ينسى طاعة الله من أجل الثياب.

رجل يلبس ثياباً فارهة، اقترب منه فقير في عهد النبي، فابتعد منه وخشي أن يمسه، فقال عليه الصلاة

والسلام: يعني خشيت أن يعديه غناك، أم أن يعديك فقره؟.

يعني: إذا اقترب منك، يصبح غنياً، أم تصبح أنت فقيراً؟ نعم.

ف:- تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد الفرج، تعس عبد البطن، تعس عبد الخميصة))

المعنى المخالف: سعد عبد الله.

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((العدد دين))

وعد الحر دين.

((ألا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له))

إن وعدت عليك أن توفي، لأن هذه العدة سماها النبي عليه الصلاة والسلام ديناً، دين في رقيبتك، طبع المؤمن لا يُكثر من الوعود، لا يلقي الوعود جزافاً، لا يعد إلا إذا تأكد أنه سيوفي، لأن وفاء العهد من الإيمان.

((العدد دين))

((ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ولم يوف، هذا الذي وعد، يتهمه بالكذب، يتهمه بإخلاف الوعد، وكلكم يعلم: أن الإنسان له عدالة، وله ضبط، الضبط صفة عقلية، أما العدالة صفة نفسية، ما لو لزم العدالة.

(من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته))

من أركان العدالة :

أحد أركان العدالة: أن تفي بوعدك، بالمقابل: معنى ذلك: الإنسان الحصيف الموقف، لا يعد إلا إذا كان متأكداً أنه سينجز وعده، أما هذا الذي يعد أطفاله، زوجته، وعود بلا طائل، ثم يظهر أمامهم أنه يخلف وعده كلها.

يعني: طفل صغير صغير جداً، أربع، خمس سنوات، وعدته جدته أن تأخذه مساءً إلى نزهة، هي لا تعني ما تقول أبداً، لا تنوي أن تذهب إطلاقاً، لكن أرادت أن تسكت بكاءه، فلما جاء الوقت الموعود، ولم تأخذه إلى النزهة، هو طبعاً: يعيش في بلاد أخرى، قال لها: أنت كذابة، المؤمن إذا وعد وفى.

بالمناسبة: لا تستهن بالصغار، هذا الصغير إذا وعدته، عليك أن توفي له وعده، لأنك إذا عدته، وما وفيت، علمته الكذب، وعلمته إخلاف الوعد، وعلمته أن هذا الكلام لا معنى له.

متى يكفر الإنسان بالكلمة؟ :

الإِنسان متى يكفر بالكلمة؟ إذا لم ير لها رصيماً في الواقع.

الآن: معظم كلام الناس ليس له معنى, أنهم لا يعنون ما يقولون, لذلك: الناس الآن كفروا بالكلمة, لمجرد أن تحدثهم, يقول لك: صف كلام, فلسفة, كلام فاض, هذه التهم من أين جاءت؟ جاءت من إنسان تكلم كلاماً لا يعنيه.

((من عد كلامه من عمله نجا, ومن عد كلامه من غير عمله هلك))

((العدد دين, ويل لمن وعد ثم أخلف, ويل لمن وعد ثم أخلف, ويل لمن وعد ثم أخلف))

لأن:

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسى, ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق, فأكرموا بهما ما صحبتموه))

لك أيها الغني :

ويقول عليه الصلاة والسلام في الجامع الصغير:

((ويل للأغنياء من الفقراء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, والطبراني في المعجم الصغير]

يعني: الغني حينما أعطاه الله مالاً, فرض عليه في هذا المال زكاة ماله.

معنى هذا الحديث :

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((في المال حق سوى الزكاة))

لو أنك أديت زكاة مالك, وكان لك قريب, في أشد الحاجة إلى المال, وأنت في بجموحة, هل تظن أنك إذا أديت

زكاة مالك, نجوت من المسؤولية؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[سورة النحل الآية:90]

فإذا كان أداء الزكاة, عدلاً في إغاثة الملهوف, إحساناً, والآية الكريمة:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

[سورة البقرة الآية:177]

أرأيتم, في آية واحدة؛ أتى المال على حبه, وأقام الصلاة, وآتى الزكاة.

معنى ذلك: أن إيتاء الزكاة شيء, وأن إيتاء المال على حب الله ورسوله شيء آخر.

إذاً: في المال حق سوى الزكاة, وحينما قال الله عز وجل:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الزاريات الآية:19]

قال العلماء:

((هي الزكاة))

وحينما قال الله عز وجل:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الزاريات الآية:19]

قالوا:

((هي الصدقة))

فأنت كما أنك مأمور أن تزكي، مأمور أن تتصدق، فالشيء الذي لا تسعه الزكاة، تسعه الصدقة.

تحذير للعالم وللجاهل :

((ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم))

كيف الذي آتاه الله علماً، سوف يحاسبه الله على مدى تطبيق هذا العلم، لأن الجاهل إذا رأى عالماً لا يطبق علمه، زهد بالعلم كله.

سيدنا علي يقول:

((قوام الدين والدنيا أربعة رجال؛ عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه، استنكف الجاهل أن يتعلم -لم يرد أن يتعلم-، وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنياه غيره))

فالعالم عليه أن يكون ورعاً، ليضفى إلى كلامه، والجاهل عليه أن يتعلم لينجو بنفسه، فالجاهل محاسب: لم أنت محاسب؟ والعالم محاسب: لم لم تطبق؟.

فالهلاك أحياناً: يصيب العلماء، ويصيب الجاهل، يصيب العلماء بعدم تطبيقهم ما تعلموا، ويصيب الجاهل بعدم طلب العلم، ولا جهل في القانون كذلك، القانون لا يحمي المغفل، والإنسان حينما لا يطلب العلم، ويرتكب الأخطاء، يحاسب مرتين؛ مرة على هذا الخطأ، ومرة لأنه عزف عن طلب العلم.

((ويل للعرب من شر قد اقترب, أفلح من كف يده))

[أخرجه أبو داود في سننه]

يعني:

((إذا رأيتم شحاً مطاعاً, وهوى متبعاً, وإعجاب كل ذي رأي برأيه, فالزم بيتك))

يعني: اتصل بالله عز وجل, واعمل صالحاً؛ خذ ما تعرف, دع ما تنكر, عليك بخاصة نفسك, دع عنك أمر العامة, لأنه:

((فتن كقطع الليل المظلم, يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً, ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً, يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

طرقوا عليه الباب الساعة التاسعة نائم, يوم الجمعة, معقول!! عشرة نائم, الحادية عشرة نائم, الثانية عشرة نائم, الصلاة الثانية عشرة والنصف, الواحدة نائم, الواحدة والنصف نائم, الثالثة نائم, الرابعة هو نائم, الساعة الخامسة, أتى بصحن جديد, لم يعد ترك الصلاة, وروح صلاة الجمعة, والفجر, والعصر, ويتابع المحطات, حتى يرى الكعبة فقط, نعم, نعم.

صفة سيئة حذر منها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ما هي؟ :

((ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم, ويل له, ثم ويل))

الكذب من أشد الصفات التي كان عليه الصلاة والسلام يمقتها.

لأن المؤمن -كما قلت في درس سابق- يُطبع على الخلال كلها, إلا الكذب والخيانة.

فالمؤمن إذا كذب أو خان, ذهب إيمانه من قلبه.

((ويل للمالك من المملوك, ويل للمملوك من المالك))

[أخرجه النزار في مسنده]

يعني: إنسان سيد, وعنده موظف محل تجاري, إن لم تعطه حقه, الويل لك, وإن لم يؤد الأمانة, وينصح لسيده, الويل له, هو له حساب خاص, وأنت لك حساب خاص.

يعني: وسع هذا الموضوع؛ سيد ومسيود, رب عمل وعامل, صاحب متجر وصانع, صاحب معمل وعامل.

يعني: أي إنسان, الله عز وجل وكله بإنسان, أي إنسان تحت يدك, ويل لك منه, وويل له منك, ويل لك منه, إن قصرت في حقه, إن لم تنصحه, إن لم تؤد له حقه.

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

ما معنى: أعطوا الأجير أجره؟ إن لم يقل: أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.

يعني: ينبغي أن تعطيه الأجر المكافئ لجهده, هو قد يرضى بأقل من استحقاقه لضيق ذات اليد, قد يرضى بمبلغ بخس جداً, قد يأتيك أناس كثيرون, تضع رقماً قليلاً جداً يرضونه به, لكن هذا الرقم: هل كافئ جهدهم؟.

((أعطوا الأجير أجره, -الأجر المناسب جداً, المكافئ لجهده, وأعطه سريعاً-, قبل أن يجف عرقه))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

((ويل للمتألمين من أمتي))

الذين يقولون: فلان في الجنة, وفلان من النار, وكأنهم أوصياء على الناس, أن يضع الإنسان نفسه في موضع

الوصايا, أو موضع الوصايا, وأن يحكم على الناس ببساطة, وأن أن يوزعهم بين الجنة والنار, وبين الكذب والنفاق, هكذا ببساطة, وهو أقلهم, هذا اسمه في الفقه المتألي, المتألي: هو الذي يتألى على الله, وسبب هذا الموضوع:

أن النبي عليه الصلاة والسلام كان عند بعض أصحابه, الذين توفاهم الله عز وجل, وكان من عادة النبي: أن يزور الصحابي الذي توفاه الله, يأتي إلى بيته قبل أن يشيع, سمع امرأة تقول:

((هنيئاً أبا السائب لقد أكرمك الله, قال لها: ومن إدراك أن الله أكرمه؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه, وأنا نبي مرسل, لا أدري ما يفعل بي ولا بكم))

فالإنسان, الأدب مع الله أن تقول: أرجو له الجنة, أما فلان في الجنة, من قال لك ذلك؟ ليس على الوجه التحديد في الجنة, إلا العشرة الذين بشرهم النبي فقط, والباقي على الرجاء, حتى الذين أبشروهم النبي, كانوا في قلق وخوف, وقد رأوا عظم المسؤولية, وهول الموقف.

فسأل سيدنا عمر سيدنا حذيفة:

((بربك اسمي مع المنافقين؟))

ماذا يفعل المسلم بماله الوفير حتى لا يقع في الشح؟ :

((ويل للمكثرين, إلا من قال بالمال هكذا وهكذا))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

((ويل للمكثرين, إلا من قال بالمال هكذا وهكذا))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

الإنسان إذا أنعم الله عليه بدخل وفير, لئلا يقع في المآب, وفي الشح:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر الآية:9]

عليه أن ينفق المال هكذا وهكذا.

و:

((أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

((عبدني أنفق أنفق عليك))

تحذير للنساء :

((ويل للنساء من الأحمرين؛ الذهب والمعصفر))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة]

المرأة من أجل الذهب، ومن أجل زينتها، ومن أجل ثيابها، ومن أجل أناقتها، قد تحمر زوجها ما لا يطيق، قد تحمله على كسب المال الحرام، لذلك:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾

[سورة التغابن الآية:14]

قال العلماء:

((هذه عداوة مآل، وليست عداوة حال))

يعني: يوم القيامة، حينما يهلك الإنسان بسبب إرضاء زوجته، يراها عداوة له.

((اعلمي يا فلانة، أن في الجنة من حور العين، ما لو أطلت إحداهن على الأرض، لغلغ نور وجهها ضوء

الشمس والقمر))

فلأن أضحي بك من أجلهن، أهون من أضحي بهن من أجلك.

((ويل لمن استطال على مسلم فانتقص حقه))

لأن الله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج الآية:38]

((فويل لمن استطال على مسلم, فانتقص حقه))

يجب أن تعلم علم اليقين: أن ربك بالمرصاد, وأن الله كان على كل شيء رقيباً, وأن الله حسيبك, سيحاسبك, فالمسلم وغير المسلم, إذا كان الهلاك من انتقاص حق امرئ مسلم, فالهلاك -أيضاً- من انتقاص حق امرئ غير مسلم, لقوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة المائدة الآية:8]

الشنآن: البغض, لو أبغضت أيها المؤمن الإنسان, وكان منحرفاً فاسقاً, وكافراً, عليك أن تعطيه حقه.

يعني: سيدنا عمر مر به رجل, قال:

((يا أمير المؤمنين! هل تحبني؟ قال له: لا والله لا أحبك, قال له: هل يمنعك بغضك لي أن تعطيني حقي؟

قال: لا والله, قال: إذًا: إنما يأسف على الحب النساء))

معنى ذلك: أن البغض والمحبة لا علاقة لهما بأداء الحقوق بأصحابها.

كم مرة وردت كلمة (ويل) في هذا الحديث, ولمن؟ :

((ويل لمن لا يعلم, وويل لمن علم ثم لا يعمل))

الهلاك مرتان؛ لمن لا يعلم, ولمن علم ثم لا يعمل.

الخاتمة :

أيها الأخوة الكرام, درس الماضي كان طوبى بعض السجايا الجديدة, التي ندب لها النبي عليه الصلاة والسلام, واليوم: بعض الأخطار المخيفة التي حذرنا النبي ﷺ منها.

اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, والحمد لله رب العالمين, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {10-119} : أحاديث نبوية تتحدث عن صفات المؤمن

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-06-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما الحكمة من أن النبي ﷺ وصف المؤمن بأوصاف كثيرة؟

في الأحاديث الصحيحة، أحاديث كثيرة تتحدث عن المؤمن، وقد يسأل سائل: ما الحكمة من أن النبي ﷺ وصف المؤمن بأوصاف كثيرة؟.

لأن الإنسان دائماً يتألق نفسه، الإنسان يسخط من رزقه، لكنه يثني على عقله.

فالإنسان من طبيعته: أنه يتملق نفسه، فكل يدعي أنه مؤمن، أما إذا قرأت الأحاديث الصحيحة التي وصف الله بها المؤمنين، يجب أن تضع نفسك في موضع الموازنة، هل هذه الصفات تنطبق عليه؟. مثلاً: لو أن واحداً من الناس، ادعى أنه يحمل إجازة في اللغة الإنكليزية، هذه دعوى، قلنا له: اقرأ هذه الأسطر، لم يقرأ، ذكرنا له تعبيراً لم يفهم، اكتب، لا يكتب، ولا يفهم، ولا يقرأ، ولا يسمع، معنى: دعواه باطلة. فحتى الإنسان ما يتملق نفسه، ما يعيش بوهم، كل يدعي أنه مؤمن، لكن المؤمن له صفات.

محور درسنا اليوم: كلمة المؤمن، حيثما وردت في كتاب رياض الصالحين، وهو من أجمع كتب حديث، وكل أحاديثه صحيحة.

من صفات المؤمن :

1- مهما كانت الظروف لا يبدل ولا يغير :

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عجبت لأمر المؤمن, إن أمره كله له خير, وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين, إن أصابته سراء شكر فكان خير له, وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))

أكثر الناس في الرخاء, يحمدون الله ويشكرونه, أما عند أول بادرة مشكلة, تجده ساء ظنه بالله, أساء الظن بالله, أهمل عبادته.

فالإنسان الذي يتغير, انظر تغير الظروف, ليس مؤمناً كاملاً كما قال عليه الصلاة والسلام.

منعطف خطير :

أيها الأخوة, الله عز وجل قال:

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:146]

حينما قال الله عز وجل:

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾

[سورة الأحزاب الآية:10]

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:11]

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:12]

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:23]

معناها: تغير ظنك بالله مع تغير الظروف, تغير عبادتك مع تغير الظروف, تغير استقامتك مع تغير الظروف, هذا ينفي عنك الإيمان الكامل, أما المؤمن الإيمان الكامل:

((إن أصابته سراء شكر فكان ذلك له خير, وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك له خير))

وليس ذلك لغير المؤمن, التغيير: أن في العقيدة, أو في حسن ظنك بالله, أو في العبادة, أو في السلوك, أو في الإقبال والإعراض, إذا حصل تغييراً مع الظروف, عليك أن تشمر على ساعد الجد, وأن تجدد إيمانك, المؤمن الصادق: لا يغير ولا يبذل:

﴿وَكَايُنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:146]

هذه أول خاصة؛ فسوء الظن, أو حسن الظن في العبادة: السلوك, الاستقامة, عقيدة, عبادة, سلوك, إن تبدلت وتغيرت, وفق المعطيات والظروف, وإقبال الدنيا وإدبارها, معناها: ليس هذا هو المؤمن الذي أراد الله عز وجل, المؤمن لا يبذل ولا يغير:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الحج الآية:11]

هذا ما يضع الله به المؤمن :

أيها الأخوة، الله عز وجل لا يمكن إلا وأن يضع المؤمن في امتحان دقيق:

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:2]

لا بد من امتحان:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

إذا السوق حامي، تجد التاجر متألّق، ويتحدث بالدين، ويتحدث عن رسول الله ﷺ، ويريد أن يعمل أعمالاً صالحة، أما إذا كان السوق برد يبرد، تبتتر همته، المؤمن الكامل لا يتأثر بالظروف، لأنه يعامل خالق الكون، يعامل الله عز وجل، هذه أول صفة.

2- محبته للمؤمنين يؤلمه ما يؤلمهم، ويفرحه ما يفرحهم :

الصفة الثانية: في الحديث المتفق عليه:

((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))

[أخرجه النسائي في سننه]

يعني: تعاونك مع أخوانك من علامة إيمانك، محبتك لأخوانك من علامة إيمانك، أن تخفف عنهم بعض المتاعب من علامة إيمانك، فالتعاون من صفات المؤمن، والتنافس من صفات المنافس، لذلك قيل:

((لا بد للمؤمن من كافر يقاتله، ومن منافق يبغضه، ومن مؤمن يحسده))

إذا المؤمنون تحاسدوا، هبط مستواهم جميعاً.

العلامة الثانية: أن تحب المؤمنين، أن تعاونهم، أن يؤلمك ما يؤلمهم، أن يفرحك ما يفرحهم، أن يسعدك ما يسعدهم، لذلك: أصاب أحد المؤمنين خيراً، تحس أنه خير، لك إنسان ارتقى، إنسان نجح في عمل، إنسان نجح في زواج، نجح في شهادة، مؤمن من أخوانك، إن فرحت له فرحاً حقيقياً، فأنت مؤمن ورب الكعبة، أما المنافق:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[سورة آل عمران الآية:120]

فهذه علامة ثانية.

((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))

3- يتميز بحسن الخلق :

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث عن المؤمن:

((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

الإيمان: حسن الخلق، الإيمان يعني: الشجاعة، الإيمان يعني: الكرم، الإيمان يعني: الحلم، الإيمان يعني: العفو، الإيمان يعني: المسامحة، الإيمان يعني: التواضع.

((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

يعني: إذا قلت: مؤمن، معنى ذلك: أنه ذو أخلاق حسنة، فإذا كانت أخلاقه سيئة، كان سبب التنفير من الدين، وكان في مستوى لا يرضي الله أبداً، وأبرز ما تظهر أخلاقه في بيته، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((خيركم خيركم لأهله))

[أخرجه الترمذي في سننه]

طبعاً: إنسان في بيته, لا يوجد عليه رقابة, ولا يخش شيئاً, فإذا كان أخلاقياً في بيته, فهو أخلاقياً قطعاً مع الناس, أما إذا كان خارج البيت لطيف, ومهذب, وفي البيت شرس, فهذا اللطف والتهديد, ليس أخلاقاً ترضي الله, لكنها أخلاق نفعية, مبنية على نكاء الإنسان, وعلى مصالحه, لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))

[أخرجه أبو داود عن عائشة في سننه]

((المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))

[أخرجه أبو داود عن عائشة في سننه]

4- من لوازم المؤمن: تلاوة القرآن الكريم :

وفي الحديث الصحيح:

((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن, مثل الأترجة -البرتقالة- ريحها طيب, وطعمها طيب, ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن, كمثل التمرة, لا ريح لها, وطعمها حلو, ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن, مثل الريحانة, ريحها طيب, وطعمها مر, ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن, كمثل الحنظلة, ليس لها ريح, وطعمها مر))

معنى ذلك: من لوازم الإيمان تلاوة القرآن, القرآن ربيع المؤمن, القرآن حبل الله المتين, القرآن هو الصراط المستقيم, المؤمن يتعبد الله بتلاوة القرآن.

بشرى لك يا قارئ القرآن :

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من تعلم القرآن, متعه الله بعقله حتى يموت))

يعني: تعلم كتاب الله, نجاة من الخوف, ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل الآية:70]

أنا ذكر لي أخ، قال لي: لي والدة، نضعها على سرير، ونربطها من يديها ورجليها، قلت له: لماذا؟ قال: إذا كانت يداها طليقتين، خلعت ثيابها كلها، وأكلت من غائطها، هذه أزدل العمر:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل الآية:70]

تفقد ذاكرتها، تمزق ثيابها، تتقرب، تأكل من غائطها، هذا أزدل العمر.

((من تعلم القرآن، متعه الله بعقله حتى يموت))

معنى ذلك: أن تلاوة القرآن، وفهم القرآن، وتدبر القرآن، والعمل بالقرآن، من لوازم المؤمن.

5- لا يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر :

((المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه حتى يذر))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

علامة الإيمان: أخ اشترى شروء، أو باع بيعة، أنت تتبعد إلى أن ينتهي الموضوع، أما باع بيعة أخوك، مسلم، مؤمن، جارك، بكم باعك إياها؟ أنا عندي أرخص، أرجعها له، والله لست مؤمن، إذا كان أخوك باع بيعة، وسعرها معقول، أردت أن تنافسه، فسألت الذي اشتراها: بكم اشتريتها؟ أنا أعطيك أفضل منها، وأرخص، ردها إليه، ليس هذا من صفات المؤمن.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه حتى يذر))

كان السلف الصالح: كانوا على عكس ذلك، يأتي المشتري يشتري، يأتي المشتري الثاني، يقول: لا، أنا استقتحت،

أذهب إلى جاري.

هكذا كان السلف الصالح -نعم-.

هذه من صفات المؤمن: أن تبتاع على بيع أخيك, أو أن تخطب على خطبة أخيك, هذا يتنافى مع كمال الإيمان.

6- الكياسة والعقل والفتنة والذكاء :

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين, من جَرَّبَ المجرب, كان عقله مخرب))

((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين))

((لا أسمح -كما قال الشافعي- لعدوي أن يغشني مرتين))

((المؤمن كيس فطن حذر))

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:71]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:71]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((المؤمن كيس فطن حذر))

فأن تجد مؤمناً خبياً، مستحيل أن تجده مخدوعاً، مستحيل، لأن سيدنا عمر رضي الله عنه يقول:

((لست بالخب ولا الخب يخدعني))

أي لست من الخبث بحيث أخدع، ولا من السذاجة بحيث أخدع.

إذاً: الكياسة، والعقل، والحذر، والفتنة، من صفات المؤمن، والأخلاق العالية، ألا تبتاع على بيع أخيك، ولا أن تخطب على خطبة أخيك، من صفات المؤمن

7- من مبشرات المؤمن :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أرأيت الرجل، يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه))

شخص سأل النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا رسول الله! أرأيت الرجل، يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: تلك

عاجل بشرى المؤمن))

أحياناً: المؤمن مستقيم، وعمله طيب، شيء طبيعي جداً، أن يلهج الناس بالثناء عليه، أن يحبونه، أن يمدحونه، فهذا ليس رياء ولا نفاقاً، طبيعة إيمانه تقضي: أنه مستقيم، أنه صابر، أنه متواضع، أنه رحيم، فلان أخلاقه الإيمانية أخلاق رضية، الناس يحبونه، فإذا أحبه الناس، وأثنوا عليه، ليس معنى هذا: أنه يتمنى السلوك، أن ينتزع إعجابهم، لا، هذا هو الإيمان. هذه بشرى معجلة من الله عز وجل.

يعني: إذا أحبك الله، ألقى حبك في قلوب الخلق.

وقد قال بعضهم في تفسير قوله تعالى

يعني: إذا أحبك الله أحبك الناس، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، فحب الخلق لك إذا كنت مستقيماً، ومؤمناً إيماناً كاملاً، هذه بشرى من الله.

((يا رسول الله, أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير, ويحمده الناس عليه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: تلك عاجل بشرى المؤمن))

8- ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس المؤمن بالطعان, ولا اللعان, ولا الفاحش, ولا البذيء))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه عن عبد الله بن مسعود]

يضبط لسانه, لا يطعن, ولا يلعن, ولا يفحش في القول, ولا يستخدم العبارات البذيئة.

أحياناً: يقول لك: إذا لم تكن قاسياً, الصانع لا يكون رجلاً, أنت كنت قاسياً, لكنك خالفت السنة, أحياناً: يسب أباه على الذي خلفه, أنت مثل كذا البعيد, هذه أخلاق المؤمن؟ هذه أخي هذه مصلحة, لا ليست مصلحة, ليس لك مصلحة بهذا الكلام, مهما كان الظرف عصبياً, أن تتلفظ بكلمات نابية, أن تقسو بالكلام.

((ليس المؤمن بالطعان, ولا اللعان, ولا الفاحش, ولا البذيء))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه عن عبد الله بن مسعود]

الفحش: مجاوزة القدر المعلوم إلى قدر لا يحتمل, كلام قاس, ذكر عورات, سباب, لعن, طعن.

((ليس المؤمن بالطعان, ولا اللعان, ولا الفاحش, ولا البذيء))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه عن عبد الله بن مسعود]

هذه من صفات المؤمن, الذي رضي الله عنها.

بماذا تتعلق نفس المؤمن؟ وماذا تفهم من هذه الأحاديث؟ :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه))

يعني: موضوع الدين: هذا من حقوق العباد.

((وحقوق العباد مبنية على المشاحنة, بينما حقوق الله مبنية على المسامحة))

وأكثر الناس يتوهمون: أنهم إذا ذهبوا إلى الحج, عادوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم, هذا كلام صحيح إلى حد ما, فيما بينك وبين الله, عدت من ذنوبك التي بينك وبين الله كيوم ولدتك أمك, أما في الذنوب التي بينك وبين الناس, هذه لا تسقط ولا بمثابة حجة, لا تسقط إلا بالأداء والمسامحة, بالأداء أو المسامحة, فلذلك: موضوع الدين, أما الذمة الواسعة: يتساهل, حالته المالية جيدة, من أموال لا تأكلها النيران, ما لم أعطيه, لست مؤمناً, لأن نفس المؤمن معلقة بدينه, حتى يقضى عنه, بل إن الشهيد الذي بذل روحه في سبيل الله, يغفر له كل ذنب إلا الدين, أبداً.

كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يصلي على أحد أصحابه, يقول:

((أعليه دين؟ فإن قالوا: نعم, يقول: صلوا على صاحبكم, فإذا قال أحدهم: علي دينه, صلى عليه))

ومرة قال:

((أعليه دين؟ قالوا: ديناران, فقال: صلوا على صاحبكم, فصلوا عليه, إلى أن قال أحدهم: علي دينه يا رسول الله -ابن مسعود- فصلى عليه النبي, في اليوم التالي سأله: يا بن مسعود, أدفعت الدين؟ قال: لا, في اليوم الثالث سأله: يا بن مسعود, أدفعت الدين؟ قال: لا, في اليوم الرابع سأله: يا بن مسعود, أدفعت الدين؟ قال: نعم, قال: الآن ابترد جلده))

معنى ذلك: أن نجاة الإنسان من عذاب الدين, ليس بالكلمات, ولكن بالأداء -نعم-.

حديث ينبغي أن تعلمه :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يتمنى أحدكم الموت, ولا يدع به من قبل أن يأتيه.
-يعني: أكثر الناس لأتفه سبب, الله ينهي عمره, ويخلص من الحياة, هذا كلام غير إسلامي-.
إنه إذا مات انقطع عمله, وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً))

العمر لا يزيد المؤمن إلا خيراً, لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((خيركم من طال عمره وحسن عمله))

أيضاً: لا بد من ضبط اللسان, في ساعات الغضب, في ساعات الشدة, معظم الناس يدعون على أنفسهم, أو على أولادهم, أو على أهليهم بالموت.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يتمنى أحدكم الموت, ولا يدع به من قبل أن يأتيه, إنه إذا مات انقطع عمله, وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً))

-نعم-.

بيان لك في معرفة هذا الحديث :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.
-والقوة مطلقة؛ هناك قوة المال, هناك قوة السلطان, فالمؤمن المتفوق: يستطيع أن يفعل الخيرات الكثيرة,
التي لا يستطيع أن يفعلها الضعيف, المؤمن الغني يستطيع أن يفعل الخيرات, التي لا يستطيع أن يفعلها
الفقير, والمؤمن العالم يستطيع أن ينفع الناس بعلمه, بحيث لا يستطيع الجاهل أن يفعل ذلك, لذلك قال عليه
الصلاة والسلام:

((علو الهمة من الإيمان))

التفوق من صفات المؤمن، القوة المطلقة خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، لكن النبي عليه الصلاة والسلام أوتي الحكمة، قال:-

((وفي كل خير))

يعني: حتى المؤمن الضعيف على العين والرأس، حتى المؤمن العابد غير العالم على العين والرأس، حتى المؤمن الفقير على العين والرأس، لكن أنت بالقوة المالية، والإدارية، والعلمية، تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة، لا يستطيعها الأقل منك درجة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، - احرص، الاستسلام، والمشكلة، الخنوع، يقول لك: هذا حظي، هذا قدري، ليس بيدي شيء، لا؛ لا تستسلم، لا تياس، لا تخنع، لا تستخز-.

وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان))

يعني المؤمن: كل شيء أصابه، يعد برداً وسلاماً، يراه من الله عز وجل.

هذا ما يتعلق بعقيدتك :

البارحة شبهت لإنسان مثل: إذا الإنسان تلقى ضرباً، ضرب بعصاة من يد رحيمة، من والده، هل يحقد على العصاة؟ العصاة ليس لها علاقة، فالمؤمن أية مصيبة تأتيه من إنسان، هذا الإنسان أداة بيد الله:

﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال الآية:17]

﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح الآية:10]

فحينما توحد, لا تحقد, حينما توحد, الحقد أساسه الشرك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:213]

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:214]

خاتمة القول :

أيها الأخوة, كل هذه الأحاديث الصحيحة, ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام, لتكون مقياساً وهدفاً, مقياساً لنا, نقيس بها أنفسنا.

ذكرت في أول الدرس, أن الإنسان من عادته: أنه يتملق نفسه, يثني عليها, لا يرضى عن رزقه, ولكنه يرضى عن عقله, عن إيمانه, فلئلا نقع بهذه المتاهة, ولئلا نظن بأنفسنا خيراً, ونحن دون ذلك. هذه بعض الخصائص التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمن.

اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {11-119} : تصحيح المفاهيم

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-06-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

تمهيد :

أيها الأخوة الكرام, أحياناً: يفهم الناس الدين فهماً خاطئاً, ينحرف, فهم الناس لحقيقة الدين, لا بد من تجديد المفاهيم, لذلك ربنا سبحانه وتعالى: تكفل أن يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة دينها. من: لا تعني أنه رجل واحد, تعني أنهم رجال كثيرون, فأى إنسان أراد أن يصحح المفاهيم, هو ممن ينطبق عليه هذا الحديث الشريف.

مثل قريب: لو أن واحداً منا توهم: أنه كلما ازداد وزنه, كان أكثر صحة, هذا مفهوم خاطئ, لأن الوزن العالي سبب لأمراض عديدة, ووبيلة, وخطيرة, فكلما قل وزن الإنسان, كان أكثر صحة.

فلو أن الإنسان توهم أن زيادة الوزن دليل الصحة, فهو واهم, ويحتاج إلى تصحيح في فهمه, لو توهم إنسان أن الملح الشديد في الطعام يخفض الضغط, يحتاج إلى تصحيح مفاهيم.

الآن: لندخل في موضوع درسنا: يقول لك إنسان: فلان دين, تقول له: ما الدليل؟ يقول لك: يصلي, يقول: لا, الصلاة شرط لازم غير كاف, فلان دين, ما الدليل؟ يحج بيت الله الحرم, نقول: لا, الحج شرط لازم غير كاف, يؤدي زكاة ماله, لا, تأدية الزكاة شرط لازم غير كاف, لا بد من تصحيح المفاهيم, لأن الإنسان إذا عرف الحقيقة, تحرك حركة صحيحة, أما إذا أخطأ في مفوماته, انحرف في سلوكه, فأى خطأ في التصور, يتبعه خطأ في السلوك, أي خطأ في التصور, يتبعه خطأ في السلوك.

أيها الأخوة، سأضع بين أيديكم حديثاً شريفاً صحيحاً، ورد في البخاري، وهذا الحديث، والله الذي لا إله إلا هو: لو عقلناه، وفهمنا أبعاده، لكننا في حال غير هذا الحال.

النبى عليه الصلاة والسلام بأسلوبه التربوي، بأسلوب السؤال والجواب، بأسلوب الحوار، سأل أصحابه مرة، فقال لهم:

((أتدرون من المفلس؟))

-أكثركم تجار، يعني لا توجد حالة أصعب للتاجر من أن يفلس، أن يعلن إفلاسه-.

فقالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع،

-فقد رأس ماله، وعليه ديون، وعليه ضغط شديد، وفضح بين التجار، وكشفت حساباته، وبارت بضاعته، وكثر طالبوه، هذا هو المفلس-.

فقال عليه الصلاة والسلام-

وهذا الحديث من أحاديث تصحيح المفاهيم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لعله أدرك ببعده نظره، أو لعل الله أوحى إليه أنه سيأتي على الناس زمان، يتوهمون أن كل من أدى الصلوات الخمس كان ديناً-.

فقال عليه الصلاة والسلام: المفلس فينا، المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة،

- مفلس سينتهي إلى النار-

، ويأتي يوم القيامة بصلاة، وبصيام، وبزكاة،

-دققوا في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة التوبة الآية:80]

منهم, كفروا:

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

[سورة التوبة الآية:54]

وصفهم الله عز وجل بالكفر, وأثبت لهم الصلاة, والإنفاق.-.

المفلس من أممي يأتي يوم القيامة بصلاة, وصيام, وزكاة.

-من هنا قلت في مطلع الدرس: الصلاة شرط لازم غير كاف, والصلاة شرط غير كاف, والحج شرط لازم غير كاف, والعمرة شرط لازم غير كاف.-.

((ويأتي وقد شتم هذا, وأكل مال هذا, وسفك دم هذا, وضرب هذا, فيعطى هذا من حسناته, وهذا من حسناته, فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه, أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))

ما قولكم: هل تنفع الصلاة مع أكل مال الحرام؟ لا والله, هل ينفع الحج مع شتم الناس والطعن بهم؟ هل تنفع الزكاة مع إيقاع النميمة بينهم؟ إيقاع العداوة والبغضاء؟.

لو تتبعت سلوك المسلمين؛ كذب, غيبة, نميمة, أكل مال حرام, علاقات غير شرعية, لقاءات غير منتظمة, اختلاط, نزعات, يجلسون في أماكن توزع فيها الخمور, ينظرون إلى بعضهم بعضاً وهم عرايا, من ثياب الحشمة والفضيلة.

هذه هي رسالة الإسلام كما بينها جعفر :

أيها الأخوة، فهؤلاء المسلمون الذين فهموا أن الدين صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، هؤلاء فهموا الدين فهماً خاطئاً، كذلك لا بد من أن نرجع إلى فهم سيدنا جعفر بن أبي طالب، لما سأله النجاشي: حدثنا عن هذا الدين، قال:

((كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيدِهِ، ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن، وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة في صحيحه]

أخرج من هذا الوهم :

أيها الأخوة، أتمنى على أخوتنا الحاضرين، ألا يتوهم لثانية واحدة: أنه إذا أدى الصلوات الخمس كان ديناً، إذا صام رمضان كان ديناً، أنه إذا أدى زكاة ماله كان ديناً، أنه إذا حج إلى بيت الله الحرام كان ديناً. نقول: هذه عبادات مفروضة يجب أن تؤدي، ولكنها مجتمعة شرط لازم غير كاف، لا بد من التعامل بالدرهم والدينار.

قال:

((يا هذا، ائتن بمن يعرفك، -سيدنا عمر لرجل، يحتاج إلى شاهد معرف-، فجاءه برجل، قال: أتعرفه؟ قال: أعرفه، قال: هل سافرت معه؟ قال: لا، هل حاككته بالدرهم والدينار؟ قال: لا، قال: هل جاورته؟ قال: لا، قال له: أنت لا تعرفه، ائتن بمن يعرفك، أنت لا تعرفه))

معنى ذلك: لا ينبغي أن نتوهم أننا إذا صلينا الصلوات الخمس كنا دينين، أننا إذا صمنا رمضان كنا دينين، أننا إذا حججنا بيت الله الحرام كنا مسلمين، أننا إذا أدىنا زكاة مالنا انتهى كل شيء، دينك يظهر في بيعك وشرائك، دينك يظهر في كلامك.

((كفى بها خيانة أن تحدث أخاك بحديث, هو لك به مصدق وأنت به له كاذب))

رجل ممن صحب رسول الله ﷺ, باع بيعة خلاف منهج رسل الله, وخلاف أمر النبي, فقالت السيدة عائشة:

((قولوا له: أنه أبطل جهاده مع رسول الله))

صدقوني أيها الأخوة, هناك أعمال يفعلها الناس, بإمكانك أن تقول لأحدهم: ضع صلاتك, وصيامك, وحجك, وزكاتك في الحاوية, الإنسان حينما يكذب, خرج من الإيمان, حينما يغش الناس, حينما يخادعهم, حينما يأكل أموالهم بغير حق, حينما يوقع بينهم العداوة والبغضاء, حينما يقسو قلبه, أليس هناك أناس كثيرون يحرمون بناتهم من الإرث؟ قد تعبد الله ستين عاماً, ثم تحرم المستحق من إرثك.

قال عليه الصلاة والسلام:

((فتجب له النار))

الدين منهج, الدين منهج, يبدأ في علاقتك مع جسمك, في علاقتك مع زوجتك, مع أولادك, مع زبائنك, في بيعك, في شرائك, في لهوك, في سفرك, في حصرك, في إقامتك.

ما وراء هذه النقطة :

من الحج إلى ألمانيا, يوجد معرض ضخم قبل شهر, مساء إلى أين؟ إلى النوادي, أين يوجد شارع, أين يوجد ملاه, أين توجد نوادي ليلية, من الحج إلى ألمانيا, بحضور معرض, لهدف تجاري, هذا المعرض فهمناه, وهذا الذي يجري مساء, كيف تغطيه أيها الحاج الكريم؟ لذلك: حينما يفسق الإنسان, لا يقيم له الله وزناً؛ لا هو, ولا لصلاته, ولا لحجه, ولا لذكاته:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر, لم يزد من الله إلا بعداً))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عبد الله بن عباس]

((من لم يدع قول الزور والعمل به, فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما عن أبي هريرة]

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:53]

لبيك اللهم لبيك, يقال له:

((لا لبيك ولا سعديك, وحجك مردود عليك))

هذا ما نحتاج إليه :

نحتاج إلى تصحيح المفاهيم, آلاف الأشخاص يقول لك: فلان دين, لكنه يكذب, لا, ليس ديناً, لعلك رأيته يصلي, ليست الصلاة مؤشراً دقيقاً على أنه دين, هذه حركات وسكنات, يؤديها كل إنسان, بل إنه يتوهم أنه ديناً:

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾

[سورة البقرة الآية:80]

اليهود:

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:111]

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 111]

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 81]

((يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله، أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالكم وتأتوني بأنسابكم، من يبطن به عمله، لم يسرع به نسبه))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أمي أمتي، فيقول الله له، أو فيقال له: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك؟ يقول: سحقاً سحقاً))

هذا ما أردته :

أردت من هذا الدرس، ومن هذا الحديث الخطير، هذا حديث خطير جداً:

((أتدرون من المفلس؟ قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم ولا دينار، فقال عليه الصلاة والسلام: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، وقد شتم هذا، وقذف هذا))

ثمانية آلاف دعوى بقصر العدل كيدية، أكثر المدعي مسلمون، والمدعى عليهم مسلمون، هناك طرف على باطل.

فالعبرة أيها الأخوة: في الطاعة.

احفظ هذه الأحاديث :

((ركعتان من ورع، خير من ألف ركعة من مخلط))

((من لم يكن له ورع يصدده عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيء من عمله))

قالوا:

((المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع, قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة, وصيام, وزكاة, وقد شتم هذا, وقذف هذا, وأكل مال هذا, وسفك دم هذا, وضرب هذا, فيقضى هذا من حسناته, وهذا من حسناته, فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه, أخذ من خطاياهم فطرحته عليه, ثم طرح في النار))

هذا الحديث حديث صحيح المفاهيم.

((يا رسول الله, إن فلانة نكر من كثرة صلاتها, وصيامها, غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها, قال: هي في النار))

[أخرجه البزار في مسنده والإمام أحمد في مسنده, وابن حبان في صحيحه, والحاكم في مستدركه]

متى تنعقد الصلوة مع الله؟ :

((لا يدخل الجنة نام))

صدقوني, أن معظم كلام الناس من النسيمة؛ في لقاءاتهم, في ولائهم, في نزواتهم, في سهراتهم, فلان قال عنك كذا, يشتمه, ينقل عنك شتمك, وهو يصلي, وهو يصوم, والنام لا يدخل الجنة, لذلك: لا تنعقد الصلوة بالله؛ إلا إذا استنقمت على أمره, إلا إذا اصطلحت معه, إلا إذا تبت إليه توبة نصوحة.

((إذا تاب العبد توبة, توبة نصوحة, أنسى الله حافظيه, والملائكة, وبقاع الأرض خطاياهم وذنوبه))

هذا ما ينتظر إن لم تبادر إلى العمل الصالح :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة, فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟.

-يعني: إنسان أراد الدنيا؛ أراد مالها, أراد نساءها, أراد بيوتها, أراد مزارعها, أراد متعتها, أراد مباهاجها, ماذا ينتظره من الدنيا؟ عاش أربعين, خمسين, ستين, خمساً وستين, سبعين, خمساً وسبعين, ماذا ينتظره؟.

يقول عليه الصلاة والسلام:- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، -كم إنسان كان غنياً افتقر؟- أو غنى مطغياً، - وهل تصدقون: أن الغنى أحياناً من أكبر المصائب، كان فقيراً مستقيماً، فلما اغتنى انحرف، سبب انحرافه المال الذي بين يديه، هذا المال سماه النبي مصيبة-
هل تنتظرون فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، -كم مرض مفسد يفسد على الإنسان حياته؟ كم مرض عضال يجعل حياته جحيماً لا يطاق؟ من منا يضمن أن يعيش سليماً إلى ساعة؟.
ألم يقل النبي:

((اللهم إني أعوذ بك من فجأة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، أعوذ بك أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى))

لذلك أيها الأخوة:- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً؟))

احذر أن يكون نهاية عمرك هذا :

أيها الأخوة، فالإنسان إن لم يمض شبابه في طاعة الله، ينتظره عمر لا يدري كيف يكون؟:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل الآية:70]

قف عند هذه القصص :

كان في إنسان، يعني يعمل في الطب، -قصة قديمة من سبعين، ثمانين سنة-، لا يخرج من بيته إلا بشرطين، ليرة ذهبية وعربية، قلب كالحجر، جمع ثروة طائلة، أشاد بناء، يعد الأول في دمشق، في أحد أحياء دمشق الراقية، مطل على الشام، حجر مزخرف منحوت، ثم أصيب بفالج، زوجته ضاقت به ذرعا، وضعت في قبو، ترسل له من حين إلى آخر طعامه، هو يسأل: أين فلانة الصانعة؟.

لا تأتي، مرة جاءته، وشتمته، وبالغت في القسوة، وبعد حين نقلته إلى بيت بعيد عن البيت، هو الذي أنشأ البناء.

يعني: من منا يضمن شيخوخته؟.

كان أحد العلماء الكبار في الشام، كان عمره ستة وتسعين عاماً، وكان منتصب القامة، حاد البصر، مرهف

الأذن, قوي الذاكرة, فكان تلاميذه يقولون له:

((يا سيدي ما هذه الصحة التي أكرمك الله بها؟ كان يقول: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر, من عاش تقياً عاش قوياً, ومن تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت))

أما لي صديق يقول لي, له أم وضعها على يعني ديوان, وربط يديها ورجليها, قلت: لماذا؟ قال: لو أطلقت يداها, لخلعت ثيابها, وأكلت غائطها:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل الآية:70]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة, فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؛ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً, أو عنى مطغياً, أو مرضاً مفسداً, أو هروماً مفنداً, أو موتاً مجهزاً, أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟))

خاتمة القول :

أيها الأخوة, من تصحيح المفاهيم هذه الأحاديث؛ الدين الذي يقف عند الحلال والحرام, الدين الذي يأخذ ماله ويدع ما ليس له, الدين هو الذي يجده الله حيث أمره ويفتقده حيث نهاه, الدين هو الورع, الدين الذي لا يخرج عن منهج الله, أما الصلاة, والصوم, والحج, والزكاة, هذه فرائض, إلا أنها شرط لازم عير كاف, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وجزى الله عنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أهله, وجزى عنا أستاذنا الجليل ما أهله, والحمد لله رب العالمين, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-12} : نماذج بشرية سلبية يحذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-06-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ماذا يعالج هذا الحديث؟ وماذا يعنيك من هذا الحديث؟ :

أيها الأخوة الكرام، عن أسماء بنت عميس قالت:

((سمعت رسول الله ﷺ يقول: بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدى والمنتهى، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضلّه، بئس العبد عبد رغب يذله))

قال أبو عيسى:

((هذا حديث حسن وغريب، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه))

رواه الإمام الترمذي في سننه.

هذا الحديث يُعالج نماذج بشرية، يعاني منها المجتمع الإسلامي؛ أولاً: الإنسان يتمنى أن يكون عبداً صالحاً، لا أن يكون عبداً سيئاً، المؤمن يتمنى سلامته، يتمنى تقواه، يتمنى نجاحه، يتمنى سعادته، يتمنى أن يكون نعم العبد، لا بئس العبد.

فالنبي عليه الصلاة والسلام، التوجيه نوعين؛ في توجيه إيجابي، في توجيه سلبي، قد يصف لك العبد الصالح، هذا توجيه إيجابي، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بالذات، اختار التوجيه السلبي. يعنيك هذه النماذج ابتعد عنها قدر الإمكان، إنها نماذج لا ترضي الله عز وجل، إن صاحبها هالك في الدنيا، إن

صاحبها شقي في الدنيا, إن صاحبها خسر الدنيا والآخرة.

لم استحق العبد هذا الفعل (بئس)؟ :

أيها الأخوة,

((بئس العبد عبد تخيل واختال))

قد يأتيه الله مالاً، يتخيل أنه قوي بماله, مع أن هناك آلاف المصائب, لا ينفع معها المال, هناك آلاف المصائب لا ينفع معها المال.

((بئس العبد عبد تخيل واختال))

في الحقيقة: قمة النجاح؛ النجاح المالي, أو النجاح العلمي, أو النجاح الاجتماعي, هذا النجاح:

تصوروا قمة جبل, والطريق إلى هذا النجاح وعرة شاقة, إلا أنك إذا وصلت إلى القمة, هناك طرق ثقيلة, توصلك إلى القاع بلمح البصر, شخص بلغ نجاحاً مالياً, تخيل واختال؛ أنه قوي, وأن الدراهم مراهم, وأنه بالمال يفعل كل شيء, وأنه بالمال يخضع له كل شيء, وأنه بالمال يلين له الحديد, تخيل أن المال شيء ثمين, وهو في الحقيقة شيء أقل من الثمين, بل شيء تافه.

((بئس العبد عبد تخيل واختال.

–نسي الغني, نسي القوي, نسي الجبار الأعلى, نسي العادل, نسي الإله, نسي الذي يفعل ما يريد, نسي

الذي إذا بطش, بطش بطشة جبارة:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾

[سورة البروج الآية:13]

أيها الأخوة، أحياناً الإنسان: يتوهم، تخيل، ما اعتقد، أحياناً: يكون بمنصب، يتخيل حاله فوق البشر-.

ونسي الكبير المتعال))

أخطر شيء في حياة الإنسان: أنه لا يدخل بحساباته خالق الكون؛ قد يظلم، قد يعتدي، قد يتجاوز، قد يأخذ ما ليس له، قد يفتخر، قد يستعلي، قد يتغطرس، قد يتجبر.

((بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال))

ودائماً: ربنا ﷻ يعاقب المتكبرين بعذاب مهين، يعاقب المتكبرين بعذاب مهين، والعذاب المهين: مرض النفس مرضاً أليماً.

لم عوقب هذا الشخص أمام الناس، وبماذا يتميز المؤمن، وما العبرة التي تأخذها من هذه القصة؟ :

أنا مرة في إحدى تقاطعات الطرق، إنسان يرتدي ثياب أنيقة جداً، أذكر بدلة كحلي، أزراها صفر، على بنطال رمادي، وأنيق، مستوى رفيع، فمشى خارج الخطوط المسموح بها، جاء لعنده شرطي، نهاه ما ارتدع، جاءه ضابط، يعني ضربه ضرباً على وجهه أمام الناس جميعاً، أنا قلت: والله هذا الإنسان، ولا بخمسين سنة ينتهي الموقف، أحياناً في عذاب مهين، فإذا الإنسان تأدب مع الله، رفعه الله.

((من تواضع لله رفعه))

المؤمن له من هذه الآية نصيب:

﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية:48]

المؤمن كريم عند الله، المؤمن يحفظه الله، المؤمن يستره الله، المؤمن يدافع الله عنه، المؤمن لا يسمح لأحد أن يتجاوز حده معه.

سألني شخص منذ أيام: أحياناً يدخل موظف للمحل, يركب المحل كله, قلت له حقيقة, صدقوني أن هذا ما أعتقده: إذا دخل لعندك بالنهار مئة زبون, وكل زبون أثناء المبيع خشيت الله, لم تغشه, ولم تكذب عليه, ولم توهمه, ولم تبتز ماله, ولم تخف عليه العيب, وكننت مخلصاً له, والله عز وجل أكرم وأجل أن يخيفك من إنسان, ما دمت قد خفت الله فيما بينك وبينه, وأنت تبيع وتشتري, لن يخيفك من إنسان, أما إذا دخل زبون, اعتبرته غبي, لبسته بضاعة سيئة, اعتبرته جاهل, رفعت السعر, شعرت بحاجة لهذه الحاجة, تحكمت فيه, لم تخش الله فيما بينك وبين هذا الإنسان, يدخل إنسان يخوفك, يدخل إنسان يجعل نومك تعيساً, فالإنسان إذا خاف الله, خافه كل شيء, وإن لم يخف الله, أخافه الله من كل شيء:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: 81]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: 82]

يعني: أنت إذا كان دخل إنسان لمحرك, لا يوجد أحد, لا يوجد موظف يحاسبك على البيع والشراء؛ خفت من الله أن تكذب عليه, خفت من الله أن تغشه, خفت من الله أن تخفي عليه عيباً, خفت من الله أن تبتز ماله, خفت من الله أن تستغل جهالته, خفت من الله أن تستعلي عليه, ما دمت خائفاً من الله لن يخيفك الله من أحد سواه؛ لذلك الدعاء الشريف:

((اللهم إني أعوذ بك من الخوف إلا منك, ومن الذل إلا لك, ومن الافتقار إلا إليك, نعوذ بك من عصال الداء, ومن شماتة الأعداء, ومن السلب بعد العطاء))

((بئس العبد عبد تخيل واختال .

-تخيل: يعني توهم, تخيل: أي توهم-.

ونسى الكبير المتعال))

دخل بحساباته أن الله موجود, والله حسيب, والله رقيب, والله فعال لما يريد, والله بطاش أحياناً, وصحتك بيده, وقلبك بيده, وكبدك بيده, وشرابين قلبك بيده, والدسامات بيده, وخلايا الدماغ بيده, وزوجتك بيده, وأودلاك بيده, ومن فوقك بيده, ومن تحتك بيده, وإذا رضي الله عنه, أرضى عنك الناس جميعاً, وإذا سخط عليك, أسخط الناس عليك جميعاً.

تذكر, أدخل في حساباتك أن الله موجود.

النبي الكريم كان يطوف في المدينة, فسمع أحد أصحابه يضرب غلاماً له, قال:

((اعلم أبا ذر! أن الله أقدر منك عليه))

أيها الأخوة, الإنسان يظل بخير, ما لم يعتد على أخوانه, على أصحابه, على بني جنسه, على أي مخلوق, العدوان شديد.

يعني: في إنسان عنده هر في البيت, فضجر منه, أمسكه من ذيله, وألقاه من الطابق السابع فنزل ميتاً, مباشرة فقد توازنه إلى نهاية عمره, فقد توازنه إلى نهاية عمره, لا يمكن أن يمشي إلا بين شخصين, جهاز بسيط جداً في الأذن الداخلية, اسمه: جهاز التوازن, هذا الجهاز عبارة عن ثلاث قنوات, هذه القنوات فيها سائل إلى نصفها, وعند السائل هناك أشعار حساسة جداً, فالإنسان إذا لم ينم, السائل باعتبار سائل, يبقى مستوياً, فيرتفع إلى جانب دون جانب, يمس الأشعار, الإنسان يعدل موقفه, راكب دراجة, لولا هذا الجهاز, لا يستطيع أن يركبها ولا دقيقة, التوازن مستمر.

العوام يقولون:

((عرج الجمل من كتفه))

هي من أذنه يعرج, فهذا الجهاز, إذا اختل الإنسان لا يستطيع أن يمشي إطلاقاً, يقع, إذا التهابت أذنه الداخلية, لاحظ يمشي يباعد بين رجليه, يوسع قاعدة استناده.

إذا الإنسان معه التهاب بالأذن الداخلية, يمشي ويباعد بين رجليه, حتى يوسع دائرة استناده, فإنسان اعتدى على هر, الله عز وجل عطل له جهاز التوازن, فأنت خف من الله.

((دخلت امرأة النار في هرة حبستها, لا هي أطعمتها, ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

احذر من أن تكون مثل هذا العبد :

((بئس العبد عبد تجبر واعتدى.

-في صاحب أضخم معمل حلويات في لبنان, كان يصدر كل يوم طائرة, طائرة شحن محملة بحلوياته إلى الحجاز, كان له محل في ساحة البرج, اثنا عشر طابقاً, وقسم له أداة مشهور جداً, دخل إلى معمله, لم يعجبه عرك عجينة المعمول, فوضع العجينة في الأرض, وعركها بقدميه وبجذائه, فقال له الموظف: يا سيدي بالحذاء؟ يعني: معقول؟! قال له: الناس يأكلون من تحت قدمي, ثلاثون يوماً, قطعت رجلاه من ركبتيه, والآن مقيم في لندن بلا أرجل.-

ونسي الجبار الأعلى))

قال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

يوجد مليون قصة, كل قصة أوضح من أختها, وأصدق من أختها.

((فبئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى))

استضعف إنسان وهي مقطوعة, ليس لها أحد, أعجبتة, مقطوعة ليس لها أحد, تجبر عليها, إما أن تكتبي لي البيت أو أطلقك, فكتبت له البيت وطلقها, كتبت له البيت وطلقها بعد ذلك, لأنه ليس لها أحد.

((نسي الجبار الأعلى))

كلما كان إيمانك كبير, تلحظ رب العالمين, لأنه هو الخالق, هو الرب, بيده كل شيء, فعلامة إيمانك: خوفك من الله.

النبي قال:

((رأس الحكمة مخافة الله))

يعني: الحكمة لها أيدي, ولها أرجل, ولها رأس, أخطر شيء: رأسها.

((رأس الحكمة مخافة الله))

((بئس العبد عبد تجبر واعتدى))

قصة لها أثرها :

أنا قلت لكم من فترة: إنسانة تعمل في المحاماة, واشترى مع أخيها بيتاً, اشترته بخمسمئة ألف, صار ثمنه ثمانية عشر مليوناً, طبعاً: هي محامية, قادرة أن تتكر على أخيها تملك البيت, دفع لها نصف ثمن البيت بالتمام والكمال, فلما أصبح ثمن البيت ثمانية عشر مليوناً, طمعت أن تستأثر به, وأن تخرج أباها من هذا البيت, عرضت عليه مليون واحد, إن لم يأخذه, أخرجته من البيت بلا شيء, مع أنه دفع نصف ثمن البيت بالتمام والكمال, وابن الأخ من أخواننا, وأنا تابعت القصة يوماً بيوم, رفض الأخ, لأنه دفع نصف البيت, وعنده أربعة عشر طفل, عنده أربعة عشر ولد, وهي أخته عانس, لما رفض, بأسلوب نكي جداً عملت عقد إيجار وهمي مع إنسان قوي, وأخرجه من البيت, ونصف أولاده عند بيت الجدة, والنصف عند بيت الست, والأثاث بالمستودعات, والوضع, والأسرة تشردت, وأصابها مصيبة كبيرة جداً, هي تملك البيت بالتمام والكمال, لأن أباها نسي يأخذ منها وصل بالمبلغ, أخته, لم يخطر في باله.

يقول لي ابن أخيها بعد شهر: والله -وهو من أخواننا في المسجد-، عمتي معها سرطان بالأمعاء، قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، قلت: السرطان عادة سنتين، بعد شهر آخر، قال: عمتي ماتت، هل يمكن أن تلقي كلمة في تعزيتها؟ وذهبت إلى البيت نفسه، وألقيت كلمة في تعزيتها وذهبت.

الذي تملكه أخواها، وريثها الوحيد، وعاد إلى البيت، ولعنها الله، والملائكة، والناس أجمعون، فقط، انظر:

((بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى))

قبل أن تأكل مالا ليس لك، قبل أن تحتال على إنسان، قبل أن تغش إنسان، قبل أن تستضعف إنسان، قبل أن تبتز إنسان، قبل أن تعتبر إنسان غبي، لبسناه الشغلة، قبل أن عد للمليون، لأنه في جبار أعلى وبطاش:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

فكلما خفت من الله أكثر، تكون أعدل؛ أعدل، وأذكى، وأفهم، وقله العقل: أن تخاف الله أشد الخوف.

هكذا كان المسلمون الأوائل :

قال:

((والله لو تعثرت بغلة في العراق، لحاسبني الله عنها، لم لم تفسح لها الطريق يا عمر؟))

هكذا المسلمون كانوا.

سيدنا ابن عمر امتحن راعي، قال له:

((بغني هذه الشاة، قال له: ليست لي، قال له: بغني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له: ليست لي، قال له: قل لصاحبها ماتت، قال له: ليست لي، قال له: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب لصدقتي، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله!))

كل إيمانك منته أن تقول: أين الله؟.

قصاب يعلم أن الله يراقبه :

أنا مرة كنت عند قصاب, جاءه طفل صغير, قال له: نريد وقية شهبائية, نظرت في وصل للشهبائية, نظفها, ووضعها في الماكينة, أرجعها لهم كبة, يظهر مريض, يلزمه شهبائية, وهذه الشهبائية نادرة, تكون وسط الموزات, قطعة صغيرة, كلها نصف أوقية, لما رأيته باع هذا الطفل الصغير الشهبائية, ونظفها, وعرقها, ووضعها في الماكينة, قلت: والله هذا مؤمن, يعني: ممكن يضع له شخت لا يشعر عليه, شخت, طفل لا يفهم.

فأنت لما تراقب الله عز وجل, معنى نجحت, راقب الله بكل حركة, بكل كلمة.

((بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى))

الله بطاش.

هذا عبد ساه لاه :

((بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى))

كنا مرة بجلب, أحد أخواننا الكرام قال لي: يوجد عندنا حي في حلب, أرقى من المالكي الذي في الشام, ما هذا الكلام؟ تفضل, فعلاً شيء غير معقول, هذه الفيلة على النمط الصيني, هذه الفيلة على النمط الروماني, مهندسون من أوروبا, عملوا الفيلة, النتيجة: لفت نظري فيلة على النمط الصيني, لكن شيء لا يصدق, جمالها أخذ, قال: هذه تكلفتها سنة السبعين خمسة ملايين رخام فيها, كان الدولار ثلاث وثمانون, كان فيها خمسة ملايين رخام أونيكس شفاف, تكلفتها خمسة وثلاثون مليون, صاحب هذه الفيلة عمره اثنتان وأربعون سنة مات, وكان طويل القامة, ولحكمة بالغة: اشتروا له قبراً قصيراً قليلاً, ملمم القبر, فلما وضعوه في القبر, لم يكف, فجاء الحفار دفعه من صدره, فصار رأسه هكذا

هذا الذي عنده فيلة خمسة وثلاثون مليون, سنة السبعين, أثناء كان البيت في الشام بمئة ألف, بمئتي ألف, بثلاثمئة ألف, بيت راق جداً, كان ثمنها خمسة وثلاثون مليون.

((بئس العبد عبد - هذا ما تجبر, لكن - سها ولها.

-يعني: مسبح, وحمام, يعطي ماء قوي, له قفل, ما اسمه هذا ومسبح, وفيلة, وسيران, هذا يعيش للبط, لكن ليس له هم ثان, يريد أن ينبسط-.

ونسى المبتدى والمنتهى))

المنتهى القبر, في قبر خمس نجوم, لا يوجد شيء.

هذا ما قلته لإنسان :

قلت لواحد: إذا كان إنسان عظيم جداً, يعني أرقى من خمس نجوم, أين يقع؟ قلت له: بالنجوم الظهر, يفرجوه نجوم الظهر, هذه فوق خمس نجوم, في قبر يعني رخام, باب صغير.

اطلع بالجنابة, لك أجر, وفي موعظة كبيرة, انظر: يفتحون النعش, وضعوا الميت, يرفعونه, ينزلونه في القبر, بعد ذلك: يضعون البلاطة, يضعون كم حجرة بالمجرفة, ينزلونه التراب, أكثر من كيلين تراب الذي فوق رأسه, يكون قبل يوم؛ شرفه أميركي, وحرامه موهير من فرنسا, والسجاد إيراني, وشيء جميل جداً بيته, ينتقل من بيت ثمنه خمسون مليون, أساسه خمسة ملايين إلى قبر بباب صغير, هذه حقيقة لما وهم.

في شخص منا سينفذ من القبر, إذا شخص ينفذ قولوا.

((بئس العبد عبد سها ولها ونسى المبتدى والمنتهى))

المبتدع خرج من عورة, ودخل إلى عورة, وخرج من عورة, وأصله من ماء مهين, يعني ماء محتقر.

لو إنسان هذا الماء كان على ثيابه, يستحي فيه, إذا نيهوه يستحي فيه جداً, هذا ماء مهين, فأصله من ماء مهين, ونهايته إلى القبر, إلى التراب.

((بئس العبد عبد سها ولها ونسي المبتدى والمنتهى, بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين))

هذا إنسان مخادع, يقول لك: يا أخي, الله عز وجل قال:

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾

[سورة آل عمران الآية:130]

هو النهي عن أضعاف مضاعفة فقط, أما بالمئة خمسة معقول جداً, ما في مشكلة أبداً, يغسل الدنيا بالدين, يريد أن يصل للدنيا من خلال الدين؛ مسيح مختلط, مختلط, يعمل مولد, يأتي بكم داعية, بعض أهل العلم, ويثنون عليه, يقول لك: جاء الدكتور فلان, وجاء فلان, وألقوا كلمات, لست مطبقاً شيئاً من الدين, لكن أنت ما الذي استفدته؟.

يعني: صار في عقد قران الشيراتون, ودعوا علماء كثيرين, ألقوا كلمات, وأثنوا على الأُسرتين العريقتين الطاهرتين, شيء جميل, بعد يومين عرس النساء بالشيراتون؛ جاءت الراقصات, ووزع الخمر, وكانت النساء كاسيات عاريات, وعلى البطاقة: الطيبون للطيبات.

((بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين))

يعني: الدين مثل شخص ينقصه وردة في صدره, يريد هكذا يعمل مولد, هكذا يدعي كم إنسان, يلقون كلمات لا ينفعوا.

ماذا تستفيد من هذه الفقرة؟ :

كان يجلس إلى جانب رسول الله ﷺ, إلى جانبه رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول, إلى جانبه, كتفاً بكتف, فلما توفي, طلب قميص رسول الله ﷺ, قال لهم:

((أعطوه قميصي, والآن: استقر في جهنم حجر, كان يهوي به سبعين خريفاً))

في شخص سمح له أن يجلس جانب رسول الله ﷺ, كتف بكتف, كتف بكتف, ليس شخص ثاني, وحينما توفي, كفن بقميص رسول الله ﷺ, وقال عنه النبي ﷺ:

((الآن استقر في جهنم حجر, كان يهوي به سبعين خريفاً))

فهذه البروزة لا تفيد, مكان توجيهه, له كرسي خاص, له اعتبار خاص, لا يعمل شيئاً, قيمتك عند الله بعملك الصالح.

هذا هو العبد الذي يختل الدين بالشهوات :

((بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين, بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات))

يلحق الشبهات, هذه التي ليس عليها زكاة.

الآن: عند الإمام أحمد, حسناً, وهذه عند الإمام مالك, يتقصى, أين يوجد رخص يتبعها, فكل المذاهب, وهنا في فتوى شيخ الأزهر أفتى, يقول لك: نحن إن شاء الله بركبته, ليس لنا شأن.

قال لي شخص, شريك بمطعم ضخم, يقدم مشروبات, ليست روحية خطأ روحية؛ يعني: مشروبات روحية, وقيم روحية, و... هذه مشكلة, مشروبات كحولية, ليست روحية, مشروبات كحولية يقدم.

قال لي: إن شاء الله برقبة شريكي, أنا ليس لي دخل, تمد يدك تأخذ نصف مليون ربح آخر السنة, هذه برقبة شريكك ليست واردة, أنت شريك بالإنتم, هذا ربحك يأتي في بيع الخمر, فنقول: بركبته إن شاء الله, تبقى في رقبته العملية.

((بئس العبد يختل الدنيا بالدين, بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات))

يعني: دائماً يحاول أن هذه السجادة يبيعها مثلاً بعشرة آلاف, الذي اشتراها الآن يبيعها إياها دنيا بعشرة آلاف, تبيني إياها؟ نعم, بثمانية آلاف نقداً, أعطاه ثمانية آلاف, أخي ماذا عملنا؟ بعنا واشترينا, باع السجادة ديناً بعشرة آلاف, ثم اشتراها نقداً بثمانية آلاف, عملية ربوية محضة, هذه ماذا يفعل؟ يغسل الدين بالشبهات, يعمل

أعمال بظاهرها شرعي، أما بالباطل عملية ربوية.

خاتمة القول عن شرح هذا الحديث :

((بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضلّه، بئس العبد عبد رغب يذله))

هوى يضلّه، وطمع يقوده، ورغب يذله، والطمع أذل رقاب الرجال. الإنسان إذا طمع يصغر.

قال:

((احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره))

أي إنسان استغنى عنه، أنت صرت ندأ له، يلزمك شيء؟ لا، شكراً، قال لي: أبدأ ممنون، قد يكون معه مئة مليون، أنت ما معك غير معاشك، لما استغنيت عنه صرت ندأ له، أما إذا احتجته صرت أسيراً له.

إن أحسنت إليه كنت أميره، استغن عن الرجل تكن نظيره، أحسن إليه تكن أميره، احتج إليه تكن أسيره.

فهذا الإنسان:

((بئس العبد عبد طمع يقوده))

لا يطمع، يطمع بفضل الله.

قال: قال له خليفة من الخلفاء الكبار لرجل، لأحد العلماء الإمام مالك، قال له:

((سلني حاجتك، قال له: والله أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فالتقى فيه خارج الحرم، قال له: سلني

حاجتك، قال له: والله ما سألتها من يملكها، أفأسألها من لا يملكها؟ قال له: سلني حاجتك، قال له: أدخلني

الجنة، قال له: هذه ليست بيدي، قال له: إذا: ليس لي عندك حاجة))

رأيت العفة, كيف هذه العفة, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وجزى الله عنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أهله, وجزى عنا أستاذنا الجليل ما أهله, والحمد لله رب العالمين, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-13} : المتاع يمكنك أن توظفه في الحق ويمكنك أن توظفه خلاف ذلك

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 1996-06-29

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

كيف نوفق بين هذا الحديث الشريف: تجب الزكاة في القمح وبين هذه المحاصيل الزراعية:

أيها الأخوة المؤمنون، حديث شريف ورد في صحيح البخاري، يمكن أن نفهمه فهماً ضيقاً، ولكن لا بد من مقدمة:

قال عليه الصلاة والسلام:

((تجب الزكاة في القمح والشعير والتمر والزبيب))

الذي عنده مزرعة تفاح، أليس عليه زكاة؟ مزرعة فريز، الذي عنده بساتين، تنتج أنواع الفواكه، يضمنها بمئات الألوف، أليس عليه زكاة؟ .

كيف نوفق بين هذا الحديث الشريف، وهو قول النبي ﷺ:

((تجب الزكاة في القمح والشعير والتمر والزبيب))

مع أنها في الواقع، تجب في كل ما أنتجته الأرض.

العلماء قالوا:

((لو أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر أنواعاً من المحاصيل الزراعية، لم تكن في عهده، الصحابة لا يفهمون شيئاً))

يعني مثلاً: الله عز وجل حرم الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، حرم لحم الخنزير، والدم، والميت، أما الهيريين، لم يرد في القرآن الكريم، هل هو محرم؟ لو أن النبي ذكر الهيريين، لا يفهمون شيئاً، كيف يُحرم الآن؟ بالقياس، قال تعالى:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

[سورة الأعراف الآية:157]

هذا هو الدليل العام.

العلماء قالوا:

((تجب الزكاة في علتها لا في عينها))

ألم يقل النبي:

((تجب الزكاة في القمح والشعير والتمر والزبيب))

قالوا:

((تجب في علتها لا في عينها))

يعني: أي محصول زراعي ذي قيمة، تجب فيه الزكاة؛ الذرة، العدس، الحمص، تجب فيها الزكاة، تجب لا في عينها، بل في علتها، أنها محصول زراعي ثمين.

قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يقض القاضي حين يقضي وهو غضبان))

ما علة هذا النهي؟ أن القاضي الغضبان، يأتي حكمه مضطرباً، ليس في صالح العدل، فإذا كنت غضباناً فلا تقض.

حسناً: قاض ابنه ملتهب بالتهاب سحايا، وبين الموت والحياة، هل يجب عليه أن يقضي؟.

إذاً: الغضب عليه: أنه يسبب اضطراب الحكم، وأي شيء يسبب اضطراب الحكم منهي عنه، لذلك العلماء: حملوا على الغضب ثلاثاً وثلاثين حالة، هذه مقدمة.

حديث اليوم :

أيها الأخوة، أما حديث هذا الدرس: ورد في صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

((الخيـل لرجـل أـجر، ولرجـل سـتر، وعلـى رجـل وـزر.

-الخيـل أـداة الـركوب في عهد النبي ﷺ، الأداة الراقية في دابة.

المعنى الضيق: الخيل؛ علتها أم عينها؟ إذا قلنا: علتها السيارة، ما يشبهها: البيت، التجارة، أي شيء من الأشياء التي تعد قوام الحياة؛ إما أن تكون أجراً، وإما أن تكون سترًا، وإما أن تكون وزراً، هذا درس اليوم.

قال:-: أما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله.

-سخر هذه الخيل، أو تلك المركبة في سبيل الله، لخدمة خلق الله، لخدمة الدعوة إلى الله، لنشر الحق، لترسيخ الفضيلة، لجبر الكثير، خيل تشتريها، وترقى بها في الجنة، أو سيارة، وأما التي تعد سترًا، رجل ربطها تغنيًا وتعففًا، -أراد أن يستخدمها في قضاء حاجاته، أراد أن تكفه عن السؤال، أراد أن تكف أهله عن الوقوف في الطريق، هذه الخيل الثانية كانت سترًا، الأولى أجر، الثانية ستر-، ثم لم ينس حق الله في رقابها، ولا في ظهورها،

فهي لذلك ستر,

ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء, -أي معادة- لأهل الإسلام, فهي على ذلك زور))

هذا الحديث خطير جداً, يمكن أن تستخدم الخيل, هذه عينها, وعلتها السيارة, وما يشبهها: البيت والتجارة؛ يمكن أن تستخدم هذه الأشياء فتكون أجراً, ويمكن أن تستخدمها فتكون سترًا, ويمكن أن تستخدمها فتكون وزراً.

هذا بإمكانك :

أيها الأخوة, فكل إنسان بإمكانه أن يوظف ما عنده في سبيل الحق, بيته, إذا كان البيت كل لقاء تم في هذا البيت, كان فيه ذكر لله, بيت مبارك, توبة انعقدت في هذا البيت, دعوة إلى الله تمت في هذا البيت, لقاء طيب تم في هذا البيت, ذكر لله تم في هذا البيت, إطعام الطعام تم في هذا البيت, أمر بمعروف تم في هذا البيت, جبر لخطر تم في هذا البيت, هذا البيت الذي اشتريته بمالك, يمكن أن يكون سلماً لك إلى الجنة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((الخيال لرجل أجر, ولرجل ستر, وعلى رجل وزر))

المركبة قد توظف في الحق, يمكن أن تنقل بالمركبة طلاب علم, أحياناً: يمكن أن تنقل بالمركبة إنسان مريض, تسعفه ليلاً في الساعة الثانية بعد منتصف الليل, يطرق جارك بابك, أخي أنت عندك سيارة, يمكن أن تأخذ ابني إسعافاً.

فالمركبة إذا وظفتها في الحق, انقلبت إلى أجر, وإذا قضيت بها حاجاتك وحاجات أهلك, انقلبت إلى ستر, أما إذا ركبت بها من لا ترضي الله, وتمت بها علاقة لا ترضي الله, وارثكبت فيها معصية لله, كانت هذه المعصية وزراً على صاحبها.

بيت, الإنسان اشترى بيتاً آوى إليه, آوى أهله, نام في هذا البيت, أكل في هذا البيت, اغتسل في هذا البيت, ارتاح في هذا البيت, نقول: هذا البيت ستر, أما دعا إلى الله في هذا البيت, كل لقاء في هذا البيت, تم فيه ذكر لله عز وجل, صار بيتاً مباركاً, صار هذا البيت سلم إلى الجنة, أما إذا ارتكبت فيه المعاصي والآثام, حفلات الاختلاط,

حفلات المنكر, توبعت فيه البرامج حتى الساعة الخامسة فجراً, وتركنا صلاة الفجر, عندئذ: انقلب هذا البيت إلى وزر.

فالمؤمن بإمكانه أن يستخدم بيته, وأن يستخدم متجره, متجر؛ تنوي من هذه التجارة خدمة المسلمين, تنوي مساعدة الضعفاء والمساكين, تنوي ترسيخ الحق في الناس, هذا المكتب التجاري ينقلب إلى مكان عبادة, ويمكن أن تتخذ مكتباً تجارياً, وتقتات منه, تكفي أهلك ونفسك, صار سترأ, أما إذا بعث بضاعة تخرب الأخلاق, وكيل أفلام فيديو, أرباح من وكيل صحون ليس طائفة مستقبلة للبلاء, صحن مستقبل للبلاء؛ فما كل بضاعة تعد سترأ, ولا كل بضاعة تعد أجراً, من البضائع ما هو وزر .

اقرأ هذا الحديث مرة ثانية :

فيا أيها الأخوة الكرام, نعيد الحديث مرة ثانية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه, أن رسول الله ﷺ قال:

((الخيال لرجل أجر, ولرجل ستر, وعلى رجل وزر, فأما الذي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله, فهي لذلك أجر, ورجل ربطها تغنياً وتعففاً, -تغنياً: ليستغن بها عن الناس, وتعففاً: ليعف بها عن الحرام-, ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها, فهي لذلك ستر, ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء, -أي معاداة- لأهل الإسلام, فهي على ذلك وزر))

اسع إلى أن يكون متاعك سلماً إلى الجنة :

إنسان أسس تجارة مشروعة, إنسان أسس تجارة محرمة, إنسان أسس تجارة لينشر الحق من خلالها, هناك مشاريع تجارية, معظم ريعها يوظف في نشر الحق, ومساعدة الفقراء والمساكين, فما قولكم؟.

هل في الناس جميعاً من ليس له بيت يسكنه؟ هل في معظم أصحاب الدخل المرتفع ليس له مركبة يركبها؟ هل لأكثر الناس ليس له عمل يعمل به؟.

ما قولكم: أن تجعل من مركبتك, ومن بيتك, ومن مكتبك التجاري, أن تجعله سلماً إلى الجنة؟.

((ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتماعا , وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل))

هل تنقلب العادات بالنوايا الطيبة إلى عبادات؟ كيف ذلك؟ :

أيها الأخوة، النوايا الطيبة تقلب العادات إلى عبادات، العادات: أكلنا، وشربنا، وارتدينا ثيابنا، وتوجهنا إلى أعمالنا، وفتحنا المحل، ونظفنا المحل، واستقبلنا الزبائن، وبعنا، واشترينا، ثم ذهبنا إلى بيوتنا لنأكل، واستلقينا على الفراش قليلاً، وعدنا مساءً، وتابعنا العمل، وعدنا إلى البيت، أكلنا، وشربنا، ونمنا، تسع وتسعون بالمئة من الناس يفعلون هذا، المؤمن وحده يجعل من هذا النشاط اليومي المألوف، الذي يفعله الناس جميعاً، يجعله عبادة، فتجارته من أجل نصرة الحق، إذاً: هي أجر، أو من أجل الكفاية والعفة، إذاً: هي ستر؛ أما إذا كانت التجارة من أجل أن يُمضي الليالي الحمراء، وأن يذهب إلى بلد غربي فيبحث عن الأحياء المشبوهة، عن الحي اللاتيني، وعن الشارع الفلاني، وعن الملهى الفلاني، إذا وظف الأموال التجارة في هذه الرحلات، الآن أذاعوها اسم بعض الإذاعات اسمها: رحلات جنسية.

يعني: يخرج كل خميس من بعض البلاد إلى البحرين، عشرات الألوف للمعصية فقط، يذهبون إلى جنوبي آسيا لارتكاب الزنا، مئات ألوف، صار معروف، في بؤر بالعالم كل المعاصي والآثام فيها، والناس يأنفون أن يرتكبوا الحماقات في بلادهم، يركبون الطائرات ويتوجهون، فالتجارة التي تنتهي بصاحبها إلى مثل هذه الرحلات، لعنها الله من تجارة، إنها وزر على صاحبها، والتجارة التي تكفي صاحبها هم السؤال، وبذل ماء الوجه، هي ستر، أما التجارة التي تبتغي منها أن توظفها في الحق، فهي أجر.

بإمكانك أيها المؤمن: إذا طلبت العلم، أن تجعل من مركبتك أجراً، ومن تجارتك أجراً، ومن بيتك أجراً، ومن نزهاتك أجراً.

هناك أناس كثيرون، إذا تنزهوا ذكروا الله كثيراً، ما الذي يمنع أن تكون في مكان جميل، وأن تذكر الله العظيم؟ ما الذي يمنع أن تدعو إلى الله في أي مكان؛ في عقود القران، في أي المناسبات، في كل اللقاءات؟. فيا أيها الأخوة، العادات بالنوايا الطيبة، تنقلب إلى عبادات، من هو الخاسر؟ الذي مارس كل هذه الأشياء، وجاء يوم القيامة صفر اليدين، ليس معه شيء.

ذكرت المقدمة: أن الزكاة تجب في القمح والشعير والتمر والزبيب.

الفقهاء قالوا:

((تجب في علتها لا في عينها))

علتها القمح, يشبهه الحمص, العدس, أي محصول أساسي في الحياة كالقمح, أي محصول يخزن, ويعد قوتاً, فهو كالتمر والزبيب.

((لا يقض القاضي حين يقضي وهو غضبان))

حمل العلماء على الغضب ثلاثاً وثلاثين حالة, كلها تؤدي إلى اضطراب الحكم.

حسناً: عن أبي هريرة رضي الله عنه, أن النبي ﷺ قال:

((الخييل لرجل أجر, ولرجل ستر, وعلى رجل وزر))

وبثها في الحق أجر, كفيت بها نفسك عن السؤال ستر, وظفتها في المعصية فهي وزر.

قس عليها المركبة, والبيت, والتجارة, والصحة, والمال, والنزهة, وما إلى ذلك

ماذا تتضمن هذه الآية من معان حسب ما وردت في هذا الحديث؟ :

قال وكيع -حديث آخر-:

((انتهيت إلى النبي ﷺ -يعني: وصلت إليه- وهو يقرأ: ﴿ألهكم التكاثر* حتى زرتم المقابر﴾))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه, والحاكم في مستدركه]

ألهكم, ما معنى ألهكم؟ ما هو اللهو؟ أن تشتغل بالخسيس عن النفيس, أن تغوص في البحر, وأن تتحمل المشاق, وأن تعرض نفسك للأخطار, من أجل أن تصعد بالمحار لا باللؤلؤ, تركت اللؤلؤ وأخرجت الصدف, فهذا لهو,

اللهو عندك امتحان مصيري, والكتاب المقرر لا تقرأه, تقرأ قصة سخيقة, هذا لهو, حينما تشتغل بالخسيس عن النفيس, هذا لهو, أنت في الدنيا مطالب بمعرفة الله, والتقرب إليه, فإذا لهوت بما سوى ذلك, فقد ابتعدت عن الحق, قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:4]

قال وكيع:

((انتهيت إلى النبي ﷺ, وهو يقرأ: ﴿الهمم التكاثر.

-الإنسان أحياناً: يصل إلى درجة في عمله, لا يبتغي تأمين رزقه, يبتغي التكاثر, التباهي, التفاخر, الجمع.-

حتى زرت المقابر))

يعني: فجأة من أفخر بيت إلى قبر صغير, من أفخر مكتب إلى قبر صغير, والقبر كلكم يعلم ما القبر؟.

هذا ما يبقى لك من مالك :

قال عليه الصلاة والسلام:

((يقول ابن آدم: مالي مالي, وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت, أو لبست فأبليت, أو أكلت فأفنيت؟))

حسناً: ليس لك من مالك إلا ثلاثة أشياء؛ تصدقت فأبقيت، لبست فأبليت، أكلت فأفانيت، وما سوى ذلك.

شخص معه مليون، على الطعام، والشراب، واللباس، أنفق مئة ألف، له من هذا المليون مئة ألف، والأقية ليست له عليه وزرها، دون أن ينتفع بها، لذلك العلماء فرقوا: بين الكسب، وبين الرزق؛ الرزق ما انتفعت به، الرزق هذا القميص الذي ترتديه، وطبق الطعام الذي أكلته، وهذا البيت الذي تسكنه فقط، وما سوى ذلك: كسب تُحاسب عليه، من أين اكتسبته؟ وفيه أنفقته؟ دون أن تنتفع به، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((وهل لك من مالك إلا ما تصدقت به فأمضيت، أو فأبقيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفانيت؟ وما سوى ذلك ليس لك))

الذي لك هو الرزق، وثالث الرزق، الذي يبقى الصدقة، وحدها تبقى.

قالت:

((يا رسول الله! لم يبق من الشاة إلا كتفها، فقال عليه الصلاة والسلام: بل بقيت كلها إلا كتفها))

هذا ما أوحى الله إلى نبيه عليه الصلاة والسلام :

النبي ﷺ خطب أصحابه، وقال:

((وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

الإنسان حينما يفتخر؛ يكون فخره نقصاً في إيمانه، يكون فخره نقصاً في عبوديته، يكون فخره نقصاً في علمه، يكون فخره دليلاً على فتور عبادته، يكون فخره دليلاً على انقطاعه عن الله عز وجل.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله عز وجل أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد))

والإنسان حينما يفخر، كثرة الظهور تقصم الظهر:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾

[سورة القصص الآية:79]

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

[سورة القصص الآية: 81]

عند بعض الناس رغبة في عرض ما عنده، والافتخار على من لا يملكون هذا الشيء، هذا السلوك لا يتناسب مع الإيمان، المؤمن يظهر تواضعاً، ولا يفخر إلا بالشيء الذي ينفعه في الآخرة، لذلك:

((قيمة الرجل ما يحسن))

وفي آخر الزمان: قيمة المرء متاعه، يعني: يستمد قيمته من متاعه فقط.

هذا ما ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ :

وعن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ يقول:

((لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فو الذي نفسي بيده، من افتخر بأبائه الذين ماتوا في الجاهلية،
كان الجعلُ خيراً من آبائهم))

يعني: الإنسان أحياناً يعتز بإنسان كافر، لكنه قوي؛ المؤمن لا يعتز إلا بمؤمن، المؤمن لا يعتز إلا بالله، الإنسان المنقطع، الفاجر، الكافر، البعيد، لا تعتز به.

((من جلس إلى غني فتضع له، ذهب ثلثا دينه))

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((من انتسب إلى تسعة آباء كفار، يريد بهم عزاً وكرامة، فهو عاشرهم في النار))

[أخرجه أبو يعلى، والطبراني في المعجم الكبير، والطبراني في المعجم الأوسط، والإمام أحمد في مسنده]

محور الدرس :

محور الدرس: الفخر بالمال والنسب، المال يمكن أن يوظف في الحق فيكون أجراً، أو أن تنتفع به فيكون سترًا، أو أن تستخدمه في المعصية فيكون وزراً، فمن افتخر بماله، وقع في شر عمله، وكذلك الانتماء إلى عصبيات جاهلية، المؤمن لا يفتخر إلا بالمؤمنين؛ انتمائه للمؤمنين، ولاؤه للمؤمنين، محبته للمؤمنين.

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:24]

أيها الأخوة الكرام، محور الدرس: الحديث الأول الذي يبين فيه النبي عليه الصلاة والسلام: أن دنياك التي في حوزتك، يمكن أن تكون سلماً إلى الجنة، فالشقي من ضيع هذه الفرصة الذهبية، وجعل دنياه وزراً أو سترًا، ولم يرق بها في الجنة، وكل شخص من أخواننا الكرام: بإمكانه أن يستفيد من هذا الحديث، وأن يجعل من نواياه الطيبة أعمالاً صالحة.

أنا سمعت السلف الصالح: كان إذا فتح دكانه، ورفع الغلق، يقول:

((نويت خدمة المسلمين))

من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية أعمال صالحة، باع مسلم بضاعة جيدة، بسعر معتدل، نفعه بها، لم يكذب، ولم يغش، كل وقته بالعمل الصالح، فكل شخص منا إن اشترى مركبة: نويت بها خدمة المسلمين، نويت بها نشر الحق، إن اشترى بيت: نويت به أن يكون هذا البيت مبارك، أي أن يكون فيه ذكر لله عز وجل.

يعني: شخص صاحب مزرعة فخمة جداً في الصبورة، دعا طلاب العلم الأجانب المتخرجين، ودعا سبعة إنسان، وألقيت كلمات رائعة، والناس تأثروا تأثراً كبيراً، ثم دعاهم إلى طعام العشاء، دعي شخص من هؤلاء المدعوين، قال: أنا لا أفهم، هذه مزرعة فخمة جداً، موظفة للحق!!.

أنا أعرف المزارع للمعاصي؛ مسابح، ونساء كاسيات عاريات، واختلاط، مزرعة في هذه الفخامة، موظفة لطلاب العلم؛ لإكرامهم، لتكريمهم!.

ممكن كل شيء تملكه توظفه بالحق، هذا بيدك؛ تغدو عندئذ المزرعة مباركة، والمكتب التجاري مبارك، والبيت مبارك، والمركبة مباركة، فإنسان مركبته ينقل بها أخوانه لدروس العلم أبداً، دائمة ممتلئة، هذا عمل صالح. فالملخص: بإمكانك أن تجعل من مركبتك، وعملك، وكل نشاطاتك سلماً إلى الجنة، أجراً أو سترًا، ونعوذ بالله أن تكون وزراً، والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-14} : ما هي الصفات التي تتناقض مع الإيمان؟ وما أنواع العلاقات التي تفسد ذات البين؟ وكيف تتم إصلاحها؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-07-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ماذا تعني كلمة (رجل) في القرآن الكريم؟ :

أيها الأخوة الكرام، يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

((ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس))

وكلمة رجل: لا تعني أنه ذكر، تعني أنه بطل:

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

[سورة النور الآية:36]

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة النور الآية:37]

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:23]

فكلمة رجل في القرآن والسنة: لا تعني أنه ذكر، تعني أنه بطل، والعوام يستخدمون هذا المعنى: فلان أصبح رجلاً: يعني بطل.

ماذا نفهم من مقولة هذا الصحابي الجليل؟ :

يقول هذا الصحابي الجليل:

((ثلاثة أنا فيهن رجل, وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس, -من هذه الثلاثة:- ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ, إلا علمت أنه حق من الله تعالى))

يعني: في البشر جميعاً رجل واحد, كلامه من عند الله مئة في المئة:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:4]

فأنت قد تقرأ آلاف القصص, وآلاف الكتب, وقد تستمع إلى آلاف العبارات, هذا كله كلام البشر, فيه الصواب والخطأ, أما إذا قرأت عن رسول الله ﷺ, هذا كلام حق, خالص من عند الله, لذلك علماء الأصول قالوا:

((هناك وحي متلو, ووحى غير متلو؛ الوحي المتلو: هو القرآن الكريم, والوحي غير المتلو: هو كلام النبي عليه أتم الصلاة والتسليم))

ما محور أحاديث هذا الدرس؟ :

أيها الأخوة, محور هذه الأحاديث اليوم: متعلق بالفساد في الأرض, يقول عليه الصلاة والسلام, فيما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

((لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل))

((لا يدخل الجنة خب -الخب: المخادع- ولا منان ولا بخيل))

ماذا تعني مقولة سيدنا عمر: لست بالخب...؟:

سيدنا عمر يقول -وهذا القول دقيق جداً-:

((لست بالخب, ولا الخب يخدعني))

يعني: لست من الخبث بحيث أُخدع, ولا من السذاجة بحيث أُخدع, هكذا المؤمن, المؤمن كيس فطن حذر.

((لست بالخب, ولا الخب يخدعني))

يعني: لا يوجد عندنا مؤمن درويش, بسيط, ساذج, لا, المؤمن يقظ, كيس فطن حذر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:71]

﴿وَلَا يَسْتَخَفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

[سورة الروم الآية: 60]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

[سورة الشورى الآية:39]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى الآية:40]

من هو المنان كما ورد في الحديث؟ :

((لا يدخل الجنة خب ولا منان))

من هو المنان؟ الذي يمن بعبائه, لماذا يمن بعبائه؟ لأنه لا يبتغي وجه الله بهذا العطاء, لو أنه ابتغى وجه الله, لما من على أحد:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

[سورة الحجرات الآية:17]

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

[سورة الحجرات الآية:17]

فالذي يمن على الناس بعطائه، دليل عدم إخلاصه.

هذا حال غالبية الناس اليوم :

أيها الأخوة، معظم الناس: إذا فعل خيراً، ولم ير استجابة، لم ير تقديراً، لم ير مدحاً، ولا ثناء، ولا امتناناً، لم يعظم، لم يبجل، يقول لك: لم أفعل الخير، ما بين يا أخي، ما بين.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، إن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله فأنت أهله، ومن عرف نفسه، ما ضرته مقالة الناس به))

فيقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخل الجنة خب ولا منان - خبيث، مخادع، مراوغ، أفاك، فتال.

يعني: هذا الإنسان، الإيمان أرقى من ذلك.

((تركتكم على بيضاء نقية، ليلها كنهارها))

((يا أمير المؤمنين، أتحنني؟ - رجل سأل سيدنا عمر -، قال له: والله لا أحبك، قال له: ولم؟ وهل يمنعك

بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله، قال: إذاً: إنما يأسف على الحب النساء))

((ولا بخيل))

قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:20]

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:21]

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج الآية:22]

لو كان متصلاً بالله، لما بخل بماله، لو كان يرى فضل عليه، لما بخل بماله، لو كان يرى خزائن الله، لما بخل بماله.

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

قصة لها هدف :

لي صديق، أستاذ في الجامعة، أصابه مرض في كبده، توفاه الله عز وجل، لهذا الصديق قريب، -من أخواننا الكرام من رواد المسجد- هذا القريب ذهب إلى بيت ابن عمه، بعد أن توفاه الله، كان على المغتسل، فقال المغسل: أعليه دين؟ -كما هي العادة- فقال أهله: نعم، فقال هذا القريب، الأخ الكريم، قال: أنا علي دينه.

قال لي: يعني ظننت خمسة آلاف، عشرة آلاف، ليست مشكلة، في اليوم التالي مبلغ كبير، مئة وثلاثون ألفاً، دفعهم بالتمام والكمال، دون تأفف، دون حرج، دون ندم، طبعاً: استخدم أصحاب الحقوق، وأخذ إيصالات، وأعطاهم.

رجل حدثني هذا الحديث قبل أسبوع بصحن جامع النابلسي، قال لي: والله يا أستاذ، في اليوم التالي اتصالات

هاتفية إلى المعمل بشكل غير معقول, من سنوات لا أعرف هذه الكثافة, وبعنا بيعاً, أنا وشركائي الاثنين -هم ثلاثة- صافي أرباح الثلاثة, أو صافي ربحه وحده مئة وثلاثون ألف في اليوم الثاني, أقسم بالله العظيم, وأنا أصدق هذا الكلام, لأن الله عز وجل يقول:

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

((عبي أنفق أنفق عليك))

إذاً:

((لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل))

هذا الحديث عن سيدنا الصديق, قاله عليه الصلاة والسلام؛ مخادع, مخاتل, غشاش, غدار, أفاك, مراوغ, هذا خب, لحمك من خيري, لي فضل عليك, لو تموت لا تؤدي فضلي, هذا كلام فارغ, إن الفضل لله.

((إذا أراد ربك إظهار فضله عليك, خلق الفضل ونسبه إليك))

انتهى.

عمل خيري :

في أحد الأخوة الكرام, توفاه الله, عنده بيت بالضعيف, بيت فخم جداً, أصابه مرض, ليس له وريث, فأراد أن يقدم هذا البيت لجمعية خيرية, فقدمه لإحدى الجمعيات في المهاجرين, بيت ثمنه حوالي ثمانية ملايين, هذه الجمعية كست هذا البيت, جددته, وجعلته مقراً لمركز تدريب مهني للفتيات الفقيرات, هذه بادرة طيبة, لأن أفضل أنواع الزكاة: أن تحول أخذ الزكاة إلى دافع الزكاة, فالفتاة الفقيرة تتعلم الخياطة, بدورة تدريبية من أعلى مستوى ستة أشهر, ثم تعطى ما في الخياطة, تعطى أقمشة, يؤخذ إنتاجها, ويبيع في الأسواق, تصبح منتجة, تقبع في بيتها, لا تكسد, ولا تُكسد, ولها دخلها, نحن بحاجة إلى أعمال من هذا النوع.

كلمة ثناء وشكر :

أنا أثنى على غرفة التجارة، حينما فتحت في خورشيد مركز طبي، والله من أعماقي ممنون، فقير، إنسان فقير، يجد في معالجة تحليل، هذا عمل، هذا عمل جماعي، في مركز بالأكرم أيضاً، مركز طبي بالكويت، مركز ثالث، ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا!:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية:2]

البر صلاح الدنيا؛ إذا شخص ساهم بمشروع، ميثم، دار أيتام، مؤسسة خيرية، معهد شرعي، تعليم طلاب العلم، شيء عمل عظيم.

فالشاهد الذي ذكرته: أن الإنسان حينما يفعل الخير، يشعر براحة في نفسه كبيرة جداً.

أنا خرجت من أي فكرة

ما الذي يلفت النظر في هذا الكلام؟ :

أيها الأخوة، فهذا الذي قدم هذا البيت هبة، الجمعية أقامت حفلة غداء تكريماً له على هذا العطاء، لفت، كل الناس أثنوا عليه، على المحسن الكبير، الرجل الكريم، التقي النقي، إلا أن واحداً قال كلاماً عجيباً، أما هذا الكلام حقيقي ومؤثر، قال له: أيها الأخ الكريم، لقد دفعت هذا البيت هدية لهذه الجمعية، وكان من الممكن أن تكون أحد المستفيدين من هذه الجمعية، نعطيك في الشهر ثلاثة آلاف ليرة، ممكن الله من عليك، وجعلك تدفع، فهذا الذي يدفع يمكن أن يأخذ، يمكن أن يفقره الله، ويمد يده.

ألم تروا إنساناً ينقب في الحاوية؟ أنا رأيت كثيراً، ممكن أي واحد منا من شدة الجوع، يدفعه الجوع إلى التقيب في الحاوية، فإذا الله أعطاك مأوى؛ معك ثمن طعامك، وجهك مصون، ماء وجهك مصون، هذا من نعم الله الكبرى، فإذا الإنسان أعطى لا ينسى، الله قادر يجعله يأخذ، يمد يده، الله قادر أن يجعل الإنسان يتضعض أمام غني.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((من تضعض لغني, ذهب ثلثا دينه))

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

إذا:

((لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل))

هذه صفات تتناقض مع الإيمان.

ما أنواع العلاقات التي تفسد ذات البين, والتي ينبغي أن تبادر إلى إصلاحها؟

1-علاقتك مع الله:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه, أن النبي ﷺ قال:

((إِيَاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه]

ما رأيت حديثاً, المسلمون في أمس الحاجة إليه كهذا الحديث:

((فساد ذات البين))

العلاقة بين الناس أول شيء, أول نوع من أنواع هذه العلاقة: علاقتك مع الله, إياك أن تفسد بمعصية؛ لا تقطع هذه الصلة بذنب, ولا بقبح, ولا بموقف قدر, ولا بدناءة, ولا بتناول, ولا بطمع.

((إِيَاكُمْ وَفَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ))

يعني:

ليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى والعالمين خراب
إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

أخواننا الكرام, إذا صحت علاقتك بالله, صح كل شيء, إذا اتصلت بالله, وصلت إلى كل شيء, إن عرفت الله,
عرفت كل شيء, إن وجدت الله, وجدت كل شيء, وإن لم تجد الله, لم تجد شيئاً, إن لم تعرف الله, لم تعرف شيئاً,
إن لم تصل إلى الله, لم تصل إلى شيء.

ف

((ياكم وفساد ذات البين))

المعنى الأول: احرص على علاقتك بالله.

((ألا يا رب شهوة ساعة, أورثت حزناً طويلاً))

إطلاق البصر ساعة زمان, نصف ساعة زمان, يحجبك عن الله أياماً.

((من جلس إلى ساحر فلم يصدقه, أو من أتى ساحراً فلم يصدقه, لم تقبل له صلاة أربعين يوماً, ولا دعاء
أربعين صباحاً))

الإنسان أحياناً تجر غفلته ثلاثون يوماً, أسبوعان, أسبوع, شهر, شهران, يصلي, لكن صلاة شكلية, ما دام في
تقلت, في تطلع, في إطلاق بصر, في عدم ضبط لسان, في عدم ضبط علاقات اجتماعية, البيت ما هو
إسلامي, البيع ما في صحة, في أيمان غير صحيحة, في مبالغة, في إيهام, في تدليس, في حجاب انتهى؛ وكلما
الإنسان كان شديد الصلة بالله عز وجل, يحن إلى اتصاله بالله, وكلما النفس تراجعت, حركها بالعمل الصالح.

أنت فيك تقابل ملك؟ لا يسمحون لك, لو أكثرت من تقديم الطلبات, أما ملك الملوك: ممكن تقابله في كل لحظة
بالعمل الصالح:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

احفظوا هذه الآية؛ يمكن ولا بشهرين يسمحون لك، ولا بخمسة أشهر يسمحون لك، تقابل إنساناً ذا شأن، فكيف إذا أردت أن تقابل ملك الملوك؟! قال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

ما وراء هذه القصص؟ :

سمعت من عشرات الأخوان، إنسان خدم إنساناً خدمة راقية، يقول لك: أنا انغمرت بسعادة، ما هذه السعادة؟ هي قربك من الله، اتصالك به، اتصلت بالله، لأن هؤلاء الناس كلهم خلق الله، هم عيال الله.

((أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

مرة قال لي أخ، يعمل في التبريد، قال لي: هذا البراد، إذا إنسان اشتراه، وضعه في الشاحنة هكذا وصل للبيت، أوقفه ووضع الفيش، من فرحه يحرقه رأساً.

كنت أمشي مرة في الحريقة، هذه الاستهلاكية سابقاً، آخر الحريقة، هكذا أخ مبین فقير، اشترى براداً، وأتى بهوندا، وحمله مسطح، وفرحان فيه، يمكن لم يبنهوه، والله خفت أن يوقفه، ويضع الفيش بالكهرباء، ذهبت له، قلت له: انتبه، تأخذه إلى البيت ثماني ساعات، تبقية واقفاً، بعد ذلك تشعله، خمسة آلاف ثمن المحرك.

فالإنسان لما يخدم عباد الله، الله يحبه، جرب؛ جرب اخدم إنسان، جرب قدم لله عمل صالح، لا تبتغي به: لا سمعة ولا جاهاً.

قال لي أخ: أخذ سيارته من الزيداني، أحد الأيام، من خمس، ست سنوات، بالثمانينات، الساعة الثانية عشرة، وجد امرأة تقف، وتحمل طفلاً، وتبكي، وجانبها شاب، وقف: خير، أحداث لبنان المريرة، هم قادمون نازحون من لبنان، ابنهم حرارته واحدة وأربعون، وغريبة، والأخ معه سيارة، ركبهم.

قال لي: والله للساعة الرابعة صباحاً، من مستشفى لمستشفى، لصيدلي مناوب، حتى الساعة الرابعة كله تمام؛ معالجة، وأدوية، وأبر.

أقسم بالله، اثنا عشر يوماً مغموس بسعادة لا توصف، جرب، جرب، جرب اعمل عملاً لله.

حدثني طبيب أسنان، طبيب من أعلى مستوى، قال لي: جاءتني إنسانة معلمة ابتدائية، دخلها قليل جداً، في خطأ بأسنانها الأمامية، وإذا ابتسمت أمام طالباتها، ومبين دخلها قليل جداً، قالت له: ماذا تقويم الأسنان؟ والتقويم بخمسين، ستين ألف، قال لي: أنا هذا ليس اختصاصي، لكن أنا فيني أفعله بشكل جيد، قال لها: ليس بيننا، قال لي: شهران لحتى العملية تمت، تفضل يا أخي، قال لها: دعوة صالحة فقط.

أقسم بالله، داخل إلى عنده ألف زبون، مثل هذه السعادة التي ذاقها من هذا المرأة لا يعرف، أنت تعامل خالق الكون، تخدم عبد فقير، تعاون إنسان.

أنا مرة قلت لكم، لنا صديق في حمص، مرة زرتة، بيته، أراني قطعة مسكة، شكلة، ما هذه؟ قال لي: هذه لا أبيعها بالمالكي تبعكم كله، ما هذا الكلام؟ كلها ثمنها ليرتان، ثلاثة يمكن، ما هذا الكلام؟.

قال لي: في طفل أصيب بحادث، حادث سير، كاد أن يموت، وحوضه تكسر، عملت له سبع عشرة عملية جراحية، خلال خمس، ست سنوات، حتى مشي؛ بعضها بألمانيا، بعضها ببريطانيا، وبعضها بالشام، وبعضها بجلب، حتى مشي، فهذا الطفل بشر، أن هذا الإنسان يخدمه، لما أصبحت صحته طيبة، ويجب أن يسافر إلى عند أهل

طبعاً الحادث: موت والده ووالدته، ليس له أحد، فقط أقرباء والدته بجلب، فيجب أن يغادر، لا يغادر حتى يودع عمه الذي عمل العملية، انتظر ساعة أخرجهم، الباص واقف، أبداً.

قال لي: وصلت إلى عنده، هجم علي هجمة، وأعطاني الباكيت، لا يملك غيره، هذا تعبيرة عن شكره لسبع عشرة عملية؛ بعضها بألمانيا، بعضها ببريطانيا.

يقول لي: هذا الطفل -الآن: جعله من طلاب العلم الشرعي-، كان ميتاً كان، صار في حادث، كله محطم تحطيم، عمليات كلفته ملايين.

فقال لي: هذا الباكيت, لا أبيع فيه المالكي تبعكم كله, هذا عمل صالح, هذا ترقى به إلى أبد الأبدين.

فالإنسان إذا ليس له عمل صالح, كل واحد منا؛ الطبيب بعيادته, والمهندس, والمدرس, والتاجر.

مرة كنا في الحج, امرأة دخلت إلى عند بائع أقمشة, أخذت منه قماشة, قالت له: راعينا, قال لها: تكرمي يا أختي, قالت له: من أجل رسول الله ﷺ راعينا, قال لها: والله قرش لا آخذ ثمنها, ما دام من أجل رسول الله عليه الصلاة والسلام, أنا أيضاً بشر.

يعني: أنا أقول: محل لا يوجد عمل صالح, والله مشكلته كبيرة؛ كله مادي, كله ثمنه مصاري, في أعمال صالحة ترقى بها إلى الله عز وجل, فلذلك:

((ياكم وفساد ذات البين, فإنها الحالقة))

أول فساد ذات البين: فيما بينك وبين الله.

2-علاقتك فيما بينك وبين الناس :

ثاني فساد ذات بين: فيما بينك وبين الخلق, خط مع زوجتك, يمكن دائماً يتهمك على أهلها, أمك لا أحبها, والله كلام لا يوجد فيه ذوق أبداً, والدتها, أمك غليظة, أمك حشرية, كنت أريدك مقطوعة من حيط مثلاً, هذا كلام فارغ؛ دائماً علاقته مع زوجته سيئة, علاقته مع أولاده سيئة, مع أخواته سيئة, مع جيرانه سيئة, المؤمن علاقته مع زوجته, مع أولاده, مع جيرانه, مع أخوانه, مع عماله.

يعني: إذا شخص دخل, وجد الصانع في المحل, أو الموظف, كيف حالك يا بني؟ صحتك طيبة؟ أهلك بخير إن شاء الله؟ يلزمك شيء, هذه ماذا تكلفك؟ اتركه يطير طيران.

فالحديث الثاني: العلاقة بينك وبين الناس, أول علاقة: بينك وبين الله, إن صحت صح كل شيء.

الآن: أنت تعيش بين مجتمع؛ لك زوجة, لك أولاد, لك أخوات, لك أولاد عم, لك زبون, يوجد إنسان فظ, غليظ, قاس, متكبر, متعجرف, متعطرس, فوقى, يوجد إنسان متواضع.

قال: الشيخ رحمه الله، والده للشيخ عطا الكسم، هذا كان مفتي دمشق، وكان من العلماء الكبار، وكان قاضياً، جاءت إلى عنده امرأة من دوما، صحتها سميئة قليلاً، ويوجد درجة أمام المحكمة، صعدت على الدرجة، يظهر خرج منها صوت قبيح، أصبح وجهها مثل التوت، سمعنا -قالت لأختها-، وصلت إلى عنده: ما اسمك يا أختي؟ قالت له: فلانة، قال لها: لم أسمع، ارفعي صوتك، رفعت، قال لها: لم أسمع، أنا سمعي ضعيف يا أختي، ارفعي أيضاً، قالت لها: لاحظت، معناها لم يسمع، معناها، رأيت الكمال، في كمال كبير.

حدثني عن قاض، قاض في محكمتنا، إنسان موقوف، لم يقتنع بإطلاق سراحه، فقدم المحامي خمسة طلبات استرحام، لم يرد عليه، ثم بدا للقاضي: أنه يجب أنه يطلق سراحه، لكن الموكلين لما رأوا خمسة طلبات، لم يستجب القاضي، فعزلوا المحامي، فلما بدا للقاضي أن يطلق سراحه، طلب الموكلين، قال لهم: ائتوني بالمحامي الأول يقدم طلب، لو أنه استجاب للمحامي الثاني، ماذا يُنهم؟ أن أول محام فشل، لا، ليس له علاقة أول محام، لا يطلق سراحه إلا بالمحامي الأول، ائتوا به يقدم طلب بطلق سراحه، حفظ الحق لأهله؛ فلذلك: العلاقة الثانية: علاقتك مع الناس.

3- أن تصلح أي علاقة بين اثنين :

العلاقة الثالثة: أن تصلح أي علاقة بين اثنين.

أيها الأخوة، والله إذا الله وفقني للتوفيق بين زوجين على وشك الطلاق، لهم أولاد، والله مكنني: أن أقنع الزوجة، وأقنع الزوج، رجعا إلى ما كانا عليه من ود، ومن وئام، أشعر بسعادة لا توصف، لأنه:

قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل شفاعة: أن تشفع بين اثنين في نكاح))

مرة صهر شكا لأخ زوجته عن أخته، أختك هكذا تعاملني، هكذا قال له: طلقها وارتاح، وحش، قال له: طلقها أفضل لك، طلقها، اخلص منها؛ فالمؤمن يوفق بين أخته وصهره.

يعني: إذا كان صهره دخله محدود، يا أختي والله زوجك لا يوجد مثل زوجك، والله كريم يغنيه، ماذا قدم لك على

الولادة؟ لم يقدم لك شيء؟ معقول!!، اختلف الوضع.

نهاية المطاف :

أيها الأخوة،

((ياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن أقول: حالقة الدين))

هذا الحديث مهم جداً، الله عز وجل قال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

كم معنى يوجد؟ ثلاثة؛ أول علاقة مع الله: هذه العلاقة تفسد بالمعاصي والعيوب.

العلاقة الثانية: مع من حولك.

((يا داود، نكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء

إليها))

العلاقة الثالثة: بين أي شخصين، أنت مهمتك أن تصلح بين أخوين، بين شريكين، بين زوجين، بين جارين، بين أخوين مسلمين، لا يوجد أرقى، ولا أروع: من أن تكون أداة وصل، لا ليس أداة فصل، والنبي قال:

((ليس منا من فرق))

من فرق أمأ عن ابنها، أماً عن أخيه، جاراً عن جاره، شريكاً عن شريكه.

عن أبي الدرداء قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح

ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة))

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال:

((هي الحالقة، لا أقول: هي تحلق الشعر، ولكنها تحلق الدين))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء في سننهما]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-15} : حرص النبي عليه الصلاة والسلام على أمته

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-07-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

محور الدرس :

كل عام وأنتم بخير:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة الآية:128]

محور الدرس اليوم: حرص النبي ﷺ على أمته؛ فهو أرحم الخلق بالخلق، وهو أولى بنا من أنفسنا، وهو أرحم بنا من أنفسنا.

هذا ما نصح رسول الله ﷺ أبا ذر :

أيها الأخوة، طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة التي تبين حرص النبي عليه الصلاة والسلام على أمته من بعده.

عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

((يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما عن أبي ذر الغفاري]

((إني أراك ضعيفاً))

في إنسان قوي، حازم، يفعل ما يريد، يُنفذ أمره، يُثبت وجوده، يقيم أمر الله، الإنسان الضعيف: إذا كان الإنسان

يأنس من ضعفه ضعفاً، يستحي كثيراً، لا يقوى على تنفيذ أمره، لا يستطيع أن يحق الحق، يضعف أمام القوي، هذا الضعف لا يليق أن يكون ولياً لأمر المسلمين.

((يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تؤيبنَّ مالا يتيم))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما عن أبي ذر الغفاري]

سيدنا عمر رضي الله عنه قيل له:



((إن الناس هابوا شدتك، فبكي طويلاً، وقال: والله

يا أبا ذر! لو علموا ما في قلبي من الرحمة، لأخذوا عباةتي هذه؛ ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى))

الإنسان إذا تولى أمر اثنين، أو أربعة، أو ثلاثة..... يجب أن يكون حازماً، قوياً، فلذلك:

سيدنا عمر امتحن أحد الولاة، قال له:

((ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده، قال: إذا: فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل، فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه، لنستر عورتهم، ونسد عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك، تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً، التمسست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية))

يعني: الإنسان لا ينبغي أن يتمنى أن يكون في مكان يقود الناس فيه، له حساب شديد؛ هل عدل أم ظلم؟ هل سكت عن الحق أم نطق بالحق؟ هل حاب أقرباءه أم أنصفهم؟ هل ظلم أم لم يظلم؟.

فلذلك:

((يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمّرَنَّ على اثنين))

((من ولي أمر عشرة فلم ينصحهم، فقد خان الله ورسوله))

((من ولي أمر عشرة فلم ينصحهم، فقد خان الله ورسوله))

أحكام فقهية تتعلق بمال اليتيم :

((ولا تَوَلَّيْنِ مَالَ يَتِيمٍ))

الفقهاء قالوا:



((مال اليتيم؛ إن أردت أن تستثمره، لك أن تستثمره، ولكن بشرط: إن كنت غنياً، عليك أن تستعفف))

يعني: أن تثمر له المال، وأن تعطيه الربح كله، دون أن تأخذ شيئاً، أما إذا كنت فقيراً، ينبغي أن تأخذ من ماله بالمعروف، هذا المعروف الذي شرحه الفقهاء، أن تأخذ حاجتك، أو أجر المثل، أيهما أقل؟.

دقيقة: معك مئة ألف لیتيم، شغلتهم، ربحوا عشرة

آلاف، لك خمسة، وله خمسة، أنت يلزمك في الشهر عشرة، الربح طلع خمسة، لك الربح، شغلت مليون، ربحوا مئة ألف، لك خمسون، أنت تحتاج إلى عشرين، تأخذ العشرين فقط، أجر المثل أو الحاجة، أيهما أقل؟ هذا معنى:

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء الآية:6]

الشيء الدقيق في التجارة: أن أشخاصاً كثيرين معهم رأس مال شخصي، هذا الرأس المال: يضعونه في البضاعة المضمون ربحها، أما إذا جاءهم مال آخر، مال غريب، يضعونه في بضاعة لا يعلمون مصيرها، أتربح أم لم تربح؟ كأنهم امتحنوا السوق بمال اليتيم.

النبي عليه الصلاة والسلام: أشار إلى هذه الناحية، فقال:

((ولا تجعل مالك دون ماله))

((لا تجعل مالك دون ماله))

يعني: أنت مستورد أقمشة، في نمر بيعها قطعي، وربحها ثابت، في نمر جديدة، لا تعرف ما إذا كانت تريح أو لا تريح، قلت: ما دام هكذا، سنأخذ أموال اليتامى، نشترى بهذا المال هذه الصفقة، فإن ربحت صحة على قلبك، وإن لم تريح ترتب سيديك.

((ولا تجعل مالك دون ماله))

لا تستخدم ماله لجس نبض السوق، لا تستخدم ماله لفحص رواج هذه السلعة؛ يجب أن تضع ماله في أروج السلع، في أقوى السلع، في أقوى البضائع.

خلاصة هذه الأحكام بشكل مجمل :

كلمة: (ولا تولين مال يتيم): هي أربعة أحكام؛ أول حكم: إن كنت غنياً عليك أن تستعفف .

2- إن كنت فقيراً عليك أن تأكل بالمعروف: معنى أن تأكل بالمعروف: أن تأخذ نصيبك من الربح، أجر المثل أو حاجتك، أيهما أقل.

ربحنا مئة، الاتفاق نصف بنصف، لي خمسون، أنا أحتاج إلى عشرين، آخذ عشرين، ربحنا عشرة آلاف، لي خمسة، أنا بحاجة إلى عشرين، آخذ خمسة، آخذ أجر المثل أو الحاجة، أيهما أقل، على ألا أجعل مال اليتيم دون مالي، أن أجعل مالي في حرز حريز، في بضاعة رائجة، وأن أجعل مال اليتيم في بضاعة مجهولة، لا أعرف مصيرها، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما عن أبي ذر الغفاري]

إذا أنت طبيعتك في التجارة، تأخذ، تضع في الجيبة، حسابات لا يوجد عندك، لا تستطيع أن تأخذ قرشاً من إنسان، سوف تحاسب حساباً دقيقاً، فإذا عندك حسابات دقيقة جداً، وجرّد جيد جداً، وحساب متاجرة جيد، وحساب أرباح وخسائر جيد، ممكن أن تأخذ مال اليتيم؟ أما أن تأخذ مال اليتيم، والحسابات غير منضبطة، والجرّد غير صحيح، وتأخذ من الدرّج تضع في الجيب، هذا لا يجوز، كل إنسان يوجد معه مال ليس له، عليه أن يسجل القرش، الليرة، إذا محلك، ورأس مالك، لا يوجد معك شريك، افعل ما تشاء، فخذنك عبك، افتح من الدرّج، ضع في الجيبة، من دون حساب مالك هذا، أما إذا كان معك ليس لك، والله تحاسب عن كأس عصير تشربه مع صديق لك، لا علاقة له بالمحل، الذين وضعوا معك المال، من أجل أن تشرب العصير مع صديق لك، لا علاقة له بالعمل التجاري، لا تحاسب على كل شيء.

هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمّرَنّ على اثنين، ولا تؤلّينَ مالَ يتيم))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما عن أبي ذر الغفاري]

الإنسان أحياناً: يتكلم كلمة، يشعر لها رنين، لها صدى رائع، أن فلان مسؤول، دقق في معناه: مسؤول؛ سوف يُسأل، سوف يُحاسب، إياك أن تغتر برنين هذه الكلمة، مسؤول، سوف تُسأل: لم فعلت؟ لم لم تفعل؟ لم أعطيت؟ لم منعت؟ لم غضبت؟ لم رضيت؟ لم وصلت؟ لم قطعت؟ نعم.

هذا ما نهى النبي عليه الصلاة والسلام به أمته :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض))

[أخرجه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عباس]

يعني: خصومات بين أمة رسول الله ﷺ؛ الخصومات، والمشاحنات، والعداوات، والبغضاء، والطعن، والغمز، واللمز، ثم القتل، هذا سماه النبي عليه الصلاة والسلام كفراً، من أين أخذ هذا المعنى؟ من الآية الكريمة:



﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

[سورة آل عمران الآية:101]

لما الصحابة اختلفوا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وكادوا يقتتلون الأوس والخزرج في المدينة، وخرج عليهم النبي عليه الصلاة والسلام غاضباً، قال:

((أفعلون هذا، وأنا بين أظهركم؟! نزل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

[سورة آل عمران الآية:101]



من أين جاء النبي بكلمة: لا ترجعوا بعدي كفاراً؟.

أرأيت إلى أن كلمة الكفر، وُصف بها من يقيم عداوة بين المؤمنين، من يقيم العداوة والبغضاء، من يفرق بين المؤمنين، من يفرق دين الله إلى أديان متعددة:

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:53]

من يبني مجده على أنقاض الآخرين، هذا الذي يفعل هذا، سماه الله كفراً، وسماه النبي ﷺ كفراً، فأنت مؤمن؛ عليك أن تجمع وألا تفرق، عليك أن توحد وألا تشتت، عليك أن ترأب الصدع، وأن تلم الشمل، وأن تقرب وجهات النظر، وأن تكون همزة وصل لا همزة قطع، نعم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه, قال عليه الصلاة والسلام:

((إني أرى ما لا ترون, وأسمع ما لا تسمعون))

وهذا الإنسان المتميز؛ يرى ما لا يراه الآخرون, يسمع ما لا يسمعون, يفكر بما لا يفكرون, يخاف ما لا يخافون, يرجو ما لا يرجون, هذا التميز, المؤمن واحد كألف, وعامة الناس ألف كالف, المؤمن واحد كألف؛ متميز, متفوق, في خصائص عالية جداً, يرى ما لا يراه الآخرون, كيف؟.

الآخرون قد يرون كسب المال الحرام مغنماً؛ يطربون, ويفرحون, ويرقصون, إذا كسبوا مالاً حراماً, أما المؤمن يضجر, ويتألم, ويخاف أن يأكل قرشاً حراماً, رؤيته غير رؤيتهم, غير المؤمن يفرح بالملذات المادية, التي يقتنصها من أي طريق كان, بينما المؤمن لا يطرب, ولا ترتاح نفسه إلا بالذي سمح الله له به:

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:86]

((إني أرى ما لا ترون, أسمع ما لا تسمعون))

أحس بما لا تحسون.

يعني: كمؤمن متميز, لك رؤية يفنقر إليها الآخرون, لك إدراك لا يملكه الآخرون, لك إحساس, لك شعور, لك طموح, لك أهداف, لك وسائل, لك مخاوف, لك رجاء, إن لم تكن متميزاً فلست مؤمناً, متميز؛ رؤيتك, وإدراكك, وطموحك, وأهدافك, ووسائلك, وبواعثك, وقيمك, ومنظومات مبادئك.

((أطت السماء وحق لها أن تئط -أي تشقت- ما فيها موضع أربعة أصابع، إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، لو تعلمون ما أعلم))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:



((ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة

عارية يوم القيامة، ألا يا رب مقيم لنفسه وهو لها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً))

من أقوال سيدنا عمر، يقول:

((عجبت لثلاث؛ لمؤمل والموت يطلبه))

شخص طلع عن أربعين:

((معتك المنايا بين الستين والسبعين))

وقل من يجوز ذلك، ويوجد بالخمسين، وسبع وأربعين، والآن في جلطات بالثلاثينات، اسألوا الأطباء، بالثلاثين في جلطة، معنى ذلك: أن الإنسان كيف يضحك بالأخير؟ كيف يتأمل في الحياة الدنيا؟ وقد يأتي الموت فجأة.

هذا ما كلفوني به :

لي جار، له ابن أرسله إلى الحجاز ليعمل، عمره اثنتان وعشرون سنة، جاء الخبر اليوم: أنه مات بحادث، كلفوني أن أتصل أهله لأنبئهم هذا الحادث، لعل وقع الألم يكون قليلاً، نكرت لهم: أن النبي ﷺ حينما توفي ابنه إبراهيم،

دمعت عيناه, فقالوا:

((أتبك؟ وقال: إن العين لتدمع, وإن القلب ليخشع, ولا أقول إلا ما يرضي الرب, وأنا عليك يا إبراهيم
لمحزونون))

علامات الإيمان: أن الإنسان يتلقى قضاء الله وقدره بصبر جميل.

هذا ما ينبغي أن تجهد إليه :

((أطت السماء وحق لها أن تنط, ما فيها موضع أربع أصابع, إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً, والله لو
تعلمون ما أعلم, لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: إذا شخص يركب سيارة, وتنزل على المئة وأربعين, بطريق شديد الانحدار, وهذا الطريق ينتهي بمنعطف
حاد, درجة تسعون درجة, ولا يوجد معه مكابح, لكن هو لا يعلم؛ هواء لطيف, مناظر جميلة, يضحك, نقول: لو
علم هذا السائق, أن مركبته ليس فيها مكابح, لضرب نفسه, وقال: رحنا, أليس كذلك؟.

((الناس في غفلة))

يجب أن نجهد في أن نعلم ما يعلم رسول الله ﷺ حتى نتوازن, لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

هذا ما تعجب به النبي ﷺ !!:

((عجبت لثلاث؛ لمؤمل والموت يطلبه, وغافل وليس بمغفول عنه, وضاحك ملء فيه, ولا يدري أساخط عنه
الله أو راض؟))

هذا الذي يضحك حتى يقع على قفاه, ولا يدري ما إذا كان الله راضياً عنه أو ساخطاً, هذا إنسان غافل, والغفلة
من أخطر أمراض النفس.

قال:

((ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصدقات تجأرون إلى الله، لو ددت أني شجرة تعضد))

[أخرجه الترمذي في سننه]

بماذا طلب سفيان بن عبد الله الثقفي من نبيه محمد ﷺ؟

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال:

((يا نبي الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل: ربي الله ثم استقم، - هذا الدين كله، قل ربي الله ثم استقم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

من علامات الإيمان ضبط اللسان

[سورة فصلت الآية:30]

قلت: يا رسول الله! ما أخوف ما تخاف علي؟ - النبي عليه الصلاة والسلام لم يجبه، بل أشار إليه، قال: - فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا))

[أخرجه الترمذي عن سفيان بن عبد الله الثقفي في سننه]

الغيبة باللسان، النميمة باللسان، البهتان باللسان، السخرية باللسان، الكذب باللسان، الكفر باللسان، الضلال باللسان، النفاق باللسان، التملق باللسان، المداهنة باللسان.
الإمام الغزالي: عد من آفات اللسان سبع عشرة آفة، لذلك:

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

من علامات الإيمان: ضبط اللسان.

كان عليه الصلاة والسلام: يخزن لسانه.

ما هما الخصلتان اللذان أحبهما النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث؟ :

((فيك يا فلان خصلتان يحبهما الله ورسوله, قال: ما هما يا رسول الله؟ قال: الصمت وحسن الخلق))

الصمت: الصامت في سلام, والمتكلم: إما له أو عليه, أنت لا تتدم إذا سكت, ولكنك تتدم إذا تكلمت:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان؟

اضبط لسانك.

هذا ما ترويه الكتب :

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

تروي الكتب: أن امرأة توفيت, والمغسلة وهي تغسلها, التصقت يدها بجسمها, شيء ليس له حل, ماذا نفعل؟ ساعة, ساعتان, ثلاثة, عشرة, ماذا نفعل؟ أنقطع من لحم الميتة, لنرفع يد المغسلة؟ أم نقطع يد المغسلة, ونبقي على لحم الميتة؟ ماذا نفعل؟.

وقع الناس في حيرة, وكان الإمام مالك, إمام دار الهجرة, والمقولة:

((لا يُفتى ومالك في المدينة))

فلما عرضوا عليه هذه القضية, قال:

((لعل المغسلة وهي تغسل هذه المرأة, اتهمتها بقلبها بالزنا, اضربوها ثمانين جلدة))

ضربوها ثمانين جلدة, في الضربة الثمانين, فكت يدها عن جلدتها.

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

أحياناً: لا تقذف محصنة, فقط تعمل هكذا لا نعرف, هذا اسمه: قذف محصنة, حركة القميص: قذف محصنة؛ قبل أن تخوض في أعراض الناس, قبل أن تتهم نساءهم من دون بينة, من دون دليل, من دون تحقيق, هذا عمل كبير جداً, فلذلك:

عن سفيان بن عبد الله الثقفي, قال:

((يا نبي الله, حدثني بأمر أعتصم به, قال: قل: ربي الله ثم استقم, قلت: يا رسول الله! ما أخوف ما تخاف علي؟ قال: فأخذ بلسان نفسه, ثم قال: هذا))

[أخرجه الترمذي عن سفيان بن عبد الله الثقفي في سننه]

يعني الآن: معظم المسلمين لا يشربون خمرًا, المعظم, ولا يقتلون, ولا يزنون, أما معظمهم يغتابون, ويتحدثون فيما لا يعنيه, ويفترون, ويحلفون كذباً, ويبالغون, وينافقون, هذه أمراض المسلمين, أكثرها من اللسان.

عن أنس بن مالك قال:

((كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))

سيدنا يوسف؛ نبي عظيم, نبي كريم, هو الكريم, ابن الكريم, ابن الكريم, ابن الكريم, ومع ذلك: قال ربي:

﴿وَأَلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة يوسف الآية:33]

ما اعتد بنفسه, افتقر إلى الله.

هذا ما ورد في بعض الأحاديث :

ورد في بعض الأحاديث: قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا أنبئكم بتفسير لا حول ولا قوة إلا بالله؟ لا حول عن معصيته إلا به, ولا قوة على طاعته إلا به))

لا تستطيع أن تتعد عن معصية إلا بمعونة الله, ولن تستطيع أن تفعل طاعة إلا بمعونة الله, لذلك:

((جمع القرآن بالفاتحة:

﴿ولقد آتيناكم سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾

وجمعت الفاتحة في:

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

وقد ألفت كتب كثيرة, مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين, ملخص ملخص الملخص: إياك نعبد ونستعين على عبادتك بك؛ فلذلك:

كان عليه الصلاة والسلام, يكثر أن يقول:

((اللهم ثبت قلبي على دينك, فقال رجل: يا رسول الله! تخاف علينا وقد آمنا بك, وصدقناك بما جئت به؟ فقال: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل, يقلبها حيث يشاء))

هذا حال الأنبياء والمؤمنين :

الإنسان لما يستقيم, يجب أن يشكر الله عز وجل, لأنه نبي كريم, هو أبو الأنبياء, قال: رب:

﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

[سورة إبراهيم الآية:35]

سيدنا يوسف قال: رب:

﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾

[سورة يوسف الآية:33]

﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ﴾

-رسول الله-

﴿لَقَدْ كَذَبْتَ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾

[سورة الإسراء الآية: 74]

﴿إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾

[سورة الإسراء الآية: 75]

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾

[سورة الحاقة الآية: 44]

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾

[سورة الحاقة الآية: 45]

﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾

[سورة الحاقة الآية: 46]

ببعض المعارك, قيل للنبي عليه الصلاة والسلام:

((يا رسول الله! مثل بهم, لقد مثلوا بأصحابك, فقال عليه الصلاة والسلام: لا أمثل بهم فيمثل الله بي, ولو كنت
(رسولاً))

لاحظتم, خوف من الله.

((لا أمثل بهم فيمثل الله بي, ولو كنت رسولاً))

لذلك سيدنا عمر: كان وقافاً عند كتاب الله:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب الآية:36]

المؤمن بعد أن عرف الله, شغله الشاغل أن يتقصى أمر الله عز وجل, وأن يقيمه في حياته.

هذا ما أخاف النبي عليه الصلاة والسلام على أمته :

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه, أن رسول الله ﷺ قال:

((إن أخوف ما أخاف على أمتي: كل منافق عليم اللسان))

يعني: مشكلة اللسان مشكلة, لأن المنافق ينطوي نفاقه على بعض المسلمين, هو في الداخل منحرف عن منهج الله, أما في اللسان يتكلم فيرضي:

﴿وإن تقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾

لذلك:

((أخوف ما خاف على أمتي: كل منافق عليم اللسان))

((إن هذا العلم دين, فانظروا عن تأخذون دينكم))

((ابن عمر, دينك دينك, إنه لحمك ودمك, خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا))

((إن هذا العلم دين, فانظروا عن تأخذون دينكم))

قضية مصيرية.

الآن: أنت عندك بيت, تريد أن تبيعه, خرجت من الباب, وجدت دلال في وجهك, قلت له: أريد أن أبيع هذا البيت, قال لك: مقداره ثمانية ملايين, تبيعه إياه رأساً؟ تسأل خمسين دلال, تسأل, لماذا لتبيع ببيعاً؟ تتحرى الدقة, وتأخذ الآراء كلها.

بشراء سيارة, تعرضها على عشرة خبراء؛ على ميكانيكي, على كهربائي, على إنسان مختص بالهيكل, لماذا حريص؛ حريص على هذا المال, ألا يلقي جزافاً؟ هل يعقل أن تكون مركبتك أعلى عليك من دينك؟. سيدنا الغزالي له كلمة رائعة, قال:

((يا نفس, لو أن طبيباً حذرك من أكلة تحببها, لا شك أنك تمتنعين, أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟
إذاً: ما أكفرك! أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله؟ إذاً: ما أجهلك!))

فالذي

قال عليه الصلاة والسلام:

((علموا ويسروا ولا تعسروا, وإذا غضبت فاسكت -دقق الآن- وإذا غضبت فاسكت, وإذا غضبت فاسكت))

[أخرجه البزار في مسنده, والإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس]

لما تغضب سوف تخطئ, لما تغضب, سوف تتكلم كلاماً قاسياً, سوف يحمك الغضب على السباب, على الطعن, على التجريح, هذه نصيحة رسول الله ﷺ.

((إذا غضبت فاسكت))

ينطفئ الشر, أما إذا تكلمت, لعل شراً يتفجر من هذه الكلمة.

أكثر شيء مع الزوجات, غضبت, اسكت, أغضبت, اسكت, كلمة لكلمة, بالطلاق بالثلاثة رأساً, اقعِد وقف على أبواب المشايخ رأساً.

يعني: أكثر مشكلة يعاني منها العلماء: موضوع الطلاق التعسفي, ساعة غضب.

((إذا غضبت فاسكت))

لم تتمكن, اخرج من البيت, إذا كنت جالس اجلس, جالس اضطجع, غضبت توضأ, ما لم تتمكن اغتسل, لم تستطع اخرج من البيت, لكن دائماً كن صامتاً, الشر يتحاصر, يتطوق, أما إذا كان في غضب, وفي مع الغضب كلام, الآن كلامك غير موثوق, الآن كلام في تجريح, في سباب, في طعن, في اتهام.

جاءت ثلاث مرات:

((إذا غضبت فاسكت, وإذا غضبت فاسكت, وإذا غضبت فاسكت))

في حديث:

((لا تغضب))

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-16} : الفساد - درء المفاسد مقدم على جلب المنافع -

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-08-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إليك هذه المثال لتوضيح هذه القاعدة والغاية من طرحها :

((درء المفاسد مقدم على جلب المنافع))

تصور وعاء فيه عدة ثقوب، إغلاق الثقوب أول، أم إملاؤه أول؟ لا معنى لإملائه، ليس له قعر؛ فدرء المفاسد إحكام الوعاء، أما جلب المنافع إملاؤه بالشراب، لا معنى لإملائه بالشراب قبل إحكامه، هذه القاعدة مهمة جداً. فهناك أشخاص كثيرون، لهم أعمال طيبة، إلا أن هذه الأعمال الطيبة: ترافقها أعمال سيئة، هذا الإنسان اسمه - كما وصف النبي عليه الصلاة والسلام-: مخلط، خلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

لأن الورع وعاءه محكم، مهما قلت الكمية محفوظة، أما غير الورع وعاءه غير محكم، مهما قذف في هذا الوعاء غير المحكم، لا يبقى فيه شيء، فلذلك:

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

((من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا - في بيته، في خلوته، في سفره، في مكان لا يراه فيه أحد، في مكان غير مدان فيه-، لم يعبأ الله بشيء من عمله))

صار عمله نفاق، فلذلك: أحاديث اليوم: عن خلق سيء يتلبس به الإنسان أحياناً، وهو الإفساد؛ يفسد على الناس حياتهم، يفسد على الناس دنياهم، يفسد على الناس دينهم، يفسد بين زوجين، بين شريكين، بين أخوين.

القاعدة في هذا الدرس:

((درء المفاسد مقدم على جلب المنافع))

يعني: قبل أن تعمل أعمالاً صالحة، عليك أن تُحَكِّم استقامتك، لأن: إن أحكمت الاستقامة، جعلت الطريق إلى الله سالكاً.

تصور تماماً: أن كل معصية، هي عقبة كؤود على الطريق إلى الله، فكلما تبتت من معصية، أزحت عقبة من الطريق، فإذا استقمت استقامة تامة، لم يبق في الطريق إلى الله ولا عقبة، ماذا بقي عليك؟ أن تتحرك نحو الله بالعمل الصالح، إذا بني على استقامة قطفت ثماره، أما إن لم يبن على استقامة، العمل الصالح يشبه قطع للسيارة سياراب، رراف، مقعد، محرك، عجلة؛ العجلة مع المحرك سياراب، مع المقعد، هذه القطع الأربع ليست سيارة، لكن لها ثمن، لك أن تبيعها، لكنها لا تسير بك، أما السيارة الكاملة؛ فمن لم يحسن استقامته، لم يقطف من الدين ثماره، أما إذا له أعمال صالحة، وأعمال سيئة، الله عز وجل يعطيه ثواب الأعمال الصالحة في الدنيا، لكن لن يستطيع أن يستثمرها في الإقبال على الله عز وجل.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل))

خذ، ماذا قال سيدنا عمر:

((لست بالخب ولا الخب يخدعني))

يعني:

((أنا لست من الخب بحيث أُخدع أحداً، ولست من السذاجة بحيث أُخدع))

هذا المؤمن: كيس فطن حذر, لا يستطيع أحد أن يخدعه, كما أنه في الوقت نفسه لا يخدع أحداً.
نحن بقي في ذهننا صورة المؤمن, هي كإنسان؛ درويش, بسيط, جذبة, رث الهيئة, هذا مؤمن ولي يقول لك, لا.

((أصلحوا رجالكم وحسنوا لباسكم, حتى تكونوا شامة بين الناس))

كان عليه الصلاة والسلام: إذا مشى في الطريق, عُرف من ريحه الطيبة.
المؤمن نظيف, المؤمن أنيق, المؤمن مرتب, منظم, مواعيده, حساباته, أموره مضبوطة, أما غير المؤمن:

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

هذا هو المنان :

((لا يدخل الجنة خب ولا منان.

-المنان أكيد عمل عملاً صالحاً, ليس لله, لينتزع شكر الناس؛ إعجاب الناس, تقدير الناس, ثناء الناس, فإذا ما أُعجبوا بعمله, ما أثنوا على عمله, هو يمدح نفسه؛ أنا أعطيت, أنا عملت, لحملك من غيري, إلى آخره
فالمنان إنسان غير مخلص لله عز وجل, المنان إنسان عمل صالحاً لغير الله, فإذا ما قبض العمل الصالح مديح, وثناء, هو يمدح نفسه, ويثني على عمله, ويمنن غيره-.

((ولا بخيل))

ولا خب, ولا منان, ولا بخيل.

((درء المفاسد مقدم على جلب المنافع))

منعطف خطير :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه, عن النبي ﷺ أنه قال:

((إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة, لا أقول حالقة الشعر, ولكن أقول حالقة الدين))

يعني: ممكن الإنسان, طبعاً: غير الراقي يترك دينه, لأن إنساناً أساء إليه؛ فالمشاحنة , والبغضاء , والعداوة, الخصومات بين الأسر, وبين الأخوات, هذه من شأنها أن تحلق الدين.

((فإنها الحالقة, لا أقول حالقة الشعر, ولكن أقول حالقة الدين))

كم من إنسان ترك الصلاة لخصومة بينه وبين إنسان سليط؟ كم من إنسان وقع في الحرام ليغيظ إنساناً آخر؟.

((فإياكم وفساد ذات البين))

بقدر ما تستطيع, لا تكن سبباً في إحداث مشكلة مع آخرين.

إليكم هذه المستويات الثلاثة التي شرحها العلماء حول موضوع فساد ذات البين :

1-المستوى الأول: بينك وبين الله :

((إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة, لا أقول حالقة الشعر, ولكن أقول حالقة الدين))

إلا أن فساد ذات البين, شرحها العلماء شرحاً لطيفاً جداً على ثلاثة مستويات؛ أول مستوى: ذات البين؛ أي بينك وبين الله, إذا في إطلاق بصر: ذات بينك غير سليمة, إذا في كسب مال حرام: ذات بينك مع الله غير سليمة, يعني الطريق إلى الله ليس سالكاً, إذا في غيبة: ذات بينك مع الله غير صحيحة.

((إياكم وفساد ذات البين))

قد تخسر الدنيا كلها, أما إن كانت علاقتك بالله طيبة, فأنت الرباح الأول:

ليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبين العالمين خراب
إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

هذه الحقيقة: صاغها النبي الكريم في الطائف, وقال:

((إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي, ولك العتبي حتى ترضى, لكنك عافيتك أوسع لي))

كل مؤمن شعاره:

((إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي, ولك العتبي حتى ترضى))

يعني: الأصل علاقتك مع الله, فالمؤمن

سيدنا عمر رضي الله عنه, كان إذا أصابته مصيبة, قال:

((الحمد لله ثلاثاً؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني.

-أحياناً: بالحديث حسناً, بالمال أحياناً, بالنفس جرح لكن ليست بالدين؛ ما ترك الصلاة, ما شرب الخمر, ما أعان ظالم, ما نافق, ما دجل, ما ارتكب معصية, ما خرق الاستقامة-.

والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها, والحمد إذ ألهمت الصبر عليها))

وفي رواية:

((والحمد لله أجرت عليها))

لم تكن في ديني, ولم تكن أكبر منها, ألهمت الصبر عليها, وأجرت عليها, هذا المؤمن, لذلك:

((إياكم وسوء ذات البين))

أن تكون العلاقة بالله سيئة.

قال العلماء:

((لأن تسقط من السماء إلى الأرض فتتحطم الأضلاع, أهون من أن تسقط من عين الله))

ممكن تكون فقير, ولك عند الله شأن كبير, ممكن تكون مريض -لا سمح الله-, ولك عند الله شأن كبير, ممكن تكون تعاني من زواج غير ناجح, من أولاد غير صالحين, من ضيق ذات اليد, الحياة فيها مصائب كثيرة, كل هذه المصائب تهون, إذا كانت ذات بينك مع الله سليمة.

((يا ربي ماذا فقد من وجدك, وماذا وجد من فقدك؟))

((إياكم وفساد ذات البين))

هنا الحديث:

((وسوء ذات البين))

2-المستوى الثاني: بينك وبين زوجتك :

الشيء الثاني: الآن أنت وزوجتك, أول علاقة: مع الله, الثانية: أنت وزوجتك:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء الآية:19]

فسرها العلماء:

((أن المعاشرة بالمعروف, ليس عن أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها, بل أن تحتمل الأذى منها))

كلام المفسرين؛ المعاشرة في المعروف: أن تحتمل الأذى من الزوجة، لا أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، فلو فهم الأزواج هذه الآية، قال:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾

[سورة النساء الآية:19]

قال:

((رجل في المدينة المنورة اسمه أنس، تزوج، ودخل على امرأته فلم تعجبه، ضاقت الدنيا في عينيه، نام معها ليلة، وهام على وجهه، لما رآته قد انزعج منها أيما انزعاج، قالت: يا أنس، قد يكون الخير كامناً في الشر - إن رأيتني شراً، لعل فيّ الخير-، وهام على وجهه عشرين عاماً، وعاد إلى المدينة، فإذا في مسجدها درس عظيم، والناس متعلقون حول شاب اسمه مالك، فلما سأل: إنه ابنه، ابنه: مالك بن أنس، قال له: يا هذا، قل لأمك: إن في الباب رجلاً يقول لك: قد يكون الخير كامناً في الشر، قالت: يا بني إنه أبوك))

الإنسان أحياناً: يأتيه الخير كله من فتاة، لا أريد بنت، نريد نعمل إجهاض، هذه التي رفضتموها، قد يكون الخير كله فيها، لا تعرف، أنا أقول: هدية من الله؛ الفتاة هدية، الفتى هدية، الزوجة هدية.

فالثانية: سوء ذات البين؛ بينك وبين زوجتك:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء الآية:19]

بينك وبين أولادك، بينك وبين جيرانك، بينك وبين أقربائك، بينك وبين أخواتك، أولاد عمك.

((سوء ذات البين فإنها الحالقة))

المؤمن ليس ندياً، يعني لا يعامل ند لند؛ زارني أزوره، هداني أهديه، أرقى من هكذا.

النبي الكريم قال:

((أمرني ربي بتسع؛ خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عن ظلمي، وأن يكون صمتي فكراً، ونظمي ذكراً، ونظري عبرة))

هذا المعنى الثاني: سوء ذات البين.

3-المستوى الثالث: بين كل رجلين :

المعنى الثالث: لو أن رجلين لا تعرفهما، ساءت العلاقة بينهما، إذا كان بالإمكان أن تصلح بينهما فافعل.
أول مستوى: بينك وبين الله، وثاني مستوى: بين الناس وبينك، يعني أنت طرف بأي علاقة، والمستوى الثالث: بين كل رجلين.

إياكم وسوء ذات البين

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة، لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين))

يعني: لو أن إنساناً يصلي، طلق امرأة طلاقاً تعسفياً، إنها سوف تترك الصلاة كيداً، كيداً له.

((تحلق الدين))

لو أن الطلاق تعسفي، سوف تخرج سافرة كيداً، إذا الإنسان كان بخيلاً، وهو يصلي، أولاده سوف يدعون الصلاة كيداً له.

((إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن أقول حالقة الدين))

درسنا عن الفساد, و:

((درء المفاسد - مرة ثانية - مقدم على جلب المنافع))

ما هي الدرجة التي استحققت أن تكون أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة, ولماذا؟

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ -دققوا- قالوا: بلى, قال: صلاح ذات البين))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

فأي صلاة الفرض؟ لا, النافلة, أنت يعني لو صليت أربع ركعات نفل, لما أصلحت بين اثنين, لا, أصلح بين اثنين, إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة النافلة, والصيام النفل, والصدقة, لأن المجتمع قال:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة الآية:32]

المجتمع إذا كان في تماسك, في تعاطف, في تعاون, في تكاتف, يد الله مع الجماعة, فأنت هم المؤمن: تثبيت قواعد الجماعة المؤمنة, أما تثبيت الجماعة: هذا من أخلاق الكفار.

احذر من هذا الموقع :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه, قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا .

-هذا من أشد أنواع الوعيد, يعني: ينفي النبي ﷺ عن هذا الذي يفعل هذا الأمر, انتماءه إلى الدين, نفي انتماء:-

قال:- من خيب امرأة على زوجها.

-لك أخت متزوجة، ماذا أخذ لك على العيد؟ والله لم يأخذ لي شيء، حوينتك في، خرب الحال كلها، ما هذا البيت الصغير؟ هذا لا يسكن، هذا لعبة هذا، هذا ليس بيتاً، هنا مسكنك، أنت أفسدتها على زوجها، كرهتها بزوجها، زوجها أخلاقه عالية، دخله محدود، زوجك ما معاشه؟ والله خمسة آلاف، ماذا تفعل هذه الخمسة آلاف؟ لا يكفوني يوماً يقول لها، هو يفتخر بدخله، هو لم يعرف، خرب بيت أخته.

والله رجل شكاً لي أخاً لزوجته، شكاً له عن زوجته لأخيها، قال له: أنصحك؟ قال له: نعم، قال له: طلقها، ليس لك مصلحة فيها، هذا أخ؟!

((إياكم وفساد ذات البين))

أحياناً: كلمة-.

أو عبداً على سيده))

[أخرجه أبو داود في سننه]

كم يعطيك معلمك؟ والله ثمانية آلاف، لا، حوينتك، ثمانية؟! أنا أعطيه ثمانية عشر، الذي عنده، ودوام أقل، وأعطاه سيارة، قلبت له معيشته كلها، يعيش مرتاحاً، أنت أفسدت عبداً على سيده، أو امرأة على زوجها.

((ليس منا))

انتبهوا، أول صف يصلي (ليس منا)، ثماني حجج (ليس منا)، ثماني عشرة عمرة (ليس منا).

((ليس منا من خيب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده))

هذا فساد.

((درء المفاسد مقدم على جلب المنافع))

قبل ما تعمل أعمالاً صالحة، اترك الفساد.

((ليس منا من فرق))

النبى يجمع، أنت لا تستطيع.

دعوة غداء :

مرة دخلت لبيت شخص دعانا إلى الغداء، من دون مبالغة: غرفة الضيوف عرضها متر وثمانون سانتى، فيها ديوانين، بينهما يعني مكان لركب الضيوف، استحى بنفسه، قلت له: اللهم صل عليه، سيد الخلق، حبيب الحق، أعظم إنسان بالكون، حبيب الله، كان إذا أراد أن يصلي قيام الليل، لا تتسع غرفته لصلاته ونوم زوجته، لا تسع، طيبت نفسه، قال لي: جزاك الله خيراً.

يقول له: والله ما هذا البيت؟ هذا لا يسكن، كرهته فيه، بقدر ما تستطيع حبيب الناس بالله، وكرههم بالدنيا، لا تصغر لهم دنياهن، مبسوط، تجد يأتي شخص فضولي، يظل يمتحن لك هذا البيت، يمتحن لك الأثاث، ويمتحن لك كيف يسعك؟ وكيف يسعك؟ ودخل زوجك، هذا حديث النساء، يعني: إن كيدهن عظيم. تجد الشخص يبعث زوجته للبير، ترجع قالبة وجهها، لا يعجبها

لا تدخل على غني:

قال:

((من دخل على الأغنياء، خرج من عندهم وهو على الله ساخط))

لا يوجد عنده شيء يطلع، تكون صحته طيبة، لأنه مضطر يغسل كلاويه، دسامات قلبه ممتازة، شرايينه جيدة، ضغطه (8، 12)، صحته طيبة، مثل الحصان، يأكل بقابلية، عنده بيت يأوي إليه، غرفة نوف، غرفة ضيوف، مكيف، لكن لما دخل لعند الغني، وجد الثريا ثمنها مئتا ألف، السجادة ثمنها ثمانمئة ألف، هو لا يوجد عنده شيء، سخط على الله.

قال لها:

((يا عائشة، إذا أردت اللحوق بي، فليتكف من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخلي ثوباً حتى ترقيه))

يعني: إذا شخص جرابته فختت، هكذا قطبتان لا يحدث شيء، سعر الجوز خمسون ليرة، يوجد أناس فقراء، لا يوجد عندهم يلبسون جرابات، أنت اقطبه وادفع صدقة خمسين ليرة.

((إذا أردت اللحوق بي، فليتكف من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخلي ثوباً حتى تسترقعيه، وإياك والدخول على الأغنياء))

نصيحة سيد الأنام، طبعاً: الأغنياء غير المؤمنين؛ المؤمن متواضع، سخي، كريم، لا يحب الظهور، لا يوجد عنده مظاهر صارخة، المؤمن لو كان غنياً، قال:

لأن:

((كثرة الظهور تقصم الظهور))

ماذا فعل قارون؟:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾

[سورة القصص الآية:79]

الله ماذا قال؟:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

[سورة القصص الآية:81]

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

إذا الإنسان أراد أن يستعلي على الناس، أن يسفه لهم دنياهم، أن يدخل حرقة القلب في نفوسهم، الله كبير.

ما هي الأمور الثلاثة التي أقسم النبي عليه الصلاة والسلام عليهن؟ :

وعن أبي كبشة الأنماري قال:

((سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثلاث أقسم عليهن.

-أنت متى تقسم؟ إذا قال لك شخص: كم الساعة؟ تقول له: والله العظيم ثمانية وخمسة، كلام ليس له معنى، تقسم لسؤال عادي، السؤال يكون عند الإنكار، إذا أنكرك عليك الإنسان، تقول: والله العظيم أنا فعلت كذا.

فالنبي الكريم قال:-: ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: فأما الثلاث الذي أقسم عليهن: 1- فإنه ما نقص مال عبد من صدقة.

-والله أيها الأخوة، لو صدقنا هذا الكلام، لكننا من أكرم الكرماء.

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقلالا))

((عبدى أنفق أنفق عليك))

والله أخ من أخواننا، دخل لبيت فيه تعزية، المتوفى ابن عمه، فسأل: أعليه دين؟ قال: والله في عليه دين، قال: الدين علي، قال لي: قلت: عشرون، ثلاثون ألف، في اليوم الثاني: مئة وثلاثون ألف دفعهم بالتمام والكمال.

والله إنسان حي يرزق، عنده معمل، يقسم بالله في صبيحة اليوم التالي: جاءت اتصالات هاتفية، وباع واشترى مع ثلاثة شركاء، ربحه الصافي مئة وثلاثون ألف بيوم واحد، بيوم واحد، كأن الله عز وجل دفع عنه المبلغ، وأيده له باسمه.-.

ولا ظلمَ عبد لمظلمة فيصبر عليها, إلا زاده الله بها عزاً.

-إنسان ظلموه, كن عبد الله المظلوم, ولا تكن عبد الله الظالم, يعني أنت أفضل لك ألف مرة أن تكون مظلوماً, وألا تكون ظالماً, المظلوم انتهى, الله عالجته وانتهى, أما الظالم أمامه معالجة مرة-.

ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر))

لأن:

ملك الملوك إذا وهب قم فاسألن عن السبب
الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

الذي أعطاه يعطيك, فأنت عواض ما تتضعض أمامه, اطلب من الله, اطلب من الله.

فثلاثة أشياء:

((ما نقص مال عبد من صدقة, ولا ظلم عبد بمظلمة فيصبر عليها, إلا زاده الله عز وجل بها عزاً, ولا يفتح
عبد باب مسألة, إلا فتح الله عليه باب فقر))

ما الذي يفسد على المرء دينه كما ورد في هذا الحديث؟ :

آخر حديث: عن ابن كعب بن مالك, عن أبيه, قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ما ذنبان جائعان أرسلنا في غنم, بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف
لدينه))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ما الذي يفسد دينه؟ حرصه على المال وعلى السمعة, أية سمعة على حساب دينه؛ هكذا الناس, هكذا الأكابر يفعلون, هكذا الرأقيين يفعلون, ولو خرقنا قواعد الدين, إذا خرقنا قواعد الدين, وأردنا المكانة العليا على حساب ديننا.

قال: حب الإنسان حرصه على ماله, وحرصه على شرفه, معنى شرفه على سمعته, على حساب دينه.

قال:

((ما ذئبان جائعا أرسلا في غنم, بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه))

يعني: ما الذي يحطم الدين؟ حرصك على المال, وعلى مكانتك الاجتماعية التي على حساب دينك.

ملخص الدرس :

ملخص الدرس:

((درء المفاسد مقدم على جلب المنافع))

المثل: وعاء في ثقب, قبل أن تملأه حليباً سد الثقب, وإلا لا تستفيد شيئاً من ملئه حليباً, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-17} : فلسفة المصيبة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 10-08-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما الذي ينبغي أن لا ينساه المريض المؤمن؟ :

أيها الأخوة الكرام, لا شك أن الحياة الدنيا مفعمة بالمصائب والأحزان والهموم, ولكن أهل الإيمان يعرفون حكمة المصائب, المصيبة تقع ولا أحد ينكرها, ولكن الناس يتفاوتون في تفسيرها.

فعن جابر قال:

((قال النبي ﷺ: يود أهل العافية يوم القيامة, حين يُعطى أهل البلاء الثواب, لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض))

[أخرجه الترمذى عن جابر في سننه]

يعني: عند الله أن يستوي صحيح ومريض, هذا عاش حياة كلها أمراض, ومعاناة, وآلام, وهذا عاش حياة صحيحة, لا شك أن الله سبحانه وتعالى حكيم, أعطى الصحة لمن كانت الصحة في حقه حكمة, أعطى المرض لمن كان المرض في حقه مرضاً, ولكن المريض المؤمن, لا ينبغي أن ينسى أن لهذا المرض عند الله ثواباً.

الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء وفي الآخرة موزعة توزيع جزاء:

((يود أهل العافية يوم القيامة, حين يعطى أهل البلاء الثواب, لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض))

[أخرجه الترمذى عن جابر في سننه]

معنى في الدنيا: في مريض وفي صحيح, في غني وفي فقير, في قوي وفي ضعيف, في وسيم وفي دميم, في ذكي جداً وفي أقل ذكاء, هذه الحظوظ التي وزعت في الدنيا, وزعت توزيع ابتلاء, وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء, وهذه فكرة دقيقة جداً:

لو أتينا برجلين؛ إنسان فقير, وإنسان غني, لو أن الفقير -مثلاً- نجح في امتحان الفقر, وأن الغني رسب في امتحان الغنى, تمتع الفقير بجنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الأبدين, وذاق الغني الذي سقط في الامتحان, آلام العذاب إلى أبد الأبدين, لو أن الغني نجح في امتحانه, لكان غنياً في الدنيا غنياً في الآخرة, لو أن الفقير نجح في امتحانه, لكان سعيداً في الدنيا غنياً في الآخرة, فالحظوظ توزع في الدنيا توزيع ابتلاء, قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

يعني: في الدنيا كن واقعياً, مجند, هرة تقف في حفرة ممتلئة ماء في الشتاء, في خط المواجهة الأول, يشبه رئيس أركان, غرفة مدفأة, أوامر, إلى آخره

حسناً: ممرض في مستشفى كرئيس المستشفى؟ بائع متجول كرئيس غرفة التجارة؟ في فرق كبير جداً:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

بيت غرفتين تحت الأرض, سياقات مكشوفة, رطوبة في الجدران, مثل بيت أربعمئة متر بأرقى أحياء دمشق!؟:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

إذا كان مرتبة الدنيا الدنية مؤلمة جداً, لكنها مؤقتة, ولا تعني شيئاً, قد يكون الذي حُرِم الدنيا, أرقى عند الله من الذي أعطيتها, أما مرتبة الآخرة, تعني كل شيء وإلى أبد الأبدين:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾

[سورة القمر الآية:54]

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر الآية:55]

المتقون لهم عند الله مكانة كبيرة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[سورة مريم الآية:96]

والله إذا الإنسان متصور مع إنسان مهم، يضع الصورة في جيبه، وكلما التقى بإنسان، يريه إياها، وهذا رقم تلفونه معي، يقول لك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[سورة مريم الآية:96]

خالق الكون يود، كان لك مودة معه، فلذلك: الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء، والحظوظ في الآخرة توزع توزيع جزاء، يصبح في ترميم، إنسان قوي وإنسان ضعيف؛ لو أن الضعيف امتحن في امتحان الضعف، نجح، صبر ولم يضجر، ولم يبع دينه بدنياه، والقوي رسب فرضاً، فاستعلى بقوته، وطفى بقوته.

((طفى وبغى، ونسى المبتدى والمنتهى))

والدنيا محدودة، سريعاً ما تمضي، تأتي الآخرة، فإذا بهذا المستضعف كان في جنات النعيم، وهذا الذي رسب في قوته، كان في أسفل سافلين، فالعبرة دقيقة جداً، نحن في حظوظ ابتلاء لا في حظوظ جزاء، فرق كبير بين أن تكون في الجنة مقرباً إلى الله، وبين أن تكون في الدنيا مقرباً للأقوياء، هذا ابتلاء، ذلك جزاء.

هذا هو الذي تمتحن به في هذه الحياة :

أخواننا: كل شخص منا في عنده مواد امتحان, ما الامتحان الذي يخوضه؟ كل شيء آتاك الله إياه, مادة امتحانك مع الله, وكل شيء حرمك الله منه, مادة امتحانك مع الله, أبدأ, الذي أوتيته مادة امتحانك مع الله, الذي حُرمته مادة امتحانك مع الله, من هنا: كان دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم ما رزقتني مما أحب, فاجعله قوة لي فيما تحب))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي في سننه]

الله عز وجل أعطى الإنسان طلاقة لسان, هذا حظ, أوتي هذا الحظ ابتلاء, فإذا وظفه في الحق, ارتقى عند الله, أوتي طلاقة اللسان, أحياناً: طريق اللسان يروج الباطل, أحياناً: يروج المنكر.

نصائح :

كنت قبل أيام في احتفال, جلس إلى جانبي أستاذ في الشريعة, فقلت له: إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيم استعملك, قال لي: نعم والله, الحمد لله, قلت له: غيرك يعلم الرقص, أليس كذلك؟.

فبين أن يستخدمك الله في تعليم شرعه, وبين أن يستخدمك في تعليم المنكر.

مرة افتتح مسجد في حرستا, حضرت الاحتفال, كان إلى جانبي مدير أوقاف الريف, قلت له: اشكر ربك على أن مكنك من أن تفتتح مسجداً, لأن البارحة افتتح ملهى.

صدقة جارية تركها صاحبها في الدنيا :

كنت مرة ناهي مسجد في الصبورة, فلما خرجنا من المسجد, وجدت الملهى المقابل الذي مات صاحبه, بعد أسبوع بنى افتتاحه, وبقي له صدقة جارية إلى يوم القيامة, هذا الملهى, كل معصية ترتكب فيه في صحيفته إلى يوم القيامة, فالحظوظ في الدنيا حظوظ ابتلاء, أنت بالمال مستخلف, وكل شيء في الدنيا حيادي, المال حيادي, يمكن أن تنفقه في المعاصي والآثام.

آخر عرس بالشيراتون, كلف ستين مليون, كم شاب يتزوج بهذه الملايين؟ ممكن يتزوج شاب بمئتي ألف, ببيت

مئة وخمسون في الريف, بعين ترمة, وخمسون أثاث, وساعة وخاتم ذهب مئتا ألف, قسم ستين مليون على مئتي ألف, تتحل مشكلة كم شخص؟.

الأغنياء غير المؤمنين, إن أنفقوا المال, أنفقوه إسرافاً وتبذيراً, إن أمسكوه, أمسكوه بخلاً وتقثيراً.

قارن بين مزرعة الحق وبين مزرعة الباطل :

أيها الأخوة, قوة الإقناع حيادية, قد تقنع بالباطل, وقد تقنع بالحق, الصوت الحسن حيادي, قد تؤذن, وقد تقرأ القرآن, وقد تغني, وكم من قارئ قرآن أصبح مغنياً, امتحن بالصوت الحسن فرسب, المطعم حيادي, يمكن أن تقدم للزيائن طعام حلال, يمكن أن تقدم لهم الخمر, أبدأ, مزرعة, كم من مزرعة تأتيها النساء, ويسبحن أمام الرجال؟ كل المنكرات, وفي مزارع تؤسس من أجل نشر الحق, أبدأ, كل شيء حيادي؛ العلم حيادي, الأدب حيادي, في أدب, يأتي الشاعر فينظم الشعر في مدح رسول الله ﷺ, ويأتي شاعر فينظم الشعر في وصف المرأة, ألم يقل سيدنا حسان:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

الشعر حيادي, الأدب حيادي, العلم حيادي, الخطابة حيادية, يمكن أن تخطب في مسجد, وأن تخطب في مجتمع منحرف, لتلقي الإلحاد في نفوس الناس, وكلاهما خطيب, الزواج حيادي, يمكن أن يكون الزواج وفق منهج الله, تسعد به طوال الدنيا, يمكن أن يكون الزواج بني على معصية, تشقى به في الدنيا.

فكرة دقيقة :

الفكرة الدقيقة: الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء, إنها سوف توزع في الآخرة توزيع جزاء, هل يسمى الغني في الدنيا غنياً عند الله؟ لا, لا, أبدأ, هل يعد الفقير؟ لا, لا, أبدأ.

سيدنا علي يقول:

((الغنى والفقير بعد العرض على الله))

الآخرة، الغنى بالآخرة غنى جزاء، أما الغنى بالدنيا غنى ابتلاء، وسامة، الإنسان قد يستخدم وسامته لإغواء الفتيات، وقد يستخدم وسامته لإقناع الناس بالدين، أبداً، كل شيء آتاك الله إياك، مادة امتحانك مع الله. الآن: كل شيء حرمك الله منه، مادة امتحانك مع الله، في مواد إيجابية، مواد سلبية، العطاءات امتحانات، والحرمان امتحان.

شخص الله حرمه -مثلاً- الذرية، يلقي الله صابراً، الله عز وجل يكرمه في الآخرة، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

سيدنا رسول الله ﷺ مات ابنه إبراهيم، قال:

((إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون))

هذا ما حدثني به الأخ الطبيب :

حدثني أخ طبيب، يعمل في مستشفى، قال لي: لحكمة أرادها الله، جاءنا مريض مصاب بسرطان بالأمعاء، جلس في غرفة، كلما دخل عليه زائر، يقول له: اشهد أنني راض عن الله، يا ربي لك الحمد على هذا المرض العضال، أقسم بالله هذا الطبيب، صديق لي، قال لي: كلما قرع الجرس، تنافس من في المستشفى لخدمته، إذا دخلنا إلى غرفته، قال: والله رائحة عطرة، مع أن أمعاءه مفتوحة إلى الخارج، أقسم بالله، يقرأ القرآن، ويبتهل إلى الله، وجهه مشرق، كلما دخل عليه إنسان، يقول له: اشهد أنني راض عن الله، الأطباء معجبون به، الممرضات يتهافتون لخدمته، ثم توفاه الله، الحكمة التي أرادها الله: أن بعد هذا المريض الذي توفاه الله، جاء مريض آخر مصاب بالمرض نفسه، لكنه غير مؤمن، أقسم بالله، ما من نبي إلا يسبه، مسببات الدين عنده مثل المسبحة، رائحة الغرفة لا تقابل، الأطباء يتهربون من زيارته، ساخط على الله، جاحد فضل الله، ومات، من في المستشفى، رأى رأي العين من هو المريض المؤمن، ومن هو المريض الكافر، المرض مرض.

ما الدليل من الكتاب على أن الإنسان مبتلى في هذه الدنيا؟ :

الشيء العجيب: أن الإنسان في الدنيا في دار ابتلاء, الدليل:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الملك الآية:2]

قال تعالى:

﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:2]

فالابتلاء حتمي, فلذلك: الإنسان إذا كان في بجموحة, فليشكر الله, إذا كان في مشكلة, لا ينسى أن الله سيثيبه عليها إذا صبر.

أم سلمة صبرت على مصيبتها فعوضها الله خيراً منها, إليك ذلك :

في أحاديث كثيرة, تؤكد أن الإنسان إذا ابتلاه الله بمصيبة, فصبر عليها, عوضه الله خيراً منها.

فأم سلمة رضي الله عنها, توفي زوجها أبو سلمة, وكان أبو سلمة من أرقى الرجال, كان ملء السمع والبصر, يعني رجل فذ؛ كرم, على علم, على فهم, على محبة, على عطف, على رحمة, فلما توفي زوجها, قال لها النبي الكريم:

((احتسبي هذا عند الله, وأسألي الله عز وجل أن يعوضك خيراً منه))

لا, هذه ليست معقولة, لأنه لا يوجد أفضل منه, بعد حين تزوجها النبي ﷺ, أبداً.

يعني: إذا الإنسان الله ابتلاه بمصيبة فصبر, عوضه الله خيراً منه.

ما شأن هذه الصحابية الجلييلة؟ :

هذه التي جاءها زوجها، ولدها مريض مرضاً شديداً، وكان زوجها صحابي كريم، كان ينطلق فجرًا إلى المسجد، يعود ظهرًا، يأكل وينام، ينطلق إلى عند النبي، يعود مساءً، فالولد مريض مرضاً شديداً، عاد مرة إلى بيته، قال:

((كيف حال الغلام؟ قالت: هو في أهدء حال -مرتاح تمام-، أطعمته، وتزينت له، وأصاب منها، وفي الصباح قالت له: إن الجيران إذا أعارونا شيئاً، ثم طلبوه أتغضب؟ قال: لا، قالت: وكذلك فعل الله عز وجل، استرد وديعته، فاصبر واحتسب، ذهب إلى النبي، وأخبره بما كان، قال له: بارك الله لكما في ليلتكما، وأنجبا غلاماً من ذريته، عشرة حفاظ لكتاب الله))

فالمؤمن يحتسب عند الله مصيبيته.

ما يحويه هذا الدعاء المبارك من معنى قيم :

الدعاء:

((اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب، فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي في سننه]

مثل منشار، معناها أنت: إن آتاك الله شيئاً تحبه، وظفته في الحق، إن حرمك شيئاً تحبه، وظفت فراغه في الحق. أحياناً: الإنسان يكون ماله قليل، والمال القليل، لم يعد في مجال للحركة الزائدة، جالس في بيتك، صار عندك فراغ، دخلك محدود، عندك هذا البيت، ما عندك غيره، في شخص مشغول؛ من سفر لسفر، للقاء، لنزهة، يقول لك: العشاء بمكان، والغداء بمكان، والفجر بمكان، ولقاءات، واجتماعات، في مال وفير، في حركة واسعة جداً، فالمال القليل يقيد حركتك، صار في عندك فراغ.

((وما زويت عني ما أحب، فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

هذا دعاء النبي، لذلك: كان عليه الصلاة والسلام: إذا جاءت الأمور على نحو يرضيه، قال:

((الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات - وإن جاءت على نحو لا يرضيه- يقول: الحمد لله على كل حال))

[أخرجه ابن ماجه عن عائشة في سننه]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((عجبت لأمر المؤمن, إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان ذلك له خير, وإن أصابته ضراء صبر
فكان ذلك له خير, وليس ذلك لغير المؤمن))

هذا ما قاله هذا الأستاذ في المؤتمر في بلد أوروبي :

في أستاذ جامعة, ذهب إلى بلد أوروبي, ليحضر مؤتمر في الطب النفسي, كان مندوب سورية, فقال في المؤتمر: أنا أبلغكم بصراحة, وببساطة: أننا في بلادنا, لا نعاني من الأمراض النفسية, فسألوه: ولم؟ قال: لأن شعبنا مؤمن بالله, إن جاءت المصيبة يستسلم لقضاء الله, لا ينتحر, يقول لك: هكذا يريد الله, هكذا يريد الله عز وجل:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية:48]

فالصبر مفتاح الفرج, أما:

﴿يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر الآية:10]

الصابر يعطي شيك مفتوح لكن موقع, عبدي بغير حساب, لا يوجد رقم محدد, لكن موقع, أنت مع الرقم الذي تريده, هذا الصابر.

نصيحة من نبيك عليه أفضل الصلاة والتسليم :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((قال عليه الصلاة والسلام - هذا حديث رواه الإمام أحمد-: انظروا إلى من أسفل منكم, ولا تنظروا إلى من هو فوقكم, فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم))

يعني: إذا شخص شرب كأس ماء, والطريق سالك, هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها.

أحياناً: بحصة في الحالب, آلام انحباس البول لا تحتل, إذا البحصنة طولت, يحدث تسمم كلوي, وأحياناً: تتوقف الكليتان عن العمل.

فكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا قضى حاجته قال:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني))

قال لي شخص:

مرة قال لي شخص: لا يوجد بيع وشراء, أسواق كثيرة واقفة, قلت له: أنت مضطر تغسل كلاويك كل جمعة؟ قال: لا, مضطر تغير دسام قلبك؟ قال: لا, في عندك مشكلة بالدماغ؟ قال: لا, خلص.

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه, معافى في جسمه, عنده قوت يومه, فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

اعرف قيمة هاتين النعمتين :

صدقوني أيها الأخوة: هذه النعم الثلاث, لا يعرفها إلا من فقدها؛ نعمة الأمن, لست ملاحقاً, لا يوجد مذكرة بحث, تركب مركبتك, تذهب إلى الزبداني, غير مسموح, ممنوع تطلع, غير مسموح, الزم بيتك, طريق, تسافر, معك جواز سفر, تأخذ فيزا, تمشي, هذا أمن الإيمان.

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافى في جسمه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

أيها الأخوة، لشدة تعقيد الجسم البشري، لمجرد أن تستيقظ دون أن تشعر بالألم، صحيح الجسم، فأنت في معجزة، السلامة هي المعجزة، السلامة المعجزة، لأنه قال:

بالعين في ماء، له صنبور من أعلى، وفتحة من أسفله، ما دام الفتحة تتناسب مع الصنبور، ضغط العين طبيعي، أما لو أن خثرة أغلقت، الفتحة السفلى الصنبور يتدفق، يرتفع ضغط العين، يصاب الإنسان بانزلاق الشبكية، ويفقد بصره، فأنت ثبات ضغط العين.

أحياناً: تجد خثرة حمراء بالقرنية، رأساً يقول لك: افحص رأس العين، ضغط العين دقيق جداً، السائل يتغير، طيب الأذن: في ثلاث قنوات فوق الأذن، قنوات فيهم سائل، وفيهم أشعار، إذا الواحد مال، السائل باعتبار مستوي، والقناة مالت، يصعد السائل بمس الأشعار، يتنبه الإنسان، يعمل هكذا

لولا هذه القنوات، الإنسان يحتاج إلى أن يمشي هكذا

لولا هذه القنوات، الإنسان يحتاج إلى أن يمشي هكذا

أنت نائم مرتاح، تجمع اللعاب بفمك، الطبيب يضع لك شراًءة، طبيب الأسنان، أما أنت نائم، لا يوجد شراءة، اللعاب تجمع، وأنت نائم، يأتي أمر من الدماغ إلى لسان المزمار، يغلق القصبة الهوائية، يفتح المري، تبلع ريقك، وأنت نائم، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدوها، حسناً: أنت تنام، تتنفس، لو أن الله عز وجل أوكلك التنفس، هل لديك قدرة أن تنام؟ تموت.

في مرض نادر جداً، هذا المرض يصيب مركز تنبه الرئتين في البصلة السيسائية، هذا المرض، الآن له دواء، لكن دواها يجب أن تأخذه كل ساعة؛ الساعة الثامنة يأخذ حبة، الساعة التاسعة حبة، العاشرة حبة، الحادية عشرة حبة، الثانية عشرة حبة، الواحدة، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة، السابعة، تضع منبه، تربط أربعة منبهات، من أجل تأخذ حبة، إذا لم تأخذها تموت، مركز تنبه الرئتين تعطل.

في طبيب بدمشق، أصيب بهذا المرض، يضع أربعة منبهات، جاء مرة ابنه من أمريكا، من فرحه: سهرتوا زيادة، نام ما استيقظ على المنبه، استيقظ، وجدوه ميت، خالص؛ لو أن الله عز وجل أوكلك التنفس، لو أوكلك الهضم، تأكل، لا يوجد مواعيد، ثلاث ساعات حتى أهضم؛ تريد تنزل البنكرياس، وتنزل الكبد، والصفراء، لا

الهضم, كُلُّ وارتاح, القلب يعمل, الرئتان تعمل, فلذلك:

((انظروا إلى من هو أسفل منكم, ولا تنظروا إلى من هو فوقكم, فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم))

نبيك تعظم عنده النعمة مهما دقت :

النبي عليه الصلاة والسلام: كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت.

شخص شرب كأس ماء, معه مفتاح بيت.

كان النبي الكريم إذا دخل بيته, قال:

((الحمد لله الذي آواني, وكم ممن لا مأوى له؟))

قصة لها مغزى :

حدثني أخ كان بمدينة حلب كان, أيام الصيف, وزدحام, فندق رقم واحد لا يوجد, مشغول, الثاني, الثالث, للساعة الثانية عشرة في الليل, يبحث عن مكان ينام, بعد ذلك قبل بفندق في نجوم الظهر, ليس خمس نجوم؛ المخدة زرقاء, من شهرين غير مغسولة, نام, يريد مأوى, الذي معه مفتاح بيت؛ كبير صغير, أجرة ملك, لك بيت, معك مفتاح بيت, فلذلك:

((انظر إلى من هو أسفل منكم, ولا تنظر إلى من هو فوقك, فذلك أحرى ألا تزدري نعمة الله عليك))

نهاية المطاف :

والنعمة:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

[سورة إبراهيم الآية:7]

الله عز وجل قال:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية:34]

أنا سوف أعطيك ليرة سوري, يقول لك: عدها, ماذا أريد أن أعد فيها هذه؟ ليرة سوري, هكذا الآية:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية:34]

النعمة الواحدة لا تنتهي فضائلها, ولا تنتهي بركاتها وخيراتها, أنتم عاجزون عن إحصائها, فلأن تكونوا عاجزين عن أدائها, أداء شكرها من باب أولى.

إذا شخص جاءه مولود, وسجل الهدايا, التسجيل أهون, لما رد الهدايا أهون؟ أي أهون؟ التسجيل أهون, إحصاء النعم أهون من شكرها.

وفي درس آخر إن شاء الله: نتابع هذا الموضوع, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-18} : الحديث عن الغضب ونهيه

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-08-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة :

أيها الأخوة الكرام, من السنة النبوية القولية, أحاديث كثيرة تزيد عن أربعين حديثاً, تتعلق في خلق سيء, يتخلق به بعض الناس, هذا الخلق السيء هو: الغضب؛ فكم من بيت انهار بسبب غضب شديد, أدى إلى تصرف مدمر؟ وكم من شركة تقوضت بسبب غضب شديد, أدى إلى تصرف أحمق؟ وكم من بيت تشرد؟ وكم من زواج تفسخ بسبب الغضب؟ فلذلك: النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة, تزيد عن أربعين حديثاً: يتحدث عن هذا الخلق السيء.

ما معنى هذه الأحاديث؟ :

أيها الأخوة, يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنما العلم بالتعلم))

((وإنما الحلم بالتحلم))

((وإنما الكرم بالكرم))

معنى هذه الأحاديث الثلاثة: أن هناك حلاً حقيقياً أصيلاً, وهناك حلم متصنع, هناك كرم حقيقي أصيل, وهناك كرم متصنع, هناك علم حقيقي, وهناك تعلم.

حينما يقول عليه الصلاة و السلام:

((إنما العلم بالتعلم))

((وإنما الحلم بالتحلم))

((وإنما الكرم بالتكرم))

يعني: هذه الأخلاق الراقية تبدأ بالتصنع؛ يتصنع الحلم، يضبط أعصابه، يكظم غيظه، يتصنع الكرم، ينفق من ماله، يعاون أخاه، فإذا رأى الله عز وجل من العبد ضيقاً لنزواته، وسيطرة على أهوائه، منحه عندئذ الخلق الأصيل، الحلم الحقيقي:

((إنما الحلم بالتحلم))

((إنما الكرم بالتكرم))

((إنما العلم بالتعلم))

طريق الحلم أن تتصنع الحلم، طريق الكرم أن تتصنع الكرم، لذلك: ورد في الأثر:

((من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم))

فإذا أردت الخلق الأصيل، فابدأ بتصنع هذا الخلق، إكظم غيظك، لا تغضب، سيطر على أعصابك، ولو أنك من الداخل كالمرجل تغلي، يمكن في البداية أن يتصنع الإنسان الحلم، في داخله مرجل، أما في ظاهره سيطرة؛ لكن بعد حين: ينقلب هذا التحلم إلى حلم، هذا التكرم إلى كرم، هذا التعلم إلى علم.

((إنما العلم بالتعلم))

((وإنما الكرم بالتكرم))

((وإنما الحلم بالتحلم))

لو أنك متضايق جداً، لو أنك تغلي كالمرجل، اضبط ظاهرك، بعد حين: يكرمك الله عز وجل بخلق أصيل.

من هو الشديد كما أشار إليه الحديث؟ :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

((ليس الشديد بالصرعة، -من هو الصرعة؟ القوي، البطل الذي يصرع الآخرين، يعني عنده عضلات قوية

جداً، ملاكم، تعلم الصراع الحر مثلاً، أي إنسان يغلبه، يطرحه أرضاً.

قال عليه الصلاة والسلام:- ليس الشديد بالصرعة -ليس هذا هو الشديد- إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

((الغضب))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، ومالك في الموطأ]

أنت شديد، حينما تملك نفسك عند الغضب.

متى يكون الصبر؟ :

قال عليه الصلاة والسلام:

((الصبر -كما قال عليه الصلاة والسلام- عند الصدمة الأولى))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

أي إنسان، حينما يأتيه خبر سيء، بعد حين يألف هذا الخبر، ويقبله، ويصبح واقعاً له، أما بطولية المؤمن: لا بعد

حين، ولكن عند تلقي النبأ الأول.

((الصبر عند الصدمة الأولى))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

من هو الخلق الذي استحق أن يكون نبياً، واحتل مرتبة السيادة في عالم الأخلاق؟ :

قال عليه الصلاة والسلام:

((كاد الحليم أن يكون نبياً))

وقال:

((الحلم سيد الأخلاق))

إذا كنت حليماً بعيداً عن الغضب، تفكر بهدوء، تتخذ قرار صحيح، تتخذ موقف متوازن، تقف موقف عادل، لا تحيد، لا تظلم، لا تبالي، لا تبالغ، لا تبتطش؛ عقابك مدروس، مكافأتك مدروسة، مديحك مدروس، ذمك مدروس، أما حينما يتقلت الزمام من يدك، وتسيطر نفسك، عندئذ أي شيء تفعله، ربما قاد إلى هلاك.

هذه وصية النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الرجل :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ، قال:

((أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب))

أنت حينما تغضب، تنقلب إلى إنسان آخر؛ فكر معطل، اللسان سليط، اليد طليقة، ربما قادتك الغضب إلى ما لا تحمد عقباه.

وصدقوني أيها الأخوة، بحكم عملي في الدعوة إلى الله، ترفع إلي بعض القضايا الاجتماعية؛ إن آلاف البيوت هدمت بسبب الغضب، إن آلاف الطلاقات وقعت بسبب الغضب، إن عدداً كبيراً من الشركات تقوض بسبب الغضب، إن إخفاقات كثيرة حصلت بسبب الغضب، الغضب مدمر للإنسان.

كنت أقول من قبل: أن الجهل عدو الإنسان الأول، يمكن أن أضيف إلى هذا العدو الأول عدواً ثانياً، ألا وهو: الغضب؛ الإنسان حينما يغضب، يتقلت الزمام من يده.

الآن: لا يوجد طلاق يقع، إلا في ساعة غضب في الأعم الأغلب، ومع الطلاق تشرد أولاد، مع التشرد آلام،

مأس، فيمكن أن تعد عدوك الأول، والثاني: الجهل والغضب.

قال:

((فردد مراراً، قال: لا تغضب))

أشر إلى موضع الشاهد في هذا الحديث :

وعن أبي سعيد الخدري، قال:

((صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار، ثم قام خطيباً، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة، إلا أخبرنا به.

-طبعاً من باب التحفظ: أن الذي قاله النبي ﷺ عن آخر الزمان، وعن أشراط الساعة الكبرى والصغرى، هذه ليست من عنده، إنما من إعلام الله له، لأن النبي عليه الصلاة والسلام بذاته لا يعلم الغيب، قل لا أعلم الغيب:

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

[سورة الأعراف الآية:188]

وأي إنسان يدعي أنه يعلم الغيب، فهو كاذب، لا يعلم الغيب إلا الله.

قال:- حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: إن الدنيا حلوة خضرة -فيها بساتين، فيها مزارع، فيها بيوت جميلة جداً، فيها نساء جميلات، فيها متنزهات، فيها طعام طيب، فيها مركبات فارهة، فيها أماكن رائعة، إطلالات جميلة-.

وإن الله مستخلفكم فيها -قال تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

[سورة البقرة الآية:30]

فناظر كيف تعملون؟.

-أنت الآن تحت المراقبة, تحت مراقبة الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء الآية:1]

الله ﷻ جاء بنا إلى الدنيا, لينظر ماذا نعمل؟ نستقيم أم ننحرف, نصدق أم نكذب, نعطي أم نمنع, نخلص أم نخون, نقيم الحق أم نقيم الباطل, ننطق من الشرع أم من أهوائنا.-

فناظر كيف تعملون؟ ألا فاتقوا الدنيا.

-أول نصيحة: فاتقوا الدنيا, لأن الدنيا تغر وتضر وتمر.

قصة فيها دعاية فيها عبرة :

أنا ذكرت لكم قصة, ذكرتھا فيما أذكر: أن إنساناً كان يعمل في أحد المحلات في سوق الحميدية, كان ذا دعاية, توفي رحمه الله, كان شاباً, وكان يجمع قمامة المحل في علبة فخمة, يلفها بورق ثمين, وعليها شريط أحمر, يضعها على الرصيف, يأتي إنسان يحملها, وهو يظن أنه أمسك شيئاً ثميناً, بعد مئة متر, أو مئتي متر يقيم الشريط, ينزع الشريط, بعد مئتي متر أخرى ينزع الورق, ثم يفتح العلبة, لعل فيها ذهباً, أو ألماساً, أو قطع ثمينة, فإذا فيها قمامة المحل, هذه المفاجأة, هذا الإحباط.

صدقوني أيها الأخوة, الإنسان حينما يتعلق بالدنيا, عند الموت يفاجأ أنها ليست بشيء, أنها مضت كالمح البصر, أنها مضت بكل ملذاتها, وبقيت تبعاتها.

ما فحوى هذه القصة؟ :

أنا أذكر لكم محل من المحلات التجارية الرائجة, يعني صاحب محل, ثلاثة شركاء, إذا سرت في هذه المحلات التي إلى جانب بعضها بعضاً, لا تجد فيها أحداً إلا هذا المحل, خمسين إنسان, عشرين, خمسة عشر يشتري, يبدو أن أصحاب هذا المحل, على خبرة عالية جداً في شراء البضاعة, وعلى خبرة عالية جداً في البيع, وقد

استقطب هذا المحل معظم الزبائن, شركاء ثلاثة, أحدهم في الثانية والثلاثين, أصيب بمرض عضال, في الفترة الأولى ما أخبروه بهذا المرض, فهو كثير الدعابة, كثير المزاح, لكن حينما علم بمرضه, تأتيه نوبات هستيرية من حين لآخر, يقول: لا أريد أن أموت, هو طبعاً لا يصلي, بعيد عن الدين, بعد الأرض عن السماء, منغمس في الملذات والشهوات انغماساً كاملاً, فلما علم أن مرضه مرض خبيث في دمه, وأنه في مقتبل العمر, وأن هذا المال الذي حصله, وهذا البيت الذي شتره, وتلك المركبة التي اقتناها, لا تقدم له شيئاً, جاءت هذه النوبات.

يقسم لي أحد الأخوة الكرام, يسكن في البناء الذي يسكن فيه هذا الإنسان, حينما جاءه ملك الموت, صاح صيحة, لم يبق في البناء كله إنسان, إلا وسمع هذه الصيحة, عندما يأتي ملك الموت, يرى أن الدنيا ليست بشيء.

ما معنى اتقوا الدنيا؟ :

قال عليه الصلاة والسلام-: إن الدنيا حلوة خضرة, وإن الله مستخلفكم فيها, فناظر كيف تعملون؟ ألا فاتقوا الدنيا.
-ما معنى: اتقوا الدنيا؟ يعني: اتقوا أن تغرنكم الحياة الدنيا, اتقوا أن تتوهموا أنها شيء عظيم, هي أقل من ذلك.

هذه هي الدنيا عند أبي عبيدة الجراح :

دخلوا على سيدنا أبي عبيدة الجراح في الشام, وكان قائد الجيش الإسلامي, رأوا عنده جلدًا بلا وبر, وقدراً مغطى برغيف خبز, وسيفاً معلقاً على الحائط, وهو قائد الجيوش الإسلامية, فقالوا:

((ما هذا يا أبا عبيدة؟ قال: هو للدنيا كثير, ألا يبلغنا المقيط؟))

نقطة هامة :

أنت ألا تلاحظ, أحياناً: في الطريق إلى بيروت, في ظهر البيدر خيمة, يقبع بها أناس, إلى جانب هذه الخيمة قصر منيف, خيمة, الدنيا ماضية, لا أقول لكم: اسكنوا بالخيمة, لا, هؤلاء الذين سكنوا بالخيمة, أناس مضت حياتهم هكذا, والذين سكنوا في البيوت الفخمة, مضت حياتهم هكذا, يأتي الموت؛ أنهى البيت الفخم, وأنهى الخيمة.....

يعني: في معنى دقيق جداً، أحب أن يكون واضحاً لكم: الإنسان حينما يستمتع بالدنيا، أو حينما لا يستمتع، هل استمتاعه له أثر مستقبلي؟ لا، هل عدم استمتاعه له أثر مستقبلي؟ لا.

شخص أكل أطيب طعام، والثاني أكل أخشن طعام، بعد حين أصيب الرجلان بألم في أسنانهما، لو تذكر الأول طعم الطعام الطيب، هل ينسى ألم أسنانه؟ انتهى، لو تذكر الثاني طعم الطعام الخشن، هل ينسى ألم أسنانه؟ الاستمتاع يمضي، ليس له أثر مستقبلي.

مرة ضربت مثل: إنسان جلس في حوض السباحة، ماء فاتر، مريح، جلس ساعتين، ثلاثة، جعلها هوابته، متى يصبح طبيباً؟ وهو في هذا الحوض، متى يصبح تاجراً؟ متى ينال شهادة؟ ليس لها آثار مستقبلية، فالتمتع بالدنيا ليس له أثر في الآخرة، أما العمل الصالح في الدنيا له أثر في الآخرة-.

ما هو الجانب الثاني الذي أمرنا به النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث؟ :

ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء .

-فاتقوا الدنيا؛ أن تغريكم، أن تتوهموا أنها شيء عظيم، أن الذي فاز بها هو الفائز، وأن الذي فاتته هو الخاسر، لا، اتقوا أن تفهموا هذا الفهم، واتقوا النساء :

((النساء حبائل الشيطان))

أنت أحياناً: تنصب شبكة للسّمك، الشيطان له شبكة لا تخيب أبداً، إنها النساء .

((إن إبليس طلاع رصاد، وما هو من فخوخه، بأوثق لصيده من النساء))

النساء فخ.

((اتقوا حبائل الشيطان))

فذلك الإنسان: عنده نقطتا ضعف؛ المال والنساء، فإذا انتصر عليهما، انتصر على نفسه، وسعد في الدنيا والآخرة.

أحياناً الإنسان: لا يؤتى من المال دقيق، دخله حلال، صادق لا يكذب، بضاعته مشروعة، بيعه شرعي، دخله كبير، جيد جداً، لكن قد يؤتى من النساء، وأحياناً الإنسان: لا يؤتى من النساء، يؤتى من المال، إن الخطيرين الشديدين على الإيمان: المال والنساء، لذلك: لو أخذت مئة تشريع رباني، لوجدت أن تسعة أعشار التشريعات، متعلقة بكسب المال والنساء.-

هذه الصفة ينبغي أن يعلمها المؤمن :

وكان فيما قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا لا تمنعن رجلاً هيبة الناس، أن يقول بحق إذا علمه))

-يعني: الإنسان، الإنسان المؤمن، لا تأخذه في الله لومة لائم، الحق أعلى عليه من الناس جميعاً، يقول الحق ولا يعبأ بأحد:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة الأحزاب الآية:39]

مفصل هام :

وقال عليه الصلاة والسلام في هذه الخطبة الطويلة: وإن من الناس البطيء الغضب السريع الرضا، -بطيء الغضب سريع الرضا-، ومنهم سريع الغضب سريع الرضا، فتلك بتلك، -بطيء الغضب بطيء الرضا، سريع الغضب سريع الرضا، هذه بتلك، ميزة وسيئة، بطيء الغضب ميزة، بطيء الرضا سيئة، سريع الغضب سيئة، سريع الرضا ميزة، هذه بتلك، بالرياضة تعادل.

قال عليه الصلاة والسلام:-: فتلك بتلك، -ميزة غطت سيئة-، ألا وإن منهم سريع الغضب، بطيء الرضا، -أعوذ بالله شيئان؛ سريع الغضب، بطيء الرضا، هذا شهرم-، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الرضا، -أربعة نماذج؛

سريع سريع, بطيء بطيء, سريع بطيء, بطيء سريع, حفظوها؟ لا, لا.

سريع الغضب سريع الرضا, هذه بتلك.

بطيء الغضب بطيء الرضا.

الآن: بطيء الغضب سريع الرضا, أكمل شيء, أسوأ شيء: سريع الغضب بطيء الرضا.

الله يجعلنا في الدرجة الأولى: بطيئو الغضب سريعو الرضا, لأنه:

((من استرضي ولم يرض, فهو حمار))

كما قال الشافعي.

الله عز وجل ملك الملوك يُسترضى, يسترضى بالصدقة.

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

((إن الصدقة تقع في يد الله تعالى, قبل أن تقع في يد السائل))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

هذا ما عند الناس :

قال:- وإن من الناس حسن القضاء حسن الطلب, -يؤدي ما عليه بشكل جيد, ويطلب ما له بشكل جيد-, ومنهم سيء القضاء حسن الطلب, ومنهم حسن القضاء سيء الطلب, فتلك بتلك, ألا وإن منهم السيء القضاء السيء الطلب.

-إذا في عليه ذمة يموتك وإذا له مبلغ معك يهلكك, يعني طلبه سيء, وقضاؤه سيء, سيء الطلب والقضاء, هذه سيئتان: حسن الطلب, حسن القضاء, ميزتان: سيء حسن, حسن سيء, هذه بتلك, لذلك:

((رحم الله عبداً سهلاً إذا باع, عبداً سهلاً إذا اشترى, عبداً سهلاً إذا قضى, عبداً سهلاً إذا اقتضى))

أما لماذا ذكرنا هذا الحديث؟ لعلاقته بالغضب.

هذا ما لفت إليه النبي ﷺ :

قال:- ألا وإن الغضب جمرة في قلب آدم, أما رأيتم إلى حمرة عينيه, وانتفاخ أوداجه؟.

-إذا شخص منا غضب, أنا أنصحه ينظر إلى المرأة, لا يحتمل منظره أبداً, إذا الإنسان غضبان, ينظر إلى المرأة, يصبح مثل الوحش, أما الحلیم ملك, لذلك:

((الحلم سيد الأخلاق))

و:

((كاد الحلیم أن يكون نبيا))

أنت عود نفسك أن تنظر إلى المرأة حينما تغضب.

نصيحة لك :

في نصيحة للنبي الكريم سأوردها لكم: أنت غضبان, أعظم نصيحة: إياك أن تتفق بكلمة, لأن أي كلمة تنطقها, ستكون قاسية جداً, سوف تسبب مشكلة, وإذا غضبان الثاني مثلك, تكلم كلمة, سوف تكون أقسى من كلمتك, وسترد عليه بأقسى, قد تنتهي إلى الضرب, وقد تنتهي العلاقة الزوجية إلى الطلاق, فلذلك: إذا غضبت فاسكت, إذا غضبت فاجلس, إذا غضبت فتوضأ, إذا غضبت فاغتسل, إذا غضبت فاخرج, نصيحة: غضبت؛ اسكت, اجلس, توضأ, اغتسل, يوجد غضب أيضاً, اخرج من البيت, صار في مشاعر داخلية, لم يحدث شيء, ما تكلم كلمة, أما حينما تتكلم, أو حينما تتحرك, الويل للنتائج المؤلمة.

من آثار الغضب :

في أب جاء إلى البيت, اشترى طقم كنبأة جديد, له ابن صغير, عمره حوالي خمس, ست سنوات, مسك شفرة,

وضعها على الطقم على القماش, ففتح, والله شيء جميل, يعمل هكذا, يفتح القماش, لأن القماش مشدود, أول كنبابة, الثانية, الثالثة, الرابعة, الخامسة, جاء الأب ما تحمل, أتى بيدي ابنه, ووضعهم على الطاولة, وأتى بعصاة, ويضرب, حتى فش ارتاح, فاليدان اسودتا, أخذه على الطبيب, غرغرين, قطع اليدين فوراً, أخذه على المستشفى, قال له: بابا, لا تقطع لي يداي, الأب كان معه سلاح, سحب الفرد, أطلق الرصاص على نفسه, القصة هذه وقعت.

يا ترى, أي أعلى: ابنك أما طقم الكنبابة؟ وازن.

أحياناً الإنسان: يعمل شر, الذي يحدث من الشر, أكبر بكثير من الشيء الذي ضاع منه, ففي حالات صعبة جداً.

إنسان شك في خلق ابنته, أحب أن يعمل تحليل, المخبر, العينة كسرت معه, فأخذ فكتب إيجابي, حامل, جاء الأب مساء, قال له: مبروك حامل, ذهب وقتل ابنته فوراً, هذا حينما علم أن ابنته ما كان فيها شيء, كانت بريئة, وطاهرة, وعفيفة, ماذا حصل له؟.

في حالات أخواننا الكرام, الإنسان يخرج من جلده, إياك أن تغضب, ادرس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[سورة الحجرات الآية:6]

لماذا النبي حرم التصوير؟.

الآن يعملون مونتاج, خاطب فتاة, وما قبلت معه, صورتها قديماً, وضعها بالمونتاج على جسم عاري, أراها لزوجها, قوسها, قتلها, فلذلك الإنسان: يريد

((طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة))

نهاية الحديث :

قال-: ألا ترون إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحسَّ بشيء من ذلك، فليلصق بالأرض.

-قال-: وجعلنا نلتفت إلى الشمس، هل بقي من النهار شيء؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه))

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((بعثت والساعة كهاتين))

هو بعثة النبي عليه الصلاة والسلام: أحد أشرط الساعة، نهاية العالم، هذا موضوع الغضب.

هذا ما سأل عبد الله بن عمر رسول الله ﷺ :

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ قال:

((يا رسول الله، ماذا يباعدي من غضب الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: لا تغضب، إن لم تغضب، اقتربت من
رضاء الله))

لو كان الخبر سيء؛ يعني: حقق، تأكد، اطلب الدليل، تريت.

نصيحة ثانية لك :

في نصيحة ثانية، هذا أرجو الله عز وجل أن يلهمكم الصواب: إذا غضبت لا تتخذ قرار لبعد أسبوع، تجد نفسك في اليوم الثاني الأمر خف قليلاً، في اليوم الثالث خف، في اليوم الرابع خف، في اليوم الخامس بعد ذلك لا يوجد شيء، لو اتخذت قراراً وأنت غضبان؛ طلقت، فصمت الشركة، عملت مشكلة، لغيت العقد، لا تتخذ قرار وأنت غضبان، في دليل قرآني:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة النمل الآية:27]

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾

-سيدنا سليمان:-

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة النمل الآية:27]

تقصى الحقائق أولاً؛ إذا غضبان اسكت, غضبان اجلس, غضبان توضأ, غضبان اخرج, غضبان لا تتخذ قرار, أبدأ, هذه قاعدة ذهبية:

إذا كنت في حالة غضب, إياك أن تتخذ قراراً, والقرار بعد أسبوع.

الآن: شخص أحياناً يغضب من زوجته, يطلق, قال له الشرع: اتركها عندك, تتزين, تجده في اليوم الثاني, والله القضية ليست لهذه الدرجة, أنا كبرتها, بعد جمعة لا يوجد شيء, لو كان الطلاق يقع فوراً, ما بقي زوجة عند زوجها, فالطلاق لا يقع, طلقها مرة, تبقى عندك جالسة في البيت, ومع أول شهر, والثاني, والثالث.

خاتمة القول :

عن رجل شهد رسول الله ﷺ يخطب, قال:

((تدرون ما الرقوب؟ قالوا: الذي لا ولد له, قال: الرقوب كل الرقوب, الرقوب كل الرقوب, الرقوب كل الرقوب, الرقوب كل الرقوب, الذي له ولد فمات, ولم يقدم منهن شيئاً,

-يعني: أولاده كلهم تائهون, شاردون, عصاة, هذا كأنه ليس له أولاد-.

قال: تدرون ما الصعلوك؟ قالوا: الذي ليس له مال. قال: الصعلوك كل الصعلوك, الصعلوك كل الصعلوك,
الصعلوك كل الصعلوك, الذي له مال فمات, ولم يقدم منه شيئاً))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

من هو العقيم؟ الذي لم يترك ولداً ينفع الناس من بعده, له خمسة أولاد, ولا واحد نفع الناس من بعده, من هو
الصعلوك؟ الذي لم يقدم من ماله للآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-19} : الكبر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-08-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هي الصفة المهلكة في الإنسان والتي تمنع صاحبها من دخول الجنة؟ :

أيها الأخوة الكرام, هناك صفات في النفس مهلكة, من هذه الصفات المهلكة: الكبر, أضرب لكم مثلاً:

إنسان يوجد عنده في البيت كيلو لبن, جاءه ضيوف, أراد أن يسقيهم شراب اللبن, يمكن أن يضيف لهذه الكمية أربعة أمثال ماء, ويبقى شراباً طيباً, عذب المذاق؟ أما لو وضعت قطرة كاز مع هذا اللبن, هل يشرب؟ قطرة واحدة تفسده, وأربعة أمثال الكمية ماء, تجعله مستساغاً, شراباً طيباً.

الكبر يتناقض مع العبادة, فذرة كبر تمنع دخول الجنة, أخطاء كثيرة يمكن أن ترتكب, وأن يغفرها الله عز وجل, لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))

الكبر صفة ذميمة, صفة مهلة, العبادة لا تحتل ذرة كبر, وإلا تُرد على صاحبها.

ما السبب بمنع دخول الجنة من كان في قلبه ذرة من الكبر؟ :

عن عبد الله بن مسعود, عن النبي ﷺ قال:

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر.

-مثقال ذرة, لأن:

((الكبرياء إزازي, والعظمة رذائي, فمن نازعني شيئاً منهما, أذقته عذابي ولا أبالي)) -
فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً -أنيق- ونعله حسنة, قال: إن الله جميل يحب الجمال -لا
يوجد مانع, ولكن- الكبر بطر الحق, وغمط الناس))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

حديث دقيق جداً, رواه الإمام مسلم.

تعريف الكبر :

تعريف الكبر: أن ترد الحق, ألا تقبل الحق, أن تستكبر على الحق, أن ترى أنك أكبر من أن تطيع الحق, أن ترى أن الدين لا يصلح لهذا الزمان؛ هذا عصر علم, عصر تقدم, عصر انفتاح, الدين قيود, رد الحق, رفض الحق, الاعتقاد بعدم صلاحية الحق لهذا الزمان, وحينما يرد الحق, يقع الإنسان في الكفر, لأن النبي ﷺ, أو لأن الله ﷻ يقول:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية: 286]

فإذا ظننت أن هذه التكاليف فوق وسع الإنسان, فقد كذبت آية من كلام الله, وتكذيب آية واحدة تقتضي الكفر.
قال رجل:

((إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً, ونعله حسنة, فقال: إن الله جميل يحب الجمال, الكبر بطر الحق))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

سيدنا آدم عصى ربه, ثم تاب عليه فهدى, أما إبليس, إبليس موضوعه مع الله ليس معصية, قال:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

[سورة الأعراف الآية: 12]

رد أمر الله، ردُّ الأمر شيء، ومخالفته شيء آخر، فلذلك: العبادة لا تحتمل مثقال ذرة من كبر.

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))

من هم الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا يزكيهم؟ :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم -لا يكلمهم ولا يزكيهم-، قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم؛ شيخ زان، -في الخامس والستين يسهر للساعة الخامسة فجراً؛ لا عشاء، ولا فجر، ونام طول النهار، لأنه أتى بصحن، منثا محطة التي فيها ثمانون، أنا عندي مئتان يقول له، أي نعم-، وأمير كذاب، وعائل مستكبر))

وعائل مستكبر: فقير ومستكبر.

هذا ما ورد في هذا الحديث القدسي :

وقد ورد في الحديث القدسي:

((أحب ثلاثاً، وحبى لثلاث أشد؛ أحب الطائعين وحبى للشباب الطائع أشد، -شباب في مقتبل الحياة، الشهوات تفتعل في نفسه؛ ومع ذلك يغض بصره، ومع ذلك يطلب العلم، ومع ذلك يرضى بالقليل الحلال، ويركل بقدمه الحرام الكثير.

قال:- وأحب الكرماء وحبى للفقير الكريم أشد، وأحب المتواضعين وحبى للغني المتواضع أشد، وأبغض ثلاثاً؛ أبغض العصاة وبغضى للشيخ العاصي أشد))

للساعة الواحدة طاولة، خيش بيض، طيب إلى متى؟ ماذا تركت لآخرتك؟.

((من دخل في الأربعين، دخل في أسواق الآخرة))

دقق :

أخواننا الكرام دققوا: ذهبت إلى اللاذقية عشرة أيام، في اليوم السابع ماذا تعمل؟ تهييء بطاقات الدعوة، تهييء شراء الهدايا مثلاً، من اليوم السابع في ترتيب جديد، ترتيب دعوة، من واحد لسبعة إقبال، أي بلد سافرت، قبل أربعة، خمسة أيام؛ تفكر بالحجز، تفكر بالهدايا، بالعودة بشركة التقرير، إذا كان موظف رسمي عن أعمالك، حسناً:

((من دخل في الأربعين، دخل في أسواق الآخرة))

إذا الإنسان تجاوز الأربعين، بلغ أشده، خطه البياني صاعد، بالأربعين وقف، مشي هكذا بعد ذلك: بدأ ينزل.

((عبدى كبرت سنك، وانحنى ظهرك، وشاب شعرك، وضعف بصرك، فاستح مني، فأنا أستحي منك))

صدق القائل:

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول؟
تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطبع

لمن يكون الكبرياء؟ :

((ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم؛ شيخ زان، وأمير كذاب، وعائل مستكبر))

فقير مستكبر -نعم-.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعي عذبتة))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه، عن أبي سعيد وأبي هريرة]

الكبرياء لله، العظمة لله، هذا من شأن الله عز وجل، لا من شأن البشر، نحن فقراء، نحن ضعفاء.

نقطة مهمة :

أيها الأخوة، في نقطة دقيقة جداً: بالقدر الذي تتواضع لله، يرفعك الله، وبالقدر الذي تعلو على الله، يُذلك الله.

الآن: هل يوجد إنسان على وجه الأرض، نال من المقام الرفيع، كما نال النبي؟:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:1]

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:2]

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:3]

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:4]

وكل مؤمن له من هذه الآية نصيب، حينما يقبل على الله، يرفع الله له ذكره، ويعلي قدره، ويجعل له مهابة في مجتمعه.

ما الأشياء الثلاثة إذا برىء منهم الإنسان ومات على ذلك دخل الجنة؟ :

وعن ثوبان قال:

((قال رسول الله ﷺ: من مات وهو بريء من ثلاث؛ الكبر، والغلول، والدين، دخل الجنة))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

الكبر والغلو، لأن يغتصب مالاً حراماً، والدين أن يستدين، وليس في نيته أن يؤدي الدين.

((من مات وهو بريء من ثلاث؛ الكبر، والغلول، والدين، دخل الجنة))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

ثلاثة مقاييس ذكرهم النبي عليه الصلاة والسلام هم :

النبي عليه الصلاة والسلام ذكر بعض المقاييس، قال:

((بريء من الكبر من حمل حاجته بيده، وبريء من النفاق من أكثر من ذكر الله، وبريء من الشح من أدى
زكاة ماله طيبة بها نفسه))

إذاً: أنت آثم، حينما تتهم إنساناً بالشح، إذا أدى زكاة ماله، وأنت آثم أيضاً حينما تتهم إنساناً بالنفاق، وقد أكثر من
ذكر الله، وأنت آثم أيضاً حينما تتهم إنساناً بالكبر، وقد حمل حاجته بيده.

رواية أخرى تضمنت موضوع الكبر :

عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال:

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال له رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسناً، ونعلي
حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس))

أيها الأخوة، هذه رواية أخرى في الحديث.

يعني: أنت حينما توقن أن شرع الله عز وجل من عند خالق الكون، ومن عند خالق الإنسان، ومن عند الخبير،
ومن عند الصانع، وأن أكمل شيء هو منهج الله عز وجل، عندئذ تتقبل أوامر الله ونواهيه، تتقبل أوامر النبي
ونواهيه بالقبول الحسن، أما حينما ترى أنك فوق ذلك، هذا هو الكبر.

ماذا تفهم من هذا الحديث؟ :

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أصلحوا رجالكم, وحسنوا لباسكم, حتى تكونوا شامة بين الناس))

وكان عليه الصلاة والسلام: يُعرف بريح الطيب إذا مر .

وكان عليه الصلاة والسلام: نقي الثوب, كان من أكمل الخلق؛ فلذلك: المؤمن أنيق, نظيف, أموره منضبطة, ليس ما يتوهم بعض الناس, من أن المؤمن ليس له مظهر حسن, هذا مناقض لأوامر النبي عليه الصلاة والسلام.

هذا علاج الجبار في الأرض :

وعن سلمة بن الأكوع قال:

((قال رسول الله ﷺ: لا يزال الرجل يذهب بنفسه -يعلو ويعلو- حتى يكتب في الجبارين, فيصيبه ما أصابهم))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الجبار ما علاجه؟ القصم, والمسرف ما علاجه؟ الفقر, والزاني ما علاجه؟.

من يزني يُزنى به ولو بجداره إن كنت يا هذا لبيباً فافهم!

فالله عز وجل كل ذنب له عنده علاج, علاج الجبارين القصم, عذاب مهين, عذاب سريع.

قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يزال الرجل يذهب بنفسه, حتى يكتب من الجبارين فيصيبه ما أصابهم))

[أخرجه الترمذي في سننه]

من قصم, ومن دمار .

في صاحب محل معمل حلويات بلبنان, يمكن أضخم معمل في لبنان, سمعت من وقت طويل, أنه يصدر إلى بلاد الخليج, وبلاد النفط, كل يوم طائرتين أو أكثر, طائرة شحن محملة بالحلويات, وهو من أغنياء لبنان, دخل مرة إلى معمله, لم تعجبه عجينة المعمول, أمسكها ووضعها على الأرض, وعركها بقدميه وبجذائه, قال له صانعه: يا سيدي بالحداء؟! قال: الناس يأكلون من تحت قدمي, بعد ثلاثين يوماً أصيبت رجلاه بمرض الغرغرين, فقطعت رجلاه من ركبتيه, والآن مقيم بلندن بلا أرجل, هذا القصم.

((الجبار يقصمه الله))

و:

((عرفت الله من نقض العزائم))

الجبار يُحبط الله عمله, يقصمه الله عز وجل -نعم-. هذا مرض خطير.

هذا ما أخاف النبي ﷺ علينا :

أيها الأخوة, حتى الكبر يصيب المؤمنين, الدليل:

((لو لم تذبوا, لخفت عليكم ما هو أكبر))

ما هو الذي هو أكبر من الذنب؟ أقل العجب, العجب, العجب, هو العجب قريب من الكبر, الكبر يحتاج إلى إنسان آخر تعلق عليه, أما العجب من دون إنسان آخر, معجب بنفسه, ناظر إليها, تسبح بحمدها, تقدسها, تعلي شأنها, هذا العجب, العجب صفة ذاتية, أما الكبر صفة اجتماعية.

على كلّ؛ العجب والكبر من مصدر واحد, يعني عملية تضخيم للذات.

حدثني صديق:

حدثني صديق في عنده مزرعة، مزرعة دواجن، ففوجيء أنه في طير صغير، حجمه كبير، كأنه ديك، ما هذا؟! ثم فوجيء بأن الطبيب يقول: هذا طير صغير، لكن يوجد مرض اسمه: تضخم الجسم، علاجه بالشيفرة، يجرحون الجلد بنفس، على مرتين، ثلاثة، كيف أن هذا الطير مصاب بتضخم الذات، وعلاجه أن يفرغ من هذا الهواء الفارغ؟ كذلك في أشخاص عندهم مرض اسمه تضخم الذات، هذا التضخم علاجه: أن يصاب بمصيبة تقصمهم، يتحجم.

اقرأ هذا الحديث :

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال:

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: التَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ، قالوا: يا رسول الله! قد عَلِمْنَا التَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فما الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قال: الْمُتَكَبِّرُونَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

أبغض الناس إلى النبي الكريم: المتفقيهون، المتكبرون، والترثارون، والمتشددون.

إليكم هذا المشهد القرآني علام يدل؟ :

وعن عبد الله بن عمر حدثه، أن رسول الله ﷺ قال:

((بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

ماذا فعل قارون؟:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾

[سورة القصص الآية:79]

قال:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

[سورة القصص الآية:81]

الإنسان ليس له حق يعرض ما عنده على الناس، عرض عضلات، اشترى بيت، الله أكرمه فيه، يعطي توضيحات؛ هذا أربعمئة متر، البيت والله شيء جميل، الله يبارك لك فيه، البلاط إيطالي، هذا الشحن طائرة حسناً، الطقم الفلاني إيطالي، هذا مستورد، يظل يعطيك توضيحات، من أجل أن تتدهش بهذا البيت، أنت لن تتدهش، المؤمن يدهش بفضل الله، فليس من حق الإنسان أن يعلو على الآخرين.

حديثان وردا بشأن الكبر :

قال عليه الصلاة والسلام:

((من جر ثوبه من الخيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة))

[أخرجه النسائي في سننه]

في البيت: كلوا، واشربوا، وتنعموا، من غير إسراف ولا مخيلة، انظر؛ كل، واشرب، وتنعم، من دون إسراف ولا مخيلة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام:

((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

أخواننا, في ألف قصة؛ إنسان متكبر, قصمه الله, لأنه بالتواضع, قال:

((كل شيء - انظر إلى الأكمال - الكحل: أساسه حجر - وهي حجارة, لانت فصار مقرها في العين))

لما الحجر لان, صار مكانه في العين, الكحل حجر.

انظر إلى فعل نبيك ﷺ :

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

((مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ نَحْوَ بَيْعِ الْعَرْقَدِ، وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ النَّعَالِ، وَقَرَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، جَلَسَ حَتَّى قَدَّمَ هُمْ أَمَامَهُ، لِيَلَّا يَقَعَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي]

هكذا علمنا.

هذا شأن عمر :

مرة سيدنا عمر على المنبر, والناس كلها يسمعون خطبة, سكت, قال:

((يا بن الخطاب! كنت راعياً ترعى غنيمات على قراريط لبني فلان, لبني مخزوم, حسناً: هذه ليس لها علاقة بالخطبة, لماذا قلت هذا: سيدنا أبو ذر؟ قال له: جاءني نفسي, فقالت لي: أنت أمير المؤمنين, وليس بينك وبين الله أحد, -أنت قمة المجتمع-, أردت أن أعرفها نفسها, كنت راعياً, أرعى الغنم على قراريط لبني مخزوم, هكذا يا نفس))

الحديث قبل الأخير:

((كلوا, واشربوا, وتصدقوا, والبسوا, ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة))

كما قلت من قبل.

وعن أبي سعيد, عن رسول الله ﷺ قال:

((من يتواضع لله سبحانه وتعالى درجة, يرفعه الله به درجة, ومن يتكبر على الله درجة, يضعه الله به درجة, حتى يجعله في أسفل السافلين))

بعد ذلك: التواضع ليس خلق.

حقيقة: نحن لا شيء, الإنسان كل تفوقه قطرة دم, أقل حجماً من رأس الدبوس, إذا تجمدت في دماغه أصيب بالشلل, خثرة دماغية, لو كان ملك ما في, أليس كذلك؟ كيف تقول أنا؟ قل بفضل الله ورحمته, إذا الإنسان استيقظ معافى, معناها: الله سلمه, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-20} : ما هي علامات حلاوة الإيمان؟ وما لوازمه؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-08-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل فكرت في هذا السؤال؟ :

أيها الأخوة الكرام، في طائفة كثيرة من أحاديث رسول الله ﷺ، تتحدث عن شيء اسمه: طعم الإيمان.

كلكم وأنا معكم: ذقنا طعم الطعام، وذقنا طعم الشراب، ومعظم الحاضرين متزوج، ذاق طعم الزواج، وهناك من يسافر، ويرى بلاد الله الواسعة، هناك من يستمتع بالمناظر الجميلة، هناك من يتسلم أرقى المناصب، هناك من يملك أكبر الأرصدة؛ المال له طعم، والسفر له طعم، والزواج له طعم، والطعام له طعم، والشراب له طعم، بقي: هل ذاق طعم الإيمان؟.

متى يذوق العبد حلاوة أو طعم الإيمان؟ :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

((قال النبي ﷺ:- لا يجد أحد حلاوة الإيمان، -الإيمان له طعم حلو، الإيمان له حلاوة-، حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله))

أن تحب إنساناً، ليس هناك بينك وبينه قرابة، ولا شراكة، ولا جوار، ولا مصلحة، ولا تعامل، ولا منفعة، ولا طمع، ولا خوف، لا تحبه إلا لله، فإذا أحببت إنساناً لوجه الله، لإيمانه، ولقربه من الله عز وجل، فقد ذقت طعم الإيمان.

من لوازم طعم الإيمان :

من لوازم هذا الطعم: أن الإنسان يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار.

أحياناً: تجد إنسان على الحرف؛ لسبب تافه يذع الصلاة، لسبب تافه لا يقيم شعائر الله، لسبب تافه لا يؤدي زكاة ماله، مثل هذا الإنسان على حرف، لذلك: لا يجد حلاوة الإيمان، إلا من كان في الأعماق. ما معنى في الأعماق؟

((يكره أن يعود إلى الكفر، كما يكره أن يلقى في النار))

يعني: ممكن إنسان -للتقريب-، ساكن في بيت ستين متر تحت الأرض، شمالي بدويلعة، وسياقات مكشوفة، انتقل إلى بيت أربعمئة متر بالمالكي؛ تدفئة مركزية، وتكييف مركزي، وأثاث بخمسة ملايين، نقول له: ارجع إلى البيت الأول مثلاً؟.

مثل قريب: راكب شبح، ارجع على الدراجة مثلاً؟ مستحيل.

((يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار))

هذا الذي ذاق حلاوة الإيمان.

بماذا سمع العباس بن عبد المطلب من رسول الله ﷺ؟ :

حديث آخر: عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ -يقول:

((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه عن العباس بن عبد المطلب]

يعني: أنت قنعان بالإسلام، (رضيت بالله رباً): هل أنت راض عن قضائه وقدره؟.

يعني: واحد يطوف حول الكعبة، يقول:

((يا رب، هل أنت راض عني؟ يمشي خلفه الإمام الشافعي، قال: ما هذا؟ هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك؟ قال: يا سبحان الله، من أنت يرحمك الله؟! قال: أنا محمد بن إدريس، قال: كيف أرضى عن الله، وأنا أتمنى رضاه؟ -ما هذا الكلام؟- قال: إذا سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله))

أخواننا الكرام, لا يوجد إنسان على الرخاء لا يشكر, ولو

يقول لك: مفوضها, لكن إيمانك لا يظهر في الرخاء, يظهر في الشدة, يظهر حينما تأتي الأمر على خلاف ما تريد, فتقول: الحمد لله رب العالمين, يظهر حينما يفقد الإنسان عزيزاً, يقول: حسبي الله ونعم الوكيل, هنا البطولة.

((الصبر عند الصدمة الأولى))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما, وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

لذلك:

((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً, وبالإسلام ديناً, وبمحمد - ﷺ - رسولاً))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه عن العباس بن عبد المطلب]

حقيقة ينبغي أن تضمها إلى عقيدتك :

الحقيقة: اسمحو لي هذا المثل:

إذا أنت لم تأكل فواكه من شهرين, ولا ذقتها؛ البطيخ, المشمش, التفاح, الكمثرى مثلاً, الدراق, هذه الفواكه الطيبة, ذات الطعم الرائع, إذا نظرت إلى لوحة فواكه رسم, تأملت بها جيداً, هل ذقت طعم الفاكهة؟ مهما تأملت في هذه اللوحة الزيتية, مهما أمعنت النظر, أن تنظر إلى شيء شيء, وأن تذوقه شيء آخر.

الإسلام على كل لسان, نحن مسلمون والحمد لله, لكن هل ذقت طعم الإيمان؟ الذي يشدك إلى الدين, ليست الأفكار المنطقية, طعم الإيمان الذي تذوقه.

أحياناً الإنسان: يجد محل متر ونصف, يعني قميء المحل, لا يوجد فيه أي شيء مريح, تجد صاحبه يجلس فيه من الساعة الثامنة للساعة الثامنة في الليل, معناها في غلة بمئة ألف, معناها ذقت طعم الغلة, حتى ساكن في هذا المحل, المحل لا يعجب, أما الغلة الكبيرة ترخ التعب, نقول: هذا ذاق طعم الإيمان.

أنا رأيت مرة إنساناً, في أيام الشتاء القارسة, والمطر ينهمر, يركض في العدوي؛ هذا ذاق طعم الرياضة, ذاق

طعم النشاط، طعم الخفة، الرشاقة، طعم شعوره أنه هو شاب، يحتاج إلى جري باستمرار.

إليك هذا الجواب لهذا السؤال :

فنحن قلنا أول الدرس: شخص ذاق طعم الطعام، والشراب، والزواج، والسفر، والولائم، والمناسبات، هل ذاق طعم الإيمان؟.

عن أنس بن مالك قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه -حلاوته وطعمه-: أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما))

كيف؟:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:24]

ساكن في بيت فخم، أجرته مئة وخمس وعشرون ليرة، ثمنه عشرون مليون، أجار قبل السبعين، شيء مريح جداً، لكن ليس لك هذا البيت، وهذه الأجرة فيها ظلم شديد جداً لأصحاب البيت، فلأنك تحب الله ورسوله ﷺ، تركت هذا البيت، وسكنت خارج دمشق، أنت ماذا فعلت الآن؟ أثرت الله ورسوله ﷺ على مساكن ترضونها.

أنت بتجارة رائجة جداً، لكن البضاعة حرام ببيعها، لم تكن تعرف، فلما عرفت، انسحبت من هذه الشركة، لا لأنها لا تبيع، لأن أرباحها طائلة، ولكن فيها تعامل لا يرضي الله عز وجل، انسحبت وفتحت محلاً في آخر الدنيا، والدخل للعشر

إذا كنت تحب الله ورسوله ﷺ، وآثرت الجنة على النار، تتسحب من هذا العمل الحرام، فلما الإنسان يؤثر الدنيا على طاعة الله، يكون

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:24]

له زوجة يحبها حباً جماً، لكن لا يوجد فيها جنس الدين، متقلبة، متبرجة، متعجرفة، لأنه يحبها، رضي بها على علاتها، أثر القرب منها على طاعة الله ورسوله ﷺ.

أمثلة :

أضرب لكم أمثلة:

((أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله))

الآن: إذا شخص -لا سمح الله-، صار في عنده خلل بجسمه، مرض عضال، يحتاج إلى زرع كلية، تكلف مليونين ونصف، وبيته ثمنه اثنان ونصف مليون، ماذا يفعل؟ يبيع البيت، ويذهب ليجري هذه العملية، ما معنى ذلك؟ أن حياته أعلى عليه من بيته، لذلك: باع البيت.

أكثركم يعمل في التجارة، لما الإنسان يدفع ثمن قميص سبعمئة ليرة، لماذا اشترى هذا القميص؟ لانتهاء القميص أعلى من سبعمئة ليرة، لم يدفع السبعمئة ليرة، إلا حينما أيقن أن البضاعة أعلى، والبائع كيف يبيع القميص؟ رأى السبعمئة أعلى من القميص فباعه، فلذلك: الإنسان لما يبيع ويشترى، دائماً يأخذ الأثمن، إذاً: ذاق طعم الإيمان.

من علامات حلاوة الإيمان :

((وثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما،

وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها، أحب إليه من أن يعود في الكفر))

((أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن لا يحب المرء إلا في الله، وأن لا يبغض إلا في الله، وأن

يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار))

هذه من علامات الذي ينبغي أن يذوق طعم الإيمان.

ما هما الثلاثة الذين إذا فعلهم العبد يذوق طعم الإيمان؟ :

قال عليه الصلاة والسلام:

((ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان؛ من عبد الله وحده , وعلم أنه لا إله إلا الله, وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه))

[أخرجه أبو داود في سننه]

عبد الله وحده, وأيقن أنه لا إله إلا الله, وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه, فقد طعم طعم الإيمان.

ماذا تستنتج من هذه القصة؟ :

في صحابي جليل, اسمه: أبو طلحة -الآن سأوريكم طعم الإيمان-: تزوج أبو طلحة أم سليم, وهي أم أنس والبراء, فولدت له ابناً, كان يحبه حباً شديداً, قال:

((فمرض الصبي مرضاً شديداً, فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة, يتوضأ ويأتي النبي -ﷺ- فيصلي معه, ويكون معه إلى قريب من نصف النهار, ويجيء يقيل -ينام بعد الظهر- ويأكل, فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب, فلم يجيء إلا إلى صلاة العتمة -العشاء-, قال: فراح عشية -ذهب عشية-, ومات الصبي.

-في رجل في هذه البلدة, عنده معمل, له ابن يحبه حباً جماً, لما توفي ترك الصلاة, ونقم على الله عز وجل.

الآن: اسمعوا ماذا فعلت أم سليم, حينما مات ابنها؟-

جاء أبو طلحة, قال: نسجت عليه ثوباً, -غطته بثوب وتركته-, قال, فقال لها أبو طلحة: يا أم سليم, كيف بات ابننا الليلة؟ قالت: يا أبا طلحة, ما كان ابنك منذ اشتكى أسكن منه الليلة,

-الحمد لله ولا حركة, يعني: مات, هي لم تكذب-,

قال: ثم جاءت به بالطعام فأكل، وطابت نفسه -يظهر جائع، الأكل طيب، سر-، فقام إلى فراشه، فوضع رأسه، قالت: وقمت أنا، فمسست شيئاً من طيب -تعطرت-، ثم جئت حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب، كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله،

-انظر الأدب في التعبير: هل رأيت أدباً كهذا الأدب؟-

قال: ثم كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله، ثم أصبح أبو طلحة يتهياً، كما كان يتهياً كل يوم، قالت، فقالت له: يا أبا طلحة، أرايت لو أن رجلاً استودعك وديعة، فاستمتعت بها، ثم طلبها منك فأخذها، أتجزع من ذلك؟ قال: لا، قالت: فإن ابنك قد مات، -بعد ما تعشى ونام، وتزينت له، وكان منه ما يكون بين الرجل وامرأته، واستيقظ وصلى الفجر، وقالت: يا أبا طلحة، لو أن أحداً أعارك عارية استمتعت بها، ثم طلبها منك، أتجزع؟ قال: لا، قالت: فإن ابنك مات،

ما هذا العقل؟-

قال أنس: فجزع عليه جزعاً شديداً، يبدو أنه يحبه حباً شديداً، وحدث رسول الله -ﷺ-، بما كان من أمر أم طلحة في الطعام والطيب، وما كان منه إليها.

-يعني: معقول يا رسول الله، امرأة ابنها ميت، تعد لي أطيب الطعام، تتزين، تتعطر، يكون مني ما يكون بين المرء وزوجه، ثم تخبرني صباحاً: أنه مات!!-

فقال عليه الصلاة والسلام: فبتما عروسين وهو إلى جنبكما؟ قال: نعم، -انظر أيضاً النبي الأدب، بتما عروسين وهو إلى جنبكما؟-، قال: نعم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: بارك الله لكما في ليلتكما.

قال: فحملت أم سليم تلك الليلة، قال: فولدت غلاماً، فحين أصبحنا، قال لي أبو طلحة: أحمله في خرقة حتى آتي به النبي -ﷺ-، وأحمل معه تمر عجوة، قال: فحملته في خرقة، قال: ولم يحنك، ولم يذق طعاماً، ولا شيئاً، فقلت: يا رسول الله! ولدت أم سليم، قال: الله أكبر، ما ولدت؟ قلت: غلاماً، قال: الحمد لله، قال: هاته لي، فدفعته إليه، فحنكه النبي -ﷺ- ثم قال له: معك تمر عجوة؟ قلت: نعم، فأخرجت تمرات، فأخذ رسول الله -ﷺ- تمر، وألقاها في فيه، فما زال النبي -ﷺ- عليه الصلاة والسلام -يلوكها، حتى اختلطت بريقه الشريف، ثم دفع النبي، فما هو إلا أن وجد الصبي حلاوة التمر، جعل يمص بعض حلاوة التمر، وريق رسول الله -ﷺ- صلى الله عليه وسلم-، فكان أول من فتح أمعاء ذلك الصبي على ريق رسول الله -ﷺ-.

يروى المؤرخون: أن هذا الغلام الذي ولد لأبي طلحة وأم سليم، أنجب عشرة حفاظ قرآن))

((بارك الله لكما في ليلتكما))

هذه حلاوة الإيمان، يعني: لا تعتقد في مصيبة تفوق، أن يموت للأب ابن يحبه، ومع ذلك: مع حلاوة الإيمان، كانت هذه المصيبة مقبولة عند هذا الأب وتلك الأم.

هذا حال الناس في عهد النبي ﷺ وهذا حال الناس اليوم :

أيها الأخوة الكرام، الموضوع: أننا إذا اكتفينا من الدين، لأداء العبادات أداء شكلياً، ولم نلتزم أمر الله، ولم ننتبه عما عنه نهانا، نذوق طعم الإيمان، وإن لم نذوق طعم الإيمان، عندئذ نتقلت من الدين شيئاً فشيئاً. كيف الناس في عهد النبي دخلوا في دين الله أفواجا؟ والله اليوم حينما يخرجون من دين الله أفواجا؛ بسبب تفلتهم، وانغماسهم في المعاصي، وأكلهم المال الحرام، وانغماسهم في الم لذات التي أرادها لنا الأجنب، أرادوها لنا، بحيث تفكك الأسرة، وتتهار الأخلاق، ونبعد عن الله عز وجل، ويغدو ديننا اسماً بلا مسمى، وقرآننا وشعاراتنا جوفاء فارغة، عندئذ نحتاج أشد الحاجة إلى حلاوة الإيمان.

هذه حلاوة الإيمان جنب أحاديث، وأيديتها بقصة تبين عظم هذا الموضوع في السنة النبوية.

لماذا ينساق العبد وراء شهواته؟ :

أخواننا الكرام، أحياناً: أفكار الدين مقنعة، وقوية، وعميقة، ومعها أدلة، لكن صدقني: الطبيب أحياناً يدخن، الطبيب كيف يدخن؟ أيجهل مضار التدخين؟ لا والله، والله هو أعلم الناس بمضار التدخين، يحدثك ساعات طويلة عن أن الدخان يضيق الشرايين، ويملؤها بالكوليسترول، والدخان يسبب سرطان الرئة، والحنجرة، وقد يسبب النواة، وقد يعرض صاحبه لأزمة قلبية، يحدث ملياً عن مضار التدخين، والطبيب يدخن، لماذا؟ هل منعتة قناعاته من الدخان؟ لا، لماذا انساق وراء شهوته؟ لأنه ما ذاق طعم الإيمان؛ لو ذاق طعم الإيمان لتترك الدخان، لو ذاق طعم الإيمان لتترك النظر إلى النساء، لو ذاق طعم الإيمان لتترك المال الحرام.

قصة تكاد غريبة عن العقول لكنها مكررة ولكن لا نشعر :

حدثني أخ قصة، -نرويها بخمس دقائق-، كان في صعوبات بشراء الحديد، الخشب قديماً، -الآن الحمد لله، الأمور كلها فرجت-، فكان في مؤسسة اسمها مؤسسة عمران، هي تباع الحديد، يبدو أن وجبة حديد كبيرة جاءت، والناس علموا ذلك، فانهالوا على المؤسسة ليشتروا الحديد، والطابور -إن صح التعبير- خمسون، ستون شخص يقفون، وكل واحد معه المبلغ المرسوم خمسمئة ألف، سبعمئة ألف، مئة وخمسون ألف، والكوة صغيرة، والناس مزدحمون، يخرج إنسان من هذه الغرفة، ويندفع نحو أحد الأشخاص، كم تريد من الحديد؟ قال له: مثلاً كذا طون، ثمنهم، قال له: هذا ثمنهم، أعطن هويتك، أعطاه، دخل للداخل، أعطن، رأى نفسه انتهى من الأزمة، انتظر، لم يخرج أحد؛ ربع ساعة، نصف ساعة، الخمسون كلهم دفعوا، وأخذوا إيصالات، هو لا يوجد، لا يوجد حركة، فوصل للكوة: أين فلان؟ من فلان؟ لا نعرف أحداً يا أخي، قال: أنا دفعت مئة وخمسين ألف، لمن دفعت؟ هذه الموظفون، هذه السجلات، اجمعهم لا يوجد مشكلة، لا يوجد هذا الاسم عندنا، حسناً: هذا المكان له باب ثان؟ طبعاً يوجد باب ثان.

شخص نصاب، ليس له علاقة بالدائرة إطلاقاً، بذكاء، طلع أخذ من شخص لهفان، مختار، أمامه خمسون شخص، أخذ منه مئة وخمسين ألف، وهويته، وهرب، يبدو أن الإنسان الفقير، قابل مدير العام، أكد له: ما عندنا هذا الاسم نحن، وما عندنا هذا الشخص، وهذه الملامح، ليس لنا علاقة فيها، قابل ثاني يوم، ثالث يوم، رابع يوم، بقي في الشام، -هو من إدلب-، بقي في الشام خمسة أيام، بعد ذلك: وجد ما في أمل، يعني كل شيء يملكه راحوا عليه، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، ركب السيارة وتوجه إلى إدلب، ما إن طرق البيت، حتى صعق أهل البيت: ما الخبر؟ قال له: أنت!! ألسيت ميتاً!! اليوم ثالث يوم تعزية، لم يفهم ما القصة، لماذا أموت؟ نزلت للشام ورجعت الآن، وجد النعوة، ثالث يوم التعزية منتهية ودفنوه، أخذوا جثته، هذا الذي أخذهم، عمل حادث أليم، والله شوه له وجهه، وجدوا جثة يوجد معها هوية، ومئة وخمسين ألف، هوية، في إدلب، ذهبوا إلى إدلب سلموه لأهله، عملوا تعزية، وأقاموه.

هذا لو عرف في رب سيحاسبه، كان فعل هذا الشيء، أبداً، لا تحب أحد، حب ذاتك، في إله كبير، يحاسب حساب عسير؛ فأنت كلما كبر عقلك تستقيم، كلما كبر عقلك تصدق، كلما كبر عقلك تكون أمين. قال عليه الصلاة والسلام:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

ففي ألف قصة مثل هذه القصة، فلما الله عز وجل عاقبه عقاباً شديداً، لم يكن هو معه هوية، لم يكن معه هوية، معه هوية، المئة وخمسون ألف، والله شوه له وجهه تشويه كامل، حتى لم يعرفوا أن هذا الوجه ليس لهذه الهوية، سلموا أهله الجثة، والمئة وخمسين ألف، والهوية، والله عز وجل دمر هذا السارق، وهذه القصة هذه، هذه غريبة، لكنها تتكرر آلاف المرات دون أن نشعر.

فنحن نريد أن ندوق طعم الإيمان، كي نرضى بالله رياً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ - نبياً ورسولاً، والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-21} : ماذا عن التمني؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 07-09-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل يوجد إنسان في الأرض لا يتمنى؟ :

أيها الأخوة, مجموعة من الأحاديث الصحيحة, التي وردت في الكتب الصحاح حول موضوع التمني.

ما منا واحد على الإطلاق, إلا ويتمنى, وقد أقول لكم: قل لي ماذا تتمنى, أقل لك من أنت؟.

لما خرج قارون على قومه بزينته:

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[سورة القصص الآية:79]

أما الذين أوتوا العلم, قالوا:

﴿وَيَلْجَأُ بَلَائِكُمْ لِيُرِيَكُمْ أَنَّهُ ضَالٌّ غَافِلٌ﴾

[سورة القصص الآية:80]

فقل لي ماذا تتمنى, أقل لك من أنت؟.

ما الذي يتمناه الإنسان؟ وهل إذا تمنى خير الآخرة ولم يعمل لها تتحقق أمنيته؟ :

أيها الأخوة، الإنسان يتمنى الشيء الذي يعيشه، الشيء الذي يعظمه، فمن عظم الدنيا، تمنى الدنيا، من عظم الأقرباء، تمنى أن يكون مثلهم، من عظم الأغنياء، تمنى أن يكون مثلهم، من عظم المنغمسين في الملذات، تمنى أن يكون مثلهم.

فقل لي ماذا تتمنى، أقل لك من أنت؟.

والإنسان حينما يتمنى معصية، أو توسعة، أو انحرافاً، فهو في حالة لا ترضي إطلاقاً.

أيها الأخوة؛ هذا إذا تمنينا الدنيا، هذا إذا تمنينا المال، تمنينا السلطان، تمنينا الوجاهة، تمنينا الملذات، تمنينا البدع، أما إذا تمنينا الجنة في مشكلة، إلا أن الله عز وجل يقول:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء الآية:123]

بالمناسبة: حتى لو تمنيت الجنة، لو تمنيت العلم، لو تمنيت التقوى، لو تمنيت خيرات الآخرة ولم تعمل لها، نقول: التمني بضاعة الحمقى، بضاعة الكسالى، اجلس في البيت، وتمنى أن تكون أكبر تاجر، لا تملك ثمن رغيف، اجلس في البيت، وتمنى أن تكون أكبر عالم، لا تصل إلى هذه المرتبة إطلاقاً:

وما نيل المطالب بالتمني

لذلك:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء الآية:123]

لو أن الإنسان تمنى الدنيا، لسقط من عين الله، أما إذا تمنى الآخرة، تمنى التقوى، تمنى خير الآخرة، ولم يعمل لها، لا قيمة لتمنياته إطلاقاً.

ما المراد بالسعي في هذه الآية؟ :

أيها الأخوة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

السعي حركة، حركة.

الآن: أنت اسمع درس علم، والله شيء جميل، الله يجعلنا مؤمنين، الله يرزقنا عمل صالح، الله يتوب علينا، هذه كلها تمنيات، أما إذا ذهبت إلى البيت، وأمرت بمعروف، ونهيت عن منكر، هذه حرام لا أفعلها، حركت، أخذت موقف، ما لم تأخذ موقفاً، لا ترقى عند الله:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال الآية:72]

لم يتحرك، بقي مع مصالحه؛ مع البيت، مع المكتب، مع التجارة، مع الزبائن، أراد الدنيا:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾

-انظر:-

﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

إن أردت شيئاً، وكنت صادقاً في هذه الإرادة، تسعى إليه.

ما هو الدليل من الكتاب على أن الأمنيات باتجاه الآخرة لا قيمة لها من دون سعي لها؟

أيها الأخوة، لن نصعبها عليكم، حتى السعي غير مقبول، إلا أن يكون سعياً خاصاً:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

لها سعي خاص، أراد أن يكون طبيباً، للطب علاماته، ليس أي علامة، 105 ما في طب، 230 فما فوق في طب، يعني أولي، فلذلك: إذا تمنى الإنسان الدنيا، سقط من عين الله، أما إذا تمنى الآخرة ولم يسع لها، الطريق مسدود، تمنياته لا قيمة لها إطلاقاً، ولا ترفعه عند الله شعرة، والدليل:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء الآية:123]

لكن:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

لها سعي خاص.

هذا سبب تأخر المسلمين في هذا العصر :

في إنسان يقول لك: هذه الركعتان نصليهم، ندفع هذا الدرهمين، وهذه هي الشغلة، لا تعقدها؛ وبيته غير إسلامي، عمله غير إسلامي، في تقلت، الإسلام منهج كامل، وأساساً المسلمون: ما تأخروا، وما أصبحوا في مؤخرة الركب، إلا عندما مسخ دينهم إلى العبادات الخمسة؛ يصلي، ويصوم، ويحج، ويزكي، وما سوى ذلك: قاعد بحمام ساونة مع فتيات، بوضع مشين، وفي معصية كبيرة، لكن ما نسي يصلي، فصلى ورجع، فهم الابن يعني صلاة فقط؛ أما غرقان بالمعصية، غرقان بربا، غرقان بدخل حرام، غرقان بغش، بتدليس، صلينا، في علينا شيء بقي؟ ما صار شيء إطلاقاً، لأن هذه العبادات -أخواننا، صدقوني: تماماً هذه العبادات-، تمثل ثلاث ساعات امتحان، ومعاملات العام الدراسي، فإذا واحد أثناء العام الدراسي؛ ما قرأ ولا كلمة، ولا فتح كتاب، ثلاث ساعات امتحان لا قيمة لها، قعد، أقلام معه، كأس ماء موجود، أسبرين موجود، معه سندويشة، السائق على الباب، لكنه لم يقرأ ولا كلمة، ماذا يفعل؟ ثلاث ساعات امتحان لا قيمة لها، إذا ما سبقها إعداد تسعة أشهر، تسعة أشهر دراسة،

من أجل أن تجلس على طاولة, أعطوك ورقة بيضاء, ويوجد كم سؤال كتبت, فهذه العبادات؛ صوم, صلاة, حج, هذه عبادات شعائرية, لا تصح, ولا تقبل, ولا ترفع, إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

هذه هي رسالة الإسلام :

((كنا قوماً أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام, ونأكل الميتة, ونأتي الفواحش, ونقطع الرحم, ونسيء الجوار, ونشرب الخمر, حتى بعث الله فينا رجلاً, نعرف أمانته وصدقه, وعفافه ونسبه, فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده, ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان, وأمرنا بصدق الحديث, وأداء الأمانة, وصلة الرحم, وحسن الجوار, والكف عن المحارم والدماء))

هذا تعريف الإسلام لسيدنا جعفر, يمكن أبلغ تعريف الإسلام:

((أمرنا بصدق الحديث, وأداء الأمانة, وحسن الجوار, وصلة الرحم, والكف عن المحارم والدماء))

هذا الإسلام, الإسلام إذاً: بناء أخلاق.

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

الخمس أركان الإسلام, والإسلام البناء, فهل تعتقدون: أن الإسلام هو هذه؟! لا, هذه دعائم الإسلام, الإسلام بناء آخر, بناء أخلاقي, لحتى الواحد ما يضيع وقته, وما يتوهم أنه هو مؤمن, أنه هو ليس كذلك, ما يظن أنه يمشي بطريق الجنة, هو بطريق النار يمشي, حتى ما يصعق عند الموت.

احذر أن تخسر آخرتك :

قال:

﴿فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:83]

يعني: إذا باع بيته بالمالكي, وسيارته الشبح, ومعمله, وبيته بحالية, وقبضت ثمنهم عملة صعبة, طلعا مزورين, ماذا يفعل بنفسه, حينما يعلم أن العملة كلها مزورة, وفي أمامه سجن أيضاً؟ روح البيت, والسيارة, والمصيف, والفيلة, وكل شيء, والمعمل, قبض ثمنهم عملة أجنبية مزورة, ما انتبه, قبضها كاش, لأنه هو يريد كاش, ما أخذ كاش كله, طلع مزور, والذي أعطاه له اختفى, مسافر, ماذا يفعل بنفسه؟:

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:83]

لما الإنسان يكتشف أنه خسر الآخرة.

يعني: أحياناً الواحد يكون بيت, لسبب تافه لم يشتره, كان معروض عليه بستة آلاف, صار ثمنه اثنا عشر مليوناً, الآن: هو بلا بيت, وساكن بأجرة, وعليه دعوى إخلاء, يقول: احترق قلبي على هذا البيت الذي روحته من يدي, أليس كذلك؟.

إذا كان عنده زوجة ممتازة جداً, لسبب غير منطقي, لسبب طارئ, طلقها طلاق تعسفي, وتركت, وعنده خمسة أولاد, يجلسون في وجهه؛ يحتاجون إلى طبخ, يحتاجون إلى تنظيف, يحتاجون إلى رعاية, لا يوجد, أهمهم طلقها, ولم تقبل أن تعود إليهم, وزوجة ممتازة كانت, الإنسان يتألم أشد الألم, يندم أشد الندم, يتعذب أشد العذاب, هذا إذا ضيع زوجة, أو ضيع بيت, أو ضيع مركبة, أما إذا كان ضيع الآخرة بكاملها:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة الزمر الآية:15]

هذه الخسارة, إذا إنسان فلس, كم من إنسان فلس, رجع بنى حياته من جديد, ورجع غنياً؟ أما بالآخرة لا يوجد, بالآخرة الطريق مسدود:

﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[سورة الفجر الآية:24]

﴿رَبِّ ارْجِعُون﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

هذا ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

أخواننا الكرام, في أحاديث النبي قالها, والنبي لا ينطق عن الوحي.

مرة النبي مر أمام قبر, قال:

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين -ركعتين- مما تحقرون من صلاتكم, خير له من كل دنياكم))

الذي عنده وكالة حصرية

يوجد أناس أرباحه في اليوم مليون ليرة, مادة غذائية أساسية, وكيل حصري, في عليها طلب, له أرباح طائلة, الذي عنده معامل ضخمة, في معامل.

قرأت بالصحيفة, معمل عنده فائض نقدي ألف مليار, مليار دولار, ألف مليون, مختار أين يريد أن يوصل؟ فإذا كان الفائض النقدي ألف مليون دولار, فكم أرباحه؟.

قال:

((ركعتان مما تحقرون من صلاتكم, خير لك من كل دنياكم))

أيها الأخوة، حتى في بعض الأحاديث: أن ملك الموت حينما يأتي الإنسان، ويقول له:

((انتهى أجلك))

لو أن الدنيا كلها بيده، يعطيه إياها، مقابل أن يضيف إلى عمره ساعة واحدة، يستغفر الله فيها، انتهى، نحن الآن أحياء؛ فلذلك موضوع التمني: إذا تمنينا الدنيا، سقطنا من عين الله، أما إذا تمنينا الآخرة ولم نسع لها، فالطريق مسدود، والدليل:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء الآية:123]

أما علامة النجاح، والفلاح، والذكاء، والتفوق: أن تسعى، لا أن تسعى سعياً محدوداً، أن تسعى السعي الكافي:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

حديث خطير :

الأحاديث كلها في التمني.

عن أنس بن مالك، أن رسول الله -ﷺ- قال:

((يؤتى برجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول الله عز وجل: يا بن آدم! كيف وجدت منزلك في الجنة؟ فيقول: أي ربي خير منزل، فيقول له: سل وتمنى، فيقول: يا ربي، ما أسأل وأتمنى، إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل، لما أرى من فضل الشهادة، قال: ثم يؤتى برجل من أهل النار -يعني تمنى، يتمنى أن يعود إلى الدنيا، وأن يدفع حياته ثمناً للجنة مرة ثانية، لعظم ما يلقي الذي ضحى بحياته.

هؤلاء الصحابة الكرام، الذين استشهدوا في المعارك، هؤلاء: لو يعلم الإنسان ما عند الله لهم من نعيم مقيم

الله قال:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:169]

في صحابي جليل أسلم، وغزا مع النبي غزوة، فأعطوه غنائم، قال:

((ما هذا؟ قال: هذه غنائم، قال: أنا ما على هذا أسلمت، أنا أسلمت على أن يدخل السهم من هنا، ويخرج من هنا، -أنا هذا شرطي في الإسلام-، فلما بلغ النبي هذا الكلام، تأثر وقال: إن صدق هذا، فسينال ما تمنى في المعركة الثانية، تفقده النبي، فإذا هو بين القتلى، وقد دخل السهم من هنا، فخرج من هنا، فبكى النبي، ودعا له، وشهد الله أنه على حق))

هذا الفرق بين الإنسان الذي عرف الله، وبين أهل الدنيا :

الإنسان إذا عرف الله، يتمنى أن ينفق ماله، يتمنى أن يبذل وقته، يتمنى أن يربي أولاده، يتمنى أن ينفع الناس، يتمنى أن يمسح الدمعة من وجوه الفقراء، يصبح يعيش للناس، لا يعيش على أكتاف الناس، في فرق كبير جداً، يعيش للناس، يعيش لخدمتهم، لأنه يرقى عند الله بخدمتهم، أما أهل الدنيا؛ يعيشون على أنقاض الناس، يعيشون على أنقاضهم، يبنون ثروتهم على أنقاضهم، يبنون أمجادهم على أنقاضهم، يبنون أمنهم على إخافتهم، أما المؤمن يعيش للناس:

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ

يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان

يا من زكيت سعادة العقل ونهنت غريزة القطيع

يا من هياك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع

فعثت واحداً بين الجميع

هذا هو المقياس الذي تعرف به إذا كنت من أهل الآخرة أم من أهل الدنيا :

استخدموا كلمات اسمها: استراتيجية.

الإنسان أحياناً: يكون في عنده مبادئ كبرى, بالحياة المؤمن استراتيجته العطاء, باني حياته, وأوقاته, وطاقاته, وقدراته, وماله, وذكاءه, وطلاقة لسانه, وعلمه, وجاهه على العطاء, هو حينما يعطي, يتقرب من الله عز وجل, ويسعد عنده أعظم السعادة, أهل الدنيا باني حياته على الأخذ, على الأخذ.

الآن: أحياناً الإنسان يقول لك: أنا معي قطعة ورق, أعرف ما الذي معي؟ السكر أحسن من التحاليل, بدلها بالبول, يعرف نسبة السكر, يعرف من لونها, حسناً: ألا تريد أنت مقياس دقيق؟.

قال:

((إذا أفرحك العطاء, فأنت من أهل الآخرة, وإذا أفرحك الأخذ, فأنت من أهل الدنيا))

ما الذي يفرحك؛ تأخذ رزمة خمسمئات, تضعها في جيبك, أم تدفعها؟ امتحن نفسك, أهل الآخرة يفرحهم أن يعطوا, وأهل الدنيا يفرحهم أن يأخذوا, فإذا شعر بنشوة, وانطلقت أساريره, وأصبحت عيناه نقيتين, يلمعان, وابتسامته هكذا, ويمشي مشي, يعني في شعور بالفرح, لأنه قبض مشكلة, وفي إنسان آخر: لما يدفع, لما يحل مشكلة, لما يوفق بين زوجين, لما يمسح دمعة من وجه يتيم, لما يزوج شاب مؤمن مع شابة مؤمنة, لما يؤمن بيت لواحد, لما يخدم الناس, لما يؤثر بإنسان يتوب يتوبون, يقول لك: لم أنم من فرحي, ولم تسأل نفسك السؤال: ما الذي يفرحك؛ أن تعطي أم أن تأخذ؟.

أهل الآخرة يفرحهم أن يعطوا, وأهل الدنيا يفرحهم أن يأخذوا.-

تتمة الحديث الذي أورده أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ :

فقال له: ماذا تتمنى؟ قال له: أتمنى أن تردني إلى الدنيا فأقتل, لما أرى من فضل الشهادة, ثم يؤتى رجل من أهل النار, فيقول: يا بن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي ربي شر منزل, فيقول: أتفتدي منه بملء الأرض ذهباً؟ فيقول: نعم أي ربي, فيقول: كذبت, قد سألتك ما هو أقل من ذلك في الدنيا, فلم تفعل, هو في النار))

لو أن الأرض، الأرض، قال: ألف مليون مليون كيلو متر مكعب، ألف مليون مليون كيلو متر مكعب، لو كان الحجم كله ذهب، أربع وعشرون سبائك كلها، وتملكها.

وقال:

((إذا كان ودخل النار، إن دفعته أنجو -يدفعها رأساً-، قال له: كذبت، لقد سألتك ما هو أقل من ذلك))

سألناك الزكاة فقط في الدنيا، سألناك اثنين ونصف بالمئة، لكن هكذا

أخواننا الكرام صدقوا: لو أن التجار جميعاً دفعوا زكاة أموالهم، لا يبقى فقير، أنا أؤكد لكم، وأعني ما أقول، ومعني إحصاءات دقيقة: خمس التجار الذين يدفعون زكاة أموالهم، خمس فقط، أما لو دفع كل التجار زكاة أموالهم، معي رقم عام ثمانية وأربعين، كيف كان الدخل القومي؟ الدخل القومي عام ثمانية وأربعين، زكاته تحل مشاكل فقراء الشرق الأوسط، زكاته، هذا الزكاة نظام إسلامي، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم.

ضرتان لا تتفقان ما هما؟ وكيف حل النبي ﷺ قصتهما؟ :

وعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله -ﷺ- قال:

((من أحب دنيا أضراً بآخرته، ومن أحب آخرته أضراً بدنياه))

يعني: لا تتوهم أنه ممكن تصل إلى الدنيا إلى قمة المجد، وبالآخرة إلى قمة المجد، لا تصور الآخرة والدنيا، إذا الإنسان قرب من الآخرة، ابتعد عن الدنيا، لما الإنسان يريد مال فقط، عشرون ساعة من أربع وعشرين في كسب المال؛ لا صلاة، ولا صوم، ولا مجلس علم، ولا جامع، ولا دعوة إلى الله، ولا تربية أولاد، ولا تربية زوجة، من صفقة لصفقة، من مشكلة لمشكلة، طبعاً: الإنسان يصير غني، لكن على حساب آخرته.

إذا الإنسان لحق العلم وتقوى الله عز وجل.

((من أثر الآخرة على الدنيا ربحهما معاً))

لكن طبعاً أحياناً: الله عز وجل يفوت عليك شيء من الدنيا, من أجل أن ترقى عنده, يعني: أنت دفعت ثمن الآخرة, دفعت ثمنها.

قال عليه الصلاة والسلام:

((من أحب دنياه أضر بآخرته, ومن أحب آخرته أضر بدنياه, -بعضهم قال: هذه صيغة استفهامية, أضر بدنياه, لا يضر دنياه.

ثم يقول النبي الكريم:- فأثروا ما يبقى على ما يفنى))

نقطة مهمة في هذا الموضوع, ما هي؟ :

يروون: يوجد هذا شاعر جاهلي, اسمه: زهير بن أبي سلمى, له معلقات شهيرة جداً, أخواننا الطلاب درسوه في العاشر, فهذا كان في حرب حروب طويلة, يعني: أذهبت بأرواح الآلاف في الجاهلية, الجاهليون كانوا
واحد مد رجله, قال:

من كان أشرف مني فليضربها

فرجل ضربها, بقيت الحرب عشر سنوات بين قبيلتين؛ داحس وغبراء, وحرب البسوس, فكان في رجل اسمه: هرم بن سنان, هذا الرجل دخل وسيطاً بين القبيلتين, ودفع من ماله الخاص ديات القتلى, حتى عم السلام بين القبائل.
فالشاعر زهير بن أبي سلمى شاعر جاهلي, مدحه مديح طويل في أكثر معلقاته, ومات زهير بن أبي سلمى, ومات هرم بن سنان.

سيدنا عمر في مجلسه, دخل عليه ابن هرم بن سنان, قال له:

((هل تذكر شيئاً مما قاله زهير في أبيك؟ قال له: أذكر, فذكر, أسمع قصيدة, سيدنا عمر طرب لها, قال له:
والله هذا مديح, والله لقد أحسن المديح فيكم, فهو ابن هرم قال له: والله ونحن يا أمير المؤمنين, أحسننا العطاء, -أعطيناه أيضاً, يعني: ما نظم قصيدة, إلا أخذ مقابلها-, فقال له: لكن عطاءه لكم باق, وعطاءكم له
زائل))

أنتم أعطيتموه ناقة، الناقة انتهت، أما هذه القصائد لألف سنة تبقى.

فالإنسان أحياناً: يكون له عمل يزول مع الموت، انتبه لهذه النقطة، اعمل، الموت هو علامة، كل عمل ينتهي عند الموت ليس له قيمة.

قصص وعبر :

شخص عنده بيت، فساواه جبصين كله، شيء جميل جداً.

قال لي أخ مهندس، قال لي: وضعنا له اثني طون جبصين في السقوفة، اثني طون، أصبح شيء جميل جداً، حسناً: هذا مات، أخذوه على باب صغير، وضعوه بقبر، أين بقي الجبصين؟ انتهى.

كل شيء تقعله في البيت، إذا يدخل معك في القبر، عينك عليه، ممتاز، وسام شرف، إذا ينتهي عند الموت،

يزيدك حسرة، النقلة لأنه من بيت فخم جداً لباب صغير صعب جداً، جداً صعبة، من بيت أربعمئة متر بلاط إيطالي، جبصين لمتر ونصف، لباب صغير فيه جردان، والله مشكلة، العاقل يعد لهذه الساعة التي لا بد منها، عدة لا بد منها.

أعرف رجل له بيت بأضخم بناية بالمالكي، ابنه صديقي، يعني صعب توصف له بيته، هو رجل تاجر تحف، دار العالم بأكمله، أجملها في العالم في بيته، وتوفي في أحد أيام الشتاء المطيرة، من حوالي عشر سنوات، جاءت أمطار ثمانية أيام وراء بعض، القبر الذي اشتروه، ابنه مهندس، اشتروا قبر، الجنازة وصلت للمقبرة، فتحوا القبر، فالتت فيه سياقات، ماء أسود، صار فيضان، سياقات فالتت، في فتحة ضعيفة خرقت، دخل الماء، ماشية ماء سودة، سألوا ابنه: ماذا نفعل؟ قال لهم: وضعوه، ماذا نفعل؟.

مدير معمله، ويصلي عندي، قال لي: والله يا أستاذ، أسبوعان لم أذق لقمة في البيت، هذا معلمي هنا وضعوه؟! يأتي بحرامات الموهير بالبريد الجوي، لم يستعمل لحاف بحياته، لحاف ثقيل، حرام موهير، هذا خفيف جداً، ثلاثة فوق بعضهم بلا وزن، يضحون ناراً، عنده أناقة تفوق حد الخيال، نظائفي، موسوس، مزوق، أصبح مصيره بقبر في سياقات.

يقول لي: أنا أسبوعان لم أذق الطعام.

فإذا واحد موضوع القبر دخله بحساباته أخواننا, والله من السعادة, اذهبوا إلى المقابر, اطلعوا جناز, من العبادة والله, لكن مستحيل واحد منا يقف أمام قبر مفتوح, فتحوا هذا النعش, طالعوا الميت, ملفوف, مرصوص, مشدود, نزلوه.

أنا أعرف شخص, يمكن بقي فرجة, يوجد هكذا مئة سانتي, وضعوا بلاطة, لكن البلاطة قصيرة, جاء الحفار بالمجرفة, جر التراب, يمكن نزل فوqe حوالي خمسة كيلو تراب فوق رأسه, خلص, انتهت ذهبوا إلى البيت, أكلوا الأوزي, والترتبيات

قال له: أين ذاهب؟ قال له: ذاهب لأسكر على روح أبي.

((يا أهلي, يا ولدي, لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي, جمعت المال مما حل وحرم, فأنفقته في حله وفي غير حله, فالهناء لكم والتبعة علي))

قال لي شخص: والله يا أستاذ, من ثلاثين سنة لم أذهب للاذقية لمرة واحدة, أخذت منها البيجو, وأنا من معلمي لبيتي.

قال لي: أعمل مثل الحمير الطرابة, حتى النسوان يسعدون, ويلبسون أحدث اللبس, وأحدث

والله عقله صغير, هو يعمل ليلاً نهاراً, بلا كلل ولا ملل, لم ير شيئاً من الدنيا, حتى يعيشوا أهله فسق وفجور, فكروا يا أخوان.

((يا أهلي, يا ولدي, لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي, جمعت المال مما حل وحرم, فأنفقته في حله وفي غير حله, فالهناء لكم والتبعة علي))

نحن ممكن نلخص اللقاء : أنه إذا الإنسان تمنى الدنيا, سقط من عين الله, إذا تمنى الآخرة, ولم يعمل لها, الطريق مسدود:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء الآية:123]

الآن: إذا سعى للآخرة, لا يُقبل إلا سعي خاص:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:19]

ما لم تتحرك, ما لم تتحرك, ما لم تقف موقف, ما لم تعط, ما لم تمنع, ما لم تغضب, ما لم ترضى, يجب أن تغضب لله, وأن ترضى لله, وأن تعطي لله, وأن تمنع لله, وأن تبتسم لله, وأن تقطب لله, وأن تفعل خيراً لله, وأن تمتنع عن شيء لله.

لما ربنا عز وجل يراك تتحرك حركة في اتجاه مرضاته, لعله يقبلك, لذلك: يوجد مليار ومئتا مليون مسلم, جالسون مرتاحون, أولاً: ليس أمرهم بيدهم, في مؤخرة الركب؛ مصيرهم بيد أعدائهم, لأنهم تمنوا الجنة, الله يرزقنا الجنة, حركة لا يوجد, جالسون مرتاحون, تمنوا الجنة, أما لو تحركوا إلى طاعة الله:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الروم الآية:47]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:7]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾

[سورة النور الآية:55]

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[سورة مريم الآية:59]

وقد لقينا ذلك الغي.

تدخل دولة بجيشها لدولة ثانية، تلاحق حزب معين، لا يوجد مشكلة، ولا في عتاب، تتحرك دولة ضمن أراضيها، يضرّبونها، أليس كذلك؟ معناها: أين الاستخلاف يا رب؟ أين التمكين؟ أين التطمين؟ لأنكم أنتم لم تعبدوني.

((إذا عصاني من يعرفني، سلطت عليه من لا يعرفني))

فنحن نرجو الله سبحانه وتعالى، ألا يجعلنا فتنة للذين كفروا، والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-22} : متى يفتن الكافر؟ وبماذا جاؤوا الأنبياء؟ ومتى نقطف ثمار هذا الدين؟ ما هو

الشرح الذي تتضمنه هذا الحديث: ((ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.....)).؟

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-09-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

متى يحتقر الكافر نفس المسلم ودينه، ومتى يفتن؟ :

ينظر له الكافر نظرة ازدراء، فيحتقر دينه معه.

المسلم حينما يكذب، حينما يُخلف وعده، حينما يهمل عمله، حينما يسيء إلى الناس، الناس يربطونه بالإسلام، فإذا أساء المسلم، أُسيء إلى الإسلام من حيث لا يريد ولا يشعر، فالكافر حينما يرى مسلماً، مهملاً لعمله، مقصراً في أداء واجباته، يكذب أحياناً، يحتال، يسلك طريقاً ملتويّاً، هذا الكافر لا يحتقر هذا الإنسان فحسب، بل يحتقر معه دينه، ويحتقر معه الإسلام، ويرى أنه أفضل من المسلمين، معنى ذلك: أننا فتناه، يعني: أعطينا صورة مشوهة، يعني: ألقينا به أنه على حق، ونحن على باطل، يعني: أيها الكافر ابق كافراً، لأنك إذا أسلمت؛ المسلمون يكذبون، ويقصرون، ويغشون، وينحرفون، فالكافر متى يُفتن؟ حينما يرى مسلماً مقصراً، مسلماً منحرفاً، مسلماً تائهاً، مسلماً شارداً، مسلماً ضعيفاً.

أيها الأخوة الأكارم، لو أن مسلماً أساء لمسلم، ما الذي يحصل؟ يقول الأول: هذا فلان مسيء، فلان مسيء، أما إذا أساء مسلم لغير مسلم، ماذا يقول غير المسلم؟ يقول: الإسلام هكذا، هكذا الإسلام، هكذا دينهم، هكذا..... هذه قيمهم، هكذا عقيدتهم، هذه أخلاقهم، فكل مسلم سفير عن الإسلام، كل مسلم جندي، يقف على ثغر من ثغور المسلمين، فينبغي ألا يُدخل إلى دولة المسلمين من عند هذا الجندي، لو أنه قصر، لكانت نقطته نقطة ضعف، نفذ منها الكفار.

فهذا الحديث: لا يعني أبداً أن ينجو المسلمون وحدهم من لسانك ويدك, هذا الحديث يعني: أن تعامل الناس معاملة راقية جداً, بحيث تبقى سمعة المسلمين من خلاك متأقمة.

بماذا جاء الأنبياء؟ :

أنا أقول لكم: الكلمة الآن كفر الناس بها, ككلمة, مع أن الأنبياء ما جاؤوا إلا بالكلمة, الأنبياء العظام أولو العزم؛ سيدنا موسى, سيدنا إبراهيم, سيدنا عيسى, سيدنا رسول الله, بماذا جاؤوا؟ جاؤوا ببوارح؟ جاؤوا بطائرة اسمها الشبح؟.

سمعت عنها اليوم, ثمنها مليار وثلاثمئة مليون دولار ثمنها, معقول؟! لا, طيارة مليار وثلاثمئة مليون دولار ثمنها, تخرق أربعة طوابق, ولا تنفجر القنبلة إلا في الطابق الأسفل؛ في المكاتب, في الملاجىء, هذه الطائرة هل جاء بها الأنبياء؟ هل جاؤوا بالرادار؟ هل جاؤوا بالأقمار الصناعية؟ هل جاؤوا بالفاكس؟ هل جاؤوا؟ بماذا جاؤوا؟ جاؤوا بالكلمة, لكن هذه الكلمة التي جاء بها الأنبياء, يمكن أن تهز أمة, يمكن أن تسير الجبال لأنها صادقة, لأنهم ما قالوا كلمة لا يصدقونها, ما قالوا كلمة لا تعبر عن نفوسهم, عن واقعهم.

الأنبياء جاؤوا بالصدق, والذي جاء بالصدق وصدق به, والآن إنسان عادي من عامة الناس, لو أنه صدق لفعل المستحيل, لو أنه صدق لغير وجه مجتمعه, الناس كفروا بالكلمة, كلام منته, يقول لك: بلا فلسفة, أول ما تتكلم, يقول لك: بلا فلسفة, كلام نعرفه, سمعناه, الناس الآن يحتاجون إلى عمل, يحتاجون إلى مسلم صادق, إلى مسلم إسلام في بيته, إسلام في عمله, إسلام في بيعه وشرائه, الإسلام في سفره, الإسلام في حضره, الإسلام في أتراحه, في أفراحه, الإسلام في مظهر زوجته, مظهر بناته, في تربية أولاده, هذا الذي نحتاجه اليوم, فإذا أردتم أن ننهض أن نستعيد مجدنا, أن نسعد أن نقطف ثمار هذا الدين.

كيف يستطيع المسلم أن يصل إلى الله؟ :

أيها الأخوة الكرام, صدقوني: بين سيارة كاملة, موديل (96), أعلى نوع, بين عندك رفراف سيتراب, مقعد قديم, عجلة, هذه سيارة, هؤلاء المسلمون, يعملون أعمال صالحة, يعمر جامع, يدفع مبلغ, لكن ليس ملتزم ببيته, ما قطف ثمار الدين, ما استطاع أن يتصل بالله, ما وصل إلى الله, له أعمال صالحة, ولها عند الله جزاء, الله كريم, يعطيك على الليرة عشر ليرات, وعلى الألف عشرة آلاف, لكن كيف يستطيع هذا المسلم أن يصل إلى الله؟

بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[سورة فصلت الآية:30]

هو طبعاً: آمن أن الله خالق الكون, وإبليس قال:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة ص الآية:81]

فأن تؤمن أن الله خالق الكون, وأن الله هو الذي سير الكون, دون أن تستقيم على أمره:

﴿فَإِنْ﴾

-دققوا-:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

يعني: إذا قلت لواحد: على كتفك يوجد عقرب, بقي هادىء, مرتاح, أعصابه باردة, التفت نحوك بهدوء, وقال: أنا شاكر لك على هذه الملاحظة, إنني أرجو الله أن أكافئك على هذه الملاحظة القيمة, هل فهم ما قلت له؟ لو فهم ما قلت له, لقفز من على الأرض, ولصاح, ولكن ما استوعب الكلام:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

وما المقصود بالقوم في هذه الآية؟ وما هو الأمر الإلهي الموجه إلينا في هذه الآية؟ :

هذا الحديث أخواننا الكرام: لئلا يتوهم الإنسان، أنه إذا كان لم يؤذ المسلمين نجا، لا، ينبغي أن تقول للناس حسناً، لأن الآية الكريمة:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

[سورة المائدة الآية:8]

شَنَاٰنُ قَوْمٍ؛ أي بغض قوم، من هم القوم؟ الذين يبغضهم المؤمن، الكفار، هؤلاء الكفار:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا﴾

-معهم، إن عدلتم معهم، قال:-

﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة المائدة الآية:8]

يعني: إنهم يقتربون مني، وتقتربون أنتم مني إذا عدلتم، أنا أريد الطرف الآخر، نحن طلنا طرف واحد في هذا المسجد، وكلنا مؤمنون الحمد لله، نقول: قال الله تعالى، تقول: صدقت، نقول: قال عليه الصلاة والسلام، تقولون: صدقت، أما الطرف الآخر؛ الشارد، التائه، الذي يحتقر الإسلام، يحتقر المسلمين، هذا الإنسان حيادي. بإخلاصنا، باستقامتنا، بصدقنا، بأمانتنا.

كيف أقبل الناس على النبي عليه الصلاة والسلام؟ :

أيها الأخوة، كيف أقبل الناس على النبي؟ ماذا قال سيدنا جعفر؟.

قال:

((كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونسيء الجوار، ونقطع الرحم، ويأكل القوي منا الضعيف.

-يقول لك: التجار, واحد مثل الحوت يبلع الكل.

يعني: ببعض المستجدات: كل شيء مباح, كل شيء سهل, الذي معه مال أقوى, يأكل الأصغر, ما في تقوى, ما في رحمة, كل إنسان يبحث عن مصلحته الشخصية-.

ويأكل القوي منا الضعيف, حتى بعث الله فينا رجلاً, نعرف أمانته, واستقامته, وصدقه وعفافه ونسبه, فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده, ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان, وأمرنا بصدق الحديث, وأداء الأمانة, وصلة الرحم, وحسن الجوار, والكف عن المحارم والدماء))

هذا ما أريده :

أنا الذي أريده: هذه التوجيهات النبوية, ينبغي أن تتمثلها كي نقطف ثمار الدين, كي نشعر بالقرب من الله عز وجل, كي نذوق طعم القرب, كي نذوب حينما نتصل بالله عز وجل, لأن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوبنا.

قال:

((القلب منظر الرب, عبدي طهرت منظر الخلق سنين.

-أحياناً الإنسان: يطلي بيته, يقول لك: دهانه عتيق, إذا جاءه ضيف يستحي منه, أحياناً يحسن مدخل بنايته, أحياناً يبخر سيارته, أحياناً يشتري طقم جديد يلبسه, يتعطر, يخلق, يترتب, لماذا؟ هذا مظهر الخلق, ينظرون إليك؛ إلى شكلك, إلى شعرك, إلى أناقتك, إلى ثيابك, إلى مركبتك, إلى بيتك, إلى غرفة الضيوف, يريدون تغير أثاث, تعتني, تضع زهور, تضع لوحة, تعمل ترتيبات-

أفلا طهرت منظري ساعة؟))

ما هو مظهر الله عز وجل؟ قلبك:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:88]

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء الآية: 89]

فتطهر القلب مهم جداً، الإنسان إذا اتصل بالله يطهر قلبه، لأن الصلاة طهور، وإذا اتصل بالله يستنير قلبه، لأن الصلاة نور، وإذا اتصل بالله يسعد، لأن الصلاة حبور، وإذا اتصل بالله يرقى، لأن الصلاة معراج المؤمن، وإذا اتصل بالله صار في عنده ميزان دقيق.

((الصلاة ميزان فمن وفى استوفى))

إذا اتصل بالله يعقل.

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

الصلاة نور، الصلاة طهور، الصلاة نور، الصلاة حبور، الصلاة ميزان، الصلاة معراج، الصلاة عقل،
والصلاة ذكر:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية: 14]

وليس كل مصل يصلي.

((إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهوته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان والمصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي، إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلم، -قبل الصلاة جاهل، بعد الصلاة حلیم-، والظلمة نورا))

قبل الصلاة أعمى، بعد الصلاة مستنير، قبل الصلاة كل مبلغ كبير يأخذه؛ بحق، بغير حق، بصدق، بكذب، باحتيال، يعد نفسه ذكياً، يعد نفسه شاطراً.

لي قريب, يعمل في تصليح السيارات, له جار متقلت, فجاءه إنسان معه سيارة, مركبة جديدة, وخائف عليها, فيها عطل, طلب منه عشرة آلاف, عرفه قادم من دول الخليج, وسيارته جديدة, وفيها مشكلة, والمشكلة خفيفة جداً, تتحل بربع ساعة, قال له: عشرة آلاف, هذا صلحها, بعد ما ذهب خبر أهله؛ على بلودان أول يوم, ثاني يوم على الوادي, ثالث يوم على المطار, ركبها, استخدمها ثلاثة أيام, ركبها, تمتع فيها, وأخذ عشرة آلاف ليرة, عرف الزبون غشيم, وتمكن يأخذ مبلغ ضخم, والقصة قديمة.

قال له قريبي: حرام عليك, قال له: هذا أصول الشغل, أنت لا تعرف تعمل, هكذا العمل, شغلة بربع ساعة عشرة آلاف وثلاثة أيام, نركب السيارة, رابع يوم ابنه يعمل بمخرطة, تدخل بعين ابنه نسرة فولاذ, أخذه على لبنان, يدفع ستة عشر ألف ليرة لبناني, أثناء كانت الليرة مئة وستين, الليرة كانت بمئة وستين, دفعه الله خمسة وعشرين ألف, الله كبير, يحاسب, إذا تعرفه تستقيم, وإذا لم تعرفه يظن نفسه قاضياً غرضاً وذكي:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف الآية:103]

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف الآية:104]

لا يمكن إنسان عاص ينفذ من عقاب الله, أبداً:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:4]

لا يمكن أن ينجو من قبضة الله, لأنه:

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية:183]

ما معنى متين؟ الشيء القاسي (الألماس)، أقسى عنصر بالأرض، يتحمل قوى ضغط، يقول لك: هذا رأس ألماس، الألماس أقسى عنصر، المتين الفولاذ، المتانة تحمل قوى الشد، تحمل قوى الضغط قساوة، تحمل قوى الشد متانة، الله قال:

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية:183]

ما معناها؟ يعني: كأن إنسان مربوط بحبل؛ مهما تحرك، مهما لعبط، في أي لحظة تجده صار في قبضة الله عز وجل.

هذا ما ذكرته من جمعة :

قلت لكم من جمعة: أثناء في أزمة الإسمنت قديماً، والحديد، وفي مؤسسة عمران، يقف خمسون شخص بالدور يسجلون؛ هذا معه خمسمئة ألف، هذا معه مئة وخمسون، طلع واحد بذيء، قال له: هات، هات مصاري، هات هويتك، طار عقله، نفدنا، خلصنا من الدور الطويل، أعطاه مئة وخمسين ألف، والهوية، جزاك الله خيراً، فضلت علينا، هذا دخل للغرفة الثانية، انتظر، انتظر، خلص الخمسون، لا أحد لم يعطوه وصل، وصل للكوة، فلان، من فلان؟ لا نعرفه، طيب: أخذ مني لا نعرفه، هؤلاء الموظفون، تفضل، قصة طويلة، ضاح، جاء المدير العام، وصل للوزير، ما هؤلاء الموظفون، جماعة مؤدبون، هذه هوياتهم، وهذه سجلاتهم، النتيجة: عرف أنه نصاب، ليس له علاقة بالدائرة إطلاقاً، استغل الحرج، أخذ مئة وخمسين، والأخ من إدلب، هذا بعد خمسة أيام، ذهب إلى إدلب، وصل إلى إدلب، طرق الباب، صراخ، دفنالك، ما الذي جاء بك؟! دفنالك، من قال لكم أنني مت؟.

جاءت الجثة، مع مئة وخمسين ألف، والهوية، عمل حادث، تشوه وجهه، وجدوا معه مئة وخمسين وهويته، الهوية التي أخذها منه، أوصلوه إلى إدلب لبيته، أعطوا أهله المئة وخمسين ألف، والهوية، والجثة، ودفنوها، دفنوها،

وعملوا ميثم ثلاثة أيام, هذا لو يعرف أن المئة وخمسين ألف سيؤخذون, سينغرم فيهم, يأخذهم كان؟ لا يعرف الله عز وجل:

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية:183]

ليست القضية بالذكاء, القضية بالاستقامة, حتى التجارة, ما هي بالذكاء, مع الله لا يوجد ذكي:

((ولا ينفع ذا الجد منك الجد))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والنسائي في سننهما]

مع الله بالاستقامة, والصدق, والإنسان أحياناً يجده صدق, يخسره, بعد ذلك يريجه, بأول وهلة يخسره, بعد ذلك يصدق, يؤثر طاعة الله على الكذب, ربنا عز وجل يقلب له هذه الخسارة ربحاً.

لم خصصت هذه الآية: إن بعض الظن إثم؟

هذا أول حديث: قال:

((يا رسول الله, أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير, والإمام أحمد في مسنده]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-, عن النبي -ﷺ- قال:

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))

سؤال: الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:12]

قال: إن كل الظن إثم؟ لم يقل: إن بعض, طيب: البعض الآخر, ما نوعه؟.

قال النبي الكريم:

((الحزم سوء الظن))

((الحزم سوء الظن))

((احترس من الناس بسوء الظن))

((سوء الظن عصمة))

حسناً: ما المرجح؟ ما المقياس؟ ما الضابط الذي يجعل الظن تارة إثماً تعاقب عليه, وتارة حرصاً, وذكاء, واحتياطاً, وعقلاً؟.

العلماء قالوا:

((الدليل))

إذا في دليل مريد, عليك أن تسيء الظن ولا شيء عليك, إذا لم يوجد دليل وأسأت الظن, هذا هو الإثم الذي قال الله عنه:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:12]

قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))

يعني: لا تبني موقف, ولا قرار على كلمة تكلمها فلان بلا دليل, لا تقنع إنسان لأنه وشا لك عنه شخص من دون دليل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[سورة الحجرات الآية:6]

لا تطلق زوجتك على وشاية لست متأكداً منها, لا تفك شركة لسبب غير متأكد منه.

((إن الظن أكذب الحديث))

لا تبني قرار على ظن:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة النمل الآية:27]

تحقق, تسبب.

دل على موضع الشاهد في هاتين القصتين :

في أخ من أخواننا -توفي رحمه الله- كان عنده معمل كاتو, قال لي -قصة قديمة جداً-: طلبنا من معمل زبدة, يبعث لنا مئة قطعة من الزبدة, وصلت, عدديتهم: تسع وتسعون, عجيب! ذهبنا لمعطف أحد الصناع, وجدنا الجيبة مطمرة, عملنا هكذا وجدنا في قالب زبدة في الجيبة, ما معناها؟ سارقه, أليس كذلك؟ طلب مئة, وجدهم ينقصون واحداً, معطف هذا الصناع فيه باكييت زبدة, عمل هكذا وجد في باكييت, قال لي: الله هذاني, تريثت, في اليوم الثاني زار المعمل ليحاسبه, قال له: والله بعثنا لك مئة قالب, اشترى صانعك قالب, وهات ثمن التسع وتسعين, لا تستعجل.

((إن الظن أكذب الحديث))

رجل شك بابنته, شك بابنته, يعني تحدث, أخذ تحليل على المحلل, المحلل, الصانع عنده, وقع من يده العينة, كسرت, خاف من معلمه, فكتب العمل إيجابي, التحليل إيجابي, ظنها زوجة, هي بنت, بكر, في اليوم الثاني جاء الأب, قال له: والله مبروك حامل, ذهب وذبح ابنته, طول بالك, لعل يكون المحلل غلطان.

((إن الظن أكذب الحديث))

((إن الظن أكذب الحديث))

الإنسان ليس له حق يتسرع, قال:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

تأكد, تحقق, اطلب الدليل, اسمع من اثنين, اسمع من ثلاثة.

مرة زارني طبيب:

مرة زارني طبيب, لا أنساها له, قال لي: أستاذ, حكى لي قصص عديدة, قال لي: لي عندك رجاء, إذا أحد أخوانك يريد أن يجري عملية, لا توافق إلا على ثلاثة أطباء, ثلاثة, قال لي: استئصال بالنوات, قال لي: يوجد عندي فتاة بريغان الشباب, الطبيب شخص أن معها سرطان بالثدي, التشخيص خطأ, استئصل ثديها, بعد ما استئصل, وجدنا الثدي ما فيه شيء, طبعاً: الزوج فسخ العقد, وأصبحت البنت مطلقة, يعني مخلوعة, هذه غلطة كبيرة جداً, حكى لي قصتين, ثلاثة, أربعة, فأنا أقنعني, سبحان الله! بعد شهر زارني أخ مهندس, ابنته كلوتها وقفت, عمرها سنتان, قال له الطبيب: تستأصلها فوراً, وإلا الثانية تتوقف, فقال لي: هكذا, قلت له: لا, نريد أن نرى طبيباً ثانياً, رأى طبيباً ثانياً؛ صالحاً مؤمناً, قال له: لا, ممكن تبقى شهرين, ثلاثة واقفة, بعد ذلك تعمل, لأن البنت صغيرة, انتظر شهرين, بعد شهر وثمانية عشر يوماً, الكلوة عملت, الآن ابنته عمرها حوالي ثماني سنوات بكلوتين, لو سمع كلام أول طبيب, كان نزع لها الكلوة.

ما هو الآن الحديث:

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث).

-لا تبين قرار على فكرة, رأي إفرادي, تأكد, تحقق, اطلب الدليل, اطلب التعليل, اطلب التواتر, اطلب الكثرة.-

ولا تحسسوا: - ما هو التحسس؟ تتبع الأخبار الطيبة, فلانة تزوجت, تزوجت؟ كم أعطاه مهر؟ لماذا تتدخل في أمور غيرك؟.

((من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه))

فلان اشترى بيت, من أين جاب ثمنه؟-.

ولا تجسسوا: - غير التحسس, التحسس: تتبع الخبر الطيب, ما في شيء, لكن يوجد أناس عندهم فضول, أناس حشريون, فلانة طلقت, لماذا طلقت؟ الحق على من؟ حسناً: لا ينجب أولاد, منه أم منها؟ طيب: منه أم منها؟ أنت ليس لك شأن بهذا, هذا ليس شأنك.

قال:

((مرة سيدنا عمر سألته زوجة: يعني فلان لماذا غضبان منه؟ قال لها: يا أمة السوء, وما شأنك أنت بهذا؟))

هذا اختصاصي, هذا عملي, أنت ليس لك حق تتدخل بشؤوني.

(ولا تحسسوا): انظر, لذلك: النبي حتى عن الخبر الطيب نهانا أن نتحسس, عمل حفلة, كم كلفتك هذه الحفلة؟ ماذا أخذ منك فلان؟.

يوجد أسئلة كثيرة فضولية, رأيت في الطريق, أين ذاهب؟ اتركه, حر, لا تجعله يكذب, أين ذاهب؟ معزوم؟ من عزمك؟.

(ولا تحسسوا): ابق أديباً, (ولا تحسسوا): لا تتبع الخبر الطيب تطفلاً, ولا تتبع الخبر السيء, أيضاً: إيذاء-, ولا تحاسدوا, ولا تدابروا, ولا تباغضوا, وكونوا عباد الله أخواناً))

هؤلاء المؤمنون, نحن مشكلتنا يوجد عندنا نصوص جميلة جداً, لكن هذه النصوص لو ترجمت إلى واقع, لكننا في حال غير هذا الحال, لأحب بعضنا بعضاً.

أنا قلت لكم من قبل: أعداؤنا الألداء اليهود، يتعاونون على خمسة بالمئة من قواسم مشتركة، والمسلمون، والشيء المؤسف: يتنافسون، ويتحاسدون، ويتباغضون، وبينهم خمس وتسعون بالمئة من القواسم المشتركة، لكل الحلقات، كل هذه الجماعات، كل جماعة تظن أن الله لها، لوحدها فقط، الله لها، وأخوانه للجنة، أما الآخرون أعانهم الله، من جماعة ثانية، مع أن الله للجميع، كل واحد له

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

من هو الولي؟ قال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

أي إنسان عرف الله، واستقام على أمره، على العين والرأس.

أخواننا في الله، الآية الدقيقة:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:215]

جميلة الآية واضحة.

أيها الأخوة، يوجد آية ثانية:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:215]

لا يوجد لمن اتبعك, اجمع الآيتين, معناها: أي مؤمن, عليك أن تحبه, وأن تتواضع له , وأن تخفض جناحك له, إذا كنت مؤمناً, وأنت لست مؤمناً, إلا إذا انتميت إلى مجموع المؤمنين, لا إلى جماعة صغيرة, ولا إلى حلقة صغيرة, ولا إلى ففاعة صغيرة, إن لم تنتم إلى مجموع المؤمنين, فلست مؤمناً.

النبي الكريم قال:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم, والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم))

هذا الحديث في البخاري:

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث, ولا تحسسوا, ولا تجسسوا, ولا تحاسدوا, ولا تدابروا, ولا تباغضوا, وكونوا عباد الله أخوانا))

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-23} : من أصول الدين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذا ما تطوق نفس الإنسان إليه :

أيها الأخوة الكرام، الإنسان أحياناً: يرغب في تفاصيل من منهج الله عز وجل، فلو عاش أمداً طويلاً في الكليات، في العموميات، في أصول الدين؛ يستوعبها، ثم يبحث عن التفاصيل، لو عاش أمداً طويلاً، يستمع إلى التفاصيل، تفاصيل الأحكام الشرعية، تطوق نفسه أحياناً إلى أصول الدين، هذا الدرس، هذا الدرس على خلاف نمط الدروس التي نحن فيها، سيخصص في أصول الدين.

هذا ما لفت نظري :

أيها الأخوة، كنا نتحدث عن تفاصيل الأخلاق الذميمة، التي نهى عنها النبي -ﷺ- في مدة طويلة، الذي لفت نظري: أن الآية الكريمة التي قال الله عز وجل فيها:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

من خلال هذه الآية: أربعة أركان؛ يتلو عليهم آياته، ويزكّيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

بسرعة أقول لكم: الكتاب: القرآن الكريم، والحكمة: السنة، والآيات الأولى: الآيات الكونية، لأن كلمة الآيات إذا أُطلقت، انصرفت إلى ثلاثة أنواع؛ آيات كونية هي خلق الله، وآيات تكوينية هي أفعاله، وآيات قرآنية هي كلامه، ما دامت الآيات القرآنية وردت بعد قليل:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

إذاً: الأرجح أن تكون الآيات الأولى هي آيات الكون، مهمة النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما بعثه الله هادياً للبشرية، انحصرت مهمته في أربعة اتجاهات؛ أولاً: يتلو عليهم آياته، من أجل ماذا؟ من أجل أن يعرفوه.

هذا ما ذكرته من قبل :

ذكرت لكم من قبل: أن الإنسان إذا عرف الله ثم عرف أمره، تقانى في طاعته، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الأمر، تقنن في النقل من أمره، تجد معظم الناس يخرقون الاستقامة بناء على فتوى ضعيفة، أو على رأي ضعيف، أو على قول رجل له زي ديني دون التحقق، لأن الله عز وجل أمره هين عليه.

هان أمر الله عليهم فهانوا على الله .

يتعلق بأقل فتوى، بأضعف فتوى، يقول لك شخص: يصلي بالناس بالجامع الفلاني، هو قال لي، هذا تقبله مفتياً لك؟ لأنه ما عرف الله عز وجل، حينما يبدر له بادرة، يعصي الله، أما إذا عرف الله، لا يكتفي ولا بألف مفت. ويستفت قلبه، وإن أفتاه المفتون وأفتوه .

ويأخذ بالأحوط، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لأنه عرف الله.

إذاً: النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما بعثه الله لهذه الأمة هادياً، ومرشداً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، كيف تحرك النبي؟.

أولاً: تلا على أمته، أو على قومه، أو على الذين بُعث إليهم، تلا عليهم آيات الله عز وجل.

إليكم هذا المثال لتوضيح هذه الفكرة :

ذكرت هذا من قبل، لكن لا بأس من أن أعيد بعض الآيات

يعني نحن: كلمة الله في ذهن كل واحد مسلم، هذه الكلمة لها مضمون، بقدر تفكيره بالكون. أضرب لكم مثل:

لو حاجب في كلية من كليات الجامعة، مكانه على مدخل الجامعة، يدخل كل يوم أستاذ كبير من أساتذة هذا الفرع، كلما دخل يقف: أهلاً أستاذ، ويمشي هذا المستخدم، صار له في الكلية ثلاثون سنة، معرفته بهذا الأستاذ زادت شعرة؟ أبدأ، يقول لك: هذا أستاذ عندنا في الكلية، كلما دخل يسلم عليه، أما الطالب الذي استمع إلى محاضرة عميقة جداً، انتهت المحاضرة، وقد امتلأ تعظيماً لهذا الأستاذ، المحاضرة الثانية ارتقى أكثر، المحاضرة الثالثة أكثر؛ فالطالب معرفته بالأستاذ من نوع آخر، أما الحاجب معرفته من نوع بسيط، سطحي.

ممكن إنسان يكون مسلم، لكن ما فكر بالكون، ما عرف عظمة الله عز وجل، ولو قلت له: ماذا تعرف عن الله؟ يقول لك: خالق الكون يا أخي، لكن ليس مستعداً يطيعه، سهل جداً يعصيه، لأنه لم يعرفه، أما كلما فكرت بالكون، تجد الآيات المدهشة، لذلك: تفكر ألف مرة قبل أن تعصيه، تعد للمليون قبل أن تعصيه، لأنه كلما نما، أو نمت المعرفة (معرفة الله)، يكون انضباطك لأمره أشد.

رحلة في معرفة الفضاء الخارجي :

أيها الأخوة، أنا درسي اليوم، فيه أربع نقاط بالآية:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

حسناً: أنت حينما تستلقي على سطح في أيام الصيف، تجد نجوم، هذه النجوم لو أردت أن تعدها بعينيك، أكثر من عشرة آلاف نجمة لا ترى، أما الكون، الكون بأحد التقديرات: في مليون مليون مجرة، وكل مجرة فيها قريب من مليون مليون نجم، فاضرب لي مليون مليون، ضرب مليون مليون، مليون مليون، اثنا عشر صفراً، ضرب مليون مليون، اثنا عشر صفراً، يعني أربعة وعشرون صفر واحد، أمام أربعة وعشرين صفر، كل ثلاثة ألف، أول ثلاثة ألف، وثاني ثلاثة مليون، ألف مليون، مليون مليون، ألف مليون مليون، مليون مليون مليون، بعد ذلك: أربعة مليونات، حسناً: هذه نجوم السماء، هي العدد، طيب الآن: الحجم.

هل تصدق أن هناك نجوم في السماء، تكبر شمسنا بمئة مليون مرة؟ بينما شمسنا تكبر أرضنا بمليون وثلاثمئة ألف مرة، يعني: مليون وثلاثمئة ألف أرض، يمكن أن تضعها في جوف الشمس.

قال: وإذا أُلقيت الأرض في الشمس, تبخرت في ثانية واحدة, لأن الحرارة عشرون مليون درجة.

هذا ما قاله العلماء عن الشمس :

قال العلماء: الشمس منذ خمسة آلاف مليون سنة, هي متألقة, يعني: ألا تحتاج إلى وقود؟ ألا تحتاج إلى طاقة؟ من خمسة آلاف مليون عام, هذه الشمس هي تتوقد, والتقدير العلمي: أنه خمسة آلاف مليون عام قادمة, لا تزال متوقدة الشمس, بعض النجوم تكبر شمسنا بمئة مليون مرة:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾

[سورة لقمان الآية:11]

كم هي المسافة بين الأرض والشمس؟ وكم تكبر الشمس الأرض؟

أيها الأخوة, بيننا وبين الشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر, لو واحد دار حول الأرض في أوسع مدار في خط الاستواء, كم كيلو متر؟ أربعون ألف, يمكن أن تدور حول الأرض كلها أربعين ألف كيلو متر, أما بيننا وبين الشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر, والشمس تكبر أرضنا بمليون وثلاثمئة ألف مرة, ونجم صغير اسمه: قلب العقرب.

في برج العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما, تصور الشمس, الأرض, تدخل الشمس إلى هذا النجم, وتدخل معها الأرض مع المسافة بينهما, تقول: الله, وإذا قلت: الله, تذكر المجرات, إذا قلت: الله, تذكر هذه المسافة, إذا قلت: الله, تذكر ذلك العدد, إذا قلت: الله, تذكر ذلك الحجم.

هذه مسافة أقرب نجم ملتهب إلينا :

أيها الأخوة, إذا كان أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية.

أنا جلست في البيت, واستخدمت آلة حاسبة, واستخدمتها استخدام دقيق, ثم اكتشفت, والحساب سهل, ثلاثمئة ألف كيلو بالثانية, ضرب ستين بالدقيقة, ضرب ستين بالساعة, ضرب أربع وعشرين باليوم, ضرب ثلاثمئة وخمس وستين بالسنة, أقرب نجم ملتهب أربع سنوات, ضرب أربعة, طلع معي كيلو مترات.

حسناً: أردت أن أذهب إلى هذا النجم بسيارة, على المئة ماشي, تقسيم مئة كيلو متر, طلع كم ساعة؟ تقسيم أربع وعشرين طلع كم يوم؟ تقسيم ثلاثمئة وخمس وستون طلع كم سنة؟ كم سنة أريد لكي أصل؟ خمسين مليون سنة, من أجل أن أصل إلى أقرب نجم ملتهب, أحتاج إلى خمسين مليون سنة, ماشي, هذا النجم اسمه, بعده عنا أربع سنوات ضوئية.

ماذا عن بعد القمر عنا؟ :

القمر كم بعده عنا؟ لا, بالسنوات الضوئية, ثانية ضوئية واحدة القمر. قال لك: غزونا الفضاء. كلفت مركبة أبولو, أربعة وعشرون ألف مليون دولار, ركب فيها اثنين, وصلوا للقمر, قطعوا ثانية ضوئية واحدة, قطعوا بالمسافات الفلكية ثانية ضوئية واحدة, كلفت أربعة وعشرين ألف مليون دولار, ضرب خمسين طبعاً, لما واحد وخمسين؟ لا أعرف, تعرفون أنتم أدرى نعم.

حسناً: الشيء الدقيق: أن هذه الأربع سنوات ضوئية, يحتاجون لخمسين مليون سنة.

نبأ نقله لي طبيب من أصدقائي :

أحدث مجرة, إحدى محطات الأخبار العالمية, أذيع هذا النبأ عدة مرات, وذكر لي هذا النبأ: طبيب من أصدقائي, سمع بأذنه, وكتب الرقم على ورقة, هذه المركبة سارت إلى المشتري, بقيت تسير في الفضاء الخارجي, بقيت تسير ست سنوات بأعلى سرعة, صنعها الإنسان أربعين ألف ميل بالساعة, الميل؟ لا, الميل واحد ونصف, يعني ستين ألف كيلو متر بالساعة, هي أسرع مركبة, هذه المركبة بقيت تسير في الفضاء ست سنوات, إلى أن وصلت إلى المشتري, المشتري ضمن المجموعة الشمسية.

درب التبان - هذه مجرتنا - شكل مغزل, المجموعة الشمسية بأكملها, نقطة على هذا المغزل, نقطة صغيرة, هي داخلها الشمس, والأرض, والمريخ, والزهرة, وعطارد, وبلوتو, والمشتري, ونبتون كاهم.

الذي أريد أن أقوله: هذه المركبة: التقطت أبعد مجرة, اكتشفت حتى الآن الرقم دقيق جداً, تبعد عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية, أربع سنوات ضوئية, تحتاج إلى خمسين مليون سنة بالسيارة, الآن ثلاثمئة ألف بليون سنة

ضوئية, اسمع الآية الكريمة:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة الآية:75]

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية:76]

لو تعلمون:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية:28]

من أركان الدين :

1- أن يتلو النبي عليه الصلاة والسلام آيات الرحمن على أصحابه :

ماذا فعل النبي مع أصحابه؟:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

الآن: أي دعوة إلى الله, إذا لم يكن فيها تلاوة آيات؛ لا تعرف الله, لا تعظمه, لا تخاف منه, لا ترجو رحمته, لا تتمنى رضاه, الله, يقول لك: خالق الكون بعد اسمه وكرمه فقط؛ أما إذا درست عن خلقه, وعن عظمته فأنا الذي أريد أن أقوله: من أركان الدين:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

هكذا فعل النبي, هؤلاء الأصحاب حينما اقتربت منيته ﷺ, أطل عليهم من بيته, فرآهم في خشوع جم, فابتسم حتى

بدأت نواجهه، وقال: علماء حكماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

ما ينبغي على الإنسان أن يفعله حتى يضبط نفسه عن الحرام ولا يشتهي؟ :

أيها الأخوة، فحتى الإنسان يضبط، حتى تعف نفسه عن الحرام، حتى ما تستهويه سرعات العصر، ما ركبت إلى الآن دش؟! مسكين، معناها لست تعيش، أنا عندي مئتا محطة ب..... ما شاء الله! هذا حديث الناس. طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة .

أيها الأخوة، أنا أستمع الآن إلى قصص، لو أن الذين يقولونها، جرت معهم ما أصدقهم، ممكن إنسان يجد ابنه فوق ابنته عرايا بعد منتصف الليل، بسبب هذه الأفلام، وتلك المحطات التي تأتي من سطح ...؟. طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة .

فأنت حتى تقول:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾

[سورة يوسف الآية:23]

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة المائدة الآية:28]

حتى تعف نفسك عن الحرام، حتى ما تشتهي إلا طاعة الله عز وجل، يجب أن تعرف الله.

هذا ما نريد أن يستقر في قلب الإنسان :

أيها الأخوة، أثناء كان إذا الإنسان، يعني حول مبلغ عشرين سنة، ممكن تحمل هكذا رزمة دولارات، تمشي أمام يعني جهة رسمية، لما أنت تخاف تعرف ثمنها، هذه ثمنها عشرون سنة سجن، إذا إنسان خوفك الله، لا يخوفك؟ خالق الكون الذي بيده حياتك، وموتك، ورزقك، وعزتك، وكرامتك، ومكانتك، وزوجتك، وأولادك، وكل أمورك بيده، ألا تخاف الله رب العالمين؟.

فنحن نريد أن تستقر خشية الله في قلب الإنسان، كيف تستقر هذه الخشية؟ أريد جواب من القرآن، أريد أن تستقر

خشية الله في قلب الإنسان, حتى يمتنع عن معصيته, الذي هو الدعاء.

((اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لا تصدق إنسان يعصي الله, إلا الخشية عنده ضعيفة, لا تصدق.

قد تجد جندي بثكنة, عريف بسبعة, قال له: ازحف, قال له: لن أزحف, أما لو كان ثمانية غير السبعة, ثمانيتان, ثمانيتان ونجمة, ونجمتان وثلاثة, نجمة على الكتف, نجمتان ثلاثة, تاج, تاج ونجمة, تاج ونجمتان, تاج وثلاثة, سيفان ونجمة, كلما الرتبة ارتفعت, تصبح الطاعة سريعة جداً, فأنت لما تعرف من هو الله؟ من هو الأمر؟

مرة قلت لشخص :

مرة قلت لواحد, هكذا يعمل, يؤذي الناس كثيراً, قلت له: الله عنده سرطان, الله عنده تشمع كبد, عنده فشل كلوي, عنده شلل, عنده دسام, يحتاج إلى تبديل, يريد مليون ليرة, الله في عنده أشياء مخيفة, وهؤلاء كلهم عبيده, يجب أن تخافه قبل أن تؤذي عبيده, يجب أن تخافه, لأن الإنسان بنيان الله, وملعون من هدم بنيان الله.

كيف تستقر الخشية في قلب الإنسان حتى يستقيم على أمره؟ :

أخواننا الكرام, أنا أريد جواب قرآني: كيف تستقر الخشية في قلب الإنسان, حتى يستقيم على أمره؟ حتى لا يقول لك: لا أستطيع أن أستقيم يا أخي, الزمن صعب, هذا الدين ليس لهذا الزمان, حتى لا يقول لك: يا أخي, إلى أين أريد أن أذهب بعيونني؟.

يعني: في ألف دليل عندي, لما الإنسان يقصد يفعل كل شيء, يقول لك: الآن إذا واحد له مبلغ فرضاً, ومات فجأة, ستين بالمئة ضريبة مالية منه, لو عليه عشرة أضعاف دين, هكذا النظام, فلم يعد يترك شيء, كيف دربت حالك, خفت من الضريبة, ودبرت حالك؟ خاف كنت من الله, ودبر حالك.

يعني: أنت إذا خفت من ضريبة ظالمة, تدبر حالك, تتبرأ من شبهة الإيداع, أما لماذا لا تخاف من الله وتدبر حالك؟.

أخي أنا واحد فتى لي إياها، حسناً: أنت عندك بيت، وذهبت تبيعه، وجدت دلال في وجهك، قال لك: ثمنه ثلاثة ملايين، رأساً تبيعه، تسأل عشرة دلاله وعشرين، واطركوني، اتركوني أنتظر، لماذا من أجل شقفة بيت تبيعه، تأخذ رأي خمسين دلال، أما بأمور دينك، تأخذ رأي فقط واحد؟ وجدته يصلي إمام بجامع فقط؟ تعرفه عالم هذا، تعرفه ورع، تعرفه فهمان، تعرفه تيقن الفتوى، فالإنسان مدان دائماً.

أنا أريد آية، من يذكرها؟ الأخ صفوان:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:286]

في آية أقوى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية:28]

معناها: العلم طريق الخشية، العلم، ثم العلم، ثم العلم، أنت بالعلم تخاف الله، لذلك: حضور مجلس العلم فرض عين.

غير معقول إنسان يكون طيب من دون جامعة، أبداً، لا بد من جامعة، فهذا المسجد مكان للعلم الإلهي، العلم الديني، العلم الشرعي.

من آيات الله في الأرض :

أيها الأخوة، أول شيء، أول شيء بدعوة النبي:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

هذه آياته بالسماء .

حسناً: أريد في الأرض: جسمك, أنت نائم, غدد اللعاب, تفرز اللعاب بفمك, يكثر, عند الطبيب في شراء, إذا كان عملية طويلة, حتى ما يتعطل, يضع لك شراء, تأخذ لك اللعاب, حسناً: وأنت نائم في شراء, ما في شراء, لما اللعاب يكثر, تذهب للدماغ رسالة وأنت نائم, أن اللعاب كثر, ماذا نفعل؟ يأتي أمر من الدماغ للبلعوم, لسان المزمار, يسكر القصبة الهوائية, يفتح المري, الإنسان يبلع ريقه, وأنت نائم, تبلع ريقك ألف مرة, وأنت نائم, وأنت لا تدري, ما هذه الدقة؟.

يقول لك: أوتوماتيك, وأنت نائم, وأنت نائم, جسمك مع جهاز العظم, يضغط على العضلات, تضيق لمعة الأوعية, تنمل رجلك, تخضر, تقلب على الطرف الثاني, انضغط, ضاقت للمعة, أصبح في خضران, تقلب بالعكس:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

[سورة الكهف الآية:18]

وأنت لا تدري.

الإنسان بنومه يقلب ثمانية وثلاثين لأربعين مرة.

تصوروا شخص نائم, خلال ثماني ساعات, قلب من ثمانية وثلاثين لأربعين قلبة, فقط لحكمة:

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

[سورة الكهف الآية:18]

لو على اليمين, يمين كان قلب, أما وحدة يمين, وحدة شمال, طول الليل, هي حركة التقلب في الفراش, لسان المزمار بالبلعوم, والله حط عند ملتقى قناة البول مع قناة الخصيتين, عندما يلتقيان المجريين, حط غدة اسمها البروستات, ما هذه الغدة؟ شيء لا يصدق, الآن يريد أن يمشي البول, البول مادة حامضية, حتى ما يتخرش المجرى, المجرى حساس, تفرز البروستات مادة قبل مادة سكرية, ليست سكرية, البول حسناً: مادة قلووية, تتعادل مع المادة الحامضية, لم يعد تؤذ, مثل الصابون, ما أساسه؟ زيت وإلي, صار صابون, مثل التسنئية بالزيت, تضع

أنت إلي مع الزيت, فصار مثل الصابون.

فتفرز البروستات مادة قلووية, تتعادل مع المادة الحامضية, المجرى لا يتأثر.

الآن: ماء الحياة يريد أن يمشي, هذا كان في بول, كان في مادة معطرة؛ مادة أول شيء مطهرة, بعد ذلك معطرة, بعد ذلك مغذية, وتفتح وتسكّر ثمانين سنة, وهي تعمل بشكل منتظم, البروستات وحدها من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله.

أنا أقول لكم أيها الأخوة: لو أمضيتم كل حياتكم, كل حياتكم في التفكير بجسمكم, التفكير لا ينتهي, معك مليون دليل بجسمك؛ السمع, والبصر, النطق, الشم, الحركة, الحس, الحواس الخمس, الجلد, العظام, ما العظام؟. تجد أخواننا يعملون, أحياناً: يحملون عتالة, هذا عظم, عظم عنق الفخذ, تلاحظ الإنسان شكله جميل, جزعه جاية هكذا بالوسط, يصبح هكذا, بعد ذلك: ينزل هكذا, حتى يكون وسطه عريض, الله عمل العظم بهذا الشكل, عظم الفخذ, هكذا له هنا عنق.

الآن: إذا حمل صندوق حديد, أين الضغط كله؟ على العنق, هذا المكان هذا أفسى مكان بالإنسان, يتحمل مئتي وخمسين كيلو, وهذه المئتان وخمسون كيلو, يعني يستطيع الإنسان يتحمل ثقل نصف طون بهذا المكان, هذا اسمه عنق الفخذ, ما هذا العظم؟ ما كان ماء سابقاً؟ ما كان ماء مهين؟ ما كان حوين من خمسمئة مليون حوين, دخل إلى بويضة, لقح بويضة, مشيت بالقناة إلى الرحم؟ من أين جاء العظم هذا؟.

اسألوا أخواننا الدارسين فيزياء, في شيء اسمه بالفيزياء: الترسيب, تشرب أنت حليب, حليب في كأس, تأكل جبنة, الجبنة فيها كلس, وتأكل لبن مصفى فيه كلس, يترسب بالعظام, يقوم العظم يحمل خمسمئة كيلو؛ العظم آية, البصر آية, النطق آية, كل حرف تُسهم في تشكيله سبع عشرة عضلة, كل حرف, كلمة خمس كلمات حوالي تسعين حركة, كلمة خمسة حروف, تسعين حركة.

حسناً: خطبة بساعة, كم حركة تحركوا عضلات الفم حتى تكلمت, والحبال الصوتية؟ شيء لا يصدق.

حسناً: هذا الشعر ثلاثمئة ألف شعرة, بكل شعرة وريد, وشريان, وعصب, وعضلة, غدة دهنية, غدة صبغية ثلاثمئة ألف, التعرق مئات الملايين الغدد العرقية.

يقول لك: أثناء التعرق: أرقى جهاز تكييف بالإنسان تكييف.

2- أن يزكيهم :

الركن الثاني:

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

يزكيهم: إذا لم يوجد تركية, التزكية: تطهير الإنسان من أمراضه النفسية, ثم تحليلته بالكلمات الإنسانية.

يعني: لا يوجد مسلم كذاب, مسلم لئيم لا يوجد, مسلم حاقد لا يوجد, مسلم متكبر لا يوجد, مسلم يحب الشيء له, يعني أناني, يعني ذو أثر لا يوجد, مسلم جاحد لا يوجد, مسلم ظالم لا يوجد, مسلم بذئ اللسان لا يوجد, مسلم فاحش اللسان لا يوجد, هذه يزكيهم:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

[سورة الأعلى الآية:14]

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

[سورة الأعلى الآية:15]

3- أن يعلمهم الكتاب والحكمة :

قال تعالى:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة الجمعة الآية:2]

القرآن والسنة, معناها: النبي في دعوته تلا على أصحابه آيات الله, دعاهم إلى الاتصال بالله حتى تزكو نفوسهم, علمهم القرآن, وبين لهم تفاصيل أحكامه, هذه الدعوة, إذا نحن نسينا يتلو عليهم آياته, ونسينا التزكية, بقينا على

الكتاب والحكمة منه، هذه دعوة عرجاء، هذه الدعوة لا تستقيم، ولا تقف على قدميها.

خاتمة القول :

أردت من هذا الدرس، أن يكون من حين لآخر: أن يكون من أصول الدين، لا من فروع الدين، من أصول الدين، أن تعرف الله من خلال خلقه، وأن تتصل به حتى تزكو نفسه، وبعدئذ تتعرف إلى كتاب الله عز وجل، قراءة، وفهماً، وتدبراً، وتطبيقاً، وبعدها تتعرف إلى سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- قراءة، وفهماً، وتنفيذاً، عندئذ تجمع أطراف الدين من كل جوانبه، عندئذ تقطف ثماره، أما أحكام من دون تقوى لا تنفع، فهم من دون خشية لا ينفع، خشية من دون حيلة لا تنفع، فالله عز وجل:

﴿رَبَّنَا وَإِنَّا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة البقرة الآية:129]

هذا منهج الدعاة، يجب أن تدعو أخوانك إلى أن يفكروا في خلق السموات والأرض، وإلى أن يزكو أنفسهم بالاتصال بالله، تطهيراً، وتحلية، وإلى أن يعرفوا أمر الله ونهيه، وإلى أن يطبقوه، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-24} : أحاديث آخر الزمان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 28-09-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما المقياس الدقيق لتصفية تلك الأفكار والمقولات غير الصحيحة:

أيها الأخوة الكرام، مع مضي الزمان، تراكم في ساعة النفس ألوف الملايين من الأفكار والمقولات؛ بعضها صحيح بعضها مغلوط، بعضها منحرف بعضها فاسد، ما السبيل إلى تصفية هذه الأفكار وتلك المقولات وفق مقياس دقيق؟ المقياس الدقيق الذي لا يخطئ هو: الوحي، فمن اتخذ الوحي مقياساً.....

يعني: أمامك ألف قطعة قماش، وعلى كل قطعة لصاقة، كتب عليها طول الثوب، أخواننا بائعو الأقمشة يعرفون ذلك؛ يا ترى للصاقات صحيحة، مغلوطة، فيها تزوير، فيها زيادة، فيها نقص، بيع من الثوب، ولم يطرح من رقم طوله، قضية سهلة جداً، اقتن متراً صحيحاً، واجعله مقياساً لكل هذه القطع، فنحن إذا ملكنا المقياس، ملكنا كل شيء، المقياس هو الوحي.

إليك هذه الأمثلة في بيان ذلك :

أيها الأخوة، مثلاً: الله ﷻ يقول:

﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾

من خلال هذه الآية: يمكن أن تنفي مئة ألف قصة، يمكن أن تركلها بقدمك، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، انتهى الأمر، معك مقياس، مقياس من الوحي، الذي خلق الكون، ينبئك أن الغيب لا يعلمه إلا الله. آية ثانية:

﴿قل لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً﴾

سيد الخلق، وحبيب الحق، لا يملك لنا نفعاً ولا ضرراً، هو هداًنا إلى الله، أما أن ينفعنا أو أن يضرنا، هذا بيد الله، لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً، بل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً.

إذاً: أي تعلق بأشخاص، عقد الأمل عليهم، من هو سيد البشر؟ النبي الكريم.

إنسان أحياناً: طريق اللسان، معه حجة وبيان، بإمكانه أن يقلب الحق إلى باطل.

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((لعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر، فإذا قضيت له بشيء، فإنما أقضي له بقطعة من نار))

علاقتك مع الله.

هذا ما أردته من هذه المقدمة :

أردت من هذه المقدمة: أن الإنسان أحياناً يخطيء في الوزن، وأحياناً ميزانه غلط، أن تخطيء في الوزن قضية سهلة جداً، لأن الخطأ لا يتكرر، أما أن يكون في الميزان خلل، لو وزنت به مليون وزن، كلها غلط، فالخطورة: أن يكون الخطأ في الميزان، أما إذا كان الخطأ في الوزن، خطأ لا يتكرر، تتلافى نتائجه، الميزان هو العقيدة، الميزان هو الوحي، لذلك: قدمت لموضوع دقيق هو: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر أحاديث كثيرة عن آخر الزمان، وعن زمن الفتن.

كيف عرف النبي عليه الصلاة والسلام الغيب؟

قد يقول قائل: ألم تقل قبل قليل: لا يعلم الغيب إلا الله؟ فكيف عرف النبي الغيب؟ نقول: لا يعلم الغيب لذاته، النبي الكريم لا يعلم الغيب بذاته، إلا أن يعلمه الله تعالى، فالله أعلمه، إلا أن الغيب يقتضي أن نقف عنده وقفة متأنية.

نحن عندنا عالمان؛ عالم الشهادة، وعالم الغيب، مكان وجودك هذا شهادة، أما قبل وجودك عالم غيب، بعد

وجودك عالم غيب، في مكان آخر خلاف وجودك، عالم غيب قبل الوجود زمنًا، وبعد الوجود زمنًا، والمكان الآخر الذي لست موجوداً به، هذا عندك غيب، الله سبحانه وتعالى يعلم الغيب والشهادة، لذلك العلماء قالوا: هناك غيب استأثر الله به، لا يعلمه لأحد من خلقه كائناً من كان، ولا الأنبياء.

الساعة الكبرى يوم القيامة، والساعة الصغرى ساعة الموت، هذه لا يعلمها إلا الله، ولا الأنبياء، ولحكمة بالغة أخفاها الله عنا، كي يُسرع إليه، وكي نهىء أنفسنا لملاقاته، لذلك: من أدق الآيات في هذا المعنى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:102]

الله ينهانا عن أن نموت:

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:102]

الموت بيدنا؟ ما معنى الآية؟ معنى الآية: أيها المؤمنون، لا ينبغي أن يأتكم الموت، إلا وأنتم طائعون لله عز وجل، مستسلمون له، فلما أخفى الله عنا ساعة الموت، وساعة القيامة، رحمة بنا.

لو شخص يعرف أجله، يقول لك: أنا أتوب قبل ساعتين، الآن مطول لا أتوب، أما الأجل لا يعلمه إلا الله، هذا الغيب استأثر الله به، ولا يعلمه أحد من خلقه، ولا الأنبياء، أما الغيب الذي يعلمه الله، ويسمح لبعض الأنبياء أن يطلعهم عليه هو: الغيب الثاني، قال:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾

[سورة الأنعام الآية:73]

فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من ربه، لذلك من هنا: النبي -عليه الصلاة والسلام- أطلع الله على ما سيكون، إلا أن العلماء قسموا هذا الغيب، الذي يمكن أن يطلع عليه البشر إلى أنواع ثلاث: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل؛ غيب الماضي:

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:44]

من أين جئت بهذه الأخبار؟ هذه لا تعلمها أنت، إذاً: هذه الأخبار من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، هذا غيب الماضي، أما غيب الحاضر:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُتَّبِعُونَكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

[سورة الأنفال الآية:30]

هذا غيب الحاضر، أما غيب المستقبل:

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾

[سورة الروم الآية:2]

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾

[سورة الروم الآية:3]

فإن الله عز وجل: يخبر نبيه الكريم عن غيب الماضي، وعن غيب الحاضر، وعن غيب المستقبل، فالغيب غيبان؛ غيب استأثر الله به، لا يعلمه لأحد من خلقه، ولا الأنبياء، وغيب يمكن أن يعلمه لبعض أنبيائه، وهذا الغيب أنواع ثلاثة؛ غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.

إليك جملة من الأحاديث على آخر الزمان :

أخواننا الكرام؛ أحاديث قيام الساعة، أحاديث فساد الزمان، أحاديث آخر الزمان، هذا من نوع غيب المستقبل، الذي أطلع الله نبيه عليه.

يقول عليه الصلاة والسلام فيما ورد في صحيح البخاري:

((إنكم سترون بعدي أثره، وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله
حقكم، إنكم سترون بعدي أثره))

يعني: حب للذات، الإنسان مصالحة فوق كل شيء؛ فوق مبادئه، فوق دينه، فوق صلة رحمه، فوق أهله، رب
أسألك نفسي.

من علامات آخر الزمان: قال:

((إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف،
ودع ما تنكر، عليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة))

إذاً: حينما تنكر أشياء، حينما ترى أثره، وأموراً تنكرونها.

ورد في بعض الأحاديث:

((كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: وأشد منه
سيكون، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟))

يعني: ممكن أن نأمر بالمنكر، وأن ننهي عن المعروف؟.

كم أب إذا رأى ابنته قد تحجبت، يقيم عليها النكير، ويتبرأ منها؟ كم زوج لا يسمح لزوجته أن تستر وجهها، ولا أن
تستر شعرها، ولا أن تنفرد قي بيتها؟ لا بد من أن تجلس أمام أصدقائه.

((كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟))

إذاً: النبي -عليه الصلاة والسلام-: أطلع الله على آخر الزمان، وقد أشار بعض الإشارات.

ومن أحاديث آخر الزمان: قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اصبروا, لا يأتي عليكم زمان, إلا الذي بعده شر منه, حتى تلقوا ربكم))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والترمذي في سننه]

يعني: دائماً الناس يترحمون على الزمن السابق, يقول لك: كنا في بحبوحة, كنا في خير, الأمور نحو الأصعب, نحو الشدة, طبعاً: هذا من إخبار النبي عليه الصلاة والسلام, الإنسان حتى لا يتفاجأ, فالإنسان حينما ينجو بدينه, فقد فاز فوزاً عظيماً, أما الأمور ليست على ما ينبغي أن تكون.

يعني: لحكمة أرادها الله عز وجل:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

يعني: الفسق عم, ممكن يعني مسلسل يغير مجرى أمة؟ ثلاثئة حلقة, ممكن يعلم البنات أساليب الفسق والفجور؟ يعلم الزوجات الخيانة الزوجية؟ يعلم الأزواج الاعتداء على أعراض الآخرين؟ والتعلق به شديد, وحينما يبيت, كان هناك منعاً للتجول, ممكن؟.

((أو كائن ذلك؟ قال: وأشد منه سيكون))

يمكن أن ترى النوافذ مضاءة حتى الساعة الخامسة فجراً, يقومون الليل؟ لا, ينتقلون من قنوات المجاري, من قناة إلى قناة, التنقل بين قنوات المجاري, قد يستدعي أن تبقى وراء الجهاز حتى الساعة الخامسة صباحاً؛ لا صلاة, ولا فجر, ولا عشاء, ولا نكر, ولا شيء, يعني: حينما يفسد الناس:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

من علامات آخر الزمان :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ورد في بعض الأحاديث:

((أن من علامات قيام الساعة: موتاً كعقاص الغنم, لا يدري القاتل لم يقتل, ولا المقتول فيم قتل؟))

يعني: في تاريخ البشرية: القاتل يقتل, المجرم يقتل, أما أحياناً: حروب أهلية, ذبح على الهوية, لم تقتل؟ لا يدري, طيب: لم قتل فلان؟ لا يدري, هذه من علامات آخر الزمان, لذلك: الله عز وجل حينما يحفظ بلدة, هذا من كرم الله عز وجل, لأن المعاصي الشديدة

هذا ما حصل في أوروبا الشرقية :

والله أحد أخوتنا الكرام, قال لي: أنا - هو خطيب مسجد, أصله من بلد اسمه: ألبانيا, في أوروبا الشرقية- قال لي: أنا أذهب من حين لآخر إلى بلدي, ومسقط رأسي, قال لي: أعتلي المنبر لأخطب, قال لي: خمسة آلاف من رواد المسجد, تشرب أعناقهم إلي, ويتأثرون بكلامي أشد التأثر, وفي جيب كل واحد منهم زجاجة خمر, يشربها وهو يبكي, وهو يتابع خطبة الخطيب, هكذا في أوروبا الشرقية, وهكذا في البلاد الإسلامية, التي حرمت العلم سبعين عاماً, لا تعلم أن الخمر حرام.

يعني: أحد أصدقائي ذهب إلى موسكو, وهو في بعض الجمعيات التعاونية, شخص شعر أن مسلماً عانقه, وقبله, وبكى, حتى انهمرت دموعه, وتعبيراً عن هذا الحب, اشترى له فولتا قدمها له, لأنه مسلم, هذا من الجهل, من الجهل, لذلك:

((لن تغلب أمتي من اثني عشر ألف من قلة))

نحن الآن: مليار ومئتا مليون.

معقول!!!!:

مرة ذهبت بالطائرة لشركة تابعة لدول الخليج, من دمشق لأبو ظبي, أنا أراقب الركاب, وزعت الخمر في الجو, عدت الذي لم يشربوا, سبعة من أربعمئة وخمسين راكب, سبعة لم يشربوا, بلد إسلامي لبلد إسلامي, ونحن في الجو, تحت رحمة الله:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم الآية:41]

لا ينبغي أن نعتب على الله, لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الروم الآية:47]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[سورة محمد الآية: 7]

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

-أين الاستخلاف؟-

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾

[سورة النور الآية:55]

قصة ألقيت على منبر الإسلام :

أحد أخواننا الخطباء, جاءه رجل من رواد مسجده, وقال له: يا أستاذ, سأتلو على مسامعك قصة, يتقطع القلب لها, جرت في بيتي, وأرجوك أن تنقلها للناس, على منبر النبي عليه الصلاة والسلام, وقد ألقيت على منبر. أب يجلس مع أولاده وبناته, ويتابع هذه المحطات الغربية, التي تأتيه عبر الصحون, وهذه الصحون كلما اتسعت, ضاقت صحون المائدة, وهذا الحياء كلما قل, قل معه ماء السماء, وإذا رخص لحم النساء, غلا لحم الضأن.

فيبدو أن محطة إباحية, لمجرد أن لمح الأب منظرًا لا يحتمل, أدار المحطة, الابن حفظ رقم القناة, بعد الساعة الثانية عشرة, آوى الأب إلى فراشه والأم, وبدأ الأولاد يقبلون هذه المحطة, إلى أن عثروا على هذه المحطة التي أزاحها عنهم أبوهم.

يقول الأب: استيقظ الساعة الثانية على صوت أنين, فوجيء: أن كل ابن فوق بنت من بناته, أقسم بالله أنها جرت في بيتي, وتكلم بهذا لأحد خطباء المساجد, وألقيت هذه القصة من على المنبر:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم الآية:41]

النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر: أنه سيفشو الفساد في الأرض.

هذا ما ينصحك به نبيك عليه الصلاة والسلام في زمن الفتن :

قال :

((إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

يعني: البيت أريح من الطريق، والغندق أفضل من مقصف، يعني دائماً: أين في نساء كاسيات عاريات، أين في مناظر مؤذية، أين في فتن، أين في ضلالات، ابتعد عنها.

((طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة))

الحقيقة: في آخر الزمان: جنة المؤمن داره، داره، التعبير الدارج: المؤمن بيتوتي، والفاسق زقاقاتي.

يعني: كل وقته بالطريق؛ يا بطريق، يا بمطعم، يا بملهى، يا بمقصف، يا بقهوة، ما عنده بيت، المؤمن مع أولاده، وزوجته، ببيته -نعم-.

هذا ما ورد عن النبي ﷺ أيضاً عن آخر الزمان :

أيها الأخوة الكرام، مما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((كيف بكم إذا صدق الكاذب، وكذب الصادق؟ إذا أوثمن الخائن وخون الأمين؟ كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟ كيف بكم إذا صار المرض قيضاً، والولد غيضاً، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيظ الكرام غيضاً؟))

- هذا كله من علامات قيام الساعة-، كيف بكم إذا ولدت الأمة ربتها؟))

يعني الآن: تجد بنت هكذا مثقفة، معها شقفة شهادة، تقول لك: أمي دقة قديمة، أمي لا تفهم، أمي جاهلة؛ التي ربتها، وأنجبتها، وأنعمت عليها، هي عند ابنتها جاهلة، وأحياناً: ابن يستحي بوالده، مع أن الأب له اعتزاز كبير جداً.

هنيئاً من عبد الله في زمن الفتنة :

فيا أيها الأخوة الكرام، في آخر الزمان، في الزمن الصعب، في زمن الفتن، قال عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عن ربه:

((عبادة في الهرج -أي في زمن الفتن - كهجرة إلي))

الآن: في مقاصف، وفي متنزعات، وفي فنادق خمس نجوم، وفي نساء شبه عرايا، يطفن في الأسواق، وفي كل مكان، لما الإنسان بأوي لمسجد، بأوي إلى بيته، يغض بصره، ينفق ماله، يصدق في حديثه، يتوخى رضاء الله عز وجل.

((من يعبد الله في زمن الفتنة، كمن هاجر إلى الله ورسوله))

من هم أحباب النبي عليه الصلاة والسلام؟:

ورد في بعض الأحاديث: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا، أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه، كالقابض على جمر، أجرهم كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم؟ قال: بل منهم، قالوا: ولم؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

أحياناً الإنسان: يعارضه والده في بيته، تعارضه والدته، يعارضه أخوه، يعارضه جاره.

هذا ما ينفعنا في هذا الزمن :

أخواننا الكرام: أردت من هذا الدرس: أن يصحو الإنسان, نحن في آخر الزمان, ولا ينفعنا إلا طاعة الله عز وجل, وأن ناوي إلى بيوت الله:

﴿فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾

[سورة الكهف الآية:16]

بيت الله كهف تأوي إليه.

((إن بيوتي في الأرض المساجد, وإن زوارها هم عمارها, فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني, وحق على المزور أن يكرم الزائر))

فالإنسان إذا حضر مجلس علم, ربا الإيمان في قلبه, تراكمت الحقائق, ازدادت قناعاته من دون أن يدري, يرى نفسه مستقيماً على أمر الله, ومع الاستقامة راحة نفسية, لا تعدلها راحة.

ماذا لو علم الملوك على ما نحن عليه....؟ وماذا يريد الله منا؟ :

قال:

((لو يعلم الملوك ما نحن عليه, لقاتلونا عليه بالسيف))

مرة أبو حنيفة النعمان, كان عند أبي جعفر المنصور, وهو الخليفة القوي, قال: يا أبا حنيفة, لو تغشيتنا -تعال زورنا-, قال: ولم أتغشاكم, وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه؟ إنك إن قريتني فتننتي, وإن أبعدتني أزريت بي.

مستغني لاتصاله بالله, الغنى من صفات المؤمن, يستغني عن دنيا الناس, لذلك: إذا أردت أن يحبك الله, فارغب فيما عنده, وإذا أردت أن يحبك الناس, زهد فيما عنده.

بالعكس:

لا تسألن بني آدم حاجة وأسأل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب
إن سألته يغضب, أما ربنا عز وجل: إن لم تسأله يغضب.

((من لا يدعني أغضب عليه))

((إن الله يحب الملحين في الدعاء))

((إن الله يحب من العبد أن يسأله حادثه كله))

((إن الله يحب من العبد أن يسأله ملح طعامه))

((إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع))

الدعاء هو اتصال دائم بينك وبين الله.

نهاية المطاف :

أيها الأخوة, أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون قد أفدنا من أحاديث قيام الساعة, وأن نلوذ ببيوت الله عز وجل,
وأن نتسلح بالعلم, العلم سلاح الإنسان, إذا تعلم, شيطان واحد.

((عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد))

((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم, إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضياً بما يصنع))

((إن الملائكة في السماء, والحيتان في البحار, تصلي على معلم الناس الخير))

وما من إنسان يدخل بيت الله, إلا والله يكرمه؛ إما بسكينة في قلبه, أو بتيسير في عمله.

((هم في مساجدهم, والله في حوائجهم))

أو في راحة في نفسه.

على كلِّ؛ غير معقول تزور إنسان لا يضيفك، وزيارة الله التوفيق: إن الله مع المؤمنين.

هذه معية خاصة؛ معهم ناصراً، ومؤيداً، وحافظاً، وموفقاً، والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-25} : أحاديث متفرقة من كتاب الرقاق للداراني في ترقيق القلب وتليينه

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 05-10-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

هذا هو الخير كما أشار إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث :

أيها الأخوة الكرام، من الكتب الصحيحة في الحديث الشريف، سنن الداراني، ومن كتب هذه السنن: كتاب الرقاق، والرقاق: الأحاديث التي ترقيق القلب وتليينه، من هذه الأحاديث الشريفة:

عن ابن عباس -رضي الله عنه-، أن رسول الله -ﷺ- قال:

((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الإنسان أحياناً: يتوهم الخير في المال، يتوهمه في الصحة، يتوهمه في العلو في الأرض، يتوهمه في ارتقاء المناصب العالية، يتوهمه في الانغماس في الملذات الدنيوية، يتوهمه في السياحة، يتوهمه في البيت الفخم، يتوهمه في مزرعة، لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى، يقول:

((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))

[أخرجه الترمذي في سننه]

حسناً: هذا الفقه في الدين، يحتاج إلى وقت، وإلى مكان، المكان هو المسجد، والوقت، لا بد من أن تقتطع من

وقت وقتاً لحضور مسجد علم, وإلا لن تصل إلى شيء, إذا كان وقتك أضيق من أن تحضر مجلس علم.
يعني: في إنسان يربح من دون وقت؟.

يقول العلماء: الوقت أساسه, أساسه كسب المال.

في إنسان يؤسس مشروع, يربح أرباح طائلة, إذا لم يكن عنده وقت للمشروع, لا ينجح مشروعه, الناجحون في الحياة ستة في المعمل, ستة في المعمل فوق عمله, حتى يضبط أموره من أجل الدنيا, لا بد بالتعبير الدارج: من رجل مكسورة.

يقول لك: الشغل يحتاج إلى رجل مكسورة, يعني: تريض, فمن أجل أن تتفقه في الدين, لا بد من حضور مجلس علم, والدين واسع جداً, فهذه نقطة دقيقة.

ما معنى الفقه في الدين؟ :

أيها الأخوة, إذا أحبك الله, إذا أراد بك خيراً, إذا أراد أن يدخلك الجنة, يعطيك موجباتها, موجباتها: الفقه في الدين, أما الفقه ما معناه؟.

الآن: كلكم يظن أن الفقه: أن تعرف شروط الصلاة, وفرائضها, وسننها, ومستحباتها, لا, هذا المعنى مستحدث بالفقه, معنى جديد, يعني: معرفة الأحكام الشرعية, الآن اسمها: فقه, أما الفقه في القرآن والسنة, بالمعنى اللغوي, ليس كالمعنى الاصطلاحي.

النبي -عليه الصلاة والسلام- لما سأله أحدهم, قال:

((عظني ولا تظن, قرأ عليه الصلاة والسلام قوله تعالى:

﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾

قال: كفيت, فقال: فقه الرجل))

الفقه في مصطلح القرآن, ومصطلح السنة, غير مصطلح, مصطلحنا نحن.

يعني: أي إنسان طالب علم شرعي، طبعاً؛ صف سابع شرعي؛ درس أحكام الصلاة، أحكام الصوم، الحج، الزكاة، أحكام الطلاق، والزواج، والوكالة، والعارية، والقرض الحسن، والمزارعة، والمضاربة.

يقول لك: هذا درس الفقه، الفقه: التعمق في الدين، معرفة أسرار التشريع، معرفة سر الخلق، معرفة غاية الوجود، معرفة مؤدى الحياة الدنيا، معرفة من أين، وإلى أين، ولماذا؟ هذا الفقه، الفقه: معرفة حكمة الدين، أصل الدين، ما وراء النصوص، ما بين السطور، هذا الفقه بالمعنى القرآني والنبوي.

قال:

((فقه الرجل))

لذلك:

((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))

[أخرجه الترمذي في سننه]

أما أناس كثيرون، بعيدون عن الفقه في الدين، بعد الأرض عن السماء، يعني: يقيم عمل لا يرضي الله، ثم يدعو الناس لافتتاحه، يأتي بالمنشدين، وينشدون، ويدعو بعض الدعاة ليلقوا الخطب، والمكان في الأصل لا يرضي الله، يعني: ما في فقه أبداً، يرتكب بعض الموبقات، ويصلي، يأكل المال الحرام، ويسألك عن سمسة علفت بين أسنانه، أفطر أم لم يفطر؟ تناقضات كبيرة جداً.

يعني: الفقه في الدين، أن تعرف سر التشريع، أن تعرف مقاصد الدين العليا، إن تعرف لماذا أنت في الدنيا؟ لماذا خلقت في الدنيا؟ ماذا بعد الموت؟ أصول الدين، الحكمة من الدين، هذا معنى الفقه، فلذلك: هذا لا يكون بجلسة واحدة، هذا يحتاج إلى تراكم، يحتاج إلى متابعة، يحتاج إلى دوام.

ولا تنسوا: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

وعن أنس, قال عليه الصلاة والسلام:

((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ, وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

طبعاً: أن تأكل حتى تشبع, وأن تنام حتى تشبع نوماً, وأن تطلق بصرك في الحرام, حتى تمتلئ العينان من مفاتن هذه المرأة, وأن تدير حديثاً لطيفاً مع امرأة لا تبت إليك بصلة, وأن تذهب إلى أي مكان في اختلاط, وأن تأكل ما تشاء, وأن تكسب المال الذي تريد من دون قيد, من دون شرط, من دون ورع, من دون سؤال, من دون جواب, هذه جهنم.

((إن عمل النار سهل بسهولة, وإن عمل الجنة حزم بربوة))

عمل النار سهل جداً, استرخاء, إطلاق الشهوات, إطلاق الجوارح, كسب المال من أي طريق, من دون تدقيق, الذهاب إلى أي مكان, الجلوس مع أي إنسان, النظر إلى أي امرأة, هذه جهنم.

((حفت الجنة بالمكاره))

بالجنة في غض بصر, بالجنة في تدقيق, هذا المال لا يجوز أن أكسبه, في تدقيق, هذه السهرة لا يجوز أن أحضرها, هذا السفر لا ينبغي أن أسافر إليه, يذهبون إلى بلاد الغرب, ليطلقون أبصارهم, بل ويرتكبون الفواحش, ويعودون, وقد حققوا إنجازات كبيرة, ثم يأتون إلى المساجد.

قال:

((حفت الجنة بالمكاره, وحفت النار بالشهوات))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

((قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين, ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

لو دققتم في هذا الحديث القدسي: الإنسان هذا سافر إلى أوروبا, هذا يعرف هولندا, وفرنسا, وإنكلترا, أمريكا, وكندا, واليابان, هذا يعرف تايواند, ويعرف أستراليا, ويعرف اليابان, ويعرف الهند, والباكستان, ويعرف إيران, ويعرف السعودية, كل واحد له سفرة, أنت لك دائرة مرئيات, دائرة.

في شخص يقول لك: سوريا ولبنان فقط, لا يعرف, شخص سورية ولبنان والسعودية, عملت عمرة في زماني, والأردن, أثناء كان بالهوية, شخص يقول لك: رحنا على قبرص, شخص يعرف تركيا.

((أعددت لعبادي الصالحين, ما لا عين رأت -أما الأوسع من العين-, ولا أذن سمعت. أنت سمعت بغينيا, وغانا, وسمعت بجنوب أفريقيا, وسمعت بالمكسيك, والبرازيل, والأرجنتين, وسمعت بكندا, وسمعت بالأسكا, وسمعت بالقطب, وسمعت بالتبيد, وسمعت بالصين الشعبية, مسموعاتك أو مرئياتك, مليون مرة, أليس كذلك؟ أما الخواطر ليس لها حدود, كل شيء بالخاطر ممكن. ممكن مثلاً: يكون عندك ذهب قدر الكرة الأرضية, ممكن خاطر, ممكن يكون في إنسان طوله من هنا للقمر؟ ممكن خاطر, ثلاثمئة وستون ألف كيلو متر طول رجل؟ ممكن, لكن هذا خاطر, ليس له قواعد, ليس له حدود, ليس له واقع. فدقق في هذا الحديث-, ولا خطر على قلب بشر. -هذا كلام سيد الخلق, كلام رسول الله, لا ينطق عن الهوى, يحدثنا عن ربه, فكيف يكون حال الإنسان؟ إذا ضيع هذا الذي أعده الله له, من أجل دريهمات, أو مبلغ من المال, أو سهرة مختلطة, أو انحراف بسيط, ضيع الآخرة كلها-.

واقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

من هو المؤمن الموفق؟ :

أخواننا الكرام، المؤمن الذكي الموفق، كل هدفه الآخرة، لأن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيه ملك عادل، لذلك: يعمل للآخرة، وهذا العقل.

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن أكيسكم، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان))

لماذا دخلت هذه المرأة النار؟ وما أبعاد هذا الحديث؟ :

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: دخلت امرأة النار في هرة، فقيل: لا أنت أطعمتها، ولا سقيتها، ولا أنت أرسلتها تأكل من خشاش الأرض))

لا أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها، لذلك: استحقت امرأة أن تدخل النار.

فهذه الإنسان، يعني: أنا أحب تكونون على حقيقة، هرة تسبب دخول النار، فما قولك فيما فوق الهرة؟.

((الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله))

إنسان يخوف إنسان، إنسان يفقر إنسان، إنسان يبتز مال إنسان، إنسان يجرح إنسان، يشوه إنسان.

أحياناً ببعض المهن الطبية: من أجل كسب المال، نقترح إجراء عملية لا لزوم لها، ونقع بخطأ بالعملية، يموت الشخص، يقول لك: قضاء وقدر، من قال لك هذا: قضاء وقدر؟ هذه جريمة هذه، من قال لك: قضاء وقدر؟ هذه جريمة تحاسب عليها، يعني: مستعجل، قرر استئصال الثدي، استئصل الثدي، ولا يوجد فيه شيء، البنت في ريعان الشباب، معقود عقدها على شاب، فلما علم أنه قد استئصل ثديها، فسح العقد، خطأ من الطبيب، خطأ بسيط.

فالله عز وجل: حينما يعني يقول:

((دخلت امرأة النار في هرة))

النبي الكريم:

((دخلت امرأة النار في هرة))

دقق وفهمكم كفاية بما فوق الهرة.

دخل لعندك إنسان يشتري حاجة، وجدته جاهل، عرفت تتبعه بالضبط، لبسته شغلة وقتها منته، منته مفعولها، ليس لها طعمة، ليس لها عمل، ماضي موديلها، بأعلى سعر، ثلاثة أضعاف.

قصة لها مدلولها :

مرة أخ صديقي، صديق عارض، قال لي: عندي سيارة، فيها عيب بالمحرك خطير جداً، الحمد لله بعناها اليوم، لبسناها لواحد، قال لي بالضبط: لبسناها لواحد، أنا رأيته جاهلاً، لا يعرف عن الله شيء، اشترى من طرطوس سيارة كولف، كحلي جي إل، قال لي: مثل العروس، خامس يوم انضربت ضرب، انمعست معس، فكان غاضباً أشد الغضب، قلت له: ألم تقل لي: قبل خمسة أيام لبستها لواحد؟ .

إخفاء العيب يجعل البيع حرام، إخفاء العيب يجعل هذه الصفقة حراماً، لأن فيها كذب، أو فيها تدليس، أو فيها انحراف، لذلك:

((دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي سقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش

الأرض))

فالإنسان أحياناً: يضرب غلام صغير على ظهره، صار معه عاهة دائمة، أحياناً يعني: يهمل معالجة طفل، يكون طبيب مناوب، مرتاح، يأتي إسعاف، الآن مشغول، يقرأ جريدة، جالس مع أصدقائه، يموت.

فنحن نضع الهرة، هذه الهرة وحدها تسبب دخول النار، فما قولك فيما فوق الهرة؟ وكل شيء بحسابه، والله عز

وجل عدله مطلق.

قصة فيها عبرة :

قصة أنا سمعتها من أحد العلماء قديماً، من حوالي أربعين سنة: أن رجلاً في عنده وليمة، شاري لحم، كان من الأتراك، ضابط تركي، القصة من سبعين سنة أيضاً أكثر، ففي قطة أكلت له اللحامات، انغاض منها، أتى بسلم، وقف وشنقها، وشفى غليله، قال له صديقه: هذا لا يجوز، هذه بهيمة، رأت لحم فأكلته، لا يوجد عندها شرع، القطة لا يوجد عندها تشريع، قال له: هذا الذي حصل، قال له: تصدق وإلا فالعقاب أليم، فصار يضحك، قال له: وما العقاب؟ -والله أذكر هذه القصة-، قال له: لعل الله يفعل بك ما فعلت بها، فصار يضحك ضحكاً لا حدود له، من أجل هرة!! قال: من أجل هرة، ورفض أن يتصدق، أو أن يكفر عن ذنبه، ومضى على هذه الحادثة، أكثر من خمس وعشرين سنة، فلما رحل الأتراك، انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، هذا الإنسان الذي شنق هذه الهرة، وعينه كمال أتاتورك مساعداً له أيماً، ثم عينه حاكماً إزمير العسكري، ثم أصدر أمر، أمر هذا الإنسان كمال أتاتورك بارتداء القبعة، مكان الزي الإسلامي.

مرة عمل جولة تفتيشية، سأل: أنه ارتد؟ لا، لم يرتد، اشنقوه، ضابط شنق أمام دائرته في إزميت، هذه القصة سمعتها من رجل، عاش قديماً.

مرة أهداني من كم سنة إنسان كتاب عن كمال أتاتورك، قرأته، فإذا فيه هذه القصة، مما يؤكد: أنه أمر بشنق حاكم إزمير العسكري، هذا الرجل شنق قطة قبل عشرين سنة، يعني: هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام.

((دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

إذا الإنسان بشكل مقصود، مع الإصرار أراد أن يقتل هرة، أو أن يعذبها، شيء مخيف.

قصة مؤثرة :

أنا لي صديق، يعمل في المطار، طالع مع شخص بالضبط، يقود سيارته بشكل جنوبي مسرع، رأى كلب صغير يقبع على طرف الطريق في طريق المطار، أراد هذا السائق أن يظهر براعته في القيادة، فقص يدي هذا الكلب، القضية دقيقة جداً، دهس فقط يديه، وأطلق ضحكة هيسترية، والله الرجل كان في السيارة، وحدثني من فمه إلى

أذني، قال لي: والله شيء مخيف، أنا تألمت، أنا لست منتبهاً، وجدت انحراف مفاجيء، لماذا فعلت هذا؟ قال له: انظر يداه فقط، يداه فقط.

-والنبي نهى عن أن تكون البهائم غرضاً في الرمي، كائن حي، الرجل حي يرزق وموجود-.

قال لي: في الأسبوع الثاني رجع هذا الإنسان من المطار إلى دمشق، في المكان نفسه تعطلت سيارته، يعني: أصاب العجلة خلل، فرفع السيارة، وحل البراغي، وسحب الدولاب، فقس التريكو، وقعت فوق يديه، وقعت السيارة فوق العجلة، والعجلة فوق رسغيه، بعد أن وصل إلى المستشفى اسودت يداه، فلا بد من قطعهما. يقسم بالله العظيم: أنه فعل هذا يوم السبت الساعة الثانية ظهراً، وفي السبت الآخر الثاني: كانت يداه مقطوعتان، هذا الشيء يقع.

((دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

مؤمن يخاف الله كثيراً، هو إذا إنسان مخير، قاصد الله يعفي عنه، يدفع صدقة، يكفر، أما قاصد، ومستهتر، ولا يبالي، ولا يستغفر، ولا يكفر، ولا يصحح، الله عز وجل قد ينتقم منه انتقاماً شديداً.

بشرى لك أيها المؤمن :

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أخبرنا النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما سئل:

((هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك))

لذلك: قال النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما قال:

((للذين أحسنوا الحسنى -الجنة- وزيادة))

النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا النظر إلى وجه الله الكريم، كما تروي الأحاديث:

لو أن المؤمن نظر إلى وجه ربه, لغاب من نشوة النظرة خمسين ألف عام, من نشوة النظرة:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

[سورة البقرة الآية:39]

أكبر عقاب لهم:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:15]

موقف عصيب :

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال:

((خطب رسول الله -ﷺ- فقال: يا أيها الناس, إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً))

غرلاً: بلا طهور.

في أحاديث أخرى: قالت:

((يا رسول الله, أو يرى بعضنا بعضاً؟ -معقول!؟-, فقال: يا أم المؤمنين, الأمر أفضح من أن يعينهم ذلك الأمر, -أفضح من أن يعينهم ذلك-, قال: قالت: يا رسول الله! أيعرف بعضنا بعضاً يوم القيامة؟ قال: نعم يا أم المؤمنين, إلا في أربعة مواطن؛ عند الصراط, وإذا الصحف نشرت, وعند نفخ الصور, -إلى آخره- وفيما سوى هذه المواقف: قد تقع عين الأم على ابنها يوم القيامة, تقول له: يا بني, جعلت لك بطني وعاء, وصدري سقاء, وحجري غطاء, فهل من حسنة يعود علي خيرها اليوم؟ يقول ابنها: ليتني أستطيع ذلك يا أمه, إني أشكو مما أنت منه تشكين:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:101]

كذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلى، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ * وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾))

من هم خيار أئمتنا، ومن هم شرارهم؟ :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((خياركم، أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم.

-أردت من هذا الحديث الحقيقة التالية: المؤمن الصادق يحبه الناس جميعاً حباً عاماً؛ لأنه مستقيم، لأنه ورع، لأنه متواضع، لأنه حقاني، منصف، لأنه لطيف، لأنه خير، كريم، جريء، شجاع، ينكر ذاته، هذه صفات محببة عند الناس.

يعني: محبة الخلق دليل في أدلة أن الإنسان على حق، فلذلك: النبي قال:-

خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليكم ويصلون عليكم، -تذكرونهم دائماً ويذكرونكم دائماً، في تذكر مشترك-، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قلنا: أفلا نناديهم يا رسول الله عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة؟ ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة لئلا تقع فتنة))

يعني: علامة أن الإنسان على حق، أنه محبوب، وحينما يبغضه الناس، لذلك: الإنسان يصلي أحياناً إمام، والناس لا يحبونه، يجب أن تكون محبوباً، ولن تكون محبوباً، إلا إذا اتبعت سنة رسول الله ﷺ.

احذر من محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً :

وعن عائشة قالت:

((قال لي رسول الله ﷺ -: يا عائش، -هذه كيف يا عائش؟ هذا منادى مرخم، إذا قال: يا عائشة منادى، أما يا عائش: هذا منادى، حذف منه تاء التانيث، يسمى منادى مرخم-.

يا عائش، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً))

الآن: معظم المسلمين لا يقتل؛ لا قتل، ولا زنا، ولا شرب خمر، ولا سرقة، لكن يطلق بصره، ويصافح، ويختلط، ويسهر، ولا تدقق، وهذه بلوى عامة، والله يعفو عنا، ولسنا مناح نحن، لسنا لا يسعنا إلا عفوه، هذه محقرات الذنوب، هذه لها من الله طالب، لأن الشيطان يئس أن يعبد في أرضنا، لكن بماذا رضي؟ قال:

((نحقر من ذنوبنا - رضي بالتحريش بين المؤمنين))

هذه الخصومات، هذه الخصومات، والمشكلات بين المؤمنين، هذه ترضي الشيطان، والشيطان يئس أن يعبد غير الله في هذه البلاد.

((إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب، ولكن رضي بشيئين؛ رضي بالتحريش بين المؤمنين، -أن يثير الخلاف بينهم، أن يثير الضغينة بينهم، أن يثير العداوة والبغضاء، أن يثير الحسد بينهم-، ورضي بمحقرات الأعمال))

يعني: يقول: ماذا فعلت؟ ما فعلت شيئاً، سهرنا سهرة، ضحكنا، لعبنا طاولة، نساء أجنبيات، سهر، ومزاح، وتبادل طرائف، ولعب طاولة ونزد للساعة الواحدة، واستيقظنا بعد الشمس، ماذا فعلنا؟ هذا الذي يتمناه الشيطان.

((إن الشيطان))

((يا عائش، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً))

هذه هي الدنيا عند الله سبحانه وتعالى :

والنبي -عليه الصلاة والسلام-: مر بسخلة جرياء، قد أخرجها أهلها، قالت:

((أترون هذه هينة على أهلها؟ قالوا: نعم، قال: والله للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها))

هذه الدنيا حقيرة على الله، أبي أن يجعلها ثواباً لأوليائه، وعقاباً لأعدائه، قد يكون العكس، قد يعطيها لأعدائه وهو لا يحبهم، وقد يجرمها من أوليائه وهو يحبهم، لأنها لا قيمة لها عند الله، ليست مكافأة، وليست عقاباً.

آخر حديث: يقول عليه الصلاة والسلام, معه أبو عبيدة الجراح -رضي الله عنه- قال:

((يا رسول الله! هل هناك أحد خير منا؟ -نحن معك, نحن أسلمنا, وجاهدنا, وافتديناك بأرواحنا-, فقال عليه الصلاة والسلام: نعم, -هذه بشارة لكم-, قوم يكونون بعدكم, يؤمنون بي ولم يروني. -قال له: في أحد أحسن منا؟ نحن اجتمعنا بك, وتشرفنا بصحبتك, وآمنا بك, وصدقناك, وجاهدنا معك, وفديناك بأرواحنا, وأولادنا, وأموالنا-, هل أحد خير منا؟ قال: نعم, أناس يأتون في آخر الزمان, يؤمنون بي ولم يروني, واحد هم القابض على دينه, كالقابض على جمر, -والحديث له تتمه-, قال له: أجره كأجر سبعين, قال: منا أم منهم؟ قال: بل منكم, لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

الناس جميعاً بعيدون عن الحق, الإنسان إذا سار في طريق الحق, فد تجد متاعب من داخل بيته أحياناً, من زوجته, من

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-26} : التفاؤل والأمل

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-10-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الأمل والتفاؤل :

أيها الأخوة الكرام ؛ من كتب الأحاديث الشريفة كتاب الجامع الصغير , ولهذا الكتاب خصيصة ؛ هو أنه مرتب وفق الحروف الأبجدية , لذلك :
إذا قرأت في صفحات هذا الكتاب , تجد موضوعات متنوعة يجمعها حرف واحد , فمن هذه الأحاديث الشريفة :
أن الأمل رحمة من الله لأمته , ولولا الأمل ما أرضعت أم ولداً , ولا غرس غارس شجراً .



لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً

علامات المؤمن والكافر .

أيها الأخوة :

من علامات المؤمن : أنه متفائل .
ومن علامات الكفر : اليأس والتشاؤم .
اليأس من علامات الكفر , والقنوط من علامات الكفر :

﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾



المؤمن متفائل دائماً

[سورة يوسف الآية: 87]

اليأس، والقنوط، والتشاؤم من علامات الكفر، والثقة بالله، والأمل، والتفاؤل من علامات الإيمان، لذلك: النبي - عليه الصلاة والسلام - علمنا أنه:

((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها))

لأنه يعمل لأولاده، يعمل للمسلمين، لو أنه غرسها، ولم ينتفع بثمرها، ألا ينتفع بثمرها المسلمون؟ له أجر.

النقطة الدقيقة: أن إنساناً زرع شجرة، كل من أكل من ثمرها في صحيفته، إنسان أجرى نهر، كل من شرب منه في صحيفته، إنسان فتح طريق، أنشأ ميثم. الحقيقة: الأذكاء دائماً يبحثون عن أعلى أنواع الأرباح. الآن: في تاجر يرضى بريح قليل، هامش الربح



ضعيف جداً، بجهد كبير، ومردود قليل.

في مثل بين التجار: مثل مطحنة الجن، خريز وعجيج على الفاضي. فالتاجر الذي يربح قليل، وجهد كبير، لا يكون تاجر متفوق، من الذي يملأ إعجابك؟ جهد قليل، ومردود كبير.

حسناً: طبق هذه القاعدة على عمل الآخرة، ابحث عن الصدقة الجارية، لأن أي عمل مهما كان عظيماً، ينتهي مع موت الإنسان، أما إذا تركت صدقة جارية، هذا العمل لا ينتهي، تأتيك أرباحه كل حين، لذلك:

((إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية))

بنى مسجداً، أو ساهم ببناء مسجد، أو أسس مسجد، أو أضاء مسجد، أو دعم مسجد، أو ميثم، أو مستشفى، أو مستوصف، يعني الآن: الطبابة غالية جداً، جداً غالية.

سمعت أنه بأخواننا التجار، أسسوا مستوصف في آخر الخط، الأجرة ربع، يأتي فقير، يحتاج إلى تحليل، تصوير إيكو، يجد الأمر معقول، هذا صدقة جارية، لو بحثنا عن أعمال تنفع المؤمنين الفقراء، هذا العمل في صحيفة

المساهمين إلى يوم القيامة، وما أكثر الأعمال.

أنا أحياناً: أسمع بالأخبار، أن بمصر عملوا عرساً جماعياً، ألف ومئة شاب بآن واحد، اقترنوا بألف ومئة شابة، ولهم بيوت، سمعت خبر مماثل باليمن، خبر ثالث بإيران.

حسناً: جمعية لتزويج الشباب، هذا عمل عظيم.

سألت مهندس، قال لي: ممكن الآن مع غلاء الأسعار، أن نؤمن بيت بمئتي وخمسين ألف، طبعاً: كسوة درجة خامسة، شاب بلا مأوى، هذا عمل؛ أن تساهم بتزويج الشباب، أن تساهم بتأمين الدواء، أن تساهم بحل مشكلات الناس.

في أخ من الأخوان، قال لي: أنا أخذت من مالي مبلغ، لحل حاجات المسلمين، تركته للقرض، لزمه خمسة عشر،

يدور من واحد لواحد، رصد مبلغ لإقراض الناس قرصاً حسناً.

لما الإنسان يريد أن يصل إلى الله، يتفتق ذهنه عن أعمال طيبة جداً، هذه الأعمال ترفعه عند الله، والإنسان

حجمه عند الله بحجم عمله؛ ممكن تخفف مآسي

المرضى، ممكن تخفف مآسي الفقراء، ممكن تخفف

مآسي الشباب، الذين لا يجدون بيتاً من أجل أن يؤويهم

بعد الزواج، فلذلك: ابحثوا عن صدقة جارية.



أخطر السيئات السيئة التي تستمر بعد موت صاحبها

((إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث))

أنامرة عندي تفسير، أعجبتني آية في هذا التفسير، تفسيرها رائع جداً، فجعلتها خطبة، وتأثر الناس كثيراً، بعد يومين فكرت: أن هذا المفسر، عاش قبل ألف عام، وألف هذا التفسير، وهذه الخطبة، وما حصل منها من تأثير

في صحيفة المفسر، الذي ألف هذا التفسير، فلذلك: لا بد من عمل يبقى بعد موت الإنسان، وأجل الأعمال هو:

العمل الذي يبقى بعد موت صاحبه، وأخطر السيئات هي: السيئة التي تستمر بعد موت صاحبها، في ملاهي،

بعد أن أسس بفاخر الأثاث، وجلبت له الساقطات من كل حدب وصوب، وجلبت له أنواع الخمر، وافتتح بحفل

كبير، وبعد سبعة أيام مات، مؤسس هذا الملهى، وكلما مررت أمامه في طريق الزبداني.

أذكر: أن كل معصية تجري فيه كل يوم, في صحيفة من أسسه, هذا عمل, هذا عمل, قال:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

[سورة غافر الآية:46]

الصدقة الجارية :

ابحثوا عن عمل جار, عن صدقة جارية, من أجل الصدقات الجارية: ولدًا صالحًا ينفع الناس من بعدك, لذلك: مهما اعتنيت بابتك, تربية, وتوجيها, وتنقيها, هذا صدقة جارية لك, وأنت في الجنة يأتيك رزق وفير, يرفع الله لك مقامك في الجنة, يا رب من أين هذا؟ هذا من دعاء ولدك لك, أنت ربيته, واعتنيت فيه.

يعني: زوجته, أنا أعجب أشد العجب, من أن يبخل على ابنه أن يزوجه, حسناً: من لك غيره يا أخي؟ أنا عصامي, اتركه يكون عصامي مثل حكايتي, هذه كوانة قديمة, الآن يحتاج إلى مساعدة, كان قبل مئة سنة, سبعين سنة, ممكن الإنسان يسلك الطريق لوحده, الآن بحاجة إلى معاونة من والده, فإذا أب استطاع يزوج أولاده, يؤمنهم ببيوت؛ مستقيمين, لهم سمعة طيبة, هذا ولد صالح, ينفع الناس من بعده, معناها: أنت ما مات, ما مات الإنسان, فلذلك: لنبحث عن عمل ينفع الناس من بعدنا.

((إذا مات ابن آدم, انقطع عمله إلا من ثلاث))

صلاته وقفت, صومه وقف, ذكره وقف, تلاوته وقفت, حسناً: أعماله التي كان يعملها, تنتهي بإطعام المسلم, أطعم فقير, أكل الأكلات, وشبع, ودعا لك, والأكلات خلصوا, انتهى عملك, يعني: أعطيته ألف ليرة, أنفقها ودعا لك, وخلصوا الألف, خلصوا, لم يبق في شيء, أما إذا علمت إنسان, دعمت إنسان يدعو الله عز وجل.

أحياناً: طالب علم ذكي جداً, قلت له: أنت نفقتك علي, اطلب العلم, هذا كبير, صار داعية, خطيب, نفع الناس, كل من اهتدى على يديه, في صحيفة من أمده بالمال.

أحياناً: يأتيك طلاب من تركيا, من الصين, من أفريقيا, طلاب علم غرباء, جاؤوا ليتعلموا, وسيعودون إلى بلادهم خطباء معلمين, فإذا إنسان أكرمهم.

أنا مرة: عندي طالب علم, لم يقل لي, أربع سنوات لم يكن عندي سجادة, ولا يوجد بيت, لا يوجد بالمستودع خمس, ست سجادات عتاق, قال لي: أريد عيرة فقط سجادة, طالب علم, ضيفنا, إذا أمنت له سجادة عيرة, مدفأة,

مستودع مازوت بالشتاء مثلاً، أنت ماذا عملت؟.

كل أعماله القادمة في صحيفة من أعانه، لذلك: الشيء اللطيف الذي يبعث على التفاؤل: أن طلاب العلم الشرعي يذهبون إلى مصر، وإلى الحجاز، وإلى الشام، يجدون هذه البلدة أرحم بلدة لهم، وأكثرها سخاء، وأكثرها علماً، وأكثرها ورعاً، وهذا من فضل الله علينا.

أنا أشجعكم، إذا شخص رأى طالب علم من بلد أجنبي، من أفريقيا، من آسيا، الآن: في طلاب علم من الشيشان، ومن داغستان، محرومين العلم سبعين سنة، الآن تفتحوا؛ فتعليم هؤلاء، والعناية بهم، والإنفاق عليهم، تأمين بيت صغير لهم يسكنون، بالشتاء مدفأة، سجادة مثلاً، كل هذا العمل في صحيفتك، وهو من الصدقة الجارية، عملنا مستوصف، عملنا قضية، فكر بصدقة جارية، لا تفكر بريح منقطع.

الآن: إذا الإنسان معه رأس مال، أنفقه انتهى، أما إذا استثمره بشركة عالية جداً، بالمئة ثمانين.

مثلاً يقول لك: أنا أصل المال محفوظ، وهذه الأرباح كلها، كذلك الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له.

كان أجدادنا يتقنون بالأعمال الصالحة، هذه العسرونية، كانت وقف، أي غلام، أو زوجة لها زوج قاس جداً، هذا الغلام له سيد قاس جداً، كُسر معه إناء، يذهب إلى وقف العسرونية، بقطعة من هذا الإناء، يعطونه إناء جديد، حتى يحلوا مشكلة؛ في آباء قساة، في أصحاب عمل قساة جداً، فهذا عمل صالح.

ناس اشتروا قطعة أرض، وزرعوها كلاً، وسمحوا للدواب المريضة: أن تعيش فيها، هذه المرجة، مرجة حشيش، أنا عندي صورة فيها حشيش، كان المرج وقف للدواب المريضة، الدواب المريضة، فكلما الإنسان اقترب من الله عز وجل، يتقن بالأعمال الصالحة، يتقن.

أخ من أخواننا عامل بطاقات شيء جميل، مونة سنة بكاملها؛ رز، وسمنة، وزيت، بطاقة يعطيها لفقيرها، الفقير يأخذ مونة السنة بكاملها، رز، على سمنة، على زيت، على

يعني: كل حاجات البيت شيء جميل .

قال لي أحد أخواننا الكرام، قال لي: أنا في العيد أدفع الفطرة على الشكل التالي وفق السنة؛ كيلين رز، علبة

سمنة، علبة بزالية، كيلين لحمة رأس العصفور، قال لي: هذه طبخة، تكفي أكبر أسرة، أربعة أيام مثلاً، هذا عمل صالح؛ طلاب العلم صدقة جارية، بناء المسجد صدقة جارية، ومستشفى صدقة جارية، مستوصف صدقة جارية.



الآن في اتجاهات رائعة جداً، الآن في مثلاً دور، تهييء الفتيات تهيئة مهنية، تعلمهم الخياطة، هذه الفئة فقيرة، يتيمة، متسولة، علمناها الخياطة، أعطيناها ماكينة، نقلناها من متسولة إلى منتجة، نقلناها من آخذة زكاة إلى دافعة زكاة، في عمل عظيم، فالمؤمن يفكر بعمل ينفع الناس من بعده، يفكر بعمل من نوع الصدقة الجارية، أو علم ينتفع به، ترك مؤلف، ترك دعوة إلى الله عز وجل ينتفع بها الناس جميعاً.

مرة قلتها لكم أعتقد: كنا بافتتاح مسجد، جاني كان مدير الأوقاف، قلت له: اشكر الله عز وجل، الذي سمح لك تفتتح مسجد، قلت له: لأقول لك السبب: أن البارحة كان في افتتاح ملهى، وفي إنسان قص الشريط تبعه، فأنت سمح الله لك أن تفتتح مسجد.

مرة جالس جاني أستاذ يحمل دكتوراه بالشرعية، قال لي: والله عملنا متعب، قلت له: أحسن ما تعلم الرقص، هناك من يعلم الرقص، والغناء، والموسيقا.

فإذا أردت أن تعرف مقامك، فانظر فيم استعملك؟.

أيها الأخوة، فنحن نريد صدقة جارية؛ ابنك صدقة جارية، بنتك صدقة جارية، عندك بنت علمتها، وهذبتها.

((من جاءه بنتان، فأحسن تربيتهما، فأنا كفيله في الجنة))

يجب أن تعرفوا: كلكم بنت واحدة، إذا ربيتها تربية صحيحة، عرفتها بربها، حملتها على طاعة الله، قرأتها القرآن، حجبها، زوجتها من شاب مؤمن، هذه ضمانة لدخول الجنة، فأنا كفيله في الجنة، قالوا: وبنت؟ قال: وبنت واحدة،

بنتك صدقة جارية, ابنك صدقة جارية.

مرة كنا بالأموي, بوفاة الشيخ أبو فهد الخطيب رحمه الله, كان خطيب الأموي توفي, فالتعزية بالأموي جالسون, قام ابنه, وألقى خطبة رائعة جداً, قال وزير الأوقاف: سأعين ابنه مكانه تكريماً للأب, حسناً: معناها الأب: ما مات, ما دام خلف ولد صالح يدعو إلى الله من بعده, معناها ما مات.

إذاً: يجب أن نفكر تفكير جاد بعمل صالح, ينفع الناس من بعدنا بعمل يُصنف عند الله مع الصدقة الجارية, صدقة جارية, علم ينتفع به, ولد صالح يدعو له.

في حديث آخر, في تفاصيل: إذا أنشأت جسر, إذا غرست غراس, شقيت نهر, فتحت طريق أحياناً, هذا كله من الصدقات الجارية, كتبت مصحف, يعني أرعن.



أحد كتاب المصحف, لم يعد ير بعيونه, كل عمره كتابة مصاحف, والله عمل عظيم, هذه الكتابة الآن تطبع مئات المرات, ألوف المرات إلى يوم القيامة, كله في صحيفته.

أحياناً: أسمع قارئ متوفي الله, هنيئاً له, هو توفي, أما صوته بالقرآن, يصدح في كل أنحاء العالم الإسلامي, وفي مغني كمان وكمان يعني: كلما أذيعت هذه الأغنية, يتلقى الثمن.

كأن درسنا اليوم: الصدقة الجارية, الصدقة الجارية, لا نريد عمل منقطع, ينتهي عند الموت, أطعمت إنسان طعاماً, شبع وانتهى الطعام, أعطيته مساعدة, انتهت المساعدة, نريد صدقة جارية, نريد نشر علم.

مثلاً: لو أن أحدكم أحب أن يعلم ابنه علم شرعي, على الحالتين العلم لا يطعم خبز, لا بد له من عمل مهني, ولا بد من العلم, فعلمه علماً, ينفعه في دنياه وآخرته, علمه علم شرعي, يعني قل: هذا الولد يا رب, نذرتك لك, ماذا قالت امرأة عمران؟:

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾

[سورة آل عمران الآية:35]

لا يوجد شخص عنده ابن، نذره لله عز وجل، طبعاً: اعتنى فيه، علمه، دخله مدارس شرعية، لصار عالم، وزوجه، وجعله يدعو إلى الله.

في أب له قصة، يجب أن تسمعوها: عنده أربعة أولاد، وعنده عمل تجاري ضخم، فقال لأحد أولاده المتقنين: يا بني، أنت كن في الأوقاف لخدمة العلماء والمساجد، ولك حصة كأخوانك من كل الأعمال التجارية، أنت مهمتك خدمة المساجد، وخدمة العلماء.

فقال لي هذا الابن: أنا موظف، أما أنا أبي أمرني أن أكون في هذا المكان لخدمة العلماء وللمساجد، مع أن حصتي من الأرباح كأختي تماماً، ماذا فعل هذا الأب؟.

أعطى ابنه ربحه، وفرزه لعمل ينفع الناس، وفعلاً اليوم كنا عنده، تجده ساهم مساهمة كبيرة بإنشاء مسجد، سهل الأمور، ما صعبها، سهلها، دلنا على الطريق لإنشاء مسجد في مكان ما فيه مسجد.

فأحياناً الإنسان: يفكر بعمل لابنه، لابنته، لزوجته، في نفع، حتى الله عز وجل يستحق أن يكافئنا يوم القيامة على هذه الأعمال.

قال: إنما الأمل رحمة من الله لأمتي، لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً، ولا غرس غارس شجراً.

والنبي علمنا: إذا الإنسان زار مريض، قال:

((نفثوا له في الأجل))

في أناس أصلحهم الله، ما عندهم حكمة أبداً، خير ما معك؟ والله معي مرض مثلاً، أو والله في اثنين ماتوا بهذا المرض، لا حول ولا قوة إلا بالله، ما عندهم حكمة أبداً، يكبر المرض عليه، يذكر له قصص ناس ماتوا.

أنا الله يلهمني، أحياناً: يكون مرض خبيث، أذكر له قصصاً، والله واقعية من أعرفهم جميعاً: أن الله عز وجل شفاهم شفاء تام، قلت له: من اثنتي عشرة سنة، لا يوجد فيه البلا، وكان معه ورم خبيث

يعني: في أمل الله يشفيني؟ طبعاً: في أمل, أنا
مهمتي بث الأمل, ما بث اليأس, والنبي علمنا:

((إذا عدتم مريضاً, نفثوا له في الأجل))

أحياناً يقول له: الله يخفف عنك, كلمة قاسية جداً,
يقولها إنسان لإنسان كسيح, أو مصاب بشلل, الله
يخفف عنك, لا, الله يشفيك, ويعافيك, إن شاء الله, إذا
الله شفاك, نطلع سيران سوى, وقريباً إن شاء الله



يطمئن, معنويات الإنسان مهمة جداً, فلولا الأمل بطل العمل, فأنت بث الأمل, يبيث الأم بأولادها, بث الأمل

.....

أحياناً: أنا أسمع أن فلانة توفي زوجها, وهي في مقتبل العمر: آثرت تربية أولادها على حظها من الرجال, ما
تزوجت, وحافظت على أولادها حفاظاً عظيماً.

مرة أحد طلابي قال لي: أنا والدتي, توفي والدي كان عمرها إحدى وعشرون سنة, وما تزوجت, هي ترعانا, قلت
له: بلغها حديث رسول الله.

((أول من يمسك بخلق الجنة أنا, فإذا امرأة تنازعتني, تريد أن تدخل الجنة قبلي, قلت: من هذه يا جبريل؟ -
شو هذا؟- قال: هي امرأة مات زوجها, وترك لها أولاداً, فأبث الزواج من أجلهم))

يعني: كل شيء عند الله محفوظ, آثرت أن تربي أولادها على حظها من الرجال, قال: هذه تدخل الجنة قبل رسول
الله, هكذا الحديث.

((فإذا امرأة تريد أن تدخل الجنة قبلي, قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها))

فالمؤمن مهمته: يدل الناس على عمل صالح ينفع الناس من بعده.

نحن بدنا عمل من نوع الصدقة الجارية, فابحث عن عمل, اعمل مشروع, تعاونوا على إنشاء بيوت لها الشباب.

مرة أذكر قصة: إنسان يبيع ألبسة جاهزة, قال لي: أنا ساكن ببيت أجرة, صدر مني وعد لصاحبه, يعني حينما تريد أخليه لها, قال لي: في أزمة السكن, طلبت مني البيت, قلت: حباً وكرامة, تعال مساء, جاء مساء, وجد في محام, كتبوا تنازل, وصيغة معينة, قال لي: بعد ما وقعت التنازل, قال لي: والله قال لي بالحرف الواحد: أنت مثل الدابة, وقعت التنازل بالطريق صفت, قال له: حسبي الله ونعم الوكيل, أنا صدر مني وعد أن أسلمها البيت متى شئت, وها أنا ذا أنفذ وعد الله, هو يدبرني, قصة طويلة, يعني ملخصها:

خلال أقل من شهرين, الله يسر له بيت بمركز عمله, الطابق السابع, أربع جهات مفتوحة, يعني وتيسر المبلغ, لكن بأسلوب غريب جداً, قال لي: عملت رخصة, قال لي: بعت بيع غير معقول, جاءني واحد من اليمن, اشترى بضاعة, السوق دفع حقها نقدي بأعلى سعر, خلال أشهر صار معي حق بيت, اشترى البيت, قال لي: ما سر التوفيق بهذا البيت؟ قال لي: السر: أن صاحبة البيت عندها بنت عانس, فجاءها خاطب, لا يوجد عنده بيت, فقالت لأمها: أسألي فلان, يخرج من البيت حتى أتزوج فيه أنا, فلما طلبت منه, قال له: أنا حاضر, ووعدتك أخرج منه, ونفذ وعده, فهذه البنت راحت عمرة من دمشق, إلى مكة, إلى المدينة, إلى دمشق, تقول: اللهم هبني لفلان أحسن من بيتنا, لأنه حل لي مشكلة.

فلما الإنسان يحل مشاكل الناس, الله يوفقه, لا يوجد إنسان يتشبث ببيت ليس له, ويتهنى فيه, لا يوجد إنسان سلمه لأصحابه.

عندي كان أخ في الجامع, عمله بدمشق بمنصب رفيع جداً بالجيش, هو لواء, وأخذ منصب رفيع, وتقاعد, فطرق باب أصحاب بيته, بيته بالمزة فخم جداً, ساكنه خمس وعشرون سنة, بعد ما طبعاً نظفه, قال له: هذا المفتاح, جزاكم الله خيراً, سيصعقوا, ما صدقوا هذا المفتاح, هذا البيت, لا أريد شيئاً, هذا بيتكم, فضلتكم علي, إنسان حقاني, مستقيم, يعطي الناس حقوقهم, يؤدي ما عليه, هذا سيعامل معاملة خاصة.

أيها الأخوة, في آية قرآنية, والله لو أتلوها آلاف المرات, لا أرتوي منها:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الجاثية الآية: 21]

يعني: يا عبادي, تصوروا: يعني معقول: أن واحداً مسيء, واحداً محسن, عامله كمسيء, المحسن محسن.

تقسيمات البشر :

قلت لشخص اليوم, قلت له: في تقسيمات للبشر لا تعد ولا تحصى.

الآن يقولون: شرق وغرب, غرب حضاري, وشرق متخلف, في تقسيم ثان: شمال وجنوب, دول الشمال غنية جداً.

مرة صار مؤتمر, دول الشمال, دول الجنوب فقيرة جداً, أفريقيا, وجنوب آسيا, والبرازيل, كله فقير, في شرق, وفي غرب, في شمال, وفي جنوب, في أبيض, وفي ملون, وفي أصفر, وفي ملل, ومخل, وأجناس, وقبائل, وطوائف, وأعراق, وشعوب, وأمم, كل هذه التقسيمات لا يعترف الله بها.

((كلكم من آدم, وآدم من تراب))



((الناس رجلان - صدقوني أيها الأخوة لا ثالث لهما؛ مؤمن كافر موصول بالله, منقطع عن الله, منضبط بالشرع, متقلت عن الشرع, محسن مسيء, مستقيم منحرف, صادق كاذب, مقبل معرض, يقوده الهوى يقوده الحق, أبدأ-.

الناس رجلان؛ برّ تقي كريم على الله عز وجل, وفاجر شقي هين على الله عز وجل))

[أخرجه الترمذي في سننه]

والدليل: في دليل قرآني: في خطين: أنت على أحدهما قطعاً, في خطين لا ثالث لهما, تصور طريقتين بينهما, بينهما ماء, وعلى يمين الأول ماء, وعلى يسار الثاني ماء, أنت على أحد الطريقتين, قال:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

أنت مع الحق وإلا مع الباطل, أنت مع العقل وإلا مع الهوى, أنت مع الاتصال بالله وإلا مع الانقطاع, أنت مع الإحسان أو مع الإساءة, أنت مع الحق أو مع الباطل, لا ثالث لهما:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الخاتمة :

أيها الأخوة, يعني محور هذا الدرس: هناك أعمال صالحة كثيرة, إلا أن هناك أعمال ذات مردود كبير.

مرة ماشي بطريق الصالحية, عند البوابة وجدت محل
ضخم, كاتب لوحة أعجبتني, قال: نريد مصلحة أريح
وأريح, نريد مصلحة أريح وأريح, معنى: فكره تجاري.

نحن الآن محور درسنا اليوم: نريد عملاً صالحاً,
أريح, أدوم, نريد صدقة جارية, علم ينتفع به ولد
صالح, يدعو لنا.

في شخص لا يوجد عنده أولاد؟ ابن, أو بنت, الابن,
أو البنت, صدقتان جاريتان, لا ينتهي أثرهما, ولا



عندما تدل ابنك على الله فقد قدمت صدقة جارية

بالموت.

والله أحياناً: أقعد مع ابن, يظل يحكي على أبيه, كيف علمهم الصلاة, وكيف علمهم الأمانة, والصدقة,
والاستقامة, والعفة, وكيف رباهم؟.

والله أشعر أن هذا الأب كان ذكياً جداً, أنه عمل عملاً, استمر من بعده ابنه استمرار, وما قولك: أن ابنك إذا
دلته على الله, وزوجته من فتاة مؤمنة, أنجب ذرية طيبة:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ

رِهِينُ

[سورة الطور الآية: 21]

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

[سورة الطور الآية: 21]

ألحقنا بهم أعمال ذرياتهم, كل أعمال أولادك في صحيفتك, هذه صدقة جارية, فمن الآن علينا أن نربي أولادنا. يعني: لما الإنسان يأتي هكذا بشغلة جديدة, يقول لك: حضارية, صحن مئة وثمانين محطة, وابنه ترك الدين كلياً, كل يوم الساعة الخامسة بقنوات المجاري, من قناة لقناة, وفسد فساد كلي, وبحث عن الزنا من وراء الصحن, الذي أنت اعتبرته حضاري, أنت خسرت ابنك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-27} : اللغو

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 26-10-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مدخل للتعريف بموضوعنا اليوم :

أيها الأخوة, في سورة المؤمنين الآية الأولى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

موضوع هذا اللقاء : حول اللغو الذي حرّمه القرآن, ووصف به المؤمنين: بأنهم معرضون عنه.

وللنبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاثون حديثاً شريفاً في كتب الصحاح التسعة, تتحدث عن اللغو, وقد يقول أحدكم: ما قيمة هذا الموضوع؟.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى, يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

((قالوا: يا رسول الله, أو نؤاخذ بما نقول؟ قال: ويحك يا معاذ, وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا

حصائد ألسنتهم؟))

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

وكلامنا جزء من أعمالنا، أعمالك أنواع، أحد أكبر أنواعها: كلامك، كلام عمل.

ما سبب تشتت أسر كثيرة في المجتمع الإسلامي؟ :

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال:

((لا تهاجروا، ولا تدابروا، ولا تحسسوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله أخوانا))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما، ومالك في الموطأ]

لا تهاجروا: لا تتكلموا هجراً، يعني: كلاماً قبيحاً، يؤدي إلى الهجران بينكم.

أسر كثيرة تقاطعت سنوات طويلة، من أجل كلمة قاسية، أسر تهدمت وشرذم الأولاد، بسبب كلمة قاسية قالها الزوج، شراكات فصمت بسبب كلمة مستعلية قالها الشريك، فضبط اللسان جزء من الإيمان:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

من صفات المؤمنين :

القرآن الكريم قال:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

كلام لا معنى له، كلام لا جدوى له، كلام لا مؤدّى له، كلام لا فائدة منه.

ما المستثنى من النجوى في هذه الآية؟ :

قال تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

((أمرني ربي بتسع؛ خشية الله في السر والعلانية، كلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عن من ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة))

هل يتناقض اللغو مع الإيمان كما أشارت إليه الآية الكريمة؟ :

حينما تأتي آية قرآنية تقول:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

معنى ذلك: هذا يتناقض مع الإيمان.

الآن: اجلس في سهرة، في دعوة، في غداء، في نزهة، في لقاء، في معاينة، في عيادة مريض، دقق فيما يقال: أربعة أخماس كلام الناس لغو باطل، هذا إن لم يكن إثماً؛ الغيبة إثم، غيبة، نميمة، بهتان، فحش، موضوع ثان،

أما كلام لا معنى له, كلام لا جدوى منه, كلام تحصيل حاصل.

شرح مفردات الحديث الشريف:

((لا تهجروا.....))

لا تهاجروا: لا تقولوا كلاماً هجراً, يؤدي بكم إلى الهجران, إلى أن يهدر بعضكم بعض.

ولا تدابروا: لا تقاطعوا.

ولا تحسسوا: التحسس, قال بعض علماء اللغة: تتبع الأخبار, مطلق الأخبار.

بعضهم قال: تتبع الأخبار الطيبة.

تزوج فلان, كم النقد؟ كم المهر؟ حسناً: ليس لك علاقة, تلتقي مع إنسان, أين عملك؟ والله مهندس ب
كم راتبك في الشهر؟ سؤال بلا جدوى, هذه خصوصيات الإنسان.

تراه في الطريق, إلى أين تذهب؟ أراك في حيننا, خير إن شاء الله؟ لا تحرجه, قد يكون أتى من أجل أن يدفع صدقة لإنسان, ماذا يقول لك؟ تجعله يكذب, نوى يدفع صدقة لإنسان في حيك, لا يريد أن يحكي لمن الصدقة, إلى أين تذهب؟ كم راتبك؟ كم المهر؟ هذا المحل بكم أخذته مثلاً؟ يعمل تصريح للمالية أقل مما حدث, الآن تحرجه, كذب مرة, اتركه كذب واحدة كذبتين, لكن تجعلهم كذبتين.

لا تحسسوا: لا تتبع الأخبار طيبة كانت أو سيئة.

بعضهم قال: لا تجسسوا: التجسس: تتبع الأخبار السيئة, أما التحسس: تتبع الأخبار مطلقاً, أو تتبع الأخبار الطيبة.

يعني:

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

[أخرجه الترمذي في سننه, ومالك في الموطأ]

((لا تهاجروا, ولا تدابروا, ولا تحسسوا, ولا يبيع بعضكم على بيع بعض))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]

وما من عادة أسوأ عند التاجر, رآه اشترى حاجة, بكم اشتريتها؟ من باعك إياها؟ أرجعها له وتعال خذ أرخص منها.

النبي يقول:

((ليس منا من خيب امرأة على زوجها, أو عبداً على سيده))

[أخرجه أبو داود في سننه]

ويقال عليها: أو شارياً على بائعه -نعم-.

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا تهاجروا, ولا تدابروا, ولا تحسسوا, ولا يبيع بعضكم على بيع بعض, وكونوا عباد الله أخواناً))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]

هذا ما رأى النبي الكريم في السوق, وهذا ما نصح به أصحابه :

وقال أحد أصحاب رسول الله:

((أتانا النبي -ﷺ- ونحن في السوق, فقال: إن هذه السوق يخالطها اللغو والكذب.

-أنا أقول: هناك بيع راق, هذه البضاعة, هذا ثمنها, والسعر مدروس, يحلف له بالأمانة, يحلف له بشرفه وبدينه, أن ليست فيها ربح وفيها خسارة, وإذا كان اشتريتها لا تتعوض, سيمنعون إستيرادها, كله كذب, أخي الظهر أن:

صليت؟.

هذا الكذب, الذي تكذبه أثناء البيع والشراء, لم يعد يتناسب مع الصلاة أساساً, ستصلي إجباري, لكن الصلاة تحتاج إلى استقامة قلبها.

في بيع -بالتعبير العامي- مجأجأ, بيع مجأجأ, كله حلفان أيمان, وكله مبالغة, وهذه فاتورتها, وهذه رأس مالها, واسأل جارنا, والله وكيلك, ولسنا نغشك الله هو الرزاق, ابق بأعلى مكانة, هذه سعرها بهذا الثمن, إن ناسبتك أنا بخدمتك, والسعر مدروس, يعني: لا يوجد جزف, والمؤمن سعره مدروس, لا يلقي الأسعار جزافاً, يمتحنه.

فقال عليه الصلاة والسلام:-:

فشوبوها بالصدقة, لعل الصدقة تكفر عنكم ما بدر عن غير قصد))

ما معنى هذا الحديث؟ :

من أخطاء, هو النبي قال:

((الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم ترتكب الكبائر))

يعني: خطأ, في خطأ بالكلام, في استغفار, لعل الله سبحانه تعالى يغفر, معناها الصدقة مكفرة؛ الصدقة مكفرة, والتوبة مكفرة, في ثلاثة أنهر بالدنيا: نهر التوبة, ونهر الصدقات, ونهر الحسنات, فإن لم يطهر الإنسان بأحد هذه الأنهر, لا بد من أن يتطهر بنهر البرزخ, فإن لم يتطهر هناك, لا بد من أن يتطهر في نهر جهنم, أبدأً, فلذلك: إذا الإنسان الله عز وجل أكرمه, وأماته على الإيمان, وعالجه بالدنيا, لأن الحديث القدسي:

((وعزتي وجلالي, لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه, إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها؛ سقماً في جسده, أو إقتاراً في رزقه, أو مصيبة في ماله أو ولده, حتى أبلغ منه مثل الذر, فإذا بقي عليه شيء, شددت عليه سكرات الموت, حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

يعني: إذا الله عز وجل أكرمنا, وطهرنا في الدنيا, ولقينا ربنا ونحن طاهرون, هذه نعمة كبرى.

أثناء احتراق خان الجمرك, أحد التجار الصالحين احترق محله, هو كان آخر محل احترق, وقفت معه, قال لي: والله, لو شخص خبرني مكالمة قبل ساعتين, لأعطيه مئة ألف, هذه بالأربع وسبعين, بالسبع وسبعين, أعطيه مئة ألف, أو مليون, رحلوا بخمسة ملايين, ثم قال: لعل الله سبحانه وتعالى في هذه الأعوام الثلاثين, ارتكبت أخطاء؛ صار في كذب, صار في بيع غير شرعي, فالله كفر عني, جعل هذا الحريق كفارة لما مضى.

أعجبني هذا الموقف؛ لعل الله جعل هذا الحريق, وهذه الخسارة كفارة لما مضى من أعوام طويلة, بعته واشترت, لعل في البيع خطأ, في مثلاً غبن, في تدليس أحياناً, في كذب, مع أن المؤمن لا يكذب.

ابن حميد قال:

((قلت: يا رسول الله, علمني دعاء, قال: قل اللهم أعوذ بك من شر سمعي, ومن شر بصري, ومن شر لساني, ومن شر قلبي, ومن شر مني))

يعني: إنسان أحياناً: يأتي ولد عاق, ولد سيء, ولد منحرف.

فأعوذ بك من شر سمعي: ألا أسمع الغيبة, ألا أسمع الغناء, ألا أسمع ما يغضب الله, ألا أسمع ما حرمه الله.

إنسان جالس بمجلس في غيبة, جلوسك في هذا المجلس, ومجاملتك للمتكلمين هذه معصية, ينبغي أن تقول: اسكت يا أخي.

كان أحد الكبار العلماء, الشيخ بدر الدين الحسني, إذا إنسان تكلم أمامه كلمة: اسكت يا با, اسكت, انتهى الأمر. فالمؤمن يأخذ موقف.

من شر سمعي: إذا الإنسان سمع غناء, هذا لغو الحديث, أو سمع غيبة, أو نميمة, أو فحش, أو مزاح رخيص, هذا كله من شر سمعي.

ومن شر بصري: أن أتتبع ببصري عورات المسلمين؛ في نساء متقلبات, الإنسان ينبغي أن يغض بصره عن

محارم الله، فإذا نظر إلى عورة، أو نظر إلى ما ينبغي أن ينظر إليه، هذا من المعاصي، هذا من شر بصري.

ومن شر لساني: ألا أتكلم إلا بما يرضي الله، إلا بذكر الله.

ومن شر قلبي: ألا أحدث قلبي بما يغضب الله، لذلك: الإمام الغزالي قال:

هناك غيبة القلب؛ تراه بعينك، تتهمه بقلبك.

هذا ما سئل به الإمام مالك :

قال: امرأة تغسل مية، -مغسلة يبدو أنها اتهمت بالزنا بقلبها-، فالتصقت يدها بجلدها ولا تنفك، -لا يوجد طريقة، ساعة، ساعتان، ثلاثة، وضع حرج، ماذا نفعل؛ أنقطع يد المغسلة، أم نقطع شيئاً من لحم المية؟-.

الإمام مالك سئل، قال: أغلب الظن: أن هذه المغسلة اغتابت هذه المية، واتهمت بالزنا، فاجلدوها ثمانين جلدة، مع الجلدة الثمانين فكت يدها.

غيبة القلب، أخواننا الكرام:

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

قضايا العرض، والنساء، والزنا، إذا لم يوجد دليل قطعي، قطعي مئة بالمئة، إياك أن تحدث الناس بهذا الكلام.

أحياناً: تقع جرائم

ما الخطأ الذي وقع به هذا الزوج؟ وماذا علمنا القرآن الكريم في ذلك؟ :

مرة سمعت قصة: الإنسان إذا وصف امرأته للآخرين، كان قليل المروءة، وبعضهم قال: كان ديوثاً، والديوث لا يروح رائحة الجنة.

شخص وصف امرأته لإنسان، يتباهى بها، هذا الوصف انتقل، شخص أحب أن يغيظ الزوج، قال له: أنا كنت مع زوجتك، والعلامة كذا قتلها، كلمة، والحق على الزوج.

يعني: لما الشرع أعطاك توجيهات, في أشخاص تجده في الجلسة؛ يمدح طبخ زوجته, ونظافة زوجته, وأناقة زوجته, وزوجته زوجة ناجحة, وبيتها مرتب, وأولادها إلى الآن لا يوجد حرج, لكن لا تتكلم عن شكلها, والأولى: ألا تذكر شيئاً عن زوجتك, القرآن ماذا قال؟:

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾

[سورة القصص الآية:29]

كنت مع لميس, من لميس؟ لميس زوجتي, ماذا يعني لميس؟ كنت مع أهلي, هكذا علمنا الله: كنت مع أهلي:

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾

[سورة القصص الآية:29]

الأهل موجودين, الأهل معي, الأهل كلمة لطيفة, مؤدبة, أما المدام, أيضاً في مدام, في كلمة بين المؤمنين, يقول لك: أم المؤمنين رضيانة -مثلاً-, وزارة الداخلية رضيانة, هذه كلمات يُتَدَرَّ بها, أما أكمل كلمة:

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾

[سورة القصص الآية:29]

من الأدعية التي ينبغي أن يقولها المؤمن عند اللقاء الزوجي :

((اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي, ومن شر بصري, ومن شر لساني, ومن شر قلبي, ومن شر مني))

لذلك: النبي علمنا: إذا الإنسان قارب أهله, أن يدعو دعاء شريفاً خاصاً باللقاء:

((فارزقني ذرية صالحة تنفع الناس من بعدي))

((جنبي الشيطان وجنب ذريتي))

في أدعية خاصة باللقاء الزوجي، المؤمن مع الله دائماً، حتى ولو ما كان مع زوجته، مع الله.

بماذا سئل النبي عليه الصلاة والسلام، وبماذا أجاب؟ :

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

((سئل النبي ﷺ - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق.

-دققوا في الحديث:

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه))

أحياناً الإنسان: دينه قوي؛ يعني صلواته، صيامه، زكاته، حجه، غض بصره، أما أخلاقه شريفة، دينه وخلقه، ذهب بالخير كله، الإيمان حسن الخلق.

يعني: إنسان عنده زوجة في الثاني والثلاثين سنة، له منها تسعة أولاد، حلف عليها يمين طلاق، أفتي له أنه يمكن أن يكون هذا الطلاق الثاني، ولك زوجة ثانية، لكن يريد أن يهنئها، ألا يفرحها بكلمة. في إنسان بلا علم والله كالذباب، والله إنسان من دون علم شرعي كالدابة المتقلبة؛ قسوة، فظاظة، عدم إنصاف، عدم رحمة، ظلم، جور، أنانية، هذا الإنسان من دون دين:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾

[سورة الماعون الآية:1]

﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون الآية:2]

المؤمن في قلبه رحمة.

ما ذكرته لهذا الإنسان اليوم :

ذكرت لإنسان اليوم: لو فرضنا في ظالم ومظلوم, أيهما أفضل؟ كن عبد الله المظلوم أفضل, إذا كان لا بد من أحدهما.

إنسان يضع رأسه على الوسادة, وباني مجده على أنقاض الآخرين, باني حياته على موتهم, باني غناه على إفقارهم, باني أمنه على خوفهم, إذا في عنده ضمير حي, لا ينام الليل أبداً.

ما كتب على أحد الأسرة في فندق في ألمانيا :

أحد أصدقائي ذهب إلى ألمانيا, نزل في فندق, قال لي: كتب على السرير: إن لم تتم هذا الليل, فالذنب من ذنوبك لا من فروشنا وسيرة, ولكن دقق في ذنوبك.

إذا الإنسان ليس عنده حزم أو

الآن: في أعمال والعياذ بالله, مبنية على إيذاء الناس.

((اثنان لا تقربهما: الإشراف بالله, الإضرار بالناس))

فإنسان يؤذي, ويرتاح

ماذا تستنتج من هذه القصة؟ :

قلت لكم من مدة: شاب هكذا ناشيء, عمل شغل لألبسة أول حياته, واشترى خفة قماش من تاجر, وفضلها, وأخذ محل بسوق الصوف, القرد لا يصل إليها, جاؤوا إلى عنده الجمارك, من أين أتيت بها؟ من عند فلان, فلان وعده فاتورة, ما أعطاه, البضاعة غير نظامية, -القصة من حوالي اثنتي عشرة سنة أكثر, خمس عشرة سنة-, دفعه وقتها أربعين, خمسين ألف, رأس ماله كله, صار معه صرع إلى الآن, بعد ذلك اكتشف: الذي باعه القماش خبر عنه, أخذ ثلث المصالحة, هذه كيف ينام الليل؟.

((اثنان لا تقربهما: الإشراف بالله والإضرار بالناس))

((قال: وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: الأجوفان؛ الفم والفرج))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدرکه]

شهوة الطعام وشهوة الفرج، والآن: قد تكسد الأعمال كلها إلا الطعام، والشيء الثاني: أسواق حامية ورائجة؛ الطعام شغال، يوجد ثلاثون ملهى، الملاهي تعمل، أرباحهم طائلة؛ في رقص، وفي غناء، وفي شهوة البطن والفرج، لا تقف.

ما الذي يدخل الناس النار؟ الأجوفان: الفم والفرج.

يعني: إذا أكل مالا حراماً، أكل طعاماً من مال حرام، أو مارس شهوة من طريق غير مشروع، ضبط الفم، وضبط الفرج، هذا جزء كبير في الاستقامة.

على ماذا فطرت هاتان المرأتان؟

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((حَدَّثَ عَنْ أَنْ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا، وَأَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَا هُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، أَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ، لَمْ يَبَالَ أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ وَأَرَاهُ قَالَ: بِالْهَاجِرَةِ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَهُمَا وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، قَالَ: ادْعُهُمَا، قَالَ: فَجَاءَتَا، قَالَ: فَجِيءَ بِقَدْحٍ أَوْ عَسِيٍّ، فَقَالَ لِأِحْدَاهُمَا: قِيئِي قِيئِي، فَقَاءَتِ قِيحًا أَوْ دَمًا، وَصَدِيدًا وَلَحْمًا، حَتَّى قَاءَتِ نِصْفَ الْقَدْحِ، فَقَالَ لِلْآخَرَى: قِيئِي فَقَاءَتِ، مِنْ قِيحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيطٍ، حَتَّى مَلَأَتِ الْقَدْحَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ، وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ))

غيبية ونميمة، والمرأتان صائماتان.

أخواننا الكرام، في أحاديث: أتمنى أن تحفظوها.

قيل:

((يا رسول الله، إن فلانة تذكر أنها تكثر من صلاتها وصيامها وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها،
قال: هي في النار))

هذا الكلام القاسي، الغيبة، تجلس مع امرأة، تثني عليها، ما شاء الله حولك؛ تثني على نكائها، وعلى حديثها
حينما يغلق الباب، اسمع الكلام الثاني، كلام آخر، كله غيبة.

ما الذي ينبغي على المسلم أن يضبط لسانه فيه؟ وبماذا وصف الله المؤمنين؟ :

فيا أيها الأخوة، ضبط اللسان مهم جداً:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

ضبط اللسان من الغيبة، من النميمة، من البهتان، من الإفك، من السخرية، من الازدراء، من الفحش، من الكذب،
كل معصية يرتكبها اللسان، هذه معصية تعد من الأعمال لا من الأقوال، لأنه:

((من عد كلامه جزءاً من عمله، استقامت سيرته))

ولا تنسوا أن الآية الكريمة:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

((ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

تجد المنحرف حشري, يدس أنفه في كل موضوع, يسأل عن كل خبر, يدخل في كل قضية, ينقل خبر من إنسان لإنسان.

لماذا لا يدخل النمام الجنة؟ :

أيها الأخوة, قد لا ننتبه, أن النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما قال:

((لا يدخل الجنة نمام))

النمام مرتكب أكبر الكبائر, تجد في مودة بين شخصين, نقل للثاني, ما قال الأول عنه, انقطعت هذه المودة, النمام يفتت المجتمع الإسلامي, وإذا لاحظت بين أسر؛ خلافات, وأحقاد, وتقاطع, وتدابير, وأحياناً دعاوى, وأحياناً طلاقات, كل أسبابها نقل الكلام.

فعودوا أنفسنا وبصراحة: أن امرأة تنضب, والابن ينضب, والبنات تنضب, والأب غير منضب!!:

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

إذا الأب جلس في بيته, مجلسه مجلس أمانة, لا يوجد غيبة, تجد الجو العام صار في انضباط, بعد حين بغيبته في انضباط أول, أو بحضوره في انضباط, بعد حين بغيبته.

فشيء جميل جداً أنه: شهد الله, المؤمن عنده إمكان يتحدث عشرين ساعة بأمور الدين عن الله عز وجل, تجد الناس كلها مرتاحين, مسرورين, مستبشرين, دخل الدنيا بالموضوع, فلان حكى عليك, فلان استصغر عقلك ينقل

له، فلان بيتك لم يعجبه، كيف تسكن فيه، فلان لبسك لم يعجبه، ما هذا الطعام هذا الذي قدمتموه؛ هذا يليق بالضيف الفلاني؟ هذا كلام الناس؛ يتحدثون عن ولائهم، وعن ثيابهم، وعن سياراتهم، وعن بيوتهم، وعن أثاث بيوتهم.

ما مراد هذا الكلام؟ :

فأنا مرة اضطررت هكذا، أخذ حاجة من شخص من بيته، فزرته في بيته، أول ما دخلت، قال لي: هذا البيت أستاذ أربعمئة متر، قلت له: بارك الله لك، بعد ما انتهى قال لي: هذا بلاطه كله إيطالي، أنت بطيران الشحن، قلت له: بارك الله لك، قال لي: هذا الطقم إيطالي جنباه، هذه التريا تشيكية، هذا السجاد إيراني، خير إن شاء الله، ما فيه إلا يتكلم، أنا لست بهذا الموضوع، أطال الحديث في ذلك، أحببت أن أعرفه، قلت له: ما قولك ببيت مثلاً، غرفة خمسون متر، منافعهم تحت الأرض شمالي، بدون دهان، الماء السوداء مكشوفة، ألا يوجد فرق بين بيتك وبين هذه الغرفة؟ الموازنة كبيرة جداً، الموازنة.

حسناً: معلم بقرية وأستاذ جامعة، بائع متجول ورئيس غرفة تجارة، في فرق كبير جداً، جندي بيلوكوس بالشتاء نصفه ماء، ورئيس أركان يجلس في غرفة مدفأة، ممرض مستشفى وجراح قلب؛ أخذت له بالطب ممرض وجراح قلب، جندي ورئيس أركان، معلم ابتدائي وأستاذ جامعة، بائع متجول، لم يفهم ماذا أتكلم، ثم قلت له:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

انتبه ما سأقول: مراتب الدنيا مراتب موقته، لا تعني شيئاً، الله أعطى الملك لمن لا يحب، وأعطاه لمن يحب، ليس مقياساً، أعطى المال لمن لا يحب: لقارون، وأعطاه لمن يحب: سيدنا ابن عوف.

إذاً: المال ليس مقياساً، أما العلم والحكمة لمن أعطاهما؟ لمن يحب:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

[سورة يوسف الآية: 22]

قلت له: مراتب الدنيا مراتب موقته، ولا تعني شيئاً، وقد تعني العكس، إن الله لا يحبه، لكن مراتب الآخرة مراتب أبدية، وتعني كل شيء، تعني أن الذي في المرتبة عالية، هو عند الله في مكان كبير:

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر الآية:55]

انتبه إلى هذه الآية :

هذه الآية دقيقة أخواننا:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:21]

تجد معلم بقرية، على مئة وثمانين ليرة قديماً، يركب من باص، لباص، لباص، ومشى، بعد ذلك: يجلس جمعة مع الطلاب؛ هو المستخدم، وهو المعلم، وهو المدير، تجد أستاذ جامعة، خمس ساعات نصابه، له مكتب فخم، له مؤلفات، له مكانة كبيرة، له دخل غير محدود، أو ممرض وجراح قلب، يقول لك: تكلفة العملية أربعمئة وخمسون ألف، أو بائع متجول وأكبر مستورد مثلاً، أو مجند ورئيس أركان، أو بيت بأطراف المدينة، غرفة شمالية تحت الأرض، وبيت أربعمئة متر، له إطلالة على دمشق بأكملها، في فرق:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء الآية:21]

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-28} : الإسراف

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-11-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

علام تشير هاتان الآيتان؟ وما الفرق بين الإسراف والتبذير؟ :

أيها الأخوة الكرام، موضوع دقيق جداً، وردت فيه آية قرآنية وأحاديث شريفة؛ أما الآية: فهي قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف الآية:31]

الآية الثانية:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:27]

فالذي هو أخ للشيطان، والشيطان كافر فهو كافر، الفرق بين الإسراف والتبذير: أن الإسراف في المباحات، بينما التبذير في المعاصي والموبقات، أما النبي -عليه الصلاة والسلام- فله أحاديث كثيرة في الصحاح، متعلقة بالإسراف.

وقفه متأنية :

أيها الأخوة، لا بد من وقفة متأنية، سأضرب لكم مثلاً دقيقاً:

لو أن أباً جاء لأولاده بكيس كبير من البرتقال، فيه كيلو، ووضعه في إحدى الغرف؛ هذا أكل خمسة، أكل سبعة، ستة، هذا لم يأكل، العدد الكبير ضيع التصرف الصحيح، أما لو أن أباً عنده خمسة أولاد، وجاء مثلاً بعشر

برتقالات, فالذي أكل ثلاث برتقالات, حرم أخاه من برتقالة, والذي أكل أربعة, حرم أخاه من كل شيء, فالعدد المدروس, ممكن يكشف نوايا وسلوك الإنسان, فنحن في دار ابتلاء, لحكمة بالغة أنه:
ما أتخم بطن غني إلا بجوع فقير, ولا أترفت أمة إلا على حساب أمة.

لأننا نحن في دار ابتلاء, وما دمنا في دار ابتلاء, فلا بد من أن تظهر نتائج أعمالنا, لأن ربنا عز وجل قال:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾

[سورة الروم الآية:41]

فالفساد إن لم تكن نتائج في الدنيا, لا تنقي الفساد, النتائج التي ترافق الفساد في الدنيا, هذه النتائج: تجعلنا نبتعد عن الفساد, فلذلك: الإسراف معصية كبيرة, إنك إن أسرفت, معنى ذلك: أنك تحرم إنساناً من حاجاته الأساسية, الإسراف يكشف سوء طوية الإنسان, لذلك: قال الله عز وجل في كتابه العزيز:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف الآية:31]

لا تسرفوا: متعلقة لا بالطعام والشراب, بل هي متعلقة بكل شيء.

هذا اقتصاد المسلم :

عن عبد الله, أن النبي -ﷺ- قال:

((السمت الحسن, والتؤدة, والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة))

[أخرجه الترمذي في سننه]

((السمت الحسن -الهدوء- والتؤدة, والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: من أروع ما في حياة المسلم الاقتصاد؛ يأكل أكل معتدل, يلبس لبس معتدل, يستهلك المواد استهلاك

معتدل, إنه إن استهلك الأمور استهلاكاً معتدلاً, أتاح لغيره أن يأكل, أتاح لغيره أن يشرب.

ماذا تستنتج من هذا المثل؟ :

أيها الأخوة, مثل أضعه بين أيديكم: إذا كان عرس إنسان كلف ستين مليون, وإذا كان ممكن يزوج شاب بخمسة ألف بكل بساطة, فمعنى ذلك: أن هذا العرس كان من الممكن أن يزوج مئة وعشرين شاب, ومئة وعشرين شابة, يعني أسسنا مئة وعشرين أسرة إسلامية بعرس واحد:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف الآية:31]

إذاً: موضوع الإسراف مباح, إذا كان محرم تبذير.

ما مضمون هذه الدراسة؟ :

المدخن, قالوا: إذا كان فقيراً فهو سفيه, وإن كان غنياً فهو مبذر.

إذا فقير - عند الفقهاء سفيه-, وإذا كان غني مبذر.

البارحة وقعت تحت يدي دراسة موضوعية حول الدخان, الدراسة غربية, الدراسة لم تتناول المدخنين, مع أن ثمانين بالمئة من مرض القلب من المدخنين, ثمانين بالمئة من مرض القلب من المدخنين, الدراسة تتناول غير المدخنين, أول حقيقة في هذه الدراسة: أن غير المدخن يتأثر بدخان المدخن, أكثر مما يتأثر منه المدخن نفسه, لأن حساسيته أدق من حساسية المدخن.

ثانياً: أية امرأة غير مدخنة, إذا عاشت مع زوج مدخن, والدخان أمامها ثلاث ساعات, هذا الدخان النيكوتين, ينتقل إلى الجنين, ومعنى انتقاله إلى جنينها: أن هناك آفات في الدماغ, وآفات في الأوعية, وآفات في الذكاء, والأغرب من ذلك: أن هذه الأضرار لا تنتقل إلى السلالة الثانية والثالثة.

فتصور إنسان يدخن أمام زوجته ثلاث ساعات في اليوم, معنى ذلك: أن الزوجة غير المدخنة, سوف تتأثر تأثراً

بالغاً، وسوف ينتقل هذا الأثر إلى جنينها، وسوف ينتقل هذا الأثر إلى السلالة الثانية والثالثة من هذا الجنين.

دراسة نشرت في اليوم الثالث عشر من الشهر العاشر في إحدى الصحف الدمشقية، فلذلك: إذا الفقير مدخن اسمه سفية، وإذا غني اسمه مبذر:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾

[سورة الإسراء الآية: 27]

ما شرح هذا الحديث؟ :

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((السمت الحسن -يعني: هيئة مقبولة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أصلحوا رجالكم، وحسنوا لباسكم، حتى تكونوا شامة بين الناس))

المؤمن سفير الإسلام، كل سفير دولة يعتني بهندامه، يعتني بشعره، يعتني بمظهره، يعتني برائحة جلده، يكثر الاغتسال حتى يبدو في صورة بهية، المسلم الحقيقي سفير الإسلام، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتئين من قبلك-.

والتؤدة -الهدوء.

((لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه))

الرفق، التؤدة:

((لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه))

أي عابه؛ فالسمت الحسن: المظهر المقبول، والتؤدة: الاعتدال، والتوازن: عدم التسرع، الهدوء.

قال:-

((والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: الأنبياء جميعاً سمتهم حسن، هادئون، مقتصدون.

ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام :

يُروى: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- توضأ من قعب، -قعب يعني إناء-، فضلت فضلة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ردوها في الماء , ردوها في النهر , ينفع الله بها قوماً آخرين))

ممكن تتوضأ من إناء، ويبقى بالإناء بقدر كأس ماء، تعود إلى النهر فتردها، لأن الله ينفع بها قوماً آخرين، هكذا كان عليه الصلاة والسلام؛ السمت الحسن، التؤدة، الاقتصاد في المعيشة.

يعني: أنا ألمح أناساً كثيرين، من أجل أن يستخدم، أن يكتب رقم هاتف، يأخذ ورقة بهذا الحجم، يكتب رقم هاتف عليها، ثم يرميها بالمهمات، هذه ورقة، أحياناً ثمنها نصف ورقة ثمنها، أو ليرة، هذا الشيء ثمين، استهلاك المواد بشكل غير مُرشد، هذا ليس من الدين.

فالمؤمن

هل يوجد في هذا الحديث لغز؟ ما مراده؟ :

يروى: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- جاءه سائل، فدلّه على أحد أصحابه، هذا السائل ذهب إلى هناك، رأى هذا الصحابي الجليل يجمع ما تتأثر من حبات القمح، قال:

((هذا بهذا الحرص, أيعقل أن يعطيني شيئاً لم يسأله؟ عاد إلى النبي قال: اذهب إليه, وقال له: أعطني مما أعطاك الله, ذهب إليه ثانية, هذا الإنسان لا يعطي عطاء عريض, حريص جداً, يجمع حبات القمح المتناثرة, المرة الثالثة: ذكر له ما قاله النبي, قال: دله على قطيع من الإبل, قال: خذ أياً شئت, فأخذ إحدى الإبل, مشي وراءها عدد كبير, قال له: كله لك, هذا السائل اختل توازنه, كيف يعطي هذا العطاء, ويجمع هذا الجمع؟ فقال له الصحابي الجليل: نجمع هكذا, لينفق هكذا))

إذا الإنسان أنفق باعتدال, إذا وجد معه مدخرات, وظفها في الحق, يبلغ بها أعلى درجات الجنة, ينفق باعتدال.

ما الموقف الحكيم الذي ينبغي أن يستخدمه صاحب الكتلة النقدية؟ :

مرة دخلت إلى بيت, سألتني صاحب البيت: هل في هذا إسراف؟ هذا البيت في مستوى رفيع جداً, كل باب كلف مني ألف ليرة, كل باب الداخلي ليس الخارجي.

خطر في بالي مثل -أيها الأخوة, أرجو أن يكون واضحاً لديكم-, قلت له: إذا شخص معه مئة مليون افتراضاً, اشترى بيت بخمسة وسبعين مليون, وسيارة بخمسة وعشرين, وفتح فمه للهواء, يكون حكيم؟. لو فرضنا شركة استثمار, تعطي بالمئة مئة أرباح, إذا اشترى بيت بعشرة ملايين, مئة وخمسين متر, وأخذ سيارة بمليونين أو ثلاثة, وظف الباقي بهذه الشركة بالمئة مئة أرباح, لا يكون عاقل؟ هذا مثل تجاري. فكل إنسان في معه كتلة نقدية, لو أنفقاها كلها استهلاكاً, لا يكون عاقل, لو استهلك منها حاجته, واستثمر الباقي عند الله عز وجل, يكون من أسعد الناس, استهلك منها حاجته, واستثمر الباقي عند الله, الله عز وجل كم يعطيه؟ على المئة عشرة أضعاف, أحياناً: سبعمئة ضعف, وفي آية:

﴿بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة البقرة الآية: 212]

في عشرة, وسبعة, وأضعاف السبعة, وسبعمئة, وبغير حساب, فالذي معه كتلة نقدية, الموقف الأخلاقي مع بقية الناس؛ الموقف الشرعي, والموقف المعتدل والحكيم, أن تستهلك منها حاجتك المعتدلة, وأن توظف الباقي عند الله

عز وجل للحق, لا تدري أن هذا المال, قد ينتفع به أناس كثيرون.

إذا: الإسراف يتناقض مع الدين, الإسراف في المباحات, والتبذير في المعاصي.

علام يرشدنا هذا الحديث؟ :

وقد جاء أعرابي إلى النبي -ﷺ- يسأله عن الوضوء, فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً, ثم قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((فمن زاد على هذا, فقد أساء وتعدى وظلم))

استهلاك الماء يجب أن يرشّد, استهلاك الكهرباء يجب أن يرشد, استهلاك الحاجات كلها يجب أن ترشد.

علام تتحدث هذه المادة من مواد التربية كما درسها صاحبها في جامعة أوروبية؟ :

لي صديق, درس الماجستير في التربية في جامعة أوروبية, قال لي: مادة من المواد الأساسية اسمها: التربية والمستقبل, هذه المادة تتحدث: عن أن البشر لن يستطيعوا أن يعيشوا بسلام وطمأنينة, إلا إذا اقتصدوا, وإلا ما الذي يحصل؟ فئة قليلة تملك أموالاً كثيرة, هذا تبذير وتسرف؛ مظاهر صارخة, ولائم, احتفالات, أعراس في الفنادق, ثياب أجنبية, زهور مستوردة من هولندا, هذه المظاهر الصارخة, هذه تنعكس عند الفقراء حقداً وحرماناً وضيقات, أكثر أعمال العنف في المستقبل, سوف تكون بسبب الفرق الطبقي.

هذا ما حصل في مصر :

مرة بمصر, أفراد الشرطة هاجموا الفنادق, وكسروا الزجاج, وألقوا لأنه فقير جداً, يعيش مع المترفين؛ سياراتهم, طعامهم, شرابهم, فسقهم, فجورهم, فإذا كان قلة قليلة تملك أموال كثيرة, وأسرفت, وبذرت في إنفاق المال, أنت لا تعلم هذا الذي يراقبك, ماذا يحصل في نفسه؟ يبدأ الحقد, يبدأ العداوة, يبدأ الشعور بالحرمان, هذا سيؤدي إلى سرقة, وإلى جريمة, وإلى أعمال عنف, فلذلك: متى يكون الناس بخير؟ إذا كانت هذه الكتلة النقدية التي بين أيدي الناس, موزعة بين كل الناس, هذا التبذير, لذلك:

((من أدى زكاة ماله, أذهب عن ماله شره))

((احصنوا أموالكم بالزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والطبراني في المعجم الأوسط]

((ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة))

فالآن استتبطننا: أنه يمكن أن تنفق من مالك الحاجات المعتدلة, وأن توظف الباقي عند الله يوم القيامة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والنسائي في سننه]

وقائع :

أنا مرة حضرت عقد قران, المدعوون يزيدون عن ألف شخص, وقال لي رجل -أثق به-, قال لي: أنا حضرت دفعة, ثمن الطعام كم؟ مليون ليرة, كل رأس ألف ليرة, ألف ألف, قال لي: والله دُفعت بالتمام والكمال ثمن طعام لعقد قران.

أنا كنت في هذا العقد, شعرت أن الأكل لم يؤكل منه إلا العشر, بقي في نفسي شيء: أن هذا الطعام أين سيذهب؟ أين سيلقى؟ مليون ليرة تدفع ثمن طعام, ثم في اليوم الثاني طمأنني أحد الأخوة الكرام, قال لي: هذا الطعام وضع بعلب أنيقة, وذهب به إلى بعض الميام, وتناول أيتام هذا الطعام عشرة أيام, قال لي: أطمئنك: أن حبة رز واحدة لم تُهدر, حبة رز واحدة, وأن الذي دفع هذا المبلغ, دفع مثله في تزويج فقراء المسلمين, دفع مليون ليرة ثانية لتزويج فقراء المسلمين, والله سررت, وكنت مطمئناً جداً.

مرة دعيت إلى وليمة, قلت له: ما هذا الطعام؟ يعني في إسراف, قال لي: لا نأكله هذا عشرين يوم, عندنا دقة بالغة, أراد أن يكرمنا, أما كل شيء يذهب إلى مكانه بالثلاجة, ويؤكل بالتدريج.

((كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

حينما أرى طعاماً يلقي في القمامة، أشعر أننا ننتظر من الله الغضب، لأن الناس جائعون، تلقي الطعام في القمامة؟ كل واشرب.

عادة أعجبتني :

كنت في سفر هذا البلد، دعيت إلى طعام الفطور، وجدت شيء لطيف، مُدَّت على الأرض خوان، قماش ملون رائع جداً، مطرز، ثم وضع منصب على هذا القماش، وطبق كبير، هذا طعام الفطور، ووضعنا القماش على ركبنا، والخبز بين أيدينا، فإذا نزل من رغيف الخبز شيء بسيط، يجمع من هذا القماش ويؤكل. أعجبتني هذه العادة، يعني ذرة خبز لا تذهب سدى.

إذاً:

((كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

توجيه نبوي :

((يا عائشة إذا أردت اللحوق بي، فليتكفك من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخفي ثوباً حتى تسترقعيه.

-أحياناً: يعني في خطأ باللباس، يُلقى، صلحه، والبسه

أحياناً: مسمار دخل ببدة، ثمنها مثلاً خمسة آلاف، عشرة آلاف، لسبب بسيط يلقها جانباً، لا ارتيها، وتابع لبسها-.

ولا تستخفي ثوباً حتى تسترقعيه، وإياك الدخول على الأغنياء))

أي أغنياء غير المؤمنين، أما المؤمن تشتهي الغنى منه؛ بتواضعه، وعفته، وسخائه، وإنفاقه، وتواضعه للآخرين.

((كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

الإسراف -كما تعلمون-: أن تنفق أكثر مما تحتاج، والمخيلة: التباهي.

أحياناً: الإنسان تتحرف نفسه، يقيم وليمة، ليرى الناس ما عنده من أذواق رفيعة، ليرى الناس غرفة الطعام، هذه ستيل ويكانز، ليرى الناس الألوان المنوعة من الطعام، هذه النوايا، هذه انحراف في النفس، اللواتم؛ ممكن أن تقيم وليمة، لكن بنية إكرام أخوانك أم بنية أن تتعالى عليهم، لذلك: قال عليه الصلاة والسلام:

((المتباريان لا يُجابان))

يعني: عزموا، ورد له بعزيمة كسر عينه.

((المتباريان لا يجابان))

القصد: إطعام الطعام.

وصدقوني -أيها الأخوة-: إطعام الطعام من السنة، إطعام الطعام يؤلف القلوب، إذا الإنسان عزم أخوته على غداء، عزم أقرباءه، هذه اللواتم تقرب القلوب، تذيب الفوارق، تؤلف القلوب، تجبر الخواطر، فإطعام الطعام من السنة، لكن لا للتباهي، ولكن للإكرام.

((من أكرم أخاه فكأنما أكرم ربه))

وقد ورد في بعض الأحاديث:

((أن رجلاً أتى رسول الله -ﷺ- فقال: إني فقير، ليس لي شيء، ولي يتيم، فقال: كل من مال يتيمك غير مسرف، ولا مبادر))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

الآن موضوع دقيق: الإنسان إذا معه مال يتيم: فإذا كان غنياً فليستعفف أول شيء، وإذا كان فقيراً فليأكل منه بالمعروف.

كيف فسر العلماء الأكل من مال اليتيم بالمعروف؟.

عبارة دقيقة سأرويها لكم: أن يأخذ الفقير من مال اليتيم أجر المثل أو حاجته، أيهما أقل؟ أجر المثل أو حاجته، أيهما أقل؟.

معك مئة ألف لیتيم، عقدت بها صفقة، ربحت خمسين ألف، لك النصف خمس وعشرون، يكفيك خمسة عشر، يجب أن تأخذ خمسة عشر، لشهر مثلاً، مئة ألف من يتيم، عقدت فيها صفقة، ربحت خمسة، أنت تحتاج إلى خمسة عشر، تأخذ خمسة أجر المثل، أجر المثل أو الربح، أيهما أقل تأخذه، هذا معنى فليأكل بالمعروف، وربنا عز وجل قال:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾

[سورة الأنعام الآية:152]

أحياناً الإنسان: يخلط ماله مع مال اليتيم، الحكم: ما هو الحكم ساعة إذ؟ بالحسابات بقي الحكم، إذا أخطأ بالحسابات، أكل مال يتيم، إذا في مال لليتيم، ينبغي ألا يختلط بماله، ليكون الحكم هو المال نفسه، لا الحسابات، إذا كان صندوق شخص كله داخل ببعضه، لا يوجد حكم غير الحسابات بقي، غلطة من المحاسب، ناقص صفر، زائد صفر، أكلت مال اليتيم، راح مال اليتيم، أما إذا كان المال مفروغ:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

[سورة الأنعام الآية:152]

بالمناسبة: الذي عنده يتيم يرييه, يضره, قال:

((عندي يتيم أفأضره؟ - النبي الكريم سئل - قال: نعم, اضره مما تضرب منه ولدك))

بالضبط, هذا المقياس: إذا اقترب ابنك هذا الخطأ, أتضره؟.

خاتمة القول :

أنا مرة كنت بأحد أيام العطل, في بعض المحلات التجارية, فصاحب المحل أتى بابنه إلى المحل, ومن غرائب الصدف: أنه يوجد صانع في المحل من سن ابنه, وليس منتبهاً, الصانع حمل الثوب إلى مكان, حملة ثلاثة زيادة, لم يعد يستطيع, قال له: أنت شاب, حمل ابنه ثوب واحد, انتبه ظهرك بابا, وثوب واحد حمل, لم ينتبه لنفسه, هذا ابن الناس.

مرة سمعت امرأة, قدمت زوجة ابنها, وابنتها من سفر طويل, قالت لابنتها: اذهبي وارتاحي, أنت متعبة, وقالت لزوجة ابنها: اعلمي, نظفي البيت, دون أن تشعر.

امرأة ثالثة: -كلها وقائع, هذه كلها من غرائب الصدف-, اشترى ابنها لزوجته غسالة أوتوماتيك, فعنفته, ووبخته, لا يوجد داع, وإسراف, وزوجتك شابة, تعودها على الكسل, مساءً أخبرت: أن زوج ابنتها اشترى لابنتها غسالة أوتوماتيك, الله يرضى عليك, في اليوم نفسه.

الإنسان لو خلع ثيابه, وسار في الطريق بلا ثياب, وهو من أشنع المناظر, أهون من التناقض؛ أن تعامل ابنتك معاملة, وأن تعامل زوجة ابنتك معاملة أخرى.

ابنتك للساعة العاشرة نائمة, متعبة, الله يعطيها العافية, أما زوجة ابنه, تشعر بقسوة تجاهها, إذا ما عندك إمكان تعامل الناس كما تعامل أقرب الناس لك, لست مؤمناً, الدليل:

النبي -عليه الصلاة والسلام- تحدث عن الرحمة, قال:

((ولكنها رحمة عامة))

رحمة الأب والأم بابنهما قضية بسيطة جداً، فطرية، ليس لك أجر فيها، محبتك لأولادك فطرية، هذه من الله ليست منك، من أجل أن تستمر الحياة.

يروى: أن سيدنا موسى -قصة رمزية-، رأى أما تخبز على التتور، وابنها على طرف التتور، فكلما وضعت رغيفاً في التتور، قبلت ابنها، وضمته، وشمته، فقال: يا ربي ما هذه الرحمة؟ قال: هذه مني يا موسى، سأنزعه أمامك، نزع الله الرحمة من قلب الأم، فبكى، فألقته في التتور.

انتهى الأمر، قصة رمزية؛ فمحنة الأم لابنها، والأب لابنه، سأقول مبدئياً: ليس له أجر فطرية، لأن هذا طبع بالإنسان، أما حينما يأخذ بيد ابنه إلى الله له أجر هنا، أما إطعامه الطعام والشراب، وأمن له طعامه، وثيابه، وغرفته الخاصة، ليس لك أجر، كل أب في الأرض، كل أب، وكل أم، هدفه: أن يرفه أولاده، حتى الطغاة، حتى الكفار، حتى الفجار، حتى الملحدون، هذه رحمة أودعها الله في كل أب، أما الرحمة التي توجر عليها: أن ترحم غير أولادك، ترحم صانع عندك بالمحل، تعامله كابنك، تهتم بأخلاقه، تهتم بدارسته، ابنك يجب يكون طيب.

يقول لك: دفعت له دروس خاصة أربعمئة ألف، أما عندك صانع طلب يخرج قبل ساعة، يدخل دورة مسائية، يأخذ كفاءة، لا تسمح له، تقول: إذا تعلم يفسس، رأيت الحقد، ابنك تريده طبيباً، تدفع له في السنة ثلاثمئة ألف دروس

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-29} : أهمية نشر العلم

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-11-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقولة ذكرت سابقاً :

أيها الأخوة, لا شك أنكم سمعتم مني من قبل قولاً لسيدنا سعد بن أبي وقاص, يقول فيه:

((ثلاثة أنا فيهن رجل, وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس.

-كلمة رجل تعني: أنه بطل- من هذه الثلاثة: أنني ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ, إلا علمت أنه حق من الله تعالى))

لأن النبي الكريم لا ينطق عن الهوى, إن هو إلا وحي يوحى.

قف عند الخطوة الأولى من هذا الحديث: (بلغوا عني ولو آية) :

استوقفني في موضوع الكذب في الصحاح التسعة, أحاديث كثيرة, لكن واحداً منها يقتضي: أن نقف عنده ملياً.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((عن عبد الله بن عمر, أن النبي -ﷺ- قال: بلغوا عني ولو آية, ومن كذب علي متعمداً, فليتبوأ مقعده من النار))

نقف عند الفقرة الأولى: بلغوا عني: أليس هذا كلام رسول الله؟ فعل بلغوا ما إعرابه؟ فعل أمر, إذا أمرنا النبي بشيء, ألا يقتضي أن نفعله؟ ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية:7]

ويقول الله عز وجل:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[سورة النساء الآية:80]

ويقول الله عز وجل:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾

[سورة النور الآية:63]

كم آية؟:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية:7]

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[سورة النساء الآية:80]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

آية الثالثة. الرابعة:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة النور الآية:63]

ماذا يقول النبي؟ يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

هل نفذت هذا الأمر؟ سأقول لكم ماذا ينبغي أن نفعل؟.

يعني: القناة الوحيدة الأساسية، بينك وبين العلم كمسلم: صلاة الجمعة، يجب أن تختار مسجداً لا علاقة له بجواره، قد يكون مسجد آخر؛ تثق بمن يقول، تستفيد من علمه، إذا استمعت إلى خطبة أو إلى مجلس علم كهذا المسجد، واستمعت فيه إلى آية كريمة، أو حديث شريف، وجعلت هذا الحديث أو الآية محور حديثك طوال الأسبوع، أليس لك سهرات؟ لقاءات؟ ولائم؟ سفر؟ إقامة؟ ألا تزور أهلك؟ أخواتك؟ أخوتك؟. لا يوجد إنسان ليس له عشرة، اثنا عشر لقاء في الأسبوع، أقل إنسان؛ بين زيارة، بين لقاء، بين سهرة، بين سفر، بين ندوة، بين دور، فهذه اللقاءات التي تجري بين الناس، ماذا يتحدثون فيها؟.

((ما جلس قوم في مجلس لم يذكروا الله فيه، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار))

لم يجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار، أما إذا جلسوا مجلساً وذكروا الله فيه، نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكروهم الله فيمن عنده.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من لم يحدث نفسه بالجهاد، فهو على ثلثة من النفاق))

حسناً: ما هو الجهاد المتاح الآن؟ المتاح لنا الآن: قال تعالى:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

الهاء على من تعود؟ من يعرف؟ على القرآن، متاح لك أن تتعلم القرآن، و متاح لك أن تعلمه، هذا من أكبر أنواع الجهاد.

((من لم يحدث نفسه بالجهاد, فهو على ثلثة من النفاق))

إذا الإنسان لم يخطر في باله أبداً يتعلم ويعلم, فهو منافق, لم يخطر في باله أبداً ينقل العلم.

حسناً: النبي يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

آية واحدة, في أي مسجد حضرت فيه صلاة الجمعة, لا يوجد آية قرآنية شرحت؟ لا يوجد حديث شرح؟ لا يوجد حكم فقهي ذكر؟ لا يوجد موقف للصحابه بئين؟ ما علق شي إطلاقاً؟ معقول!؟.

إنسان يعقد, يحضر بمجلس علم أو بمسجد, ركع خطبة نصف ساعة, أو درس علم, لا يبقى في ذهنه شيء؟ معنى هنا واد آخر.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

ما يجب أن تعتقده :

أيها الأخوة, يجب أن نعتقد أن التواصي بالحق فرض عين, بل إن التواصي بالحق أحد أركان النجاة, أحد أركان النجاة, لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

أربعة أشياء تتجرب بها من الخسارة المحققة: أن تؤمن، وأن تعمل، وأن تتواصى بالحق، وأن تصبر، فالتواصي بالحق أحد أركان النجاة، والتواصي بالحق فرض عين على كل مسلم، فرض عين، الصلاة فرض عين، الزكاة فرض عين، فرض عين على كل مسلم، ولكن هذا الفرض مقيد بشرطين؛ في حدود ما تعلم، ومع من تعرف.

اعلم هذا يا صاحب المسجد :

لا يوجد إنسان من أخواننا الحاضرين، إلا بالنسبة لمن حوله يعد دين، يزور أخته، أنت صاحب دين، أخي تكلم لنا عن الموضوع الفلاني، يزور أقرباه.

يعني: كل شخص يرتاد المساجد، كل شخص يحضر مجالس العلم، في عنده تفكير ديني، استقامة في بيته، هذا صار مظنة صلاح، في حوله أناس يستفيدون منه.

الواحد منا له أخوات ذكور، له أخوات إناث، له عمه، له خالة، له أصهار، له بنات، له بنات بنات، لا يوجد شخص مقطوع من شجرة، هؤلاء الذين يعرفونك صالحاً ودينياً، أنت نافذتهم الوحيدة إلى الله.

كل واحد منا في حوله مجموعة من الناس، بدءاً من زوجته، وأولاده، وأخوته، وأخواته، وأمه، وأبيه، وأعمامه، وأخواله، وخالاته، وعماته، وجيرانه، زملائه، لا يوجد واحد منكم إلا في حوله مئة شخص، مئة شخص، يظنون به الصلاح، ويعتقدون أنه دين، وأنه يطلب العلم، فأنت مسؤول عن هؤلاء الذين نافذتهم إلى الله وحده؛ ففي حدود ما تعلم، وفي حدود من تعرف، في حدود ما تعلم، وفي حدود من تعرف، الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم، الدعوة إلى الله. الدليل:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

في دليل آخر: الإنسان إن لم يتبع رسول الله ﷺ, ماذا يتبع؟ شيطان.

حسناً: قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف الآية:108]

الإنسان إن لم يدع إلى الله على بصيرة, يتبع من؟ يتبع الشيطان.

ما أريد أن أقنعكم به :

أنا أريد أن أقنعكم: أن أحدنا, نحن مجتمعون؛ أن أحدنا إن لم تحدثه نفسه بنشر الحق, ونقل المعرفة, وهداية الناس, يموت على ثلثة من النفاق, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

في حديث آخر:

((بلغوا عني ولو آية))

((ألا يا رب مبلغ أوعى من سامع, ألا يا رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))

لا تعرف, قد تنتقل آية إلى إنسان, تعد هذه الآية منطلقاً له إلى طلب العلم, وكل أعماله في صحيفتك.

إذاً: عن عبد الله بن عمر, أن النبي -ﷺ- قال:

((بلغوا عني ولو آية))

حل لمشكلة :

في شخص يحضر درس، يتأثر به تأثيراً بالغاً، لكن لا يملك القدرة على أن يعيده، الله عز وجل أعطى كل إنسان اختصاص، ماذا نفعل؟.

يوجد أخوان كثيرون، يشتري الكاسيت، قدمه هدايا، اسمع الدرس؛ هذا عن حقوق الوالدين، عن حقوق الزوجة، عن بر الوالدين، هذا عن الريا، هذا عن الزكاة، هذا عن مثلاً الاتصال بالله، هذا عن الصلاة، فإذا أنت ما تمكنت تنقل الحق للآخرين، الأمور ميسرة جداً:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾

[سورة القمر الآية:17]

أي درس تحضره مسجل، أي درس أعجبك، يمكن أن تقتنيه بمبلغ يسير جداً، وهذا الشريط دوره.

يعني: أنا هذا الدرس مخصص، كي تعلموا علم اليقين مع الدليل: أن أحدا إن لم يحدث نفسه بنقل الحق للآخرين، يموت منافقاً.

((من لم يحدث نفسه بالجهاد، مات على ثلثة من النفاق))

والنبي يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

الحل الأخ الكريم: تحضر خطبة جمعة، أينما تشاء احضر، في خطيب لا يشرح آية قرآنية، حديث شريف؟ لا، ينبغي أن تحضر هكذا؛ ماذا قال الخطيب؟ كيف شرح هذه الآية؟ كيف علق عليها؟ ما الاستنباطات التي استنبطها منها؟ حسناً: اكتبها عندك هذه الآية، اجعل هذه الآية، أو ذلك الحديث، أو هذه القصة، أو هذه السيرة، أو هذا الحكم الشرعي، اجعله محوراً لحديثك طوال الأسبوع، كل أسبوع نأخذ درس جديد، نفهمه، نعقله، ننقله

للناس, أنت لا تدري, أصبحت داعية إلى الله عز وجل, قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت الآية:33]

واقعة حدثت :

أنا مرة ذكرت لكم عن أخ كريم, زار أخته مرة, فإذا هناك خصومة بينها وبين زوجها, والخصومة -القضية قديمة- على ثلاثمئة ليرة في الشهر, تطالبه بها, كي تنفقه على بناتها, هو دخله محدود, ليس معه هذا المبلغ, فهذا الأخ الكريم, هذه أخته, وهذا صهره, قال لها: يا أختي, المبلغ خذيه مني كل شهر, قال لي: أول شهر, واحد بالشهر طرقتنا الباب, تفضلي, ابق ثاني شهر, قال لي: سادس شهر, طلبت مني أن ألقى عليها وعلى بناتها درساً في الدين, هي طلبت, حسناً, قال لي: أحضر لهم آية من خطبة جمعة, حديث شريف, هكذا قصة لطيفة عن الصحابة, شيء يتحدث عنه ساعة, جمعت لي بناتها, بنات أخته, وأخته, بعد ذلك انضمت أختها الثانية, أختها الثالثة, بنات أختها الثانية, قال لي: صار يوجد عندنا درس رسمي, أنا تشجعت, وانتعشت, صرت أحضر طوال الجمعة, أحضر هذه الآية, هذا الحديث, دخلت بعالم الدعوة, سبحان الله! بعد حين: أول بنت تحجبت, وخطبها إنسان مؤمن, وزوجها الثانية تحجبت وزوجها, الثالثة تحجبت وزوجها.

قلت: سبحان الله! خير لا يعلمه إلا الله, بدأ من هذه المساعدة, وهذا العطاء.

ما الجهاد المتاح للمسلم اليوم؟ :

((من مات ولم يحدث نفسه بالجهاد, مات على ثلثة من النفاق))

ما الجهاد المتاح الآن؟ بشكل واقعي, متاح لنا أن نطلب العلم, وأن نعلم العلم, والدليل:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

لم يقل: جهاداً، قال: جهاداً كبيراً، فنحن متاح لنا، والحمد لله بكل بساطة، بكل حرية، بكل طمأنينة، أن نحضر مجلس علم، وأن نتعلم، وأن نعلم، فالواحد منا لا يكون مقبور بتجارته، مقبور، لا يجعل من الدنيا قبراً له، لا يجعل من مشكلات الحياة همماً ساحقاً له، أنت مخلوق لمعرفة الله عز وجل.

((ابن آدم، خلقت لك ما في السموات والأرض فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك، لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك))

إليك يا مسلم :

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام:-

((يا أبا ذر، جدد السفينة فإن البحر عميق، وأكثر الزاد فإن السفر بعيد، وخفف الأثقال فإن في الطريق عقبة كؤود، لا يجتازها إلا المخلصون، يا أبا ذر، أخلص النية فإن الناقد بصير))

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن السفر قريب -مدته قريبة- وتزودوا فإن السفر بعيد -المسافة طويلة، أول قريب مدته قريبة، قريباً تسافر- وتأهبوا فإن السفر بعيد))

حديث خطير له منطلقه :

هذا حديث خطير، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

وهذا الحديث يقسم الظهر:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟.))

-لو أنه أقبل على الدنيا، وانكب عليها، وتعلق بها، وجعلها منتهى أحلامه، جعلها مبلغ همه، ومنتهى علمه، ومحط رحاله، ماذا ينتظره منها؟ إن أدبر واستكبر، إن استغنى عن الله، إن استغنى عن رحمته، أقبل على الدنيا والمال بين يديه.

قال:- هل تنتظرون -منها- إلا فقراً منسياً.

-أكثركم يعمل في التجارة، ألم يمر معكم إفلاس مفاجيء؟ فقد المال كله دفعة واحدة-، فقراً منسياً أو غنى مطغياً.

-كان صالح، يصلي بالمسجد، بعد ما صار معه كذا مليون، يريد يغير زوجته؛ الآن: يريد نوادي ليلية، يريد سهر، يريد يسافر، مرة على شرقي آسيا، ومرة على ألبانيا، ومرة على يريد يغير، كل يوم فلافل يقول لك، حينما صار غنياً، يريد أن يزني-.

هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمياً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

انطلقنا في كل هذا الكلام، من قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((بلغوا عني ولو آية))

بلغ؛ بلغ زوجتك، بلغ أولادك، بلغ شركاءك بالعمل، بلغ جيرانك، بلغ زملاءك، بلغ أولاد أولادك، بلغ من حولك، بلغ من يثق بك، بلغ من يحبك.

((بلغوا عني ولو آية))

معنى: تعلم آية، علمها، طلب العلم فريضة على كل مسلم، والإنسان لولا العلم لكان كالبهيمة، وأنتم ترون كيف أن بعض الناس الجهلة يرتكبون حماقات لا تعد ولا تحصى؟ نعم.

ما هو الكذب الذي يوصل صاحبه إلى النار؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار))

يعني: الكذب أنواع، لكن الكذب الذي يوصل الإنسان إلى النار هو: أن تكذب على رسول الله ﷺ، أن تروي عنه حديثاً موضوعياً، أن تروي عنه حديثاً لست متأكداً من صحته.

((من روى عني حديثاً يُرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين))

((من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

اقرأ :

اقرأ لكم الأحاديث في هذا المحور:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي يلع النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

يعني: أنت مؤمن.

قال عليه الصلاة والسلام:

((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لا تقل شيء بلا دليل، لا تقبل حديثاً موضوعاً، لا تقبل حديثاً ضعيفاً، لا تقبل كلمة من إنسان بلا دليل، لولا

الدليل لقال من شاء ما شاء .

كنت مرة في نماء عال في الشام, مرتفع جداً, والشام كلها كالكف, قال لي أحد الأخوة العلماء, مؤكداً حقيقة, قال:
لولا الدليل لقلت لك: كل هذه الأبنية ملكي, لقال من شاء ما شاء, قل ما شئت بلا دليل, أما الدين دليل:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾

[سورة يوسف الآية:108]

البصيرة: الدليل, نقبل أن ترفض, اطلب الدليل قبل أن تقبل, اطلب الدليل, لأنه أحياناً الإنسان: يعيش في دماغه آلاف العقائد الفاسدة, هذه كلها تحتاج إلى مراجعة.

((لا تكذبوا علي, فإنه من كذب علي ينج النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

ضم هذا إلى قراءتك أيضاً :

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال:

((قلت للزبير: إني لا أسمىك تحدث عن رسول الله -ﷺ- شيئاً كما يحدث فلان وفلان, قال: أما إني لم أفارقه))

وقد قال علي -رضي الله عنه-:

((إذا حدثتكم عن رسول الله -ﷺ- فلأن أحرَّ من السماء, أحب إلي من أن أكذب عليه, وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم, فإن الحرب خدعة))

الإنسان مسموح له في الحرب, أن يخدع عدوه.

ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان :

سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

((يأتي في آخر الزمان, قوم حدثاء الأسنان, سفهاء الأحلام, يقولون من قول خير البرية, يمرقون من الإسلام, كما يمرق السهم من الرمية, لا يجاوز إيمانهم حناجرهم))

يعني: في آخر الزمان؛ الهرج, والمرج, والضلالات, والفتن, والترهات, والأباطيل.

فالإنسان في آخر الزمان: عليه أن يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله, علي أن يعتصم بالحق, عليه أن يعتصم بهذا الكتاب, الذي جعله الله لنا حبلاً متيناً نتمسك به.

واجب عليك :

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إن من أعظم الفرق: أن يدعي الرجل إلى غير أبيه, أو يُري عينيه ما لم تر))

أن يقول لك: رأيت في المنام كذا وكذا, قال: هذا من أعظم الفرق, ويقول على رسول الله -ﷺ- ما لم يقل واحد.

وضع أحاديث كثيرة, من وضعه في فضل القرآن, قيل له: كيف تكذب على النبي؟ قال: أنا أكذب له لا عليه.

لمصلحته, هذا مرفوض, وما أكثر الأحاديث الموضوعة والضعيفة في الكتب, فالإنسان عليه أن يتحقق:

((إن هذا العلم دين, فانظروا عمن تأخذون دينكم))

((ابن عمر, دينك دينك, إنه لحمك ودمك))

لم قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: (إن كذباً علي ليس ككذب علي أحد): ؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن كذباً علي, ليس ككذب علي أحد.

-ممكن مليون كذبة, لا تساوي كذبة واحدة على رسول الله ﷺ؛ لأنه مشرع, لأنه معصوم, لأنه لا يبغى, لأنه النور, فإذا كذبت عليه ضللت وأضللت-.

إن كذباً علي ليس ككذب علي أحد, فمن كذب علي متعمداً, فليتبوأ مقعده من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

ما حرم في الإسلام :

سمعت النبي -ﷺ- يقول:

((من نيج عليه, يُعذَّب بما ينح عليه))

النياحة, واللطم, والصراخ بالويل, وتمزيق الثياب, وشد الشعر, هذا كله حرام في الإسلام.

ما المراد من هذا الدرس؟ :

أيها الأخوة, أردت من هذا الدرس: أن يكون باعثاً لكم على أن تتقلوا للناس ما سمعتموه؛ إن في مجالس العلم, أو في خطب الجمعة, إنسان تعلم آية, تعلم حديث, تعلم حكم فقهي, تعلم موضوع دين, عليه أن ينشره, لأن النبي - عليه الصلاة والسلام- بين الطريق الطبيعي لنشر الحق, قال:

((تصنعون ويصنع منكم, ويصنع من يصنع منكم))

تكلمت أنت, والذي سمعك تكلم, والذي سمع من تكلم, تكلم, انتشر الحق, إذا نمت دوائر الحق, ضاقت دوائر الباطل, إذا نمت دوائر الحق, تراجعت وتقلصت دوائر الباطل, فالتواصي بالحق فرض عين, في حدود ما تعلم, ومع من تعرف, فرض عين, أما التبحر بالعلم, ومعرفة الأدلة التفصيلية, والرد على كل الشبه التي تطرح على

الدين, هذا من اختصاص العلماء الكبار, هذا فرض كفاية, أما أنت كمسلم, كأحد من المسلمين, لا بد من أن تتلقى العلم, وأن تلقيه في حدود معلوماتك, وفي حدود من تعرف, هذه فريضة عين, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-30} : وصف للعبادات التعاملية

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-11-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما معنى التجديد في الإسلام؟ :

أيها الأخوة الكرام, حينما يتناول الأمد على المسلمين, تفرغ بعض مفاهيم دينهم من مضمونه, ويغدو الإسلام شكلاً, قشوراً, عبادات جوفاء, ثقافات, تصرفات, عادات, تقاليد, يضعف المسلم.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يبعث في هذه الأمة, في كل مئة عام من يجدد لها دينها))

التجديد يعني: أن يعود الإسلام كما بدأ, أن تعود عقيدته سليمة, أن تعود قيمه راقية, أن يعود منهجه مطبقاً.

فمثلاً: مر حديث قدسي, يقول الله عز وجل:

((ليس كل مصل يصلي))

الآن: الدين اختصر إلى أداء الصلوات, تجد بيوتات المسلمين ليس فيها شيء من طاعة الله, الإسلام فيها غير مطبق.

الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

هو فيهم في حياته, حسناً: بعد موته؟.

العلماء قالوا: ما دامت سنة النبي مطبقة في بيوتهم, فلن يعذبوا.

السنة مطبقة في البيت, في العمل, في السفر, في الحضر, في الأحران, في الأفراح, في العلاقات المالية, العلاقات الاجتماعية, إذا كانت سنة النبي مطبقة في حياة المسلمين, هم في بحبوحة من أن يعذبوا, أما إذا طبقت العبادات, ولم تطبق المعاملات, طبعاً: يعذبون, وهذا الذي يحصل.

دقق :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

بريكم:

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

الإسلام هو الخمس؟ لا, هو بني على خمس -الإسلام- بناء أخلاقي, والخمس أركان الإسلام, هناك أركان الإيمان, هناك أركان الإسلام.

الحديث القدسي:

((ليس كل مصل يصلي, إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي.

-حسناً: السؤال: كيف أتواضع لعظمة الله؟ أنت لا تعرفه, تعرفه خالق الكون, وإبليس يعرف ذلك:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾

[سورة ص الآية:81]

أما هل دقت في خلقه؟ هل تأملت في خلقه؟ هل عرفت عظمة خلقه في جسمك؟.

إليك شرح جزئية من الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية مع بيان وزنها:

1-هرمون النمو :

في الدماغ غدة اسمها: الغدة النخامية, وزنها نصف غرام, اذهب إلى الصائغ, قل له: أرن الغرام, ليس له وزن تقريباً, وزن هذه الغدة نصف غرام, هذه الغدة اسمها: ملكة الغدد, لأنها ملكة بكل معنى الكلمة, تفرز اثني عشر هرمون, وهرمون النمو, هذا الهرمون فيه مئة وثمانية وثمانون حمض أميني, والحمض الأميني أعقد تركيب عضوي في الكون.

قال: الكون كله بذراته, لا يكفي لصنع حمض أميني واحد صدفة, معنى صدفة: دقيقة جداً.

أنت ضع عشرة أرقام بكييس, اسحب, احتمال أن يأتي معك رقم واحد, واحد من عشرة, عشرة أرقام, احتمال أن يأتي معك رقم اثنان بعد الواحد, واحد من مئة, ممكن يأتيك واحد اثنان, واحد ثلاثة, واحد أربعة, الآن اثنان واحد, اثنان اثنان, احتمال أن يأتي الواحد بعد اثنين, بعد ثلاثة, واحد من ألف, احتمال أن تأتي عشرة أرقام معاً بالتسلسل, واحد من عشرة آلاف مليون, يعني: حالة من عشرة آلاف مليون, يمكن أن تسحب من هذا الكيس الأوراق تباعاً؛ واحد, اثنان, ثلاثة, أربعة, خمسة, كل عشرة آلاف مليون حالة, حالة واحدة.

إذا نقول: قانون الصدفة واحد على عشرة آلاف مليون, خروج عشرة أوراق بالتسلسل.

حسناً: لو أتينا بمطبعة ضخمة, فيها حبر, فيها حروف, فيها ورق, وأتينا بقنبلة, وعملنا انفجار, بالمليون كم يطلع معك؟ قاموس المنجد, قانون الفيروز أبادي, المواد المتسلسلة, أو بالمليون كم يطلع معك؟ قصة كاملة لأديب؛ فيها أحداث, فيها مغزى, فيها حبكة, فيها حركة, فيها حوار, فيها تشويق, فيها بيئة, فيها رسم, كم؟ مستحيل, هذا قانون الصدفة أكبر دليل على عظمة الله, حمض أميني واحد, لا يكفي ذرات الكون ليتصنع بالصدفة, هذه الغدة النخامية, فيها مئة وثمانية وثمانون حمض أميني.

الآن: إذا في بكل لتر دم عشرة ميكرون من هذا الحمض, النمو طبيعي, وأقل تقزيم, أكثر علقمة.

لا يوجد في سورية غير مستشفى واحدة, تعير هذا الهرمون في الدم, إذا ابن لا يطول, لا يكبر, أو يكبر بحجم غير معقول, نفحصه.

حسناً: هذه الغدة تفرز اثني عشر هرمون, أحد الهرمونات: هرمون النمو, هذا الهرمون فيه مئة وثمانية وثمانون حمض أميني, يجب أن يتواجد في كل ليتر دم.

الإنسان فيه خمسة ألتار دم, وعشرة ميكرو غرام من هذا الهرمون, حتى يكون نمو طبيعي, هذا هرمون.

2-هرمون الدرق :

هرمون ثان: هرمون الدرق, الغدة الدرقية: تقوم بأعقد عملية بالإنسان, العملية اسمها: الاستقلاب, تأكل صحن فول وتمشي, تحول الغذاء إلى طاقة, تأكل صحن حمص, وتجد حرارتك ثمانية وثلاثين. الآن: في شيء حار بلا طاقة؟ الغذاء يتحول إلى طاقة؛ يا طاقة حرارية, يا طاقة حركية, الذي يمشي, يبذل طاقة حركية, والذي حميان طاقة حرارية, الغذاء يتحول من مواد إلى طاقة, أوضح من هكذا: أنت تضع في السيارة تتكة بنزين, تذهب على الزيداني, انتهت التتكة, حسناً: أين ذهبت؟ لم تمشي؟ هذه التتكة صارت حركة, تحول الوقود السائل إلى حركة, الحركة اسمها: طاقة, نقول: المادة تحولت إلى طاقة, فهذا بالهرمون النمو.

قلنا: أنه في مئة وثمانية وثمانين حمض أميني, يكون في كل لتر بالدم عشرة ميكرو غرام من هذا الهرمون, وإلا

في تقزم، أو في عملاقة، هرمون الدرق، هذه الغدة النخامية ملكة، تأمر الدرقية أن تفرز مادة، يتحول الغذاء إلى طاقة.

فإذا شخص نشيط زيادة، على كثرة الأكل تجده لا يسمن، صحته معتدلة، إذا شخص استقلاله ضعيف، على ضعف أكله يسمن، لأنه يبقى الغذاء يتخزن، ما صار طاقة، أما لو تحول كله إلى طاقة، صار في نشاط كبير جداً، من ملكة النظام؟ الغدة النخامية، كم وزنها؟ نصف غرام.

3-هرمونا توازن السوائل والجنس :

الهرمون الثالث -شيء مخيف-: هرمون توازن السوائل: الكلية فيها طريق، طوله مئة كيلو متر، الكلية الثانية مئتان، الدم، تعطيه خمس مرات ألف كيلو متر، الدم يمشي في الكلية ألف كيلو متر، شيء لا يصدق. حسناً: لو الإنسان، هذا الهرمون ما أفرز، يجب الإنسان يشرب في النهار أكثر من ثمانين تنكة، يطالعهم، هذا اسمه: هرمون توازن السوائل، شيء لا يصدق، نحن لم نكن نعرف.

عندك عيارات دقيقة جداً: أنت معير معيار دقيق، من أجل تشرب ليتين ماء في اليوم، وتفرزهم، معنى في هرمون اسمه: توازن السوائل، هذا هرمون رقم ثلاثة، هرمون الجنس رقم أربعة.

تجد هذا الشاب في السابعة عشرة من عمره تخن صوته، ظهر شعر بأماكن معينة، صار في عنده عضلات مفقولة، أيضاً انسيابي.

حسناً: من حدد صفات الذكورة؟ والأنثى بالعكس، الذي يحدد صفات الذكورة والأنوثة: هرمون تفرزه الغدة النخامية.

الآن: هرمون النمو، هرمون الجنس، هرمون الدرق، هرمون توازن السوائل.

4-هرمون الولادة :

في هرمون الولادة: تجد في وقت معين، يتوسع الحوض بوقت معين، الرحم يتقلص، الرحم له تقلصان؛ له تقلصات لطيفة، متزامنة، متقاربة قبل الولادة، وتقلص واحد عنيف جداً بعد الولادة، التقلص العنيف حتى يغلق كل

الشرائين المفتوحة, لما صار في ولادة, والجنين انفصل عن المشيمة, والمشيمة سحبت من الرحم, في حوالي مئة ألف وعاء دموي, لو بقوا مفتوحين, تموت المرأة من النزيف, فالرحم يتقلص تقلص عجيب, تقلص حتى يغدو كالصخر, فتأتي القابلة, تضع يدها على الرحم, مثل الصخر, ولادة سليمة, تقلص, أما قبل تعمل طلق, تقلصات لطيفة, متزامنة, متقاربة, هذا بأمر مبرمج.

الآن: عندك أنت غسالة أوتوماتيك, تعبىء ماء, تأخذ الصابون, تسخن الماء, تدور, أول مرة, الثانية, خمسة, بعد ذلك تقض, بعد ذلك تنشف, بعد ذلك مرة ثانية, ثم ثان, مبرمجة على كمبيوتر, فأيضاً: هذا الهرمون مبرمج.

أول عملية توسيع الحوض, الثانية يقلب الطفل, بعد ذلك ينفجر ماء الرأس, بعد ذلك يصبح الطلق متزامن, بعد ذلك هذا كله هرمون مبرمج, يقوم فيه هرمون, تفرزه الغدة النخامية, الذي وزنها نصف غرام, تفرز اثني عشر هرمون, هرمون الولادة, هرمون الحليب.

5-هرمون الحليب :

قبل الولادة بساعات, هرمون الحليب يجول بالدم, بعد الولادة: تجد أثناء المرأة ملئت, لكن ليس حليب, مادة مذيبة للشحوم.

يقول لك: سيارة بشحمها, هذا الطفل بشحمه بعد, حتى الأمعاء ما تلتصق ببعضها, الطفل بالجنين معطلة أمعائه, مليئة شحم أسود, أول رضعة, أول يوم بالرضاع مادة مذيبة للشحم, يسمونها: صمغة النساء, تجد يذوب الشحم, يكون خروج الطفل مادة سوداء, خلال يومين مادة سوداء, الشحم ذوبناه, الآن: جاء الحليب, من برمج هذا؟.

هرمون الحليب, هرمون الولادة, هرمون الغدة الدرقية, هرمون النمو, هرمون الجنس, هرمون توازن السوائل, اثنا عشر هرمون, كم وزنها هذه الغدة النخامية؟ نصف غرام.

6-هرمون الكظر :

يوجد هرمون الكظر :

شخص يمشي لبستان, فرأى حية, لما رأى حية, شكل الحية انطبع على الشبكية, الشبكية مؤلفة من مئة وخمسين

مليون عصبية، الشبكية عشر طبقات.

عندي كان البارحة طبيب، بعد الخطبة: الشبكية عشر طبقات، الطبقة الأخيرة، الطليقة الأخيرة فيها مئة وخمسون مليون عصبية، وأربعمئة وخمسون ألف مخروط، كل عصبية، ومخروط مربوطة بعصب، يجتمعون بالعصب البصري، لما الإنسان يرى حشرة، عقرب، أفعى، عدو مثلاً، هذه الصورة هي إلى الدماغ، الدماغ يدرك العين، تحس الدماغ، ملك الجهاز العصبي، الآن: يعمل رسالة مستعجلة لملكة الجهاز الهرموني، من هي؟ الغدة النخامية.

الغدة النخامية ملكة، في عندها وزيرة داخلية، لا يوجد داع هي تعمل تقصيلات، تعطي أمر موحد لغدة الكظر: أنه في خطر، تصرفي، يأتي الكظر، غدتان فوق الكليتين صغيرتان، اسمهما: الكظران، الكظر يعطي أول أمر للقلب، تتضاعف ضرباته من ثمانين مئة، وعشرين مئة، وثلاثين مئة، وأربعين، يصل إلى مئة وثمانين ضربة، أن الإنسان يريد أن يهجم أو يهرب، في عنده جهد عضلي، الجهد العضلي يحتاج إلى دم، القلب يمشي على ثمانين، الدم يمشي ببطء، نحن نريد دم سريع، يجب أن يضرب مئة وثمانين ضربة، حتى الدم يسرع، هذا أول أمر؛ أمر للقلب، إذا كان القلب سريع، والرئة بطيئة، الدم لا يتتقى من غاز الفحم، فلا بد مع ضربات القلب السريعة، وجيب رتتين سريع.

فتجد الخائف لو أخذ نبضه مئة وثمانين نبضة، ويلهث، لأنه يريد وجيب رتتين، يتناسب مع ضربات القلب.

فأول أمر للقلب، الثاني للرتتين، الثالث: الإنسان هكذا مرتاح، وجهه مورد، لونه زهر، يتألق وجهه، الآن شخص خائف، خائف من الأفعى أو العقرب، يجب أن يهرب، لا يلزمن لون جميل، يلزمن دم كثير، يطلع أمر لكل الأوعية المحيطة بالجسم، تضيق لمعتها، ويتوفر الدم إلى أين؟ للعضلات، خائف يصفر لونه، لماذا اصفر لونه؟ لأن دم المحيط اتجه إلى العضلات، الأمر الثالث: لكل الأوعية الدموية بالمحيط، تضيق لمعتها، نريد سكر وقود، يطلع أمر للكبد، بإفراز مادة سكر إضافية بالدم.

لو فحصنا دم خائف، لوجدنا فيه أربعمئة وحدة سكر بدمه، ليس مئة وخمسة وعشرون، أربعمئة صار، لعل يأكل ضربة سكين، هذا الذي دخل المعركة، ينزف دمه كله من ضربة سكين، يطلع أمر للكبد، بإفراز هرمون التجلط، يصبح الدم لزج، حتى ما ينزف؛ أمر للقلب، أمر للرتتين، أمر للكبد، بإطلاق سكر إضافي، أمر للكبد بإطلاق

هرمون تجلط, أمر للأوعية تضيق, هذا هرمون الكظر, والغدة ما وزنها؟ نصف غرام.
تعطي هرمون النمو, وهرمون الجنس, وهرمون الحليب, وهرمون الولادة, وهرمون توازن السوائل, هرمون الكظر,
وهرمون توازن السوائل؛ الكظر, النمو, الحليب, الولادة, الجنس, الدرقية, نعم:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾

[سورة لقمان الآية:11]

كيف تعرف عظمة الله؟ :

قال: ليس كل مصل يصلي, إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي.

-كيف تعرف عظمة الله؟ لا بد من أن تعرفها, لا بد كي تعرفها, من أن تفكر بخلق الله, لذلك: أرقى عبادة: هي
عبادة التفكير:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

[سورة آل عمران الآية:190]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران الآية:191]

متى يقبل الله سبحانه تعالى الصلاة من العبد؟ :

قال:- إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي.

-كل إنسان في شهوات؛ شهوة الطعام, شهوة الجنس, شهوة المال, شهوة العلو في الأرض, فالمؤمن يضبط
شهواته وفق منهج الله, الكافر دابة فلتانة, تتحرك كما تشتهي, تأكل ما تريد, تنظر إلى من تريد, تلتقي مع من
تريد, تجلس في أي مكان, يذهب إلى أي مكان, يأكل المال من أي طريق, ينفقه في أي طريق, لا يوجد عنده
ضابط المؤمن.

إذا-: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي.

-كل غلط يتوب, المؤمن مذنب تواب, يتوب من قريب, يعني غلط يتوب بعد ساعة, بعد نصف ساعة, بعد دقيقة, أما إذا طال عليه الأمد, يقسو قلبه فلا يتوب, إذا طال عليه الأمد على المعصية, يقسو قلبه فلا يتوب.-

إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي, وأطعم الجائع, وكسا العريان, ورحم المصاب, وأوى الغريب, كل ذلك لي))

بعد ما كف شهواته عن محارمي, له أعمال صالحة, الاستقامة سلبية, أما الأعمال الصالحة إيجابية, الاستقامة ما؛ ما كذب, ما غش, كلها ما, الاستقامة ما نم بين شخصين, ما تكبر, ما دلّس, ما اغتاب, أما العمل الصالح: أعطى, أنفق, نصح, أمر بالمعروف, نهى عن المنكر, أنت بين استقامة وبين عمل صالح, أحياناً: يجمعهما العمل الصالح:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:25]

وأحياناً: إذا افترقا اجتماعاً.

ما معنى الاستقامة؟ وما معنى العمل الصالح؟ ومتى يكون الإخلاص؟ :

إذا قلنا: الاستقامة والعمل الصالح, معنى الاستقامة: ضبط الشهوات وفق منهج الله, والعمل الصالح: البذل في سبيل الله, أما إذا قلنا: العمل الصالح وحده, تشمل الاستقامة.

إذا:

((ليس كل مصل يصلي, إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي, وأطعم الجائع

-هذا العمل الصالح- وكسا العريان, ورحم المصاب, وأوى الغريب.

-نماذج, أما أهم شيء بالاستقامة, والعمل الصالح -كل ذلك لي- أي مخلصاً, الإخلاص عبادة القلب.

((يا معاذ, أخلص دينك يكفك القليل من العمل))

الإخلاص يجعلك في أعلى درجات القرب من الله عز وجل.

((ركعتان من ورع, خير من ألف ركعة من مخطئ))

درهم أنفق في إخلاص, خير من مئة ألف درهم تنفق في رياء, الإخلاص عبادة القلب.

هذا الحديث جامع مانع؛ أركان الإسلام والإيمان:-

إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي, تواضع لعظمتي,
-فكر في الكون, وفي نفسه- وكف شهواته عن محارمي -استقام- ولم يصر على معصيتي -تاب سريعاً- أطمع
الجائع, وكسا العريان, ورحم المصاب, وأوى الغريب -هذه الأعمال الصالحة-, كل ذلك لي.

-الإخلاص إذاً: عرف الله, واستقام على أمره, وتاب من ذنبه سريعاً, وأخلص له, وعمل الأعمال الصالحة.

هذه كرامة العبد الذي تقبل الله منه صلاته :

الآن:- وعزتي وجلالي, إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس.

-بعد ما عرف الله, واستقام, وعمل عمل صالح, وأخلص, وتاب, اتصل بالله, لما اتصل, صار وجهه أضوء من
نور الشمس, واضح.

ما هي آثار الصلاة على وجهها الصحيح؟ :

قال: الآن: ما هي آثار الصلاة الحقيقية؟ آثار الاتصال بالله؟-.

على أن أجعل الجهالة له حلاً -الجهالة كل أنواع الرذائل؛ الغضب, السباب, الشتم, الجمود, اللؤم, هذه كلها
جهالة, لذلك: سمي عصر الجاهلية, الجهالة لها معنيان؛ إما نقص المعلومات, لو طيش التصرفات, كلاهما

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا-

على أن أجعل -يعني كل الصفات الذميمة- الجهالة له حلاً.

-والحلم سيد الأخلاق.

((وكاد الحليم أن يكون نبياً))

على أن أجعل الجهالة له حلاً -سلوكه، يتردد من الظلم إلى الإنصاف؛ كبر، تواضع، طيش، اتزان، تهور،

شجاعة، بخل، صار كريم، غضوب، صار حليم، قاسي، صار رحيم، هذه آثار الصلاة-.

على أن أجعل الجهالة له حلاً، والظلمة نوراً -كان أعمى صار مبصر، كان يرى أنه كسب المال الحرام ذكاء

وشطارة، احتقر ذلك، لأن -دقق بهذه النقطة-: أناساً كثيرين، يرون أخذ أموال الناس بالباطل ذكاء، وحنكة،

وشطارة.

هذه ظلمة الجاهل :

قال له شخص: لي قريب يعمل في تصليح السيارات، له جار، جاء شخص معه سيارة حديثة، غبي، فيها عطل،

قال له: عشرة آلاف، وتحتاج ثلاثة أيام، والعطل ينحل بخمس دقائق، يكلف خمسين ليرة فقط، عنده حاسة

سادسة، صاحب السيارة غبي، وخائف عليها، ومعه مال، قادم من الكويت، قال له: عشرة آلاف وثلاثة أيام، فهذا

الجار القريب سمع الحوار، أول يوم طلع فيها على الزبداني مع أهله، ثاني يوم على المطار، ثالث يوم على

الوادي، عمل ثلاث رحلات مع أهله، رابع يوم سلمه إياها، أخذ عشرة آلاف، ماذا قال له جاره؟.

يا أخي، والله حرام عليك، معقول عشرة آلاف!! قال له: هكذا العمل، هكذا أصول العمل، بعد ثلاثة أيام أخريات،

تدخل نسرة فولاذ -ابنه يعمل بمخرطة- في عينه، يأخذه على بيروت، كانت العملة، الليرة السورية، الليرة بستين

قرش سوري، الليرة لبناني، دفع اثني عشر ألف ليرة لبناني، حتى نزع هذه النسرة من قرنية العين، طلع ذكي؟ ما

طلع ذكي, كل إنسان ينحرف, الله يدفعه الثمن باهظ, لكن لا يعرف.

تتمة آثار الصلاة على وجهها الصحيح :

((إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي, وأطعم الجائع, وكسا العريان, ورحم المصاب, وآوى الغريب, كل ذلك لي, وعزتي وجلالي, إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس, على أن أجعل الجهالة له حلاً, والظلمة نوراً, يدعوني فألبيه, يسألني فأعطيه, يقسم علي فأبره, أكلؤه بقربي, وأستحفظه ملائكتي, مثله عندي كمثل الفردوس لا يُمس شرها, ولا يتغير حالها))

أعيد على مسامعكم: وصلنا إلى-: أن أجعل الجهالة له حلاً, والظلمة نوراً-أبصر, رأى الحق حقاً فاتبعه, ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه, تبدلت أخلاقه, وصحت رؤيته.

أحد أكبر ثمار الصلاة: صحة الرؤيا, وتبدل الأخلاق:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

الآن إضافة, إضافة إلى ذلك-: يدعوني فألبيه, يسألني فأعطيه, يقسم علي فأبره, أكلؤه بقربي, وأستحفظه ملائكتي, مثله عندي كمثل الفردوس لا يُمس شرها, ولا يتغير حالها))

خاتمة القول :

هذا الحديث القدسي, نصه الكامل:

((ليس كل مصل يصلي, إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي, وكف شهواته عن محارمي, ولم يصر على معصيتي, وأطعم الجائع, وكسا العريان, ورحم المصاب, وآوى الغريب, كل ذلك لي, وعزتي وجلالي, إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس, على أن أجعل الجهالة له حلاً, والظلمة نوراً, يدعوني فألبيه, يسألني فأعطيه, يقسم علي فأبره, أكلؤه بقربي, وأستحفظه ملائكتي, مثله عندي كمثل الفردوس لا يُمس شرها, ولا يتغير حالها))

كأن هذا الحديث القدسي، جمع أركان الإسلام والإيمان؛ معرفة بالله، استقامة على أمره، توبة سريعة، عمل صالح، إخلاص الثمار، تبدل الأخلاق، وتبدل الرؤيا، والدعاء المستجاب، والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-31} : خواطر إيمانية حول آيات سورة الفرقان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-11-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل يوجد إنسان في الحياة من دون عمل؟ :

أيها الأخوة الكرام، في ذهني حديث شريف، هيأته لكم محوراً لهذا الدرس، ولكن الآيات الكريمة التي قرئت في صلاة المغرب، تأثرت بها تأثراً كبيراً، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها.

ربنا عز وجل في سورة الفرقان يقول:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

كل إنسان له عمل؛ في عمل تجاري، عمل صناعي، عمل زراعي، عمل دعوي، في عمل نفعي، عمل أساسه المتعة، لا يوجد إنسان مخلوق إلا ويتحرك، الحركة من لوازم الحياة، ولأنك تتحرك لك عمل، أنت مخلوق متحرك؛ لأنه في شهوات، وفي دوافع، وفي حاجات، فالشهوات، والدوافع، والحاجات تدفعك إلى الحركة، والحركة عمل، وكل إنسان حجمه عند الله بحجم عمله.

فلان بالتجارة؛ تاجر صدوق أمين هذا عمل، تاجر خائن كذاب هذا عمل، متقن نصوح هذا عمل، صانع يغش ويكذب هذا عمل، إنسان يدعو إلى الله بإخلاص هذا عمل، إنسان يتخذ الدين حرفة هذا عمل، إنسان يبني زواجه على ظلم الزوجة هذا عمل، إنسان يبني زواجه على الإنصاف مع الزوجة هذا عمل، إنسان ينجب أولاد ولا يربيهم هذا عمل، إنسان ينجب أولاد ويربيهم هذا عمل، لأنك إنسان تتحرك لك عمل.

الآن: الأعمال كبيرة وصغيرة، سامية وقذرة، يعني في ألف عمل مبني على الاحتيال، ألف عمل مبني على أنقاض الآخرين؛ يمكن أن تبني ثروتك على أنقاض الآخرين، يمكن أن تبني ثروتك على إفقار الآخرين، يمكن أن تبني مجدك على إذلال الآخرين، يمكن أن تبني أمنك على إخافة الآخرين، يمكن أن تتاجر، وأن تبيع، وأن تسعد، وأن ترقى عند الله، ويمكن أن تتاجر بمواد محرمة، تفسد فيها أخلاق المسلمين، يمكن أن تتاجر بأشياء حرمها الله عز وجل، ويمكن أن تتاجر بأشياء أحلها الله، ولكن بطريقة حرمها الله

يعني: أنت كائن متحرك، والحركة من لوازمها العمل، والعمل قد يكون كبير، وقد يكون صغير، قد تدير أكبر شركة في العالم، وقد تبيع حاجات على بسطة، هذا عمل صغير، وهذا عمل كبير، وقد يكون لك عمل يفوق حد الخيال.

ماذا تستنبط من هذه النقطة؟ :

ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام؟ جاء إلى الدنيا، وعاش ثلاثة وستين عاماً، ثم خرج منها، ماذا فعل؟.

ترك هداية عمت الأرض، وكل المؤمنين إلى يوم القيامة في صحيفته.

الله ﷻ أقسم بعمره. قال له:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر الآية:72]

لم يخاطبه باسمه، قال له: يا أيها النبي، ويا أيها الرسول، قال: يا عيسى بن مريم، قال: يا يحيى فقط، لم يقل يا محمد، قال: محمد خيراً لا مخاطبة.

والنبي فعل عمل، وسيدنا الصديق فعل عمل، ومحمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية، وخمسة وثمانون مليون مسلم بصحيفته هذا عمل، وسيدنا أبو حنيفة له عمل عظيم، أسس الفقه، سيدنا الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وسيدنا صلاح الدين: رد أوروبا بأكملها هذا عمل، وسيدنا عمر كان من أعدل الحكام المسلمين، جاع، اشتهى اللحم، خاطب بطنه قال له: قرقر أيها البطن أو لا تقرقر، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين.

أريد أن أقول لكم أيها الأخوة: ما منا واحد إلا وله عمل في بيته، علاقته بزوجته، بأولاده، بأمه، بأبيه، بجيرانه، بأخواته، بأخوته، بأعمامه، بأخواله، بقرابته، بزيائنه، بمن هم فوقه، بمن هم دونه، في علاقة، العلاقة عمل، الأعمال العظيمة بنظر الناس

الذي وصل إلى القمر، أربعة وعشرون ألف مليون دولار كلفونه، علم الأرض مسخر لهذه المركبة، ماذا فعل؟ الذين أطلقوها اكتسبوا مجداً، ولكن الشعوب تتن من الجوع.

هل هذه الأعمال المادية التي تقوم في الدنيا لها قيمة عند الله؟:

فيا أيها الأخوة، الآية الكريمة:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾

-الكفار-:

﴿مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

يعني: تصور في تحت المنش طريق، تحت بحر المنش، طوله ستة وخمسون كيلو متر، تمر به السيارات، والشاحنات، والقاطرات، و تحت البحر، هذا عمل عظيم.

تصور في بحر الشمال في بئر نبط في البحر، منصة في البحر، حسناً: كيف حفروا قاع البحر؟ وكيف ربطوا الأنابيب؟ وكيف صبوا الإسمنت وسط الماء؟ وكيف استخراج النفط؟ هذا عمل.

في أعمال عظيمة، في أبنية شاهقة، الأهرامات قليلة؟ الأهرامات كلها حجر، قدر نصف الجامع، جيء به من أسوان، حسناً: كيف نقلوه؟ في هندسة راقية جداً، هذا الهرم قبر لفرعون، تدخله الشمس في السنة يوماً واحداً.

تستطيع أن تساوي أنت نافذة, زاوية معينة, بحيث أن الشمس لا تدخل لهذا الأهرام إلا يوم في العام؟ هذا فوق طاقة البشر, هذا عمل.

اسمع القرآن الكريم ماذا يقول؟:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

جسر في استانبول فوق البوسفور, تمشي تحته أكبر باخرة في العالم, ارتفاعه خمسة وستون متر عن سطح البحر, طوله ألف متر, وأربعة وستون, وارتفاع أعمدته التي على اليابسة مئة وخمسة وستون متر, مُعلق بجبال أربعة مسارات بأربعة مسارات, مسارين بالنص, هذا عمل عظيم, ربط قارتين بأكملهما. الله عز وجل قال:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

ممكن تتصل بالأقمار الصناعية بهاتف فضائي, ممكن أن ترى الشخص بالهاتف, هاتف تلفاز, ممكن أن تنقل الأخبار عبر الفاكس, هذا ليس عمل؟ في إنجازات علمية هائلة, أما الإنسان شقي, الإنسان مسحوق, الإنسان في ظلم شديد. قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

في أبنية بأمريكا, مئة وأربعة وعشرون طابق الآن, يعني رقم أولندي, هذه الأعمال المادية التي هي للدنيا لا قيمة لها, أما الأعمال العظيمة هي التي تبقى بعد الموت, تبقى بعد الموت.

شخص وافته المنية ولم يتمتع من عمله الذي حققه :

إنسان اشترى بلاطة بشارع برلين, بلاطة, ليس بيتاً واحداً, بيتين, مكسيين, كسر البلاطة, قلع السيراميك, قلع النوافذ, أرجع البيتين على العظم, وكساهم كسوة بأعلى مستوى, يعني تفوق حد الخيال؛ يعني الرخام الأونيكس,

البلاط, الرخام الإيطالي المستورد, النوافذ, الأقواس, البللور المزدوج, الحمامات, بقي يكسو هذين البيتين سنتين بأكملهما, فلما انتهى من كسوتهما, وافته المنية بعد أسبوع واحد:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

العمل الذي ينتهي عند الموت لا قيمة له إطلاقاً.

لا تكن بليد المشاعر, هذه هي الحقيقة :

ما مرة حضرت تعزية, بيت فخم جداً, ثمنه ستون مليون, ثمانون كيلو متر؟.

قال: في مئة وعشرين

قال لي شخص البارحة: في مئتين وأربعين مليون بيت في الشام, حسناً: صاحبه إذا مات, أين يجلس؟ في باب صغير, كم متر؟ هذا عمل, اشترى البيت, أسسه, زيناه.

في شخص قال لي: يوجد عنده خمسة طون جبصين في بيته, طابقين, بالمالكي, مات بخمس دقائق, من أكبر التجار, ترك ألفي مليون, هذا عمل.

من هم المفلحون, ومن هم الخاسرون؟ :

أخواننا الكرام, آية خطيرة جداً:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

لا قيمة له, أما أصحاب الجنة. قال:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:24]

هؤلاء الأذكياء, هؤلاء المتفوقون, هؤلاء المفلحون, هؤلاء الناجحون, هؤلاء العقلاء, هؤلاء الذين عرفوا الله, هؤلاء الذين عرفوا سر وجودهم, عرفوا غاية وجودهم, عرفوا ربهم, أطاعوا ربهم, أنفقوا مالهم:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:24]

فكل إنسان -أيها الأخوة- يعمل للدنيا خاسر, لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

خاسر, أية خسارة تلك؟ الزمن يمضي؛ سبت, أحد, اثنين, ثلاثاء, أربعاء, خميس, يقول: انتهى درس السبت أين؟ للسبت القادم, يغمض يفتح يوم السبت, عندك درس بالأحمدية, تنزل أول جمعة, الثانية, الثالثة, انتهى الشهر, أول شهر,

ثاني, ثالث, انتهى العام.

كلكم عاصرتم سنة سبع وستين, ثمان وستين, تسع وستين, سبعين, سبعين صار, واحد وسبعين, للأخير ثمان وسبعين, تسع وسبعين, ثمانين, الآن تسعين, ست وتسعين, سبع وتسعين بعد شهر, بعد ذلك ألفين, بعد ذلك رحمة الله عليكم, كلنا على هذا الطريق:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

ما الذي ينفعنا؟ أن تؤمن بالله، وهذه جلسة إيمان، وأن تعمل صالحاً استقامة، وتضحية، وأن تتواصى بالحق، وأن تتواصى بالصبر، هذا الذي لا يخسر، وما سوى ذلك كلنا في خسارة.

من أمثلة الخسارة بالمفهوم القرآني وليس بالمفهوم المادي :

أيها الأخوة، افتح الدرج، والله جيد، الغلة جيدة اليوم، باع بثلاثة ملايين؛ لكن علمك بالله ما ازداد، وصلاتك ما ازدادت، وما دعيت لله، وما نصحت إنسان، وما خسرت خسارة، ثلاثة ملايين خسارة، الله صادق لأنه. الله قال:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

بثلاثة ملايين خاسر.

حسناً: أنا في عندي أرض تنظمت، صار ثمنها اثنا عشر مليون، أخذتها بثمانية آلاف مثلاً، خاسر.

أنا وكيل شركة حصري، والبيع حتمي، مادة غذائية أساسية، خاسر.

حسناً: أنا في عندي ثمانية أولاد، ثلاثة أطباء، وخمسة مهندسين، نعم، لكن لم يعرفوا الله، خاسر.

أنا في عندي زوجة من أندر الزوجات، يقول لك: لا يوجد أفضل منها، ولا يتواجد مثلها بمليون امرأة واحدة فقط؛ إما أن تتركها، وإما أن تتركك خاسر:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

وقفت عند هذه الآية في صلاة المغرب:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾

[سورة الفرقان الآية:24]

ماذا نستنتج من هذا المثل؟ :

البارحة ضربت مثل في درس الجمعة: أن شريكين يعملان في تجارة، أحد الشريكين اقترح أن يتاجر بمواد ممنوعة، فالثاني رفض، فلما رفض فسخت الشراكة، فالأول بقي على المواد الأساسية، النظامية، الشرعية، المسموح بها، والثاني غامر بمواد ممنوعة ومحرمة أيضاً، الثاني اكتشف أمره، وألقي عليه القبض، وأودع في السجن، وسيواجه محكمة، وقد يسجن عشرين عام، الأول ذهب وزاره بعدرا.

ما هو شعور الأول الذي رفض؟ شعور الثاني الذي تورط؟ الأول ازداد ألمه برؤية شريكه الذي نجا، أليس كذلك؟.

الله عز وجل قال:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

[سورة التغابن الآية:9]

ما هو الغبن؟ أن تشعر بالخسارة الكبيرة، فلما الإنسان يؤسس عمل عظيم في نظر الناس، أما عند الله ليس بعظيم، ويأتيه الموت، هذا يقع في خسارة كبيرة، أما أصحاب الجنة الذين عرفوا الله في الدنيا، وطبقوا منهجه في

الدنيا، وتقربوا إليه في الدنيا، هؤلاء:

﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:24]

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:27]

حسرة :

في أشخاص لا يتفاعلون مع الدين إطلاقاً؛ لا يصلون، ولا يصومون، ولا يدخلون المساجد إطلاقاً، ولا يصغون إلى القرآن في التعازي إطلاقاً. قال:

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:27]

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:28]

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

[سورة الفرقان الآية:29]

هذه حالة الندم التي تصيب الإنسان يوم القيامة، حالة صعبة جداً، لأن أي خسارة في الدنيا تعوض.

تجار كثيرون فلسوا، ثم وقفوا بعد أن فلسوا، وقفوا على أقدامهم وربحوا، وعادوا أغنياء مرة ثانية، إلا أن الغلط يوم القيامة لا يصحح، الغلط لا يصحح، فلذلك: الإنسان قبل أن يعرض على يديه، ويقول:

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:28]

تاجر من حلب, من كبار التجار, مدمن خمر, فذهب ليحج, وتاب إلى الله, عاد, جالس بجلسة مع أصدقائه القدامى, وأداروا المشروب, هو طبعاً امتنع امتناع, قال له شخص: الحجة كم كلفتك؟ قال له: خمسون ألف, قال له: هذه خمسون ألف, اشرب, دفع له قيمتها وشرب:

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:28]

مطعم بدمشق يبيع خمر, أيضاً حج, وتاب صاحبه, عاد, وجد الزبائن خفوا كثيراً, له صديق استشاره, قال له: أرجع البيرا, أرجع الخمر, بعد اثني عشر يوماً وافته المنية, وهو يبيع الخمر. فيا أيها الأخوة:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:27]

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:28]

لا تغفل بما أوصاك به نبيك وقرآنك :

أخواننا الكرام, لا تنس حديث رسول الله -ﷺ-:

((لا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

لا تصاحب إنسان غافل, إن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

قضية بحث :

وقال:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

[سورة لقمان الآية:15]

يجب أن تبحث عن الأصدقاء بعناية فائقة, يجب أن تبحث عن صديق ينهض بك إلى الله حاله, ويدلك على الله مقاله, إذا تكلم ذلك على الله, وإن أحببته نهض بك إلى الله, هذا الصديق الذي ينبغي أن تصاحبه, لذلك قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

وقال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة الآية:71]

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

يتعاونون, يتناصحون, يتبادلون, يتجالسون, يتزاورون.

ورد في الحديث القدسي أن:

((وجبت محبتي للمتحابين في, والمتجالسين في, والمتبادلين في, والمتحابون في, حلالي على منابر من نور, يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة))

لا تبث همك إلا لمؤمن :

قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾

بالمناسبة: يعني قال:

((من اشتكى إلى مؤمن فكأنما اشتكى إلى الله, ومن اشتكى إلى كافر فكأنما اشتكى على الله))

لا تحاول أبداً تبث همومك لكافر, لو كان قريب, لا تحاول تبث همومك لإنسان شارد عن الله, أولاً: يشمت بك, وثانياً: يدلك على طريق المعصية, يدلك على الدنيا لا على الآخرة, أما المؤمن يشكو همه أحياناً لمن؟ للمؤمن؛ إن اشتكى إلى مؤمن, فكأنما اشتكى إلى الله, أما إذا اشتكى إلى كافر, فكأنما اشتكى على الله.

هذا حال المؤمن بين الاستشارة والاستخارة :

وفي حديث صحيح: يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما ندم من استشار, ولا خاب من استخار))

الاستشارة لمن؟ للمؤمنين, والاستشارة لمن؟ لله رب العالمين. قال:

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾

[سورة الفرقان الآية:29]

لا تبني علاقتك على أساس دنيوي وإنما على أساس إيماني :

في آية أخرى:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الزخرف الآية:67]

لا تبني علاقتك على أساس دنيوي, ولا على أساس مصلحي, ابن علاقاتك على أساس إيمان, ليكن أحبابك, وأصدقاءك من المؤمنين؛ لأنهم إن نسيت ذكرك, وإن ذكرت أعانوك, وإن غفلت نبهوك, وإن خرجت عن منهج الله أعادوك, وإن ضاقت بك الدنيا صبروك, وإن أقبلت على الله شجعوك, لذلك:

((الجماعة رحمة والفرقة عذاب))

هؤلاء هم الخطاء :

قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

[سورة الفرقان الآية:29]

معنى: هذا الخليل شيطان.

الآية الكريمة:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة ص الآية:23]

فإذا الإنسان خليله ليس مؤمناً، سيبغي عليه بإخبار الله له، لا تفرح بصداقة عابرة، كل صداقة لها شهر عسل، بعد حين: ستتكشف العلاقات عن أنياب مفترسة.

لا تكن مثل هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً فوصفهم الله بما وصفهم :

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:30]

مطبوع، ومجلد أحلى تجليد، وقد وضعناه في غرف النوم، في بيت حرير مزركش، وفي محلات تجارية؛ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وآيات جميلة في المساجد، وفي المحلات، وفي البيوت، وآية الكرسي بلوحة بأكملها، طبعاً مزركشة، مزينة، مذهبة، وأحياناً القرآن كله في لوحة، ومع ذلك:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:30]

هذا إذا ما طبق مهجور، لا ينفعنا، لأن بني إسرائيل وصفهم الله عز وجل وصفاً شنيعاً. قال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة الآية:5]

إذا الإنسان سمع قرآن، وقرأ قرآن، وعلق قرآن في الحائط، وضع قرآن في جيبه، وضعه في تابلو السيارة، واعتنى فيه، وزينه، ولم يطبقه، هذا اتخذ القرآن مهجوراً، هذا عند الله كبني إسرائيل:

﴿حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة الآية:5]

ما دمت مؤمناً فلك خصوم :

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:31]

يعني: اطمئن, ما دمت مؤمناً فلك خصوم, هكذا طبيعة الحياة.

((الناس رجلان؛ بر تقي كريم على الله عز وجل, وفاجر شقي هين على الله عز وجل))

[أخرجه الترمذي في سننه]

فلا بد من أن تكون واعياً, وأن تكون صاحبياً.

نهاية المطاف :

يا أيها الأخوة, يعني في مجلس علم, وأنتم في بيت من بيوت الله, دائماً تذكر هذا الحديث:

((إن بيوتي في الأرض المساجد, وإن زوارها هم عمارها, فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني, وحق على المزور أن يكرم الزائر))

أحياناً: يكرمك بسكينة:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الفتح الآية:26]

إنزال السكينة على قلب المؤمن شيء لا يصدق؛ شعور بالراحة, شعور بالأمن, شعور بالرضا, شعور بالأمل,

هذه السكينة أحد الضيافات التي تقدم لك في المسجد, تخرج مرتاح, تصلي في المسجد, تسمع درس علم, تخرج مرتاح, لأنك تطلب العلم, ولأنك تتأدب مع الله عز وجل. إذا:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:31]

أيها الأخوة:

((من أصبح وأكبر همه الدنيا, جعل الله فقره بين عينيه, وشنت عليه شمله, ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له, ومن أصبح وأكبر همه الآخرة, جعل الله غناه في قلبه, وجمع عليه شمله, وأتته الدنيا وهي راغمة))

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-32} : ضرورة التقيد بكتاب الله وسنة رسوله في العبادات

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 30-11-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حديث نعلم عليه في حلقتنا هذه :

أيها الأخوة المؤمنون, في سنن الدرامي - وهو من الكتب الصحيحة في الحديث الشريف - حديث ذو دلالة دقيقة وعميقة وخطيرة.

يقول:

((أخبرنا الحكم بن المبارك, أخبرنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه, قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود - وهو من الصحابة الكبار - قبل صلاة الغداة, فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد.

-من أدبهم الجم: أنهم لم يكونوا يطرقون بابه, يقفون أمام الباب, أو يجلسون حول الباب, فإذا خرج, مشوا معه إلى المسجد-.

فجاءنا أبو موسى الأشعري, فقال: أخرج إليكم -يعني عبد الله- أبو عبد الرحمن - هذه كنية عبد الله بن مسعود.

كلكم يعلم: أن الإنسان له اسم, وله لقب, وله كنية, وله نسب.

سيدنا عمر اسمه عمر, كنيته أبو حفص, لقبه الفاروق, نسبه القرشي؛ القرشي نسب, الفاروق لقب, أبو حفص كنية, اسمه عمر.

هناك أشخاص كثيرون، يتألمون أشد الألم، لو ناديتهم بأسمائهم، أما إذا ناديتهم بكنائهم يرتاحون، هذا شيء عرف، لكن الحقيقة: أن الله سبحانه وتعالى لم يسم أحداً بكنيته في القرآن، إلا أبا لهب، قال:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية:1]

بينما أنبيأؤه: يا يحيى، يا عيسى، يا موسى، محمد رسول الله، الأنبياء العظام سماهم بأسمائهم، أما أبو لهب ناداه بكنيته، فإذا الإنسان نودي باسمه، لا ينبغي أن يتألم-.

فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: بعدُ -لا لم يخرج- فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً.

تفرقة لم يعرفها المسلمون من قبل :

-ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا -أي ليس من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ليس من المسلمين- من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقاً))

أنا مرة بأم عيني، كنت في أحد المحلات التجارية التي تتبع الأقمشة، وكان يوم عطلة ، فابن صاحب المحل في المحل، ابنه في الصف الثامن، وشاءت الصدفة أن عنده صانع في سن ابنه تماماً، فحمل هذا الصانع الأثواب الواحد تلو الآخر، إلى درجة أنه لا يقوى على حملها، قال له: أنت شاب، فحملة مزيداً من هذه الأثواب، فلما أمسك ابنه ثوباً واحداً ليرفعه، انتبه ظهرك بابا، انتبه.

أرأيتم إلى هذه التفرقة؛ ابنه يخاف عليه، أما ابن الناس يحمله فوق طاقته، ليس هذا من الإيمان، ابنه يريد طبيباً، يضع له خمسمئة ألف ليرة دروس خاصة، أما عنده صانع يتيم ، رجاه أن يغادر المحل قبل نصف ساعة، ليحلق دورة مسائية رفض، يقول لك: إذا تعلم لا يبقى عندي، لأبقيه جاهلاً، هؤلاء سوف يحاسبون حساباً عسيراً؛ لن تكون مؤمناً إلا إذا عاملت الناس جميعاً كما تعامل نفسك، لن تكون مؤمناً إلا إذا عاملت أولاد الناس كما تعامل أولادك-.

ماذا رأى الأشعري في مسجد رسول الله ﷺ؟ :

قال: فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى الأشعري: يا أبا عبد الرحمن -من هو أبو عبد الرحمن؟ عبد الله بن مسعود- إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، -ماذا رأيت؟- ولم أر -والحمد لله- إلا خيراً.

-ماذا رأيت في المسجد، في مسجد النبي؟- قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاتاً جلوساً، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة مرة فيكبرون، هللوا مئة مرة فيهللون.

-ما معنى هلل؟ الله أكبر، سبحة؟ سبحان الله، دمعز؟ لا، أدام الله عزك، حوقل؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، حيهلة؟ حي على الفلاح، كبر؟ الله أكبر.

كبر: الله أكبر، سبحة قال: سبحان الله، حيهلة قال: حي على الفلاح، حوقلة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، دمعز: أدام الله عزك. هذا اسمه في اللغة النحت، تُنحت كلمة من عدة كلمات، نعم.

من باب الطرف: إذا واحد يميل للمذهب الحنفي والشافعي معاً، نقول له: حنفشعي، هذا حنفشعي نحت، هذا باب النحت في اللغة-.

فمعهم حصى؛ كبروا مئة مرة فيكبرون، هللوا مئة مرة فيهللون، سبحوا مئة مرة فيسبحون.

-يعني: فعلوا شيئاً ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام.

هذا ما نجده في الناس اليوم :

نحن الآن أحياناً: نجد أناس يلبسون طرابيش، بنية اللون طويلة، ويلبسون ثياب، إذا داروا سريعاً أصبحت كالخيمة، ويضربون المزامير والطبول، هذا هو الإسلام؟ بهذه الطريقة فتحت بلاد العالم؟ قد تدخل إلى حضرات؛ يرتفعون، وينخفضون، ويقفزون، شيء غير

هكذا فعل النبي؟ أناس يأخذون الشيش يضرّيون أنفسهم, أناس يربون الأفاعي, هذا هو الدين؟ الدين أفاعي, الدين شيش, الدين رقص, الدين حضرات, الدين غناء, الدين أناشيد, لا.

((رهبان في الليل فرسان في النهار))

((علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء))

هكذا كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام, من أين بدأ التغيير؟.

مئة بحصة؛ سبحوا مئة يسبحون, كبروا مئة يكبرون, هللوا مئة يهللون, هذا الذي رآه , والذي لم يكن على عهد رسول الله ﷺ.

قاعدة :

يقول بعض أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام: أول بدعة ابتدعتها المسلمون بعد وفاة رسول الله: الشبع؛ يأكلون فيشبعون, ونحن قوم لا نأكل حتى نجوع, وإذا أكلنا لا نشبع.

لكن بعضهم فهم هذا النص فهما آخر: يعني نأكل كثيراً ولا نشبع -ليس هذا هو المعنى- وإذا أكلنا ننسحب عن الطعام, وفي نفسنا أن نتابع الطعام.

لذلك قالوا: اجلس إلى الطعام وأنت تشتهي, وارفع يدك عنه وأنت تشتهي, تكلم إلى الناس وهم يشتهون أن تتكلم, واسكت وهم يشتهون أن تتابع, هذه قاعدة, نعم-.

بماذا أجاب الأشعري ابن مسعود بشأن سؤاله؟ :

فقال أبو عبد الرحمن لأبي موسى الأشعري: ماذا قلت لهم أنت؟ قال: ما قلت لهم شيئاً, انتظر رأيك -أنت الذي توجهنا-, إنهم ابتدعوا بدعة لم تكن من قبل-.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم, وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء؟ -الحسنات مضمونة أما-.

أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم, وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه.

هذا ما قاله ابن مسعود لتلك الحلقة :

-الحقيقة: أنا ذكرت هذا الحديث, لأنه حينما نبتعد عن منهج الله ولو قليلاً, دققوا في الزاوية, زاوية مقدارها درجتين, مدد خطوطها, بعد متر تصبح عشرة سانتى, بعد مترين عشرين سانتى, يمكن زاوية مقدارها درجة واحدة, بعد مئة كيلو متر تصبح ألف كيلو متر, هكذا فالخطأ يبدأ صغيراً ويتفاقم, نحن ما عندنا حل وسط, الله ﷻ يقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة المائدة الآية:3]

أية زيادة على منهج الله, أو أي حذف منه هو اتهام ضمنى لهذا الدين, لأنه ناقص وأنت تكمله.

فهذه الآية أصل: في أنه لا يجوز أن نضيف على هذا الدين شيئاً, كما أنه لا يجوز أن ننزع من هذا الدين شيئاً, الإضافة عليه بدعة وحذف شيء منه بدعة, الإضافة عليه تعني: أن هناك نقص وأنت كملته, والحذف منه تعني: أن هناك زيادة وأنت تلافيتها, أما دين الله دين كامل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة المائدة الآية:3]

ثم مضى ومضينا معه, حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف.

-الحقيقة: أكثر الناس يقولون: حلق خطأ, صوابها: حلق, حلق بتسكين اللام, جمعها حلق وحلقات.

أكثر الناس يقول لك: المحلق الجنوبي, المحلق نحو السماء, حلق يُحلق محلّقاً, صوابها المتحلّق الجنوبي, من حلق, لا تقل: المحلق, المحلق طيران, قل: المتحلّق من الحلقة التي تحيط بالمدينة, يوجد عندنا متحلّق جنوبي

ومتحلّق شمالي, في أخطاء كثيرة باللغة.

معظم أطباء دمشق: إخصائي في أمراض الصدر, يعني الذي يُخصي, الإخصائي في اللغة: الذي يخصي, صوابها الاختصاصي, لا تقل: إخصائي, إخصاء معروف, النسبة إليه إخصائي, نعم.

لا تقل: تجارُب, التجارُب: العدوى بالجرب, قل: تجارب, إلى آخره-.

ثم مضى ومضينا, حتى أتى حلقة من تلك الحلق, فوقف عليهم, فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن, حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح, -ماذا فعلنا؟- قال: فعدوا سيئاتكم, فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء.

-يعني سيدنا ابن مسعود: ما أراد أن نحيد عن منهج النبي, ما أراد أن نضيف عن العبادات شيئاً, ما أراد أن نحذف من الدين شيئاً.

هذا هو دين الله سبحانه وتعالى :

أخواننا الكرام, الدين الذي جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-, جاء به من عند الخالق, وخالقنا جل شأنه حكيم عليم خبير, رحيم لطيف قوي, فهذا المنهج متوازن, قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:286]

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:286]

يعني: كل أوامر الله عز وجل وفق وسع النفس, وأي إنسان يقول: هذا الأمر فوق طاقتي, إنه يكذب كلام الله, هل تدري حينما تقول: غض البصر فوق طاقتي, أنك تكذب كلام الله؟ لأن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور الآية:30]

وقال:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:286]

كلفنا أن نغض أبصارنا, وربنا لا يكلفنا إلا وسعنا, فإذا قلت: لا أستطيع, معنى ذلك: أنك تكذب كلام الله, فهذا طرح مرفوض, أن تقول: الدين صعب, الذين يحتاج إلى زمان غير هذا الزمان, لا؛ الله ﷻ رب كل الناس, ورب كل البلاد, ورب كل العباد, ورب كل العصور والدهور, فإنه الصحابة إلهنا, والظروف متنوعة لكنها واحدة.

مثل في مكانه :

يعني: أنتم هل تصدقون: أن إنساناً يدخل لمسجد, يرى أناساً يعدون التسبيح بالحصى, فعلوا شيئاً من البدع؟ لأن هذا يتفاهم.

الحقيقة: لما نجد في آخر الزمان, أشياء من الدين لا علاقة لها بالدين إطلاقاً.

أنا سأضع لكم هذا المثل: لا سمح الله ولا قدر: لو أن أحدنا مصاب بالأم بالمعدة شديدة جداً, يعني بواذر قرحة, أو التهاب المعدة حاد, كل شيء تنقيؤه, وآلام لا تحتمل, ذهب إلى طبيب اختصاصي, -لا أقول: إخصائي- بالهضم, هذا الطبيب ما إن دخل عليه, حتى نصب سلمات, وربط حبالاً بين الجدارين, ومشى على الحبل, وأمسك العصا بيديه يتوازن؟ هذا المريض شبه, حركات معقدة جداً, إنسان يمشي على حبل, يستطيع؟.

لو أن هذا المريض وهو يتلوى ألماً, شبه بهذا المريض, الطبيب ماذا أفاده؟ ما أفاده شيئاً, هل مهمة الطبيب أن يمشي على حبل, أم أن يعطيهم الدواء؟.

حسناً: أنا حينما أجلس أمام إنسان؛ أنا ماذا أفادني هذا الإنسان؟ أين منهج الله؟ أين أمره ونهيه؟ أين سيرة نبيه؟ أين سنة نبيه؟ أين الحلال والحرام؟ أين الخير والشر؟ ماذا ينبغي أن أعتقد؟ ماذا ينبغي أن أفعل؟ كيف أتزوج؟ كيف أتاجر؟ كيف أبيع؟ كيف أشتري؟ أنا لست بحاجة إلى من يعطيني حركات بهلوانية، لينتزع إعجابي، ولا يعلمني أمر ديني، لست بحاجة؛ لا إلى حضرة، ولا إلى ضرب شيش، ولا إلى ميلوية، نحن بحاجة إلى منهج نسير عليه، نحن بحاجة إلى أن تحل مشكلاتنا، نحن بحاجة إلى أن نعرف الله، إلى أن نستقيم على أمره، إلى أن نتقرب إليه، إلى أن نصل إليه، هذا هو الدين-.

كيف نفهم هذا النص؟ :

فقال عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن: ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم -ﷺ- متواترون -أصحاب النبي بينكم- وهذه ثيابه لم تبُلْ بعد، وأنيته لم تكسر -آنية النبي عليه الصلاة والسلام موجودة، وثيابه موجودة، وأصحابه موجودون- وتبتدعون في العبادة شيئاً ما فعله النبي؟ والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد.

-كيف نفهم هذا النص؟.

يعني: إذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- أحرم للحج من هذا المكان، أنت أحرمت قبله، يعني أنت أروع منه؟ أنت أهدى منه؟ إذا فعلت شيئاً ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، إنك تدعي أنك أروع منه.

ورع لم نعرفه من قبل :

أنا أعرف رجل، تزوج امرأة فرفض أن يرى أمها، قال: ورعاً، يعني أنت أروع من النبي؟ النبي سمح لنا أن نرى أم زوجتنا، وأنت أروع منه؟ لم يسمح لوالدة زوجته أن يلتقي بها، أبداً ورع.

يروى: أن إنساناً تزوج امرأة، يعني بيت عربي، فهي في أرض الديار، تضع غطاء، لك يا بنة الحلال، لماذا هذا الغطاء؟ أنا زوجك، وأنت في بيت، ونحن وجدنا؟ قال: العصافير، لا، هذه مشكلة، حسناً.

دخل معها إلى الغرفة، انزعي هذا الغطاء، الملائكة، ليس لها حل، فلما سافر وراقب البيت، فإذا رجال يدخلون

ويخرجون بغيبته, فهذا الورع المفتعل.

سيدنا عمر, سيدنا عمر كان يطوف حول البيت, في رجل رأى لوزة, فصاح بملء فمه: من صاحب اللوزة؟ من صاحب اللوزة؟ من صاحب اللوزة؟ فقال عمر -رضي الله عنه, كان ذكياً- قال له: كلها يا صاحب الورع الكاذب.

كلها وخلصنا منها.

كلها يا صاحب الورع الكاذب.

فلما الإنسان يفعل شيئاً ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام, يعمل مزودة, يوهم الناس أنه أروع من النبي عليه الصلاة والسلام.

لم!!!!؟:

ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟:

((أشدكم لله خشية أنا؛ أنا وأقوم))

يقول لك الإمام الفلاني: صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً, لا تصدقه, لا تصدقه, تستطيع تسهر ليلتين وراء بعضهم؟ يهتز كيائك ثاني يوم, يستطيع إنسان الآن يسهر ليلتين للفجر ثاني يوم, بالعمل تتوازن؟.

قصة أحجمت عن روايتها حتى عثرت على نص آخر لها :

أربعون سنة صلى الفجر بوضوء العشاء, لا ينام الليل؟.

والله قصة أحجمت عن روايتها, تقريباً خمس سنوات لا أرويتها.

سيدنا عمر جاءه رسول من أذربيجان, من عامله على أذربيجان, هذا الرسول وصل المدينة ليلاً في منتصف الليل, فمن شدة أدبه مع خليفة المسلمين: كره أن يطرق بابه ليلاً, فتوجه إلى المسجد, سمع من المسجد رجل يصلي, ويقول: ربي هل قبلت نفسي فأهنئها, أم رددتها فأعزيها؟ قال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر.

-الذي, الذي أراد ألا يزعجه في الليل, رآه يصلي في المسجد-, قال له: يا أمير المؤمنين, ألا تنام الليل؟ قال له: إنني إن نمت ليلتي أضعت رعيّتي.

حسب النص: لا ينام, لا في الليل, ولا في النهار, ليس منطوق, هذا الشيء فوق طاقة البشر.

هذه القصة أحجمت عن روايتها خمس سنوات, غير منطقية, إلى أن عثرت على نص آخر لها, قال له: إنني إن نمت ليلتي كله أضعت نفسي أمام ربي -كلها وضحت-, إنني إن نمت ليلتي كله أضعت نفسي أمام ربي, وإن نمت نهاري أضعت رعيّتي.

فقط واضحة, هذا الشيء واقعي, الواقع دائماً أقوى شيء, بل إن الجهل: هو أن تخالف الواقع.

من تعريف العلم: الوصف المطابق للواقع مع الدليل-.

دل على موضع الشاهد في هذا الكلام :

ما أسرع هلكتكم, هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ- متواترون, وهذه ثيابه لم تبل, وآنيته لم تكسر, والذي نفسي بيده, إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد.

-قال:

((أشدكم لله خشية أنا؛ أنام وأقوم, أصوم وأفطر, أتزوج النساء, أكل اللحم, هذه سنتي, فمن رغب عنها فليس منها))

هذه الواقعية, لذلك: مرة سافرت لبلد إسلامي, التقيت برجل يعني عالم, قيل لي: لم يتزوج, صار في استقهام؟! الزواج سنة, والزواج لا يعيق الإنسان عن دعوته إلى الله, أبداً, بل يعينه, لا يعيقه, بل يعينه-.

إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد, -يعني: أنتم حينما تفعلون شيئاً ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام, لسان حالكم يقول: نحن أهدى من محمد عليه الصلاة والسلام, نحن أروع من محمد عليه الصلاة والسلام, نحن أشد طاعة لله من محمد عليه الصلاة والسلام, هذه مزادة رخيصة, لا تفعل شيئاً ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أروع منك, وأعلم منك, وأشد حباً لله منك, افعل شيئاً فعله النبي عليه الصلاة والسلام, إن لم تكونوا كما تزعمون

أهدى من ملة محمد عليه الصلاة والسلام, إنكم مفتتحو باب ضلالة؛ يا إما تضلون الناس, أو تدعون أنكم أهدى من محمد عليه الصلاة والسلام-.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن, ما أردنا إلا الخير, قال: وكم من مرید للخير لم يصبه؟.

لا تغفل عن هذه الحقيقة :

-يعني: الإمام الفضيل بن عياض قال: العمل لا يُقبل إلا إذا كان خالصاً وصواباً؛ خالصاً ما ابتغي به وجه الله, وصواباً ما وافق السنة.

قال تعالى:

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

[سورة النمل الآية:19]

احفظوا هذه العبارة: العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً وصواباً؛ خالصاً ما ابتغي به وجه الله, وصواباً ما وافق السنة.

تقول: نيتي طيبة, النية الطيبة لا تكفي, لا بد من أن

لو أن إنساناً طبب إنساناً بنية طيبة فموته, ألا يحاسب؟.

ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟:

((من طبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن))

عليه أن يدفع ديته.

أكثر الناس يقول لك: والله هذا الدواء استعمله مني, أنا استعدت عليه, قد يكون الأخ الثاني معه حساسية, معه ضعف قلب, معه مشكلة, تقتله, الدواء لا يوصف إلا من طبيب .

((من طبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن))

النية الطيبة, هل تشفع له النية الطيبة؟ أبدأ, العمل لا يقبل عند الله إلا إذا كان خالصاً وصواباً؛ خالصاً ما ابتغي به وجه الله, وصواباً ما وافق السنة-.

آخر نقطة في الحديث :

قالوا: يا أبا عبد الرحمن, ما أردنا إلا الخير, قال: وكم من مريد للخير لم تصبه؟ إن رسول الله -ﷺ- حدثنا حديثاً: أن قوماً يقرؤون القرآن, لا يجاوز تراقيهم, وإيم الله, ما أدري, لعل أكثرهم منكم, ثم تولى عنهم, فقال عمرو بن سلمة: الآن رأينا عامة أولئك الحلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج))

بدؤوا بعد الحصى, وانتهوا أنهم أصبحوا مع الخوارج, فالبداية الخاطئة تنتهي إلى النهاية الخاطئة .

ملخص هذا الدرس: أن تنقيد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في العبادات والمعاملات, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-33} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى -فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-12-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من علامات حب الله للعبد :

1- جعل حوائج الناس إليه :

أيها الأخوة الكرام, من أشهر كتب الحديث الشريف, كتاب الجامع الصغير, وهو كتاب صنف فيه مؤلفه أحاديث رسول الله ﷺ- وفق الحروف الأبجدية, فإذا طالعت هذا الكتاب, وجدت متعة من نوع خاص, قد تشترك الأحاديث كلها بحرف واحد في أولها, لكن موضوعاتها متنوعة جداً. فمثلاً:

في باب إذا: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

هناك أناس يتأفنون إذا كثر الطلب عليهم, إذا وقف الناس على بابهم, إذا أكثروا من اتصالاتهم الهاتفية, إذا رجوهم في شتى شؤون حياتهم, إذا حكّموهم في خلافاتهم, إذا وسطوهم في زواجهم, إذا استقرضوهم, إذا استصروهم, إن مدوا لهم يد العطاء؛ يتأفنون, يضجرون.

نقول لهؤلاء: لو علمت أن الله إذا أحب عبداً, جعل حوائج الناس إليه, إذا أحب الله عبداً, جعله مفتاحاً للخير, مغلقاً للشر.

((عبادي الخير بيدي والشر بيدي, فطوبى لمن قدرت على يده مفاتيح الخير, والويل لمن قدرت على يده

مفاتيح الشر))

ما دورك في هذه الحياة؟ :

أيها الأخوة، نقف عند الحكمة الرائعة: إذا أردت أن تعرف مقامك، فانظر فيم استعملك؟.

ما دورك في الحياة؟ تثبث في الناس الأمن والطمأنينة، توفق بينهم، تجد لهم يد العون، تصلح ما فسد من علاقاتهم، تطمئنهم، تساعدهم، ترشدهم، تأمرهم بالمعروف، أم تبتز أموالهم؟ تخيفهم؟.

ورد في بعض الأحاديث:

((أن الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله))

بمعنى أخافه، ابتز ماله، أوقع فيه الأذى، بنى مجده على أنقاضه، بنى أمنه على إخافته، بنى حياته على موته، بنى غناه على فقره.

فأول نقطة في هذا الدرس:

((إذا أحب الله عبداً، جعل حوائج الناس إليه))

ما مركز الثقل في هذه النقطة؟ :

مرة أحد المحسنين -توفاه الله، ورحمه الله-، عنده بيت في أحد أحياء دمشق الراقية، البيت من عشرة ملايين وأكثر، قدمه لجمعية خيرية في المهاجرين، هذه الجمعية جعلت من هذا البيت مركز تأهيل مهني للفتيات الفقيرات، أية فتاة فقيرة تنضوي في هذا المركز، تتعلم الخياطة وفق أحدث أساليب، ثم يُشتري لها مكنة، ثم تكلف أن تصنع ثياباً، وتتخذ منها، وتباع؛ فهذه التي كانت متسولة، جعلناها منتجة، هذه التي كانت تأخذ الزكاة، جعلناها تدفع الزكاة، وأرقى زكاة تؤدي لإنسان فقير: أن تنقله من آخذ زكاة إلى دافع زكاة.

وأنا أنكر شاب في مقتبل الحياة، طلب عشرين ألف ليرة، ليشتري دراجة نارية مع كمين، ويبيع أكياس النايلون في الغوطة، والله عز وجل مكنتني أن أعطيه هذا المبلغ، غابني بعد سنة، فجاء بزكاة ماله، قال: ادفعها لفقراء المسجد، سبحان الله! جاءني بسداد الدين، ثم بزكاة ماله.

الإمام الشافعي من اجتهاداته أنك: إذا أعطيت فاكف.

مرة وقفت أمام جمعية خيرية, يعني تألمت ألماً لا حدود له, مئة امرأة أو أكثر تقف في طابور طويل, ومع كل امرأة هويتها, وعليها أن تبصم من أجل منتي ليرة على العيد.

الإمام الشافعي يرى: أنك إذا أعطيت, ينبغي أن تغنيه عاماً بأكمله.

هذا العطاء الذي لا ييسمن ولا يغني من جوع, هذا لا معنى له, أكمل عطاء: أن تحول أخذ الزكاة إلى دافع الزكاة, هذا أكمل عطاء.

كلمة لها أثرها :

أيها الأخوة, فهذا الذي قدم بيته لجمعية خيرية, ويزين ثمنه عن عشرة ملايين, أعضاء الجمعية أقاموا له طعام غداء تكريماً لهذا العطاء, وهذا من باب: لا تتسوا الفضل بينكم, ومن الخطباء يتحدثون عن هذا المحسن الكبير, وعن عطائه الجزيل, ويثنون عليه, إلا واحداً من الأخوة المؤمنين الفطنين, قال له كلمة جعله يبكي, قال له: تذكر فضل الله عليك, إذ جعلك تعطي, وكان من الممكن أن تكون أحد المنتفعين من جمعيتنا, نعطيك في الشهر ألف ليرة, أنت أعطيت بيت بعشرة ملايين, وكان من الممكن أن نعطيك ما تأكل به.

ف: إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيم استعملك؟.

هذا ما أقوله لإنسان يضحك :

أيها الأخوة, أجد إنسان يضحك ملء فمه, أقل له: اشكر الله, يقول لي: على ماذا؟ أقول له: على أنك تضحك, لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾

[سورة النجم الآية:43]

لو في تحليل، طلع ورم خبيث تضحك؟ لا تضحك، انتهى الضحك، انتهى كلياً، إنسان يضحك متى؟ ليس عنده مشكلة صحية، زوجته موجودة، أولاده أمامه، معه ثمن طعامه، غير ملاحق، ليس عنده مشكلة، يضحك، يكون مرحاً، من الذي سمح لك أن تضحك؟ الله ﷻ:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾

[سورة النجم الآية:43]

ويكي.

لا تخالف تطبيق هذا الحديث :

ف

((إذا أحب الله عبداً، جعل حوائج الناس إليه))

لو وقفوا على بابك، لو أدمنوا القرع، لو اتصلوا بك في الليل قبيل الوقت المعتاد، الساعة السابعة أخبروك، لو طلبوا منك أن توصلهم إلى المستشفى، وقد خلدت إلى النوم، وهذا وقت راحتك، إياك أن تتأفف.

قصص وعبر :

سمعت عن بيت في أحد أحياء دمشق، في هذا البيت امرأة سالحة متقدمة في السن، وعندهم شجرة ليمون، تحمل في العام أكثر من ثلاثمئة حبة، إلا أن هذه الشجرة وقف لكل أهل الحي، ما من إنسان احتاج إلى حبة ليمون، يترك الباب، أعطونا ليمونة، فهذه الست الكبيرة تقدم لهم حاجاتهم، توفيت، جاءت زوجة الابن الشابة، أول طلب طرده، لا يوجد عندنا ليمون، الشجرة يبست، حسناً.....

أعرف رجل في خان الشيخ، عنده مزرعة، وفي حوله ثمانى عشرة مزرعة، فالرعاة معهم الأغنام في أيام الصيف، يودون أن يسقوا أغنامهم، فكلما دخلوا إلى مزرعة، طردوهم، وعنفوهم بالكلام، إلا هذه المزرعة بدل أن يطردوهم، وأن يعنفوهم، بنى لهم مسقى، فيملؤه ماء، يقف مئات الأغنام على نسق واحد، يشربون منه، فصار كل الرعيان يأتون إلى هذه المزرعة، ليسقوا أغنامهم قبل عامين أو ثلاثة، ثمانى عشرة مزرعة جفت آبارها، وكادت أشجارها

أن تيبس, إلا هذه المزرعة, خمسة إنش, شيء صعب يصدق.

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

((أنفق أنفق عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

عندي أخ في الجامع, عنده معمل في الأحوال ليست كما يجب, كساد شديد, كلكم يعرف ذلك, لولا الكساد لما أمكنك أن تكلم التاجر, لكن ربنا عز وجل يأتي بالكساد, ليتواضع التاجر.

له قريب أستاذ في الجامعة, توفي بمرض عضال, هو على طاولة التغليف, سأل: أعليه دين؟ قالوا: نعم, قال: كم؟ قال: مبلغ ليس كثيراً, هكذا قال, قال: دينه علي, في اليوم التالي سأل: كم الدين؟ قال: مئة وثلاثون ألف, هو متصور عشرة آلاف, عشرون, ثلاثون, مئة وثلاثون, فدفع المبلغ بالتمام والكمال, وهو يقسم لي, وقد أبكاني: أنه في اليوم التالي, عدد الاتصالات الهاتفية التي تمت بها صفقات من معمله, هو معه شريكان, نصيب ربحه الصافي في يوم واحد مئة وثلاثون ألفاً, المبلغ الذي دفعه بالتمام والكمال.

((أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً))

ف: إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيم استعملك؟.

خذ هذا الشعار لك في حياتك :

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

فأحدنا لا يتأفف من مسكين وقف على محله التجاري, ولا من قريب اتصل به هاتفياً, ولا من إنسان طلب منه قرض, ولا من إنسان طلب منه شهادة, ولا من إنسان طلب منه وساطة, ولا من إنسان طلب منه إصلاح ذات البين.

إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيم استعملك؟.

و:

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

هذه واحدة؛ فإذا اشتد عليك الطلب فأنت محبوب, أما إذا كنت لئيماً ينفذ الناس من حولك, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- وصفه الله فقال:

﴿فِيمَا﴾

-والباء للسببية-:

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾

-بسبب الرحمة التي استقرت في قلبك يا محمد, بسبب الرحمة التي استقرت في قلبك عن طريق اتصالك بالله, لنت لهم, كان قلبك رحيماً-:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

-أتحب أن ينفذ الناس من حولك؟ أتحب ألا يطرقوا بابك أبداً؟ ألا يتصلوا بك؟ ألا يقفوا على مجلك التجاري؟ كن معهم فظاً غليظ القلب-:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

هذا الحديث إذاً: اجعله شعاراً لك:

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

2-تعجيل عقوبته :

في أحد الصحابة ضاقت زوجته به ذرعاً، فأرادت أن تشكوه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ما يصيبه شيء أبداً، هذا سمي عند بعض الناس: العفريت النفريت.

فذهبت لتشكوه إلى النبي، في الطريق وقع فتعثر، ارجع، انتهت المشكلة، معناها: الله ابتلاك. ف:

((إذا أحب الله عبداً، جعل حوائج الناس إليه))

و:

((إذا أحب الله عبداً، عجل له بالعقوبة))

في متابعة من الله.

هكذا يؤدب الله به عباده الذين دخلوا ضمن عنايته :

جاءه زيون، أحد أخواننا عنده معمل ألبسة داخلية، جاءه زيون من المسجد، قال له: أريد ست قطع، هذا يبيع ثلاثمئة تزينة، هذا الطلب في إهانة له، قال له: أنا لا أبيع فرط، قال له: لا تؤاخذني، طلع، يقسم بالله خلال ثلاثين يوم، لم يدخل ولا إنسان لمعمله، ثلاثين يوم، قال لي: نشف دمي، يا رب أبيع قطعة واحدة الآن، قطعة أبيع ليس ست قطع.

((إذا أحب الله عبداً، عجل له بالعقوبة))

فأنت من أجل أن تعرف، ما إذا كنت في العناية المشددة، أما إذا كنت خارج العناية المشددة، تعرف هذا من متابعة الله لك، فإذا تابعتك، وأدبك دائماً، فهذا من عظيم عناية الله بك.

سئل النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((يا رسول الله، ما هذا الأدب؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي))

الله يؤدب تأديب محكم, أحياناً يحجبك, أحياناً يعمل ربنا عز وجل عقوبة من نوع الذنب, عليه أحد عشر ألف وثلاثمئة وخمسون زكاة, أقنعتة زوجته: نريد أن ندهن البيت الآن, تار عليك دينك, ندهن البيت فيهم, دهن البيت, ضربت سيارته, كلفته أحد عشر ألف وثلاثمئة وخمسين, الله علمه, هذا حق الله, يجب أن يؤدي بادية ذي بدء.

دليل أقوى من دليل :

فأول حديث:

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

فإياك أن تغضب إذا اشتد عليك الغضب, إياك أن تغضب إذا تدافع الناس على بابك, إياك أن تغضب إذا تدافع الفقراء أمام محلك, لأن الله يحبك, ساق هؤلاء إليك, أتريدون دليلاً أقوى من هذا الدليل؟.

ورد في الحديث القدسي:

((أن يا داود مرضت فلم تعدن, قال: فكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده, أما

علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ استطعتك فلم تطعمن, قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال:

استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه, أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي, إلى آخر الحديث))

لذلك: قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة الآية: 245]

أي عمل صالح يؤدي إلى أي مخلوق, هو من باب القرض الحسن لله عز وجل.

انظر إلى أهمية هذا الحديث :

((بينما رجل اشتد به العطش, فنزل بئراً, فشرب منها فارتقى, فإذا كلب يأكل الثرى من العطش, فقال في نفسه: لقد بلغ هذا الكلب, بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي, ثم نزل البئر, فملاً خفه وأمسكه بفيه, وصعد المنبر, فسقى الكلب, فشكر الله له, فغفر له, قالوا: يا رسول الله, وهل لنا في البهائم من أجر؟ فقال: عليه في كل كبد رطبة أجر))

فأي عمل صالح تقدمه إلى أي إنسان, أو إلى أي حيوان, أو إلى أية حشرة.

نملة على المغسلة, تتوضأ, تغرق, وقفت إلى أن خرجت, هذا عمل صالح, هو إقراض الله عز وجل, وسيضاعفه الله لك أضعافاً كثيرة:

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾

[سورة البقرة الآية:245]

كلمة :

أنا أقول كلمة: لعلك تجبر إن تابعتك الله عز وجل, ولعل أعداء الله عز وجل يعصونه جهاراً, ويأكلون, ويشربون, ويتمتعون, وكأنهم لا يعينهم شيء, هؤلاء خارج العناية الإلهية المباشرة.

أنت لاحظت طبيب قال لمريض معه سرطان خبيث بالدرجة الخامسة: كل ما شئت, لا يوجد مشكلة, لماذا أطلق له العنان في الطعام والشراب؟ لأنه ميئوس من شفائه, أما إذا معه التهاب معدة حاد, يعطيه تحذيرات إلى أقصى درجة؛ فالتشديد إذا كان في أمل بالشفاء, والتسيب إذا ما في أمل, فإذا كان الله عز وجل شدد عليك, لأنه ورد في الحديث:

((عبدى خلقت لك السموات والأرض ولم أعى بخلقهن, أفيعينى رغيف خبز أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة ولك علي رزق, فإذا خالفتني في فريضتي, لم أخالفك في رزقك, وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك -دقق الآن- وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك, فلاسلطن عليك الدنيا, تركض فيها ركض الوحش في البرية, ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي, وكنت عندي مذموماً, أنت تريد وأنا أريد, فإذا سلمتني فيما أريد, كفيتك ما تريد, وإن لم تسلمني فيما أريد, أتعبتك فيما تريد, ثم لا يكون إلا ما أريد))

نصيحة :

أنا أنصح أخوتي الكرام: إذا الله عز وجل ساق للإنسان مشكلة, أكبر مصيبة أن تأتي المصيبة, ولا تتعظ بها. من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة, فمصيبته في نفسه أكبر.

صار الإنسان هو المصيبة, أما إذا جاءت مصيبة, وانتفعت بها, تركت بعض المعاصي والآثام, اتجهت إلى الله عز وجل, أقلعت عن الذنوب, فهذه أصبحت نعمة باطنة, لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

[سورة لقمان الآية:20]

المصائب التي يسوقها الله لعباده -نعم- باطنة, فيها اللطف, وفيها الخير نعم, لذلك:

((ما من عثرة, ولا اختلاج عود, ولا اختلاج عرق, ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم, وما يعفو الله أكثر))

قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى الآية:30]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

[سورة هود الآية:117]

المصائب على الإطلاق, لها أسباب من صنع البشر:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة النساء الآية:160]

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:57]

حديث له مبتغاه :

((يا عبادي, إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا, يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم, يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم, يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم, يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا على صعيد واحد, لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً, ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص في ملكي شيئاً, ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا على صعيد واحد, وسألني كل واحد منكم مسألته, ما نقص ذلك في ملكي, إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر, ذلك لأن عطائي كلام, وأخذي كلام -الآن دققوا- فمن وجد خيراً فليحمد الله, ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))

هذا هو قانون التيسير والتعسير :

لا تقل: ليس لي حظ, لا تقل: قلب لي الدهر ظهر المجن, لا تقل: حظي قليل, لا تقل: أضربها يمين, تأتي يسار, هذا كله كلام ليس له معنى, قل:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾

[سورة الليل الآية:5]

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:6]

﴿فَسُنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

[سورة الليل الآية:7]

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾

[سورة الليل الآية:8]

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:9]

﴿فَسُنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل الآية:10]

هذا قانون التيسير والتعسير؛ تؤمن بالله، تستقم على أمره، تحسن إلى خلقه، تيسر أعمالك، تتقلت من منهج الله، تسيء إلى خلقه، تعسر أعمالك، التيسير مريح جداً، والتعسير صعب جداً.

محور الدرس اليوم :

أيها الأخوة، موضوع درسنا اليوم حديثان:

((إذا أحب الله عبده، جعل حوائج الناس إليه))

و:

((إذا أحب الله عبداً، عجل له بالعقوبة))

فأنت حينما تستشعر أن الله يتابعك، ويؤدبك، وبكل ذنب يسوق لك علاجاً له، فأنت مطموع في هدايتك، وأنت مرغوب عند الله عز وجل، أما إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره، لأنه قد تأتي ضربة واحدة قاصمة، المؤمنون تأتيهم المعالجات اللطيفة، أما الكفار يُمد لهم مداً، ثم يأتيهم القصم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 155]

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 156]

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 157]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-34} : حقيقة صلاة الجمعة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-12-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل إدراك صلاة الجمعة من أجل الصلاة؟ :

أيها الأخوة الكرام, يقول عليه الصلاة والسلام:

((من ترك الجمعة ثلاث مرات, نكتت نكتة سوداء في قلبه ثم يكون الران, وتلا قوله تعالى

من عظمة هذا الدين الكريم: أنه جعل إحدى عباداته عبادة تعليمية.

يعني: أي مسلم؛ يجب أن تصلي صلاة الجمعة في مسجد, ولا بد من خطبة تسبق هذه الصلاة, لذلك محور هذا الدرس: أنه يمكن أن تصل إلى درجات عليا, لو أنك أدت صلاة الجمعة كما أراد الله, ما الذي يحصل؟. قد تدخل إلى المسجد مع صلاة الجمعة, تدرك ركعتين أو ركعة, وتتوهم أنك صليت الجمعة, الحمد لله أدركننا الصلاة, حسناً: هذه الصلاة, أو هذه العبادة التعليمية من أجل الصلاة؟ لا.

الدليل :

الدليل: حينما قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

افتحوا كل التفاسير:

﴿اسعوا إلى ذكر الله﴾

ما المقصود بذكر الله؟ قال: سماع الخطبة.

المقصود بذكر الله: سماع الخطبة, يعني أربع وعشرون ساعة, ضرب سبعة, يعني مئتا تقريباً وثمان وستون ساعة, ساعة من هذه الساعات كلها, هل تستكثر على الله أن تتفرغ ساعة لسماع الخطبة؟.

هذا الذي يأتي إلى المسجد مع الركعة الأولى, أو مع الركعة الثانية, ماذا حصل من هذه العبادة؟ لم يحصل شيء.

علام يحتاج السعي في هذه الآية, وما لوازم هذا السعي؟ :

أدق ما في الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

السعي يحتاج إلى همة ونشاط؛ في إنسان يتمشى الهوينى, في إنسان يسعى بكل طاقته, فالآية الكريمة تقول:

﴿فَاسْعَوْا﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

ومن لوازم السعي الاستعداد, الاستعداد لهذه الصلاة من وقت مبكر.

ورد في الحديث الصحيح:

((أنه من حضر الجمعة قبل ساعة, أو قبل خمس ساعات, -القضية الساعة هنا: المرحلة الزمنية- فكأنما قرب بدناً, والساعة الأولى فكأنما قرب بدناً, والساعة الثانية -في مرحلة ثانية- فكأنما قرب بقرة, والساعة الثالثة فكأنما قرب شاة, والساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة, والساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة, فإذا صعد الخطيب المنبر, جلست الملائكة تستمع الخطبة))

معناها: ينتهي الأجر مع صعود الخطيب المنبر, أما إذا دخلت إلى المسجد مع الصلاة, صار في وزر, ضيعت بركة هذه الخطبة.

قف هنا :

أيها الأخوة, أحياناً الإنسان: يستقرب, يقول لك: جانب بيتي, قضية خطبة الجمعة: يجب أن تكون جزء أساسي من حياة المؤمن, لا يختار جامع قريب؛ ليس مقتنعاً بعلمه, ليس مقتنعاً بإخلاصه, لكن: سقط الوجود وإن لم يحصل المطلوب.

يعني: إذا أنت دعوت صديق حميم على تناول طعام الغداء, وجاء متناول الطعام أو لا يريد أن يأكل, لكن جاء, تتألم أشد الألم, تريده أن يأكل, تريده أن يتنعم بهذا الطعام الذي جهدت من أجله, فلما الإنسان؛ سبت, أحد, اثنين, ثلاثاء,

أربعاء, خميس, منغمس بالدنيا, هذا اليوم يوم العيد, عيد المسلمين, فإذا دخلت إلى المسجد مع انقضاء خطبة الجمعة, ما أصبت شيئاً, لذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

يجب أن تختار إنساناً تثق بعلمه، تثق بإخلاصه، يجب أن تختار مسجداً تستفيد منه، فائدة حقيقية.

يعني: خرجت من الخطبة بشيء، تعلمت شيئاً شيئاً من كتاب الله، تعلمت شيئاً من سنة رسول الله ﷺ، تعلمت شيئاً من الفكر الإسلامي، تعلمت شيئاً من هموم المسلمين، تعلمت شيئاً من معالم الطريق إلى الله، تعلمت شيئاً من أبواب الخير، لا بد من أن تسعى إلى ذكر الله.

نقطة دقيقة :

النقطة الدقيقة الآن: إنسان حضر خطبة جمعة، وطرب لها، وتأثر بمضمونها، وشعر أنه حصل على شيء، وأنه تعلم شيئاً، وأنه استفاد من شيء؛ هذا الشيء الذي تعلمته، والذي تأثرت به، والذي استفدت منه، ماذا سوف تفعل به هنا؟.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

أنت عندك الجمعة مساءً، والسبت، والأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، في لقاءات على الطعام مع أهلك، في لقاءات مع أخوانك، مع جيرانك، مع زملائك، مع أصدقائك، في سهرة، في وليمة، في تعزية، في تهنئة، في نزهة، في لقاء دوري، دور يسمونه العوام لقاء دوري، في لقاء عابر، في ضيف طارئ، هذه اللقاءات ماذا ينبغي أن يكون الحديث فيها؟.

النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

فأنت في خطبة استغرقت ساعة، لا يمكن أن تحفظ منها شيء يسير؟ شرح آية؟ شرح حديث؟.

الذي أردته في هذا الدرس: أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

أي: إلى سماع الخطبة.

إحصاء لطيف :

الحقيقة: يوجد بدمشق ثلاثمئة وستون مسجداً، يرتادها خمسمئة ألف مصل.

إنسان يقول لك: يا أخي، ما شاء الله! صحوة إسلامية، لا يوجد محل بالمساجد، كل رواد المساجد، مع كل ازدحامهم على بيوت الله، لا يشكلون عشر سكان دمشق، والتسعة أعشار لا يصلون الجمعة، لا تتوهموا كثيراً. يعني: بإحصاء لطيف، كل رواد المسجد يوم الجمعة، وهذا أكثف شيء لا يزيدون عن خمسمئة ألف مصل، وهم لا يزيدون عن عشر سكان دمشق، دمشق فيها خمسة ونصف مليون، العشر يؤدي الصلاة بصلاة الجمعة، معنى ذلك: نحن بحاجة إلى أن نتعلم، ما دام صلاة الجمعة لها هذا الدور.

حكم فقهي :

((من ترك الجمعة ثلاث مرات، نكتت نكتة سوداء في قلبه))

إن أردتم مزيداً من أحكام الفقه

لو أنك في قرية ليس فيها مسجد جامع، هل تجب عليك صلاة الجمعة؟.

الجواب: يجب عليك أن تذهب إلى قرية أخرى، لا تملك وسيلة نقل، مشياً، إذا أوتك الشمس إلى بيتك، تجب عليك صلاة الجمعة، كيف؟.

يعني: إذا ذهبت مشياً إلى هذا المسجد، إلى أن وصلته مع أذان الظهر، واستطعت أن تعود إلى بيتك مع غروب

الشمس, عليك أن تؤدي الصلاة في هذا المسجد, نحن عشرة أمتار في مسجد, عشرون متر في مسجد, يعني هذا عيد المسلمين, من خلال هذه الصلاة تتعرف إلى الله, نافذة وحيدة أسبوعية.

عدو يجهله كثير من الناس :

فالحقيقة: الإنسان الجاهل عدو نفسه, والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع أن يفعله عدوه به.

أنا أذكر إنسان مزارع, عنده بيوت محمية للخضروات الموسمية, فاشترى سجاد, والتعليمات: أن يضع كيلو في البرميل, فوضع اثنين كيلو, من شدة حرصه على نماء النبات, وعلى أن يعطي الثمار الوفيرة, استيقظ في اليوم التالي: فرأى هذه المحميات كلها سوداء, وقد احترقت, ضاع عليه أربعمئة ألف ليرة محصول هذه البيوت, لأنه سمدها بجهل؛ فعدوك يسرق قسم, عدوك يحتال عليك بالسعر, أما أن تُحرق المحصول كله بجهلك, هذا مثل.

الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

وربنا عز وجل حسيب على كل شيء, رقيب على كل مخلوق, فمن أجل أن تعرف الله.

متى يعالج المؤمن نفسه من أمراضها؟ :

أنا مرة سألت أخواننا سؤال: متى تعالج جسمك من الضغط المرتفع؟ الضغط المرتفع قد لا تحس به, قد يصل الضغط إلى العشرين زئبقي, دون أن تشعر إطلاقاً, والضغط إذا ارتفع, قد يصيب العين, ويصيب الدماغ.

يعني: أخطر شيء في الدماغ؛ خثرة بالدماغ, شلل, أو فقد رؤيا على شبكية العين.

السؤال: متى تعالج نفسك من الضغط المرتفع؟.

الجواب: إذا علمت أن عندك ضغط مرتفع, قبل أن تعلم لا تعالج.

حسناً: الإنسان كمؤمن متى يعالج نفسه من أمراضها؟ متى يعالج دخله من الحرام؟ متى يعالج إنفاقه من الحرام؟ متى يعالج بيته من التسبيب؟ متى يعالج أهله وأولاده وبناته من التقلت؟ إذا علم أنهن متقلات, إذا علم أن أولاده منحرفين, إذا علم أن في دخله حرام, أن في إنفاقه حرام, إذا: لا بد من أن يعلم, العلم طريق أي شيء.

متى يتحقق المراد الإلهي من صلاة الجمعة؟ :

فالإنسان لا يضمن بنفسه على مجلس علم, حتى يعرف موقفه من الحياة, يا ترى أنا على حق أم على باطل؟ أنا في طريق الخير أم في طريق الشر؟ أنا مع السنة أم مع البدعة؟ أنا مع أهل الحق أم مع أهل الباطل؟ مع من؟ ما موقعك؟ ما سلوكك؟ فلذلك: الحد الأدنى, الأدنى, الأدنى: أن تواظب على صلاة الجمعة, بل على خطبتها, وأن تختار مسجداً, تتأثر بخطيبه, يكون جانب بيتك.

في فوال, يقول لك: يوجد رجل في الميدان فولاته جيدون, تركب سيارتك, تذهب من المهاجرين للميدان من أجل كيلين فول, صحيح لما خطأ؟ غير, غير وضع, من أجل كيلين فول تغادر حيك لحي آخر, وتركب سيارتك, من أجل خطبة تتأثر بها, لا تغادر حيك لحي آخر!؟.

أنا لا قد يكون جانب حيك أحسن خطيب, الزمه, لا

أنا لا أعين, لكن لا تختار أقرب مسجد ولست مقتنعاً بالخطيب إطلاقاً, ولست مقتنعاً بالمسجد؛ لكن:

سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب.

هذه الميم وضعناها, أخي له عندنا شيء بعد, صلينا الجمعة خلصونا, لا تكن هكذا, يجب أن تختار مسجدك كما تختار أعظم الناس شأناً في حياتك, لأنه وقت تجلس لتستمع, إن استمعت, وتفاعلت, واستفدت, وخرجت بشيء, فقد حققت المراد الإلهي.

هذا المراد بالسعي في هذه الآية :

قال تعالى:

﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

فاسعوا إلى سماع الخطبة, معنى الوقت مبكر؛ اغتسل, لبس أجمل ثيابه, تعطر, جاء إلى المسجد بوقت مبكر, جلس بمكان مريح, مكان يرى الخطيب, قرأ قرآن, هذا وقت, وقت عبادة.

ولا تنسوا أيها الأخوة: أن في الجمعة ساعة مباركة, ما من عبد مسلم يدعو الله فيها, إلا استجاب له, فلعلك تدعو الله في الساعة التي جعلها الله ساعة إجابة, نعم.

الملاحظ: أن صلاة الجمعة بخطبتها, وأن كلمة

﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾

أي اسعوا إلى سماع الخطبة.

الشيء الثاني: يجب أن تختار الخطيب الذي تتأثر منه, تتفاعل منه, تستفيد منه, ولو كان في حي آخر, كما لو أنك تذهب لشراء حاجة, شيء نفيس.

يقول لك: والله أخذنا من داريا البوظات, ما في بالدور, لشهر محجوز من داريا, جانب بيتك يوجد عشرة محلات بوظة, من أجل كيلو بوظة, تخرج من المدينة إلى أطراف المدينة, أليس كذلك؟ أليست هذه حقائق أقولها لكم؟. من أجل سماع خطب تستفيد منها, يجب أن تختار خطيباً تتأثر في خطبته, وتستفيد منه.

هل ينعقد البيع أثناء صلاة الجمعة؟:

قال:

﴿فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

لو عندك بيت في المالكي, يقدر بثمانين مليون, وقعت عقد بيع, واستطاع المشتري أن يقيم دعوى, ويثبت أن هذا البيع تم في أثناء صلاة الجمعة, العقد باطل, أبدأ, الله قال:

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

البيع لا ينعقد.

طبعاً: الفقهاء على خلاف في هذا الموضوع, بعضهم يقول: البيع لا ينعقد أصلاً, البيع باطل, قال تعالى:

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

لأنه ما في إنسان إلا عنده قائمة أعمال لم تنته, أليس كذلك؟ ما في إنسان مات على الإطلاق, إلا في مذكرته مئة بند لم يحقق, وجاء الموت, ونقله من دار إلى دار, وكانت الرحلة الأخيرة, فلذلك: العمل لا ينتهي, فاقتطع من وقتك الثمين وقتاً لمعرفة الله.

كيف نوفق بين هذه الآية: -وعباد الرحمن...- وبين سنة النبي عليه الصلاة والسلام؟

ورد في القرآن الكريم:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

ما معنى هوناً؟ يعني: المؤمن من السنة أن يمشي بطيئاً.

سيدنا عمر: كان إذا سار أسرع, وإذا اطعم أشبع, وإذا ضرب أوجع, وإذا قال أسمع.

النبي -عليه الصلاة والسلام-: كان إذا مشى, كأنه ينحط من صيب, أي: من جبل.

السنة: أن النبي كان يسرع في مشيه, والآية:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

كيف نوفق بين الآية الكريمة وبين سنة النبي عليه الصلاة والسلام؟.

قال بعض العلماء: يمشي هوناً؛ أي يتريث, يفكر, يتأمل, له جلسة مع ذاته, يتأمل واقعه, يتأمل مساره, يتأمل

هدفه, يتأمل من أين كان, وإلى أين, ولماذا؟.

قال: يمشون هوناً: يقتطع من وقته الثمين وقتاً لمعرفة الله.

حدثني رجل عالم :

حدثني رجل عالم, والله أنا أكبره كثيراً, قال لي: وأنا منكم في التأليف, يقول المؤمن: الله أكبر, أذع القلم وأقوم

إلى الصلاة.

تقول السيدة عائشة:

((كان عليه الصلاة والسلام يحدثنا ونحدثه, فإذا قام إلى الصلاة, فكأننا لا نعرفه ولا يعرفنا))

لشدة هول الموقف, فإذا الإنسان استطاع أن يؤدي الصلوات, وأن يتأمل في علاقته بالله.

اليوم إنسان قال لي: أنا تقاعدت من الوظيفة, قلت له: هنيئاً لك, قال لي: أنا عملت أربعين عاماً فوق الأرض, الآن أعمل لما تحت الأرض؛ كلام جيد, وكلام طيب, وكلام عميق, أنا أربعون سنة أعمل, الآن أريد أن أعمل للقبر, أريد عملاً صالحاً يؤنسني في وحشتي, يؤنسني في قبري.

وأنا أتمنى عليكم: إن رأيت جنازة أن تتبعها, ولو لم تكن لك قرابة مع الميت, انظر هذا الميت؛ أخذ من بيت من المهاجرين, من خورشيد, من المالكي, من بيوت الميدان الفخمة, الأبنية العالية, من أبنية فخمة, أين وُضع؟ في القبر, هل دخل معه أحد؟ أبداً, هل سيبقى موقفاً؟ لا, انتهى, لن يعود, هذا مصير كل حي, أبداً:

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

الحديث الشريف:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والترمذي في سننه]

مهمتنا درس السبت, أو خطبة الجمعة التي اخترت أنت خطيبها, ولو كان بحي آخر, ذهبت واستمعت, وأصغيت, وكتبت, وحفظت, الآن: طوال الأسبوع بأي لقاء, نتحدث عن هذه الآية التي سمعناها, أو عن تلك القصة التي تليت علينا, أو عن هذا الحديث الشريف الذي فسر لنا, أو عن هذا الحكم الفقهي الذي طرق أسماعنا, أو عن تلك الآية الكونية التي شددت نفوسنا.

يوجد عندي مادة لا تعرف, كلمة أحياناً:

﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:24]

﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية:25]

أنت لا تعرف متى ينعد العزم على التوبة؟.

((إذا رجع العبد العاصي إلى الله, نادى مناد في السموات والأرض: أن هئتوا فلاناً فقد اصطح مع الله))

هذه الآية أساسية.

إليكم هذا الجواب لهذا السائل :

تقول لي: أنا لست داعية, أنا رجل تاجر, أنا لي هذا المحل؛ أبيع وأشتري, وأربح وأعيش, الحمد لله أنا مسلم, أنا أؤدي صلواتي الخمس, وأصوم رمضان, وأحج البيت, وعملت ثلاث عشرة عمرة, الحمد لله, وأولادي زوجتهم, لا يوجد عندي مشكلة, أنا لست داعية, ماذا نجيب هذا الأخ الكريم؟.

نقول له: كل إنسان لم يحدث نفسه بالجهاد, مات على ثلثة من النفاق.

ما هو الجهاد المتاح للأمة الآن؟ في عندنا جهاد متاح للجميع, قال:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

يعني: أنا إذا كان القرآن أفهمه وأفهمه للناس, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح يقول:

((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذه رسالة كبيرة جداً, فأنت لما تؤدي هذه الرسالة, تكون قد فعلت ما هو واجب.

هذا ما قاله العلماء في نطاق الدعوة إلى الله :

العلماء قالوا: الدعوة إلى الله فرض عين, فرض عين على كل مسلم؛ لكن في حدود ما يعلم, وفي حدود ما يعلم. لست مكلفاً تفسر القرآن بأكمله, أما آية سمعتها, وفهمتها, ودقيقة جداً, فسرّها للناس في حدود ما تعلم, وفي حدود من تعلم؛ لك أقرباء, لك أخوات, لك أخوة, أصهار, جيران, زملاء, أصدقاء, أقرباء, هؤلاء الذين تعرفهم ويعرفونك, أنت نافذتهم الوحيدة إلى الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

من هو الولي؟ :

سئل أحد العارفين بالله: من هو ولي الله؟ قال له: الولي كل الولي؛ الذي يجذبك حيث أمرك, ويفتقدك حيث نهاك. الساعة الثانية عشرة وعشرة يوم الجمعة, أين تكون؟ في المسجد, أما إذا كان وجدك في السيران الساعة الثانية عشرة وعشرة, تارك الصلاة, حين إذ: أنت عاص. أن يجذبك حيث أمرك, وأن يفقدك حيث نهاك.

إذا في مقهى لا يليق بالمؤمن, يجلس فيه, جالس فيه يلعب طاولة, والنساء كاسيات عاريات, والأغاني بأعلى صوت, هذا المكان ليس مكانك.

أن يجدهك حيث أمرك, وأن يفتقدك حيث نهاك.

هذا المكان منهى عنه أنت, نعم.

إذا قضى المسلمون صلاة الجمعة إلى أين ينتشرون؟ :

قال :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:10]

الصلاة انتهت:

﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:10]

اخرجوا من المساجد, إلى أين؟ إلى ابتغاء فضل الله.

يعني: أنت في المسجد تعلمت, في خارج المسجد تُعلم, أنت في المسجد أصغيت, في خارج المسجد تفعل الخير.

ما قاله العلماء حول هذه الآية :

العلماء قالوا:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:10]

أي: طبقوا ما سمعتم.

من هنا كان دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا دخل المسجد:

((اللهم افتح لي أبواب رحمتك))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

فإذا خرج من المسجد:

((اللهم افتح لي أبواب فضلك))

يعني: أنت في مكانين؛ إما في تلقي العلم هذه رحمة الله، وإما في الطريق، أو في بيتك، أو في عملك، أو في دكانك، وهذه تكتسب من فضل الله عز وجل؛ أنت بين رحمة الله وفضله، أنت بين أن تتلقى من علم الله أو من تجليه، وبين أن تلقي على الناس علماً، أو حالاً، أو خدمة، أو إنفاقاً، أو صدقة، أو ما شاكل ذلك

هل نفذ الإنسان مطلب هذه الآية إذا ذكر الله قليلاً، ولماذا؟ :

قال:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الجمعة الآية:10]

إذا الإنسان ذكر الله قليلاً، هل نفذ هذه الآية؟ لا، لأن الله عز وجل يقول، يصف المنافقين فيقول:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:142]

المنافق يذكر الله ذكراً قليلاً.

الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ نِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:41]

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:42]

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:43]

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:44]

خاتمة القول :

قال:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية:11]

يعني: إذا الإنسان أغلق محله التجاري وأدى الصلاة في وقتها، أغلق محله التجاري وحضر مجلس علم، الله هو الرزاق.

أحياناً ربنا عز وجل: يعني يتعب الإنسان.

قال له:

((أنت تريد وأنا أريد , فإذا سلمتني فيما أريد كفيتك ما تريد , وإن لم تسلمني فيما أريد أتعبتك فيما تريد , ثم لا يكون إلا ما أريد , فمن آثر الدنيا على الآخرة خسرهما معاً , ومن آثر الآخرة على الدنيا ربهما معاً))

قال تعالى:

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة المنافقون الآية:9]

قال:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية:11]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم, الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-35} : الحديث عن رمضان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-12-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

بماذا تعلق فريضة الصيام؟ :

رمضان على الأبواب, كلكم يعلم أن الصلوات الخمس عبادة يومية, وكلكم يعلم أن صلاة الجمعة عبادة أسبوعية, وأن صوم رمضان عبادة سنوية, وأن الحج يُؤدّى في العمر مرة واحدة, فلكما تقاربت أوقات العبادة, كانت كفارة لما بينها, أما حينما تتباعد, ينبغي أن تكون الشحنة عالية جداً, كي تُكفّر لما مضى, أو لتؤهل لما سيأتي. الله ﷻ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

هذه العبادة معللة, معللة بالتقوى.

سؤال قد يسأله أحدكم

وقد يقول أحدكم: لماذا طُرح هذا الموضوع, ولرمضان إلى أن يأتي أسبوعان؟ لا بد من ضرب هذا المثل:

إن أردت أن تكون في نقطة معينة من الطريق بسرعة مئة, لا بد من أن تتطلق قبل هذه النقطة بسرعة متصاعدة, كي تصل إلى هذه النقطة بهذه السرعة, فإذا بدأنا في واحد رمضان نتقهم حكمة الصيام, ونتقهم ما ينبغي وما لا ينبغي, وما يجوز وما لا يجوز, ونتقهم جوهر الصيام, إلى أن نستوعب هذه الحقائق, وإلى أن نحمل أنفسنا على تطبيق هذه التعليمات, قد يمضي وقت طويل من رمضان.

فأنا من عادتي: أبدأ الحديث عن رمضان, قبل أن يأتي بأسبوعين, كي نستعد له.

ما اعتاد عليه عامة المسلمين :

المنافق-أيها الأخوة-:

((مثله كاناقة عقلها أهلها, لا تدري لا لم عقلت, ولا لم أطلقت؟))

ينقلب الصيام عند عامة المسلمين إلى عادات ألفها المسلمون, يؤدونها كل عام, دون أن يفهموا حقيقة أمرها, لذلك: كثيراً ما تجد, أن بعض الأعمال التي لا ترضي الله, إنما فعلت إكراماً لشهر رمضان المبارك.

إذاً السؤال الأول: هذه العبادات, يمكن أن تتقلب إلى طقوس, الطقس متعلق بالديانات الوثنية؛ طقس, تمتمات, أو حركات لا معنى لها, فإذا انقلب الصيام إلى عادات, وإلى ترك, وإلى فعل, دون أن نفقه الحكمة, انقلب هذا الشهر إلى ما يسمى: بالطقس, والإسلام بعيداً كبيراً عن الطقوس. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

لعلكم, هذه لعل: تقيد الترقب؛ أي من أجل أن تتقي.

ما هو الجانب السلبي والإيجابي لفريضة الصلاة؟ :

لو استعرضنا -قبل أن نخوض في موضوع الصيام- الخمس عبادات:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

هذا كلام رب العالمين:

﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

لو أن الإنسان لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر, ولو أنه وقف ليصلي ولو لم يكن ذكر الله أكبر شيء في الصلاة؛ هل أدى الصلاة التي أرادها الله؟ أقول: لا, هل نقول له: لا تصل؟ أعوذ بالله, لا بد من أن تصلي, لكن هل صليت الصلاة التي أرادها الله؟ لا والله.

لو أن الإنسان استحكم استقامته, وأحكم وجهته, وشعر بقرب من الله عز وجل لا يوصف, قد يصيح ويقول: هذه هي الصلاة التي أمر الله بها, أو هذه هي الصلاة التي أرادها الله, أو هذه هي الصلاة التي ترقى بالإنسان. إذا: الصلاة:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

هذا الجانب السلبي, الإيجابي:

﴿وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾

-لماذا؟ حتى: تفيد الغاية. قال:-

﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[سورة النساء الآية:43]

حسناً: هذا الذي يصلي, ولا يعلم ما يقول, حكمه كحكم السكران, لم يسكر, إنما يصلي ولا يعلم ما يقول, الذي يصلي ولا يعلم ما يقول, حكمه كحكم السكران.

إليك هذه الآيات والأحاديث التي وردت بشأن الصلاة :

حسناً: آيات كثيرة تتحدث عن الصلاة:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[سورة العلق الآية:19]

معناها: الصلاة قرب, والصلاة ذكر, والصلاة نهي ذاتي عن الفحشاء والمنكر.

وفي السنة:

((الصلاة ظهور -من كل مرض النفس- والصلاة نور -رؤية صحيحة صارخة- والصلاة حبور -

((أرحنا بها يا بلال))

((ولو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل))

الصلاة مناجاة، والصلاة معراج المؤمن، والصلاة ميزان، فمن وفى استوفى))

هذه الصلاة التي أمرنا الله بها ميزان، افعل شيئاً وقم وصل، فإن كان هذا الشيء كما يرضي الله عز وجل، شعرت أنك تقبل عليه، فإن كان هذا الشيء لا يرضي الله، هذا الشيء الذي فعلته، وهو لا يرضي الله حببك عن الله، فالصلاة ميزان صارت، وكل إنسان يملك نفس حساسة، يعرف ما إذا كان عمله صالحاً أو طالحاً، من صلاته، هذه الصلاة، الصلاة هل هي طقس أم عبادة؟ عبادة، لأنها معللة.

ما ورد من الكتاب والسنة بشأن الصيام :

حسناً: الصوم -موضوع درسنا-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

فلو أن الإنسان صام ولم يتق الله، كأنه لم يصم، لذلك:

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

حسناً: هذا الصيام.

ماذا عن الحج؟ :

الحج: الإنسان حينما يحج بمال حرام، ويضع رجله في الركاب، يناديه مناد في السماء والأرض، -طبعاً: حينما يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ورجله في الركاب-، يناديه مناد فيقول: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

هذا الحج.

حسناً: بقي الزكاة:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:53]

خلاصة الكلمة عن العبادات :

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر, والصيام من أجل التقوى, والحج من أجل أن تعلم أن الله يعلم, والزكاة من أجل أن ترقى بها إلى الله؛ فإن لم ترق بها إلى الله, وكان في العمل فسقاً:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:53]

وإن كان الحج بمال حرام:

لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

وإن كان الصيام فيه قول زور أو عمل به:

((مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

والصلاة:

((إِنْ لَمْ تَنْهَ صَاحِبِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكَرِ، لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا))

ما أريد أن أقوله :

الذي أريده: أنه لا يمكن أن تكون في الإسلام طقوس, في الإسلام عبادات, والعبادات كما قال الإمام الشافعي: معللة بمصالح الخلق.

بالإسلام لا يوجد عندنا عمل غير معقول, إنما الدين هو العقل, ومن لا عقل له لا دين له.

يعني: أنت هل تقبل لمدير شركة, أو لمنصب لمدير دائرة, أو لمدير مؤسسة, أو مدير مستشفى, أو مدير ثانوية, أن يصدر أمراً لا معنى له؟.

لو أن مدير مؤسسة, قال لأحد الموظفين: اركب السيارة وتوجه إلى حلب, فإذا وصلت إلى باب الفرج, اركب سيارة أخرى وعد بها إلى الشام, هكذا, هذا ركب سيارة, توجه إلى حلب, وصل باب الفرج, ركب مركبة أخرى, عاد إلى الشام, هذا الأمر معقول؟.

لست مكلفاً أن تتصل بأحد, ولا أن تلتقي بأحد, ولا أن تدفع لأحد, ولا أن تقبض من أحد, ولا أن توصل من أحد شيئاً, اذهب إلى هناك, وعد كما جئت, كما ذهبت, الأمر غير معقول, هل يليق بالله عز وجل أن يكون أمره هكذا بلا معنى؟.

فذلك: الإنسان حينما يؤدي العبادات أداء شكلياً, أداء جوفاء, قلبها إلى طقوس وهو لا يدري, وقلب إسلامنا العظيم إلى دين وضعي, أو دين من أديان التي لا يقبلها العقل؛ فنحن صيامنا عبادة, وصلاتنا عبادة, وحجنا عبادة, وكل أفعال المؤمن لها معنى, ولها هدف, ولها حكمة.

ما معنى هذا الحديث؟ :

أول شيء -أيها الأخوة-:

((رمضان إلى رمضان كفارة ما بينهما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

الكفارات نوعان؛ إما أن يعطيك هذا الشهر شحنة روحية قوية، تُمدك إلى الشهر الثاني، وهذا أرقى معنى للكفارة، كفارة؛ أي لا تقع.

يعني: إما أن نحسن هذا الجسم تحصيناً كبيراً، فيملك مناعة كبيرة تحول بينه وبين أن يمرض، وإما أن يمرض فنأتي له بالدواء.

فرمضان؛ إما أن يكون تحصيل لرمضان قادم، أو علاج لما مضى قبل رمضان، والأكمل: أن الإنسان يتابع الترقى، لا يدافع التدني، العبادة يجب أن تتابع فيها الترقى إلى الله عز وجل.

صحح هذه العبادة عندك :

أيها الأخوة، صار عندنا عادات وتقاليد، تبتعد بنا عن حكمة هذا الصوم؛ فالولائم كلها في رمضان، والسهرات كلها في رمضان، واللقاءات كلها في رمضان، وانقلب رمضان من شهر عبادة وتعب، إلى شهر انطلاقة وتدد، اختلف الوضع.

فنحن نريد أن نستفيد من هذا الشهر، ما الذي يكون عند بعض الناس؟.

يعني: في رمضان غض بصره، انتهى رمضان أطلق بصره، في رمضان ضبط لسانه، انتهى رمضان أطلق لسانه، في رمضان عمل الخيرات، بعد رمضان أهمل هذه الخيرات، في رمضان قرأ القرآن، بعد رمضان ترك قراءة القرآن، في رمضان تحرج أن يختلط بالنساء الأجنيات، بعد رمضان لم يتحرج، الذي يحصل: أنه يصعد ويهبط، ويصعد ويهبط، يصعد ويهبط.

هذا ما قاله العرب: مكانك تحمدي أو تسبيحي.

((مثله كتل الناقة عقلها أهلها، فلا تدري لا لم عقلت، ولا لم أطلقت؟))

لكن رمضان -كما أراده الله عز وجل- قفزة نوعية مستمرة إلى رمضان الثاني، ثم يأتي رمضان قفزة نوعية مستمرة إلى رمضان الذي يليه، يأتي رمضان قفزة ثالثة.

يعني: الإنسان ما لم يبرمج حياته في رمضان برمجة روحية خالصة

مثلاً: لماذا نهاك الله عز وجل عن الطعام والشراب في رمضان؟.

يعني: إذا الإنسان أصابه العطش, بحالة عطش شديد في رمضان, ممنوع أن يشرب, طيب بالإفطار: لو شربت, هل عليك من إثم؟ لا, إذا الإنسان تناول كأس ماء وشربه, هل فيه عليه إثم؟ إطلاقاً, لا يوجد عليه إثم, برمضان يفطر.

((ومن أفطر يوماً في رمضان, فكأنما أفطر الدهر كله))

كفارته صعبة جداً, صيام ستين يوماً متتابعة.

هل سألت نفسك هذا السؤال؟ :

حسناً: هل سألت نفسك هذا السؤال: لماذا نحن ندع المباحات في رمضان؟.

طبعاً: المباحات والمحرمات؛ تدع تناول الطعام, وشرب الماء, وتدع الكذب, وتدع إطلاق البصر, وتدع الغيبة, والنميمة, تدع كل معصية.

الحقيقة: الحكمة: أنك حينما تدع ما هو مباح, وتتشوق إلى كأس ماء تشربه, أو إلى وجبة طعام تأكلها, إذا انقضى رمضان, أنت منهي عن المحرمات, الله عز وجل دربك على أن تترك المباحات, فلأن تدع المحرمات من باب أولى, تستسهل بعد رمضان أن تدع الكذب, أو أن تدع إطلاق البصر, أو أن تدع قول الزور, لأنك في رمضان تركت ما هو مباح, تركت ما هو مسموح لكل الناس, فينبغي إذاً: أن يكون رمضان تربية إلهية لتقوية الإرادة.

والحقيقة: رمضان من عبادات الإخلاص, يجوز تأتي يوم الجمعة إلى المسجد, وأنت ترتدي أجمل الثياب, ومتعطر, ولك مكان في المسجد معروف, تنتهي الصلاة, تلتقي بأخوانك, تصافحهم, تسلم عليهم, تبتسم لهم في وجوههم, هذه عبادة فيها مظاهر, أما وأنت في البيت وحدك, ورمضان في الصيف, وأنت على أحر من الشوق, على أحر من الجمر, لكأس ماء تشربه, تدخل الحمام, وفيه ماء بارد, أو تدخل المطبخ, ولا أحد في البيت, ما

الذي يمنعك أن تشرب كأس ماء؟ الله ﷻ, لذلك قالوا:

رمضان عبادة الإخلاص.

هذا معنى قول الله في الحديث القدسي الشريف:

((كل عمل ابن آدم له, إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))

[أخرجه ابن ماجه في سننه, وابن خزيمة في صحيحه]

لأن الله أمرك بترك المباحات.

مثل :

لو أن الأب قال لابنه: يا بني نظف أسنانك, لأنك إن خسرتها, خسرت شيئاً ثميناً, هذا الأمر معقول للابن, يا بني ادرس, إن درست سوف ترقى إلى مكانة عليّة في الدنيا, هذا الشيء معقول, أما حينما تقول لابنك والطعام موضوع أمامه: لا تأكل, يقول لك: لماذا؟ هكذا, لا تأكل, يقول لك: سمعاً وطاعة يا أبت, هذا أمر يُنفذ بأعلى درجة من العبودية؛ لذلك: الأمر كلما اتضحت معالمه, صار تنفيذه سهل, والعبودية فيه أقل, أما كلما غابت عنك حكمته, صار تنفيذه صعب, والعبودية فيه أعلى, لذلك:

((كل عمل ابن آدم له, إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))

[أخرجه ابن ماجه في سننه, وابن خزيمة في صحيحه]

خلاصة ما سبق :

النقطة الأولى إذناً: ينبغي أن نصوم, لا كما تعقل الناقة, لا تدري لا لم عقلت, ولا لم أطلقت؟.

يجب أن ينقلب الصيام من طقوس وعوائد اجتماعية, إلى عبادة واضحة المعالم ترقى بها.

والشيء الثاني: يجب أن ترقى بها على مدار العام, لا أن تعود بعد الإفطار إلى ما كنت عليه قبل الإفطار, عندئذ تكون:

﴿نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا﴾

[سورة النحل الآية:92]

رمضان قفزة نوعية مستمرة وهكذا.

الشيء الثاني: رمضان من أجل تقوية الإرادة, يعني عندنا مشكلة: هو أن الحق معروف, لكن قد تشكو دائماً ضعف الإرادة, الحق هنا وأنت هنا, ما الذي يعينك أن تصعد إليه؟ قوة الإرادة, فرمضان عبادة سنوية, مهمتها تقوية الإرادة.

ما هو أقوى درجة للتقوى, ولماذا؟ :

الشيء الآخر: الله ﷻ قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

الحقيقة: التقوى درجات, أحد هذه الدرجات: أن تدع ما حرم الله, وأن تفعل ما أمر الله, لكن هناك درجة أرقى بكثير: هو أنك حينما تتصل بالله عز وجل الاتصال الصحيح, يمتلئ القلب بنور الله, هذا النور تمشي به في الناس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

[سورة الحديد الآية:28]

لأن مشكلة الكافر:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية:22]

((الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا))

فمشكلة الكافر وأهل الدنيا، هؤلاء في عمى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه الآية:124]

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾

[سورة طه الآية:125]

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾

-كنت أعمى في الدنيا-:

﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

[سورة طه الآية:126]

﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

[سورة طه الآية:126]

إذاً: إنسان إن كان مقطوعاً عن ربه هو أعمى, أما إذا اتصل صار مستتيماً, والمستنير لا يقع.

مثل للتوضيح :

وأوضح مثل: أنك إذا كنت تقود مركبة, في طريق كله انعطافات في الليل, وحوله وديان ساحقة, فإذا انطفأ المصباح فجأة, فالحادث حتمي, وأنت في الدنيا كمركبة تسير في طرقات, كلها انعطافات, وكلها أكمات, وكلها حفر, وعن يمينك واد سحيق, وعن شمالك واد سحيق, فلا بد من نور تهتدي به في هذه الظلمات.

وكل إنسان إذا انقطع نوره وقع في الخطأ, لأنه متحرك, الشيء الثابت ليس منه خطر, أنت كائن متحرك, ما الذي يحركك؟ الشهوة؛ تشتهي أن تأكل تجوع, وتشتهي أن تقترن بامرأة, إذاً: الدافع إلى الطعام والشراب دافع بقاء الفرد, ودافع الجنس دافع بقاء النوع, هذه الدوافع تجعلك متحركاً, فإذا لا يوجد نور تهتدي به, فالوقوع حتمي, لذلك:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:33]

ما ينبغي أن تفعله في رمضان :

لو دخلنا في التفصيلات, جاء رمضان, أولاً: يفضل أن تدع حل المشكلات العويصة إلى ما قبل أو ما بعد رمضان, لأن رمضان لا يسع غيره, رمضان شهر يجب أن تُشحن فيه إلى أعلى درجة لا يسع غيره, فمشكلة عويصة لا تحل في رمضان؛ إما أن تحلها قبل رمضان, أو أن تحلها بعد رمضان.

الشيء الثاني: يفضل -وهذا خلاف عوائد الناس- أن تُقلص اللقاءات, والدعوات, والولائم في رمضان, لأن هذه ولائم, تدعى إلى طعام, تأكل الطعام, تُدعى إلى مزيد من الطعام, تُكثر من الطعام, تميل إلى الراحة, تلغي صلاة العشاء, تصلبها في البيت, تلغي التراويح, انتهى رمضان, رمضان بالتراويح.

إياك أن تضيع عليك فرصة رمضان :

أيها الأخوة, الإنسان في رمضان لو طبق سنة النبي عليه الصلاة والسلام, لكان هذا الشهر من أمتع شهور العام, لو أصر أحدكم على أن يأكل ثلاث تمرات, ثم يصلي المغرب, التمر ينتقل من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق, من الفم, إلى الدم, إلى مركز تنبيه الشعب, فلو كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاث تمرات

نأكلها, ونقوم إلى الصلاة, الصلاة المتقنة تحتاج إلى ربع ساعة أو عشر دقائق, ما بين فرض وسنة. الآن: تجلس إلى الطعام, وكأنك في الإفطار, تأكل أكلاً معتدلاً, وتراعي فيه صلاة التراويح, كلما خففت من الطعام, أمكنك أن تتفاعل مع الآيات في التراويح, ينبغي أن تصلي التراويح في المسجد, وأن تصلها عشرين ركعة بالتمام والكمال, لأن هذا هو قبض الجائزة.

أنت في النهار تركت كل المباحات من الطعام, والشراب, والنساء, وضبطت لسانك, وضبطت عينيك, وضبطت أذنيك, وضبطت يديك, وضبطت رجلك, وضبطت بيتك, أنت في النهار تتقرب إلى الله بطاعته, متى تقبض الثمن؟ في صلاة التراويح, فإذا أهملت, ولم تعبأ بها, أو أديتها أداءً شكلياً سريعاً, ضيعت عليك فرصة اللقاء مع الله عز وجل.

فرمضان بقيامه, الله عز وجل فرض علينا صيامه, والنبى -ﷺ- سن لنا قيامه, فيجب أن تريح هذا الشهر وفق صلاة التراويح, أما اليوم انعزمتنا, اليوم لم نصل, لم يصح لنا, في اليوم الثاني أكلنا فوق طاقتنا, سنصلي فقط ثماني ركعات في البيت, في اليوم الثالث دعينا المحل بعيد, هناك لا يوجد مساجد, إذًا: نصلها قبل أن ننام إن شاء الله, فإذا أنت ضيعت هذه الصلاة بأعدار واهمة, ضيعت قيمة هذا الشهر.

أمنية :

فالذي أتمناه عليكم: أنا من فضل الله عز وجل مُصر على نفسي في رمضان أن أدع اللقاءات, هذا رمضان؛ شهر عبادة, شهر إقبال, شهر قراءة قرآن, شهر قيام ليل, شهر أداء التراويح, شهر ضبط النفس, شهر انقطاع لله عز وجل, فالناس يعملونه بالعكس؛ اللقاءات, والولائم, والعزائم, والسهرات للسحور, يأكل, ينام, الفجر لم يصل, وأحياناً في أعمال فنية يتابعونها, وهذه كلها إنما وضعت في رمضان, إكراماً لشهر رمضان المبارك, هذا النمط الذي لا يُعقل ولا يقبل, ينبغي أن نبتعد عنه.

يعني: من فضل الله على هذه البلدة الطيبة: أنك ترى بعد المغرب وقبيل العشاء, تجد الناس بكثرة في طريقهم إلى المساجد, أليس كذلك؟.

حدثني أخ مقيم في القاهرة, قال لي: إن أمتع البرامج تبث فيما بين المغرب ومنتصف الليل, فلا تجد أحداً في

المسجد قلما, لأنهم يتابعون ما بُث عليهم, إكراماً لشهر رمضان المبارك, كله إكراماً, نعم.

فأنا الذي أرجوه: يعني غير نمط حياتنا, من شهر طقوس لا معنى لها, ولائم, لقاءات, إلى شهر عبادات.

يعني: ممكن تعمل وليمة بالإفطار, ممكن تدعي إنسان لبيتك بالإفطار, أما رمضان, اجعله على الطعام الخفيف, واجعله على الانقطاع للعبادة, واجعله لتلاوة القرآن الكريم.

نهاية المطاف :

بعد ذلك بالمناسبة: نحن نقرأ القرآن الكريم, هل خطر في بالك أن تقرأ ختمة قراءة متأنية؟.

يعني: إذا مر معك أمر الهي, عندك خمسون مصحف في البيت, اترك مصحفاً علق عليه, إذا مر معك أمر إلهي, ضع خط تحت هذه بالقلم الأحمر؛ إذا كان نهى أحمر, إذا كان أمر أخضر, اعمل قراءة متأنية, إذا في قانون اعمل له إطار معين, أو سجله عندك؛ يعني اقرأ, تتبع المعاني, وإن قرأت خمس صفحات. في بعض الصحابة لهم ختمتان؛ ختمة عبادة, وختمة تدبر.

فالعبادة: اقرأ كل يوم جزء, أما التدبر: اقرأ كل يوم خمس صفحات؛ اقرأ وتأنى, اقرأ وفكر, اقرأ وادرس. فيوجد عندنا تلاوة, ويوجد عندنا غض بصر, لأنه:

((من ملأ عينيه من الحرام, ملأهما الله من جمر جهنم يوم القيامة))

فأنت صائم, طبعاً: النساء كاسيات عاريات, والأسواق متعبة جداً, لكن هذا رمضان, ينبغي أن تحافظ على غض البصر, لا في رمضان فقط, أبداً, في رمضان من أجل أن تستمر بعدها إلى نهاية العام؛ فعندك غض البصر, ضبط اللسان, وعندك التراويح في المسجد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-36} : خصائص شهر رمضان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-12-1996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اقرأ بتأن :

نحن في رمضان, كما قلت في الدرس الماضي: يجب أن تكون مع الجماعة, يعني من منا لا يستفيد من ضمانة الله عز وجل؟.

يقول الله عز وجل:

((ابن آدم! لا تعجز عن ركعتين قبل الفجر, أكفك النهار كله))

يعني: إن أنت صليت ركعتي الفجر في مسجد, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((من صلى الفجر في جماعة, فهو في ذمة الله حتى يمسي, ومن صلى العشاء في جماعة, فهو في ذمة الله حتى يمسي, ومن صلى العشاء في جماعة, فهو في ذمة الله حتى يصبح))

إنك إن صليت الفجر في جماعة, وإن صليت العشاء في جماعة, فأنت في الأربع والعشرين ساعة في ضمانة الله, وفي ظل الله, وفي حفظ الله, وفي تأييد الله, وفي نصر الله.

تذكرة :

أنا أريد أن أذكر الأخوة الكرام: أنه لا ينبغي أن يفجروا إلى أن يسهروا إلى قبيل السحور, ويأكلوا ويناموا, ضاع عليهم أثنى ما في رمضان؛ صلاة الفجر, وإذا عودت نفسك أن تصلي الفجر في رمضان في جماعة, تجد نفسك طواقماً بعد رمضان إلى متابعة هذه العادة الطيبة.

ورد في الحديث الشريف أنه:

((لو يعلم المرء ما في العتمة والصبح, لأتوهما ولو حبواً))

((لو يعلم الناس ما في العتمة والصبح, لأتوهما ولو حبواً))

لا تتسوا أن الله عز وجل في الحديث الصحيح يقول:

((إذا كان ثلث الليل الأخير, نزل ربكم إلى السماء الدنيا, فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر

فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينفجر الفجر))

فنحن في السحور يقظون, يمكن أن تنتهي الطعام قبل الفجر بربع ساعة, ولك أن تصلي ركعتي قيام الليل أو أربع ركعات قيام الليل قبل أن يؤذن الفجر.

لو الإنسان قام قبل ساعة ونصف من أذان الفجر؛ أكل, وشرب, ونوى الصيام, وقام ليصلي ركعتين أو أربع ركعات قبل أذان الفجر, هذه الصلوات, قيام الليل, ثم يتوجه إلى المسجد.

يعني: كما قلت قبل قليل: هناك من يبتعد عن الطريق الصحيح في رمضان:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:119]

الآية الثانية:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

النقطة الدقيقة: الله عز وجل أمرك في رمضان أن تفعل أشياء استثنائية، لا من أجل أن تفعلها في رمضان فقط، بل من أجل أن تعتاد عليها كي يستمر بها بعد رمضان، هذه حكمة الله في الصيام، فإذا ألفت أن تصلي الفجر في جماعة، لعلك تتقاد وتتساق إلى متابعة هذه العبادة بعد رمضان، وعلى مدار الأيام، وإذا ألفت أن تصلي العشاء في جماعة في رمضان، من باب أولى أن تحافظ على هذه الصلاة في المسجد بعد رمضان، لا تنس أن الله يضمن لك أمنك، وسلامتك، وحفظك، وتأيدك، ونصرتك؛ إن صليت الفجر في جماعة فأنت في ذمة الله حتى تمسي، وإن صليت العشاء في جماعة فأنت في ذمة الله حتى تصبح، هذا ذكرته في الدرس الماضي.

ما الذي كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في رمضان؟.

كان عليه الصلاة والسلام جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان كالريح المرسلة.

فالإنسان في رمضان في إنفاق استثنائي.

وقد يقول أحدكم: أنا أديت زكاة مالي والحمد لله، نجيبه ونقول: في المال حق سوى الزكاة، ولو سألتني عن الدليل: هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، هناك دليل قرآني:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ﴾

-الآن دققوا-:

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

[سورة البقرة الآية:177]

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

[سورة البقرة الآية:177]

فإيتاء الزكاة شيء، أن توتي المال على حب الله شيء آخر، إيتاء المال على حب الله، أفضل شهر له رمضان؛ شهر العطاء، شهر الإكرام، شهر الجبر كما يقولون، لذلك: يجب أن تتجه في رمضان إلى الإنفاق.

سؤال هام :

أخ كريم سألني: كيف ندفع زكاة الأموال؟ قلت له: بإمكانك أن تدفعها في أول رمضان، بل إن الإمام الشافعي: استحسّن أن ندفع زكاة الفطر في أول رمضان، يعني: هذا الفقير ينبغي أن يشتري حاجاته، يشتري ملابس لأولاده، هذا الذي يؤخره إلى قبيل العيد بيومين، قد لا ينتفع بهذا المال، فمن الأفضل أن تدفع زكاة الفطر قبل مجيء العيد بوقت طويل، ولكن كنت قد اقترحت على بعض الأخوة الكرام في شأن دفع الزكاة. يعني العلماء: أجازوا أن تدفع الزكاة سلفاً، كيف؟.

جاء رمضان، وجردت أموالك، وعروض التجارة، وما لك من ديون، وما عليك من استحقاقات، جردت البضاعة بكلفتها، أو بسعر السوق أيهما أقل، وأجريت الحسابات، وبلغت زكاة مالك رقم كذا، وأديتهم، ما الذي يمنع أن تفتتح حساب زكاة في واحد شوال على مدار العام؟.

فكلما جاءتك قضية، أو مشكلة، أو إنسان، أو حالة تستدعي المعالجة، والدفع، والسخاء، دفعتها وسجلتها في حساب الزكاة، أنت على مدار اثني عشر شهراً، بإمكانك أن تدفع المبلغ المناسب للفقير المناسب، في الوقت المناسب، وبحكمة بالغة، أما حينما تريد أن تدفع زكاة مالك كلها في يوم واحد أو يومين، قد لا توفق إلى المحتاجين الصادقين.

فبالإمكان أن تدفع زكاة مالك على مدار العام، كلما رأيت حالة تستدعي العطاء؛ عملية جراحية، طالب علم، إنسان بيته مهدم، إنسان في عنده مشكلة، تدفع وأنت مرتاح، دراسة هادئة، متأنية، توضع الزكاة في مكانها الصحيح، وفي اليد التي تستحق، فإذا جاء رمضان الثاني، وجردت البضاعة، وأجريت الحسابات، فكان عليك

مثلاً زكاة ثمانين ألف، دفع خمساً وستين، بقي عليه خمسة عشر، تدفعها، ودفعها سهل مثلاً. إذاً: الزكاة يمكن أن تدفعها سلفاً على مدار العام.

كيف نطبق هذه القاعدة: -الأقربون أولى -معروف ؟ :

النقطة الأولى في هذا الدرس: هي أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان، فهو كالريح المرسلة.

و:

((ما عبد الله في الأرض بأفضل من جبر الخواطر))

و:

((لا تقبل زكاة مالك -دققوا في هذا الحديث- وفي أهلك محاويع))

﴿الأقربون أولى بالمعروف﴾

هذه قاعدة، قاعدة فقهية، كيف نطبقها؟ تطبيقها دقيق جداً.

العلماء قالوا: هناك ثلاث زوايا؛ الأقربون نسباً 2-الأقربون إلى الفقر 3-الأقربون إلى الإيمان أربعة، ثلاثة عوامل.

لو تصورنا أن قريبين متساويين في النسب، أخوان شقيقان يمتان إليك بصلة، كيف ترجح بينهما؟ الأقرب إلى الإيمان.

حدثني أخ كريم له أعمال طيبة جداً، امرأة لها سجل في المساعدات، فعلم أنها اشترت صحناً كي تستقبل المحطات الغربية، فلما منع عنها العطاء، توسلت، واستعطفت، وقالت: والله أخذته بالدين يا سيدي، بالدين أخذته؛ فهذه التي تغرق في الملهيات التي لا ترضي الله، الأولى: أن نعطي أسرة ملتزمة.

لو تساوى رجلان في القرابة، تعطي الأقرب إلى الإيمان، لو تساوى رجلان في الإيمان، تعطي الأقرب إلى الفقر، لو تساوى رجلان في الإيمان والفقر، تعطي الأقرب نسباً، كم مرجح؟ ثلاثة، الأقربون إلى الإيمان، الأقربون إلى الفقر، الأقربون نسباً، إن تساوى، إن تساوت قرابة النسب، ترجح الإيمان، وإن تساوى قرابة الإيمان، ترجح الأقر. على كل؛ عندك ثلاثة مرجحات، هذه قاعدة في إنفاق المال.

توهم خاطيء :

أكثر الأخوان الكرام يتوهمون: أنه لمجرد أن تؤدي زكاة مالك، انتهى الأمر، لمن تعطيها؟ يجب أن تعطيها، وأن تجتهد في أن تعطيها.

أنا حدثني رجل قال: والله الجمعية الفلانية اشترت بيتاً لأحد الفقراء، وهذا البيت الآن بيت دعارة، أقسم لي بالله، وسمى لي اسم الذي أخذ هذه المساعدة من الجمعية.

فلكم يتوهم: أنه دفع انتهى، لا، كما أنك يعني اتخذت قراراً لدفع زكاة مالك، ينبغي أن تبحث عن المستحق؛ والأقربون أولى بالمعروف، المؤمنون أولى بالمعروف، والأشد فقراً أولى بالمعروف.

يوجد إنسان يلزمه يعني يشتري مكيف، أو يلزمه يشتري حاجة ثانوية، أما الذي يحتاج أن يأكل أولى بالمعروف، نعم.

ممكن نؤمن لشخص بيت، لكن لسنا مكلفين بيت فخم، بيت في الضواحي، بيت مئة متر، بيت بأقل كلفة ممكنة، أما نوسع بيت لشخص، لا، نقول له: نؤمن بيت لشخص ثان أفضل، لذلك: الإنفاق يكون بهذا الشكل.

هل يجوز أن تؤدي زكاة الفطر عيناً؟ :

ورد عند بعض المذاهب: أن زكاة الفطر تؤدي عيناً ممكن.

يعني: أنا أعجبتني من بعض الأخوة في الشام، يؤمنون مواد تموينية لشهر بكامله، لم يعد يهمك الأب حكيم، أو غير حكيم، قدمت له المواد الأولية من سمن، ورز، وسكر، وشاي، إلى آخره..... وزيت، فإذا بالإمكان هذه العادة الطيبة تتوسع.

في تجار كثر يعطي كرت، هذا الكرت ممكن تستلم مقابله مونة شهر، وفي كرت مونة سنة، فممكن تقدم مواد عينية جيدة جداً، هي في طريقها إلى بطون الجياح، وهذه لا شبهة فيها إطلاقاً، هذه واحدة.

ما هما الشرطان اللذان ينبغي أن يعلمهما التاجر إذا أراد أن يدفع زكاة ماله:

1- يجب أن تكون هذه البضاعة مما ينتفع به الفقير انتفاعاً شديداً :

الواحدة الأولى: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان.

يمكن تكلمت الدرس الماضي: أن مع كساد الأسواق، هناك أخوة كرام كثر يدفعون زكاة مالهم من بضاعتهم.

أقول لكم الحقائق التالية: يمكن أن تدفع زكاة مالك من بضاعتك، بشرط أن تكون بضاعتك مما ينتفع بها الفقير جداً، في بضاعة ثانوية، أو في ألبسة لا تلبس كي تستر، ولا تلبس كي تدفء، ولكن تلبس كي الإنسان يفخر بها، يسمونها النوفتي هذه، هذه لا يمكن أن تقدم زكاة مال للفقراء، هذه الفقيرة تحتاج إلى معطف، تحتاج إلى ثوب من الجوخ يقيها البرد، تحتاج إلى شيء أساسي، أما أن تعطيتها شيئاً ثانوياً لا قيمة له عندها، قد يكون هذا الشيء له قيمة عند المؤمنين.

فأيها الأخوة، قبل أن تقررنا توزيع زكاة أموالكم من بضاعتكم.

والله أخواننا في الجمعيات، نكر لي أشياء، والله شيء يندى لها الجبين، أحذية الفردتين شمال، دفعهم زكاة ماله، الفردتين شمال، الفردتين يمين، حذاء لو رأيت في الطريق لا تحمله، هكذا تقدم هديتك إلى الله عز وجل؟ ألبسة لا يمكن أن تنتفع بها، امرأة مستورة، خمسون غرام من الصوف مشكوك، عبارة عن صدر فقط، وظهر، وبلا أكمام، قال: هذه كنزة زكاة مالي أستاذ تأخذونها؟ لم تبع معهم.

فأنا أنبه الأخوان، أنتم أكثركم تجار، لا تدفع الزكاة عيناً، إلا إن كانت بضاعة ينتفع بها الفقير انتفاعاً كبيراً.

2- أن تكون بسعر السوق أو الكلفة أيهما أقل :

الشيء الثاني: لا يمكن أن تسجل على الله، إلا بسعر السوق أو الكلفة أيهما أقل، واضحة، هذه ذكرتها الدرس الماضي.

سعر السوق أو الكلفة أيهما أقل.

يعني: في عندك أرواب، أردت أن تؤديها زكاة مالك، كلفك الروب ألف، انتهى موديله، أتيت بإنسان قال لك: بثلاثمئة، هذه ستوكة، كيف تسجلها على الله؟ بثلاثمئة ليس بألف.

لو أن هذه البضاعة رائجة، كلفتك ألف، مبيعها ثلاثة آلاف أو ألفان، كم تسجلها على الله؟ بألف، هذه قاعدة:

سعر السوق أو الكلفة أيهما أقل.

إذا أخ من أخواننا أراد أن يدفع زكاة ماله من بضاعته، الشرط الأول: يجب أن تكون هذه البضاعة مما ينتفع به الفقير انتفاعاً شديداً.

شخص عنده نكاشات أسنان، ممكن تعطيها للفقير؟ لم يأكل لحم حتى ينكش أسنانه، وهذه البضاعة تسجل بسعر الكلفة أو سعر السوق أيهما أقل، هذا جانب من جوانب رمضان.

كان عليه الصلاة والسلام جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان.

كيف نقرأ القرآن الكريم في رمضان؟ :

الصفة الثانية في رمضان، من يعرفها؟ تلاوة القرآن.

يعني: أخواننا أكرمهم الله، يقرؤون القرآن هكذا الحمد لله أنهيت ختمتين في رمضان. يقول الله عز وجل:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد الآية:24]

أنا أنصح أخوتنا الكرام: أن يقرؤوا القرآن مرتين؛ مرة قراءة تدبر، ولو قرأت في رمضان كله جزء واحد قراءة تدبر؛ قف عند الآيات، عند الأوامر، عند النواهي، عند المواعظ، عند العبر، عند القصص، عند الثوابت، عند السنن، عند القوانين، عند كلمات الله التي لا تتبدل ولا تتغير، قف عند هذه الآيات، قف عندها ملياً، حاسب نفسك أين أنت منها؟ هل أنت مطبق لها؟.

واقعة :

مرة كنت أمشي في هذا الشارع المتوسط، فخرج أحد الأخوة الكرام من دكانه، ودعاني لدخول محله، واستفتاني في موضوع زواج ابنته من شاب، هذا الشاب خطب ابنته، وهو على مستوى عال من المال؛ في معمل، في بيت، في سيارة، قال لي: لكن دينه رقيق، أغلب الظن أنه لا يصلي، فيماذا تتصنحي؟ قلت: والله اسمع نصيحة الله عز وجل:

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: 221]

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: 221]

أنت حينما تقرأ القرآن، وتقبله من وجوه الست، وتقول: صدق الله العظيم، فإن لم تأتمر بأمره، ولم تنه عما عنه نهاك، فهل كنت مصدقاً لله عز وجل؟ لا والله.

ألم يقل النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((رب تال للقرآن والقرآن يلعنه))

و:

((مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

و:

((كُلُّ عِلْمٍ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ))

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

ألم يرو النبي لنا في الحديث الصحيح, عن رجل معروف بين الناس, يدور حول الرّحى في النار, فيقال له:

((يا فلان, أأست فلاناً؟ يقول: نعم, ألم تكن تأمرنا بالمعروف, وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى, ولكنني كنت

أمركم بالمعروف ولا آتية, وأنهاكم عن المنكر وآتية))

هذا المطلوب :

فيا أيها الأخوة الكرام, المطلوب: أن نقرأ القرآن بتدبر:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[سورة النساء الآية:82]

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد الآية:24]

يعني: إذا في مجالس رمضان حول تفسير القرآن, ينبغي أن نحضرها.

نحن إن شاء الله، حسب أخواننا الكرام، يعني صار في اتفاق: أن تكون الدروس في رمضان بعد العصر، وأن تكون يوم الأحد، والثلاثاء، والخميس، ثلاثة أيام في الأسبوع، أحد، وثلاثاء، وخميس، وسأحاول أن تكون هذه الدروس مكثفة جداً، ومتعلقة بهذا الشهر، الذي هو من أرقى شهور عند الله عز وجل، ونقرأ القرآن، نقرؤه قراءة تعبد، في قراءة تدبر، وفي قراءة تعبد، كيفما تعاملت مع القرآن، فأنت في خير، قراءة تعبد، أو قراءة تدبر، والأفضل: أن تجمع بينهما؛ ولكن لو سألت العلماء: أية طريقة في قراءة القرآن تعد أعظم أجراً عند الله؟.

الإمام الغزالي في إحيائه يقول: أن تقرأ القرآن في المسجد، وفي صلاة واقفاً.

يعني: أعلى درجة من التلاوة: أن تقرأه في المسجد، وفي الصلاة، وواقفاً، وهذا أين يتوفر؟ طبعاً: القراءة أو الاستماع كلاهما واحد، في التراويح، أنت في التراويح تقف بين يدي الله ساعة، لتستمع إلى كلام الله يتلى عليك، وكأن الله سبحانه وتعالى يخاطبك.

قف هنا :

ورد في بعض الأقوال المأثورة:

((أنك إذا أردت أن تحدث الله فادعه، وإن أردت أن يحدثك الله فاقراً القرآن، إن أردت أن يحدث الله فادعه، وإن أردت أن يحدثك الله فاقراً القرآن، وكأنك تستمع إلى رب العزة يتلو عليك كلامه))

لذلك: ورد في بعض الأحاديث القدسية:

((أن يا موسى، أتحب أن أكون جليسيك؟ -صعق سيدنا موسى- قال: كيف هذا وأنت رب العالمين؟ قال: يا موسى، أما علمت أنني جليس من ذكرني، وحيثما التمسني عبدي وجدني؟))

أنا من عادتي: أنا أبدأ في الحديث عن رمضان قبل رمضان, حتى نبدأ من أول يوم بدءاً صحيحاً, من أول يوم بدء أساسه العبادة؛ أن نلتزم في مسجد في صلاة التراويح, وفي صلاة الفجر, وفي حضور مجالس العلم. وقد نوهت في الدرس الماضي أنه: يمكن أن تؤخر كل اللقاءات إلى ما بعد العيد؛ الولايم, واللقاءات, والاحتفالات, والأدوار, والسهرات, هذه دعها إلى بعد العيد, واجعل هذا الشهر شهر عبادة, لا كما يفعل معظم الناس, شهر لقاءات, وولايم, واحتفالات, وكل شيء لا يرضي الله, إنما صنعناه إكراماً لشهر رمضان المبارك, نعم.

أيها الأخوة, قال:

أخلق لذي الصبر يحظى بحاجته ويدمن القرع للأبواب أن يلجا

في إنسان أنا أشبهه ملول, يعني يصلي, لم يجد في شيء, يقول لك: يقرأ قرآن, لا يحس بشيء, فوراً يمل؛ أما المؤمن يصبر, يصلي, يذكر, يقرأ القرآن إلى أن يفتح الله عليه, إذا الله عز وجل تجلى على قلبك, وأذالك من طعم قربه, ذقت شيئاً لا يوصف.

يعني: رمضان شهر التجلي, الآن: الحج, ورمضان, هذه عبادات راقية جداً, أنت لست بحاجة إلى أحد.

أيها الأخوة, أكثر المساجد, يقول لك: أحييناها الحمد لله, كيف أحييتها؟ أناشيد, ودريكة, هذا الإحياء؟.

الإحياء: أن تجلس تتاجي ربك, أن تستغفره, أن تستغطفه, أن تسبحه, أن تمجده, أن تقدسه, أن تتلو كلامه, أن تنهمر الدموع, أن يخشع القلب, هذا هو الإحياء, لذلك:

أنا من أنصار أن تجمع في الإحياء, بين أن تكون في المسجد جانباً من الوقت, وجانب آخر وحدك في البيت,

أن تكون مع الله عز وجل, هذه بعض الملاحظات؛ لكن أيها الأخوة, الإنسان من أين يؤخذ في رمضان؟ من هذه وهذا, لو أنه ضعف غض بصره, شعر بالحجاب بينه وبين الله, ومن يعمل في الأسواق

والله العمل في الأسواق, يعني فتنة كبيرة جداً, هذه الفتنة لا تقاوم إلا بغض البصر؛ امرأة متزينة, متبرجة, متقلبة, مائلة مميلة, كاسية عارية, تدخل المحل معطرة, فأنت إن استرقت النظر إليها, أو ملأت عينيك من محاسنها, أو أدت معها حديثاً لطيفاً, وأنت صائم, تفضل صل الظهر, تصلي, لكن في بينك وبين الله حجاب, أليس كذلك؟.

أنا أضع يدي على الجرح, بينك وبين الله حجاب, لذلك: المؤمن يبالغ في غض بصره.

الكلمة الأخيرة :

وفي شيء أريد أن أقوله لكم, لكن متحرج: يعني هذه النعومة الزائدة مع الزبائن, لا تتناسب مع الصيام, شيء من القسوة ضروري, امرأة تلين الكلام, وأنت تلين أكثر, انتهى الأمر, أين بقي رمضان؟ أين رمضان؟ لا بد من الجزم, كما أن الله عز وجل يقول:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:32]

وأنت ينبغي أن تقول قولاً معروفاً, كيف؟.

قال سيدنا موسى لابنتي شعيب:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[سورة القصص الآية:23]

فقط كلمة وحدة, حسناً: لماذا لم يقل لهما: الأنسات ما أسماؤهن؟ لم نتعرف على الأنسات؟:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[سورة القصص الآية:23]

كلمة واحدة؛ لا مجاملة، ولا الآنسات، ولا الاسم الكريم، ولا ماذا تفعلان هنا؟ خير إن شاء الله؟ قلبنا معكن، هذا كله كلام لا معنى له إطلاقاً.

حسناً: حينما جاءت من طرف سيدنا شعيب، من طرف أبيها، ماذا قالت له؟:

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾

-لو قالت: إن أبي يدعوك، خير ما المناسبة؟ صار في حديث-:

﴿أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[سورة القصص الآية:25]

انتهى، لا يوجد رد، هذه المؤمنة:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾

[سورة الأحزاب الآية:32]

لا تدقق، أقل كلام، كلام جاد معروف؛ لا في ميولة، ولا في تفسخ، لأنه يؤخذ الإنسان في رمضان من إطلاق البصر، ويؤخذ من اللسان، لذلك: صدقة الفطر لماذا؟ تطهير للصائم مما بدر منه من لسانه أو من عينه، وطعمة للمسكين.

أرجو الله سبحانه وتعالى: أن يكون رمضان من الأشهر المتميزة في هذا العام، والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-37} : من نصائح النبي محمد عليه الصلاة والسلام

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 26-04-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

إلى أين يعود حرف الهاء في هذا الحديث, وماذا استنبط العلماء من هذه الآية؟ :

أيها الأخوة الكرام, يقول عليه الصلاة والسلام:

((اجعلوا من صلواتكم في بيوتكم, ولا تتخذوها قبوراً))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وابن خزيمة في صحيحه]

الهاء تعود على البيوت؛ أي لا تجعلوا بيوتكم قبوراً.

أد بعض الصلوات في البيت, اقرأ القرآن في البيت, اجعل هذا المكان مباركاً بذكر الله, اجعل هذا المكان مرزوقاً, لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة طه الآية:132]

استنبط العلماء من هذه الآية: أن البيت الذي تؤدي فيه الصلوات بيت مرزوق.

((اجعلوا من صلواتكم في بيوتكم, ولا تتخذوها قبوراً))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وابن خزيمة في صحيحه]

لك أن تصلي السنن في البيت والفريضة في المسجد، لك أن تصلي الوتر في البيت، لك أن تصلي الضحى في البيت، لك أن تصلي قيام الليل في البيت، لك أن تصلي صلاة الأوابين في البيت، لك أن تصلي بعض الفرائض مع أهلك في البيت، اجعل من بيتك مسجداً، اجعل من بيتك مكاناً للذكر، بيت يُذكر الله فيه.

عرف ما يلي: البيت المبارك، البيت غير المبارك :

في بيوت لا تعقد فيها السهرات إلا على طاعة الله، وعلى ذكر الله، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى الإصلاح بين الناس، بيت كهذا البيت بيت مبارك، أما إذا كان تعقد في البيت سهرات أساسها: الحديث عن الدنيا، أو الحديث عن النساء، أو التباهي، أو الكبر، أو المغالاة، هذا بيت غير مبارك؛ البيت المبارك: هو الذي يُذكر الله فيه، يُصلى فيه، يُتلى فيه القرآن، أما بيت تصدح فيه الأغاني، وتقام فيه السهرات على غير ما يرضي الله، بيت تُقام فيه الولائم للتباهي، بيت تُقام فيه السهرات مع الاختلاط، كلٌّ ينظر إلى محاسن امرأة لا تحل له، كلٌّ يغمز ويلمز، هذا بيت غير مبارك، هذا بيت غير مرزوق.

قياس :

أيها الأخوة، لو قسنا عليه المحل التجاري، محل تجاري؛ لا يمكن أن تُقال كلمة لامرأة لا تليق بأخلاق المسلم، ليس هناك نظر، هناك غض بصر، هناك كلمة بالمعروف.

أكثر البائعين الذين يبيعون النساء: يتلطفون معهم إلى درجة يقعون فيها بالحرام، هذا اللون يناسبك، أنت لونك كذا، يتغزل بها، هذا كله بيع محرّم بهذه الطريقة.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 32]

القول المعروف:

﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾

[سورة القصص الآية:23]

-كلمة واحدة-

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص الآية:23]

انتهى:

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[سورة القصص الآية:25]

كلام لا يحتاج إلى سؤال؛ كلام فيصل، كلام مبرم، كلام موجز، المرأة المؤمنة إذا اشترت من رجل، لا تقول له إلا كلاماً جاداً؛ رخص لنا، قلبك قاس علينا، نحن جيرانك، هذا كله كلام محرم.

فعلموا بناتكم، علموا زوجاتكم، كيف تتكلم المرأة مع الرجل الأجنبي؟:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 32]

هذا معنى الحديث الشريف :

أيها الأخوة، فبيت تؤدي فيه الصلوات، بيت يذكر الله فيه، بيت تتلى فيه آيات القرآن، بيت تعقد فيه مجالس العلم. والله في بيوت كالمساجد، من عشرين أو ثلاثين عاماً؛ إنسان في لقاء، في سهرة، وليمة، على طاعة الله، وعلى ذكر الله، وعلى الأمر بالمعروف، وعلى الإصلاح بين الناس.

اجعل من بيتك مسجداً بأداء العبادات فيه، بعقد الصلح بين المتخاصمين، بالتذكير بالله عز وجل، ولا تجعل بيتك ملهى، ولا مقصفاً، ولا فندقاً، ولا نادياً.

هذا معنى قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وابن خزيمة في صحيحه]

يعني: بيت تعرض فيه المسلسلات حتى ساعة متأخرة، بيت تستقبل فيه المحطات الفضائية، تعرض فيه الأفلام الإباحية؛ أين الصلاة؟ أين الذكر؟ هو في قنوات المجاري.

ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة

يا أيها الأخوة الكرام، أساس سعادة المؤمن بيته، فإذا أحكم بيته سعد في عمله، وكان عنصراً فعالاً.

يعني سؤال: لو أن إنساناً اشتهى شيئاً محرماً، تركه في سبيل الله، هل تعتقدون أنه يبقى متعلقاً به؟ أبدأ. الجواب:

((ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة، تركها صاحبها في سبيل الله))

إذا تركت شيئاً لله، لن تعذب به أبداً؛ مهما سمعت عن إغراءاته، مهما حضك الناس على اقتنائه، مهما أغراك الناس بمتعته، شيء محرم، الله الغني، أما هؤلاء الإمعة؛ يفعلون ما يفعل الناس، يشترون ما يشتري الناس، يسهرون كما يسهرون، يتحدثون كما يتحدث الناس، يلهثون وراء الصرعات الحديثة.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

أشر على هذه الواقعة بحديث شريف :

إنسان استأجر فيلماً قذراً -وهو قذر أيضاً-، فصور نفسه مع أهله بأوضاع مشينة، بآلة تصوير فيديو، بالخطأ؛ وضع هذا الفيلم في غلاف الفيلم المستأجر، وأرجعه إلى الذي استأجر منه الفيلم، هذا عرض الفيلم، شيء جديد، لا يعرفه،

بدأ يؤجره، إلى أن وصل الفيلم للأخ الذي صوره ، وفُضح الأمر، اضطر أن يبيع بيته في الشام، وأن يسكن في حمص من شدة الفضيحة.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة))

إذا كان بيوت المسلمين فيها فسق، فيها فجور، فيها مسلسلات ساقطة، فيها صحون، تأتي بالأفلام الإباحية، ونصلي في المسجد، وندعي أننا مؤمنون، وندعي أننا مسلمون، ونتبارك بالعلماء، ونثني عليهم، هذه كلها تلبسة وزعبرة صدقوني

المؤمن وقاف عند حدود الله، كل هذا الذي ساقنا إليه؛ أن يكون البيت مسجداً، أن يكون البيت مباركاً بذكر الله، لا أن يكون قبراً، أو أن يكون مسرحاً، أو دار لهو، أو نادياً، أو فندقاً.

ماذا تستفيد من هذا الحديث؟ :

شيء آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

الآن: أكثر الأخوان الكرام إذا أقبلوا على الدين، يقبلون عليه بغفوة عجيبة، ثم تنطفئ هذه الغفوة، ويعودون إلى ما كانوا عليه، هذا لا يُرضي الله، الله ﷻ يريدك أن تداوم على ذكره، قررت حضور مجلس علم دائماً، قررت أن تصلي صلاة الفجر في المسجد: أحب الأعمال إلى الله أدومها، أردت أن تدفع صدقة شهرية: أحب الأعمال إلى الله أدومها.

معنى أدومها: الشيء إذا لم يستمر لا يتراكم.

نقطة ماء في برميل، سرعان ما تجف، أما الصنبور المستمر: هو الذي يملأ البرميل، البرميل لا يمتلئ بنقاط متباعدة، تلقي فيه نقطة من ماء، بعد حين تجف النقطة الثانية، تجف، يبقى البرميل جافاً، أما إذا جاءه صنبور مستمر يمتلئ.

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

فأنت برمج نفسك؛ لك مجلس علم، لك صدقة شهرية، لك ذكر معين، تلاوة معينة، عمل صالح، بر والدين، أما هذه الثرة ثم الهمود، ثرة ثم الهمود، هذا لا يؤدي إلى شيء؛ لا بد من دافع مستمر، لا بد من عمل مستمر، الاستمرار يؤدي إلى التراكم، والتراكم يحقق شيئاً ثميناً.

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

أصبح له ثرة؛ الضحى، والأوابين، وقيام الليل، والنفل، وكل يوم جزأين من القرآن، فجأة ترك كل هذا؛ لا قرآن، ولا صلاة، ولا شيء، هذا وضع غير صحيح، غير سوي، غير مقبول، أن يفور ثم ينطفئ، أن يقبل ثم يُعرض، أن يقف ثم يقعد، لا.

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

لك مجلس علم حافظ عليه، تلاوة قرآن حافظ عليها، زيارة الأرحام حافظ عليها، تؤدي صلاة الجمعة عند إنسان تثق بعلمه حافظ عليها.

هذا المسلم المعاصر إلا من رحم ربك :

إنسان: يرى هذا المكان قريباً، ألا تستحي من الله، من أجل كيلو فول: يركب سيارته من المهاجرين إلى الميدان ويرجع، أما من أجل دينه: يختار أقرب مسجد!؟.

في مسجد السيرنجية: الخطبة ثلاث دقائق ونصف، كل الناس يقفون أمام سياراتهم، اللحمة مشوية في الصندوق، زوجته يحضر الخطبة، على السيران، سموه: جامع السيرنجية.

من أجل آخرتك, ودينك: تختار أقرب مسجد, أقصر خطبة, مهما كان الخطيب لا يعجبك
سقط الوجوه, وإن لم تحصل المطلوب.

من أجل كيلو فول تحمي سيارتك في الشتاء, وتذهب من المهاجرين إلى الميدان, يقول لك: فولاته طعمهم لذيذ,
ألا تستحي من الله؛ من أجل دينك لا تبالي, من أجل وجبة طعام واحدة, تبذل الجهد الكبير؟.
لذلك:

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم, ومالك في الموطأ]

راقب نفسك, الآن تريد أن تتبع بيتاً, تسأل مئة دلال, أما إذا فتوى أعجبتك من إنسان ضعيف الورع: فلان قال,
انتهى, إن شاء الله في رقبته, يقول لك.

لماذا في أمور الدين: تضعها في رقبته, وفي أمور الدنيا: تسأل مئة دلال, ليأتيك بأعلى سعر؟ راقب نفسك, في
تناقض عجيب.

بالجنة تريد وراء الباب, أما بكسوة البيت تريد رخام لا يفنى بمئتي سنة, من أجل الدنيا تعتني بها عناية فائقة,
الآخرة لا تعتني بها.

بماذا أمرنا الله في هذه الآية؟ :

((أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أخواننا الكرام, ربنا أمرنا أن نذكر الله, الأمر لكن ينصب لا على الذكر, بل على الذكر الكثير. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 41]

أما المنافقون:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:142]

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:142]

أما المؤمنون الصادقون: يذكرون الله ذكراً كثيراً.

لذلك قالوا, أو ورد:

((بريء من النفاق, من أكثر من ذكر الله))

ما معنى ذكر الله؟ :

حسناً: ما هو ذكر الله؟ اسمعوا:

يقول عليه الصلاة والسلام, -حديث دقيق جداً, يعني-:

((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم, وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة, وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى, قال: ذكر الله))

لكن ما معنى ذكر الله؟ هنا يوجد لها معنى واسع؛ إذا صليت الصلوات الخمس, فأنت في ذكر الله. يقول الله عز وجل:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

إذا ذكرت الناس بالله فأنت في ذكر الله، دعوت إلى الله ذكر، إذا أصغيت إلى شرح القرآن الكريم هذا ذكر، إما أن تلقي وإما أن تتلقى، إذا قرأت كتاباً في الفقه لتعرف أحكام البيوع فأنت في ذكر، إذا تلوت القرآن فأنت في ذكر، إذا أمرت بالمعروف فأنت في ذكر، كل عمل يصل إلى الله في النهاية هو ذكر.

حسناً: إذا علمت أخاك القرآن فأنت في ذكر، إذا نظرت إلى الكون فقلت: سبحان الله فأنت في ذكر، إذا استغفرت الله فأنت في ذكر، إذا قلت: الله الله بالاسم المفرد فأنت في ذكر، إذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأنت في ذكر، إذا قلت: حسبي الله ونعم الوكيل فأنت في ذكر، إذا قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله فأنت في ذكر، إذا قلت: سبحان الله وبحمده فأنت في ذكر.

إذاً: الاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والحوقلة، وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعلم العلم، وتعليم العلم، وأداء الصلوات، هذا ذكر الله، يعني أنت مع الله، وكل موقف له ذكر: في مجال التعظيم: سبحان الله! رأيت شيئاً عظيماً.

في مجال معصية: لا حول ولا قوة إلا بالله.

في مجال الاستعانة:

((اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك يا ذا القوة المتين))

في مجال النعمة: الحمد لله.

فكل حالة من حالات الإنسان لها ذكر مناسب؛ صباحاً أقرأ القرآن، جلست مع أخواني أذكرهم بالله، جلست بين متخاصمين أصلح بينهما.

يعني المؤمن في النهاية: كل حركاته وسكناته ذكر لله عز وجل.

إذاً:

((أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

((وأحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذه الباقيات الصالحات))

يعني: أن تسبحه، وأن تحمده، وأن توحيده، وأن تكبره؛ إن سبحته، وحمدته، ووحدته، وكبرته، فقد عرفته، وإن عرفته عرفت كل شيء، لذلك:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

[سورة الكهف الآية:46]

هذه هي الباقيات الصالحات.

حديث بليغ :

حديث بليغ، موجز، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أحب للناس ما تحب لنفسك))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني في المعجم الكبير]

والله لو طبقنا هذا الحديث، لا يوجد عندنا مشكلة في الأرض.

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك))

((أحب للناس ما تحب لنفسك))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني في المعجم الكبير]

((اكره للناس ما تكره لنفسك))

عندك زوجة ابن في البيت، هل ترضى لابنتك أن تُعامل كما تعاملها؟ هذا مقياس دقيق.

عندك صانع في المحل التجاري, هل ترضى أن يعامل ابنك كما تعامله أنت؟.

من أدق المقاييس, مقياس لا يخيب, مقياس دقيق جداً, حساس جداً, واضح جداً:

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك, أحب لغيرك ما تحب لنفسك))

تبيع هذا الإنسان, هل تتمنى أن تكون مكانه, تشتري بضاعة سيئة بأعلى سعر, وتستغل جهله؟ هل تحب أن تكون مكانه؟ هل ترضى أن تكون مكانه؟ لا. إذاً: الذي لا تحبه لنفسك, لا تفعله مع الآخرين, يرضى الله عند هذه الاستقامة, والله هذا جوهر الدين.

هذا ما يتوهمه كثير من الناس :

الناس يتوهمون: الدين بالصلاة والصوم, والله الدين بالمعاملة؛ حينما تحب للناس ما تحب لنفسك, وتكره لهم ما تكره لنفسك, ترى الطريق إلى الله سالكاً, تنام مساء مطمئن البال, قرير العين, مرتاح الضمير؛ ما أذيت إنساناً, ما كنت عبئاً على إنسان, ما غششت إنساناً, ما احتلت على إنسان, ما ابتزرت مال إنسان, ما أكرهت إنساناً, ما أخرجت إنساناً, ما حمرت وجهاً, ما أخجلت

((أحب للناس ما تحب لنفسك))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني في المعجم الكبير]

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك))

انتهى الأمر, هذا الدين كله.

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مغلط))

أبدأً.

((أحب للناس ما تحب لنفسك))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني في المعجم الكبير]

هذا البيت الذي يحبه الله :

آخر حديث شريف:

((أحب بيوتكم إلى الله تعالى: بيت فيه يتيم مكرم))

أنا أعرف أسرة في أحد أحياء دمشق, توفي الأب, تولى العم تربية أولاد أخيه, كما لو أنهم أولاده تماماً, وزوج بنات أخيه كما زوج بناته, الحفلة هي هي؛ العناء, الإرشاد, التوجيه, الإكرام, الهدايا.....

والله ذكر لي أخ, توفي أخوه, أقسم لي بالله: ما دخل بيته شيئاً من طعام, أو شراب, أو فاكهة, أو حلويات, إلا ودخل بيت أخيه المتوفى مثل ما دخل بيته, لوجه الله, يعني ما غابت إلا عينه. هكذا يحبنا الله عز وجل: أن نتعاون.

لذلك النبي قال:

((العم والد))

وقال:

((الأخ الأكبر والد))

((أحب بيوتكم إلى الله تعالى: بيت فيه يتيم مكرم))

((أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))

((أحب للناس ما تحب لنفسك))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني في المعجم الكبير]

((أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

((اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وابن خزيمة في صحيحه]

هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة التي هي محور درس اليوم. والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-38} : التوجيه النبوي للمؤمنين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-05-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما الجامع المشترك بين هذه الأحاديث وهذه الآية؟:

أيها الأخوة الكرام, روى الإمام أحمد والبيهقي, عن رسول الله ﷺ - أنه قال:

((احترسوا من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

وفي حديث آخر:

((سوء الظن عصمة))

وفي حديث ثالث:

((الحزم سوء الظن))

ويقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:12]

فكيف نوفق بين الآية الكريمة، وبين أحاديث رسول الله؟.

هكذا كان رسول الله ﷺ :

وقد كان -ﷺ- يحذر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوي بشره عن أحد.

كان -عليه الصلاة والسلام- تلق المحيا، كان باشاً لمن حوله، ومع ذلك: كان حذراً، لأن الله ﷻ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:71]

والمؤمن كيس، فطن، حذر، والسذاجة ليست من صفات المؤمن.

وسيدنا عمر -رضي الله عنه- يقول: لست بالخب أو لست بالخب ولا الخب يخدعني، أو لست من السذاجة بحيث أُخدع، ولا من الخبث بحيث أُخدع.

أنا لا أُخدع ولا أُخدع: هذا موقف المؤمن؛ المؤمن فطن، المؤمن حذر، المؤمن طيب السريرة. كيف نوفق بين هذه النصوص؟.

متى يجوز أن يسيء المسلم الظن بأخيه ومتى لا يجوز؟ :

الحقيقة: أن الإنسان إذا كان هناك دليل على الخيانة، أو دليل على عدم الأمانة، أو دليل على الكذب، إذا كان هناك دليل، يجب أن تُسيء الظن؛ لأن سوء الظن عصمة، ولأن الاحتراس من الناس بسوء الظن، ولأن الحزم سوء الظن، وإن لم يكن هناك دليل، تأتي الآية الكريمة:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:12]

يعني في أزواج ليس عندهم أي دليل، ومع ذلك يسيئون الظن بزوجاتهم، هناك أصحاب أعمال ليس عندهم أي دليل، ومع ذلك يسيئون الظن بموظفيهم، من دون دليل: سوء الظن إثم، من دون سوء ظن، مع الدليل: سذاجة

وحمق. لذلك القاعدة:

إذا قام هناك دليل على عدم الأمانة، أو على عدم العفة، أو على عدم الصدق، ينبغي أن تحترس من الناس بسوء الظن.

والساذج لا يحميه أحد، ولا يحميه القانون، وكم من إنسان ضيع ماله، أو ضيع عمله، بسبب سذاجة، أو بلاهة، أو جهل، أو تجاهل، كان ضحيته؟.

احذر :

أيها الأخوة الكرام، يجب أن تحترس من الناس بسوء الظن، من دون أن يبدو هذا على وجهك، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يحذر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوي بشره عن أحد.

يعني: إنسان لا تعرفه، طلب منك قرصاً كبيراً، ولا تعرف عنه شيئاً.

سيدنا عمر قال: من يعرف هذا الرجل؟ قال أحدهم: أنا أعرفه، قال: يا هذا! هل سافرت معه؟ قال: لا، قال: هل جاورتها؟ قال: لا، قال: هل حاككته بالدرهم والدينار؟ قال: لا، قال: أنت لا تعرفه، يا هذا! انتن بمن يعرفك. في رواية رائعة، قال: يا هذا! إني لا أعرفك؛ ولكن لا يضرك أني لا أعرفك.

قد يكون أحسن مني. انظر الأدب: أنا لا أعرفك، ولا يضرك أني لا أعرفك.

إذاً: هذا توجيه نبوي سليم؛ المغفل لا يحميه أحد، المغفل لا يحميه القانون، وكم من مطبات كثيرة في العمل التجاري سببها الغفلة؟ كم من حيل مأكرة سببها يقع الإنسان ضحيتها سببها الغفلة؟ كم من أخطاء فادحة تودي بالإنسان إلى خسارة محققة ثمنها الغفلة؟.

يعني ممكن إنسان يعاملك، يعمل لك فحاً، أول مرة، ثاني مرة، تطمئن له، ثم يضرب ضربته الكبرى، ويختفي؟.

فالإنسان بالاعتدال؛ كم من إفلاسات سببها السذاجة، أو سببها عدم أخذ الحيطة؟.

أنا أعرف ر جلاً، في أيام اخترق التعليم الخاص إلى درجة: أن الناس يبيعون المدارس بأسعار رمزية، رجلان يعملان في التدريس، اشتريا مدرسة في أرقى أحياء دمشق، يعني مع أثاثها، وهاتفها، بمبلغ يسير عشرون ألفاً، شريك يعمل، وشريك بماله، شريك المال؛ لم يكتب عقداً، لم يكتب ورقة، يعني اتفاق شفهي، ثم نجح التعليم، وارتفعت الأسعار، وصارت هذه المدرسة التي اشترت بعشرين ألف ليرة، لا يبيعها أصحابها بالملايين، الشريك الثاني: دُفع له رأس ماله على ثلاثة أقساط، وهو يظن أنه يأخذ أرباحاً، ثم قيل له: هذا دين أخذته منك، ألم أعطك الدين؟ لا يوجد ورقة، لا يوجد عقد، فقط حُرقة في قلبه إلى يوم القيامة.

((احترس من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

سجل، اكتب إيصالاً، اكتب عقد شراكة، سجله في محكمة البداية، أنت بهذا تحمي أخاك من أن يأكل مالك، أنت بهذا تحصنه.

ما السبيل للخروج من هذه المشكلات؟ :

أيها الأخوة، كم من شركة في البدايات لا يوجد شفهي، أما حينما تنجح نجاحاً كبيراً، الأقوى هو الذي يطرد الأضعف، الذي باسمه المحل هو الذي يطرد الشريك، الذي ليس باسمه المحل، الأقوى يطرد الأضعف؛ لذلك اكتب إيصالاً، و اكتب سنداً، والاكتفاء الشفهي سجله كتابة، وعقد البيع سجله بكتابة العدل، وعقد الشراكة سجلها بمحكمة البداية، أول شيء اتفقت عليه شفهيّاً، سجله.

والعوام لهم كلمة رائعة: كل ساعة لها ملائكة.

الآن نوى أن يعطيك، أما حينما ينجح المشروع، قد لا يعطيك شيئاً، قد يجعلك دائناً، وليس شريكاً.

((احترس من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

((سوء الظن عصمة))

((الحزم سوء الظن))

كان يحذر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوي بشره عن أحد.
ولو شئت، لحدثكم بآلاف القصص عن أشخاص خسروا الملايين المملينة بسبب سذاجتهم، وطيب سذاجتهم، السذاجة.

لست بالخب ولا الخب يخدعني، لست من السذاجة بحيث أُخدع، ولا من الخبث بحيث أُخدع.
هذا موقف المؤمن واحد.

المؤمن لا يخدع ولا يخدع :

قال لسيدنا علي -رضي الله عنه-: لم انصاع الناس لأبي بكر وعمر، ولم ينصاعوا لك؟ -أتعبوك- قال: لأن أصحابهم أمثالي، وأصحابي أمثالك.
قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

[سورة الشورى الآية: 39]

ينتصرون.
لأن أصحابهم أمثالي، وأصحابي أمثالك.
إنسان في موسم الحج، في أثناء الطواف رأى لوزة في الأرض، رفعها أمام الناس، ورفع صوته، وقال: من صاحب هذه اللوزة؟ قال له سيدنا عمر: كلها يا صاحب الورع الكاذب.
كلها، شيء سخيف، تحتاج أن تقول: من صاحب هذه اللوزة؟ بقي أن يقول: علم علامتها وكلها.

قال له: كلها يا صاحب الورع الكاذب.

أيها الأخوة، يعني المؤمن؛ لا يعقل أن يكون المؤمن مغفلاً، ولا ساذجاً، ولا غيباً، لأن الله ﷻ يفتح بصيرته.

ما الغاية من طرح هذه القصة؟ :

كلكم يعلم: أن سيدنا عمير بن وهب كان مشركاً، وقد كان ابنه أسيراً في معركة بدر، جلس مرة مع صفوان بن أمية، قال لصفوان: والله يا صفوان، لولا ديون ركبتني ما أطيق سداها، وأولاد صغار أخشى عليهم العنت، لذهبت إلى المدينة وقتلت محمداً، وأرحتكم منه، فاستغلها صفوان، قال: يا عمير، أولادك أولادي مهما امتد بهم العمر، وديونك علي بلغت ما بلغت، فانظروا ما أردت، عمير بن وهب أخرج، أعطى توجيهاً لزوجته: أن تعد له راحته، وسقى سيفه سماً ليقتل به محمداً -عليه الصلاة والسلام-، وتوجه نحو المدينة وهو مغطى، بأنه ذاهب إليها ليفك أسر ابنه عمير، لما وصل المدينة رآه عمر، قال: هذا عدو الله، جاء يريد شراً، ما الذي جاء بك يا عدو الله؟ قيده بحمالة سيفه، وساقه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال: يا رسول الله! هذا عدو الله عمير، جاء يريد شراً، سيدنا رسول الله قال: أطلقه يا عمر، فأطلقه، قال: ابتعد عنه، فابتعد عنه، قال: ادن مني، فدنا منه، قال: يا عمير، -بتحبيب ومودة-، ما الذي جاء بك إلينا؟ قال: جئت أفدي ابني، قال له: وهذه السيف التي على عاتقك؟ -هذه السيف-، قال: قاتلها الله من سيوف، وهل نفعتنا يوم بدر؟ قال: ألم تقل لصفوان: لولا ديون ركبتني ما أطيق سداها، وأولاد صغار أخشى عليهم العنت، لذهبت إلى المدينة وقتلت محمداً، وأرحتكم منه؟ -جاءه الوحي- فوقف وقال: أشهد أنك رسول الله، لأن هذا الذي جرى بيني وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله، وأنت رسوله وأسلم.

النقطة الدقيقة: أن سيدنا عمر يقول: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إلي منه، وخرج من عنده وهو أحب إلي من بعض أولادي.

بالإسلام لا يوجد عداوة حقد، وبالإسلام لا يوجد حقد موجه إلى الشخص أبداً، في غضب من عمل الإنسان، فرق كبير بين أن تغضب منه وأن تغضب عليه، تغضب على عمله لا تغضب منه، أي إنسان هو أخوك في الإنسانية، لا تغضب منه، بل اغضب عليه.

صفوان بن أمية عنده خبر رائع: أنه بعد أيام سيقتل محمداً، فكان يقف على أطراف مكة، ينتظر أخبار المجيء،
انتظر أياماً عديدة، لا يوجد خبر، لا يوجد خبر سار: أنه قتل محمد، ثم جاءه الخبر المحزن: أن عميراً قد أسلم.
فأيها الأخوة، يعني لا يوجد مؤمن ساذج، مؤمن -هكذا- يقع في شر عمله؛ المؤمن منور، المؤمن مسدد، المؤمن
رشيد، المؤمن حكيم، المؤمن حذر، المؤمن يقظ، المؤمن فطن، هذا المؤمن.

ليس بالخَب أو ليس بالخَب ولا الخَب يخدعه.

هذا معنى قول النبي:

((احترس من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

والله في آلاف القصص، إنسان ضيع محله التجاري، ضيع بناءه، ضيع معمله، بسداجة؛ سلم من دون عقد، من
دون توقيع، من دون وثيقة، من دون ويوجد محتالون لا يعلمهم إلا الله.

حديث وجيه :

ويقول عليه الصلاة والسلام، فيما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه-:

((أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن أروع الناس، وارض بما قسم

الله لك تكن من أغنى الناس))

ألا تحب أن تكون أعبد الناس، وأروع الناس، وأغنى الناس؟.

هل تقبل النافلة إن لم تؤد الفريضة، وما مفهوم الولاية في القرآن الكريم؟ :

الأول: (أد ما افترض الله عليك):

((إن الله لا يقبل نافلة ما لم تؤد الفريضة))

يعني هناك أناس في الحج, يخترقون الفرائض من أجل سنة, ينتهكون الحرمات من أجل سنة.

ذلك:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية:13]

يعني: أعلاكم مكانة عند الله: أشدكم طاعة لله.

لذلك: ورد عن الجنيد: ليس الولي الذي يطير في الهواء, وليس الولي الذي يمشي على وجه الماء, ولكن الولي كل الولي: الذي تجده عند الحلال والحرام.

الذي يجرك حيث أمرك, ويفتقدك حيث نهاك, هذا هو الولي. وبالتعريف القرآني الدقيق:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

هذا هو الولي, وينبغي أن يكون كل واحد منا ولي الله, كل واحد, هذا المفهوم القرآني للولاية: أن تعرف الله, وأن تطيعه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

من هو الورع؟ :

((أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس, واجتنب ما حرم الله عليك تكن أروع الناس))

يعني الورع

((ركعتان من ورع, خير من ألف ركعة من مخلط))

المخلط: الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

((ركعتان -فقط- من ورع, خير من ألف ركعة من مخلط))

((ومن لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا, لم يعبأ الله بشيء من عمله))

هذا هو الغنى :

(وارض بما قسمه الله لك, تكن من أغنى الناس):

((ليس الغنى عن كثرة العرض, ولكن الغنى غنى النفس))

يعني:

((إذا أصبح منكم آمناً في سربه، مُعافى في جسده، عندة قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

الإنسان بصحته غني جداً، الكبد زرعه ستة ملايين، الدسام يحتاج خمسمئة ألف، أقل عملية قلب خمسمئة ألف، زرع كلوة فيها مليونان، فأنت اجمع قطع الغيار، ثمنك مئة مليون، فإذا إنسان استيقظ، لا يوجد فيه شيء، ثمنه مئة مليون، لا يوجد معي شيء، معك شيء، لأنه أقل خلل في جسمك، تباع جسمك، أليس كذلك؟ أقل عملية تكلف ثمن بيت الآن.

لذلك: كان -عليه الصلاة والسلام- إذا استيقظ من فراشه يقول:

((الحمد لله الذي رد إلي روحي.

-لأنه حينما نام قال:

((يا ربي، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها))

فاستيقظ، معنى: الله أرسلها له، سُمح لك أن تعيش يوماً جديداً.

((ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي يا بن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود

إلى يوم القيامة))

الحمد لله الذي رد إلي روحي: وقف لا يوجد فيه شيء، أجهزة تامة، أفرغ مثانته، الأجهزة سليمة؛ سمعه، بصره، يقف متوازناً-.

والحمد لله الذي عافاني في بدني، والحمد لله الذي أذن لي بذكره))

أي سمح لي أن أصلي الصبح حاضراً، في ناس مثل الخنازير، تستيقظ الساعة الحادية عشرة، سمح له أن يصلي الصبح حاضراً، وبجماعة أيضاً.

عافاني في بدني، رد إلي روحي، أذن لي بذكره.

إنسان دخل إلى الخلاء: كان -عليه الصلاة والسلام- يدعو ويقول:

((الحمد لله الذي -واحد- أذاقني لذته -أكل صحن فول, أكل صحن حمص, أكل طعاماً لذيذاً, لكن لم يأخذ سيروم, استلقى, سيروم ماء وسكر, لا, أكل, أكل, وأكل طعاماً لذيذاً, بعد ما أكل, شعر بقوة ونشاط-, وأبقى في قوته, -والفضلات طُرحت بشكل طبيعي.

قصة مؤلمة :

سمعت عن قصة مؤلمة جداً: إنسانة فقيرة, أصيبت بورم خبيث في معاها الغليظ, استوصل, صار فتحة خارجية للغائط, الكيس ثمنه ثلاثمئة ليرة.

يعني أنت في نعمة لا تقدر بثمن, شخص يحمل الغائط معه في الطريق ويمشي -.

الحمد لله الذي أذاقني لذته, وأبقى في قوته, وأذهب عني أذاه))

هل تعرف قدر هذه النعمة؟ :

قال لي شخص: مسكين, يغسل كل أسبوع مرتين, الممرضة ضربته على رأسه: لا تشرب الجمعة ماء, الآلة معطلة, أنت تشرب ماء حتى ترتوي, لكن هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها.

لو كان جهاز الغسيل معطل, بابن النفيس: شرب ماء لا يوجد, يعطونه كأس شاي فقط, كأس شاي كل يوم, وإلا يحتاج إلى غسيل أربعة أيام في الجمعة, محروم شرب الماء, فأنت غني جداً, إذا كان أجهزتك سليمة, غني جداً, جداً غني:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

[سورة إبراهيم الآية:7]

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية:51]

((استقيموا ولن تحصوا))

[أخرجه مالك في الموطأ]

((اللهم -كما كان يدعو عليه الصلاة والسلام- نسألك العفو والعافية, والمعافاة الدائمة, في الدين والدنيا
والآخرة))

لا تزول النعمة إذا أدبت حقها :

كل إنسان يعرف نعمة ربه, يعزو هذه الصحة إلى الله, وإلى فضل الله, بإذن الله هذه لن تزول؛ لن تزول نعمة
تشكرها أبداً, لن تزول نعمة تؤدي حقها, لن تزول نعمة تنفقها بطاعة الله, هذه العين, تريد ضمانه من الله ألا
تصاب بالعمى؟ لا تنظر بها إلى الحرام؛ عين غضت عن محارم الله, إن شاء الله لن تفجع بها, وأذن ما سمعت
الغناء, سمعت ذكر الله لن تفجع بها, ولسان نطق بذكر الله لن تفجع به, ورجل تمشي بها إلى المسجد لا إلى
النوادي الليلية لن تفجع بها, ويد تعطي بها الخيرات لن تفجع بها, هذا معنى قول النبي داعياً:

((ومتعنا اللهم بأسماعنا, وأبصارنا, وقوتنا, ما أحييتنا, واجعله الوارث منا))

حاجة ضرورية :

أخواننا الكرام, كلنا بحاجة إلى شحنة أسبوعية, شحنة روحية, حتى الإنسان يبقى مع الدين, مع رب العالمين؛ مع
طاعته, مع الإقبال عليه, مع الإخلاص له, مع الشوق إليه, هذه الشحنة الأسبوعية حافظوا عليها.

مرة جاءني مصباح هدية, يشحن في الكهرباء, حينما أنسى أن أشحنه يضعف, أقول: وكذلك المؤمن؛ إذا ترك
دروس العلم يضعف, وحينما أنساه في الشحن كالشمس, وهذا شأن المؤمن: الذي يُكثر من شحنه؛ خطبة,
ودرس, ودرس, ودرس, وتلاوة, ومذاكرة, وجلسة دينية, هذا شحن مستمر, تجده مثل الشمس, كأنه كوكب دري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-39} : الذكر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 31-05-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

متى يكتب الرجل من الذاكرين, وهل يحرم أهله من هذا الأجر؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه ابن حبان, عن أبي سعيد, أن النبي -ﷺ- قال:

((إذا استيقظ الرجل من الليل, وأيقظ أهله, وصليا ركعتين, كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))

ولو كانت الصلاة ركعتين فقط.

((إذا استيقظ الرجل من الليل, وأيقظ أهله, وصليا ركعتين, كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))

لماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نذكره كثيراً؟ :

أيها الأخوة, الله سبحانه وتعالى: حينما أمرنا أن نذكره, أمرنا أن نذكره الذكر الكثير, لأن المنافق يذكره؛ لكن الله عز وجل قال:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:142]

فالمنافق يذكر الذكر القليل, بينما المؤمن: مأمور أن يذكر الذكر الكثير:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:41]

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾

[سورة الأحزاب الآية:42]

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:43]

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:44]

كيف نشكر الله؟ :

ورد في الحديث القدسي:

((أن يا بن آدم! إنك إن ذكرتني شكرتني, وإذا ما نسيتني كفرتني))

يعني أحد أنواع الشكر: أن تذكر الله عز وجل.

بشكل أدق: أن تذكر أن هذه النعمة من الله, الإنسان حينما يتمتع بصحته, ويتمتع بماوى يسكنه, وبأهل يقدمون له كل خدمته, وبأولاد أبرار, هذه نعم كبرى؛ إن شكرتها حفظها الله لك, وإن لم تشكرها ضاعت منك.

((يا عائشة, أكرمي مجاورة نعم الله, فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود))

إذاً الذكر:

((ألا أنبئكم -كما قال عليه الصلاة والسلام- بخير أعمالكم, وأزكاها عند مليككم, وخير لكم من إنفاق الذهب

والفضة, وخير لكم من أن تلقوا عدوكم, يضربون أعناقكم وتضربون أعناقهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال:

ذكر الله))

كيف نذكر الله سبحانه وتعالى، وما هي مشكلة آخر الزمان؟ :

قال تعالى، يصف المؤمنين، الصادقين، المتفوقين:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

[سورة الأحزاب الآية:35]

نقف قليلاً، كيف نذكره؟.

أيها الأخوة الكرام، ما من كلمة أوسع في مضمونها من ذكر الله؛ إنك إن تلوت القرآن فإنك تذكر الله، وإنك إن قرأت كتاب حديث شريف فإنك تذكر الله، وإنك إن استغفرت الله فإنك تذكره، وإنك إن سبحته تذكره، وإن وحدته تذكره، وإن كبرته تذكره، وإن حمدته تذكره، وإن حوqلت تذكره؛ إلا أن المشكلة: أن هذه الأذكار في آخر الزمان، فُرغت من مضامينها، تُذكر نكراً من دون أن نلحظ المعنى.

فسبحان الله يعني: أن تنزهه، وأن تمجده، وأن تخضع له، فإن لم يكن هناك تنزيه، أو تمجيد، أو خضوع، فهذا ليس بالتسبيح.

الحمد لله: أن يكون القلب مفعماً بالامتنان من الله عز وجل؛ الآن: إذا دعوت إلى الله فإنك تذكره، الآن: إذا أمسكت سبحة، وقلت: الله، الله، الله، فإنك تذكره.

فكل أنواع الأذكار؛ الحمد، والثناء، والتسبيح، والتكبير، والتلهيل، والاستغفار، وتلاوة القرآن، وتلاوة حديث النبي، بل إن قراءة كتاب فقه، من أجل أن تعرف الحكم الشرعي، نوع من الذكر، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نوع من الذكر، لذلك: المؤمن لسانه رطب من ذكر الله.

((إنك إن ذكرتني شكرتني، وإذا ما نسيتني كفرتني))

((يا موسى، أحب أن أكون جليسيك؟ قال: يا رب، كيف أكون جليسيك، وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنك إن ذكرتني شكرتني - إن ذكرتني كنت جليسيك - أما علمت أنني جليس من ذكرني، وحيثما طلبني عبدي وجدني))

أيها الأخوة، إذاً: ذكر الله: إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله.

حقيقة يجب أن تعلمها :

أيها الأخوة، لو توسعنا أكثر من ذلك

يوجد في الحياة حقيقة واحدة هي: الله؛ أي شيء يقربك منها هو ذكر، وأي شيء يبعدك عنها هو لهو، أبدأً، أي شيء يقربك من الله هو ذكر، أي شيء يبعدك عن الله هو لهو:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

قال: الإمام الشبل يقرأ أربعمئة ألف حديث شريف، اكتفى بحديث واحد.

رأيته مكتوباً على أربعة منافذ في هذا المسجد، من يقرأ لي النافذة الأولى؟.

اعمل لدنياك بقدر بقائك فيها.

الثانية: واعمل بقدر مقامك فيها.

والثالثة: واعمل لله

الرابعة: في خطأ. هل الإنسان يعمل بالنار؟.

واتق النار، النار لا يُعمل لها، النار تُتقى، والعمل للجنة، وتُتقى النار.

ففي دنيا، في آخرة؛ الدنيا سنوات معدودة، والآخرة للأبد، والنار لا تُحتمل.

((اتق النار بقدر صبرك عليها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للدنيا بقدر مقامك فيها، واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها))

أيها الأخوة، لو عممنا، لو وجدنا أن كل حركة، أو سكونة، أو موقف، أو ذهاب، أو إياب، أو وصل، أو قطع، أو غضب، أو رضى، أو صلة، أو مودة، أو بذل، أو عطاء، يقربك من الله، فهو من الذكر، وأن كل تصرف يباعدك عنه، فهو من اللغو، لذلك يمكن أن نقول:

إذا كان هناك نقطتان، وأنت بينهما، لو خطيت خطوة نحو هذه النقطة، ابتعدت حكماً عن هذه النقطة؛ فكما اقتربت من الآخرة، ابتعدت عن الدنيا، وكما اقتربت من الدنيا، ابتعدت عن الآخرة، كلما اقتربت من الله، ابتعدت عن النقص، اقترب من النقص، ابتعد عن الله عز وجل.

إذاً:

((إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله، وصلى ركعتين، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))

من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام :

((إذا استيقظ أحدكم من منامه، فليقل: الحمد لله الذي رد إلي روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره))

هناك بعض الأدعية، كان يدعو بها النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اللهم إني أعوذ بك من فجأة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، لك العتبي حتى ترضى))

فجأة نقمتك: استيقظ، لا يرى بعينه، أراد أن يحرك رجله، لا تتحرك.

فالإنسان إذا استيقظ، وكان قد رد الله إليه روحه، وعافاه في بدنه، وأذن له بذكره.....

أيها الأخوة, هذه الجلسة, هل هناك آية قرآنية مبشرة لمن يحضرها؟ الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:23]

ما دام هذا الإنسان, قد سمح له أن يستمع إلى الحق, فهذا بعلم الله أنه خير, لو لم يكن خيراً, لا يستمع:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:23]

ما يقال عند نزول المصيبة :

((إذا أصاب أحدكم مصيبة, فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون))

كان -عليه الصلاة والسلام- إذا أراد أن يُعزي أهل الميت, يقول:

((إنا لله ما أعطى, وله ما أخذ))

إنا لله: نحن ملك الله عز وجل, ومصيرنا إليه.

أحياناً: تملك شيئاً, لكن مصيره ليس إليك؛ تملك بيتاً استهلك, تملك بيتاً صودر, قد تنتفع ولا تملك, وقد تملك ولا تنتفع, وقد تملك وتنتفع, لكن المصير ليس إليك, من هو مالك الملك؟ الذي يملك كل شيء خلقاً, وتصرفاً, ومصيراً, هو الله عز وجل.

لذلك:

((إذا أصاب أحدكم مصيبة, فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون))

بعضهم قال: إنا لله: نحن ملك الله عز وجل, وإنا إليه راجعون: بهذه المصيبة.

يعني: الله عز وجل غني عن تعذيبنا, بل إن الله عز وجل يقول:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

غني عن تعذيبنا, فلو عذبنا لعله راجحة, لحكمة بالغة؛ مداراة, تقريباً, تطهيراً, رفعاً, دفعاً, كشفاً.

إذاً: المؤمن الصادق إذا إصابته مصيبة يقول:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:156]

لذلك:

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:157]

من أدعية النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما تأتي المصيبة:

((اللهم عندك أحتسب مصيبي, فأجرني فيها, وأبدلني خيراً منها))

امرأة اسمها: أم سلمة, من الصحابيات الجليلات, لها زوج هو: أبو سلمة, من أكابر الرجال, ومن أندر الرجال؛ علماً, وصمتاً, ووقاراً, وشجاعة, وكرماً, توفي أبو سلمة, فلما بعثوا بدعاء النبي, وقعت في حيرة شديدة, يعني: كيف يبدلها الله خيراً منه؟ هو عندها أعلى الرجال, فإذا بالنبي يتزوجها, يتزوجها النبي, فكان خيراً منه.

أنا في آية, أقولها لكم -أيها الأخوة-:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:216]

ماذا تستنتج من هذه القصة؟ :

سمعت قصة -لا أدري مبلغ صحتها؛ لكن مؤثرة-:

رجل في المدينة, اسمه: أنس بن عامر, تزوج امرأة, ويوم الدخول لم تعجبه إطلاقاً, دخل بها, وخرج من عندها هائماً على وجهه, وسافر إلى الشام, وغاب عن المدينة عشرين عاماً, عاد إلى المدينة, وقد تقدمت به السن, دخل إلى مسجدها ليصلي, فإذا بدرس, حوله عدد غفير.

هو حينما كرهها, ورأت أنه كرهها, قالت له: قد يكون الخير كامناً في الشر.

يعني: إن رأيتني شراً, قد يكون الخير كامناً فيّ.

لم تقل له إلا هذه الكلمة, ثم سافر, وهام على وجهه, وعاد إلى المدينة, ودخل مسجدها, فإذا في هذا المسجد درس علم, يُلقيه شاب في مقتبل العمر؛ ملئ علماءً وحكمةً, وأدباً, وفقهاً, والناس تحلقوا حوله, والتقوا نحوه, وأحبوه, فسأل: من هذا العالم؟ فقالوا: هو مالك بن أنس -هو أنس بن عامر-, قالوا: هذا مالك بن أنس, -يعني: ابنه-, حينما انتهى الدرس, قال: قل لأمك: إن في الباب رجلاً, يقول لك: قد يكون الخير كامناً في الشر, قالت: يا بني! إنه أبوك.

أحياناً الإنسان: لا تعجبه زوجته, قد يُرزق منها الولد الصالح, وهذا الولد الصالح: يُعلي مقامه في الجنة.

هذه الآية: إذا قرأها المؤمن يستسلم؛ يا رب كتبت لي هذه الزوجة, هذه هدية منك, أنا أتقبلها, كتبت لي البيت, جعلتني في هذا العمل, أقمتني هذا المقام:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 216]

وهناك آلاف آلاف القصص، التي تؤكد هذه الحقيقة؛ لا تعترض على الله عز وجل، ليكن ديدنك: أن ترضى بقضائه وقدره.

لأن سيدنا علياً -كرم الله وجهه- يقول: الرضا بمكروه القضاء، أرفع درجات اليقين.

أنت حينما ترضى بقضائه وقدره، أنت في أعلى درجات اليقين.

إذاً:

((إذا أصابت أحدكم مصيبة، فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ اللهم عندك أحسب مصيبتني، فأجرني بها، وأبدلني خيراً منها))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

والله سبحانه و تعالى: متكفل بكل من رضي بمصيبته، أن يبدله خيراً منها.

حتى إن سيدنا عمر -رضي الله عنه-، كان إذا أصابته مصيبة، قال: الحمد لله ثلاثاً؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها.

ومن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة، فمصيبته في نفسه أكبر.

هل يجوز للمسلم إذا قدم له شيء من غير مسألة أن يرده، ولماذا؟ :

((إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل، فكل وتصدق))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

يعني: إنسان محترم، قُدم له شيء من غير مسألة، من غير طلب، من غير شرط، من غير استشراف نفس، من غير أن يفعل شيئاً، فرده، فكأنما رده على الله؛ أحب أن يخدمك، أحب أن يساعدك، هناك أشخاص يأبون، بعنف وغلظة.

((إذا أُعطيت شيئاً من غير أن تسأل، فكل وتصدق))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

يعني: كل حاجتك، فاض عن حاجتك، تصدق بها، هو لك، العبرة: ألا تسأل، وألا تستشرف، وألا تطلب.

ابدأ بالييمين :

قال عليه الصلاة والسلام:

((إذا أكل أحدكم؛ فليأكل بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعطي بيمينه))

أحد أصحاب رسول الله -رضي الله عنه- قال: ما مست يدي اليمنى عورتي، منذ صافحت رسول الله. أبدأ، ما دامت هذه اليد أمسكت بيد رسول الله، ينبغي أن تبقى لأنبيل الأهداف؛ يُعطي باليد اليمنى، يأخذ باليد اليمنى، يأكل باليد اليمنى، يشرب باليد اليمنى.

ما يكره في الإمامة والجماعة :

قال:

((إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير، والضعيف والمريض، وإذا صلى وحده فليصل كيف شاء))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

((كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة في تمام))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وابن خزيمة في صحيحه]

أحد أصحاب النبي سيدنا معاذ: أم الناس في صلاة، وبعض هؤلاء الذين انتموا به، طالت عليهم القراءة، فخرجوا من الصلاة، النبي -عليه الصلاة والسلام- عاتب من؛ الذي خرج، أم عاتب الإمام؟ عاتب الإمام، قال:

((أفتأن أنت يا معاذ!؟))

يعني دائماً: ليكن مجلس العلم، مجلس الذكر، الصلاة خفيفة؛ لأن فيهم المريض، والصغير، والكبير، والضعيف، وذا الحاجة.

كان -عليه الصلاة والسلام-: يصلي الفجر، ومن عادته: أن يقرأ في صلاة الفجر صفحتين، أو أكثر، -وهذا من السنة-، سمع بكاء طفل، فقرأ الإخلاص وسلم، عجب أصحابه منه، قال:

((سمعت الطفل ينادي أمه ببكائه، فرحمت الطفل وأمه))

فكان خفيفاً في صلاته، أما إن صليت وحدك، أطل ما شئت؛ اقرأ البقرة كلها، اقرأ آل عمران كلها، صل ما شئت، أطل ما شئت.

ما ينبغي على المسافر أن يعلمه من أحكام دينه :

((إذا خرج أحدكم إلى سفر، فليودع أخوانه، فإن الله تعالى: جاعل في دعائهم البركة))

من السنة للمسافر: أن يودع أخوانه، ومن السنة لمن يأتي من السفر: أن يزوره أخوانه مهنيين، تودعهم، ويهنئونك.

((فإذا خرج أحدكم إلى سفر، فليودع أخوانه، فإن الله: جاعل في دعائهم البركة))

آخر حديث:

((إذا دخل الضيف على القوم, دخل برزقه))

أيها الأخوة, قصة قديمة جداً, من عشرين, ثلاثين سنة, في رجل في بيروت؛ في قرابة, وفي صداقة, وفي مودة, يحب أهل الحق كثيراً, مرة زرته, أكرم إكراماً غير معقول.

قلت له: ما هذا؟ هذا زيادة عن الحاجة, قال: والله علمت بمجيئكم, قبل أن تأتوا, من كثرة ما بعث في ذلك اليوم: علمت أن ضيوفاً سيأتونني.

الحديث هنا:

((إذا دخل الضيف على القوم, دخل برزقه -صدقوا: إذا إنسان كريم, هذا الضيف يأتي معه رزقه- وإذا خرج - هذا الضيف- خرج بمغفرة ذنوبهم))

والله شيء جميل؛ يأتي برزقه, ويرحل بذنوبهم!.

الآن: لا يوجد غير: دمشق ترحب بكم, غير هذه لا يوجد, ترجع: رافقتكم السلامة, أما قديماً: كان الإنسان أينما ذهب؛ هناك من يستقبله, هناك من يدعوه إلى النوم في البيت.

يعني يذكرون طرفة: تتناول طعام العشاء هنا أم في المطعم؟ أنت في المطعم أفضل لك.

((إذا دخل الضيف على القوم, دخل برزقه, وإذا خرج, خرج بمغفرة ذنوبهم))

يعني: يأتي برزقه, ويرتحل بذنوبهم, هذا إذا أردت إكرام الضيف لوجه الله.

الحقيقة: من هو الضيف؟ الذي يأتي من سفر, يأتي طالب علم, يحضر مجلس علم, ينتهي الدرس, لا أحد يدعوه؛ قادم من حلب, قادم من اللاذقية, قادم من محل بعيد, إذا وجد أخوانه, يدعونه إلى البيت إلى العشاء, ينتعش, يشعر أنه

بين أهله. نحن لا نريد الولائم, التي فيها تباه, لا, لا.

((يا عائشة, لا تكلفي للضيف فتلميه))

((لا زهد إلا بالموجود))

لكن أحياناً الإنسان: يسعد, لا من الطعام, من الترحيب؛ يسعد من الوجه البشوش, يسعد من الدعوة الحارة. فطلاب العلم -أحياناً- يأتون من محلات بعيدة.

أنا من فضل الله, في رمضان: ندعو طلاب العلم دائماً؛ من الصين, من الأتراك, الأفارقة, إلى وليمتين, ثلاثة, أربعة في رمضان, الطعام لوجه الله, لا للتراخي, للتباهي.

يقول لك: كسرت عينه, قدمت له طعاماً, لا يذوقه في حياته, كسرت عينه, ليس هذا هو الذي يقول عنه النبي.

إنسان طالب علم, غريب, جاء من مكان بعيد.

أحياناً: إنسان يسافر إلى بلد, يُدعى ظهراً, ومساءً, وصباحاً, أول يوم, ثاني يوم, يشعر أنه غال عليهم, تتكون علاقات متينة جداً.

إذا:

((إذا دخل الضيف, دخل برزقه, وإذا خرج, خرج بمغفرة ذنوبهم))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {40-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-06-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هي الفكرة التي ينص عليها الحديث؟ :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا مع حديث رسول الله ﷺ:

روى الإمام أحمد في مسنده, عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه, فأبت أن تجيء, فبات غضبان, لعنتها الملائكة حتى تصبح))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

أيها الأخوة الكرام, هذا الحديث يعطينا فكرة: عن أن كل إنسان أقامه الله في وظيفة, فأكبر جزء من عبادته لله عز وجل: أدائه لهذه الوظيفة.

إليك التفصيل في شرح هذه الفكرة :

أيها الأخوة, إذا أقام الله العبد بوظيفة, أكبر جزء من عبادته: أدائه لهذه الوظيفة.

إنسان أكرمه الله بالمال, بإمكانه أن يصلي الليل, وأن يقرأ القرآن, وأن يكثر من ذكر الله؛ ولكن هذا الإنسان - الذي أكرمه الله بالمال - عبادته الأولى: إنفاق هذا المال على المحتاج والمساكين, أقامه غنياً: يجعل من ماله سلماً إلى رضوان الله عز وجل, إنسان آخر: جعله قوياً, أكبر جزء من عبادته: أن يستخدم قوته في إنصاف المظلوم, إنسان جعله الله حاكماً, أكبر جزء من عبادته: أن يجلس لحل مشكلات الناس, وإنصاف المظلوم, والأخذ على يد الظالم, هذه عبادته.

حسناً: عالم لو أنه ذكر الله طوال الليل, وسكت عن الحق, أكبر جزء من عبادته: أن يبين للناس, لا أن يكتفم علمه؛ فالذي أقامه بالعلم, أعظم عبادة له إنفاق العلم, والذي أقامه بالمال, أعظم عبادة له إنفاق المال, والذي أقامه بالقوة, أعظم عبادة له نصر الضعيف بهذه القوة, والمرأة التي أقامها الله سكناً لزوجها, أعظم عبادة أن تلبى حاجة زوجها.

يعني: امرأة تصلي, وتكثر من الصلاة, وتصوم, وتكثر من الصيام, وزوجها بات وهو عليها غضبان, لعنتها الملائكة حتى تصبح.

هناك نسوة كثيرات, لسن فقيهاً

كانت الصحابية الجليلة, إن أرادت أن تصلي الليل, تسأل زوجها: ألك بي حاجة؟ فإن قال: لا, ذهبت إلى مصلاها, وإن قال: نعم, عبادتها إحسان زوجها.

الظاهرة المؤلمة جداً في حياة المسلمين: أن المرأة تعتني بمظهرها, وزينتها, وأناقته إلى أبعد الحدود, لكل الناس إلا زوجها, زوجها لا يرى أمامه المرأة التي تحصنه, يتقلت, يخطف بصره يمناً ويسرة, هي التي سوف تحاسب أيضاً, لأنها كانت سبب ثقته, لم تحصنه؛ لذلك -أيها الأخوة الكرام-: يجب أن تعلموا زوجاتكم, وأن تعلموا فتياتكم, حتى يكن زوجات صالحات.

((فالدنيا كلها متاع, وخير متاعها المرأة الصالحة؛ التي إذا نظرت إليها سرتك, وإذا أمرتها أطاعتك, وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها))

وربع دين المرأة طاعة زوجها.

((إذا صلت المرأة خمسها, وصامت شهرها, وحفظت نفسها, وأطاعت زوجها, دخلت جنة ربها))

في نقطة دقيقة جداً: أن الرجل يصمت, وينتظر من زوجته أن تكون فقيهاً, لا, علمها؛ بين لها كلام النبي, بين لها واجباتها, بين لها ما عليها, ثم أخذها, أما أزواج كثيرون, ينتظرون من زوجاتهم: أن يعلمن كل شيء, وهن لا يعلمن شيئاً؛ علم وحاسب, بين وأخذ.

إذاً: فيما روى الإمام أحمد في مسنده, عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- يقول:

((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه, فأبت أن تجيء, فبات غضبان, لعنتها الملائكة حتى تصبح))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

لكن الأزواج -أحياناً- يُعجبون بهذه الأحاديث, رائعة جداً, هي لأنها لمصلحتهم, أتمنى على الأزواج: أن يؤديوا الذي عليهم, ثم يطالبوا بالذي لهم.

ماذا قال الله عز وجل؟ قال:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة الآية:228]

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾

[سورة البقرة الآية:228]

أد الذي عليك ثم طالبها, أد لها حقها ثم أخذها, أد لها نصيبها ثم أعرض عنها, أد لها ما ينبغي أن تؤديه لها ثم حاسبها.

والحقيقة: أن الإنسان -أحياناً- يلقي في حياته العملية مصاعب شتى, والحياة -الآن- صعبة جداً, والتعامل التجاري, والصناعي, والزراعي, ومعاملة الناس متعبة جداً, يعني أقل شيء ينسيه هذا التعب: إذا دخل إلى بيته, يجد امرأة يسكن إليها, علمها.

اعلم هذه الحقيقة :

اسمعوا مني هذه الحقيقة:

أيها الأخوة، لن يسعد المؤمن بزوجه، إلا في حالة واحدة: أن يعرف الله هو، وأن يطيعه، فيسعد بقربه، هذه واحدة، ثم يعرفها ربها، ويحملها على طاعته، وتسعد بقربه، عندئذ يسعد بها، لا يسعد بها إلا إذا سعد هو بربه، وسعدت هي بربها عن طريقه، الآن تعرف حقه، وقبل ذلك: والله لا تعرف حقه، وهي عبء عليه.

ورجل عنده امرأة سيئة جداً، فقليل له: طلقها واسترح منها، قال: والله لا أطلقها، فأغش بها المسلمين.

انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك وبارك

والعكس صحيح.

أمر نبوي :

حديث آخر: عن رسول الله -ﷺ-:

((إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها))

يعني: جزء من طاعتك لله: أن تلبّي الدعوة.

((من دعي فلم يلب، فقد عصى أبا القاسم))

((لو دعيت إلى كراع مؤدم من غنيمة -يعني: نحن في الشام، صحنايا - لأجبت))

أحياناً: دعوة في مكان بعيد، يقول لك أهل الدنيا: الخطوات أكثر من اللقمة، يوزنها، بعيد، لن أذهب.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لو دعيت إلى كراع مؤدم -فقط في الغنيمة, خارج المدينة- لأجبت))

((من دعي فلم يلب, فقد عصى أبا القاسم))

لم حذر النبي من الدخول على الأغنياء, وما هي القاعدة التي نستنبطها في هذا المقام؟:

أيها الأخوة, تلبية دعوة الأغنياء, والأقوياء, والكبراء من الدنيا, -معه بطاقة دعوة على الشيرتون, طبعاً يذهب-, وتلبية دعوة الفقراء المؤمنين من الآخرة.

أحياناً: تأتيك دعوة إلى مكان بعيد, عقد قران, أحياناً في الطريق, في الغوطة: في الطرق عقد القران, كراسي في الطريق, وكأس شاي, لا يوجد غيرها, تلبية دعوة أهل الدنيا.

تلبية دعوة الكبراء, والأقوياء, والأغنياء, هذه من الدنيا لا من الآخرة, أما تلبية دعوة المؤمنين الضعفاء, هذه من الآخرة.

أنت حينما يدعوك إنسان فقير, وهو يراك شيئاً كبيراً, وتلبي دعوته بتواضع, تملأ قلبه سعادة.

وما عبد الله في الأرض, بأفضل من جبر الخواطر.

فالحقيقة: تلبية دعوة الفقراء المؤمنين من عمل الآخرة, وتلبية دعوة الأغنياء من عمل الدنيا.

لذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((يا عائشة, إذا أردت اللحوق بي, فليكفك من الدنيا كزاد الراكب, ولا تستخلي ثوباً حتى ترقعيه, وإياك

والدخول على الأغنياء))

ولسيدنا عمر -رضي الله عنه- قال: من دخل على الأغنياء, خرج من عندهم وهو على الله ساخط.

لا يوجد عنده شيء في البيت؛ إذا فريزته ثمنها مئتا ألف.

قال: يوجد حنفية ثمنها مئتان وخمسون ألفاً، بسعر ثمن بيت.

فالإنسان إذا دخل على غني مترف، لا يعرف الله، خرج من عنده إنساناً ضعيف الإيمان، وهو ساخط على الله.

لذلك: لا تصاحب من لا يرى لك في الفضل، مثل ما ترى له، قاعدة.

صاحب أهل الإيمان؛ تحبهم ويحبونك، تقدروهم ويقدرونك، تحتفي بهم ويحتقون بك، تسعد بهم ويسعد بك.

صاحب أهل الإيمان.

((لا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

ما الموقف الذي حصل في هذه الدعوة، وماذا نستفيد منه؟ :

مرة كنا في دعوة، دعوة مدرسين، فرجل كريم، أقام وليمة لسبعين مدرساً في ثانوية، وكان الطعام لذيذاً، واعتنى عناية بالغة، رجل كريم، هو خطيب مسجد، من بين الحضور: أناس علمانيون - هذه ألطف عبارة للملحد علماني - فقال له أحدهم: والله أنت تحتاج إلى تأميم على هذا الطعام، فقلت له -أنا- مباشرة: يا أستاذ فلان، ألم ينهك عن دعوة مثل هؤلاء؟.

((لا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

لا تصاحب إلا مؤمناً: إن دخل لبيتك، وراه بيتاً جيداً، يفرح لك، أبدأ.

علامة المؤمن: يفرح لكل خير أصاب أخاه، علامة المنافق:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[سورة آل عمران الآية:120]

يشمت بك دائماً.

((لا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

لك أن تعامل الناس جميعاً، العلاقة علاقة العمل، أما العلاقة الحميمة؛ زيارات، سهرات، ولائم، نزعات، شراكات، هذا لأهل الإيمان فقط، وإلا تتدم أشد الندم.

((لا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

تفسير رؤيا المنامات من حيث الناحية الشرعية :

وفيما رواه الإمام مسلم، عن رسول الله -ﷺ- عن جابر، عن رسول الله، أنه -ﷺ- قال:

((إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها؛ فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

أعطيكم -أيها الأخوة- أربع حالات:

إنسان رأى مناماً مزعجاً، إذا كان مستقيماً؛ هذا تخويف من الشيطان، لا يبالي به:

﴿إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:175]

وإن كان مستقيماً، ورأى مناماً طيباً، فهذه بشارة من الله، العكس:

إن كان منحرفاً، ورأى مناماً مطمئناً، هذا من الشيطان، تغيير.

وإن كان منحرفاً، ورأى مناماً طيباً، أو رأى مناماً مزعجاً، هذا من الرحمن تنبيهه.

العوام يقولون كلمات مضحكة: لا يصلي إطلاقاً، ولا حج، ولا أدى زكاة ماله، وكان غارقاً بالملاهي، أهله يقولون: كبة نور، أي نور هذا! كلام فارغ، المقياس هو العمل، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت الآية:30]

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

[سورة فصلت الآية:31]

وفي حديث آخر، رواه الإمام البخاري، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

((إذا رأى أحدكم الرؤيا يُحِبُّهَا، فإنها من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرها، ولا يذكرها لأحدٍ، فإنها لن تُضرَّه))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

رؤيا فسرت :

الإمام مالك -كما تعلمون- إمام دار الهجرة، رأى في المنام ملك الموت -عمل عظيم- قال: يا ملك الموت، كم بقي لي في حياتي؟ فأشار له هكذا فلما استيقظ قلق أشد القلق، يا ترى؛ خمس سنوات، أم خمسة أشهر، أم خمسة أسابيع، أم خمسة أيام، أم خمس ساعات؟ فسأل الإمام ابن سيرين عن تأويل هذه الرؤيا.

قال ابن سيرين: يا إمام، إن ملك الموت يقول لك: إن هذا السؤال من خمسة أشياء، لا يعلمها إلا الله. هذا هو التأويل.

فالإنسان إذا رأى رؤيا واضحة جداً، له ثقة بإنسان صالح، ليقصها عليه.

((إذا رأى أحدكم جنازة، فإن لم يكن ماشياً معها فليقيم، حتى يخلّفها أو تُخلّفه، أو توضع من قبل أن تُخلّفه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

الموت يجب أن تحترمه، لأن الله قهر عباده بالموت، والموت مصير كل حي:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾

[سورة الرحمن الآية:26]

وكل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر
وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حديد محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
ومن عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت

قصة :

لأخي صديق حميم، يعمل في وزارة التربية، وله منصب رفيع، له مع أصدقائه جلسة أسبوعية يوم السبت، في إحدى هذه الجلسات، قال هذا الصديق لمن حوله من أصدقائه: أنا مطول لكي أموت -باللغة العامية-، سألوه لماذا؟ قال: لأنني نحيف، ولا أدخن، وأكل قليلاً، وأمشي كثيراً، ولا أحمل هموم الحياة، وكلامه -والله- صحيح، هذه كلها عوامل الموت؛ لا يدخن، رشيق، رياضي، طعامه قليل، لا يعبأ بهوم الحياة، تكلم هذا يوم السبت، وفي السبت الثاني: كان تحت الأرض، والله الذي لا إله إلا هو، وعمره قصير، يعني ليس عمراً مديداً، دون الستين، خمس وخمسون تقريباً.

من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت

((إذا رأى أحدكم جنازة، فإن لم يكن ماشياً معها فليقم، حتى يخلّفها أو تُخلّفه، أو توضع من قبل أن تُخلّفه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

منعطف هام :

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك، فأنا واحد من الناس؛ ما صليت صلاة فشُغلت بغيرها حتى أفضيها، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول.

من منكم سمع الجنازة تقول؟..

قال:

((إن روح الميت ترفرف فوق النعش، تقول: يا أهلي يا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي؛ جمعت المال مما حل وحرّم، فأنفقته في حله وفي غير حله، فالهناء لكم، والتبعة علي))

لذلك:

((أندم الناس: رجل دخل ورثته بماله الجنة، ودخل هو بماله النار -جمعه من حرام، وورثه لأهله حلالاً، فأنفقوه في طاعة الله، فدخلوا به الجنة، ودخل هو به النار- وأندم الناس: عالم دخل الناس بعلمه الجنة، ودخل هو بعلمه النار))

اقرأ معنا :

قرأت مرة أربعة أدعية، يقشعر منها الجلد:

اللهم إني أعوذ بك، أن يكون أحد أسعد لما علمتني منه.

اللهم إني أعوذ بك، أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك.

اللهم إني أعوذ بك، أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك.

اللهم إني أعوذ بك، أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

صدقوني -أيها الأخوة-، الحياة مثل مسرح، في مقاعد للمشاهدين، وفي خشبة مسرح، إذا كنت مستقيماً، لك مقعد مع مقاعد المشاهدين، الإنسان يرى أشكالاً وألواناً، إذا لست مستقيماً، تجر على خشبة المسرح، تضرب، وتصبح قصة،

بالضبط كلامي:

إن كنت مستقيماً، لك محل مع المشاهدين، تسمع كل يوم أخباراً، أشكالاً وألواناً، لكن أنت محفوظ، إذا الإنسان ما استقام، يصبح قصة.

عندنا آية قرآنية تؤكد هذا المعنى:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾

[سورة سبأ الآية:19]

صار قصة.

لذلك الدعاء: اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

يا رب لا أكون أنا قصة.

الله يسترنا، ولا يفضحنا، ويعافينا، ويعفو عنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-41} : حديث شريف (إذا رأى أحدكم لأخيه بلاء ..)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-06-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

انظر إلى هذه المقولة لعلي بن أبي طالب :

أيها الأخوة الكرام, الإمام علي -كرم الله وجهه- يقول: والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. يقينه قبل كشف الغطاء, كيقينه بعد كشف الغطاء, أما أكثر الناس إذا جاءهم ملك الموت, كشفت لهم الحقائق التي كانت غائبة عنهم.

((الناس نيام, إذا ماتوا انتبهوا))

خيارك مع الإيمان خيار وقت :

قال تعالى:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية:22]

وخيارنا مع الإيمان خيار وقت, خيار وقت, لا خيار قبول أو رفض, لأن كل بني البشر عند انتهاء أجلهم تُكشف لهم الحقائق, لكن هذا الإيمان لا ينفع إطلاقاً:

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية:158]

ما مبادرة هذه المقدمة؟ :

أيها الأخوة، قدمت هذه المقدمة، ومعها حديث آخر للإمام علي -كرم الله وجهه- يقول: والله لو علمت أن غداً أجلي، ما قدرت أن أزيد في عملي.

ينطلق بأعلى سرعة، ولو علم أن غداً أجله، لا يستطيع أن يزيد في عمله.

هذان القولان، قفزا إلى ذهني، بسبب أنني قبل أن أكون عندكم اليوم، جاءني اتصال هاتفي من ألمانيا، أخ كريم يقيم فترة هناك، وفترة في الشام، قال لي: أنا داخل إلى المستشفى لإجراء عملية في القلب، وقد لا أخرج منها حياً، فأرجو يعني أن أوصيك بابني خيراً، و..... إلى آخره، وصية طويلة أملاها على الهاتف.

والبارحة كنت في زيارة أخ كريم، أيضاً: أصيب في قلبه، رأيته في حالة، يعني دمعه غزيرة، وعبرته وفيرة.

يعني: فكرت أن الإنسان حينما يأتيه الشيء الخطر يتذكر؛ ليت الإنسان يتذكر وهو في صحته، وهو في قوته، وهو في غناه، وهو في بحبوحة وقته المديد، لأن هذا حدث ينتظرنا جميعاً، هل يستطيع واحد منا وأنا معكم، أن ينجو من هذا الموقف؟ يعني: كل يوم يستيقظ كالذي سبقه إلى ما شاء الله؟ لا، لا بد من أن يفاجأ في أحد الأيام، أن هناك خلل في جسمه، هذا الخلل: إذا كان مرض الموت، يتفاجأ إلى الموت.

حسناً: الإنسان إذا رأى نفسه سيغادر، ألا ينبغي أن يكون يقظاً وحذراً؟.

حديث خطير :

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((بادروا بالأعمال الصالحة -فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ماذا ينتظر؟- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً -قد يأتي فقر ينسيك كل شيء، دون أن تتأهب له، كما أن الله سبحانه وتعالى يعطي فيدهش، يأخذ فيدهش- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً -الغنى الذي يحملك على معصية الله، مصيبة من أكبر المصائب، الغنى المطغى- أو مرضاً مفسداً -مرض يفسد عليه حياته- أو هرمأ مفندأ -شيخوخة، سميت في القرآن: أرذل العمر:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

خطر لا ينتبه إليه كثير من الناس :

أيها الأخوة، فكلنا جميعاً وأنا معكم، لا بد من مغادرة الدنيا، فبدل أن نندم أشد الندم، ونحرص على عمل صالح قبيل الوفاة؛ ونحن أصحاب، ونحن أشداء، ونحن أغنياء، ونحن في بحبوحة، ينبغي أن نفكر في ساعة المغادرة، وأكبر خطر يتهدد الإنسان: هو أن يعيش لحظته، دون أن يفكر في المستقبل، المستقبل في لقاء مع الله عز وجل.

ومن نعمة الله على الإنسان: أن الأعراض التي تصيب جسمه من شيب، أو ضعف بصر، أو أسنان، أو مفاصل، أو كولسترول، أو شحوم، أو بعض الآلام في الجهاز الهضمي، أو في هذه إشارات من الله لطيفة: أن يا عبدي، قد قرب اللقاء، فهل أنت مستعد له؟.

كيف نستعد لهذا اللقاء؟ بالتوبة النصوح، بالعمل الصالح، بطلب العلم، بتعليم العلم، بإطعام الفقراء والمساكين، بالأمر بالمعروف، بالنهاي عن المنكر.

هل فكرت في ساعة المغادرة من الدنيا؟ :

أيها الأخوة، فتلاثة لقاءات في هذه الليلة واليوم مع أخوان كرام، يعني أصيبوا بقلوبهم، وبكوا يعني دون أن يتمنوا أن يبكوا، لأنهم شعروا أن الأجل صار قريباً، صار في آفة بالقلب، القلب أخطر عضو بالإنسان، ويتمنى أن يعمل صالحاً.

أنا أتمنى وأنت صحيح القلب، أن تفكر في ساعة المغادرة، وأن تتفق مالك في سبيل الله، وأن تتفق وقتك في سبيل الله.

((بادروا بالأعمال الصالحة - يعني: تسابق إليها, اجعلها مبادرة, فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً, أو غنى مطغياً, أو مرضاً مفسداً, أو هماً مفنداً, أو موتاً مجهزاً, أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

من هو الإنسان الخاسر؟ :

أيها الأخوة الكرام, من كرامة الإنسان عند الله عز وجل: أنه أعطاه عقلاً, والعقل أداة معرفة الحقائق؛ فالذي يعطل عقله, ويتحرك بمنطلق من غرائزه وأهوائه, إنسان خاسر, فهؤلاء الذين أرادوا الدنيا, واطمأنوا لها:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

[سورة يونس الآية:7]

هؤلاء يندمون أشد الندم عند مغادرة الدنيا.

رسالة تهنئة لكل مؤمن عرف الله وسار وفق منهجه :

أيها الأخوة, والله ما رأيت أعقل من المؤمن, لأنه عرف الله في الوقت المناسب, وعرف منهجه, وطبق منهجه, فالذي يعد عند الناس أكبر المصائب, هو يعد عنده عرس, وأسعد لحظات حياته: الذي يموت على الإيمان, هذه سعادة كبرى, لا تدانيها أية سعادة, لأن الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده في جنة عرضها السموات والأرض, وأرسل به إلى الدنيا, ليهيئ نفسه بهذه السعادة, ليعمل عملاً صالحاً, يصلح للعرض على الله عز وجل, يصلح له ليدخل به الجنة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية:32]

اسأل نفسك هذا السؤال :

هذه فقرة من الدرس متعلقة بهذه الاتصالات الثلاثة، التي يعني كانت في هذا اليوم واللييلة من أخوة كرام، يعني أصيبوا بأمراض.

قال لي: قد لا أخرج من المستشفى وبكى، والثاني كذلك، والأول كذلك، معنى ذلك: ونحن جميعاً على هذا الطريق.

لذلك الإنسان: ليسأل نفسه سؤالاً محرراً، هل بقي بقدر ما مضى؟ هل بقي بقدر ما مضى؟ الذي تجاوز الأربعين.

يعني: إذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((معترف المنايا بين الستين والسبعين))

فالذي تجاوز الأربعين، يجب أن يعلم أنه قد بقي أقل مما مضى، كيف مضى الذي مضى؟ مضى كلمح البصر، وإذا كان الذي بقي أقل من الذي أمضى، يمضي -أيضاً- كلمح البصر.

وما هي إلا هي غمضة عين وانتباهتها فإذا الإنسان تحت أطباق الثرى

نظرة فيها عبرة :

مرة وقفت في هذا السوق؛ سوق الحميدية، ونظرت إلى محلاته التجارية، قلت: سبحان الله! كل خمسين سنة في طقم جديد، أليس كذلك؟ البيوت كذلك.

وقف أمام شارع في بنايات، كل خمسين سنة في طقم جديد؛ يموت، يُباع البيت، يشتريه إنسان آخر، يجدده، يكبر في السن، يموت، يأتي أولاده يبيعونه، وهكذا فالبيوت، والمحلات التجارية، يتجدد أصحابها كل خمسين عام تقريباً. الله عز وجل جعلنا خلائف في الأرض.

موقف عصبى ينبغي أن لا تنساه :

فمرة سألوا طالب وصل للدرجة الأولى على القطر في البكالوريا, أجروا معه مقابلة الصحفية, فأنا قرأت المقابلة, يعني أعجبني شيء, فيه شيء رائع, يعني: ما سر نجاحك؟ ما سر التفوق الذي أنت فيه؟ قال: لأن لحظة الامتحان لم تغادر ذهني إطلاقاً.

وأنا أقول لكم: لحظة مغادرة الدنيا, ينبغي ألا تغادر أذهاننا إطلاقاً, إذا كانت أماننا, إذاً: نحن ندخل حسابات الآخرة في أعمالنا اليومية؛ بكل موقف, بكل حركة, بكل نظرة, بكل سكرة, بالعطاء, بالمنع, ببيعك, بشرائك, ماذا سأجيب الله عز وجل؟ ما موقعي من الله عز وجل؟ لو أن الله سألني ماذا أجيبه؟ لم فعلت؟ لم أعطيت؟ لم منعت؟ لم وصلت؟ لم قطعت؟ لم غضبت؟ لم رضيت؟.

فالإنسان لما يهيب نفسه للقاء الله عز وجل يأتي الموت, يعني يأتي بشكل مقبول.

من آيات الله :

الصالحون -دائماً- موتهم آية من آيات الله, الذي يقول الذي على فراش الموت لأولاده: يا بني, قم سلم على عمك, لا يوجد, أين عمو؟ لا يوجد أحد, جاءه ملك الموت بصفة أحب الناس إليه, يأتيه ملك الموت بصفة أحب الناس إليه, فالإنسان ينبغي أن يكون مستعداً للقاء الله عز وجل. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:102]

يعني: لا يأتينكم الموت إلا وأنتم خاضعون لله عز وجل.

يعني: إذا كان سيأتي إنسان ليأخذك إلى مكان جيد, وأعطاك موعد بين الثانية والثانية, وأنت حريص جداً على أن تكون معه, ولا ينتظرك ولا ثانية, ماذا تفعل؟ تهيب نفسك من الثانية الأولى, في أية ساعة طرق الباب, أنت جاهز.

رأي شخصي :

أنا أرى: أن المؤمن لا يسعد إلا إذا كان جاهزاً جاهزية تامة لمغادرة الدنيا, لأن القضية سهلة؛ أد الذي عليك, ابتعد عن كل مشكلة, أد واجباتك, أد ما عليك من حقوق, أد صلواتك, اضبط جوارحك, اضبط أعضاءك, اضبط بيتك, عملك, أنت عندئذ مستعد للقاء الله عز وجل.

من مزايا الشام :

وفي أخ آخر, يعني سألني أن أعطيه بعض الانطباعات عن سفرتي الماضية, قلت له: هذا الإسلام العظيم, أولاً: كل شخص يعيش في بلد فيها سلبيات, وفيها إيجابيات؛ إيجابيات بلاد الشام -أدامها الله لنا- لا يعرفها إلا من ترك هذه البلاد.

يعني: نحن نتمتع بأشياء ثمينة جداً, يفتردها معظم الناس في البلاد الأخرى, نتمتع بهذا المنهج القويم الذي, لا أقول جميع الناس, لكن معظم الناس يسيرون عليه.

يعني: أكثر الأسر تستمر إلى نهاية الحياة, أما هناك التقلت الشديد من منهج الله, الحرية البهيمية, جعلت الأسر تنتهي بعد سنة أو سنتين, فالنساء يعشن وحدهن, والرجال يعشن وحدهن, والإنسان حر إلى درجة تدعو إلى القرف والتفرز, يعني الشذوذ هناك كبير جداً, وعالي النسب, والمخدرات, وتفكك الأسرة, يعني بالعين الظاهرة بلاد جميلة جداً, وغنية جداً, والأمور ميسرة جداً, أما النفوس شقية جداً, لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

[سورة طه الآية:124]

هذه آية قرآنية, وهذا كلام خالق الكون, ولا يمكن, ولا يمكن لإنسان على وجه الأرض في القارات الخمس, أن يسعد وهو بعيد عن الله, مستحيل, لذلك: ما دام ذكر الله منعماً, السعادة منعمة.

وليس للخبز وحده يحيا الإنسان.

هذا كلام السيد المسيح: ليس للخبز وحده يحيا الإنسان.

كل شيء ميسر, لكن لا يوجد سعادة, وقد تجد في بلاد أخرى كل شيء صعب, وفي سعادة؛ حينما تشعر أنك في طاعة الله, وأنت مطيع لله, وأن هذا المنهج القويم مطبق له, فهذه سعادة كبرى, لا يعرفها إلا من فقدوها, لأنه يوجد ثلاثون حديث صحيح في الترغيب والترهيب, تحض على السكنى في الشام.

قال عليه الصلاة والسلام:

((رأيت عمود الإسلام قد احتمل من تحت رأسي, فأتبعتة بصري, فإذا هو في الشام, فعليكم بالشام في آخر

الزمان))

تلك هي الأمة الغربية :

الحقيقة الدقيقة: أن الإنسان إذا كان حصل المال هناك, وفقد أثن شيء يملكه, وهو الأولاد, الابن أغلب الظن لا ينتمي لا إلى هذه الأمة, ولا إلى هذا الدين, لأنه نشأ في بلاد؛ التعليم فيها على منهج غريب, القيم غريبة, المبادئ

غريبة, العقلية غريبة, الأهداف غريبة, اللغة غريبة, فإذا ابنك نشأ على هذه النشأة, وانسلخ عن أمته, وعن دينه, وعن لغته, وهو ابنك, وامتدادك, وبضعة منك, وفلذة كبدك, فيشقى الأب بشقاء ابنه.

ولا يوجد أسرة أقامت هناك, إلا وفقدت أثن ما تملك وهو أولادها, طبعاً: ما فقدت وجودهم, هم عندها؛ لكن فقدت انتماءهم, وفقدت اتصالهم, وفقدت دينهم, وفقدت يعني انتماءهم لأمتهم, فلذلك

دعوة للمغرب المسلم بالعودة إلى وطنه :

أحياناً الإنسان: يقرأ حديثاً, يفهمه, يتلوه على الناس, يشرحه, لكن لا يعيشه, أحياناً يعيش الحديث.

أنا حديث أقرؤه في جامع الصغير, أقرؤه مراراً:

((من أقام مع المشركين, برئت منه ذمة الله))

في هذه السفارة, تذوقت هذا الحديث, يعني أعلى شيء عليك ابنك, ابنك ليس عربياً, ولا مسلماً, انسلخ من أمته,

ومن إسلامه, ومن لغته, فالإنسان حينما يفقد أولاده, يفقد انتماءهم , ماذا حصّل؟ لم يحصل شيئاً.

لذلك: ما رأيت أعقل من الذين ذهبوا وعادوا, ولو عاشوا حياة دون التي كانوا يعلمونها, لكن حصلوا شيئاً ثميناً, وهو أنهم كسبوا أولادهم.

اعرف قيمة بلدك :

قال لي أخ كريم, قال لي: حينما تقيم هناك, تضحى بأثمن ما تملك وهم أولادك, ولو أن الآباء نجوا, نجوا من فساد عريض, أما الأبناء لا ينجون, ففي مشكلة, هذه المشكلة

يعني: أنا أدعوكم إلى أن تعرفوا قيمة بلدكم؛ قيمة مجلس علم, قيمة أذان, قيمة أن في البلدة يوجد أخوك, وأخوك الثاني, وأختك, وابن عمك, وابن خالتك, وفي زيارات, وفي علاقات, وفي شيء اسمه حياء, عيب, في شيء اسمه عيب, في شيء اسمه مخجول, هناك حرية بهيمية, هذه الحرية: تجعل الإنسان لا يطاق ولا يحتمل.

إحصائيات :

مرة كنت في درس من دروس الأحد بالنابلسي, فأما في إحصاء عن حالات الطلاق في أمريكا, خمس وستون بالمئة من الزواج ينتهي إلى الطلاق, بأقل من عامين, وفي بلد آخر بأوروبا, سبعة وثلاثون بالمئة, وكان يحضر الدرس أحد أخواننا قضاة الشرع, القاضي الأول, فسألته أمام أخواني: كم النسبة عندنا؟ قال لي: ثمانية بالألف بفضل الإسلام.

يعني: أكثر الحالات يستمر الزواج, تجد الإنسان يعيش مع زوجته أربعين, خمسين سنة, له أولاد, له أصهار, وله

فهذه نعم لا يعرفها إلا من فقدها, والمؤمن يعني يعرف النعم بوجودها لا بفقدها, أشخاص كثير لا يعرفون النعمة إلا بفقدها, حينما تُفقد يعرفونها, لا, ينبغي أن تعرفها وهي موجودة.

من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله :

فالإنسان لا ينسى الإيجابيات في بلده، لا ينسى أنها هذه بلاد مسلمين؛ أكثر الأكل حلال، هناك أكثر الأكل حرام، و تحترار ماذا تأكل، هذه مذبوحة بشكل غير مصعوق صعق، وهذا لحم غير مزكّي، وهذه الحلويات فيها دهون حيوانية، وهذه معجونة بلحم الخنزير، كل العلاقات ربوية، وكل الأكل فيها خنزير، ومشتقاته، فالإنسان يحترار.

((من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله))

يعني: أنا أعينكم، وأعيذ أبناءكم: أن يعني يطمحوا إلى هذه التي يسمونها جنة الدنيا، هي والله بهذه العين جنة، أما بالإدراك العميق والله ليست جنة، والله بلادنا جنة، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- هكذا قال:

((رأيت عمود الإسلام قد احتمل من تحت رأسي، فأتبعته بصري، فإذا هو في الشام، فعليكم بالشام في آخر

الزمان))

والدنيا فانية.

ليت الإنسان يدرك هذه الحقيقة :

مررت على مقبرة هناك، قلت: هذه مقبرة، كان هؤلاء هنا، فماتوا ودفنوا، وانتهى نعيمهم المزعوم، وبقيت مسؤولية أعمالهم، والموت ينهي كل شيء؛ ينهي غنى الغني، وفقير الفقير، وقوة القوي، وضعف الضعيف، وينهي متعة الذي استمتع بالدنيا إلى أقصى درجة، وينهي الذي يتعذب في الدنيا حتى توفاه الله عز وجل.

لذلك المؤمن: حينما يلقي الله عز وجل، يرى مقامه في الجنة، يقول: لم أر شراً قط، وأهل الدنيا حينما يأتيهم ملك الموت، يرون مكانهم في النار، فيصيحون صيحة، لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، يقولون: لم نر خيراً قط. فالله عز وجل يجعلنا من المقبولين، يعني: البطولة أن ترى الحقيقة.

ما الذي ينبغي أن نأخذه من بلاد أعدائنا وما الذي ينبغي أن نتركه؟ :

أحياناً: الإنسان يبهر؛ يبهر بأبنية شامخة، بحدائق، بسيارات رخيصة جداً كلها حديثة، بمحلات تجارية فيها شيء

يُحَار العقل فيه، هذا انبهار شكلي، أما حقيقة الدنيا: هي السعادة التي تأتي من معرفة الله، هذه مفقودة هناك، لذلك: هم يحتاجون إلى ألف عام مجازاً، كي يكونوا في مستوى حياتنا الروحية، وعلاقتنا الدينية، وأداء صلواتنا، وعباداتنا، وهذه الألفة بيننا، ونحتاج إلى سنوات طويلة كي نكون مثلهم في نظامهم، ودقتهم، وتنظيم حياتهم، ما الذي يمنع أن نقتبس من أعدائنا مثلاً: الأشياء الجيدة؛ التنظيم، والدقة، وتوفير الوقت، والإنتاج القوي، وتطبيق العمل، والكفاية، والقانون على الجميع؟.

هذه الأشياء إيجابية عندهم، ينبغي أن نأخذ بها، أما سلبياتهم: انهيار الأسرة، والأسرة إذا انهارت، انهار كل شيء، المجتمع أساس الأسرة، فإذا انهارت، انتهى المجتمع.

أربعة أخطار تهدد العالم الغربي :

وقد يقول بعضهم: أن هؤلاء في هذه البلاد، يعيشون على أدمغة الأمم الأخرى، لا على أدمغة شعبهم، هم ضاعوا.

وأنا سمعت تصريحاً لرئيس سابقاً: يعني: ينتظر أمريكا أربعة أخطار، بينما قال المذيع هذه الأخطار، قفز إلى ذهني: ما الأخطار؟ يعني الصين؟ يا ترى أوروبا؟ اليابان؟ لا، قال: تفكك الأسرة، وشيوع الجريمة، وانتشار المخدرات، ومرض الإيدز.

هذه أربعة أخطار تهدد العالم الغربي، والعالم الإسلامي، سموه: الحزام الأخضر، هو المنطقة الخضراء الآمنة من هذه الأخطار، بفضل ليس الدين، بقية الدين، الدين بقي منه بقية فقط، بقية قليلة، في تقلت هنا، لكن بقية الدين، جعلت -أيضاً- هذه البلاد حزاماً أخضر، فكيف لو كان الدين الحقيقي؟ لكننا في حال غير هذه الحال.

دعاء الختام :

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً والباطل باطلاً، أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-42} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 21-06-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من أين استنبط النبي عليه الصلاة والسلام هذه الحقيقة؟:

أيها الأخوة الكرام, يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه البيهقي عن أبي سعيد, أن رسول الله -ﷺ- قال:

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان))

[أخرجه الترمذي في سننه]

من أين استنبط النبي -ﷺ- هذه الحقيقة؟ استنبطها من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

[سورة التوبة الآية:18]

وإعمار المساجد بناؤها, فكل من ساهم بإعمار المسجد له أجر؛ من صلى فيه, ومن عقد توبة فيه, ومن اتعظ فيه, والذي يعمر المسجد: هو الذي يؤدي الصلوات فيه, والذي يعمر المسجد: هو الذي يلقي خطبة فيه, أو درس علم فيه؛ فكل من ساهم في إنشاء المساجد, وفي تأسيسها, وفي تأمين حاجاتها, وفي ارتيادها, وفي إلقاء الدروس فيها, فهو ممن يعمر مساجد الله.

والمؤمن في المسجد كالسمكة في الماء, والمنافق في المسجد كالعصفور في القفص, يتضايق.

((وسبعة -كما تعلمون- يظلمهم الله تحت ظله, يوم لا ظل إلا ظله, -من هؤلاء السبعة- رجل قلبه معلق

بالمساجد))

قال:

((وخير البلاد مساجدها , وشرها أسواقها))

يأتي الرجل مع امرأته إلى درس علم في مسجد, فيستمعان إلى موعظة تقرب بينهما, يزداد الود بينهما, تتمتن العلاقات بينهما, يعرف كل منهما حق صاحبه عليه, فإذا ذهبوا إلى السوق, ورأت الزوجة حاجة غالية الثمن, جميلة جداً, ولم يملك زوجها ثمن هذه الحاجة, نشأ بينهما خصومة.

((وخير البلاد مساجدها , وشرها أسواقها))

الأسواق تدعوك إلى الدين, والمساجد تدعوك إلى الآخرة, المساجد تدعوك إلى طاعة الله, بينما الأسواق وما فيها من مغريات, تدعوك إلى كسب المال بأية طريقة, من أجل أن تقتني هذه الحاجات.

ما أسباب العنف في العالم؟:

1-مجتمع الاستهلاك:

أحد رؤساء فرنسا (جسكار بيستان), ألف لجنة من كبار علماء بلده, ووضعهم في مكان جميل جداً, ومنعهم عن العالم الخارجي, وأمرهم أن يجيبوه عن سؤال: لماذا العنف في العالم؟ لماذا العنف؟.

لماذا قبل خمسين عام بالشرين, ثلاثين سنة, يعدمون إنساناً؟ ولماذا تسمع -الآن- مذبحة خمسمئة ألف في جنوب أفريقيا؟ ما اسم البلد؟ وانداء, خمسمئة ألف في يومين, الآن أقل رقم عشرة آلاف في البوسنة, والهرسك؛ عشرون ألفاً, مئة ألف, مئة وخمسون ألفاً, مئتا ألف.

فهذا سأل سؤالاً: لماذا العنف في العالم؟.

هؤلاء العلماء درسوا, وتحققوا, ثم خرجوا بالنتيجة التالية: مجتمع الاستهلاك.

ما هي الاحتمالات الثلاثة التي لا مفر منها :

أيها الأخوة، جالس في بيتك، عندك كل الحاجات، يعرضون عليك آلة جديدة، غسالة جديدة، فرن جديد، هاتف جديد، مركبة جديدة، ميزات رائعة جداً، هذا العرض الإعلان، خلق في نفسك حاجة إلى هذه الآلة، أنت لا تملك ثمنها.

هناك ثلاثة احتمالات؛ أول احتمال: أن تلغي وقت فراغك.

إذا كنت إنساناً شريفاً، أنت موظف، لك دخل محدود، تعمل عملاً إضافياً، تأتي الساعة الحادية عشرة، تذهب إلى العمل قبل أن يستيقظ أولادك، وتعود إلى البيت بعد أن ينام أولادك.

وأخواننا الكرام: الإنسان الذي يفقد وقت فراغه، ليس إنساناً، أنت في وقت الفراغ؛ تؤكد ذاتك، تعبر عن اتجاهك، تحضر درس علم، تسهر سهرة فيها ذكر الله عز وجل، في وقت فراغك تجلس مع أولادك، مع أهلك، فالعمل الذي يمتص كل وقتنا، هذا خسارة كبيرة.

فحينما نعرض على الناس الحاجات، والسلع الجميلة جداً، والميزات الرائعة، والفائقة، خمسة بالمئة من سكان أي بلد، قادرين على شراء هذه الحاجات، خمسة بالمئة، والخمس والتسعون بالمئة دخلهم محدود، لا يسمح لهم باقتناء هذه السيارة المكيفة، الجميلة، تنشأ الحاجة إلى هذه السلعة، أو هذه الآلة، دون أن تملك ثمنها.

ثلاثة احتمالات؛ إما أن تمتد اليد إلى المال الحرام فيسقط الإنسان، وإما أن يلغى وقت الفراغ فيلغى الإنسان، وإما أن يشعر بالحرمان طوال حياته فيحزن الإنسان.

هذه الأسواق؛ إما شعور بالحرمان، أو تمتد اليد إلى المال الحرام، أو يلغى وقت الفراغ فيلغى وجود الإنسان، هذا أحد أسباب العنف في العالم.

2- الكتلة النقدية:

سبب آخر: هو أن الكتلة النقدية التي بين أيدي الناس؛ حينما يغيب منهج الله عز وجل، وحينما تعطل الزكاة، وحينما تقسو القلوب، هذه الكتلة النقدية: تتجمع في أيدي قليلة، وتحرم منها الكثرة الكثيرة.

يعني: إنسان ممكن أن يجري عقداً في صندوق شهير، يدفع ستين مليوناً، وستون ألف شاب، أو ستمئة ألف

شاب, أو ستة ملايين شاب, لا يجدون غرفة في طرف من أطراف المدينة, يتزوجون فيها.
لذلك -أيها الأخوة-:

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد, فاشهدوا له بالإيمان))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لأن المساجد تدعوك إلى طاعة الله, تدعوك إلى القناعة, تدعوك إلى جعل الآخرة منتهى الآمال, ومحط الرجال,
المسجد يدعوك إلى تطبيق منهج الله, وحينما تطبق منهج الله:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

حينما تصطح مع الله؛ لماذا العذاب؟ لماذا الحرمان؟ لماذا الابتلاء؟.

ربنا عز وجل يبين هذه الآية:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾

[سورة الشورى الآية:30]

لماذا يحتاج الإنسان إلى المسجد؟:

فالمسجد؛ أنت في أشد الحاجة إليه, أنت في حاجة إلى المسجد, من أجل أن تعرف من أنت؟ أنت المخلوق
الأول, أنت المخلوق المكرم, أنت المخلوق المكلف, وأنت في دار ابتلاء لا دار استقرار, في دار ابتلاء لا في
دار جزاء, في دار عمل لا في دار أمل, في دار تكليف لا في دار تشريف, أنت بضعة أيام, كلما انقضى يوم,
انقضى بضع منك.

لماذا تأتي إلى المسجد؟ لتعرف من أنت؛ أنت أعلى مخلوق على الله عز وجل, أنت المخلوق الأول, الذي سخر
الله له ما في السموات وما في الأرض:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

[سورة الجاثية الآية:13]

أنت مخلوق, من أجل أن تعبد الله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات الآية:56]

أنت المكرم:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء الآية:70]

من أجل أن تعرف حقيقة الحياة الدنيا, من أجل أن تعرف حقيقة الكون, من أجل أن تعرف ما ينبغي وما لا ينبغي, ما يجوز وما لا يجوز, ما يصح وما لا يصح, من أجل أن تعرف الحق من الباطل, الحلال من الحرام, الخير من الشر, من أجل أن تكون زوجاً مثالياً, وتاجراً مثالياً, وأخاً مثالياً, من أجل أن تسعد في دنياك وأخراك.

لماذا تأتي إلى المسجد؟ من أجل أن تعرف ذاتك.

من عرف نفسه, عرف ربه.

لم لم يقل النبي: (يدخل المساجد) وإنما قال: (يعتاد المساجد)؟:

أيها الأخوة الكرام؛ هذا الذي يرتاد المساجد, اشهدوا له بالإيمان, هذا الذي يحضر مجالس العلم, يبحث عن ذاته, يبحث عن الحقيقة, والحقيقة هي أثنى شيء:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

[سورة البقرة الآية:269]

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد , فاشهدوا له بالإيمان))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لم يقل النبي يدخل المساجد, أو دخل المسجد, يعتادها؛ جزء من حياته, يؤدي الصلوات في المسجد.

هكذا كان سلفنا الصالح:

السلف الصالح: كان الرجل إذا لم يصل الفجر في المسجد, يظنونه مريضاً, أو مسافراً.

قد تجد في بعض الأحياء المكتظة, أبنية عالية جداً, وكل بناء فيه مئات البيوت, ولا تجد في المسجد بضع رجال, يؤدون صلاة الفجر في جماعة.

((ومن صلى الفجر فهو في ذمة الله حتى يمسي, ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

وأنت إن صليت الفجر والعشاء في جماعة, فأنت في ضمان الله أربعاً وعشرين ساعة.

((يا بن آدم! لا تعجز عن ركعتين قبل الفجر, أكفك النهار كله))

ما هو الشيء المؤلم في هذه الفقرة, وما هو الشيء الذي يثلج الصدر أيضاً؟:

لا يؤلمني إنسان كالذي يقول: ليس عندي وقت فراغ, لأحضر درس العلم, إنه أخطر شيء في حياتك.

لو إنسان ذهب إلى فرنسا ليأخذ الدكتوراه, وبلده معلق عليه آمالاً كبيرة, وهو في أمس الحاجة إلى هذه الشهادة, ولو نال هذه الشهادة, لعاد إلى بلده أستاذاً كبيراً؛ أستاذاً في الجامعة, وطبيباً مشهوراً, وقد يكون وزير صحة, وقد يسكن أجمل بيت, وقد يركب أجمل سيارة, وقد, وقد إلى آخره

فاطلع على برنامج الكلية قال: والله هذه الساعات, لا يوجد عندي وقت أحضرهم, حسناً: لماذا أنت في فرنسا؟ لماذا جئت إلى هذا البلد؟ من أجل أن تدرس, لست مكلفاً بأية مهمة أخرى.

كالذي يقول -وهو في بلد الدراسة-: ليس عندي وقت لحضور دروس الجامعة, هذا مجنون.

فالذي يستتكف عن طلب العلم، الذي لا يجد وقتاً لمعرفة ربه الذي خلقه، الذي لا يجد وقتاً لمعرفة منهج ربه الذي ينبغي أن يسير عليه، هذا إنسان بلا عقل.

لذلك:

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان))

[أخرجه الترمذي في سننه]

والشيء الذي يثلج الصدر: أننا -والحمد لله- نرتاد المساجد، والمسجد عامرة بالمصلين، ونرجو الله سبحانه وتعالى: أن تترجم الدروس إلى واقع عملي.

كيف فسر علماء التفسير هذه الآية؟:

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

اختر العلماء في هذه الآية: يا ترى، وأنت فيهم؛ أي بين أظهرهم؟ ماذا نفعل بالآية إذا توفي النبي؟.

قال علماء التفسير: وما كان الله ليعذبهم، وسنتك قائمة في حياتهم.

يعني: إذا بيتنا إسلامي، وعملنا إسلامي، وأفراحنا إسلامية، وسفرنا إسلامي، وإقامتنا إسلامية، وتجارتنا إسلامية، ما دامت سنة النبي، ومنهج النبي -عليه الصلاة والسلام- مطبقاً في حياتنا، ما كان الله ليعذبهم، نحن في بحبوحة من أن نعذب:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

أتريد أن تعرف فضل الله عليك؟ إليك ذلك:

أخواننا الكرام، إذا الله عز وجل أكرم أحدكم بالمعرفة والاستقامة، من أجل أن يعرف قيمة الهدى، وقيمة الإيمان، وقيمة طاعة الرحمن، ليجلس مع صديق له من سنه، شارده عن منهج الله، ليجلس معه؛ يرى بوناً شاسعاً، يرى فرقاً كبيراً، يرى مسافة لا تحتمل، بين إنسان جاهل، أناني، يحب ذاته، لا يعبأ بمنهج الله أحياناً، منحرف الأخلاق أحياناً، يكذب أحياناً، يخون العهد، لا يُنجز الوعد:

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

[سورة النساء الآية:113]

حكم شرعي:

أيها الأخوة:

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ومن خصائص الإيمان: أن تعتاد دخول المساجد، ولا تعبأ بالإمام.

قال عليه الصلاة والسلام:

((صل وراء كل بر وفاجر))

أنت لست مكلفاً أن تبحث عن استقامته، هذا يفتت وحدة المسلمين، هذا إمام، أنا أصلي وراءه، وانتهى الأمر، دون تدقيق.

قضية استنباط أيضاً:

وحديث آخر، رواه النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا أراد الله بقوم سوءاً, جعل أمرهم إلى مترفيهم))

من أين استنبطت -يا رسول الله- هذه الحقيقة؟ من قول الله عز وجل:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

-في قراءة-:

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

حديث خطير:

ورد في الحديث الصحيح:

((إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سُمحاءكم، وأموركم شوزى بينكم، فَظَهَرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بطنها، وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بُخلاءكم، وأموركم إلى نساءكم، فبطنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

إذا كان أمركم إلى نساءكم، وكان أمراؤكم شراركم، وكان أغنياؤكم بخلاءكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها.

متى يستخدم هذا العلاج الرباني؟:

إذا أراد الله بقوم سوءاً: إذا أراد أن يؤدبهم، آخر تأديب قبل أن يهلكهم، إن أراد أن يعطيهم آخر دواء في صيدلية الله عز وجل: هو أن يجعل أمرهم إلى مترفيهم:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

ضغطوا عليهم, استباحوا أعراضهم, أخذوا أموالهم, ولم يعودوا إلى الله.

حرب أهلية: دامت خمسة عشر عاماً في لبنان, وانتهت الحرب الأهلية, هل عادوا إلى الله؟ أبداً. هذا آخر علاج:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل الآية:112]

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

يعني: ونحن إن سرنا على طريقة أهل الشر, وأهل المعاصي والفجور, ينتظرنا عذاب من الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

[سورة هود الآية:117]

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

[سورة الأنفال الآية:25]

يعني: إذا عم الفساد في الأرض:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم الآية:41]

((إذا أراد الله بقوم سوءاً, جعل أمرهم إلى متريفيهم))

يعني: علاج من علاجات الله, وفي آية: القراءة الأولى:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

-أمرناهم بطاعة الله, فلم يستجيبوا-:

﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

والمترفون دائماً: قذوة للآخرين, الكبراء في المجتمع, الناس يقلدونهم دائماً:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء الآية:16]

قاعدة:

الحديث الثالث:

((إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك, فأنت مؤمن))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

قاعدة.

((إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك, فأنت مؤمن))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

تكلت كلاماً لا يليق بالمؤمن, فلم تنم الليل من شدة الندم, تكلت كلمة لم تكن حكيمة, قلقت قلماً شديداً, سهرت مع جماعة لا يليق بك أن تجلس معهم, فتألمت ألماً شديداً, سألك سائل فرددته, تألمت ألماً شديداً, استتصحك ناصح مستنصح فلم تنصحه, تألمت ألماً شديداً.

((إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك , فأنت مؤمن))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

لأن الفطرة سليمة, أما حينما تنطمس الفطرة, تسرك سيئتك, وتسوءك حسنتك, هذه علامة خطيرة جداً.
بميزان صحيح: الخطأ بالوزن ليس هناك مشكلة أبداً, يمكن أن تخطيء بالوزن, والخطأ بالوزن لا يتكرر, أما الخطأ بالميزان لا يصحح. حينما تنطمس الفطرة, يكون الران على القلب, فهناك مع الله مشكلة كبيرة جداً.
لذلك: الإنسان إذا بقي عنده بقية فطرة, تفرح بالعمل الصالح, وتتألم بالعمل السيء, فليحمد الله على هذه الفطرة, لا تزال في نبض.

أحياناً الطبيب: يضع يده على المريض, لا يوجد حركة, يضع السماعه في أذنه, والسماعة على قلبه, لا يوجد حركة, يقول: أتوني بمرآة, يضعها على أنفه, لا يوجد بخار ماء, لا يوجد حركة, يقول: أتوني بمصباح, يضعه في عينيه, القزحية لا تضيق, عظم الله أجركم, الرجل ميت.

فلما الإنسان يفرح بالمصيبة, يراها مغنماً, وينزعج من الطاعة, ويراه عيباً, هذا عظم الله أجركم, منته, لا يوجد حركة أبداً, نبض لا يوجد, أما إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك, فهذه علامة طيبة جداً؛ يعني في نبض, في حياة, في روح, في أمل.

فالإنسان ينمي هذا الوازع الداخلي, ينمي هذه النفس بذكر الله, بصحبة المؤمنين, بارتياح المساجد, بطلب العلم, بالعمل الصالح, بإنفاق المال, من أجل أن يحافظ على حيوية فطرته, أما إذا انطمست هذه الفطرة, فاقراً عليه السلام.

((إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك , فأنت مؤمن))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

وهذه علامة طيبة جداً.

نصيحة من نصائح النبي ﷺ - الطبية:

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه الديلمي:

((إذا شربتم الماء, فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً, فإن العبَّ يُورث الكبد))

الكبد مرض في الكبد.

يعني: الإنسان إذا شرب الماء البارد عباً, فالمعدة (37), والماء درجته (2) أو (1), فكأس ماء كبير, يدخل إلى المعدة فجأة, ما الذي يحصل؟.

في عصب اسمه: العصب المبهم أو العصب الحائر, هذا عصب بين القلب والمعدة, وتنبيه هذا العصب تنبيهاً شديداً, فجائياً, قد يؤدي إلى الوفاة.

وقد قرأت مقالة لطبيب شهير, قال: هناك في معلومات الطبية, اثنتا عشرة حالة موت مفاجيء, من تنبه هذا العصب تنبيهاً مفاجئاً.

فالمعدة (37 درجة), يمسك إبريق الماء البارد, ويعب الماء عباً, أما إذا مصه مصاً, تتبدل حرارته شيئاً فشيئاً, هذا من السنة الشريفة, وقد أخذها النبي:

﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:249]

فإذا الإنسان بحالة حر شديد, يعني حر لا يحتمل, ودخل إلى بيت, وقال: آتوني الماء, وشرب حتى ملأ معدته بماء بارد جداً, ربما أصيب بأمراض وبيلة, ليس أقلها الكبد, مرض يصيب الكبد.

((مصوا الماء, ولا تعبوه عباً, فإن الكبد من العب))

وهذه رواية أخرى.

((إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً، ولا تشربوه عباً، فإن العب يورث الكباد))

خاتمة القول:

آخر حديث: -أبلغوا هذا لزوجاتكم، دين الرجل -والله أعلم- مؤلف من عشرة آلاف بند، عشرة آلاف بند، في منئي معصية؛ في البيع والشراء، في غض البصر، في غيبة القلب، في الوكالة، في الحوالة، في الطلاق، دين المرأة أربعة بنود، الرجل عشرة آلاف بند، المرأة أربعة بنود-.

((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة))

[أخرجه البزار في مسنده]

أما أنت كم مزلق من مزلق البيع والشراء محرم؟ الله وكيلك هذا رأس ماله، ما الذي حدث معك أنت؟ وكلت الله، ورأس مالك أقل من هذا بكثير؛ يعني كلام في البيع والشراء، في المشي في الطرقات، في الشراء، في السفر، أنت، الزوجة: أربعة بنود.

((صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة))

[أخرجه البزار في مسنده]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-43} : حديث شريف عن الأمانة والتعيين للمسؤولية

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-06-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

من علامات الساعة:

أيها الأخوة الكرام، روى الإمام البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

((إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

الساعة لها علامات، أحد أكبر علاماتها: أن يسند الأمر إلى غير أهله، فلكل عمل أهله، فإذا قام بالعمل من ليس له بأهل، فقد اقتربت الساعة، هذا من علامات قيام الساعة، والإنسان إذا ولى على عشرة رجال، وفيهم من هو خير منه، فقد خان الله ورسوله، يعني أنت مدير معمل، وليت على عشرة عمال أمير وفيهم من هو خير منه، فقد خنت الله ورسوله.

سيدنا عمر رضي الله عنه، سأل أحد الولاة: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده، قال: إذاً فإذا جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل، فسأقطع يده، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم؛ فإن وفيناهم ذلك تقاضيناهم، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً، وجدت في المعصية أعمالاً، فاشغلها في الطاعة قبل أن تشغلك في المعصية.

كلما ارتفعت مكانتك ازدادت مسؤوليتك:

أيها الأخوة، الإنسان في الأرض، كلما ارتفع في مكان، اتسعت دائرة رؤيته، فالذي يصعد إلى جبل قاسيون، يرى الشام كلها، والذي يركب الطائرة، يرى تقريباً من الشام إلى حمص في نظرة واحدة، والذي وقف على سطح القمر، رأى الأرض كلها، كلما ارتفعت مكانتك ازدادت مسؤوليتك، هذه قاعدة، كيف أنك إذا ارتفعت ارتفاعاً مادياً، تتسع

رقعة رؤيتك، كذلك إذا ارتفعت رقعة رؤيتك، تزداد رقعة مسؤوليتك، هذه قاعدة، فالإنسان قد يفرح بمنصب رفيع.

((يا رسول الله استعلمني. قال: يا أبا ذر، إني أحبك وأحب لك ما أحبُّ لنفسِي: لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم))

الأمانة مسؤولية وندامة يوم القيامة -إلا من أخذها بحق-، فالإنسان لو يعلم أنه إذا تولى على عشرة، أن له حساباً خاصاً، لعد للمليون قبل أن يقبل عملاً، يسأله الله عن كل صغيرة وكبيرة.

انظر إلى خطر المسؤولية عند عمر بن الخطاب:

يقول سيدنا عمر: لو تعثرت بغلة في العراق، لحاسبني الله عنها، لم لم تصلح لها الطريق يا عمر؟.

رأى إبلاً سمينة، قال: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لابنك عبد الله، غضب أشد الغضب واستدعى ابنه، وقال له: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لي، اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن، فماذا فعلت؟ قل لي: ماذا فعلت؟ قال: يقول الناس: اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا بن أمير المؤمنين؛ أعلمت لماذا هي سمينة؟ لأنك ابني.

فلذلك: الإنسان حينما يشعر أنه سيقف بين يدي الله عز وجل، وسيسأله عن كل حركة، وكل سكنة، وكل صغيرة، وكل كبيرة، لعد للمليون قبل أن يقبل عملاً.

كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يرفضون أي عمل، يضعهم أمام مسؤولية أمام الله عز وجل، ولاسيما القضاء؛ لذلك:

((إذا ضُبِّعَتِ الأمانةُ، فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعثها يا رسول الله؟ قال: إذا أسندَ الأمرُ إلى غير أهله، فانتظر الساعة))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

فإنسان أحياناً يترنم؛ يقول لك: أنا مسؤول كبير؛ لو أدرك معنى هذه الكلمة -هو مسؤول كبير-، يعني مسؤول أمام الله مسؤولية كبيرة، والحساب دقيق. ما قولكم في هذه الآية الكريمة؟:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية: 7-8]

قال:

((أعرابي سأل النبي - عليه الصلاة والسلام- أن يعظه ويوجز, تلا عليه النبي هذه الآية:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية: 7- 8]

فقال: كفيت, فقال عليه الصلاة والسلام: فقه الرجل))

أرأيتم إلى أن آية واحدة كفت هذا الأعرابي، وصار بها فقيهاً، وبين يديك ستمئة صفحة من كتاب الله؛ نقرؤها كل يوم، ونستمع إليها، ونستمع إلى تفسيرها، ولا تجد الإسلام مطبقاً في حياتنا؟ هذا هو سر تخلفنا عن ماضيينا. سيدنا عمر -رضي الله عنه- كتب إلى واليه على البصرة: نمي إلي أنه قد صار لك هيئة حسنة؛ في مسكنك، وملبسك، ومطعمك، ومركبك، ليست لعامة المؤمنين، احذر يا عبد الله: أن تكون كالداية مرت بواد خصب، فجعلت همها في السمن، وفي السمن حتفها.

هذه المسؤولية عند عمر بن عبد العزيز:

سيدنا عمر بن عبد العزيز، سئل مرة من قبل أحد ولاته: إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، وأقدر على استخراجهم منهم، إلا أن أمسهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت، قال: يا سبحان الله! أتستأذني في تعذيب بشر؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البينة، فإن قامت فخذهم بالبينة، فإن لم تقم، فادعهم إلى الإقرار، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم، فإن لم يقرؤا؛ فادعهم إلى حلف اليمين، فإن حلفوا؛ فأطلق سراحهم، وإيم الله! لئن يلقوا الله بخيانتهم، أهون من ألقى الله بدمائهم.

اعتق هذا المبدأ:

يروى أن الإمام الحسن البصري - وكان سيد التابعين - كان عند والي البصرة، وقد جاء توجيه من الخليفة - هذا التوجيه فيما يبدو؛ إن نفذ هذا الوالي أغضب الله عز وجل، وإن لم ينفذه أغضب الخليفة، وقد يخسر دنياه كلها، نظر فإذا إلى جانبه الحسن البصري، قال: يا إمام ماذا أفعل؟ إن فعلت ما أمرني به يزيد أغضبت الله عز وجل، وإن ما فعلت أغضبت يزيداً، ماذا أفعل؟.

- هذا الإمام التابعي الجليل، قال كلمة على إيجازها، والله يمكن أن تكون لكل إنسان مبدأً -.

قال: إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيداً لا يمنعك من الله.

هذا الذي تخاف منه، الله يمنعك منه، لكنه لا يستطيع أن يمنعك من الله، لو أن هذه الخلايا نمت نمواً عشوائياً، وأخذت خزعة وفحصت، فإذا هذا النمو خبيث، من يستطيع في الأرض أن يمنعك من هذا الورم الخبيث؟. إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيداً لا يمنعك من الله. هذا مبدأ.

لذلك:

((من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن أسخط الله برضا الناس، سخط عنه الله، وأسخط عنه الناس))

استقيموا ولن تحصوا:

أيها الأخوة الكرام، أنا أردت كلمة كثيراً طالب العلم، لأنه عرف الحقيقة، أثر آخرته على دنياه، فريحهما معاً، وطالب الدنيا أثر دنياه على آخرته، فخرهما معاً، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((استقيموا ولن تُحصوا))

[أخرجه مالك في الموطأ]

لن تحصوا الخيرات، إن استقمتم؛ سلامة، وصحة، وراحة نفسية، وعزة، وكرامة، شعور بالتفوق، شعور بالقرب من الله عز وجل.

جاء في الأثر:

((ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيدته أهل السموات والأرض، إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته، إلا جعلت الأرض هويماً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه))

كلكم يعلم من هو الحجاج؟ إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، يعني: قتل رجل عند الحجاج، أهون من قتل ذبابة.

الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى؛ أدى أمانة العلم، وتكلم بالذي ينبغي أن يقوله، فأغضب الحجاج، وأثار حفيظته، وقال لجلسائه: يا جبناء، والله لأروينكم من دمه، وجاء بالسياف، واستدعي الحسن البصري ليقتل، وانتهى الأمر، قضية سهلة جداً.

دخل الحسن البصري على الحجاج ليقتل، والسياف يمسك السياف بيده، والنطع رداء يوضع على الأرض، لئلا يتأذى الأثاث بدم القتيل.

دخل الحسن البصري؛ رأى الحجاج السياف وقد مد هذا النطع، فحرك شفتيه بعض الحركات، لم يفهم أحد ماذا قال لله عز وجل؟ فإذا بالحجاج يقف له، ويستقبله، ويجلسه على سريره إلى جانبه، ويقول له يا أبا سعيد: أنت سيد العلماء، ويستفتيه، ويكرمه، ويعطره، ويشيعه إلى باب القصر، أما هذا السياف، وذاك الحاجب؛ صعقا، ما الذي حدث؟! فتبعه الحاجب، قال: يا إمام لقد جيء بك لغير ما فعل بك؛ فماذا قلت لله عز وجل؟ قال: قلت: يا رب، يا مؤنسي في وحشتي، يا ملاذي عند كربتي، اجعل نقمته علي برداً وسلاماً، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك؟ ما معك أحد.

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾

[سورة طه الآية: 45]

-فرعون-:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

[سورة طه الآية: 46]

سيدنا موسى نظر إلى البحر أمامه، وفرعون بجبروته، وقوته، وقهره وراءه، أين الخلاص؟ بحسابات الأرض لا يوجد خلاص، بحسابات الدنيا: الموت محقق:

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

[سورة الشعراء الآية: 61-62]

وإذا كان الله معك، يجعل البحر طريقاً ييساً، وهذا الذي حصل.

سيدنا رسول الله وهو في الغار -مئتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً-، دخل الغار، جاء العنكبوت، فنسج بيته على باب الغار، -الله ﷻ نصر هذه الدعوة الإسلامية على يد أضعف مخلوقاته، العنكبوتة نسجت هذا البيت على مدخل غار ثور-، فقال سيدنا الصديق:

((يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرآني، قال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟))

أنت تعرف مع من؟ يعني فقط للتوضيح: إذا جندي غر والده قائد الجيش، أكبر رتبة هل تخيفه؟ أبداً، كل هؤلاء الأقوياء خاضعون لأبيه، وأبوه يحبه.

تروي بعض الروايات، أنه قال:

((يا رسول الله، لقد رأونا -ليس لو نظر أحدهم-، قال: يا أبا بكر، ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: 198]

ما هو الثمن الذي يجب أن يدفعه المسلم حتى يحصل على معية الله؟:

أيها الأخوة، قال بعض العلماء:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة الأنعام الآية: 103]

وكل من كان مع الله لا تدركه الأبصار، هو في حماية الله، هو في رعايته، هو في حفظه، هو في تأييده.

لذلك قالوا: أية آية كقوله تعالى:

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 194]

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 153]

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنفال الآية: 19]

هذه معية خاصة؛ معية الحفظ، والتأييد، والنصر، والتوفيق، لذلك أعظم شيء تصل إليه أن تكون مع الله:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية: 12]

لكن معية الله مشروطة:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[سورة المائدة الآية: 12]

معية الله لها ثمن، ادفع الثمن وخذ هذه المعية، فإذا كنت مع الله، أنت أقوى إنسان على وجه الأرض، أبدأ.

التطبيق العملي لهذا الحديث:

أيها الأخوة، ما التطبيق العملي لهذا الحديث؟:

((إِذَا ضَيِّعَتِ الْأَمَانَةُ؛ فانتظر الساعة. قالوا: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ،

فانتظر السَّاعَةَ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

أنت علاقتك مع هذا الحديث، أنك إذا أردت أن تولي طالباً على صف، أنت معلم، وأردت أن تعين عريفاً على هذا الصف، ينبغي أن تختار أفضلهم، وأكثرهم استقامة، وأعلمهم، فإن اخترت طالباً، وفي الطلاب من هو أفضل منه، فقد خنت الله ورسوله:

((من ولي رجلاً على عشرة، وفيهم من هو خير منه، فقد خان الله ورسوله))

علاقتك بهذا الحديث؛ لا تول إلا الأصلح، لا تول إلا الأفضل، لا تول إلا الأكثر استقامة، نعم.

سيدنا عمر، كان إن أراد أن يولي والياً، يمتحنه، فمرة دخل عليه وال قد عينه مجدداً، وهو في طريقه إلى ولايته، وكان عمر -رضي الله عنه- يقبل ابناً له، فأنكر عليه تقبيل أولاده، قال: والله أنا ما أقبل أولادي أبداً، قال: هات كتاب التعيين، مزقه، قال: إن لم ترحم أولادك، كيف ترحم الناس؟! اخرج.

مرة أرسل والياً أعطاه كتاب تعيين، قال: انطلق إلى عمك، خذ عهدك؛ كتاب التعيين، وانطلق إلى عمك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك -تجريب فقط، سنة-، وأنت بعدها تصير إلى أربعة خلال، فاختر لنفسك؛ إن وجدناك أميناً ضعيفاً، استبدلناك لضعفك، وسلمتك لمعرتنا أمانتك، وإن وجدناك خائناً قوياً، استهنا بقوتك، وأوجعنا ظهرك، وأحسننا أدبك، وإن جمعت الجرمين -الضعف والخيانة-، جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك أميناً قوياً، زدناك في عمك، ورفعنا لك ذكرك، وأوطأنا لك عقبك.

من أين استنبط هذا الخليفة الراشد هذه الحقيقة؟ من قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص الآية: 26]

بلغت العصر: الكفاءة والإخلاص، في عمله كفؤ، وله ولاء لله ورسوله، قد تجد إنساناً كفؤاً؛ ولكن لا يوالي الله ورسوله، لذلك هذا يمكن أن يبيع كفاءته لغير أصحابها، إن أردت أن تستخدم إنساناً طبق هذه القاعدة:

﴿اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص الآية: 26]

القوي يعني كفؤ، والأمين يعني مخلص، وأنتم تجار -أيها الأخوة-، يعني إذا عندك موظف كفؤ وأمين، إياك أن تضيق عليه، هو ثروة لا تقدر بثمن؛ أعطه، أكرمه، اكفه، لأنه حينما تعطي الإنسان أقل من طموحه وأقل من حاجته، لا تضمن ولاءه ولا تضمن بقاءه.

دعاء الختام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

حديث في غاية الأهمية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام، فيما رواه الإمام الترمذي في مسنده، عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي))

أيها الأخوة، ربنا ﷺ في قصة قارون، ذكر هذه الحقيقة، خرج على قومه بزنته:

﴿أَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُضْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية: 76]

لأنه من عرف حقيقة الدنيا؛ لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء.

ما هو الفرح الذي لا يحبه الله، وما هو الفرح الذي أمرنا به؟:

صديق لي قبل أسبوع عزي أحد أقربائه، قال: دخلت إلى بيت في غربي المالكي، وجدت مساحته سبعمئة متر، وصف لي هذا البيت بشكل لا يصدق، كم اعتنى صاحبه، اعتنى بكسوته؛ أحدث شيء، أجمل شيء، كم اعتنى في أساس البيت؟ قال -وأنا في التعزية-، قلت: أين صاحب البيت؟ من عرفها لم يفرح لرخاء -لأنه مؤقت-، ولم يحزن لشقاء -لأنه مؤقت-، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي:

﴿أَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية:76]

يعني: إن الله لا يحب الفرحين بالدنيا، وفي آية أخرى:

﴿فَبَدَّلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: 58]

افرح بطاعتك لله، افرح أنك تعرف الله، افرح أنك تحمل نفسك على طاعته، افرح أن الله سبحانه وتعالى قدر على يديك أعمالاً صالحة، افرح أن بيتك إسلامي، افرح أن عملك ليس فيه شبهة، افرح أن كسبك حلال، افرح أن لك مجلس علم تحضره، افرح أن عقيدتك صحيحة، افرح أنك تحب الله ورسوله، افرح أنك ربيت أولادك تربية إسلامية:

﴿فَبَدَّلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: 58]

هذا الذي ينبغي أن تفرح له، لا أن تفرح بمبلغ كبير حصلته بطريقة أو بأخرى، لا تفرح بمنزل كبير زينته وهو مغتصب، لا تفرح بتجارة عريضة بنيت على معصية الله، لا تفرح بزوجة تروق لك لا تطيع الله، لا تفرح بولد يحمل أعلى شهادة، لكنه لا يصلي:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية:76]

ويا أيها الأخوة، في هذه الآية كلمة -ليت المسلم يعرف قيمتها-:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

أيها الأخوة، قبل شهرين: صديق لي توفي أخوه، ذهبت لتعزيتته، أنا في الطريق -التعزية خارج دمشق، في محافظة جنوبية-، قلت: ما قيمة المال إذا ترك الإنسان هذا المال، ولم ينتفع به، وسيحاسب عليه درهماً درهماً، كيف اكتسبته؟ ماذا قال الله عز وجل على لسان قوم قارون؟:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

متى يكون المال له معنى؟:

أيها الأخوة، صدقوني: أن المال الذي يزيد عن حاجتك، لا معنى له إلا إذا أنفقته في الحق، إلا إذا وظفته في الحق.

أحد أخواننا الدعاة، ذهب إلى بلد إسلامي، وبلغه أن أحد كبار الأغنياء تبرع لطلاب العلم بمبلغ بسيط -ثلاثمئة مليون دولار-، قال: أتمنى أن أراه، فدعي إلى طعام الإفطار، وقد حضر هذا الإنسان هذا الطعام، جلس، لم يأت هذا الغني الذي تبرع بهذا المبلغ الضخم، قال: أين فلان؟ قال: لقد جاء قبلك، انظر إليه، يجلس أمامك، قال: لشدة تواضعه لم أصدق أنه هذا الذي دفع هذا المبلغ، قلت: سبحان الله! يعني أهدنا يدفع خمسين ألفاً، يمشي كالطاووس، يسهم في بناء مسجد، يريد رخاماً، المحسن الكبير فلان، يعني:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

المال الذي يزيد عن حاجتك لا معنى له، إلا إذا وظفته في الحق؛ إنسان أنشأ دار أيتام، إنسان أنشأ مستشفى، إنسان أنشأ معهداً شرعياً، إنسان ترك مؤلفاً، تعهد طلاب علم، تبني طلاب علم، تبني دعاة إلى الله، مسح الدموع عن وجوه الأطفال الصغار، أبواب إنفاق المال لا تعد ولا تحصى، والأغنياء لو ذاقوا طعم الإنفاق، وكيف أن المال يجعلهم في أعلى عليين في الجنة، لما أنفقوا إلا حاجاتهم الأساسية، وأنفقوا أموالهم في سبيل الخير.

ماذا نستنبط من خلال هاتين الآيتين؟ :

أيها الأخوة، فخرج على قومه بزينته، الآن: قال الذين يريدون الحياة الدنيا:

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[سورة القصص الآية: 79]

قال الذين أوتوا العلم:

﴿وَيُلْكَمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

[سورة القصص الآية: 80]

فأنت إذا رأيت بناءً جميلاً، سيارةً فارهة، صرحاً مشيداً، بستاناً فريداً، مقصفاً جميلاً، مكتباً فخماً، وقلت: هنيئاً لصاحبه، فأنت من أهل الدنيا، أما إذا قلت لإنسان حفظ كتاب الله، وأجرى الله الخير على يديه، تمتع بعلم فريد، بعمل طيب، بسمعة طيبة، له أثر كبير، له أعمال صالحة كبيرة، إذا قلت: هنيئاً لهذا، فأنت من أهل الآخرة، من الذي هو عندك كبير؛ أهل الدنيا، أصحاب الملايين، أصحاب المناصب الرفيعة.

المؤمن الصادق يعظم أهل الإيمان، ولا يكثر بأهل الدنيا، قال:

((من جلس إلى غني فتضع له، ذهب ثلثا دينه))

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزع منها هيبة الإسلام))

قصة لها مفادها:

ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن تغلب أمتي من اثني عشر ألف من قلة))

اثني عشر ألف من قلة؛ مع أن المسلمين اليوم يعدون ملياراتاً ومئتي مليون.

أنا ذكرت قبل أسابيع في إحدى الخطب -في الخطبة الثانية-: أن هناك قصة سأتلوها على مسامعكم، ليس لها علاقة إطلاقاً بموضوع الخطبة، ولكن لها علاقة بهذا الكم الكبير من المسلمين، مليار ومئتا مليون، هذه القصة:

سيدنا الصديق أرسل سيدنا خالدًا لفتح بلاد فارس، سيدنا خالد رأى جيش العدو يزيد عن مئة وثلاثين ألفاً، بينما جيشه لا يزيد عن ثلاثين ألفاً، فطلب من الخليفة الصديق أن يمدّه بجيش، ليواجه به جيش الفرس، سيدنا الصديق أرسل له واحداً، واحداً بيديه، اسمه: القعقاع بن عمرو، فلما دخل على سيدنا خالد، قال: أين النجدة؟ - ينتظر خمسين ألفاً، ينتظر ثلاثين ألفاً، ينتظر عشرة آلاف، هو رجل واحد-، قال: أنت؟! قال: أنا النجدة، خذ هذا الكتاب، فض الكتاب، قرأ ما فيه:

من عبد الله أبي بكر الصديق، إلى سيف الإسلام خالد بن الوليد: أحمد الله إليك، لعلك تعجب أني أرسلت لك القعقاع بن عمرو نجدة لك، فو الله الذي لا إله إلا هو، إن جيشاً فيه القعقاع بن عمرو لا يهزمه أحد. واحد، واحد، نحن الآن مليار ومئتا مليون؛ وليست كلمتنا هي العليا، وليست مقدراتنا في يدينا، وللكفار علينا ألف سبيل وسبيل:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

أما الواقع: لهم علينا ألف سبيل وسبيل، ورأيتم ما جرى في الخليل قبل أيام؛ ماذا رسموا؟ وماذا كتبوا؟ وماذا صوروا؟ هذا من ضعف إيماننا، هذا لأننا عظمنا أهل الدنيا:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام))

هذه سيرة عمر بن الخطاب:

سيدنا عمر جاء إلى المقدس، وهو خليفة المسلمين -يعني مظهره عادي- معه غلام، ومعه دابة، يركب عمر مرة، والغلام مرة، ويريح الدابة مرة، فلنا وصل إلى مشارف القدس، استقبله الوالي، قال له: يا أمير المؤمنين، هذا لا يليق.

قال: الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

طبعاً: جاء رسول قيصر ليرى عمر بن الخطاب، سأل عنه، لم يجده في دار الخلافة، قال: انظر لعله في ظاهر المدينة، ذهب إليه، فإذا هو متوسد عباءته، وقد استلقى على الأرض، غاب في نوم عميق، وقال هذا الرسول

كلمة، قال: عدلت، فأمنت، فنمت.

سيدنا عمر جاءته كنوز كسرى وضعت أمامه، لم يتراءى الرجلان، يقف الرجل أمام هذا الكنز، لا يرى الذي في الطرف الآخر، لأنه جبل من الذهب، سيدنا عمر قال: سبحان الله! ما أعظم أمانة هؤلاء الذين أدوه إلينا، إنهم لأمناء! أجابه علي بن أبي طالب، قال: يا أمير المؤمنين، لقد عففت فعفوا، ولو وقعت لوقعوا.

متى تنزع هيبة الإسلام في قلوب أعدائه؟:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام.))

-يعني: الإسلام له هيبة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((نصرت بالرعب مسيرة شهر))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والنسائي في سننه]

أتمته حينما تركت سنته، هزمت بالرعب مسيرة سنة، حينما:

((عظمت أمتي الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام))

حينما كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه على ما يرضي الله، نصروا بالرعب مسيرة شهر، أما حينما تركت أتمته أمر دينها، هزمت بالرعب مسيرة سنة، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي. هذه المجاملة بيننا، نسكت على الخطأ، نمدح الخطأ، نتقرب إلى بعضنا بعضاً، بالثناء على الأخطاء، الإنسان الغني محترم جداً، لا يصلي، لا يوجد مانع، لا يوجد مشكلة، زوجته متقلبة، لا يوجد مشكلة، يشرب في المناسبات، لا يوجد مشكلة، فحينما نعظم أهل الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام.

قال -

: وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي))

إذا تركت الأمر بالمعروف، وهذه الفريضة السادسة، والله عز وجل جعل ربع النجاة بالتواصي بالحق.

الآن: تجد العم تأتيه بنات أخيه بشكل فاضح، لا يتكلم ولا كلمة؛ يرحب بهن، ويثني عليهن، ويكرمهن، وهن متقلبات من منهج الله، وكان من الممكن أن يقول كلمة: هذه الثياب لا تجوز.

الإنسان إذا ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حرم بركة الوحي، فما كل مجاملة مقبولة؛ جامل في الدنيا، أما في الآخرة لا تجامل.

مرة -لعلي ذكرت لكم هذه القصة- سائق تاكسي، جاءه شاب وشابة إلى الشام، يركبان معه إلى الشام، من بيروت إلى الشام، جلسا في المقعد الأخير، قالوا: انتظر حتى تأتي محفظة، يأتي متاعنا، فانتظرا قليلاً، هذا الذي سيأتي بالمتاع تأخر، ثم جاء متأخراً، أعطى هذا الشاب المتاع، هذا الشاب أمسك بيده، وضرب هذا الرجل الكبير في السن على رأسه، قال له: لماذا تأخرت إلى هذا الوقت؟ السائق لم ينتبه، قاد المركبة ومشى، في الطريق سمع امرأته تقول للشاب -زوجها-: لم ضربت أباك؟! وقف السائق، قال له: هذا أبوك، هيا انزلا، وقال: أخشى أن نصاب بحادث.

هذا السائق البسيط: أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، لو كان كل منا لا يسمح لإنسان أن يتجاوز حده، يقف إنسان في مركبة عامة؛ يسب الدين بشكل يندى له الجبين، كل الناس لا ينطقون، لا يوجد مشكلة. حينما ندع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تنزع منا بركة الوحي.

ما خيرية هذه الأمة، ومتى تفقد هذه الخيرية؟:

أيها الأخوة، أما لما الإنسان يحاول أن يتحدى، وأن يعصي الله جهاراً، ويجد أناساً كثيرين يقاطعون، وينصحونه، ويشددون عليه؛ تجد الباطل ضاق؛ أما كلما إنسان ارتكب معصية؛ هناك من يثني عليه، كلما ترك فريضة، هناك من يثني عليه، لذلك الباطل يتوسع و الحق يتضاءل، لذلك: عد العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر الفريضة السادسة، فبركة الوحي تتأتى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذلك قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية:110]

هذه الخيرية علتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقدنا هذه الخيرية، وعندئذ ليس لنا أية ميزة على الإطلاق.

ما المقصود بأمتي (الدعوة والاستجابة)؟:

أيها الأخوة، قال العلماء: هناك أمة الدعوة وأمة الاستجابة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:24]

الذين استجابوا وأطاعوا الله عز وجل؛ هم أمة الاستجابة، والذين لم يستجيبوا هم أمة الدعوة، وأمة الدعوة لا شأن لها عند الله إطلاقاً، لذلك تجد أن أعداء الإسلام كثيرون جداً.

لا تعتب:

حدثني خطيب من أوجه خطباء دمشق، قال لي: أنا سافرت إلى ألبانيا - يبدو أنها بلده-، وخطب في أكبر مساجدها، وقال لي: آلاف مؤلفة، أنا أتكلم وهم يبكون، وفي جيب كل منهم قارورة عرق، يشربون في أثناء الخطبة ويبكون، فإذا كان شعوب بأكملها تشرب الخمر، وتأكل لحم الخنزير، وتأكل الربا، فإذا أراد الله أن يؤدبهم؛ أنعتب عليه؟! هناك تقصير....

جهل فاحش:

حدثني أخ كريم، ذهب إلى موسكو في عهد الاتحاد السوفييتي سابقاً، فالتقى برجل في جمعية تعاونية، لما علم أنه مسلم، بكى بكاء مرأً، وأراد أن يكرمه، فاشتري له زجاجة فودكا.

هناك جهل كبير، الجهل كبير جداً؛ ففي جهل، في معاصي، في موبقات، في مال حرام، في زنا، في شرب

خمر، في تجارات محرمة.

((إذا عظمت أمتي الدنيا؛ نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حرمت
بركة الوحي))

هذا الحديث يجب أن يبقى ماثلاً أمامنا:

((إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سُمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فَظَهَرُ الأَرْضِ خَيْرَ لكم من بطنها،
وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بُخلاءكم، وأمورك إلى نسائك، فبطنُ الأرض خير لكم من ظهرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

مقولة لعلي بن أبي طالب:

سيدنا علي -رضي الله عنه- يقول: قوام الدين والدنيا أربعة رجال: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العامل علمه، استتف الجاهل أن يتعلم - العالم إن لم يطبق علمه، استتف الجاهل أن يتعلم، يقول لك: أنا أحسن منه، هو دارس لكنه غير مستقيم، أنا مستقيم، لست بحاجة لأن أتعلم-، وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنياه غيره، عندئذ يبيع نفسه للشيطان.

نهاية المطاف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-44} : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-07-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حديث في غاية الأهمية:

أيها الأخوة الكرام، فيما رواه الإمام الترمذي في مسنده، عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت
بركة الوحي))

أيها الأخوة، ربنا ﷺ في قصة قارون، ذكر هذه الحقيقة، خرج على قومه بزنته:

﴿أَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية: 76]

لأنه من عرف حقيقة الدنيا؛ لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء.

ما هو الفرح الذي لا يحبه الله، وما هو الفرح الذي أمرنا به؟:

صديق لي قبل أسبوع عزي أحد أقربائه، قال: دخلت إلى بيت في غربي المالكي، وجدت مساحته سبعمئة متر، وصف لي هذا البيت بشكل لا يصدق، كم اعتنى صاحبه، اعتنى بكسوته؛ أحدث شيء، أجمل شيء، كم اعتنى في أساس البيت؟ قال -وأنا في التعزية-، قلت: أين صاحب البيت؟ من عرفها لم يفرح لرخاء -لأنه مؤقت-، ولم يحزن لشقاء -لأنه مؤقت-، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي:

﴿آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية:76]

يعني: إن الله لا يحب الفرحين بالدنيا، وفي آية أخرى:

﴿فَبَدَّلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: 58]

افرح بطاعتك لله، افرح أنك تعرف الله، افرح أنك تحمل نفسك على طاعته، افرح أن الله سبحانه وتعالى قدر على يديك أعمالاً صالحة، افرح أن بيتك إسلامي، افرح أن عملك ليس فيه شبهة، افرح أن كسبك حلال، افرح أن لك مجلس علم تحضره، افرح أن عقيدتك صحيحة، افرح أنك تحب الله ورسوله، افرح أنك ربيت أولادك تربية إسلامية:

﴿فَبَدَّلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: 58]

هذا الذي ينبغي أن تفرح له، لا أن تفرح بمبلغ كبير حصلته بطريقة أو بأخرى، لا تفرح بمنزل كبير زينته وهو مغتصب، لا تفرح بتجارة عريضة بنيت على معصية الله، لا تفرح بزوجة تروق لك لا تطيع الله، لا تفرح بولد يحمل أعلى شهادة، لكنه لا يصلي:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية:76]

ويا أيها الأخوة، في هذه الآية كلمة -ليت المسلم يعرف قيمتها-:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

أيها الأخوة، قبل شهرين: صديق لي توفي أخوه، ذهبت لتعزيتته، أنا في الطريق -التعزية خارج دمشق، في محافظة جنوبية-، قلت: ما قيمة المال إذا ترك الإنسان هذا المال، ولم ينتفع به، وسيحاسب عليه درهماً درهماً، كيف اكتسبته؟ ماذا قال الله عز وجل على لسان قوم قارون؟:

﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

متى يكون المال له معنى؟:

أيها الأخوة، صدقوني: أن المال الذي يزيد عن حاجتك، لا معنى له إلا إذا أنفقته في الحق، إلا إذا وظفته في الحق.

أحد أخواننا الدعاة، ذهب إلى بلد إسلامي، وبلغه أن أحد كبار الأغنياء تبرع لطلاب العلم بمبلغ بسيط -ثلاثمئة مليون دولار-، قال: أتمنى أن أراه، فدعي إلى طعام الإفطار، وقد حضر هذا الإنسان هذا الطعام، جلس، لم يأت هذا الغني الذي تبرع بهذا المبلغ الضخم، قال: أين فلان؟ قال: لقد جاء قبلك، انظر إليه، يجلس أمامك، قال: لشدة تواضعه لم أصدق أنه هذا الذي دفع هذا المبلغ، قلت: سبحان الله! يعني أهدنا يدفع خمسين ألفاً، يمشي كالطاووس، يسهم في بناء مسجد، يريد رخاماً، المحسن الكبير فلان، يعني:

﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

المال الذي يزيد عن حاجتك لا معنى له، إلا إذا وظفته في الحق؛ إنسان أنشأ دار أيتام، إنسان أنشأ مستشفى، إنسان أنشأ معهداً شرعياً، إنسان ترك مؤلفاً، تعهد طلاب علم، تبنى طلاب علم، تبنى دعاة إلى الله، مسح الدموع عن وجوه الأطفال الصغار، أبواب إنفاق المال لا تعد ولا تحصى، والأغنياء لو ذاقوا طعم الإنفاق، وكيف أن المال يجعلهم في أعلى عليين في الجنة، لما أنفقوا إلا حاجاتهم الأساسية، وأنفقوا أموالهم في سبيل الخير.

ماذا نستنبط من خلال هاتين الآيتين؟ :

أيها الأخوة، فخرج على قومه بزينته، الآن: قال الذين يريدون الحياة الدنيا:

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[سورة القصص الآية: 79]

قال الذين أوتوا العلم:

﴿وَيُلْكَمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

[سورة القصص الآية: 80]

فأنت إذا رأيت بناءً جميلاً، سيارةً فارهة، صرحاً مشيداً، بستاناً فريداً، مقصفاً جميلاً، مكتباً فخماً، وقلت: هنيئاً لصاحبه، فأنت من أهل الدنيا، أما إذا قلت لإنسان حفظ كتاب الله، وأجرى الله الخير على يديه، تمتع بعلم فريد، بعمل طيب، بسمعة طيبة، له أثر كبير، له أعمال صالحة كبيرة، إذا قلت: هنيئاً لهذا، فأنت من أهل الآخرة، من الذي هو عندك كبير؛ أهل الدنيا، أصحاب الملايين، أصحاب المناصب الرفيعة.

المؤمن الصادق يعظم أهل الإيمان، ولا يكثر بأهل الدنيا، قال:

((من جلس إلى غني فتضع له، ذهب ثلثا دينه))

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزع منها هيبة الإسلام))

قصة لها مفادها:

ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن تغلب أمتي من اثني عشر ألف من قلة))

اثني عشر ألف من قلة؛ مع أن المسلمين اليوم يعدون ملياراتاً ومئتي مليون.

أنا ذكرت قبل أسابيع في إحدى الخطب -في الخطبة الثانية-: أن هناك قصة سأتلوها على مسامعكم، ليس لها علاقة إطلاقاً بموضوع الخطبة، ولكن لها علاقة بهذا الكم الكبير من المسلمين، مليار ومئتا مليون، هذه القصة:

سيدنا الصديق أرسل سيدنا خالدًا لفتح بلاد فارس، سيدنا خالد رأى جيش العدو يزيد عن مئة وثلاثين ألفاً، بينما جيشه لا يزيد عن ثلاثين ألفاً، فطلب من الخليفة الصديق أن يمدّه بجيش، ليواجه به جيش الفرس، سيدنا الصديق أرسل له واحداً، واحداً بيديه، اسمه: القعقاع بن عمرو، فلما دخل على سيدنا خالد، قال: أين النجدة؟ - ينتظر خمسين ألفاً، ينتظر ثلاثين ألفاً، ينتظر عشرة آلاف، هو رجل واحد-، قال: أنت؟! قال: أنا النجدة، خذ هذا الكتاب، فض الكتاب، قرأ ما فيه:

من عبد الله أبي بكر الصديق، إلى سيف الإسلام خالد بن الوليد: أحمد الله إليك، لعلك تعجب أني أرسلت لك القعقاع بن عمرو نجدة لك، فو الله الذي لا إله إلا هو، إن جيشاً فيه القعقاع بن عمرو لا يهزمه أحد. واحد، واحد، نحن الآن مليار ومئتا مليون؛ وليست كلمتنا هي العليا، وليست مقدراتنا في يدينا، ولللكفار علينا ألف سبيل وسبيل:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

أما الواقع: لهم علينا ألف سبيل وسبيل، ورأيت ما جرى في الخليل قبل أيام؛ ماذا رسموا؟ وماذا كتبوا؟ وماذا صوروا؟ هذا من ضعف إيماننا، هذا لأننا عظمنا أهل الدنيا:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام))

هذه سيرة عمر بن الخطاب:

سيدنا عمر جاء إلى المقدس، وهو خليفة المسلمين -يعني مظهره عادي- معه غلام، ومعه دابة، يركب عمر مرة، والغلام مرة، ويرىح الدابة مرة، فلنا وصل إلى مشارف القدس، استقبله الوالي، قال له: يا أمير المؤمنين، هذا لا يليق.

قال: الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

طبعاً: جاء رسول قيصر ليرى عمر بن الخطاب، سأل عنه، لم يجده في دار الخلافة، قال: انظر لعله في ظاهر المدينة، ذهب إليه، فإذا هو متوسد عباءته، وقد استلقى على الأرض، غاب في نوم عميق، وقال هذا الرسول

كلمة، قال: عدلت، فأمنت، فنمت.

سيدنا عمر جاءته كنوز كسرى وضعت أمامه، لم يتراءى الرجلان، يقف الرجل أمام هذا الكنز، لا يرى الذي في الطرف الآخر، لأنه جبل من الذهب، سيدنا عمر قال: سبحان الله! ما أعظم أمانة هؤلاء الذين أدوه إلينا، إنهم لأمناء! أجابه علي بن أبي طالب، قال: يا أمير المؤمنين، لقد عففت فعفوا، ولو وقعت لوقعوا.

متى تنزع هيبة الإسلام في قلوب أعدائه؟:

((إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام)).

-يعني: الإسلام له هيبة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((نصرت بالرعب مسيرة شهر))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والنسائي في سننه]

أتمته حينما تركت سنته، هزمت بالرعب مسيرة سنة، حينما:

((عظمت أمتي الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام))

حينما كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه على ما يرضي الله، نصروا بالرعب مسيرة شهر، أما حينما تركت أتمته أمر دينها، هزمت بالرعب مسيرة سنة، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي. هذه المجاملة بيننا، نسكت على الخطأ، نمدح الخطأ، نتقرب إلى بعضنا بعضاً، بالثناء على الأخطاء، الإنسان الغني محترم جداً، لا يصلي، لا يوجد مانع، لا يوجد مشكلة، زوجته متقلبة، لا يوجد مشكلة، يشرب في المناسبات، لا يوجد مشكلة، فحينما نعظم أهل الدنيا، نزعنا منها هيبة الإسلام.

قال:-

وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي))

إذا تركت الأمر بالمعروف، وهذه الفريضة السادسة، والله عز وجل جعل ربع النجاة بالتواصي بالحق.

الآن: تجد العم تأتيه بنات أخيه بشكل فاضح، لا يتكلم ولا كلمة؛ يرحب بهن، ويثني عليهن، ويكرمهن، وهن متقلبات من منهج الله، وكان من الممكن أن يقول كلمة: هذه الثياب لا تجوز.

الإنسان إذا ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حرم بركة الوحي، فما كل مجاملة مقبولة؛ جامل في الدنيا، أما في الآخرة لا تجامل.

مرة -لعلي ذكرت لكم هذه القصة- سائق تاكسي، جاءه شاب وشابة إلى الشام، يركبان معه إلى الشام، من بيروت إلى الشام، جلسا في المقعد الأخير، قالوا: انتظر حتى تأتي محفظة، يأتي متاعنا، فانتظرا قليلاً، هذا الذي سيأتي بالمتاع تأخر، ثم جاء متأخراً، أعطى هذا الشاب المتاع، هذا الشاب أمسك بيده، وضرب هذا الرجل الكبير في السن على رأسه، قال له: لماذا تأخرت إلى هذا الوقت؟ السائق لم ينتبه، قاد المركبة ومشى، في الطريق سمع امرأته تقول للشاب -زوجها-: لم ضربت أباك؟! وقف السائق، قال له: هذا أبوك، هيا انزلا، وقال: أخشى أن نصاب بحادث.

هذا السائق البسيط: أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، لو كان كل منا لا يسمح لإنسان أن يتجاوز حده، يقف إنسان في مركبة عامة؛ يسب الدين بشكل يندى له الجبين، كل الناس لا ينطقون، لا يوجد مشكلة.

حينما ندع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تنزع منا بركة الوحي.

ما خيرية هذه الأمة، ومتى تفقد هذه الخيرية؟:

أيها الأخوة، أما لما الإنسان يحاول أن يتحدى، وأن يعصي الله جهاراً، ويجد أناساً كثيرين يقاطعون، وينصحونه، ويشددون عليه؛ تجد الباطل ضاق؛ أما كلما إنسان ارتكب معصية؛ هناك من يثني عليه، كلما ترك فريضة،

هناك من يثني عليه، لذلك الباطل يتوسع و الحق يتضاءل، لذلك: عد العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة، فبركة الوحي تتأتى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذلك قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية:110]

هذه الخيرية علتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقدنا هذه الخيرية، وعندئذ ليس لنا أية ميزة على الإطلاق.

ما المقصود بأمتي (الدعوة والاستجابة)؟:

أيها الأخوة، قال العلماء: هناك أمة الدعوة وأمة الاستجابة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:24]

الذين استجابوا وأطاعوا الله عز وجل؛ هم أمة الاستجابة، والذين لم يستجيبوا هم أمة الدعوة، وأمة الدعوة لا شأن لها عند الله إطلاقاً، لذلك تجد أن أعداء الإسلام كثيرون جداً.

لا تعتب:

حدثني خطيب من أوجه خطباء دمشق، قال لي: أنا سافرت إلى ألبانيا - يبدو أنها بلدة-، وخطب في أكبر مساجدها، وقال لي: آلاف مؤلفة، أنا أتكلم وهم يبكون، وفي جيب كل منهم قارورة عرق، يشربون في أثناء الخطبة ويبكون، فإذا كان شعوب بأكملها تشرب الخمر، وتأكل لحم الخنزير، وتأكل الربا، فإذا أراد الله أن يؤدبهم؛ أنعتب عليه؟! هناك تقصير....

جهل فاحش:

حدثني أخ كريم، ذهب إلى موسكو في عهد الاتحاد السوفيتي سابقاً، فالتقى برجل في جمعية تعاونية، لما علم أنه مسلم، بكى بكاء مرأً، وأراد أن يكرمه، فاشتري له زجاجة فودكا.

هناك جهل كبير، الجهل كبير جداً؛ ففي جهل، في معاصي، في موبقات، في مال حرام، في زنا، في شرب خمر، في تجارات محرمة.

((إذا عظمت أمتي الدنيا؛ نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حرمت
بركة الوحي))

هذا الحديث يجب أن يبقى ماثلاً أمامنا:

((إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سُمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بطنها،
وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورك إلى نساءكم، فبطنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظهرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

مقولة لعلي بن أبي طالب:

سيدنا علي -رضي الله عنه- يقول: قوام الدين والدنيا أربعة رجال: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العامل علمه، استتف الجاهل أن يتعلم - العالم إن لم يطبق علمه، استتف الجاهل أن يتعلم، يقول لك: أنا أحسن منه، هو دارس لكنه غير مستقيم، أنا مستقيم، لست بحاجة لأن أتعلم-، وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنياه غيره، عندئذ يبيع نفسه للشيطان.

نهاية المطاف:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-45} : العمل الصالح

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 12-07-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

الجنة محض فضل من الله، وأن الإنسان يدخلها بعمله الصالح، كيف يكون ذلك؟ :

أيها الأخوة الكرام، في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

أيها الأخوة الكرام، الجنة محض فضل من الله عز وجل، ولكن الله سبحانه وتعالى: جعل الأعمال الصالحة سبباً لها، لا ثمناً لها، وفرق كبير بين الثمن والسبب، فقد تمسك بمفتاح، وتدخل به بيتاً ثمنه مئة مليوناً، هل هذا المفتاح ثمن هذا البيت؟! لا، هذا المفتاح سبب دخول هذا البيت، وليس ثمنه، فالجنة محض فضل من الله عز وجل، ولكن شاءت حكمة الله أن يجعل الأعمال الصالحة سبباً لدخول الجنة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية: 32]

((لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله عز وجل برحمته))

فالجنة رحمة؛ لكن الدخول إليها بالعمل الصالح، وهذا لا يتناقضان، لو أن إنساناً توفي، وترك شاباً في مقتبل الحياة، قال له عمه: إن اجتهدت في دراستك، فسأنفق عليك إلى آخر سنة في دراستك، فهذا الشاب جاء بالدرجة الأولى، فعمه أنفق عليه، وفي العام الثاني توفى، وهكذا ... حتى أصبح طبيباً، فإذا قال هذا الشاب لعمه: لولا إنفاقك علي، ولولا فضلك علي ما كنت بهذه المرتبة الاجتماعية، فأجابه العم: ولولا اجتهدك لما أعطيتك، فهذان لا يتناقضان، لولا أن هذا الشاب أبدى من أسباب النجاح ما يقنع عمه بالإنفاق عليه، لما أنفق عليه، ولو أن هذا

الشاب كان في أعلى درجة من الذكاء والاجتهاد، ولم يشأ عمه أن ينفق عليه، لما صار طبيباً، فأردت من هذا المثل أن أوضح لكم: أنه لا يتناقض أن الجنة برحمة الله، وأن الجنة بعمل الإنسان، هذان المعنيان تكاملان؛ فالله ﷻ جعل الجنة محض فضل منه، لكن دخولها بحسب الأعمال الصالحة.

ورد عن الإمام جعفر -رضي الله عنه-، أنه قال فيما يرويه عن رسول الله -ﷺ-:

((ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم))

الآن: نحن أمام جنة؛ هي محض فضل، واقتسام درجاتها بسبب العمل الصالح، فأبي عمل صالح يؤهلك لدخول الجنة.

حجمك عند الله بحجم عملك الصالح :

أيها الأخوة الكرام، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، بل إن الله سبحانه وتعالى ناظر إلى قلبك؛ فبقدر إخلاصك وصدقك، يجري على يديك الأعمال الصالحة، فالأعمال الصالحة فضل من الله عز وجل، ولكنها ممنوحة بالعدل، هي فضل ممنوحة بالعدل، فكلما علا إيمانك، أجرى الله على يديك الخير، وكلما زاد عملك زاد حجمك عند الله، والدليل:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام الآية:132]

هكذا يقيم الشرع الأعمال :

أخواننا الكرام الحاضرون، كل واحد له عمل، كلمة له عمل واسعة جداً، يعني هو في بيته له عمل، قد يكون زوجاً ناجحاً أو زوجاً غير ناجحاً، قد يكون أباً ناجحاً أو أباً غير ناجحاً، هو في عمله له عمل، قد يكون تاجراً صدوقاً مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة، وقد يكون تاجراً كذوباً، وقد يكون تاجراً نصوحاً، وقد يكون تاجراً غشاشاً، قد يكون تاجراً رحيماً، وقد يكون تاجراً قاسي القلب، فلك عمل في بيتك، لك عمل كزوج، لك عمل كأب، لك عمل كجار، في جار رحيم، في جار ما إن يرى حركة في البناء، إلا اتصل وأخبر وجاءت لجنة الهدم لتهدم،

وقد يكون الجار مضطراً لتزويج ابنه، يحل مشكلة دون أن يؤدي أحداً، لا يؤدي جاراً لا في منظر ولا في تيار هواء، الصبغة العدوانية مركبة في نفسيته، فأنت لك عمل كأب، لك عمل كزوج، لك عمل كجار، لك عمل كتاجر، لك عمل، نمط سلوكك بحسب تقييم الشرع يعطى درجة، فلان صالح، فلان صالح جداً، فلان كريم، فلان منصف، فلان يحب الخير، يعني: حجمك عند الله بحجم عملك. ف:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام الآية:132]

هذا ما عند البشر وهذا ما عند الله :

كلكم يعرف: أن الدولة لديها عشر مراتب، وكل مرتبة ثلاث درجات؛ ففي أولى الثالثة، أولى ثانية، أولى أولى، في ثانية الثالثة، ثانية ثانية، ثانية أولى، هؤلاء المليون موظف موزعون في ثلاثين درجة فقط، هذه هي إمكانيات البشر، ما في إمكان أن تعطي لكل موظف ... فيستوي الذي معه دكتوراه من السوربون، أكثر موضوع؛ معه دكتوراه فنون من دولة شرقية، معه دكتوراه انتهى، جاء بالدرجة الرابعة أولى، فالبشر ما عندهم إمكانية أن يكون التصنيف دقيق جداً، أما خالق البشر قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام الآية:132]

يعني: إذا كان في الأرض خمسة آلاف مليون إنساناً؛ ففي خمسة آلاف مليون درجة عند الله، كل واحد درجة، العمل بحسب حجمه، بحسب إخلاصه، بحسب الصعوبات التي تعترضه، بحسب الصوارف التي تصرف عنه، بحسب العقبات التي توضع أمامه، بحسب الصعوبات التي يتحملها من يعملها، بحسب المعاكسات، بحسب التقييم، بحسب التضحية، بحسب البذل.

إليك قصة هذا المسجد في إحدى أحياء دمشق في القسم الجنوبي الغربي :

أخ كريم من أهل اليسار -ليس اليسار يعني عكس اليمين، من أهل اليسار يعني من أهل الغنى-، أراد أن ينشأ مسجداً في إحدى أحياء دمشق، في القسم الجنوبي الغربي، فعن طريق مهندس صديق، بحثوا عن أرض أشهراً

طويلاً، وجدوا أرضاً مناسبة، بحثوا عن صاحبها، صاحبها تملكها إرثاً قبل شهر، يعمل مستخدماً في مدرسة، مستخدماً لا يملك إلا ثلاثة آلاف ليرة، راتبه يعيش به مع خمسة أولاد، أيكفونه؟! مستحيل، فصاحب مشروع بناء المسجد، التقى به ليفاوضه على السعر، بعد جلسة مفاوضات طويلة؛ استقر سعر هذه الأرض على ثلاثة ونصف مليون، واتفق الطرفان، البائع والمشتري، على بيع الأرض وعلى شرائها، وقرئت الفاتحة، ووقع المشتري شيكاً بمليون ليرة كدفعة أولى، ريثما يتم إنجاز معاملات الفراغ، إلا أن المشتري قال كلمة؛ قال له: غداً إن شاء الله في الأوقاف، قال له: ما الأوقاف؟! قال له: هذه الأرض أريد أن أجعلها مسجداً، قال له: مسجداً!! هذه الأرض تحب أن تجعلها مسجداً؟ قال له: نعم. قال له: هات الشيك، أخذ الشيك ومزقه، قال له: أنا أقدمها لله لا أنت، يقول هذا الرجل الميسور: شعرت أنني كذباية أمام هذا الإنسان، هو معه مئة مليون سيدفع ثلاثة ونصف منهم، أما هذا المستخدم الذي معاشه ثلاثة آلاف وعنده خمسة أولاد، لا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض؛ فقدمه، والآن مسجد بنهر عائشة موجود، ومكلف أحد عشر مليوناً مع ثمن الأرض، انظروا -أخواننا- هذا المستخدم له عند الله عمل يوم القيامة، يغدو ملكاً به، ليس مستخدماً:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام الآية:132]

سؤال موجه إليك :

سؤالي بهذا الدرس؛ سؤال محرج، أسأل نفسي إياه، وليسأل كل منكم نفسه إياه هذا السؤال: ماذا قدمت من عمل في سبيل الله؟ اشترينا بيتاً، هذا لك البيت، لك ولأولادك، الله وفقني، أتيت بمهندس ديكور، عمل لي جبصيناً نادراً، لكن هذا الشيء لك، ليس لله، تمتعت بالجبصين، عندنا سطح كراج ضممناه للبيت، هذا ليس لله، توسعت، عملت غرفة زائدة، والله وفقنا ببيت في المصيف، هذا ليس لله، أيضاً لك، وعملنا مسجداً مفلتراً، هذا ليس لله، لك هذا، أريد عند الموت؛ إذا جاءك الملكان وسألاك عن عملك الصالح، ماذا قدمت:

((يا بشر، لا صدقة ولا جهاد، فبم تلقى الله إذا؟))

موعظة :

أيها الأخوة، قصة لعلي رويتها لكم: رجل صالح زار مسجدنا من عشرين سنة تقريباً، وهو له صوت رخم كان يؤذن، عنده معمل ضخمة، وله حياة كريمة في مستوى رفيع جداً، له بيت بخورشيد، وله معمل وله سيارتان ثلاثة، عنده كل سنة سفرة لأوروبا؛ يعني شخص من أهل اليسار، وأذواقه عالية جداً، فتوفي، أنا حضرت الجنازة، صديق كان، أنا أثني عليه، لا أنتقده، ولكن أحد مشايخ الشام الكبار، أراد أن يؤبته، ماذا قال؟ قال: أخوكم أبو فلان كان مؤذناً ترحموا عليه! يعني ما استطاع أن يتكلم كلمة أخرى، ماذا سيحكي عن بيته، عن سيارته، عن رحلاته، عن أناقته، عن ألوان الطعام التي كان يأكلها، عن أنواع الثياب التي كان يرتديها؟ هذه ساعة نزول القبر، ماذا يمكن أن يقول الناس عنك؟.

نقطة مهمة :

امتحنت طلاباً امتحاناً لطيفاً، قلت لهم: من يذكر اسم تاجر، عاش في الشام عام ألف وثمانمئة وثلاثة وستين، وله علامة تامة؟ هؤلاء الطلاب فكروا، فكروا، قالوا: والله ما نذكر أبداً، قلت: وأنا معكم لا أذكر.

من منا ينسى سيدنا عمر، سيدنا عثمان، سيدنا صلاح الدين، سيدنا عمر بن عبد العزيز، الإمام الشافعي، الإمام أحمد، الإمام مالك، الإمام أبو حنيفة، هؤلاء القادة العظام؛ من منا ينساهم؟ لهم أعمال جليلة؛ الذي تأكله، الذي تشربه، الذي تلبسه، البيت الذي تسكنه، المصيف الذي تتمتع به، هذا عند الموت لا يذكر إطلاقاً، إطلاقاً:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءًا مَّنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية: 23]

أما فلان عمر مسجداً، أي والله شيء جميل، فلان أسس دار أيتام، فلان ساهم بجمعية خيرية، فلان ترك مؤلفاً ضخماً، فلان أمر بالمعروف، نهى عن المنكر، له أعمال جليلة، فأنا حينما أقول لكل إنسان عمل، أقصد الذي يقبل عند الله: العمل الصالح الذي يصلح للعرض على الله.

إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ انتهى العمل، أما في أعمال جلييلة، كل الذكاء وكل النجاح في الذي يفعلها، هذا العمل عند الموت يستمر .

لا أنسى مرة، دعينا إلى افتتاح مسجد، في الصبورة، في يعفور، أنا ما وجدت إنساناً وجهه متألماً، وواثقاً من نفسه، وسعيداً بشكل غير معقول، كالذي أسس هذا المسجد، أنشأه بكامل نفقاته، وتأسيسه، وفرشه على حسابه، ودعا علماء الشام إلى افتتاحه، أنا حضرت هذا الحفل، وألقيت كلمات، وألقيت أنا كلمة في عداد الذين ألقوا كلمات الافتتاح، خرجنا من المسجد باتجاه الشام؛ فإذا أمامنا ملهى على الضفة الثانية، سمعت أن صاحبه مات بعد افتتاحه بأسبوع، وكان غارقاً في المنكرات والمعاصي إلى قمة رأسه، وكان في هذا الملهى كل أنواع المعاصي والفجور، مات، فهذا الملهى صدقة جارية له؛ أليس كذلك؟ إلى جهنم.

هل تركت لك صدقة الجارية تستمر لما بعد الموت؟ :

((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية

-هل ساهمت ببناء مسجد؟ هل ساهمت بتأسيس جمعية خيرية؟ بدار أيتام؟ بثانوية شرعية؟ هل تبنيت طلاب العلم؟ هل تعنتي بطالب علم؟ ضيف أتى إلينا ليتعلم أمر دينه وسيعود إلى بلاده داعية، هل أعتته؟ هل أسكنته في بيت؟ هل أمنت له حاجاته؟ هل ربيت أولادك؟ هل دعوت إلى الله؟ هل أمرت بالمعروف؟ هل نهيت عن المنكر؟.

سؤال محرج: ما العمل الذي أضعه بين يدي يوم القيامة؟ إذا الله قال لك: ماذا فعلت؟ ماذا فعلت من أجلي يا عبدي؟ منحتك الكون كله، سخرت لك ما في السموات وما في الأرض جميعاً، أنه عاش لذاته، عاش لمصالحه، عاش لبيته، عاش لأولاده، عاش لدخل كبير، لا يعنيه أحد-.

صدقة جارية، أو علم يُتَّفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له))

هذه الثلاثة هي التي تبقى بعد الموت، وما سواها ينتهي عند الموت.

دقق :

و:

((وليس لك مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ))

هذه مستهلكات معنى ذلك، لك بعض المستهلكات، ما سوى ذلك: هو مالك؛ لكن يعد كسباً لا رزقاً، في كسب وفي رزق، الكسب محاسبٌ عنه دون أن تنتفع به، دقيق كلامي، انتبه! الكسب: المال الذي يفيض عن استهلاكك، أنت تصرف في الشهر عشرة آلاف إلى عشرين ألفاً، هذا رزقك، الذي أكلته، الذي لبسته، السرير الذي نمت عليه، البيت الذي تسكنه، الطعام الذي تأكله، الزوجة التي تحيا معها، هذا هو رزقك، ما انتفعت به فقط، الآن رزقك ثلثاه ليس لك؛ أكلت فأفنيته، لبست فأبليت. بعض رزقك يكتب لك يوم القيامة، أما ما سوى ذلك: ليس رزقاً لكنه كسب، هذا الكسب محاسب عليه دون أن تنتفع به، لا يوجد انتفاع، لكن في حساب.

إليك هذا الحديث:

((إذا مات ابن آدم))

شعراً لك في حياتك :

أيها الأخوة الأكارم، هذا الحديث ينبغي أن يكون شعراً لنا، في إنسان ليس عنده أولاد؟ ألا تستطيع أن تنشأ هذا الابن تنشئة إسلامية؟ طبعاً: إذا أتيت له بكل الملهيات والصحون، لن ينشأ تنشئة إسلامية، سينشأ تنشئة إباحية، علمانية، إحادية؛ وأنت لا تشعر، حينما تسلم ابنك لمن يخطط لإفساد المجتمعات الإسلامية، هم في الغرب يخططون لإفساد المجتمعات في الشرق، حينما تسلم ابنك لهذه الأجهزة، وهذه الصحون، أنت لا تربيه تربية إسلامية، لا تجعله ولداً صالحاً ينفع الناس من بعدك.

سألوا شاباً، فقالوا له: إلى أين أنت ذاهب، أبوك منذ ثلاثة أيام قد مات؟ قال لهم: ذاهب لأسكر على روح أبي! هكذا.

فالإنسان أهم شيء الولد الصالح، هذا الولد يحتاج إلى جهد، جهد، جهد كبير، يجب أن تعتني بأخلاقه، بدينه، بصلاته، باستقامته، بعمله، بزواجه، فالأب الذي يقدم أولاداً صالحين للمجتمع؛ هؤلاء صدقة جارية، الأجر يستمر من بعد وفاته.

تطبيق عملي لحديث:

((إذا مات ابن آدم))

أيها الأخوة، مؤلف هذا الكتاب، هذا الكتاب: أحاديث مختارة، مؤلفه رجل من مصر، اسمه: أحمد الهاشمي، أعتقد أن الكتاب مطبوع في سنة ألف وتسعمئة وسبع وخمسين، والمؤلف متوفى قبل عشر سنوات تقريباً، أين هو الآن؟ جسمه فان، لكن ترى هذا الخير بهذا الدرس، له منه أجر، هذا الدرس عملي أمامكم، مؤلف هذا الكتاب: أحاديث مختارة، أخذها من الكتب الصحيحة، وانتقاها أروع انتقاء، هذا الكتاب؛ كل درس ينعقد في هذا المسجد، كل خير يستفاد من هذا الدرس، في صحيفة مؤلف هذا الكتاب، ها هو ترك صدقة جارية من بعده.

قصة عالم قد رحل إلى الله :

مرة توفي أحد علماء الشام -خطيب الأموي- فكننا في التعزية، في الأموي نفسه، يعني ألقيت كلمات رائعة جداً، توبن هذا الفقيد، الخطيب الجريء الشجاع، المستقيم النزيه، ثم فوجئ الحضور: بأن ابنه سيلقي كلمة، ألقى كلمة من العلم والأدب والفهم، أنا دمعت عينا، قلت: إذا لم يميت الوالد؛ ما دام هذا ابنه، إذا لما يميت، فكان في الجلسة وزير الأوقاف، فبشر الحاضرين أن ابنه سيغدو خطيباً من بعده، في هذا المسجد، معنى ذلك: ما مات الأب، غابت عينه فقط.

إذا استطاع الشخص أن يربي ولداً ليكون داعية، أو عالم، أو ولد صالح؛ فمعنى ذلك: أن الأب ما مات، كل أعمال الابن في صحيفة الأب إلى يوم القيامة، وإذا هذا الولد أنجب ولداً صالحاً، فصار ابنه وابن ابنه، وإذا ابن الابن أنجب ولداً صالحاً؛ فصار ابنه وابن ابنه وابن ابنه، وإذا كان من هذا الولد خرج بحدود ثمانمئة ولد صالح، كل أعمالهم في صحيفة الأب الذي ربي ابنه، هذا درس اليوم يا أخوان:

((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

عندك أولاد؛ ممكن تتفق من مالك فتعمل عملاً صالحاً، ممكن أن تعمل صدقة جارية، أي مشروع حيوي ينفع المسلمين، هذا صدقة جارية.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-46} : الإستخارة والإستشارة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-07-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعاً، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتناباً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

لمن تكون الاستخارة، ولمن تكون الاستشارة؟ :

أيها الأخوة الكرام، ورد في الحديث الشريف أنه:

((ما ندم من استخار، ولا خاب من استشار))

أو بالعكس:

((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والطبراني في المعجم الصغير]

الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين - حصراً-، والاستخارة لله عز وجل.

هل تصح الاستخارة والاستشارة فيما حرمه الله، متى تصح؟ :

أيها الأخوة، في حياتنا؛ حرام، وحلال، ومباح، لا استخارة ولا استشارة في الحرام، أما الاستشارة والاستخارة فيما هو مباح، الزواج مباح؛ يا ترى أتزوج هذه الفتاة أم هذه؟ أأحترف هذه الحرفة أم هذه الحرفة؟ أسافر أم أقيم؟ أتزوج هذا العام أم أرجئه إلى خمسة أعوام قادمة؟ في الأشياء التي أباحها الله عز وجل، لك أن تستشير ولك أن

تستخير، أما أن تستشير:

من استشار الرجال استعار عقولهم.

يمكن أن تستعير عقلاً ناضجاً، عقلاً فيه خبرات مئة عام، أو في خبرات خمسين عاماً؛ أن تأخذ كل عقله، وكل خبرته، وكل حكمته بسؤال، لذلك العباقرة دائماً يستشيرون.

بماذا أمر الله النبي في هذه الآية، وبماذا وصف الله المؤمنين؟ :

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق، الذي يوحى إليه، المعصوم؛ أمر أن يستشير أصحابه، قال تعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

لست أنت؛ سيد الخلق، الذي أوتي أكبر عقل في الخلق، الذي أوتي الحكمة، الذي جاءه الوحي، الذي عصمه الله هو نفسه أمره الله أن يستشير:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

وصف المؤمنين بأن:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾

[سورة الشورى الآية:38]

آيات كريمة، مجتمع الإيمان: مجتمع التشاور، مجتمع الإيمان: مجتمع الشورى، مجتمع الإيمان: مجتمع الاستشارة، إن أردت أن تستعير عقلاً كبيراً، أو خبرة عظيمة، أو حكمة بالغة؛ فاستشر، اسأل -يا أخي- حتى في التجارة، حتى في العلاقات التجارية، حتى في شأن الزواج، أنا ما وجدت مصيبة اجتماعية إلا بسبب نقص

المعلومات، ونحن الآن في ثورة المعلومات، أكبر قرار أحقق سببه نقص المعلومات، معلومات غير صحيحة؛ إنسان خطب ... إنه ظاهر أنه آدمي، لن أسأل عنه، توكلت على الله، لقد تبين أنه شارب خمر، أو خبيث، أو منحرف، أو نصاب -مثلاً- نقص معلومات، لذلك:

((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والطبراني في المعجم الصغير]

الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين.

استشر في شؤونك أولي الخبرة من المؤمنين :

في مرة أخ -ولا أنسى هذه الحادثة-، طلب مني أن أعطيه رأبي في مصلحة معينة -في الحلويات-، قلت: - والله- أنا لا أعلم، أسأل أهل السوق، فذهب إلى سوق تكثر فيه هذه البضاعة، وسأل تاجراً تاجراً -بالسلسل-، ما منهم واحداً إلا نم له فيها؛ ليس فيها ربح، فيها مشكلات، فيها كساد، فيها تسعير غير معقول، قد تقسد البضاعة سريعاً، بيعها صعب، فقطع ظهره، وانصرف عن هذه الحرفة، أجابني قال: هكذا سألت، وهكذا أجابوني، قلت: هذا الكلام ما أريد به وجه الله، أعرف رجلاً مؤمناً في هذا السوق، قلت له: اذهب إلى فلان، واسأله عن هذه الحرفة، قال له: حرفة جيدة جداً، وأرباحها جيدة، وصنعها سهل، وكساده قليل، ومشكلاتها بسيطة، وأنا أعينك على إنشاء معمل، اختلف الأمر مئة وثمانين درجة؛ بين مؤمن ناصح، و بين غير مؤمن حسود، أو ضيق الأفق، أو مشرك، يتوهم أنه إذا دخل إنسان على هذه الحرفة؛ قل رزقه: لا ندم من استشار، الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين، لو استشرت غير مؤمن، لا ينصحك أبداً.

كيفية صلاة الاستخارة مع التفصيل في بيان شرحها :

أيها الأخوة، أما الاستخارة هي موضوع درسنا اليوم؛ الاستخارة لله عز وجل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا همَّ أحدكم بالأمرِ فليركعْ ركعتين من غيرِ الفريضة -ركعتا الاستخارة، أنت ماذا تعمل؟ أنت الآن تستخير خالق الكون، تستخير العلم المطلق، تستخير الخبرة المطلقة، تستخير الحكمة المطلقة، تستخير من يعلم الغيب، تستخير من يعلم المستقبل، تستخير من يعلم خبايا النفوس، تستخير من لا تخفى عليه خافية، أنت الآن تستخيره، قال:- إذا همَّ أحدكم بالأمرِ فليركعْ ركعتين من غيرِ الفريضة ثم ليقل: -هل يمنع أن تستخير الله كل يوم مرة؟ هل يمنع أن تستخير الله في اليوم مرتين؟ يعني هل تظن أن الله لا يحب أن تستخيره؟ هل تظن أن الله يظن عليك بالحكمة وفصل الخطاب؟! مستحيل-.

1- ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرتك بقدرتك)؟ :

اللهم إني أستخيرك بعلمك -يعني يا رب أنا سأستفيد من علمك، يعني أنت أحياناً تعرض عليك خاتم ألماس معروض بخمسين ألفاً، يا ترى ألماس، يا ترى ألماس صناعي جديد، ثمنه خمسة آلاف، ثلاثة آلاف، ألف، إذا ألماس حقيقي فثمنه خمسون ألفاً، ومئة ألف، ألا تحتاج إلى إنسان خبير تستعير علمه بالألماس؟ من أجل خاتم تذهب إليه، وتعرض عليه الخاتم، وتسأله عن نوع هذا الألماس، هل هو حقيقي؟ هل هو مزيف؟ هل هو صناعي؟ وإذا كان صناعياً فالحقيقي ما نوعه؟ أنواع كثيرة من الألماس، فأنت حينما تستخير الله عز وجل -اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرتك بقدرتك، -الله عز وجل يعلم أن هذا خير، ولكن هذا الخير ممتع عنك، فمن يقدر أن يقنع فلان أن يوافق؟ الله عز وجل، يعني الله يعلم ويقدر، دقق: يعلم ويقدر:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق الآية:12]

اسأل ربك كما أمرك :

أيها الأخوة، أنت في حياتك، قد تجد إنساناً يقدر ولا يعلم، قوي لكنه جاهل، وقد تجد إنساناً يعلم ولا يقدر، ولا الذي يقدر ولا يعلم يعجبك، ولا الذي يعلم ولا يقدر يعجبك، يقول لك: فهيم لكن ليس بيده شيء، والذي بيده شيء لا يوجد فهم أبداً، لكن ربنا عز وجل تستخيره بعلمه المطلق، وتستقدره، تستعين بقدرته.

يعني: أحياناً الإنسان يكون ضعيف جداً، إذا ذهبت إلى إنسان كبير، ومعك شخص قريب منه، فأنت استعرت

جاهه، استعرت قدرته، استعرت مكانته، استعرت وجاهته، ذهبت لشفاعته، فأنت في هذا الدعاء؛ تستخير بعلمه، وتستقدر بقدرته، فأنت الآن استقدت من علم الله، ومن قدرته بهذا الدعاء.

يعني: إذا شخص دخل إلى محامي؛ في محامي تقول له: القضية كذا كذا كذا... لا يفتح شفتيه؛ خمسة آلاف، ما تكلم ولا كلمة، يرفع رأسه بخمسة آلاف، الآن خالق الكون؛ هو العليم، هو الحكيم، هو القدير، هذا الخالق العظيم، قال لك: أنا أعيرك علمي وقدرتي، اسألني-

2-ربك يعلم الغيب :

أستخبرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

-فتاة ممتازة جميلة، من أسرة راقية، لكن معها صرع، أنت هذه لا تعلمها؛ في مطبات في الزواج كبيرة جداً، في مطبات في الشراكة.

إنسان شارك إنساناً، عنده محل، قلبه إلى مصلحة أخرى، شارك إنساناً، قال: آدمي، خلال شهر؛ اثنان ونصف مليون، ذهبوا من الصندوق، وما تمكن أن يأخذ قرشاً منهم، تبين أنه أقوى منه، ومنحرف الأخلاق، من يعلم حقيقة هذا الإنسان؟ يعني هو والله الحجة البالغة، لو استخار الله عز وجل، لما وقع في هذا المطب.

أنا أضرب لكم مثلاً مضحكاً: إذا الإنسان يرتدي في أيام الشتاء القارص؛ قميصاً محكماً، وكنزة محكمة، وكم جاكيت، وكم مانطو، وحامل في يديه أغراض، وقال له طفل عمره ثلاث سنوات: عم كم الساعة؟ يعني إذا كان إنساناً عادياً؛ فيستحي أن يقول له: لا أعرف، يضع الأغراض على الأرض، ويأتي بإصبعه، فيزيل أول كم، وثاني كم، والكنزة، والقميص، ويقول له: سبعة وخمسة؛ لأنه طفل سألك، يعني أنت تستحي ألا تجيب طفلاً، أليس كذلك؟ تخجل ألا تجيب طفلاً صغيراً، طيب: أنت تسأل خالق الكون: يا رب، أنا لا أعلم، أنا لا أقدر، تعلم ولا أعلم، تقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، هذا الأمر لا أعلم عنه شيئاً....-

3- ما المراد في حديث الاستخارة: (اللهم إن كنت في ديني)؟ :

اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألكَ من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، -خير لي في ديني: أكثر الناس يريد الدنيا؛ دخل كبير فقط، فيه شبهة كبيرة، مطعم فيه خمر، استثمار بار في فندق خمس نجوم، في خمور، في رقص، في ملاء، في كسب حرام، في أعراض تنتهك، في خمور تشرب، في أشياء مخيفة، بالمئة ثمان وعشرون يعطوننا؛ يعطوك بالمئة مئة؛ يجب أن تبحث عن الدخل الحلال، الحلال القليل فيه بركة، والحرام الكثير محقق البركة- إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني:

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

4- ماذا تعني: عاقبة أمري في حديث الاستخارة؟ :

إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي -دنياي- وعاقبة أمري أمري، فأقدره لي. -وعاقبة أمري؛ يعني تمكنت أن تأخذ فيزا إلى أمريكا؛ أمر نادر جداً، عقله طار، ذهب إلى أمريكا؛ بلاد غنية كثيراً، رفاة منقطع النظر، أمور ميسرة جداً، أخذ زوجته وبناته، كبرت ابنته، دخل عليها فجأة، فوجد معها صاحب بالسيرير، أعوذ بالله، هذا بوي فرند عنفها، بعد ساعة جاءت الشرطة، هي دعت، أنت إنسان غير حضاري، صديقها وجاء تلبية لدعوة، وقّعوه تعهداً، إذا أعدتها سنعمل لك مشكلة، ما هذه العاقبة؟ أجميلة هذه العاقبة؟ طبعاً هناك المركبات رخيصة، وكل شيء رخيص، لكن العرض أرخص شيء، أرخص شيء عرض الإنسان، فلذلك نريد عاقبة الأمر، سنموت؛ إنسان يتزفه عشر سنوات، عشرين سنة، طعام، وسيارات، ومركبات، ومساح، وحينما يأتيه ملك الموت؛ وهو على معصية.

العبرة في العاقبة :

حدثني أخ -يعني الله عز وجل أكرمه إكرام كبيراً- أنه اتخذ قراراً حازماً بالعودة إلى الشام، يعمل في انكلترا، طبعاً ضمن أولاده؛ أولاده من رواد المساجد الآن، وزوجته لها دعوة إلى الله، ويعيش في بحبوحة، وفي سعادة كبيرة، قال له زميل بقي هناك، آثر أن يبقى هناك، من شدة الفسق والفجور في بريطانيا، نشأ خلاف عميق بينه وبين

زوجته، متعلق بتربية بناته، الأم متعاطفة مع البنات، تريد أن تتحرك البنات وفق ما يردن من تغلت، من ثياب فاضحة، من مسابح، من أصدقاء، والأب غيور، مسلم، لم يتحمل، فهذا الخلاف المزمّن: انتهى به إلى ترك البيت، ترك لهم البيت، واستقل ببيت آخر وحيد، شرب الخمر، أصابه مرض فصام شخصية، بناته محروم منهم، زوجته بعيدة عنه، أولاده بعيدون عنه، أدمن الخمر، قال لي: والله -الأخ حي يرزق-، قال لي: مرة أردت أن أزوره لأنفق حاله، وجدت قارورة حليب على باب البيت مساء موضوعة صباحاً هي، في اليوم الثاني وجدت قارورتين، في اليوم الثالث: ثلاث قوارير، إذاً هو ميت، أخبر الشرطة، واقتحموا الغرفة، فإذا هو ميت، أنظرت إلى هذه النهاية؟ لكن يا أخي إنه مقيم في لندن؛ بلاد جميلة وباردة، فيها محلات فخمة جداً، فيها أجهزة إعلام رائعة جداً؛ مثلاً محطة فيها، كل شيء بين يديه مصيره: العبرة بالعاقبة-.

أهذا مصير المسلم!؟:

اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -إنسان آخر اضطر أن يسافر إلى هذه البلاد؛ فوجد أن أفضل شيء أن يفتح كازية -هو يعمل بالتربية والتعليم بمرتبة عالية جداً، يعد اختصاصه أول-، فتح كازية؛ الدوام كامل، هو اثنتا عشرة ساعة، وزوجته اثنتا عشرة ساعة، بالليالي تباع بنزين للناس؛ أهذا مصير المسلم!؟.

أخواننا الكرام، نريد المصير، نريد العاقبة، إنسان محترم؛ له زوجة، له أولاد، إذا نشؤوا تنشئة صالحة، تنشئة إسلامية، عنده أولاد أبرار، هذه نعمة كبرى لا تقدر بثمن-.

5-تتمة شرح حديث الاستخارة :

((اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فأقدره لي -أنت قدير لأنك يا رب- فأقدره لي ويسره لي، -أيضاً قدير- ثم بارك لي فيه، إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري؛ فاصرفه عني، واصرفني عنه -لئلا أتعلق به-، وأقدر لي الخير حيث كان، ثم رضىني به، قال: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

يعني: أريد أن أتزوج فلانة يا رب, فإن كنت تعلم أن في هذا الزواج خيراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري؛
فأقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أن في هذا الأمر شراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري؛ فأصرفه عني،
وإصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث تشاء.

إذا كان قد طبقنا هذه الاستخارة: كلما عرض لك شيان، وقعت في حيرة بينهما، كلما عرض لك مشروعان؛ سفر
أو إقامة، زواج أو عدم زواج، أن تشارك فلان أو ألا تشاركه، أنت لا تعلم، لك أن تستعين بالله عز وجل، ولك
أن تستقدر بقدرته، ولك أن تستعين بعلمه الغيب.

هذا دعاء الاستخارة، ويسبقها الاستشارة، الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين، والاستخارة لله عز وجل، تستعين
بعلمه، وبقدرته، وحكمته، وربنا عز وجل مستحيل أن تستعين به، وألا يعطيك سؤلك الذي أردت.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم
أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-47} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 02-08-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هكذا يحبنا الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا وقع في الرجل وأنت في ملاء؛ فكن للرجل ناصراً، وللقوم زاجراً، وقم عنهم))

يعني: الله ﷻ: يحبنا أن نكون متعاونين، متناصرين، متكاتفين، متضامنين، متوادين، متواصلين، متزاورين، متبادلين، هكذا يحبنا الله عز وجل.

التمس لأخيك عذراً :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((التمس لأخيك عذراً، ولو سبعين مرة))

فكر في عذر لهم، قبل أن تفكر: أن تنهش عرضه، قبل أن تغتابه، لعل له عذراً، وأنت تلوم.

واقعة :

حدثني أخ، عنده معمل حلويات، وطلب من معمل قطع من الزبدة، طلب مئة قطعة، فلما وصلت، واستلمها موظف عنده، عدها، فإذا هي تسعة وتسعون، ذهب إلى معطف هذا الموظف، ووضع يده على جيبه، يوجد باكيت، واضح، هل هناك أوضح من هذا؟.

قال لي: هممت أن أطرده، أن أسبه، أن أشتمه، قال: لا أدري ما الذي منعني من ذلك؟ في اليوم التالي: ذهبت للمعمل، لأدفع له ثمن هذه القطع.

قال لي: أرسلنا لك مئة، واشترى موظف عندك قطعة، وبقي عليك ثمن التسعة والتسعين. لا تتسرع.

((التمس لأخيك عذراً، ولو سبعين مرة))

هكذا علمنا النبي.

هذا ما حصل في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام :

كان -عليه الصلاة و السلام- في سفر، تفقد أحد أصحابه، واحد غمز من مكانته، شغله بيته عن الجهاد معك يا رسول الله، شغله بستانه، وظله.

فقال أحد الصحابة الكرام: لا والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً، والله لقد تخلف عنك أناس، ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو علموا أنك تلقى عدواً، ما تخلفوا عنك، تبسم النبي.

اسمع يا مسلم :

أيها الأخوة، لو كل إنسان مع بناته، مع أولاده، مع أصهاره، مع شركائه، مع جيرانه، مع زملائه، مع من حوله، مع من فوقه، مع من دونه، رأى خطأ، فالتمس لصاحبه العذر، حياة جميلة، حياة وديعة؛ رُفعت منها الكلفة، رُفع منها القنص، رفع منها النقد، رفعت منها الضغينة، رفعت منها الأحقاد، رفعت منها التقاطع، والتدابير، والتشاتم، رفعت منها المتاعب كلها.

((إذا وُقِع في الرجل، وأنت في ملاء؛ فكن للرجل ناصراً -يعني التمس له عذراً، تأخر؛ لعله بُلي بحادث مروع، لعل ابنه وقع من مكان مرتفع، لعله في المستشفى، لعل عنده إنسان خطير جداً، أرهقه، التمس له عذراً-، وللقوم زاجراً، وقم عنهم))

إذا استمروا، قم عنهم.

خطأ ارتكبه الكثير من المسلمين :

أخواننا الكرام, في ذهن المسلمين: أن الكبائر يعني شرب الخمر, والزنا, والقتل, لا, الغيبة من الكبائر.
قال واحد للآخر: اغتبتني؟ قال له: ومن أنت حتى أعتابك؟ لو كنت مغتاباً أحداً, لاغتبت أبي وأمي, لأنهم أولى بحسناتي.

من أنت حتى أعتابك؟ أنت أقل من أن أعطيك حسناتي يوم القيامة.

فاجعة :

ثبت في الحديث الصحيح:

((أن الذي يغتاب الناس, يأخذ الناس حسناته, ويعطونه سيئاتهم))

وهذه أكبر مصيبة يوم القيامة, معك كم عمل صالح, يذهبون منك, يأتيك كم عمل سيء, فوق أعمالك السيئة:
عمل سيء

يمكن في إنسان من يومين, دعا على إنسان أمامي, نظرت في هذا الدعاء, والله ما وجدت دعاء, أبلغ من هذا الدعاء, ولا وجدت دعاء, في خسارة فادحة كهذا الدعاء, ماذا قال؟.

قال: أرجو الله عز وجل -له خصم فعل به ما فعل-, قال: والله لو أن الله أتلف ماله في الدنيا, لا يشتقي غليلي, لو أن الله أذهب أعز أولاده, لا يشتقي غليلي, لا يشتقي غليلي؛ إلا إذا اقتصصت منه يوم القيامة, فأعطيته سيئاتي, وأخذت حسناته.

فعلاً: هذا أبلغ دعاء.

ماذا عن الغيبة؟ :

قال له: ومن أنت حتى أغتابك؟ لو كنت مغتاباً أحداً, لاغتبت أبي وأمي, لأنهم أولى بحسناتي.

فالغيبة من الكبائر, أحياناً: نفعل هذا, هذه غيبة.

قذف محصنة, يهدم عمل مئة سنة.

هناك غيبة القلب, هناك غيبة الأعضاء, هناك غيبة الحواس.

((الغيبة أشد من الزنا))

كما قال عليه الصلاة والسلام.

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

قارن :

أيها الأخوة, لماذا المجتمع مفكك؟ لماذا كل إنسان ضد الآخر؟ كل أسرة ضد الأخرى؟ في البيت الواحد؛ كل أخ ضد الثاني, الأخت ضد أختها, لماذا؟ هذا من تخلف المسلمين.

كان أصحاب النبي -رضوان الله عليهم-: كتلة واحدة, يداً واحدة.

قال له: فض يا رسول الله لما شئت, سر على بركة الله؛ لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك, واقطع حبال من شئت, وسالم من شئت, وعادي من شئت, وخذ من أموالنا ما شئت, ودع ما شئت, فو الذي بعثك بالحق, للذي تأخذه منا, أحب إلينا من الذي تدعه لنا, سر على بركات الله, لعل الله يريك منا, ما تقر به عينك.

هكذا كان أصحاب النبي على قلب واحد, ونحن لا ينقصنا معلومات.

أحياناً: في بلاد مؤرس عليها التجهيل سبعون عاماً, يحتاجون إلى معلومات, في بلاد بعيدة عن الحق سبعين عاماً؛ المصحف ممنوع, المسجد مغلق, كل شيء يدعو إلى الإلحاد, في مثل هذه البلاد: هم في أمس الحاجة إلى علماء, إلى علم, إلى كتب, أما في بلاد كهذه البلاد, فيها كل شيء, هي في أمس الحاجة إلى دعاة, لا إلى

علماء؛ الداعي يُنْعَمُ الناس بأحقية الدين، الداعي يدعو الناس إلى التمسك بالدين، يحملهم على طاعة الله عز وجل.

دعاء ليس هنا موضعه :

أيها الأخوة، لم نعش حقيقة الإسلام، لا نقطف ثمار هذا الدين، أبسط شيء: أن تلتمس لأخيك عذراً؛ لم يترك لعله مريض، لم يسلم عليك لعله لم ينتبه لك، بهذه البساطة: إنسان كثيراً، يرتاح، ويريح، لما يلتمس لأخوانه العذر؛ لم يهنئك، عنده مشكلة، نسي أن يهنئك، لم يترك، لم يعدك بالمرض، لم يفعل، لم يترك، هذا شغل الناس الشاغل الآن.

تجد في السهرة أبدأً، عملية تشريح، يضعون الإنسان على مشرحة، كل واحد ينهش من لحمه شيء، بعد ذلك: يقومون، قبل أن يقوموا: يقرؤون دعاء الغيبة:

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله. انتهى.

من قال لك: أن كل الغيبة حذفت بكلمتين؟.

هذا الدعاء الذي سنه لنا، إذا الإنسان جلس في مجلس، من دون أن يشعر، بخطأ طفيف، بكلمة قالها، دون أن ينتبه، فهذا الدعاء يكفرها؛ أما أن تجلس، وتتكلم، وأنت مرتاح، وتقول: هناك دعاء أقوله قبل أن نقم، فيعفو الله عنا، هذا كلام باطل، ما أنزل الله به من سلطان.

ضع نفسك مكان الطرف الآخر :

أنا معجب بأخوة كرام، عنده قدرة أن يمتص الخطأ، قدرة يفسر التصرف المنحرف تفسيراً طيباً، هذه قدرة في الإنسان عالية جداً، وهذه ملكة، وهذا إنسان سعيد، يفهم الأمور بشكل إيجابي.

قال لي شخص: يا أخي الطرقات كلها هز، قلت له: الطريق المستوي، المستقيم، تنام فيه، تنام وتعمل حادث، هنا تبقى يقظاً، يعني: تبقى يقظاً.

((التمس لأخيك عذراً، ولو سبعين مرة))

دائماً ضع نفسك مكان الطرف الآخر، دائماً ضع نفسك مكان الطرف الآخر؛ تشعر بشعوره، تحس بإحساسه، تدرك كم يعاني.

ابدأ من بيتك :

((وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ))

أنت صغر الحديث على حالتك في البيت.

يعني: إذا كان اقتربت الشمس أن تطلع، هل تقول لك زوجتك: قم فصل؟ إذا كان في زوجة تدعوك إلى الصلاة، والله نعمة، إذا أخطأت ولك ابن شاب ناضج، هل ينبهك: يا أبت لقد أخطأت في هذه البيعة؟ هذا لا يجوز. في آباء يركبون رؤوسهم، وتأخذهم العزة بالإثم، بينما الأب الذي له ولد صالح، وابنه نبيه، هذا من نعم الله العظمى؛ فإذا ابنك نبهك لقضية شرعية، إياك أن تتبرم، إياك أن تقول له: أنت لا تفهم، لا، قل له: جزاك الله خيراً يا بني.

تطبيق عملي للحديث الذي سبق ذكره :

سيدنا عمر بن عبد العزيز، بعد ما تسلم الخلافة، يعني جهد جهداً كبيراً، أراد أن يستريح ساعة، قال له ابنه: يا أبت، فم فأزل المظالم، وأد الحقوق لأصحابها، قال: يا بني! بعد ساعة، قال له: يا أبت، من يضمن لك أن تعيش بعد ساعة؟ فيكى، قال: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعظني، وينصحني.

يعني: إذا كان عندك بنت تدينك، التزمت، ما قبلت معك بالاختلاط، لا تعنفها، لا تقل لها: هذا تزمت، لا؛ قدرها، وشجعها، وتعلم منها، الإنسان العظيم: يتعلم ممن دونه.

أنا لا أقول كلاماً من الهوء , أقول من معاناة.

شابة اصطحت مع الله, طلبت الحجاب, طلبت عدم الاختلاط, لا؛ يجب أن تجلسي معنا, وأن تأكلي معنا, وأن تذهبي معنا, وأن تتزعي هذا الحجاب, هذا أب مسلم هذا؟ هذا يصلي في المسجد؟.

فإذا كان الله عز وجل: جعل من ذريتك فتاة سالحة, أو شاباً التزم المساجد, أو أراد أن يبتعد عن شبهة, لا تكن عوناً له على الشيطان, لا تكن عوناً للشيطان عليه, كن عوناً له على الشيطان.

((فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ))

أنا جلست كثيراً مع أخوة كرام في ولائم, أحد المدعوين: ينتهي طعاماً, يبعد, يجلس على الكتابة, هذا خلاف السنة.

الحديث الشريف, الذي رواه البيهقي:

((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ مَعَ جَمَاعَةٍ وَشَبِعَ، فَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ حَتَّى يَرْفَعَ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُ يُخْجَلُ جَلِيسَهُ))

أنت شبعت, ابق على المائدة, لا تقم عن المائدة, هذه مخالفة كبيرة جداً, أول ما شبع, قام, جلس في مكان ثان, قام الثاني, قام الثالث, شخص جائع, خجل لوحده, فترك الطعام, لا.

إذا كنت في وليمة, وكنت جالساً مع القوم, وشبعت, فلا ترفع يدك عن الطعام, ابق جالساً, لا تأكل, لست مكلفاً أن تأكل فوق طاقتك, لكن لا تغادر مكانك, حتى ينتهي الجميع من تناول الطعام, وهذه من سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: إذا حج الرجل بمال حرام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-48} : صفات المنافق

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-08-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ممن يخشى النبي على أمته؟ :

في بعض الأحاديث التي وردت عن رسول الله ﷺ - يذكر: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يخاف على أمته, لا من مؤمن ولا من مشرك, لماذا؟ لأن المؤمن يحجزه إيمانه, والمشرك يقمعه كفره. إذا الإنسان أعلن كفره, لا أحد يتبعه, لا أحد يعبأ به, لا أحد يصدقه, يسقط من نظر الناس, والمؤمن منضبط, ممن يخشى النبي على أمته؟ من المنافق, الذي يقول بما تعلمون, ويفعل ما تتكرون, من هنا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح, الذي رواه الشيخان؛ البخاري ومسلم, وهو متفق عليه, وهو من أعلى درجات الحديث:

((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً, ومن كانت فيه خصلة منهن, كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛
إذا حدث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا عاهد غدر, وإذا خاصم فجر))

من صفات المؤمن :

أخواننا الكرام, المؤمن لا يكذب, وحينما يكذب, لا يعد عند رسول الله ﷺ - مؤمن, قد تغلبه شهوة, ولكنه لا يكذب, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْخُلُقِ كُلِّهَا.

-تجد مؤمن مرح مقبول, مؤمن جدي, مؤمن منفتح, مؤمن منغلق, مؤمن انعزالي, مؤمن اجتماعي, مؤمن كثير الإنفاق, مؤمن مقتصد في إنفاقه, هذه طباع, مؤمن عصبي المزاج, مؤمن هادئ المزاج, مؤمن حاد الطبع,

مؤمن بارد الطبع, كل هذا على العين والرأس, مؤمنون؛ بأنواع متنوعة, بنماذج متعددة, مقبول, هذا شأن البشر, كل واحد نسيج وحده, هكذا قال عليه الصلاة والسلام:-

يُطِيعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخَلَالِ كُلِّهَا -دَقَقُوا- إِلَّا الْكُذْبَ وَالْخِيَانَةَ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

فإذا كذب أو خان فليس مؤمناً, هناك أخطاء كبيرة يرتكبها المؤمن, ولكنه لا يكذب, ولكنه لا يخون.

الآن: أصحاب المحلات التجارية, الذي عنده مشروع, عنده موظفون, صاحب المحل التجاري, أو مدير مشروع, يحتمل من موظفيه آلاف الأخطاء, لكنه لا يحتمل كذباً ولا خيانة, أبداً, شيء لا يحتمل هذا, إذا كذب ليس مؤمناً, صار منافقاً.

من صفات المنافق :

1- إذا حدث كذب :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً -منافق صرف- ومن كانت فيه خصلة منهن, كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعه: إذا حدث كذب.

-المؤمن لا يكذب.

الصدق منجاة, والكذب مهواة.

أخواننا الكرام, الكاذب محتقر عند نفسه.

الآن: لو أنك قلت لابنك, قل له: ليس في البيت والدي, والله سقطت من عين نفسك, وسقطت من عين ابنك, وسقطت من عين زوجتك, وهي بهذا القدر

إذا قلت لابنك, قل له: ليس في البيت والدي, لا تكذب.

هؤلاء الذين يحلفون أيماناً مغلظة, ليبيعوا سلعة, يحلفون وهم كاذبون اليمين الكاذبة, كما قال عليه الصلاة والسلام:

((منفقة للسلعة ممحقة للبركة))

تبيعها, خجل هذا الزبون, الزبون دين, الزبون حلفت له بالله, وبصحتك, وبأمانتك, أن رأس مالها أكثر, فاشترى.

((منفقة للسلعة))

يأتيك ضبط تمويني, تعطيه ثمانئة ليرة, أنت كاذب عليه ب دفعت أربعة أمثال, أبداً.

((اليمين الكاذبة: منفقة للسلعة ممحقة للبركة))

المؤمن لا يكذب.

هل تصدق؟ :

هل تصدقون: أن أحد التابعين سافر من المدينة إلى البصرة, ليأخذ حديثاً عن رجل محدث, يروي حديث رسول الله, رأى الرجل يجعل ثوبه هكذا أمام فرسه, يؤهم فرسه أن في ثوبه شعيراً, فلما اقترب منه, لم يجد شعيراً, فعاد إلى المدينة ولم يكلمه, لأنه كذب على فرسه, والذي يكذب على فرسه, ليس أهلاً أن يروي حديث رسول الله, المؤمن لا يكذب, دقق: حينما تكذب, اكتسبت خصلة من خصال المنافقين, أنت أكبر من أن تكذب, الذي يكذب لا يعرف الله, الذي يكذب مشرك, الذي يكذب منافق, أما المؤمن لا يكذب.

قال له: أتحنيني؟ -شخص لسيدنا عمر- قال له: والله لا أحبك, قال له: وهل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله, قال: إذاً: إنما يأسف على الحب النساء-.

إذا حدث كذب.

الحالات التي أجازها الشرع في الكذب :

-أيها الأخوة, لكن مسموح بكذبة واحدة, إن سألتك زوجتك: أتحبني؟ فقلت لها: أحبك, هذا جبر لخاطرها, ما كل زوجة كاملة, قد تجد فيها عيوباً كثيرة, لكن المرأة زوجها كل عالمها, فإن لم يحبها سقطت, فإن جبرت كسرهما, أعلمتها أنك تحبها, ولو لم تكن كذلك, فهذا رخص فيه النبي عليه الصلاة والسلام.

ولو أن زوجاً في عشرات العيوب, سأل امرأته: أتحبيني؟ فإن قالت له: نعم, أنت زوجي وسيدي, ومن لي في الدنيا إلا أنت, هذه كذبة أيضاً من الزوجة فيها جبر لزوجها, ليس بالأسعار الكذب, كل شيء أربعة أضعاف تصدقك, تتحدث لأخواتها, تصغر, يضحك عليك, الكذب ليس بالأشعار, بالمحبة فقط, إن سألتك: أتحبها؟ قل لها: أحبك جبراً لخاطرها, وتأليناً لقلبها, ودعماً لهذه العلاقة, وتيسيراً لتربية الأولاد, ولك أن تكذب بالحرب, فالحرب خدعة, لك أن تكذب في الإصلاح بين اثنين.

يعني: إذا قلت له: والله فلان لك مكانة عنده, هكذا أفهم منه, أكد لي أنه يحبك, أنك تحتل مكانة في قلبه, هذا ليس كذباً, إن كذبت في إصلاح بين إنسانين, أو كذبت في الحرب, أو كذبت على زوجتك في موضوع واحد, هو حسن العلاقة بينك وبينها, وما سوى ذلك كذب.

انتبه :

دخل النبي ﷺ - إلى بيت أحد أصحابه, فسمع امرأة تقول لابنها:

((تعال هاك, فانتبه النبي, قال: وماذا أردت أن تعطيه؟ قالت: تمر, قال عليه الصلاة والسلام: أما إنك لو لم

تفعلي, لكتبت عليك كذبة))

يعني: إذا كذبت المرأة على ابنها الصغير, هذا كذب.

لي قريب مقيم بأمريكا, جاء مع أولاده قبل سنتين, عنده ابن صغير جداً, يبدو أنه كثير الحركة, قالت له جدته: اجلس, وسأخذك مساءً إلى نزهة, فجلس, جاء المساء, لم تنفذ وعدها, هو عمره سنتان, قال لها: أنت كذابة, هذه جدته, ظن أنه مثل العادة, اجلس مساءً نأخذك مشوار, وهذا طفل, رأها تكذب عليه, لذلك دققوا مع أولادكم: قبل ما تنطق الكلمة, عد للمليون؛ هل فيها كذب؟.

أحياناً الأب: يقف أمام أولاده واعظاً, محاضراً, متكلماً, ينصحهم بالصدق, فيدق الباب: بابا قل له ليس هنا, لأسقطت كل هذه المحاضرات, علمته الكذب عملياً, فهذا الذي حدثته به نظرياً لا قيمة له.

ما سبب تخلف المسلمين, وبماذا جاء الأنبياء ؟ :

قرأت كلمة أعجبتني كثيراً: حال رجل, حال رجل, حال, في ألف رجل أبلغ لا يؤثر في واحد, ورجل واحد يتكلم صدقاً, يؤثر في ألف حال رجل, في ألف رجل خير من قول ألف رجل, في رجل.

وما تخلف المسلمون, إلا عندما كفروا بالكلمة.

الأنبياء بماذا جاؤوا؟ هل جاؤوا مع الصواريخ؟ مع الأقمار الصناعية؟ مع المركبات الفضائية؟ مع الغواصات؟ مع البوارج؟ مع الحوامات؟ مع الكمبيوتر؟ أبداً.

بماذا جاء الأنبياء؟ بالكلمة, بالكلمة الصادقة, وحينما تكون صادقاً, في بيع بالتعبير العامي: مجأجأ, كله إيمان, أخي سعر هذه البضاعة لا يكفي, سعر مدروس, أنت لك مصلحة, ابحث بالسوق, إن وجدت أرخص لا يوجد مانع, لكن لا تحلف؛ لا بالأمانة, ولا بحياتك, ولا بأعلى ما عندك, ولا بأولادك, أن رأس مالها أكثر, لا, لا, لا تحلف.

هكذا كان يفعل أبو حنيفة النعمان :

كان سيدنا أبو حنيفة، يدفع ديناراً ذهباً عن كل يمين يحلفه صادقاً، أبو حنيفة النعمان: كان يتصدق بدينار ذهبي عن كل يمين يحلفه صادقاً، لماذا؟ لأن الله عز وجل قال:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:89]

هذا اليمين احفظه، دعه للملمات-.

2- وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر :

إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف.

-وعد الحر دين.

المؤمن قبل أن يعد يفكر كثيراً، قبل أن يعد يحسب كثيراً، أما المنافق الوعد سهل عنده، يعد ولا ينفذ، لذلك يقول لك: كلام بكلام.

أنا أقول: إن أبشع صفة في الرجل، أن يقال عنه كلام فاضي، كلام فاضي، بمصر يسمونه كلمندي، لا يطلع منه شيء أبداً، كله كلام-.

وإذا عاهد غدر: -يعاهده كي يستضعفه، فإن استضعفه غدر به، ليس هذا من شأن المؤمن أبداً-.

((وإذا خاصم فجر))

إذا خاصم لا يبقي ولا يذر. يعني:

أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

يعني دع.

ما محور هذه القصة التاريخية؟ :

يزيد بن معاوية كان خليفة المسلمين, جاءه كتاب من مواطن اسمه: عبد الله بن الزبير, يقول له: أما بعد, فيا
..... عفواً: معاوية بن أبي سفيان, جاءه كتاب من عبد الله بن الزبير, يقول في الكتاب: أما بعد فيا معاوية, -
معقول خليفة المسلمين, أمير المؤمنين, ولي أمر المسلمين-, أما بعد فيا معاوية, إن رجالك قد دخلوا أرضي,
فانههم عن ذلك, وإلا كان لي ولك شأن والسلام.

إلى جانبه ابنه يزيد, قال له: خذ يا بني, ماذا نفعل؟ -الآن: صار يرجف-, أرى أن ترسل له جيشاً أوله عنده
وأخره عندك, يأتوك برأسه, هكذا قرارك؟.

فقال معاوية: يا بني, غير ذلك أفضل من ذلك, جاء بالكاتب, قال له: اكتب:

أما بعد, فقد وقفت على كتاب ولدي حواري رسول الله, قال له: فيا معاوية, قال له: وقفت على كتاب ولدي
حواري رسول الله, عبد الله بن الزبير, الزبير بن العوام حواري رسول الله.

أما بعد, فقد وقفت على كتاب ولدي حواري رسول الله, ولقد ساءني ما ساءكم, والدنيا كلها رهينة جنب رضاه, لقد
نزلت له عن الأرض ومن فيها.

يأتي الجواب -اسمعوا الجواب-: أما بعد فيا أمير المؤمنين, أطال الله بقاءك, ولا أعدمك الرأي, الذي أحلك من
قومك هذا المحل.

-أول كتاب: أما بعد, فيا معاوية, إن رجالك قد دخلوا أرضي, فانههم عن ذلك, وإلا كان لي ولك شأن والسلام.

ثاني كتاب: أما بعد فيا أمير المؤمنين! أطال الله بقاءك, ولا أعدمك الرأي, الذي أحلك من قومك هذا المحل-,

جاء بابنه يزيد -تعال إلى هنا, انظر-, ماذا رأيت أنت؟ أن يرسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك, يأتوك برأسه,
-اقرأ بماذا أجاب؟-:

قال: يا بني من عفا ساد, ومن ظلم عظم, ومن تجاوز استمال إليه القلوب.

ماذا تفهم من هذه الفكرة؟ :

سيدنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: لما قال له أعرابي:

((اعدل يا محمد -بغلظة وجفوة- تبسم النبي الكريم, قال: ويحك يا أعرابي, من يعدل إن لم أعدل؟))

أعرابي آخر قال:

((يا محمد, هذا المال ليس مالك ولا مال أبيك, قال: صدق, إنه مال الله))

ألا يستطيع النبي بطرفة عين: أن يضع رأسه على الأرض؟ نعم؛ ولكن:

يا بني! من عفا ساد, ومن حلم عظم, ومن تجاوز استمال إليه القلوب.

هذا ما صنعه النبي مع صهره :

أيها الأخوة:

((أربع من كن فيه, كان منافقاً خالصاً, ومن كانت فيه خصلة منهن, كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛

إذا حدث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا عاهد غدر, وإذا خاصم فجر))

يعني: إذا خاصمني بالاعتدال.

النبي رأى صهره بين الأسرى في معركة بدر, صهره طبعاً: خلص فيه ابنته, طلق ابنته, ودخل مع الكفار في

معركة بدر, رآه النبي: لم لم ينكل به؟ قال:

((والله ما ذمناه صهراً))

صهر ممتاز كان, هو مشرك, وجاء يقاتل النبي, قال:

((والله ما ذمناه صهراً))

((وإذا خاصم فجر))

أما المؤمن: إذا خاصم يعتدل, مهما كنت غضوباً, ينبغي ألا يحملك غضبك على أن تظلم الناس.

هذه أخلاق المؤمن :

قال عليه الصلاة والسلام:

((أمرني ربي بتسع؛ خشية الله في السر والعلانية, وكلمة العدل في الغضب والرضا, والقصد في الفقر والغنى,
وأن أصل من قطعني, وأن أعفو عن ظلمي, وأن أعطي من حرمني, أن يكون صمتي فكراً, ونطقي ذكراً,
ونظري عبرة))

أخواننا الكرام, هذه أخلاق المؤمن؛ المؤمن لا يكذب, والمؤمن لا يخلف وعده, والمؤمن لا يغدر بعهده, ولا يفجر
بخصومته, خصومته شريفة, خصومته الفرسان, خصومته الشرفاء, يخاصم؛ لكن باعتدال, بالوقائع, بالأدلة,
بالطرق القانونية, لا يتخذ أساليب ملتوية في خصوماته, لأن سمعة المؤمن غالية عليه, إنها رأس ماله في الحياة,
والمؤمن يعيش بمكانته.

و: المؤمن على ثغرة من ثغر الإسلام, فلا ينبغي أن يؤتى الإسلام من قبله.

والمؤمن سفير الإسلام, كل واحد منكم سفير من دون سيارة طبعاً, سفير, يمثل هذا الدين, كل من حولك؛ إن لك
اتجاه ديني, أو ارتياد إلى مجلس علم, أو مسحة دينية, أصغر الأخطاء تكبر, هكذا تفعل وأنت من طلاب العلم؟
هكذا تفعل وأنت تحضر مجالس العلم؟ هكذا.

قراءة سريعة لحديث اليوم :

أيها الأخوة، ننهى درسنا بقراءة الحديث مرة أخيرة:

((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛
إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر))

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-49} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (أربع)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-08-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذا ما رواه الحاكم عن رسول الله ﷺ :

روى الحاكم, عن رسول الله ﷺ - أنه قال:

((أربع من كنَّ فيه, حرمه الله تعالى على النار, وعصمه من الشيطان

-حديث دقيق جداً- من ملك نفسه.

-إما أن تملك نفسك, وإما أن تملكك نفسك, إما أن تكون قائداً لها, وإما أن تقودك, إما أن تأخذ بها إلى السعادة, وإما أن ترد بك إلى الشقاء.

الناس رجالان؛ مالك نفسه, ومملوكة نفسه-.

من ملك نفسه حين يرغب, وحين يرهب, وحين يشتهي, وحين يغضب))

استخرج موطن الشاهد من هذا المثال :

الحقيقة:

((من ملك نفسه حين يرغب))

أحد الكتاب, يصف أحد أصدقائه, يقول: لي صديق كان من أعظم الناس في عيني, وكان رأس ما عظمه في عيني, صغر الدنيا في عينيه, فكان خارجاً عن سلطان بطنه؛ فلا يشتهي ما لا يجد, ولا يكثر إذا وجد, وكان خارجاً عن سلطان الجهالة, فلا يتكلم بما لا يعلم, ولا يماري فيما علم, وكان أكثر دهره صامتاً, فإذا تكلم بدَّ

القائلين، وكان يُرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جد الجد فهو الليث عادياً، وكان لا يُدلي بحجة، إلا إذا رأى قاضياً فهماً، وشهوداً عدولاً.

جئت بهذا القول، لموطن الشاهد فيه: وهو لا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد.

يعني: هو مسيطر على نفسه، وليس تبعاً لنفسه.

ما معنى قول المصطفى: (من ملك نفسه)؟ :

من ملك نفسه: يعني: إن شئت أن أخص لكم الدين كله؛ أودع الله فيك الشهوات، وأعطاك منهجاً، كل شهوة من هذه الشهوات، يمكن أن تمارسها بشكل نظيف؛ فالذي يضبط نفسه، يضبط شهوته، يضبط حبه للمال بالكسب الحلال، يضبط حبه للمرأة بالزواج، يضبط حبه في العلو في الأرض بالعمل الصالح.

من ملك نفسه: السيطرة على نفسه ثمن الجنة، هي الجنة كلها.

يعني: في الدنيا في شهوات، وفي منهج، فالكافر يروي هذه الشهوات بأية طريقة؛ لا ينضبط، ولا يعبأ بأمر، ولا ينهي، المؤمن يروي شهوته وفق ما أمر الله عز وجل، هذا يدخل الجنة إلى أبد الأبد، وهذا يُلقى في النار إلى أبد الأبد.

ملك نفسه: يعني قال كلمة

هذه هي الحضارة الغربية :

يقولون: إن الحضارة الغربية، سيطرة على الطبيعة.

وفعلاً: غاصوا إلى أعماق البحار، مركباتهم وصلت إلى خليج مريانا، خليج مريانا في المحيط الهادي، أعمق نقطة في الأرض، ووصلوا إلى القمر، وأرسلوا مركبة إلى المريخ، سيطروا على الأجواء، نقلوا الصورة. الآن: عبر الأقمار، يمكن أن ترى أي برنامج في أي قارة في العالم؛ نقلوا الصوت، نقلوا الكتابة بالفاكس، تكتب رسالة، بثانية تكون في كندا، سيطروا على الطبيعة، ولكن نفوسهم سيطرت عليهم.

لذلك كلمة لبعض الزعماء البريطانيين, قال: ملكنا العالم, ولم نملك أنفسنا.
من هو المؤمن؟ هو الذي ملك نفسه, ثمن الجنة: أن تملك نفسك حينما ترغب.

قصة فيها عبرة :

دعيت إلى حفلة, في نساء في أبهى زينة, فإذا ملأت عينك منهن, سقطت في الامتحان, فإذا قلت: معاذ الله, إني أخاف الله رب العالمين, نجحت في الامتحان, عرض عليك مبلغ من المال, بشكل غير مشروع, فإذا ضعفت أمام المبلغ, سقطت في الامتحان.

حدثني أخ قصة, له عمل, له صديق رئيس بلدية, فجاءه إنسان يرجوه: أن يحدث رئيس البلدية, ليغض البصر عن سقف بناء, كلما صب السقف, هدم البناء, توسطه, يبدو أن هذا الصديق, له مكانة عند هذا المسؤول, فغض البصر عنه, وصب السقف.

قال لي: مساء طرق الباب, أنا لم أكن موجوداً, وضع مبلغ عشرة آلاف, مقابل أنك أنت كلمت رئيس البلدية, جزاك الله خيراً.

قال لي: أنا غضبت, وأرعدت, وأزبدت, كيف يتجرأ أن يعطيني عشرة آلاف؟ كيف تسول له نفسه: أن يعطيني المبلغ؟ أنا خدمته لله, أنا خدمته في سبيل الصداقة والأخوة, هل يعقل أن يعطيني؟! والله حتى أستدعيه, وأرجع له المبلغ, وأعنفه.

قال: في اليوم الثاني: هدأت نفسه قليلاً, في اليوم الثالث: سكت, في اليوم الرابع: وضعهم في جيبه, تيسر الحال.

قال لي: دخل لص إلى بيتنا؛ أخذ المسجلة, والأجهزة, والمروحة, والعشرة آلاف, ولم يترك شيئاً, فزوجته قالت له: ألا تتحرك؟ ألا تتكلم؟ لك أصدقاء في الأمن الجنائي, قال لها: أعلم ماذا فعلت, اسكتي, ضعف. أنا لا أقبض حراماً, لا تقبض ألف, مليون! تفكر فيها.

فالإنسان يملك نفسه حينما يرغب في المال, يرغب في المرأة, يرغب في منصب رفيع, يضعف, من هو المؤمن؟ هو الذي يصمد, هذا المؤمن: يعني بين الصمود والانهيار درجة؛ ملكت الجنة إلى الأبد بهذا الصمود, وألقيت

نفسك في الهاوية إلى الأبد بهذا السقوط.

تاجر يعلم أن الله يراقبه :

قال:

((أربع من كن فيه, حرمه الله تعالى من النار, وعصمه من الشيطان؛ من ملك نفسه:

-أحياناً: يأتيك زبون أحمق, تستطيع أن تتبعه شيئاً بخساً, وبأعلى سعر, من يراقبك؟ الله عز وجل, تقول: معاذ الله! إنني أخاف الله رب العالمين.

حدثني أخ تاجر, هو من الحريقة, مستورد قماش, قال لي: استوردنا بضاعة, عرضتها بتسعة, لا يوجد زبون؛ بثمانية ونصف لا يوجد, بثمانية لا يوجد, سبعة ونصف لا يوجد, سبعة لا يوجد, ستة ونصف, ستة, خمسة ونصف, خمسة لا يوجد.

قال لي: جاءني رجل شاب, أحمق, فاتحاً محلاً جديداً, معه أموال من الناس, ومتممس, عرضتها عليه, أعجبتة, بكم؟ قال له: تسعة, قال له: اشتريت -مشكلة-, قال له: نقدي؟ قال له: نقدي, قال له: حسناً, بعثك. قال لي: خرج للباب, قلت له: تعال إلى هنا.

حلف بالله, لا يبيعه إياها, قال له: هذه تغلسك يا بني, اذهب, اذهب, تغلسك.

هو لم يترك إنساناً إلا وعرضها عليه, بخمسة لم تبع, جاء هذا الأحمق, اشتراها بتسعة, ونقدي؛ لكن شعر أن الله يراقبه, شاب في أول حياته, حطمه كان, قال له: لا أبيعك إياها, هذه عرضتها بخمسة, ولم تبع, اذهب يا بني, اذهب.

وسع دائرة الدين في أفقك :

أيها الأخوة, يظن الناس الدين في الجامع؛ الدين في المحل الخاص بك, الدين في مكتبك, الدين في الدكان الخاصة بك, الدين في قاعة صفك, الدين في غرفة العيادة.

يعني: جاءك إنسان، يخاف على نفسه، صحته في خطر، ومعه مال كثير، يمكن أن تقول له: أريد اثني عشر تحليلاً، والمحل متفق معه أنت، أول واحد تفحصه، والثاني كله بالمجلى، واكتب طبيعى كله، المبلغ مناصفة، المريض لا يكشف، ليس عنده إمكانية أن يكشف، من الذي يراقب؟ الله عز وجل.

الدين بعيادتك، بمخبرك، بقاعة تدريسيك، بمكتبك الهندسي، بمكتبك التجاري، بالحقل.

ممكّن أن تأتي بهرمونات، ترش فيها النباتات، تصبح البندورة هكذا تأخذ سعراً عالياً في السوق، لكن هذه فيها مادة مسرطنة، هذه مادة مخيفة، ممنوع استعمالها، تدخل تهربياً، تُرش بها النباتات حينما تزهر، فتنمو الثمار بحجم كبير، وألوان زاهية؛ لكن على حساب صحة المسلمين، يُمتحن الإنسان.

ممكّن صيدلي أنت، عندك دواء ثمنه أربعمئة ليرة، انتهى وقته، أحببت أن تغير التاريخ فقط، بالشيفرة، سقطت في الامتحان، تضع صلاتك في الحاوية.

أخواننا الكرام، الدين ليس في الجامع؛ الدين في الأسواق، الدين في بيتك، الدين في سفرك، الدين في ضبط حواسك، ضبط أعضاءك؛ ففي مزلق للأطباء، مزلق للمحللين، مزلق للصيادلة، مزلق للمحاميين. جاءك موكل لا يفهم شيئاً في القانون، ومتضايق من خصمه، قال له: اطمئن، اعتبر الدعوى ناجحة، تستطيع أن تماطله ثماني سنوات، أجلناه، وأجلناه شهراً، وتغير القاضي، والمحكمة عندها عطلة قضائية، وأعطن دفعة على الحساب، وأين أتعبنا؟ والقاضي بطنه كبير، ماذا نفع له؟ يريد مبلغاً كبيراً، وخصمك دفيغ أكثر منك.

ممكّن بثمانى سنوات: أن تسحب منه خمسمئة ألف، ويطمعه بنجاح الدعوى، وأنت لم تعط أحداً قرشاً، ولم تتكلم بكلمة، ولم تعمل مذكرة، الله كبير.

يقول لك: صار معه سرطان، في أسباب؛ في مال حرام، في مشكل، في احتيال.-

اعلم هذا أيها البائع :

من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب:

-والله أنا واقف أمام شخص بائع بندورة، يضع نوعين؛ نوع بليرتين، نوع بستة، الليرتان درجة خامسة، ليس أولى، والستة درجة أولى، أنا لست منتبهاً، جاء شخص حمل من الدرجة الأولى كيساً، حوالي أربعة كيلو، وأكمل من

الدرجة الخامسة، وزنهم، قال له: من الذي أمامك، دفع له على الذي ثمنهم ليرتين؛ ظننته يصلي، ظننته حج أو اعتمر، يستطيع أن يضع حجته، وعمرته، وصلاته، وصيامه في الحاوية، ويعيد إسلامه.

لأنه قولوا لفلان -السيدة عائشة، ارتكب مخالفة في البيع والشراء-:

((أبلغوا فلاناً -نعم- أنه أبطل جهاده مع رسول الله))

الذي يحج ويأتي، ويكذب، يحتال، يعني يعمل ترتيباً، يقبض مبلغاً كبيراً بغير حق، يجب أن يعد نفسه، قد أبطل حجه.

((من حج بمال حرام، وقال: لبيك اللهم لبيك، يقول الله: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك))

أذهب-.

ما هو المطلوب منك حينما يضغط عليك من داخل بيتك لترتكب مخالفات شرعية؟

من ملك نفسه حين يرغب -حسناً- وحين يرهب.

-جاءك ضغط، ضغط من أمك؛ ستفرك الأسرة، مسكتها مشيخة، نحن تربينا هكذا يا بني، لم يعجبك، أخرج من البيت، إذا أحب أن يقيم الشرع.

سيدنا سعد، قالت له أمه: إما أن تكفر بعهد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال لها: يا أمي، لو أن لك مئة نفس، فخرجت واحدة واحدة، ما كفرت بعهد، فكلي إن شئت، أو لا تأكلي-.

وحين يرهب: -في ضغط من الداخل؛ ضغط من زوجتك، ضغط من ابنك، ضغط من مجتمعك، ضغط ممن هم أعلى منك.

يعني: إذا الله عز وجل سلمك لمخلوق، لا يستحق أن تعبده، الله لم يسلمك لأحد، قال لك:

﴿وَالْيَهُ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية:123]

لم يسلمك لأحد:

﴿وَالْيَهُ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

[سورة هود الآية:123]

((والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أدع هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره
الله))

يعني: المؤمن، أي مؤمن، حد أدنى بالإيمان، يوجد عندك مجموعة لاءات، تقول: لا بملء فمك.

غداً عرسك، ويجب أن تتصمد مع العروس، وأمامك خمسمئة امرأة بلا أكمام جالسين بزینتهن، وأنت مسلم،
ويأخذون على خاطرهم، يظنون فيك علة؛ يظنونك أعوراً، يظنونك أعرجاً، أنا أعور، وأعرج، لا أدخل، لا بملء
فمك.

الذي لا يوجد عنده كلمة لا: ليس مؤمناً، لا، لا أفعل، هذا لا أوافق، لا أسمع، الله هو الغني، يجبرونه، ويدخلونه،
تصبح المرأة.....

عرس في الشيراتون، صعد العريس على المنصة، وتكلفته -يمكن- مليونان، -هذا أقل رقم سمعته، في بعشرين
مليون، في بستين مليون، هذا مليونان تكلفته-، يريد أن يتصور هو والعروس، قالت له: انزل قليلاً، قال لها:
طالق، طالق، طالق، قبل الأكل، النساء صرخن.....

يعني: في ضغوط؛ أنت يجب أن تكون قوياً، يجب أن تكون موحداً، يجب ألا تأخذك في الله لومة لائم-.

ما المراد بمعنى (وحيث يشتهي) كما ورد في الحديث؟ :

من ملك نفسه حين يرغب، وحيث يرهب، وحيث يشتهي:

-في إنسان تضعف نفسه أمام الشهوات.

قال لي -والله- شخص: لا يوجد ونش يديرني عن المرأة إذا رأيتها، أين الذي يقول لي: غض بصرك؟ هذا منته، لا يوجد، منته، لا تغلب نفسك معه-.

هذا هو المنافق :

وحيث يغضب: -يعني المنافق إذا خاصمك فجر، يقول له: أريد أن أرد له الصاع عشرة، لا يجوز:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾

[سورة الشورى الآية:40]

لكن:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى الآية:40]

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾

[سورة النحل الآية:126]

((وحيث يغضب))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتَسْعِ؛ حَسْبِيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَلِمَةِ الْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا، وَنُطْقِي ذِكْرًا، وَنَظْرِي عِبْرَةً))

((وأربع من كن فيه، نشر الله تعالى عليه رحمته، وأدخله جنته؛ من آوى مسكيناً، ورحم الضعيف، ورفق بالملوك، وأنفق على الوالدين))

يطلب منه الصانع اليتيم: أن يخرج قبل ساعة، يدخل دورة ليلية ليأخذ الكفاءة، لا يسمح له، يقول لك: إذا تعلم يفقس، أما ابنه يضع له دروس خاصة عشرة آلاف ليرة، مئة ألف، يريد ابنه طبيباً، أما هذا اليتيم الذي عنده، يجب أن يبقى جاهلاً حتى لا يفقس، لا يسمح له أن يتعلم، لا يسمح له.

الله إذا أعطى أدهش وإذا سلب أدهش :

أيها الأخوة، في حالات من الظلم لا تحتلم، والله كبير، الإنسان لا يتكبر، لا يستضعف إنسان، قد يقويه الله ويتليك.

والله عز وجل، يعني الأمور دارت معه، وصار من كبار الأغنياء، خطب ابنته مهندس ممتاز، من أسرة عريقة، وأخلاقه عالية، ودين، ماذا قال له؟.

دخلك كم في الشهر؟ هذا كتم غيظاً، قال له: عشرة آلاف، لا يكفيك ليومين، لم يرض أن يعطيه، بقدرة قادر له عمل في المنطقة الحرة، وقف فجأة، عليه مطالب كبيرة، لا يوجد سحب، قرب من الإفلاس، يعني وضعه صار.....، فجأة خسر كل شيء، والذي كان وسيطاً.....

قال له: هذا الأخ، الذي خطب ابنتنا في زمانه، تزوج؟ قال له: لا، قال له: يأتي إلى عندنا مرة ثانية، تزوجه، جاء مرة ثانية، وخطب وزوجه، بعد ذلك: عمل عنده، عمل عند صهره، هذا المليونير.

والله رجل، ذكر لي شخص اسمه -أنا لن أذكر اسمه الآن-، شخص كان بحجم مالي كبير جداً، تكبر على صهر مهندس، فربنا أذله، جعله يعمل عنده محاسباً.

الله إذا أعطى أدهش، وإذا كان سلب أدهش، إذا كان سحب من تحتك البساط، يا لطيف!.

في قصص كثيرة جداً، والدنيا كلها عبر، وما أكثر العبر، وما أقل المعبرين.

نهاية المطاف :

فآخر شيء :

((أربع من كن فيه، حرّمهم الله تعالى على النار، وعصمهم من الشيطان؛ من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي، وحين يغضب))

((وأربع من كن فيه، نشر الله تعالى عليه رحمته، وأدخله جنته؛ من آوى مسكيناً، ورحم الضعيف، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-50} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (أربع)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-08-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هو العضو الذي يعد أكثر نشاطاً في حياة الإنسان من بين أعضائه؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه الطبراني عن ابن عباس, أنه ﷺ قال:

((أربع من أعطين فقد أعطي خير الدنيا والآخرة؛ لسان ذاك, وقلب شاكر, وبدن على البلاء صابر, وزوجة لا تبغيه خوفاً من نفسها ولا ماله))

لسان ذاك: أكبر نشاط للإنسان.

الإنسان منذ أن يستيقظ حتى ينام, يتكلم, هذا الكلام كله محاسب عليه.

قالوا:

((يا رسول الله! وهل نؤاخذ بما نقول؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ويحك يا معاذ! أو ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم, إلا حصاة ألسنتهم؟))

فينبغي أن نعلم علم اليقين: أن أكبر نشاط لنا في حياتنا نشاط اللسان, حركة اللسان, الكلام الذي يخرج من فمنا.

ما الجانب السلبي والإيجابي للسان؟ :

أيها الأخوة, هناك سبع عشرة معصية متعلقة باللسان؛ منها الغيبة, والنميمة, والبهتان, والإفك, والسخرية, والمحاكاة, والتقليد, والاحتكار, معاص لا تعد ولا تحصى, كلها متعلقة باللسان, أما الجانب الإيجابي في اللسان: أن يكون ذاكراً.

لذلك المؤمن: كل كلمة ينطق بها, ترفعه عند الله عز وجل, حتى إن النبي بماذا جاء؟ النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي اهتدى بهديه شعوب الأرض, بماذا جاء؟ جاء بمخترعات!! جاء بالكلام الطيب.

قارن بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة من خلال الكتاب والسنة :

قال تعالى: ومثل كلمة طيبة:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:24]

﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية:25]

يعني: الكلمة الطيبة صدقة, كلمة الحق صدقة, ذكر الله يرقى بك, فهذا اللسان بدلاً أن تهوي به.

قال:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة, لا يلقي لها بالاً, يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً, إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى, لا يلقي لها بالاً, يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

ما دام هذا اللسان؛ إما أن يرقى بنا إلى أعلى عِلين, وإما أن يهوي بنا إلى أسفل سافلين, شيء خطير إذاً.

ومن عد كلامه من عمله فقد نجا.

يجب أن تعد كلامك من عملك, من عملك الذي ستحاسب عليه, لا أن يتوهم متوهم: أنه كلام, كلام بكلام؛ قد تطلق امرأة بكلمة, وقد تُفصل شركة بكلمة, وقد يشرد أولاد بكلمة, وقد تنطق كلمة الطلاق, فتحرم زوجتك وأولادك, فالكلام خطير جداً, الأنبياء جاؤوا بالكلمة:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[سورة إبراهيم الآية:25]

فإنسان بين أن ينطق بكلمة طيبة, وبين أن ينطق بكلمة خبيثة, إذا طلب العلم, نطق بالكلمات الطيبات.

إليك هذا المثال للتوضيح فيما سبق نكره :

أنا أضرب لكم مثلاً.....

هذه الترامس التي يوضع فيها الماء, لها فتحة من أعلى, ولها صنوبر من الأسفل, انظر ما الذي تضعه من أعلى, يخرج من أسفل.

فأنت وعاء, بماذا تُغذى كل يوم؟ تغذى بالقرآن, بالسنة, تغذى بالسيرة, تغذى ببطولات الإسلام, تغذى بالصحابة الكرام, تغذى بهذا الدين القويم, بهذا الشرع الحنيف, إذاً: بماذا تنطق أنت؟ من الذي غذيت به. فالمؤمن الذي يطلب العلم, إذا تكلم؛ تكلم كلاماً طيباً, ذكر حقيقة, أشار إلى عظمة الله, بين حكماً, أعطى جزءاً من عقيدة, بين فضيلة, نهى عن منكر, أمر بمعروف, لأن التغذية طاهرة, والتغذية طيبة.

فالذي يخرج من الصنوبر طيب, أما لو وضعنا في بعض الترامس ماء المجارير, وفتحنا الصنوبر, ماذا نجد؟ نجد الذي وضعناه.

فالذي يُغذى بأفلام ساقطة, بقصص مخزية, بمغامرات طائشة, بمواقف مشينة, بخيانات, هذا الذي يستقي من هذه الأجهزة؛ المنكرات, والخيانات, والسقوط, والعدوان على أعراض الناس, والاحتيال, إن أراد أن يتكلم, بماذا يقول؟ بالذي غذى نفسه به.

فأنت بين أن تنطق بالكلمة الطيبة, إذا غذيت نفسك بالحق, وبين أن تنطق بالكلمة الخبيثة, إذا غذيت نفسك بالباطل.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أربع من أعطيهن, فقد أعطي خير الدنيا والآخرة؛ لسان ذاكر:

((إنك إن ذكرتني شكرتني, وإذا ما نسيتني كفرتني))

((يا موسى, أتحب أن أكون جليسك؟ قال: كيف ذلك يا رب, وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنني جليس

من ذكرني, وحيثما التمسني عبدي وجدني))

أنت بذكر الله ترقى, طبعاً: تذكر الله فيما بينك وبين نفسك, وتذكر الله للناس, تكون سبباً في هدايتهم, سبباً في عودتهم إلى الحق, سبباً ً في إقبالهم على الله, لذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾

[سورة آل عمران الآية:102]

قال:

((أن تذكره فلا تنساه, وأن تشكره فلا تكفره, وأن تطيعه فلا تعصيه))

وقلب شاكر: -القلب الشاكر: قلب يعرف الله, لأن الشكر رد فعل لرؤية النعمة.

لو أن إنساناً أحسن إليك بشيء بسيط, لو سمح لك أن تسكن بيتاً, وأنت في أشد الحاجة إلى البيت, لو أعطاك مركبة, وأنت في أشد الحاجة إلى مركبة, لو زوجك ابنته, فكانت زوجة راقية, لا تقنأ تشكره, أنت حينما ترى النعمة, تشكر المنعم.

فالإنسان بين أن يكون مع النعمة, أو مع المنعم, أهل الدنيا مع النعم, لا مع المنعم؛ مع الطعام والشراب, والنساء, والنزهات, والبيوت, والولائم, والسفر, مع النعم, لكن المؤمن مع المنعم, المؤمن خرق النعمة إلى المنعم, وخرق

العطاء إلى المعطي, وصل إلى المعطي, وصل إلى المنعم.-

ما واجب المسلم أن يفعل حينما يتعرض للمعالجة الإلهية؟ :

لسان ذاكر, وقلب شاكر, وبدن على البلاء صابر:

-الإنسان ينبغي أن يتحمل معالجة الله له, الإنسان لو اصطلح مع الله, لو تاب إلى الله, الطريق أمامه طويل, هناك أمراض كثيرة متركرة في نفسه, ربنا عز وجل لحكمته, يشفيه من هذه الأمراض مرضاً, فكلما شفي من مرض, وضع في ظرف معين, فظهر هذا المرض, فعاقبه الله, وأدبه, ونبهه, فتاب من هذا المرض, شفي من المرض الثاني, وهكذا

فالإنسان يجب أن يتحمل مداواة الله له.

أنت عند طبيب الأسنان, تعلم علم اليقين: أنه يعمل لصالحك, هو عليم, ويعمل لصالحك, تتحمل وخز الإبرة, تتحمل قلع الضرس, إذا كان التخدير لا يناسب قلبك, الألم لا يطاق أحياناً؛ لكن لأنك تعلم علم اليقين: أنه يعمل لصالحك, تسكت, وتشكر.-

اسمع أيها الزوج :

وبدن على البلاء صابر, وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا مالها))

يعني: كل إنسان متزوج, وعنده زوجة؛ إن تركها وذهب إلى عمله, يطمئن على أنها لا تخونه, هذه نعمة كبيرة جداً, لا يعرفها إلا من فقدها, الذي يشك في سلوك زوجته, يكاد الخوف والقلق يأكل قلبه.

فالإنسان حينما يرزق زوجة سالحة, لا ينبغي أن يقسو عليها, هي تحقق له هدف كبير؛ أنه مطمئن إلى أخلاقها, إلى عفتها, إلى طهارتها, إلى حصانتها, فلا ينبغي أن يقسو عليها.

وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله: لا يوجد إنسان كامل, هناك أخطاء كثيرة ترتكبها الزوجات؛ لكن كل هذه الأخطاء, إن قيست بالفضيحة, أو بالخيانة, ليست في شيء.

إذاً: هذه الزوجة التي لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله, هذه ينبغي أن يشكر الله عليه.

ما محور هذه الأحاديث؟ :

((أربع من أعطينهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة؛ لسان ذاك, وقلب شاكر, وبدن على البلاء صابر, وزوجة لا تبغيه خوفاً من نفسها ولا ماله))

((وأربع من سعادة المرء في الدنيا: أن تكون زوجته سالحة, وأولاده أبراراً, وخطاؤه صالحين, وأن يكون رزقه في بلده))

وفي بعض الروايات:

((والمنزل واسع, والمركب وطيء, والخطاء صالحون, ورزقه في بلده))

يعني: في أعمال شاقة, تقول: السفر اليومي, والسفر قطعة من العذاب, السفر قطعة وهناك أعمال تقتضي أن تكون خارج بلد إقامتك؛ بمئة كيلو متر كل يوم, بمئتي كيلو متر, والسفر في خطر, في مشقة في الشتاء والصيف؛ فالذي سُمح له أن يكون رزقه في بلده, هذه نعمة لا تقدر بثمن.

إذاً: أربع من سعادة المرء في الدنيا؛ أن تكون زوجته سالحة.

يعني: الزوجة السالحة هي حسنة الدنيا.

من هي حسنة الدنيا في هذه الآية؟ :

أيها الأخوة, حينما قال الله عز وجل:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة البقرة الآية:201]

قالوا: ما حسنة الدنيا؟ قال: الزوجة السالحة؛ التي إذا نظرت إليها سرتك, وإذا غبت عنها حفظتك, وإذا أمرتها أطاعتك؛ ستيرة عفيفة, ولود ودود, ذات مودة بالغة, تتجب لك أولاد.

((أربع من سعادة المرء في الدنيا: أن تكون زوجته سالحة، وأولاده أبراراً:

-الولد البار: يحتاج إلى جهد كبير.

من ربي ولده صغيراً، سرّاً به كبيراً.

يحتاج إلى رعاية، وإلى اهتمام، وإلى وقت، وإلى متابعة، وإلى تدريس، وإلى تهذيب، وإلى تأديب، وينبغي أن يكون معك دائماً، أين ما تذهب، يكون معك ابنك، ليتعلم منك، لتبعده عن رفقاء السوء؛ فإذا كان ابنك صالحاً، سعدت به أكثر من أي شيء تسعد به على الإطلاق، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[سورة الفرقان الآية:74]

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[سورة الفرقان الآية:74]

بقي شيء آخر-: وخطاؤه صالحين:

-والإنسان لا يستطيع أن يستقيم، ولا أن يتقي الله، إلا إذا كان خطاؤه صالحين، والدليل: قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:119]

إن لم تكن مع الصادقين، الصاحب صاحب، فهذا كلام دقيق أقوله لكم:

إن لم تهيء لنفسك بيئة طاهرة، لن تستطيع أن تستقيم على أمر الله، ما دام الخطاء غير صالحين، ما دام الخطاء متفلتين، ليسوا منضبطين، خطاء الدنيا، يحبون الدنيا، يكرهون الآخرة، إن كنت معهم؛ جروك إلى

جادتهم, وحملوك على سيرتهم, وأغروك بالمعصية, واستخفوا بك إذا كنت مطيعاً لله, وشمتموا بك إذا أصابتك مصيبة, وضعفوا همتك إذا أزمعت على معصية.

لذلك: أخطر شيء في حياة المؤمن الأصدقاء؛ فإذا صاحب مؤمناً, إذا خالط مؤمناً, يذكره إذا نسي, يعينه إذا ضعف, يجعله يطيع الله عز وجل, هذا من نعم الله الكبرى؛ لا بد من أن تكون مع المؤمنين, لا بد من أن تحيط نفسك مع المؤمنين, لا بد من أن تتخرق في مجتمع المؤمنين, أما إذا كان اهتمامك بغير المؤمنين, هؤلاء يصدون عن سبيل الله, ويغونها عوجاً, ويشبطون همتك, ويضعفون رغبتك.-

الزم رزقك في بلدك إن توفر ذلك :

((وأن يكون رزقه في بلده))

يعني أحياناً: أنا أعجب من أخ غريب, يسكن في الشام, وله دخل, وهذا الدخل يغطي مصروفه, ويسكن في بيت, وعنده زوجة, وأولاد, يتبع رزقاً بعيداً, يدع زوجته وأولاده سنة بأكملها؛ سنة بلا زوج, يدع أولاده بلا تربية, يأتي بمبلغ, ليس بالكثير.

لو أن الإنسان وازن: أهذا المبلغ الذي أتى به, وهو بعيد عن زوجته, وأولاده؛ أولاده تفلتوا, وزوجته تضورت, أيعقل أن يكون هذا المبلغ, يعادل فراق الأولاد, والأهل, والزوجة؟.

لذلك: ورزقه في بلده.

الإنسان إذا فتح عليه باب رزق, فليلزمه, إذا كان رزقه في بلده, فليكن أشد تمسكاً به, لأن تبقى مع أهلك, وأولادك, هذه نعمة كبيرة.

يعني: أنا أعرف رجلاً يعمل في السفر, في سفر بعيد, أولاده انحرفوا أخلاقياً, لأنه لا يوجد أب, لا يوجد أب, في رفقاء سوء.

فكلما عرض عليك عملاً خارج أهلك, وأولادك, والمبلغ مغري, وازن بين هذا البلد, وبين رعاية زوجتك, وأولادك, قد تجد المبلغ أقل مما ضيعت, ضاع أكثر مما أخذ.

((أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته سالحة, وأولاده أبراراً, وخطاؤه صالحين, وأن يكون رزقه في بلده))

ما الذي يبغضه الله كما ورد في الحديث هنا؟ :

((أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلاف))

-كثير الحلف بذمته, وبدينه, وبربه, وحق الكعبة, وحق المصحف, وبأولاده, بنظر عينه, بأعز ما يملك, رأس مالها أكثر, البياع الحلاف: يبغضه الله عز وجل.

كان أبو حنيفة -رضي الله عنه- إذا حلف يميناً صادقة, يدفع ديناراً ذهبية.

لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:89]

فالإنسان: لا يحلف لأتفه الأسباب-.

والفقير المختال -فقير متكبر, حسناً: على أي شيء تتكبر؟- والشيخ الزاني -طبعاً: العين تزني, وزناها النظر.

هذا الشيخ, المقصود به: الكبير في السن فقط, هذا الرجل المتقدم في السن, الذي يملأ عينيه من الحرام, يقول لك: نفسه خضرة؛ أينما جلس يثني على جمال النساء, وعلى حركتهن, وعلى رشاقتهن, ويفديهن بروحه, وماله, هذا الشيخ الزاني, ولو على مستوى النظر, ولو على مستوى الحديث, ولو على مستوى الحديث اللطيف.

((عبدى كبرت سنك, وانحنى ظهرك, وضعف بصرك, وشاب شعرك, فاستح مني, فأنا أستحي منك))

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه ذاك لعمرى في المقال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعت هـ إن الحب لمن يجب مطيع

قال:- والإمام جائر))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والنسائي في سننه، وابن حبان في صحيحه]

الظلم يهتز له عرش الرحمن.

عدل ساعة خير من أن تعبد الله ثمانين عاماً.

فالإنسان ينبغي أن يعدل، ولو على أدق مستوى تتوهمه.

اعدلوا بين أولادكم ولو في القُبل.

لا يحق لك أن تقبل ولداً، وألا تقبل الثاني، ولا أن تهدي أول ابن شيئاً، وتهمل الثاني؛ اعدل بين زوجاتك، إن كنت عندك تعدد، اعدل بين أولادك، اعدل بين موظفيك.

الظلم يهتز له عرش الرحمن.

((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

والإمام الجائر: وكنت أقول دائماً:

العدل حسن، لكن في الأمراء أحسن، والورع حسن، لكن في العلماء أحسن، والتوبة حسن، لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن، لكن في النساء أحسن، والصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن، لكن في الأغنياء أحسن.

أجمل ما عند الغني السخاء، وما عند العالم الورع، وما عند الشباب الصبر، التوبة، وما عند الفقير الصبر، وما عند المرأة الحياء، وما عند العالم الورع .

أرجو الله سبحانه وتعالى: أن تكونوا قد أفدتم من هذه الأحاديث، ونتابع هذه الأحاديث، إن شاء الله في درس

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-51} : أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-08-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

ما الشيء الذي يبقى مع الإنسان بعد الموت:

أيها الأخوة الكرام، روى الإمام الطبراني، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

((أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت:

- ما من إنسان إلا وهو في الدنيا طموح إلى أكبر ثروة، طموح إلى أن يسكن في أجمل بيت، طموح إلى أن يكون له أولاد أبرار، طموح إلى أن تكون له زوجة طيبة سالحة ترضيه، طموح إلى أن يكون في رفعة؛ ولكن الدنيا فانية، الموت ينهي كل شيء؛ ينهي غنى الغني وفقير الفقير، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف، ينهي وسامة الوسيم ودمامة الدميم، ينهي صحة الصحيح ومرضى المريض؛ العبرة لما بعد الموت.

يقول عليه الصلاة والسلام:- أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت:

- يعني عمل مستمر، عمل متنام، يعني مثلاً: ممكن أن تملك مئة ألف؛ يمكن أن تنفقها في شهر، في سفر، ما بين أجور الطائرة، والنزول في الفنادق، والطعام والشراب، أما لو أن لك في جهة استثمارية مليوناً، وأخذت منهم مئة ألف؛ هذه متجددة هذا ربيع، وليس رأس مال، هذا ربيع؛ فهناك أعمال متجددة؛ لا تنتهي بموت صاحبها؛ يموت والخير مستمر، يموت والأجر مستمر، يموت وكل من انتفع بهذا العمل في صحيفته.

انظر ماذا ترك هؤلاء بعد موتهم؟ :

أنا جئتكم من معهد الغراء؛ كان هناك احتفال بتخريج طلاب، ذكرت أن هذا الذي أسس المعهد -الشيخ علي الدقر، رحمه الله تعالى- كم مضى على موته؟ معهد عتيد يخرج الطلاب الشرعيين، يتسلمون المنابر، يخطبون

في الناس، هذا عمل؛ أن تؤسس صدقة جارية، لو مات الإنسان -أيها الأخوة- حينما أرى عملاً مستمراً، أنطق بصوت مرتفع: والله ما مات صاحب هذا العمل، ما مات.

نحن الآن كم مرة نذكر الإمام الشافعي، وأبو حنيفة، وابن حنبل، والإمام مالك، وسيدنا عمر، وصالح الدين الأيوبي، ونور الدين الشهيد، وعمر بن عبد العزيز، وطارق بن زياد؟ نذكرهم صباحاً ومساءً، هذه البلدة -الشام- لولا الذين فتحوها لكننا أقباطاً، لكننا من بلاد الرومان، لكن الصدقة الجارية هي أعظم عمل.

كن طموحاً في الآخرة :

أنا بدأت الدرس؛ كلكم تحبون الطموح، لكن البطولة أن تكون طموحاً في الآخرة، لأن الآخرة مستمرة أما الدنيا منقطعة، يعني إذا الإنسان سافر إلى بلد، وأقام في خمسة أيام، في فندق خمس نجوم، في أربع، في ثلاث، في اثنتين، لكن في النهاية هذه الأيام تمضي، ولا تذكر من هذه الأيام شيئاً، أو لا يبقى شيء من طعام هذا الفندق الغالي؛ انتهى، أما في بيتك المستمر ينبغي أن تعتني به، ففي فرق بين أن تعتني بشيء مؤقت، وأن تعتني بشيء دائم، فهذا الذكي العاقل الموفق المتفوق الفالح؛ هو الذي يسعى لعمل لا ينقطع عند الموت، مستمر، ريعه مستمر.

أحياناً: الإنسان يحصل على وكالة حصرية؛ وهو جالس في مكتبه مرتاحاً، تأتيه برقية: قد حولنا لك خمسين ألف دولار عمولة شخص جاء لعندنا، اشترى البضاعة، قيدنا العمولة لك، حتى صار وكيلاً حصرياً جهد كثيراً، لكن بعد ما تعب؛ تأتيه المبالغ من كل حذب وصوب، لأنه وكيل حصري، فكل من ذهب إلى الشركة، واشترى منها مباشرة؛ يحسم من استلم البضاعة عمولة وكيل الشركة الحصري؛ هكذا.

فما دام نحن في الدنيا طموحين، فالأولى أن نكون طموحين في الآخرة.

من آثار المرابط في الأرض :

فهذا هو النبي عليه الصلاة والسلام يبين:- أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله:

-يعني مات في ساحة الحرب، هذه الحرب سببت هذا الفتح، هذا الجهاد سبب هذه البلاد التي فتحت للمسلمين.

أنا ذهبت إلى تركيا، سمعت أن فيها خمسة وثمانين مليون مسلم حنفي، من فتحها؟ محمد الفاتح، هؤلاء الذين

فتحوها من الصحابة؛ سيدنا أبو أيوب الأنصاري مدفون في استانبول، وصليت الجمعة في مسجده، أين بلده؟ في المدينة، هو الذي استضاف النبي عند الهجرة، أين مات؟ في استانبول، خمسة وثمانون مليون مسلم؛ الحمد لله، الوضع جيد، لا كما تسمعون.

أنا ذهبت من استانبول إلى بورصة، رأيت بأمر عيني كل عشرة سيارات؛ ثمانية منهم محجبات النساء، ثمانية بال عشرة، ثلاثة آلاف مسجد في استانبول، يؤذن باللغة العربية، وتمتلئ إلى أكثر من نصفها، وفي معهد شرعي، الله يديمهم هذه المعاهد.

في مشكلة الآن بتركيا: خمسمئة وخمسون معهداً يخرج الخطباء في استانبول، خمس وعشرون كلية شريعة، هذا الخير من أين جاء؟ من الذين فتحوا هذه البلاد؛ هل تصدقون أنكم جميعاً في صحيفة من فتح مدينة دمشق؟ أبدأ؛ فهذا الذي يجاهد في سبيل الله، وينشر دين الله، هؤلاء التجار الذين وصلوا إلى إندونيسيا؛ وجعلوا هذه البلاد، أكبر بلد إسلامي على الإطلاق؛ إندونيسيا، يعد مئة وخمسين مليوناً وحده، إندونيسيا تساوي الأمة العربية كلها، من فتحها؟ تجار، كل هذا في صحيفتهم.

يعني الخطيب تكلم الآن كلمة، والله تأثرت لها؛ أثنى على علماء الشام، وعلى طلاب العلم، وأثنى على تجار دمشق قال: هؤلاء التجار لولا سخاؤهم، وبذلهم، وعطاؤهم؛ ما أسست هذه المعاهد، ولا فتحت هذه المساجد، ولا أسست هذه الميآتم.

قام أحد التجار فقال: لكل طالب خمسة آلاف ليرة هدية مني، خمس وعشرون، تسع وعشرون، بخمسة: مئة وخمسون ألفاً؛ قدمها هدية لطلاب العلم الذين تخرجوا، ونالوا الشهادة الثانوية.

إذاً:- أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله -كأبي أيوب الأنصاري، مات في استانبول-.

ما معنى هذا الكلام النبوي: (ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به)؟

ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به.

-إنسان له دعوة إلى الله، أسس معهداً شرعياً، دعا إلى الله في مسجد، واحد منكم -الله يجزيه الخير- جلس مع أهله، مع أولاده، مع جيرانه، مع أصدقائه؛ بسهرة، بحفلة، بأمسية، بلقاء، بعزيمة، بحفل، تكلم كلمة حق، نطق بالحق.

اليوم أخبرني أحدهم من ألمانيا, قال لي: بقيت أبحث عن رقم هاتفك شهرين, قال لي: اسمي فلان, قال لي: أنا أمقت المشايخ, أكرههم... تكلم كلاماً أفسى من ذلك, لكنني سمعت شريط المهيمن من أسماء الله الحسنى, قال لي: والله سمعته خمس مرات, وطلب مني ألف شريط أبعثه إليه, قلت له: مستحيل.

يعني كلمة الحق لا تقف, ليس لها حدود, في جمعية أطباء في فرنسا اسمها: أطباء بلا حدود, يعني هذا الطبيب نذر نفسه لخدمة الإنسانية جمعاء؛ أين يوجد معارك؟ أين يوجد قتل؟ يذهب إلى هناك ويعالج المرضى, والحق ليس له حدود؛ حق بلا حدود, ينطلق من مكان إلى مكان.-

أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله, ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به.

-علم: أفضل صدقة, تكلم كلمة حق, قال لي أحدهم: أنا ما رأيتك ولا عرفتك, لكن مرة سألتك على الهاتف, عن مشكلة أعاني منها, فقلت لي: كل هذه الأساليب في معالجتها, أساليب غير صحيحة, عليك بالدعاء والصدقة فقط, قال لي: والله فعلتهما, وحلت المشكلة, لا يعرفني شخصياً, لكنه سألني على الهاتف, وأجبتة, كلمة الحق, كلمة الحق.-

ما معنى هذا الكلام النبوي: (ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت)؟ :

ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به, ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت.

-الآن من بنى هذا المسجد, كل كلمة حق تقال في هذا المسجد, كل آذان يرفع, كل صلاة تؤدى, كل درس علم ينعقد, كل توبة تتعقد, في صحيفة من ساهم في بناء, وتأسيس هذا المسجد, وهكذا...

محور درسنا اليوم :

درسي اليوم: يجب أنا تبحث عن عمل يستمر بعد الوفاة, عندك القراء والمغنين؛ أعمال هؤلاء مستمرة بعد موتهم, و أعمال هؤلاء مستمرة بعد موتهم, كلما ظهرت أغنية, في حساب جديد, ضريبة جديدة يوم القيامة, وكلما ظهر نص قرآني لقارئ من القراء, يرتفع عند الله.

في أناس أسسوا مساجداً, وأناساً أسسوا ملاهي, مرة افتتحنا مسجداً بحرستا, وكان إلى جانبي مدير أوقاف الريف, أردت أن أداعبه, قلت له: اشكر الله, فإنك تفتح مساجداً, قال: إي والله, الحمد لله, قلت له: البارحة افتتح ملهى, ودشن, وقص الشريط الحريري.

يعني في إنسان افتتح ملهى، أنت افتتحت مسجداً، شتان بين الاثنين، إنسان يفتتح ملهى، إنسان يفتتح مسجداً، إنسان يترك مسجداً، إنسان يترك ملهى، إنسان يترك قرآناً يتلى بصوته، إنسان يترك غناء يغنى بصوته. يعني في مغني بمصر -مشهور جداً- كان يخاف الموت خوفاً مخيفاً، ما ركب طائرة في حياته، وما أكل في العشاء إلا الفواكه، وما تناول في الظهر إلا السمك واللحم الأبيض -لأنه خفيف- ويعتني بالرياضة، والغذاء، والتطهير الكامل، لكن في النهاية مات، وأغانيه تصدح بعد موته، وفي قراء كبار ماتوا وكل تسجيلاتهم تذاع من بعد موتهم.

أنا درسي اليوم؛ عن عمل صالح يستمر بعد الموت؛ ساهمت بتأسيس مسجد، بتأسيس ميثم، جمعية خيرية، معهداً شرعياً، علمت علماء، رابطت في سبيل الله، ماذا فعلت؟ ماذا فعلت من عمل يستمر بعد الموت؟ أعظم الأعمال: الأعمال التي لا تنتهي بموت صاحبها.

مثلاً: الذي اخترع تكبير الصوت، أو المراوح، والذي اخترع الدش، كم بلد بالعالم فسد؟ كم أسرة تفككت؟ كم زنا حصل بين المحارم؟ هذا اختراع، هذا اختراع.

إنسان اخترع الهاتف، إنسان اخترع مركبة، إنسان اخترع طائرة، إنسان اخترع جهاز له، الذي اخترع البارود؛ نوبل، بعد أن اخترعه، أدرك ما سيكون من بعده -سوف يموت ملايين بالبارود- اخترعه وانتهى، لذلك: رصد كل ثروته جائزة لمن يقدم عملاً يخدم السلام؛ جائزة نوبل، لكن توزيعها غير صحيح؛ من أخذها؟ ميناحين بيغن أليس كذلك؟ هؤلاء الذين يقتلون الناس؛ نالوها-.

ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت.

قصة ختامها مسك :

-لي صديق مهندس، دخله وسط، له أخت، زوجها موظف، دخله محدود، مرة ذهب إليها، رأى في بيتها مشكلة؛ مشادة بينها وبين زوجها، تطالبه بثلاثمئة ليرة شهرياً -ثياب لها ولبناتها- الزوج يمتنع؛ دخله محدود؛ لا يستطيع أن يستغني عن ثلاثمئة ليرة، لأنه يؤمن الطعام والشراب، فوجد أن هناك مشادة بينهما.

قال لي: والله، أنا دخلي لا يسمح لي، لكنني قلت: أحل مشكلة، قال لها: يا أختي الثلاثمئة مني كل أول شهر، فضوا لنا المشكلة، فقبلت، وزوجها شكره، وتيسر الأمر.

قال لي: أول الشهر، أطرق الباب، أَدفع المبلغ الذي علي، ستة أشهر، بعد هذه المدة، سألت أباها: أتعلم لنا درس دين؟ فاستجاب، قال لي: حضرت آية أسمعها منك في الدرس، وحديث، وقصة، وحكم فقهي، هكذا درس مختصر.

جاءت أخته الأولى، أخته الثانية، أخته الثالثة، بنات أخواته كلهم، صار درس لطيف؛ أخواته البنات، وبنات أخواته، بعد حين تحجبوا، ثم زوج ثلاث منهم، قال لي: ما كنت أصدق أن هذه المئات الثلاثة التي دفعتها لأحل مشكلة بين أختي وزوجها؛ انتهت إلى دعوة إلى الله عز وجل.

تحرك حركة طيبة، اخدم الناس، إياك أن تدعو الناس إلى الله بلسانك، ادعهم على الله بإحسانك، فإذا دعوتهم بإحسانك، فتحت لك الآذان، الإحسان قبل البيان، والقعدة قبل الدعوة، والتبشير لا التحذير، والترغيب لا الترهيب، والأصول قبل الفروع، والتدرج لا الطفرة، وأبواب الفقه الأساسية قبل فروع فروعها، والمبادئ لا الأشخاص، والمضامين لا العناوين، والمتفق عليه لا المختلف عليه، وكليات الدين المعرفية، والسلوكية، والجمالية.....-.

من الصدقات الجارية الولد الصالح :

ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له))

ابن صالح، علم ينتفع به، صدقة جارية، مسجد بني، جسر بني، نبع ماء أجري، هذه كلها صدقات جارية.

الحقيقة: في صدقة جارية سهلة جداً، هي ليست سهلة، لكنها سهلة، أن تربي ولدك، إذا كنت تركت ابناً صالحاً، هذا لا يقدر بثمن، ولد صالح يدعو لك، صدقة جارية تؤديها، علم ينتفع به.

((من مات مرابطاً في سبيل الله، ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له))

رزقنا الله وإياكم مثل هذه الأعمال.

خطيب الأموي الشيخ أبو الفرج الخطيب لم يموت, كيف ذلك!!!؟ :

أنا مرة، توفي الشيخ أبو الفرج الخطيب -رحمه الله- كان خطيب الأموي، ذهبت للتعزية كغيري من الناس، جلست في الأموي، كل علماء الشام في الأموي، والخطباء ألقوا كلمات، أشادوا بالراحل، ثم أسمعونا خطبة له مسجلة، ثم قام شاب، عرفه المقدم بأنه ابنه، وألقى كلمة رائعة؛ لغة، علم، ثم قام وزير الأوقاف، وقال: أنا إكراماً لوالده؛ أعينه خطيب الأموي، فصحت في نفسي، والله ما مات الشيخ.

في قاعدة؛ إذا عندك ولد صالح فأنت لم تمت، لن تموت، لأن هذا الولد سيخلفك في عمل البر، كثيرون من المحسنين يربون أولادهم على الإحسان، يموت الأب وكل الصدقات وأعمال البر مستمرة بعد وفاته، لذلك: ولد صالح، علم ينتفع به.

ما تركه النووي بعد موته :

أيها الأخوة، إذا الإنسان عمله بالتجارة، يعني بعيد عن التأليف، لكن يطلب العلم، وإذا إنسان عمله بالعلم، فليترك كتاب تفسير، كتاب حديث، شرح، فقه، هذا أيضاً ينتفع به.

الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة، يبدو أن الإخلاص له علاقة بعظمة الأعمال، إنسان عاش أقل من خمسين سنة، ترك آثاراً، لا يوجد بيت في الشام، بالعالم كله إلا فيه؛ كتاب رياض الصالحين، والأذكار للنووي، بغية المحتاج بالفقه، وشرح الإمام مسلم، من أعلى مستوى.

أخطُ هذه الخطوة :

مرة، أريد أن ألقى خطبة، في آية بذهني لطيفة، فتحت تفسير القرطبي، وجدتها مشروحة شرحاً رائعاً، جمعت الشرح وألقيت الخطبة على الناس، تركت أثراً كبيراً في الناس، أنا دمعت عيني، قلت لنفسي: رحم الله صاحب هذا التفسير، هو ميت من ألف سنة، مادام ترك علماً، هذا العلم يدرس.

فيعني: أخواننا التجار بإمكانكم أن تربيوا أولادكم، أو تتركوا مؤسسة خيرية، جمعية، مدرسة شرعية، مساهمة ببناء مسجد، تتبنى داعية.

نطقت كلمة منذ شهرين، ثلاثة: يا أخي، أنت إما أن تكون داعية، أو إما أن تتبنى داعية.

جاء أخ قال لي: أنا أتبنى داعية، طالب علم من بلد أجنبي، فقير، لا يجد ما ينفق، وكان يهتم أن يعود إلى بلده،

قلت له: عليك بفلان, قال لي: أنا أنفق عليه.

جاءني أخ آخر, قال لي: أنا أتبنى طالبي علم, بحثت له عن طالبيين آخرين من تركيا, أنفق عليهما, يعني إما أن تكون داعية, أو تبنى داعية.

في إنسان عنده بيت زائد؛ قال: هذا البيت لطلاب العلم, وضعنا فيه أربعة بالمجان, ذهبوا فجاء غيرهم, يعني تتطلب حركة, الحركة فيها بركة, تبنى طالب علم, قدم شيئاً.

عندنا معهد, قد قلت لكم في جامع النابلسي, فيه سبعمئة طالب, جاء طبيب ليداوم معنا, قال: أنا لوجه الله, أنا أريد أن أحكم هؤلاء الطلاب لوجه الله, والله أكبره أعظم إكبار, كل يوم ساعتان دوامه, يتفقد الطلاب, يدور عليهم, هذا وجهه أصفر, يفحصه, يصف له أدوية, نريد عملاً نبتغي به وجه الله, نريد عملاً يستمر, لا نريد عملاً ينتهي عند الموت.

اعمل عملاً ليتكلموا عنك بمقدار دقيقتين فقط عند الموت :

مرة حضرت جنازة, رجل كان في صلة معه, توفي رحمه الله, دخلت لبيته, بيته فخم جداً, عنده معمل, سيارتان ... ثلاث, لم يترك مكان في العالم لم يزره, صاحب ذوق لدرجة مذهلة, فقام أحد علماء الشام, فأبنه, فقال: أخوكم أبو فلان كان مؤذناً, ترحموا عليه, فقط!.

أنا صعقت, فقط بدقيقة, لا ليست دقيقة, نصف دقيقة, طيب عن ماذا سيحكي؟ عن بيته, أيحكي بالتأبين عن بيته؟! عنده كان جبصين جميل كثيراً, لا يحكى هذا الكلام بالتأبين, عنده ثلاث سيارات, واحدة للسفر مريحة, وواحدة صغيرة للبلد, وواحدة للمعمل, أيحكى هذا بالتأبين؟! لا يحكى.

ذهب لأوروبا, نزل بسويد, أيحكى بالتأبين هذا؟! لا يحكى, نوع أثاث بيته, لون طقم كنباته, الحق معه ماذا سيحكي؟ كان مؤذناً, ترحموا عليه.

فقلت في نفسي: اعمل عملاً ليتكلموا عليك دقيقتين فقط عند الموت, بم يحكى عند الموت؟ لا يحكى إلا عن علمه, وعمله الصالح, وعن أعماله الطيبة, وعن منجزاته, وعن آثاره العلمية فقط, لا يحكى عن لباسه, وعن بيته, وعن غرفة نومه, وعن أجهزته في البيت, لا يحكى بها هذه.

فذلك: نحن نريد عملاً بعد الموت, يستمر بعد الموت, وأعظم عمل: أن تطلب العلم, وتعلم العلم, أو تطلب

المال وتتفق المال، أو تؤسس صدقة جارية، أو تربي ولدًا صالحاً، إذا فعلت هذا، فأنت لن تموت، لن يموت هذا الجسم، وتبقى حياً.

قال: يا بني، مات خزان المال وهم أحياء - هو نبضه ثمانون، ضغطه اثنا عشر، ثمان، تحليل الدم عنده كله طبيعي، ميت- والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-52} : حديث شريف (ارحموا من الناس ثلاثة)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-09-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

ماذا رأى عدي بن حاتم في بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ :

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ارحموا من الناس ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالمأ ضاع بين الجهال))

الإسلام رحيم، سيدنا -نقول: سيدنا لأنه أسلم- عدي بن حاتم، كان ابن ملك الغساسنة، قدم على رسول الله ﷺ، فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام؛ رحب به ترحيباً خاصاً، ودعاه إلى بيته -عدي بن حاتم، كان يظن أنه سيلقى ملكاً-، فلما كان في الطريق معه، استوقفته امرأة مسنة، تكلم رسول الله ﷺ، فوقف معها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقال في نفسه: والله ما هذا بأمر ملك -هذا ليس ملكاً-، فلما دخل بيته، يقول عدي بن حاتم:

((ألقى إلي وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقال: اجلس عليها، قلت: بل أنت، قال: بل أنت، فجلست عليها،

وجلس رسول الله على الأرض.

-ليس في بيته إلا وسادة واحدة.

هذه هي النبوة :

قال:

((دخل عليه عمر بن الخطاب، رآه قد توسد حصيراً، فأثرت في خذه الشريف، فبكى، قال: يا عمر ما يبكيك؟ قال: رسول الله ينام على الحصير، وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير!؟ قال: يا عمر، إنما هي نبوة وليست ملكاً))

أنا لست ملكاً، هذه نبوة؛ ما النبوة؟ النبي يملك القلوب، بينما الملك يملك الرقاب، وفرق كبير بين القلوب والرقاب، الأقوياء يملكون الرقاب، يعطون أمراً لا بد من أن ينفذ، ينفذه مئات الملايين، ولكن الأنبياء ملكوا القلوب، اذهب إلى مقام النبي -عليه الصلاة والسلام- وقف وراقب؛ ترى مئات الألوف من كل حذب وصبوب، إذا وصلوا إلى مقامه الشريف، يقفون بأعلى درجة من الأدب ويكون، يعني ماذا فعل معهم؟ هل أعطاهم مالاً؟ لا، ما رأوا منه شيئاً، الأنبياء ملكوا القلوب في حياتهم وبعد مماتهم إلى ما شاء الله.

زائر من الصين إلى دمشق :

زارنا ضيف من الصين، أحد أخواننا الكرام كان مرافقاً له، ويبدو أنه كانت الزيارة في عيد المولد، فوجد الوضع غير طبيعي؛ في محلات مغلقة، لا يوجد دوام في الدوائر، لماذا عندكم عطلة؟ قال له: نحن نحتفل بعيد نبي كريم، قال له: من كم سنة هو متوفى؟ -ظن أنه منذ سنتين، ثلاثة-، قال له: منذ ألف وخمسة عام، صعق هذا الضيف، من ألف وخمسة عام، وتحتفلون بيوم مولده؟!.

استطلاع رأي :

أحدهم ألف كتاباً سماه المئة الأوائل، قرأ تاريخ البشرية كله -إذا قلنا كله فتعود على التاريخ، وإذا قلنا قرأ تاريخ البشرية كلها فتعود على البشرية- استخلص من عظماء العالم عبر العصور، والقرون، و الحقب، والأصقاع، والأمصار، والأقاليم، والقارات، وما قبل التاريخ، وما بعد التاريخ؛ استنبط مئة إنسان عظيم، سماهم المئة الأوائل، وجعل النبي -ﷺ- على رأس هذه المئة، -وهو ليس مسلماً، بشكل موضوعي- في المقدمة كتب: لماذا اخترت محمداً بن عبد الله على رأس المئة الأوائل؟ قال: لأنه ما من زعيم في العالم كان أكثر تأثيراً من رسول الله، وما من زعيم في العالم كان تأثيره في أوسع رقعة من رسول الله، وما من زعيم في العالم كان تأثيره في أطول مدى من رسول الله، يعني أعمق تأثيراً، وأوسع تأثيراً، وأطول تأثيراً، -هو قرر أن هذا الإنسان ترك أعمق تأثيراً، وأطول تأثيراً، وأوسع تأثيراً-، ولكن جعل من بين هذه المئة مثلاً: هتلر؛ هتلر ترك خمسين مليون قتيلاً في الإنسانية، فكنت أتمنى على هذا المؤلف: أن يضيف عنصراً رابعاً في التقييم؛ نوع التأثير: تأثير إيجابي أم سلبي؟ الطغاة في العالم تركوا ملايين القتلى، منهم نابليون، منهم هتلر، ثلاثة وخمسون مليون قتيل، غير المصاب والمعتوه وال.... ثلاثة وخمسون مليون قتيل، محصلة الحرب العالمية الثانية، فجعل هتلراً مع هؤلاء المئة، أصحاب التأثير لكن تأثير سلبي، تأثير جريمة، فلذلك قال: يا عمر، إنما هي نبوة وليست ملكاً.

((أفي شك أنت يا عمر؟ أما ترضى أن تكون الدنيا لهم والآخرة لنا؟))

أيها الأخوة، الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، وأنت تأثيرك في الناس بحسب قوتك أم بحسب كمالك؟ القوة تملك بها، والكمال تملك به، بالقوة تملك الرقاب وبالكمال تملك القلوب.

حوار لطيف جرى بين رسول الله وبين عدي بن حاتم :

فهذا هو ابن ملك، النبي استقدمه، ودعاه إلى بيته، ورحب به-: أعطاه وسادة من أدم محشوة ليفاً، قال: اجلس عليها، قلت: بل أنت، قال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله على الأرض.

قال: إيه يا عدي بن حاتم، لعله إنما يمنعك في دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم -أصحابي فقراء- وإيم الله! ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه -وهذا قد حدث- لعله يا عدي إنما يمنعك من دخول الدين ما ترى من كثرة عدوهم -كما هي الحال الآن-))

إشارة استفهام؟؟؟؟:

أنا عجبت أشد العجب! لي يومان أو ثلاثة، لا أفهم ماذا يجري في العالم؟ يعني امرأة ساقطة، تعقد مؤتمراً صحفياً، يبث على عشر محطات فضائية، يستمع إلى هذه المحطات سبعمئة مليون إنسان، وتقول: أنا في اليوم الفلاني زنيت مع فلان في الإسطنبول، في اليوم الفلاني زنيت مع فلان، عدت سبع حالات خيانة لزوجها؛ زنا، والعالم كله اليوم يقدها! ما هذا؟! في أي وضع نحن؟! امرأة زانية ساقطة، والعالم كله يبكي لموتها، أما حينما اغتصبت خمسة وثلاثون ألف امرأة في البوسنة؛ ما بكى أحد، وحينما اكتشفت عشرات المقابر الجماعية؛ ما بكى أحد، وحينما جاءت الشعوب بالحصار الاقتصادي؛ ما بكى أحد، خمسمئة ألف طفل ماتوا جوعاً في العراق من الحصار؛ ما بكى أحد، ما هؤلاء؟! هؤلاء وحوش.

((من هوي الكفرة حشر معهم، ولا ينفعه عمله شيئاً))

النبي -عليه الصلاة والسلام- علمنا أن نكرم عزيز قوم ذل، قال عليه الصلاة والسلام:

((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

أنا أسألكم سؤالاً: هل هناك حالة، يجوز أن تعطي فيها الزكاة لإنسان قوي قادر على العمل؟ أجيبي... الزكاة التي هي للفقراء.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تجوز الزكاة أو الصدقة لغني، ولا لذي مرة قوي))

ممنوع أن تعطي الزكاة لإنسانين؛ إنسان قوي قادر على أن يكسب رزقه، وإنسان غني. هل هناك حالة يجوز أن نعطي الزكاة لإنسان قوي قادر على الكسب؟ ما هي؟ عزيز قوم ذل، معقول أن أقول لواحد كان عنده شركة ضخمة: أخي اعمل عتالاً، لا، الإسلام كريم، بل نعطيه من زكاة المال، نحفظ له ماء وجهه، نحفظ له مكانته، هو قوي، عمره اثنان وأربعون سنة، قوي البنية، لكنه كان يدير أضخم شركة، والشركة فلست، نقول له: اجلس في بيتك، وكل واشرب من بيت مال المسلمين، ونحن لا نضعك في الوحل، ولا نحرجك أمام الناس أبداً.

سؤال ورد :

البارحة جاني سؤال: أن إنساناً يدير شركة وخرج عشرات -أصحاب الأعمال- والآن فلس، فأهله ومن حوله، يدعونه إلى العمل، عند هؤلاء الذين خرجهم، ليشتغل عندهم صانعاً، هو يأبى، أقرباؤه الموسرون يأبون أن يعطوه شيئاً وهم خاطئون، يجب أن يعطوه ولو من مال الزكاة ما يحفظ له ماء وجهه، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أكرموا عزيز قوم ذل.

-أنت، لما يكون هناك إنسان له مكانة وتحترمه، يعني أقول لكم هذه الكلمة: إنسان قد يكون بمنصب معين، ثم نحي عن هذا المنصب، يكون بحساسية بالغة جداً، فإن أردت الكمال، عامله بعد أن أزيح عن منصبه، كما لو

كان في منصبه، هذا كمال بالإنسان.

إنسان كان له منصب، كان له شأن، أزيح، أنت عامله بمكانته السابقة، تستهوي قلبه، تملك فؤاده، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:-

أكرموا عزيز قوم ذل..

قصة من التاريخ :

-يقولون: أن أحد أكبر ملوك إسبانيا -الأندلس- اسمه ابن عباد، يعني ملك متألق، وقصور، وخدم، وحشم، وعز، وسلطان، كان يتمشى في حديقة قصره، فرأى بركة ماء، وقد هب عليها النسيم، فرسم عليها زرداً كالسلسلة أو كالدرع، وكان شاعراً وقال:

نسج الريح على الماء زرد

أراد أن يتمم فما تمكن، فإذا فتاة خلفه تقول:

يا له درعاً حصيناً لو جمد

فالتقت فإذا هي جارية من أجمل الجواري فتزوجها، وصارت زوجة له، بعد أن تمكنت وصارت السيدة الأولى، حنت إلى حياة الفقر، حياة الطين، حياة التعب، طلبت منه أن تدوس في الطين، فجاء بالكافور وماء الورد ومزجهما، وقال: هذا هو الطين، ثم جاء ابن تاشفين من شمالي أفريقيا، وقضى على ملوك الطوائف، ووضعها في السجن، وهذه الزوجة استاءت، وأصبحت زوجة فقيرة، أولادها جياع، فنظم قصيدة.

الحقيقة: إذا الإنسان قرأها فلا يملك إلا أن يبكي، كيف كانت بناته منعمات في القصر، يرتدين أجمل الثياب، ثم كيف صرن جائعات عاريات، ثم أن هذه الزوجة كأنها لم تطأ مسكاً أو كافوراً؟ لذلك في أثناء المشاحنات، الزوجة غير الوفية، ما دام زوجها غنياً تحبه كثيراً، فإذا افتقر فجأة تعرض عنه، وقد تقول له ما رأيت منك خيراً قط؛ لذلك النبي الكريم قال عن النساء اللواتي لم يعرفن الله:

((يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم، ومالك في الموطأ]

فهذه زوجة ابن عباد، قالت له: ما رأيت منك خيراً قط، قال: ولا يوم الطين، يوم مزجت لك المسك والكافور، وخضي فيه، فاستحيا، فالله عز وجل إذا أعطى أدهش، وإذا سلب أدهش، من ملك يرفل بأثواب العز، إلى إنسان سجين، وزوجته، وبناته جائعات عاريات-:

ارحموا عزيز قوم ذل.

الله إذا أعطى أدهش وإذا سلب أدهش :

-رأيت إنسان في عليه مبلغ من المال، ذهبت إلى دكانه في أطراف المدينة، رأيته ينام على طاولة التفصيل، ويأكل علة السردين بلا صحن، من العلة مباشرة، حدثني عن بيته السابق؛ بيت ألف متر، وعن الموظفين في البيت، موظف حدائق، طباح، عن سيارته، عن دخله، عن مكانته، قصة طويلة جداً، الله عز وجل سلب منه كل شيء، وجعله ينقب في القمامة، يذهب إلى سوق الهال -في القمامة- مكبوب سبانخ، سلق، يأخذها إلى البيت ليطبخها ويأكلها، لذلك: أنا من الأدعية التي أرددها كثيراً:

((اللهم إنا نعوذ من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء))

شخص أدبه الله :

مرة زرت إنساناً في عين الفيحة؛ غرفة قميئة على النهر، في أيام الشتاء القارص، لا يوجد عنده مدفأة، كدنا نموت من البرد، خلال ربع ساعة، قلت له: أليس عندك تدفئة؟ قال: والله لا أملك ثمن الوقود، ماذا كنت تعمل؟ قال لي: عندي كان معمل، حوالي ثمانين عاملة، معمل تريكو، لي بيت كان بالقصور، سيارة، أعجبتني إحدى العاملات، وتزوجها -غير مسلمة- أسلمت من أجله، فلما شبع منها طلقها، تزوج ثانية، ثالثة، ثم جاء التأديب الإلهي، تقول له: أنا أسلمت من أجلك: لم تطلقني؟ أنا خسرت أهلي كلهم من أجلك: طلقها، ولم يعبأ بها:

((الظلم ظلمات يوم القيامة))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

لذلك-: أكرموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالمأ ضاع بين الجهال))

زارني على جامع الطاوسية إنسان، كدت أبكي من أجله، قال لي: أنا عندي أربعمئة دونم حول القنيطرة، كان مختار القرية، قال لي: كل يوم ذبيحة، عنده مضافة، أي إنسان دخل بيته، يأكل من هذا الطعام الطيب، مكانة وعزة، لماذا جاءني؟ يبحث عن عمل؛ ناطور بناية، أربعمئة دونم ذهبت منه، وافقر، وعمره خمس وسبعون سنة، يبحث عن ثلاث آلاف ليرة بالشهر، أنا سعيت له، وحصل له ما أراد؛ لكن ناطور بناية، ثلاث آلاف ليرة بالشهر! أربعمئة دونم عنده، حول القنيطرة، كان مختار لقرية، فدائماً كن أديباً مع الله.

((يا عَائِشَةُ، أَكْرِمِي جِوَارِ نِعَمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا نَفَرَتْ قَلِمَا تَعُودُ))

تأدب.

وتلك الأيام نداولها بين الناس :

اليوم ذكرت بالطاوسية، أن إنساناً يجلس مع زوجته، طرق الباب، قامت الزوجة لتفتح الباب، تأكل مع زوجها دجاجاً، همت أن تعطيه قطعة دجاج ليأكلها هذا الفقير، فنهرا زوجها، وقال: اطرديه، فطرده، مضت الأيام والسنون، وساءت العلاقة بينها وبين زوجها، حتى انتهى الزواج إلى الطلاق، ثم جاءها من يخطبها ويكرمها، وبينما هي مع زوجها الثاني، تأكل دجاجاً، طرق الباب، فإذا هي مضطربة، قال: من الطارق؟ قالت: سائل، قال: لماذا اضطربت؟ قالت: لا شيء، قال: قولي، قالت: أتدري من هو السائل؟ إنه زوجي الأول، قال: أتدري من أنا؟ أنا السائل الأول.

الله يعطي ويمنع، كن أديباً.

هذا الذي حصل في الخليج :

حدثني اليوم إنسان، كان بالخليج، عزم عليه القوم، أقسم لي بالله: حوالي اثنا عشر رجلاً من الأشداء الأقوياء، يحملون طبق الطعام، طبق كبير جداً، فيه قطع من الجمل، وخروف بالقمة، المدعوون عشرة أشخاص، هذا الطبق يطعم ألف إنسان، أقسم لي بالله: رائحة السمن لخمسين متر فائحة، سمن بلدي، رز، وجمل، وخروف، اثنا عشر شخصاً شديداً يحملونه، المدعوون عشر أشخاص، بعد أن انتهى الطعام، رجل شاهد بعينه كان مدعواً، جاء الخادم ليغسل أيدي الضيوف، بدأ بالأمير الضيف، فغسل يديه فوق الطعام، وقذف من فمه ومن أنفه - هذا الضيف من دمشق، كاد يخرج من جلده-، قال له: يا سيدي، أليس عندكم من يأكل هذا الطعام؟! قال: لا يجوز

أن يأكل أحد بعدي - هذا تقليد عندهم، لعنة الله على هذا التقليد - فغسل يديه، واستنثر، وبصق على هذا الطعام، الذي يشبع ألف إنسان جائع.

((يا عَائِشَةُ، أَكْرِمِي جِوَارِ نَعْمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا نَفَرَتْ قَلِمَا تَعُودُ))

لذلك: سلط الله عليهم من يأخذ ما في أيديهم؛ هذا الذي حصل.

((أكرموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجهال))

أنت على ثغرة من ثغر هذا الدين فلا يؤتین من قبلك :

أيها الأخوة، الإنسان أحياناً يحترم عالماً، لا لأنه فلان، لأنه يرتدي زي العلم، أنت توقر العلم، توقر الدين.

أنا عملت بالتدريس سنوات طويلة، التقيت بمدرس تربية إسلامية، فن ثانوية مجاورة لثانويتي، يرتدي الجبة والعمامة، كنت أركبه السيارة، وأوصله إلى باب الثانوية كل يوم إكراماً له، أنا حينما أحترم زياً إسلامياً، أنا أحترم الدين.

أنت على ثغرة من ثغر هذا الدين، فلا يؤتین من قبلك.

كل مسلم سفير المسلمين، يجب أن تظهر بمظهر جيد، يجب أن تكون يدك هي العليا، يجب أن تكون في موضع احترام للناس، وإلا هناك من يستصغر الدين، حينما تهون عليك نفسك.

راح المشايخ على المساوية، ضيفوهم موز، واحد أكل موزة، وبقي الثاني وضعها بجانبه، وانتهت المساوية وقرؤوا القرآن، وختموا وأنشدوا، لقد نسينا الموزة، رجع بعد ساعة، دق الباب: بالله أعطونا الموزة، قال له: يا هذا، لقد ضاع من نفسك أكثر مما ضاع منك.

لا تضع نفسك في مكان لا يليق بك يا حامل القرآن :

في إنسان نفسه عزيزة، في إنسان - مرة لا أنسى هذا المنظر بحياتي - توفى لنا صديق، وذهبنا لتسيير المعاملة، وصلنا إلى مكان، لحقوا بنا إلى السيارة حوالي خمسين قارئاً: أنا أستاذ، أنا أستاذ، أنا أقرأ جيداً، أنت حامل قرآن كريم، أنت يجب أن تصون نفسك، الله هو الرزاق، ما أعجبني أبداً هذا التهافت من القراء على أصحاب هذه المناسبات، حامل القرآن إنسان عظيم عند الله.

((من أوتي القرآن، فظن أن أحداً أوتي خيراً منه، فقد حقر ما عظمه الله عز وجل))

دعوة استجاب الله لها :

فيا أيها الأخوة؛ أن تعزوا عزيز قوم ذل، وغنياً قوم افتقر، وعالماً ضاع بين الجهال.

إنسان جاهل أحياناً، يروق له أن يهين امرأة محجبة، أنت لا تبقى ساكناً، دافع عنها، قال لي: دخلت إلى صيدلية، فامرأة محجبة مسنة، جالبة معها وصفة، صيدلانية فاسقة فاجرة، نقص لها ليرتين: اذهبي واجلبيهن، واقف شخص قال لها: خذيهن مني، قالت له: ليس أمرك، قال لها: بل أمري، بعمر والدتك، هذا المبلغ، دعت له هذه المرأة.

قال: ثاني يوم سافرنا بالبادية بمهمة بالمساحة، قال لي: السيارة فارت وليس معنا ماء، وأيقنا بالهلاك، قال لي: دعوت الله عز وجل إن كنت أكرمت هذه المرأة المحجبة في الصيدلية لوجهك الكريم، فأنقذنا الآن، والله أنقذهم من الموت المحقق.

فإذا إنسان رأى إنساناً، يرتدي زياً إسلامياً، احترمه، دعه يشعر أنه معزز مكرم، امرأة محجبة، احترمها، إذا إنسان من طلاب العلم لا تهنه، في أشخاص إذا خطأ خطأ طالب علم، يريد أن يمسح به الأرض، لا هذا طالب علم.

((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع))

((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَرِيدُ بِهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ))

إذاً: درسنا اليوم ثلاثة أشخاص:

((أكرموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً ضاع بين الجهال))

أكرم الذي كان عزيزاً لعله يلتفت على الله، وأكرم الذي كان غنياً لعله يلتفت على الله، وأكرم إنساناً كان طالب علم جالس بين الجهال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-53} : الحياء

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-09-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

ما الفرق بين حالة الخجل وحالة الحياء؟ :

أيها الأخوة الكرام، هناك حالة اسمها الخجل، وهناك حالة اسمها الحياء؛ الحياء فضيلة، والخجل نقیصة، أحاديث كثيرة جداً تتحدث عن الحياء، وكيف أنه قرن بالإيمان، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر.

من علامة الإيمان: الحياء، والحياء يدل على الإيمان، الحياء أن تستحيي من معصية، أن تستحيي من نقیصة، أن تستحيي من أكل مال الآخرين، أما الخجل: أن لا تستطيع أن تطالب بحقك، ألا تبوح بسرك.

ما معنى -حق ثقاته- في هذه الآية؟ :

أيها الأخوة الكرام، من أجمع الأحاديث الشريفة في هذا الموضوع، قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اسْتَحْيُوا مَنْ اللَّهَ حَقَّ الْحَيَاءِ، مَنْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ؛ فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حقَّ الحياء))

في كتاب الله عز وجل وردت كلمة حق في عدة آيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 102]

قال العلماء: حق ثقاته؛ أن تطيعه فلا تعصيه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تذكره فلا تنساه.

متى يؤدي العبد حق أمانة العينين؟ :

أيها الأخوة، الإنسان يستحي من الله، لكن قد يستحي من الله، ليس الحياء الحق الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام:

((استحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قُيْلَ: وما حق الحياء يا رسولَ الله؟ قال: أن تحفظ الرأس وما وعى:
-في هذا الرأس عينان؛ فمن أطلقهما ليتعرف على آيات الله في الآفاق وفي النفس، فقد استعملهما وفق ما
أراد الله عز وجل، أما إذا أطلق العينين في العورات، ونظر إلى ما حرم الله، قال عليه الصلاة والسلام:

((ومن ملأ عينيه من الحرام، ملأهما الله من جمر جهنم ناراً))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

وغض البصر مدرسة، والإنسان يؤخذ من نقطتين؛ من نقطة النساء ونقطة المال، فإذا حصنت نفسك من النساء بغض البصر، ومن المال بالعفة، فقد استطعت أن تنجو من أي فساد.

استحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى:

-هذه العين ينبغي أن تبكي في الله، ينبغي أن تحرس في سبيل الله، ينبغي أن تنظر إلى آلاء الله، ينبغي أن تكون نافذة لك إلى الكون، إلى مخلوقات الله، أما إذا استخدمتها في المعصية، فالعين نفسها ترقى بك وتهوي بك، إن نظرت إلى العورات.

قصة :

أنا أعرف رجلاً، في الصيف له هواية؛ بيته في المزة، ينتقل إلى طريق الصالحية، يتجول في الطريق مرتين أو ثلاث مرات، يملأ عينيه من الحسنات، ولا يفعل شيئاً، بعد حين أصيب بمرض نادر، اسمه ارتخاء الجفون، أجهانه هكذا ... لا يستطيع أن يرى إلا إن يمسك الجفن بيديه ويرفعه ليرى الشيء، الله عز وجل في الأعم الأغلب: يجعل العقاب من جنس الذنب، كي يعرف الإنسان أن هذا جزء هذا الذنب، لأن الله عز وجل قال:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

[سورة الحديد الآية: 22]

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغاين الآية: 11]

يعني: إذا آمن أن الله ما يفعل بعذابنا إن شكرنا أو آمننا، يهدي قلبه إلى سر المصيبة؛ إما أن يلقي في روعه أن هذه المصيبة من أجل كذا، وإما أن تأتي المصيبة متناسبة مع الذنب، فمن أطلق بصره في الحرام، لا يدري ماذا سيكون في عينيه في المستقبل، العبرة ليست في شباب الإنسان، بل في خريف العمر، خريف العمر متعلق بشباب الإنسان، كيف أمضيت هذا الشباب؟ كيف استعملت الجوارح؟.

ما معنى أن تستحيي من الله حق الحياء؟ :

أيها الأخوة، فإن تستحيا من الله حق الحياء أي: أن تحفظ الرأس وما وعى، في الرأس عينان؛ يجب أن تغضهما عن محارم الله، في الرأس أذنان؛ ينبغي ألا تستمع بهما إلا إلى الحق؛ لا إلى الكذب، ولا إلى الغيبة، ولا إلى الفجور، ولا إلى البهتان، ولا إلى القصاص المكشوفة، ولا إلى المزاح الرخيص، هذه الأذن ينبغي أن تصغي إليها إلى الحق.

في الرأس فم ولسان:

((أو نؤاخذ بما نقول؟ قال: ويحك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصاد ألسنتهم؟))

إذا إنسان ضبط عينه، وضبط أذنه، وضبط لسانه؛ فقد قطع مرحلة كبيرة جداً، إذا ضبط عينه من أن تملأ من الحرام، وضبط أذنه من أن يستمع إلى ما لا يرضي الله؛ من غناء، أو غيبة، أو نميمة، أو فحش، أو ما شاكل ذلك، وضبط لسانه بحيث لا ينطق إلا بالحق:

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه أحمد في مسنده]

فضبط اللسان جزء من الدين، وضبط العين، وضبط الأذن.

الآن الخواطر؛ في دماغ، والدماغ فيه خيالات، تصورات، خواطر، واردات، فمن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم من كل خاطر، ووسواس، وفكر لا يرضي الله عز وجل؛ فقد استحيا من الله حق الحياء؛ حفظ سمعه، وحفظ بصره، وحفظ لسانه، وحفظ تفكيره وعقله، حديث جامع مانع-.

ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام: (وليحفظ البطن وما حوى)؟

فليحفظ الرأس وما وعى، و ليحفظ البطن وما حوى.

-ماذا يدخل إلى هذا البطن؟ هل يدخل طعام اشتريته بمال حرام؟ ما معنى قول النبي الكريم:

((يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

لعلك تفهم من أظب مطعمك: أن يكون الطعام طيباً؟ لا .. أن يكون الطعام قد اشتريته بمال حلال، والمال الحلال: هو المال الذي كسبته بطريق مشروع؛ لا يوجد فيه غش، ولا يوجد فيه كذب، ولا يوجد فيه احتيال، ولا يوجد فيه احتكار، ولا يوجد فيه استغلال، ولا يوجد فيه إيهام، ولا يوجد فيه ضغط، ولا يوجد فيه شراء من بائع مضطر، إذا كان شراؤك وبيعك حلالاً كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إن أظيب الكسب كسب التجار؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يظلو))

حديث جامع مانع.

هذا ضبط الرأس عما حرمه الله :

هذا الرأس؛ دماغ، عينان، أذنان، لسان، فإذا طهرت دماغك من الخواطر الشيطانية والوسواس، وإذا طهرت عينك من أن تنظر إلى الحرام، وإذا طهرت أذنك من أن تستمع إلى ما لا يرضي الله عز وجل، وإذا طهرت لسانك من معاصي اللسان وما أكثرها؛ من غيبة، ونميمة، وكذب، واقتراء، وإفك، وسخرية، وتقليد، ومحاكاة، و

كذب، وتدليس، وإذا ظهرت الدماغ والعين والأذن واللسان؛ فقد ضمننت القسم الأعلى.

بم يتصف المؤمن، ومتى تسقط عدالة الإنسان في الشريعة الإسلامية؟

أيها الأخوة، أما البطن: فقد ورد في كتب الفقه: أن هناك أشياء تسقط العدالة، الإنسان له صفتان؛ صفة الضبط وصفة العدالة، الضبط صفة عقلية، والعدالة صفة نفسية، المؤمن ضبط عدل، فالعدالة تسقط متى؟.

((من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم؛ فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته))

فإذا كذب الإنسان سقطت عدالته، ولا تقبل شهادته، إذا ظلم الإنسان سقطت عدالته ولا تقبل شهادته، إذا وعد وأخلف سقطت عدالته، ولا تقبل شهادته، إلا أن هناك أشياء لا تسقط العدالة، لكنها تجرحها؛ ممكن أن تأتي بإبريق بللور وتأتي بمطرقة، تجعله طحيناً هذا سقوط العدالة، وقد تأتي بإبريق فيصاب بشعر -صار نخباً ثانياً-، كان ثمنه ألفاً، صار ثمنه خمسة، لكن لم يكسر نهائياً، يستعمل أحياناً استعمالاً خفيفاً، هذا جرح عدالته. يجرح العدالة أن تأكل في الطريق، يجرح العدالة أن تبول في الطريق، يجرح العدالة أن تمشي حافياً، يجرح العدالة أن تنتزه في الطرقات، يجرح العدالة أن تتحدث عن النساء، يجرح العدالة أن تطف بتمرة، يجرح العدالة أن تأكل لقمة من حرام، -ذقت هذا اللبن دون أن تنوي شراء اللبن، فهذه لقمة من حرام- يجرح العدالة أن تطلق لفرسك العنان -السرعة الزائدة-، يجرح العدالة أن تركب برذوناً -يعني حيوان مخيف، كلب عقور-، يجرح العدالة أن يعلو صوتك في البيت، هذه تجرح العدالة-.

احفظ بطنك عن أكل مال الحرام :

فاستحيوا من الله حق الحياء، قالوا وما حق الحياء؟ قال: أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن وما حوى.

-زرت صديقي في العيد -والده حي يرزق- فدخل والده، قال لي: أنا عمري ستة وتسعون عاماً، وأجريت قبل يومين تحليلاً شاملاً، فلم يكن في دمي شيء غير طبيعي، كله طبيعي، ثم أقسم هذا الرجل أنه لم يأكل في حياته درهماً واحداً حراماً، ولا يعرف الحرام، إذاً: الله عز وجل حفظه.

أن تحفظ البطن وما حوى؛ ألا تأكل حراماً، أي ألا تكسب حراماً، أي ألا تستخدم طريقة لكسب المال غير صحيحة، إذا واحد تجارته أساسها الغش، أساسها الغش، أساسها التزوير، أساسها الكذب، أساسها الأيمان

الكاذبة، أساسها أن يأتي ببضاعة من مصدر، ويعطيها غلاف أو ماركة من مصدر آخر، قماش تاواني، عليه حاشية made in France غال غال جداً، مكتوب made in France حاشية، هذه حاشية بالمكواة موضوعة، هذا غش، هذا يعني أن الربح صار مالياً حراماً، يعني أن الأكل أصبح أكلاً خبيثاً، إذاً الدعاء غير مستجاب، شيء كبير جداً.

هذا الذي يحصل في سوق المسلمين اليوم ليس كذلك؟ :

أيها الأخوة، لماذا؟

((المرأة إذا صلت خمستها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت نفسها، دخلت جنة ربها))

المرأة دينها سهل، أما الرجل لديه أكثر من مئتي معصية في البيع والشراء، مئتا معصية، أحدها الحلف الكاذب:

((اليمين الفاجرة منقعة للسلعة، ممحقة للكسب))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

رأساً: بالأمانة، وبديني، وبإسلامي، والله وكيلك لا يوجد ربح، رأس مالها أكثر، كلام كاذب غير صحيح.

يا أخي، في الصلاة لا أحس بشيء! طبعاً، لأن الطريق مسدود، لن تشعر بشيء لأن هناك أيمن كاذبة.

شيء آخر؛ تطري وتثني على هذه البضاعة بما ليس فيها؛ أفضل نوع، أحسن من هكذا لا يوجد، ألبس منه، يعني إن كنت أنت أحببت أن تروج هذا القماش، فصنعت منه بنطالاً، فهل ارتداء هذا البنطال يعني أن القماش جيد؟!.

دخل دلال لبييع بيتاً، البيت شمالي، في الليل، والزبون راهن، قال له: أريد أن أصلي العشاء، أخذ سجادة ليصلي نحو الشمال، فاطمأن الجماعة - هذا يعني أن البيت قبلي، جميع النوافذ هكذا - صلى باتجاه الشمال، أي أن البيت قبلياً، اشتروه فوجدوه في اليوم التالي أنه شمالي، يعني الغش متفشي، لا يوجد بركة، لا يوجد ربح، لا يوجد سرور -.

وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى))

الموت والبلى؛ الموت يعني ردع، الإنسان الغبي يعيش الماضي دائماً، يتغنى بأجداده، قال:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

والإنسان الأقل ذكاء يعيش حاضره، أما الإنسان الذكي جداً، يعيش مستقبله، فالمستقبل حياة الإنسان، ما أخطر حدث فيه؟ الموت، مصير كل حي، هل يستطيع شخص من الحاضرين أن يقول: أنا لن أموت؟. لي صديق - هو صديق أخي - مدرس ذكي، رشيقي القوام، نحيل الجسم، بيته متوازن، أكله قليل، حركته كثيرة، لا يحمل همماً، لا يدخن، جالس بجلسة في سهرة مع أصدقائه، قال لهم بالحرف الواحد: أنا موتي بعيد جداً، قيل له: لماذا؟ قال: لأن طعامي قليل، وأنا أمشي، ورياضي، وأنا لا أدخن، ولا أحمل هموماً إطلاقاً، هذا الكلام قاله يوم السبت مساءً، في السبت القادم كان تحت الأرض، فالغبي يعيش الماضي، الأقل ذكاء يعيش الحاضر، أما الذكي العاقل يعيش المستقبل، إذاً: أخطر حدث في هذا المستقبل: الموت؛ الموت ينقلك من المالكي إلى باب الصغير، من منزل سبعمئة متر، سعره مئة وخمسون مليوناً إلى حفرة بباب الصغير لها فتحات على الجردان، نقلة مخيفة، مخيفة جداً، هذا واقع، واقروا النعوات كلها، وسيشيع إلى مثواه الأخير، يعني أن المثوى الحالي مؤقت؛ مهما اعتنيت بالبيت، مهما زينته، مهما زخرفته، مهما وسعته، جعلته مطلاً على منظر جميل، مهما هيأت له التكيف والتدفئة، هيأت له الأساس الفاخر، مثوى مؤقت.

وليذكر الموت والبلى، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أكثرُوا نكرَ هادم اللذات، أكثرُوا نكرَ هادم اللذات، مفرق الأحاب، مشتت الجماعات، عش ما شئت فإنك

ميت، وأحبب من شئت فإنكم مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

هذا حديث يا أخوان من أصول الأحاديث:

((أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى))

اضمن لي أن تضبط لسانك، وسمعك، وبصرك، ودماغك، وأن تضبط طعامك من حلال، وأن تذكر الموت والبلى كل يوم، فإذا أنت على المنهج المستقيم، على الصراط المستقيم، فإذا أنت مع الصديقين والشهداء والصالحين، فإذا أنت في جنة، فإذا أنت في بحبوحة، فإذا أنت في أمن، فإذا أنت في سرور، فإذا أنت في ثقة، فإذا أنت في سعادة.

اضبط لي لسانك وسمعك وبصرك؛ أما من أغنية لأغنية، ومن قصة لقصة، ومن فحش لفحش، ومن نظر من عورة لعورة، وهذه مثل أختي، وهذه مثل عمتي، وهذه مثل خالتي، نحن لا يوجد تكلفة بيننا، نحن أهلية محلية، ما هذا الكلام؛ أهذه آية أم حديث؟ أهلية محلية؟! ليست آية ولا حديث، إذا في اختلاط، وفي إطلاق بصر، و في إصغاء للأغاني، ويوجد كذب، وغيبة، ونميمة، و في دخل مشبوه تجسد بطعام حرام.

((قال له: عظني ولا تطل، قال: قل آمنت بالله ثم استقم، فوجدها صعبة، قال: أريد أخف من ذلك، قال: إذا فاستعد للبلاء))

هذا الكلام مختصر مفيد، فإذا حفظنا رؤوسنا وما وعت، وبطوننا وما حوت، وذكرنا الموت والبلى، فقد استحيينا من الله حق الحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم
أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله
وصحبه وسلم، و الحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-54} : فلسفة البلاء

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-09-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعاً، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتناباً، واجعلنا ممن يستمعون القول؛ فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ما الفرق بين مصائب الأنبياء والمؤمنين وبين مصائب الكافرين؟ :

روى الإمام البخاري عن سيدنا سعد -رضي الله عنه-، أن رسول الله -ﷺ- قال:

((أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ يبلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلب اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة))

هذه فلسفة المصائب للمؤمن.

مصائب الكافر شيء؛ مصائب الكافر ردع أو قصم؛ إن علم الله عز وجل أنه لن يتوب ولن يؤمن قصمه، مصائب الكافر قصم:

﴿وَأُوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

[سورة هود الآية:36]

إن كان في علم الله عز وجل: أن هذا الإنسان لن يتوب قصمه، وإن كان فيه بقية خير: أعطاه فرصة، هذه مصائب الكفار؛ قصم وردع، أما المؤمنون مصائبهم من نوع آخر؛ دفع ورفع، أما مصائب الأنبياء؛ كشف،

الأنبياء يبطلون لتظهر فضائلهم، لتظهر رحمتهم، ليظهر حلمهم، ليظهر عفوهم؛ الأنبياء والمؤمنون يدفعون إلى باب الله، أو يرتقون عند الله، والكفار يقصمون أو يردعون.

إليكم هذا المثال شاهد عيان على الكلام الذي سبق ذكره :

تجد إنساناً يحلف يميناً غموساً، واليمين الغموس لا كفارة لها تخرجه من الدين، أشخاص يحلفون هذه اليمين، فيصابون بالشلل مباشرة، وهم في قاعة المحكمة، وأناس يمهلهم الله عز وجل سنوات وسنوات، الذين قصمهم لا خير فيهم، والذين ردهم لعل فيهم بقية خير، على كل حال؛ الإنسان -الكافر- بين الردع والقسم، والمؤمن بين الدفع والرفع، آيات المؤمن:

﴿وَلْيَبْطُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 155-157]

ما هي المراحل التي يعامل الله بها عباده لتبليغ دعوته؟ :

أيها الأخوة، ذكرتكم كثيراً؛ أن هناك أربع مراحل يعامل فيها الله الإنسان؛ أرقى مرحلة، و أكمل مرحلة: أن يبلغك بالبيان على أنك إنسان لك عقل راجح، ولك إدراك عميق، ولك شعور رقيق، وتحرص على سعادتك، وعلى سلامتك، فيأتي البيان من خلال خطبة، من خلال درس، من خلال كتاب، من خلال صديق، من خلال ناصح، هذه الدعوة البيانية، الدعوة البيانية أكمل استجابة لها: أن تستجيب لله في طاعته:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية: 24]

يعني: في مرض يحتاج إلى أدوية يتناولها عن طريق الفم، فإن حرص المريض على أن يشفي نفسه بهذه الطريقة اللطيفة جداً كان بها، وإلا لا بد من عمل جراحي، فإن لم تجد الدعوة البيانية؛ دخل الإنسان في مرحلة مع الله جديدة: هي مرحلة التأديب التربوي -شدايد- والله ﷻ لأنه عليم حكيم؛ يعرف المنطقة التي تؤلمك، يعرف الجهة التي ترتعد منها فضائلك، فيؤتى الإنسان من نقطة ضعفه.

مثلاً: إنسان قوي وغني، لكن له بنت صغيرة يحبها كثيراً، تمرض، ترتفع حرارتها إلى درجة على وشك الموت، الله

عز وجل طيب، أما دواؤه ناجع، يداوي الإنسان في المكان الذي يحتاجه.

المرحلة الثانية -التأديب التربوي- أكمل ما في هذه المرحلة: أن تتوب إلى الله، لم يتب. دخلت بمرحلة الثالثة: الإكرام الاستدراجي؛ يعطيك الدنيا، يعطيك مالها، يعطيك قوتها، يعطيك حظوظاً كثيرة فيها، أكمل استجابة في هذه المرحلة: أن تشكر الله، فإن لم تستجب لدعوته البيانية، ولم تتب لتأديبه التربوي، ولم تشكر لإكرامه الاستدراجي؛ ما بقي إلا القصم، نرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون جميعاً في علاقتنا مع الله في المرحلة الأولى، أنت صحيح معافى؛ بيتك سليم، زوجتك، أولادك، بناتك، أصهارك، دخلك، عملك، مكانتك، كله جاهز، استجب، لا تدخل مع الله في المرحلة الثانية، ولا تدخل مع الله في المرحلة الثالثة، ولا في الرابعة، كن من أبناء المرحلة الأولى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:24]

لماذا الأنبياء وأمثالهم أشد الناس بلاء من غيرهم؟ :

((أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبلى الرجل على حسب دينه:

-كلما كنت أرقى؛ معناها تتحمل أكثر، معناها تصبر أكثر، معناها تفهم على الله أكثر.

جاء في الأثر:

((إذا أحب الله عبده ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن شكر اقتناه))

إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة؛ إذا أحب الله عبده جعل له واعظاً من نفسه، إذا أحب الله عبده عاتبه في منامه، إذا أحب الله عبده جعل حوائج الناس إليه، هذا الذي يطرق بابه ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، في الطريق، وفي المحل، وفي البيت، الناس يقصدونه من كل فج عميق؛ لا ينبغي أن يتضجر، لأن:

((الله تعالى ﷻ رجالاً اختصهم بمنافع العباد، يقرهم على النعم التي أعطاهم إياها ما بذلوا، فإن منعوها، سلبها منهم وحولها إلى غيرهم))

إذا أنت عميد أسرة؛ مرة ابن أخيك، مرة ابن أخيك الثاني، مرة أخوك الأصغر، مرة ابن ابنك، هذا سألك؛ لا

تضجر, الله يحبك.

جاء في الأثر:

((إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه))

أسر عريقة من دمشق يفتخر بها الإسلام وأهله :

أنا أعرف أسراً عريقة في هذه البلدة الطيبة, ما من شاب يعرفهم إلا زوجوه، وأكرموه، وهبوا له عملاً، يمكن أن أعطيك مقياساً لطيفاً، ما الذي يسعدك أن تأخذ أم أن تعطي؟ إن كان الذي يسعدك أن تأخذ فأنت من أهل الدنيا، وإن كان الذي يسعدك أن تعطي فأنت من أهل الآخرة.

صدقوا: سعادة المؤمن بالعاء، تفوق آلاف المرات سعادته بالأخذ، يعني إذا ارتسمت بسمة على شفاه أيتام؛ لأنك مددت لهم بيد المساعدة، إنسان هيأت له عملاً جراحياً لا يملك ثمنه، إنسان أصلحت بينه وبين زوجته، يتيم ربيته، فقير أعنته، مريض أعنته على أن يشفي نفسه؛ هذه الأعمال الطيبة لا تكون إلا لمن يحبهم الله عز وجل.

طوبى لمن قدرت على يده الخير, والويل لمن قدرت على يده الشر :

أيها الأخوة, جاء في الأثر:

((يا عبادي, الخير بيدي والشر بيدي؛ فطوبى لمن قدرت على يده الخير، والويل لمن قدرت على يده الشر))

إما أن تكون أداة خير يكرم الله بك الناس، أو أداة شر والعياذ بالله.

أحياناً الإنسان يقع في دورة المياه حاجة ثمينة؛ ماذا يفعل؟ يأتي بملقط بيد الله، يستخدمه الله بأقدر العمليات, يريد أن يؤدب إنساناً, يسلط عليه إنساناً شريراً قلبه كالصخر، هذا أداة بيد الله لتأديب العباد:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا﴾

[سورة القصص الآية:4]

الآية تقول:

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

[سورة القصص الآية: 5]

لذلك جزء من دينك، جزء من إيمانك: أن تفهم على الله فلسفة المصيبة-

كن إنساناً مقدساً ولا تكن كغيره :

أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبئلى الرجل على حسب دينه.

-يعني: إذا واحد اشتكى لك أنه هو طالب دكتوراه؛ والدكتور المشرف صعب جداً، وكتب ثمانمئة صفحة، فقال له: أعدهم، وأريد وثائقاً أدق، وأريد أدلة أقوى، وأريد مراجعة أكثر، وأريد إطلاعاً أكثر، وأريد اتصالات مع أشخاص أكثر، والأسلوب فيه ضعف، أعد لي الأسلوب، وحسن كذا ... بعد عمل سنتين جعله يعيد العمل كله، اشتكى لك همه، قال لك واحد جالس: أنا ما عندي ولا مشكلة، -طبعاً أمي، لا يقرأ ولا يكتب-، أنام للظهر، أستيقظ الظهر، أتناول الطعام، أعود أنام مرة ثانية، أسهر عشاء، أنا ما عندي مشكلة، نقول له: أنت خارج القوس أنت كله، أنت ليس لك علاقة بالموضوع إطلاقاً، هذا سيأخذ دكتوراه بعد جمعة، سوف يصير عالماً، فهذه المرتبة التي طمح إليها: تحتاج هذا الجهد، وهذا التعب، وهذا القلق، وهذا الحزن، وهذا الخوف، أما أنت إنسان لا قيمة لك إطلاقاً، الأبله مرتاح ما عنده مشكلة:

ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ففي هموم مقدسة؛ فالذي ليس لديه همماً مقدساً، هذا حياته قريبة للبهيمة.

انظر إلى منطلق العصر في عهد عمر بن الخطاب وبين منطلق عصرنا:

أيها الأخوة، أساساً أحد الشعراء في عهد سيدنا عمر، هجا رجلاً، النقاد قالوا: هذا أهجى بيت قالته العرب -ما سبه أبداً-، قال له:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أنت كل، واشرب، ونم، وارتح، واعمل نزهاً، واعمل ولائم، كفى، لا ينقصك شيئاً:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

هذا أهجى بيت قالته العرب، وقد دخل الشاعر السجن في عهد سيدنا عمر، أما الآن: قد يكون هذا البيت شعار أي إنسان، ما ينقصك؟ ما يهكم من وضع الناس؟ ما دام عندك دخل كبير، عندك كل وسائل الراحة، على الدنيا السلام، هذا منطق هذا العصر.

يعني هكذا من الطرف؛ أن محكمة العدل قبل عشرين سنة، من اجتهاداتها: أن الفعل المنافي للحشمة الذي يستوجب السجن: أن ترتدي المرأة بنظاً فقط، ويمكن كان فضفاضاً، كان عريضاً، ومع ذلك: هذا الفعل في القانون الوضعي، من اجتهادات محكمة النقد: أنه فعل مناف للحشمة يستوجب العقاب والسجن.-

انظر إلى حكمة الله في عباده :

أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبئلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلب اشتد بلاؤه.

-الألماس لماذا هو غالٍ؟ أنا رأيت ألماسة في استانبول ثمنها مئة وخمسين مليون دولاراً، بالمتحف المشهور توبي كابي، مئة وخمسين مليوناً، الألماس ما أصله؟ فحم، إذاً: أحضر فحمة بحجم الألماسة، ما ثمنها بسوق الفحم؟ بياع الفحم قل له: أعطني واحدة كبيرة فحلة، أعطاك واحدة هكذا، ما ثمنها؟ قرشان، ثلاثة، أما تلك فثمنها خمسون مليوناً؛ ما الفرق بين هذه وتلك؟ هذه أصلها فحم، الألماس أصله فحم، فحم عادي لكن اشتد الضغط عليه، واشتدت حرارته، الضغط والحرارة، فإذا واحد انضغط فلا يحزن، الله عز وجل يؤديه، يربيه، يطوره، إلى أن يصبح كالألماس، فإن كان في دينه صلابة: اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة: ابتلي على قدر دينه، يعني الله عز وجل حكيم، لو أنه ابتلى إنساناً دينه رقيق ابتلاء شديداً كفر، فرينا عز وجل -انظر إلى الإنسان النجار الماهر، وهو يشد البرغي؛ يعرف متى يقف، لو شد زيادة ينحل، فالحكمة أن تقف في الوقت المناسب-، فرينا عز وجل يشتد على عباده أحياناً، يشدد عليهم لكن هو حكيم؛ يعلم بدقة متى ينبغي أن يريح العبد؟ لذلك ورد عن رسول الله -ﷺ-:

((إن الصالحين يشدد عليهم))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدرکه]

واحد مرتدٍ ثوباً أصله أزرق، من الاستعمال في الميكانيك؛ الوحل، والزفت، والزيت، صار أسوداً، لو رششته بليتر حبر: ما في مشكلة، أما الذي يرتدي ثوباً أبيضاً ناصعاً؛ لو نقطة كرأس الدبوس تظهر عليه، فالإنسان إذا ثوبه نظيف، يحاسب على أدق الهفوات، وإن كان بعيد جداً عن الله عز وجل:

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

[سورة القصص الآية:78]

واحد محكوم بالإعدام، ظهر أن عليه مخالفة سير؛ يسامحونه فيها، ما في مشكلة، وهو في طريقه ليشنق، لا ينظر إلى مخالفاته للسير، سيشنق لأنه:

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

[سورة القصص الآية:78]

لا يسألون؛ لأنهم استوجبوا جهنم، فهذه الذنوب التي ارتكبوها، لا يحاسبون عليها إطلاقاً!!!-.

ألا يستحق هذا الرب أن يشكر؟ :

((وإن كان في دينه رقّة، ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة))

جاء في الأثر:

((وعزتي وجلالي؛ لا أقبض عيدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه، إلا وقد ابتليه بكل سيئة كان قد عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في ماله، أو مصيبة في نفسه أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء؛ شددت عليه سكرات الموت، حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

يعني: إذا واحد من أخواننا الحاضرين وأنا معكم وصلنا للقبر وقد غفر لنا، هذا مكسب عظيم، ومهما سبق لنا من شدائد، هذه لصالحنا، الإنسان يسأل الله المغفرة.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-55} : أحاديث شريفة تبدأ بحرف (الألف)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-09-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعاً، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتناباً، واجعلنا ممن يستمعون القول؛ فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من أشد الناس حسرة يوم القيامة؟ :

أيها الأخوة المؤمنون:

((أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه))

أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه:

يعني إذا كان في بلدة فيها مجالس علم، وفيها علماء، وفيها دروس، وفيها مؤلفات، ومتاح لك أن تقيم شعائر الله، متاح لك أن ترتاد المساجد، متاح لك أن تسأل أهل الذكر، إن كنت في بلدة كهذه البلدة، وعزفت عن طلب العلم، وزهدت بالعلم، وزهدت بالدين، والتفت إلى الدنيا، ثم جاء الموت بغتة، فرأيت الذين تبعوا دين الله، هم أعلام في الآخرة وسعداء، وهذا الذي فضل الدنيا على الآخرة، كان من أشقى الأشقياء، عندئذ تكون الحسرة.

((أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه))

لذلك: هناك بعض الأدعية -قرأتها في كتاب قبل حين-، من هذه الأدعية:

اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني.

ما معنى هذا الدعاء :

((اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني))

((أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه))

يعني هو في بلدة فيها علم، فيها علماء، تقام فيها شعائر الله، فيها مساجد، فيها دروس؛ عزف عن طلب العلم، أما الذي طلب العلم، ونقله للآخرين، ولم يطبقه فسعد به الآخرون، وشقي هو به، هذا من أندم الناس أيضاً: اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني.

إنسان أنا أعلمه حديثاً، أعلمه آية، أرمي له قصة، أحل له حكماً شرعياً، أعطيه شيئاً ثميناً في الدين؛ فيأخذه بكتا يديه، ويهتم به، ويطبقه، ويرقى إلى الله به، ويسعد به، والذي ألقاه على الناس، كان غافلاً عنه، هذا من أشد الناس حسرة يوم القيامة، بل من أشدهم ندماً.

دعاء يهتز له القلب خوفاً :

والدعاء الثاني:

اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

كم من إنسان خرج عن منهج الله؛ فأدبه الله، فكان قصة، وكان عبرة، وكان حديث الناس، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:44]

فالدعاء الثاني:

اللهم أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

احذر من أن تفعل عملاً يشينك به عند الله :

والدعاء الثالث:

اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك.

يعني: مظهر هكذا مقبول، مظهر فيه ورع، لباس أبيض، سواك، مسبحة، مصحف بالسيارة، وله أعمال من دون ذلك، يفعلها في غيبة الناس، يفعلها إذا خلا بنفسه، يفعلها إذا سافر، يفعلها إذا كان بعيداً عن مرأى الناس، هذا إنسان يتزين للناس بشيء يشينه عند الله.

احذر أن تكون من هؤلاء الناس فتكون من جملة هذا الدعاء :

والدعاء الرابع:

اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك، ألتمس به أحداً سواك.

هناك كلمات حق كثيرة تقال؛ ولكن قد لا يبتغي بها صاحبها وجه الله عز وجل، يبتغي بها شيئاً.

مثال: واحد بإدراكه العميق أن مشكلته لا تحل في المحاكم، القانون ليس في جانبه، في قانون إيجار، المستأجر محمي من الإخلاء ما دام يؤدي الأجرة، وما دام موظفاً، فيأتي صاحب البيت إلى أحد العلماء، فيقول: يا سيدي نحن مؤمنون، نحن مسلمون، نريد شرع الله، هذه كلمة حق، لكن أراد بهذه الكلمة أن يصل إلى بيته لا عن طريق القانون، بل عن طريق الدين، فلو أن أمراً آخر لا يحل عند العلماء يحل في المحاكم، يقول لك: نحن نعيش في بلد حضاري؛ في محاكم، في دولة، فإذا شعر أن قضيته تحل في المحاكم؛ حكم المحاكم، وإذا شعر أن قضيته تحل في الشرع؛ حكم الشرع، هو في الحالتين يبحث عن مصلحته، ولا ينتمي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

((أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه، ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه من دونه))

هذه مشكلة كبيرة أيها الأخوة:

((فربّ مبلّغ أوعى من سامع))

[أخرجه الترمذي في سننه]

كم من إنسان يقنع إنساناً بالدين، يأتي به إلى المسجد، الذي أتى به يداوم، ويستعيد، ويستقيم، ويرتقي، ويسمو، ويكبر شأنه الديني، والذي أتى به إلى المسجد انقطع عن الدين، هذا من أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ يكون هو السبب، ثم الذي دله على الحق سبقه إلى الله عز وجل، لذلك قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 26]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية: 61]

((أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه، ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه من دونه))

لو أن إنساناً ذهب إلى بلد غربي؛ المادة طاغية، الحياة عمل مضني، لا يوجد مساجد، لا يوجد دروس علم، لا يوجد روحانية، يشتهي أن يسمع كلمة حق، يشتهي أن يسمع الأذان؛ ليس هناك من سبيل، فإذا كنت في بلد تقام فيه شعائر الله عز وجل، تجد إنساناً يأتي من أقاصي الدنيا ليستمع إلى مجلس علم، وإنساناً بيته إلى جانب المسجد

حدثني رجل كان آتي إلى الشام في رمضان من بلد غربي؛ ركب إلى جانبه في الطائرة إنسان من سويسرا، فلما جاء الطعام في رمضان، طبعاً الأخ الذي حدثني كان مسافراً، ومن حقه أن يفطر، فأكل، هذا الإنسان السويسري، معه قرآن باللغة الأجنبية يقرأ به، رفض أن يأكل، قال له: أنا صائم، قال له: إلى أين أنت ذاهب؟ قال له: إلى الشام، قال له: ماذا في الشام؟ قال له: أريد أن أمضي العشر الأخير في الشام بمساجد دمشق، قال لي: شعرت بصغار؛ أنا مسلم، أنا أخذت بالرخصة وفطرت، وأنا ذاهب إلى بلد لأتاجر، أما هذا ذاهب إلى الشام ليطلب العلم؛ يعني هل يستويان؟:

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: 9]

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة الآية: 18]

﴿أَفَنَجْعُلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[سورة الفلم الآية: 35-36]

يعني: الله عز وجل جعل بخصائص النفس؛ الغيرة، الغيرة صفة حيادية إذا أسيء استخدامها، أصبحت حسداً، إن أحسن استخدامها، أصبحت غبطة، فالإنسان لا يحتمل أن يسبقه إنسان، فإذا كان لا يحتمل أن يسبقه إنسان في أمور الآخرة؛ هذه غبطة، أما إذا كان لا يحتمل أن يسبقه أحد في أمر الدنيا؛ هذا حسد وغيرة، نعم، لذلك: الله عز وجل أشار إلى هذه الناحية في الإنسان، قال:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 26]

هذا هو التنافس الشريف:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية: 61]

﴿فَبَدَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: 58]

نصيحة من نبيك :

((اطلبوا المعروف من رحماء أمتي, تعيشوا في أكنافهم, ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم, فإن اللعنة تنزل عليهم, يا علي, إن الله تعالى خلق المعروف, وخلق له أهلاً, فحبه إليهم, وحب إليهم فعاله, ووجه إليهم طلابه, كما وجه الماء إلى الأرض الجريبة, لتحيا به ويحيا بها أهلها, يا علي, إن أهل المعروف في الدنيا, هم أهل المعروف في الآخرة))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

يعني كأنه في قلبين؛ قلب رحيم موصول، وقلب قاسي مقطوع، إن أردت من إنسان شيئاً؛ فاطلب هذا الشيء من الرحيم لأنه موصول، المقطوع قلبه كالحجر الأصم، لذلك قال تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ نِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر الآية: 22]

يعني الملخص إذا كان للإيمان مؤشر، وللرحمة مؤشر؛ فالمؤشران يتحركان معاً؛ حيثما كان الإيمان كانت الرحمة، وحيثما فقد الإيمان فقد الرحمة، فربنا عز وجل توعدهم القاسية قلوبهم بالعذاب الأليم، والنبي عليه الصلاة والسلام يدعونا أن نطلب المعروف من الرحماء. قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

الحقيقة مهمة جداً: الرحمة من الله، أما من غير الله: في موقف ذكي ينتزع إعجاب الآخرين, لكن ليس فيه رحمة، قد تجد إنساناً كافراً، قد تجد إنساناً متقلتاً, له مواقف تعجبك, هذا دليل ذكائه، والإنسان ذكي أعطاه عقلاً الله عز وجل، أما لن تجد إنساناً رحيماً إلا موصولاً بالله عز وجل:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

ماذا يقابل هذه الآية؟ ولو كنت فظاً غليظ القلب, لو لم تكن موصولاً بنا, لم تكن رحيماً، البديل كنت فظاً غليظ القلب، صار في إنسان رحيم، وإنسان فظ غليظ القلب، صار في إنسان؛ الرحيم لاتصاله بالله، والفظ الغليظ القلب لانقطاعه عن الله. قانون:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

اللين دليل الرحمة، والغلظة والفظاظة دليل القسوة، الرحمة من الله، والفظاظة والغلظة من البعد عن الله عز وجل:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

لو لم تستقر هذه الرحمة في قلبك؛ تكون فظاً غليظ القلب، الرحيم يلتف الناس حوله، والقاسي ينفذ الناس من حوله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

لو لم تستقر هذه الرحمة في قلبك؛ لكنك فظاً غليظ القلب، عندئذ ينفر الناس من حولك، قال:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

لذلك الرفق دليل الرحمة:

((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

في رفق، في رحمة، لا يوجد رفق، لا يوجد رحمة، فأنت ممكن تحكم على إنسان من اتصاله بالله، وانقطاعه عن الله؛ برفقه، ورحمته، ونعومته، ولطفه، وتسامحه، وتساهله.

((اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم، فإن اللعنة تنزل عليهم))

القاسية قلوبهم؛ انظر ما أوضح الحديث، ما معنى قاسي القلب؟ يعني ملعون، يعني بعيد عن الله عز وجل.

كن من أهل المعروف في الدنيا حتى تكون من أهل المعروف في الآخرة :

((يا علي، إن الله تعالى خلق المعروف، وخلق له أهلاً، فحبيه إليهم، وحبب إليهم فعاله.

-يعني أحد الصحابة الكرام، اسمه زيد الخير، قال: يا رسول الله، أصبحت أحب الخير وأهله، إن قدرتُ عليه بَادَرْتُ إليه، وإن قَاتَنِي حَزِنْتُ عليه.

الإنسان إذا أصبح يحب أهل الحق، يحب أهل الخير، يحب المعروف، يحب الكرم، يحب خدمة الناس، هذه من نعم الله العظمى، لأن رأس مالك الوحيد عند لقاء الله عز وجل هذا القلب السليم، المفعم بالرحمة-.

ووجه إليهم طلابه، كما وجه الماء في الأرض الجريية، لتحيا به ويحيا بها أهلها، يا علي، إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة))

يعني الأشخاص الطيبون، المحسنون، الكرماء، هم أنفسهم أعلام في الآخرة، والآخرة والدنيا متصلتان؛ الشقي في الدنيا شقي في الآخرة، والكريم في الدنيا كريم في الآخرة، ومن أجمل الأدعية:
اللهم اجعل نعم الدنيا متصلة بنعم الآخرة.

أتريد أن تكون في ذمة الله دائماً؟ إليك ذلك :

((اعبد الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وعدّ نفسك في الموتى، واتق دعوات المظلوم فإنها تستجاب، ومن استطاع منكم أن يشهد العشاء الآخرة، وصلاة الغداة في جماعة، فليفعل ولو حبواً))

يعني: من صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح، ومن صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي.

((من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أنت إن صليت الفجر في جماعة؛ فأنت في ضمانه الله للمساء، إن صليت العشاء في جماعة، فأنت في ضمانه الله إلى الصباح، فإن جمعت بينهما، فأنت في ضمانه الله المستمرة.

أيها الأخ، عليك بصلاة الغداة -الفجر- وصلاة العشاء فاشهدهما، يعني اشهد جماعتهما.

((ولو تعلمون ما فيهما، لأتيتنموهما ولو حبواً))

[أخرجه النسائي وأبو داود في سننهما]

زحفاً.

الإنسان حينما يصلي في المسجد يشعر بأنس، يصلي صلاة متقنة، الجو جو صلاة، أما لو صلى في بيته؛ والأطفال يتصايحون، والزوجة تصيح عليهم، والباب طرق، هذه كلها أحداث تشوش على المصلي صلاته.

أتريد أن تدخل الجنة؟ إليك مطالبها :

آخر حديث:

((اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطِيعُوا الطَّعَامَ، وَأَشْؤُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-56} : أحاديث شريفة تبدأ بحرف (الألف)

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-10-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذه الحقيقة؛ إما أن تعرفها في الوقت المناسب، وإما أن تعرفها بعد فوات الأوان :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

الحقيقة، الإنسان أحياناً يحتاج إلى قواعد، والقواعد هي الحكم، والحكم خبرات مكثفة، لماذا ترى الرجل في الستين ممثلاً حكمة؟ لأن هذه الحكم استنبطها من تجارب الحياة، وكل حكمة استقاها دفع ثمنها، وقد يكون دفع ثمنها باهظاً، فالإنسان إما أن يستنبط الحكم ويدفع ثمنها باهظاً، وإما أن يتبع الدين، فيأخذ توجيهات الله عز وجل؛ أفعّل ولا تفعل.

الحقيقة: لا بد وأن تعرف، ولكن إما أن تعرفها في الوقت المناسب فنستفيد منها، وإما أن نعرفها بعد فوات الأوان، أكبر دليل: أن فرعون الذي قال:

﴿أنا ربكم الأعلى﴾

إليكم هذا المثل القرآني الذي ينوه إلى هذه الحقيقة :

من قوله تعالى عن فرعون:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات الآية: 24]

والذي قال:

﴿مَا أَرَى لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

هو نفسه الذي حينما أدركه الغرق قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.

هذا مثل حاد، صارخ، يعني إنسان ادعى الإلهية، وعند الموت قال: آمنت بالله. إذًا: لا بد من أن تعرف الحقيقة، لا بد أن يكشف لك الغطاء، والآية الكريمة:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 22]

خيارك مع الإيمان خيار وقت :

أيها الأخوة، خيارك مع الإيمان خيار وقت فقط، خيار وقت، انكر لي أكفر كفار الأرض الآن؛ هؤلاء الملاحدة، هؤلاء الطغاة، عندما يأتيهم ملك الموت: يشهدون أنه لا إله إلا الله، ففضية المعرفة: قضية وقت؛ لا بد من أن تعرف، لا بد من أن تدرك، لا بد من أن توقن، لا بد من أن تكشف لك الحقائق، لا بد من أن ترى الحقيقة، ولكن فرق المؤمن عن غير المؤمن هو الوقت، المؤمن: عرف الحقيقة في الوقت المناسب، فانتفع بها، وغير المؤمن: عرف الحقيقة بعد فوات الأوان فلم يستفد منها.

إذًا: الإنسان إما أن يستتبط بعض الحقائق من تجاربه، ولكن بعد فوات الأوان، يعني أنت لما ترى في الطريق شيئاً يشبه القنبلة؛ تقول: هل هذه قنبلة، أم ليست قنبلة؟ أنت أمام شيئين؛ إما أن تأتي بخبير فينبئك الحقيقة، قال

تعالى:

﴿وَلَا يُبْبِكُ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر الآية: 14]

وإما أن تحاول أن تكتشف الحقيقة بنفسك، ولو حاولت أن تكتشف الحقيقة بنفسك وانفجرت القنبلة؛ عرفت الحقيقة ولكن انتهى الإنسان، فالحقيقة يمكن أن تعرف، ولكن الثمن باهظ جداً؛ الثمن الآخرة.

هذا الفرق بين المؤمن وبين غير المؤمن :

الغريبيون الآن ألم يعرفوا الحقيقة؟ الأسرة انتهت، الأخلاق انتهت، القيم انتهت، الأمن انتهى، في ازدهار اقتصادي كبير، في صناعة راقية، لا يوجد أمن، لا تستطيع أن تتجول بعد المغرب في أي مكان بأمریکا.

حدثني صديق ركب طائرة أجنبية، من بلد غربي إلى الشام، قال: ألقى على الركاب -يعني توجيهها باللغة الإنكليزية أو بلاغاً، قيل لهم: أنتم ذاهبون إلى أفضل بلد بالأمان في العالم: دمشق- بإمكانك أن تتجول أنت وزوجتك إلى ساعة متأخرة من الليل، دون أن تخشى شيئاً.

فالنقطة الدقيقة في مطلع هذا الدرس: الحقيقة: لا بد من أن تعرف الفرق بين المؤمن وبين غير المؤمن؛ المؤمن عرفها في الوقت المناسب فانتفع بها، غير المؤمن عرفها عند الموت فلم ينتفع بها. والله عز وجل قال:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 22]

ما وراء هذه الآيات :

قال عن فرعون:

﴿أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾

[سورة يونس الآية: 90]

﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتِ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتِ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾

[سورة الزمر الآية: 56]

﴿يَوْمَ يَعْزُ النَّظَامُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية: 27-28]

هذه الآيات كلها تؤكد: أن الإنسان يعرف الحقيقة، لكن بعد فوات الأوان؛ أنت مكلف أن تعرفها قبل فوات الأوان.

متى ينبغي أن تدرك هذه الحقيقة؟ :

أيها الأخوة، ما الفرق بين أوروبا حينما تأمر بمنع الخمر كما فعلت روسيا، الاتحاد السوفيتي السابق، قبل أن ينهار بسنوات منع الخمر، حرم الخمر كلية، عرفوا الحقيقة وأصدروا هذا القرار لتحريم الخمر، لكن متى عرفوها؟ بعد أن أدمن نصف الشعب، بعد أن أصبح الشعب عضواً أشلاً.

فالنقطة الدقيقة: لا بد من أن تعرف الحقيقة، ولكن إن عرفت وأنت شاب صحيح، وأنت معافى، وأنت حي، وأنت في مستقبل الحياة؛ انتفعت بها، أما إن عرفت بعد فوات الأوان، لم تنتفع بها.

فأنا إما أن أستنبط هذه الحقيقة من تجاربي، -وقد أعرفها بعد فوات الأوان-، وإما أن أصغي للخبير وهو الله عز وجل. قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر الآية: 14]

إما أن أصغي إلى الأمر والنهي، وإما أن أبحث عن الحقيقة بنفسني؛ بنفسني قد أصل إليها وقد لا أصل، وإذا وصلت قد أصل إليها بعد فوات الأوان، بعد أن دمرت الحياة، وانتهت، وليس أمام الإنسان إلا الاستسلام لمصيره.

بريكم؛ الذي يساق ليشنق وهو في طريقه إلى المشنقة، ألم يعلم علم اليقين أنه كان مخطئاً بهذه الجريمة؟! لكن بعد فوات الأوان، لا بد من أن ينفذ فيه الحكم، ندم أو لم يندم، بكى أم لم يبكي، تألم أم لم يتألم، استرحم أم لم يسترحم، تجلد أم انهار، لا بد من تنفيذ الحكم، لذلك: أنا ألح لا أن تعرف الحقيقة، لا، ألح على أن تعرفها في

الوقت المناسب، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك،
وحياتك قبل موتك))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

خذ هذه القاعدة :

هذه قاعدة:

ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس، يحبك الناس.

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

الله يغضب إن لم تسأله، أما الإنسان يغضب إن سأله.

إن فعلت خيراً ينبغي أن تنس هذا الخير، وإن فعل معك خير ينبغي أن لا تنساه :

القاعدة الثانية:

إن فعلت خيراً ينبغي أن تنس هذا الخير، وإن فعل معك خير ينبغي أن لا تنساه.

قاعدة ذهبية.

إن فعلت خيراً؛ قدمت خدمة، أنفقت مالاً، كسوت عارياً، أطعمت جائعاً، دللت ضالاً، أنفقت من مالك، يجب أن تنسى، وهذا هو الكمال، أما من صنع إليه معروف، ينبغي أن لا ينساه مدى الدهر.

لا تنس المعروف الذي صنع إليك، وانس كل معروف صنعه للناس، عندئذ تتألق.

هذه قاعدة ثانية.

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك :

القاعدة الثالثة - ليس هناك أبسط منها-:

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

في بالبيت زوجة ابنك، لو أن ابنتك في بيت عند أهل زوجها، وقسوا عليها: أترضى؟ لا ترضى، حملوها فوق طاقتها: أترضى؟ تركوا لها عبء البيت كله: أترضى؟ استخف بها وبأهلها: أترضى؟ عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

لك شريك، ضع نفسك مكانه؛ أترضى أن تعامل هذه المعاملة؟ أنت موظف ووقف أمامك مواطن لو أنك مكانه: أترضى أن يسوفك؟ لا. أترضى أن يعقد الأمور عليك؟ لا.

عندك صانع في المحل، لو أن ابنك مكانه عند إنسان؛ أترضى أن يظلمه؟ أترضى أن يسبه؟ أترضى أن يضربه؟ أترضى أن يحمله ما لا يطيق؟ أترضى أن تعطيه أقل الأجر، لأنه في حاجة شديدة؟ لا ترضى. أخواننا، الحياة بسيطة جداً.

ماذا نستنتج من هذه الواقعة التي حدثت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام؟ :

أوضح مقياس: أن تضع نفسك مكان الطرف الآخر.

يعني: ببساطة مذهلة، جاء رجل شاب إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا -أعوذ بالله! ما عرف مقام النبي، يستأذنه أن يزني-، فقام أصحابه، قال:

دعوه، تعال يا عبد الله، تعال، ادن مني، قال له: أتعبه لأمك؟؟ فاحتقن وجه الغلام، قال له: لا، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أتعبه لابنتك؟؟ قال: لا، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، أتعبه لأختك؟؟ قال: لا، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، لعمتك .. لخالتك...؟؟ قال: دخلت على النبي ﷺ وليس شيء أحب إلي من الزنا، وخرجت من عنده وليس شيء أبغض إلي من الزنا.

((أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، فقال: أتعبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتعبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتعبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أتعبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أتعبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والإمام أحمد في مسنده]

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، هذه قاعدة.

ازهد فيما عند الناس يحبك الناس، اربغ فيما عند الله يحبك الله.

إن فعلت معروفًا أنسه، إن فعل معك معروفًا لا تنسه أبدًا.

مهما كنت كريمًا، لو قلت للآخر: لحمك من خيرى، ييمقتك ويرفض إحسانك.

شرح هذه القاعدة :

قاعدة جديدة: لا توازن نفسك مع أهل الدنيا، وازن نفسك مع أهل الآخرة، في الدنيا انظر إلى من هو أدنى منك. ساكن في بيت 150 متر، هناك أناس يسكنون بغرفة واحدة 9 أشخاص، والمجاري مكشوفة، والبيت أجرة، عندك زوجة وأولاد، هناك أشخاص ما عندهم زوجة، عندك أولاد، عندك أولاد طائعين، فدائمًا: وازن نفسك في الدنيا مع من هو أدنى منك، وفي الآخرة مع من هو فوقك، لكن أكثر الناس يوازن نفسه مع قطاع الطرق، مع شاربي الخمر، مع الزناة، أنت لست جيدًا؛ حينما وازنت نفسك مع المجرمين، لست مجرمًا، أما وازن نفسك مع الأتقياء، مع العلماء، مع المؤمنين، مع الصادقين، مع الطيبين، مع المتفوقين، وازن نفسك في الآخرة مع هؤلاء، ووازن نفسك في الدنيا مع من هو دونك، قال لها:

((يا عائشة، إن أردت اللحوق بي؛ فليكنك من الدنيا كزاد الراكب، لا تستخفي ثوباً حتى ترقيه، وإياك
ومجالسة الأغنياء))

[أخرجه الحاكم في مستدرکه]

طبعاً: غير المؤمنين؛ ستصغر، هو يصغر، كم يعطونك في الشهر؟ قال له: ثمانية آلاف، فقط ثمانية؟!
يصغر، ادخل على مؤمن؛ يكبرك، ترتاح معه، من هنا قال سيدنا عمر:

من دخل على الأغنياء، خرج من عندهم وهو على الله ساخط.

انظر لمن هو أدنى منك في الدنيا؛ فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك :

هذه قاعدة خامسة:

انظر لمن هو أدنى منك في الدنيا؛ فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.

أوى إلى فراشه، ليس مضطراً أن يغسل كليتيه في الأسبوع مرتين، ولا يغير دسام قلبه، ولا يزل ورماً خبيثاً في
دماغه، ولا يذهب لأوروبا لإجراء عملية معقدة جداً، ليس معه ثمنها، فما دام معافى في جسمه، آمن في سربه،
عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

وكان عليه الصلاة والسلام تعظم عنده النعمة مهما دقت، يعني كأس الماء إن شربته و إن أخرجته؛ هاتان
نعمتان لا يعرفهما إلا من فقدهما، الذين تقش كلاً ممنوع أن يشربوا الماء.

من نعم الله عليك :

لي صديق، أصيب بفشل كلوي، فعنده كل أسبوع غسيل بابتن النفيس، قال لي ابنة: في مرة الممرضة قست عليه
ربما وخزته، قالت له: إياك أن تشرب الماء هذا الأسبوع؛ الآلة معطلة.

أنت حينما تشرب كأس ماء، أنت حينما تشرب كأس ماء وترتوي به بغير حساب، هذه نعمة لا يعرفها إلا من
فقدها.

يعني من يومين، أحد الأخوة قال لي: والدي؛ ورم بالبنكرياس، أغلق طريق المعدة، أغلق طريق الصفراء، أغلق

مصعب البكرياس، إقواء مستمر، آلام مستمرة، الطبيب قال: عملية خطيرة جداً، أألق الطريق. فسيدنا علي كرم الله وجهه، من حكمه البالغة: أنه يرى أن أول نعمة ينبغي أن نحمد الله عليها: نعمة الهدى، وأن ثاني نعمة: نعمة الصحة، وأن ثالث نعمة: نعمة الكفاية، يعني:

إذا كان عندك قوت يومك فقط، فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

سيدنا عمر كان يقول إذا أصابته مصيبة:

الحمد لله ثلاثاً؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها.

درس اليوم :

يعني درس اليوم قواعد ذهبية:

أزهد فيما عند الناس يحبك الناس، وأرغب فيما عند الله يحبك الله.

إن فعلت معروفاً ينبغي أن تنساه، إن فعل معك معروفاً ينبغي ألا تنساه.

القاعدة الثالثة: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

وازن نفسك في الدنيا مع من هو أدنى منك، ووازن نفسك في الآخرة مع من هو أرقى منك.

لذلك: بهذه الطريقة تتحمس للآخرة، وتشكر الله عز وجل على ما في يديك في الدنيا.

من هم أزهد الناس؟ :

وفي حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((أزهد الناس: من لم ينسَ القبر والبلَى))

يعني هذا المصير الحتمي، المصير الذي لا بد منه، هذا المصير ينبغي أن يدخل في حساباتنا اليومية، المغادرة

الكاملة؛ الإنسان مرتاح؛ أما حينما يلوح له أنه سيغادر بلا عودة؛ إذا كان عمله صالحاً؛ يطمئن:

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾

[سورة الفجر الآية: 27-30]

أتريد أن تعرف قيمة العلم؟ إليك ذلك :

أيها الأخوة، من أجل أن تعرف قيمة العلم؛ إنسان ساكن في بيت في أحد أحياء دمشق الراقية، وفي هذا البيت هاتف، دخله قليل، فما في حيلة بيده، أصيب بمرض؛ لا بد من أن يعمل عملاً بسيطاً، أراد أن يبيع البيت، وأن يشتري بيتاً في ضواحي المدينة، ويشترى بالفارق مركبة عمومية، يعيش منها؛ اتفق مع إنسان عنده بيت بقرية من قرى حول دمشق، والبيت فيه هاتف، واتفقا على أن يتبادلا البيتين، هاتف دمشق أفرغ مع البيت حسب النظام، أما هاتف الريف، فيما أن البيت غير مسجل بشكل نظامي؛ لم يفرغ معه الهاتف، كتب أنه عقد شركة، على أساس حلت وصار الهاتف لفلان، بعد أسبوع أو أسبوعين جاء إلى البيت؛ الهاتف لا يوجد فيه حرارة، سأل، نقل الهاتف، الذي أعطاه نقله كهاتف ثانٍ، فاتصل بالمحامي الذي كتب العقد، قال له: ما في أمل، أقم دعوة عليه، أقم دعوة عليه، ادعى الطرف الآخر أن التوقيع غير صحيح، زج في السجن سنة.

إذاً: هذا الذي أخذ الهاتف الثاني، وزج الأول البريء في السجن؛ كيف ينام؟! كيف يلقي الله عز وجل؟ شيء لا يعقل، أنت اتفقت معه على تبادل البيتين والهاتفين؛ هاتفك سجل، هاتفه لم يسجل، عملتما عقداً، المحامي قال له: ما في طريق أقم دعوة عليه، أقم دعوة، التوقيع قال: غير صحيح، اللجنة قالت: مزور التوقيع، العقد مزور، سنة سجن، كيف يرتاح الإنسان أن يعتدي على حق إنسان؟ لأنه جاهل، لو عرف أن هنالك إلهاً عظيماً سيقصص منه؛ ما فعل هذا؛ العلم ضروري، من دون علم تأكل المال الحرام، ثم تستحق بطش الله عز وجل؛ الله يبطش، وإذا بطش:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية: 12]

إذا الله بطش؛ شيء مخيف.

قال لي أخ: أخت اشتريت مع أخيها بيتاً بالتساوي، ودفع لها نصف المبلغ عدأً ونقداً، ولأنها أخته لم يطلب منها إيصالاً، والبيت لجمعية تعاونية، سجل باسمه، بعد عشر سنوات، أو عشرين سنة، صار ثمن البيت عشرين مليوناً، بعد أن كان ثمنه خمسمئة ألف، قالت له: خذ هذا المليون، واخرج من البيت، ليس لك شيء، البيت باسمي، القصة طويلة جداً، ابن هذا الأخ يحضر عندنا، أنبأني بما فعلت عمته مع أبيه، وله أربعة عشر أخاً، ليس لهم مأوى، والأخت ليس لها زوج، تريد أن تَوجر البيت مفروشاً، وأن تعطي أباها مليون ليرة، وبيته ثمنه عشرون مليوناً نصفه عشرة، لم يرض؛ أخرجته بقوة القانون، بطريقة أو بأخرى، أودع أولاده في بيتين أو ثلاثة، وأودع أثاث بيته في بعض المستودعات، وأسر شردت، وجاءني ابن هذا الإنسان، وقال لي: عمتي مصابة بالسرطان في أمعائها -والله بعد شهر من تنفيذ الحكم- قلت: خير إن شاء الله. هذا المرض قد يطول سنتين، ثم جاءني بعد شهر ثان، قال: عمتي قد توفيت، ونرجوك أن تلقي كلمة في التعزية، وذهبت إلى البيت، وألقيت كلمة، ثم قال لي: إن أبي وريثها الوحيد، عاد الأخ وأولاده إلى البيت، بعد أن لعنها الله، ولعنتها الملائكة، ولعنها الناس أجمعون:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية: 12]

الله كبير، فالإنسان بالعلم يخاف منه، بالحمق لا يخاف منه.

قال لي مرة طالب: أنا لا أخاف من الله، قلت له: أنت معك حق ألا تخاف منه، قال لي: كيف معي حق؟! قلت له: يا بني؛ أيام يأتي الفلاح على الحصيدة، ويجلب معه ابنه الصغير، عمره سنتان، ثلاثة، يضعه بين القمح، يمر ثعبان لا يخاف منه الصغير؛ لأنه لا يوجد عنده إدراك، لا يوجد عنده خوف، إذا ما في إدراك، ما في خوف، فأنت ليس عندك إدراك إطلاقاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((رأس الحكمة مخافة الله))

كلما ازدادت حكمتك ازداد خوفك، كلما ازداد علمك ازداد خوفك، كلما اتضحت رؤيتك ازداد خوفك، هذا الخوف المقدس؛ تعرف أنه إله عظيم، وعادل، كل شيء بيده، ومصيرك إليه، لذلك تخافه، وتحسب حساب الحساب، وتتقي عذابه، وترجو رحمته.

من عد غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت :

قال:

((أزهذ الناس: من لم ينس القبر والبلى، وترك زينة الحياة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعد نفسه في الموت))

من عد غداً من أجله؛ فقد أساء صحبة الموت.

من عد غداً فقط؛ قال: غداً سأدفع إيصال الهاتف؛ لم يعرف الموت -الموت يأتي بغتة- و لم يعد غداً من أيامه، وعد نفسه في الموتى.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-57} : أحاديث شريفة تبدأ ب أفضل

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 11-10-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما أفضل درجات الإيمان؟ :

أيها الأخوة الكرام، ورد عن رسول الله -ﷺ-، أنه قال:

((إن أفضل الإيمان: أن تعلم أن الله معك حيثما كنت))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والطبراني في المعجم الأوسط]

ما من ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كان.

أيها الأخوة الكرام، أساس الاستقامة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق الآية:12]

وهو معكم أينما كنتم بعلمه، أنت حينما تعلم أن الله معك بعلمه، وأن مصيرك إليه وأنت في قبضته، لا بد من أن تستقيم على أمره.

فالإنسان يستحيي من رجل كبير في أسرته؛ يجلس أمامه جلسة مؤدبة، يرتدي أمامه ثياباً جيدة، يضبط لسانه أمامه، يضبط حركاته، وسكناته؛ هذا تفعله أمام رجل كبير في قومك، فكيف إذا آمنت أن الله معك حيثما كنت؟. رجل عمل عند النبي -ﷺ-، كبيراً- قال له:

((خذ أجارتك لا حاجة لنا بها، فإني أراك لا تستحيي من الله))

اغتسل عرياناً.

ما هو الإيمان الذي ينجي صاحبه, وما هو الإيمان الذي لا قيمة له؟ :

أيها الأخوة؛ أن تصل إلى هذا الإيمان, أن تشعر أنك مراقب. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء الآية: 1]

أن تشعر قبل أن تفعل شيئاً أن الله معك؛ مطلع عليك، ناظر إليك، لذلك قالوا: لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، أيعقل أن تستحيي من إنسان، ولا تستحيي من الله عز وجل؟ الإنسان حينما يشعر أنه وحده؛ قد يرتكب المعاصي والآثام، أما حينما يشعر أن الله معه يستحيي من الله، وقد مر بنا من قبل:

((اسْتَحْيُوا مَنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قالوا: وما حق الحياء؟ قال: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَأَنْ تَذُكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى؛ فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَيْتُمْ مَنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ))

أن تشعر أن الله معك حينما كنت، شعورك أن الله معك يراقبك، كل شيء مسجل عنده؛ هذا الشعور هو أعلى درجة بالإيمان, يعني: ما الإيمان الذي ينجي صاحبه؟ الإيمان الذي ينجي صاحبه: هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله، أما الإيمان الذي لا يحملك على طاعة الله: لا قيمة له إطلاقاً.

إليك هذا الدليل من الكتاب: على أن الإيمان الذي لا يحمل صاحبه على طاعة الله لا قيمة له؟ :

الدليل: أن إبليس قال ربي:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة ص الآية: 81]

هذا إيمان إبليسي؛ الذي يقول: أنا مؤمن بالله، ويقترب المعاصي والآثام, هذا الإيمان لا يقدم ولا يؤخر، أما الإيمان المنجّي: هو الذي يحملك على طاعة الله، وكل واحد من الأخوة الحاضرين، وأنا معكم؛ حينما تشعر أنه يمكن أن ترتكب معصية, معنى ذلك: أن هنالك خلافاً في إيمانك؛ خلافاً خطيراً, لأنك لن تستطيع أن تخالف

أنظمة السير، إن رأيت الشرطي أمام الإشارة، وإن رأيت شرطياً آخر على عجلات، وإن رأيت مركبة فيها ضابط في الشرطة كبير، والإشارة حمراء، وأنت مواطن عادي، لا تستطيع أن تخترق الأنظمة، لأنك موقن أن علمه يطولك، وأن قدرته تطولك، إذاً: أنت مستقيم، طبقوا هذا المثل، والله المثل الأعلى، أنت في علمه، وفي قبضته، فكيف تعصيه؟! إذاً: أنتقل إلى شعور مستمر أن الله معك، هذا الإيمان جيد، هذا الإيمان يحملك على طاعة الله، هذا الإيمان يجعلك تتضبط؛ تضبط أعضائك، تضبط جوارحك، تضبط لسانك، تضبط دماغك وانفاقك.

هذا ما فرقه العلماء بين هاتين الآيتين :

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾

إلا أن العلماء فرقوا بين:

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾

وبين:

﴿وإن الله مع المؤمنين﴾

المعنية الأولى معية عامة؛ هو مع كل عباده؛ مؤمنهم وكافرهم، لكن:

﴿إن الله مع المؤمنين﴾

فهذه معية خاصة، هذه معية التوفيق والحفظ والنصر والتأييد:

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية: 123]

المعنية العامة؛ الله مع الكافر، مع الملحد، مع العاصي، مع الفاجر، معهم بعلمه، لكن المعية الثانية:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنفال الآية: 19]

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 194]

هذه معية خاصة: هو معهم؛ ينصرهم، ويحفظهم، ويؤيدهم، ويوفقهم، ومعية الله أثن شيء على الإطلاق، أن يكون الله معك، كن مع الله ترى الله معك.

ما هو الثمن الذي ينبغي أن يدفعه المسلم حتى ينال معية الله الخاصة؟ :

أيها الأخوة، لكن هذه المعية الخاصة التي نطمح إليها جميعاً؛ لها ثمن، هل هناك آية تؤكد هذا الثمن؟:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[سورة المائدة الآية: 12]

إن دفعت الثمن نلت المعية؛ المعية الخاصة، يعني أحياناً تجد التوفيق صارخ؛ تجد أن الله سبحانه وتعالى صرف عنك مصيبة كبيرة جداً بلطفه العميم، وجلب لك منفعة كبيرة بتوفيقه العظيم، أحياناً: تشعر أنك أقوى من كل المحن، أحياناً تشعر أنك في حصن حصين، وفي حرز حريز، أحياناً تشعر أن هناك من يلهمك الصواب، أن هناك من يحفظك من كل الجهات، أن هناك من يصرف عنك الأذى والضرر، هذا الشعور بالقرب من الله، وبتوفيق الله ونصره؛ شعور لا يقدر بثمن، ثمنه أن تقدم الطاعة:

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[سورة المائدة الآية: 12]

هذا السبيل.

لاحظ الفرق بين المعية العامة وبين المعية الخاصة :

فهناك معية عامة؛ هذه تشمل كل المخلوقات -حتى الكفار-، وهناك معية خاصة بالمؤمنين، المعية العامة: معية علم، أما المعية الخاصة: معية إكرام، معية الله العامة مع الناس كلهم؛ أنه يعلم سرهم وجهرهم، معية الله الخاصة -للمؤمنين-: أنه يحفظهم، ويوفقهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويسعدهم، هذه ثمنها؛ أن تقيم الصلاة، وأن توتي الزكاة، وأن تستقيم على أمره، وأن تحسن إلى خلقه، والباب مفتوح لكل الناس.

مشكلة ونصيحة في آن واحد :

أيها الأخوة، المشكلة: أن الناس ليسوا راضين عن أرزاقهم؛ كل إنسان يتمنى أن يزداد رزقه، وكل إنسان يعتقد أنه مظلوم، لكن الناس راضون عن عقولهم، وعن إيمانهم، كل يدعي أنه عالم، أو أنه مؤمن، أو أنه عاقل، أو أنه متفوق بالإيمان والمعاصي التي يرتكبها، دليل ضعف إيمانه، فالإنسان لا يتملق نفسه.

أنا أنصح هذه النصيحة:

ابتعد عن أن تحسن الظن بنفسك؛ مهما أسأت الظن بنفسك فأنت على صواب، ومهما أحسنت الظن بها فأنت على خطأ، بالغ في سوء الظن بنفسك، وبالغ في حسن الظن بأخيك، بالغ في سوء الظن بنفسك، وبحسن الظن بأخيك.

ومن أساء الظن بأخيه، فقد أساء الظن بربه.

حاول أن تلتمس لأخيك عذراً، حاول أن تبحث له عن مبرر، حاول أن تبحث له عن مسوغ، أما حينما تخطئ، لا تقل: أنا أرتقي، أو هذه مصيبة ترقية؛ لا، لا تجامل نفسك؛ كن قاسياً معها، من أجل أن تتجوز. لذلك: من حاسب نفسه حساباً عسيراً؛ كان حسابه يوم القيامة يسيراً، ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً

.....

كلمة لا تدقق، كلمة نحن عبيد إحسان، لسنا عبيد امتحان، كلمة لا يسعنا إلا عفوه، كلمة من منا لا يخطئ، كلمة نحن فقراء إلى فضل الله، أمرتنا فارتكبنا، أمرتنا فلم نأتمر، نهيتنا فلم ننتهِ، ولا يسعنا إلا فضلك، هذا كلام غير مقبول أبداً، هذه كلمة حق أريد بها باطل، هذه يقولها الإنسان في حالات خاصة، وهو في أعلى درجات القرب من الله.

﴿ادخلوا الجنة تعملون﴾

وبين هذا الحديث: (لن يدخل أحد الجنة)?

في بعض الأحاديث أنه:

((لا يدخل أحدكم الجنة بعمله, قالوا: ولا أنت؟! قال: ولا أنا, إلا أن يتغمدي الله برحمته))

((لن يدخل أحد الجنة بعمله, قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا, إلا أن يتغمدي الله برحمة منه
وفضل))

((لن يدخل أحدا الجنة عمله, قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا, إلا أن يتغمدي الله برحمته))

هذا الحديث: يسبب إشكالاً كبيراً للناس؛ يتوهمون أن الجنة ليست بالعمل، مع أن الله ﷻ يقول:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية: 32]

يقول النبي الكريم:

((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله, قالوا: ولا أنت؟! قال: ولا أنا, إلا أن يتغمدي الله برحمته))

فكيف نوفق بين الآية والحديث؟! الآية قطعية الدلالة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية: 32]

أحد الصحابة الكرام (سيدنا جعفر) اقترب من المعنى الدقيق لهذه الآية؛ قال: ادخلوا الجنة برحمتي, واقتسموها بأعمالكم.

إليكم هذين المثليين لتوضيح ما سبق ذكره في علاقة التوفيق بين الآية والحديث :

أنا أضرب مثليين لتوضيح هذا الحديث: لو أنت أبا توفي، وترك ولداً فهيماً فظناً؛ لكن لم يترك له شيئاً، فجاء عمه، وقال: يا بن أخي؛ إذا أردت أن تتابع دراستك، فأنا معك إلى آخر سنة في الجامعة، إن أبديت نشاطاً واجتهاداً، فأنا معك وإلا لن أنفق عليك، فدخل أول صف؛ نجح، تفوق، الصف الثاني، الثالث، الرابع، دخل الجامعة؛ أول سنة، الثانية، الثالثة، الرابعة، أكمل ماجستير، أكمل دكتوراه، ونال شهادة عليا، تمتع بدخل كبير، ومرة جالس مع عمه؛ فقال ابن الأخ لعمه: قال له: والله يا عماء؛ لولا فضلك ما كنت بهذا الحال، فقال له: يا بن أخي، لولا اجتهادك لما أعطيتك. هل هناك تناقض بين الكلمتين؟ لو أن ابن الأخ ما اجتهد؛ لما تابع دراسته، ولو أنه كان مجتهداً، لكن العم ما استعاد بشيء.

أضرب مثلاً آخر يوضح هذه الحقيقة: لو أن أبا قال لابنه: إن نلت الدرجة الأولى، اشتريت لك أعلى دراجة في البلد؛ مكافأة لك، فهذا الابن عندما نال الدرجة الأولى، وحمل الجلاء بيده؛ توجه مباشرة إلى بائع الدراجات، وقال له: هذا الجلاء، أعطني الدراجة، هل يعطيه شيئاً؟ ها هو نجح؛ الأولي، لا بد أن يدفع الأب ثمن الدراجة، هذا اتفاق بين الأب وبين الابن، لا بين الابن وبائع الدراجات. يعني عمك كله يساوي ثمن مفتاح بيت؛ ثمنه مئة وخمسون مليوناً، المفتاح ثمنه ثلاث عشرة ليرة، لكن لا بد من هذا العمل، أما البيت لا يقدر بثمن، البيت لا يساوي العمل، يعني عمك يساوي ثمن مفتاح بيت، أما البيت ثمنه مئة وخمسون مليوناً، أما عمك ثمنه ثلاث عشرة ليرة سورية، فهذا التوفيق بين الآية وبين الحديث:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية: 32]

العمل سبب وليس ثمناً، في فرق؛ ليس عمك ثمناً للجنة، ولكنه سبب للجنة، أما الثمن هو فضل الله عز وجل؛ لولا أن الله خلق الجنة، ووعدنا بها، وتقض بها علينا؛ لما دخلناها، إذأ: الجنة فضل، والعمل سبب، وليس ثمناً. أوضح مثال: عمك يساوي مفتاح بيت، البيت ثمنه مئة وخمسون مليوناً، فإذا دخلت البيت، فالذي قدم لك البيت؛ أنا داخل بالمفتاح. يقول لك: المفتاح لا يساوي شيئاً، أنا قدمت لك المفتاح؛ تكرماً مني إليك، فإذا توهمت أن هذا المفتاح هو ثمن هذا البيت، هذا وهم كبير جداً.

بعض الأدعية الرائعة:

اللهم رحمتك أرجى لي من عملي.

لا بد من عمل؛ لكن هذا العمل سبب وليس ثمناً، لذلك العلماء قالوا: الجنة محض فضل، والنار محض عدل.
الجنة فضل، والنار عدل، لذلك: رحمة الله وسعت كل شيء.

((إن أفضل الإيمان: أن تعلم أن الله معك حيثما كنت))

((أفضل الدعاء: أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة))

اللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

نعمة قد يغفل عنها كثير من الناس :

أخواننا الكرام، الذي يتمتع بصحة جيدة؛ هذا غني جداً، وثمر هذه الصحة لا يقدر إطلاقاً، لأن المال كله لا معنى له أمام فقد الصحة.

سيدنا علي -رضي الله عنه-، ذكر ثلاث نعم على التسلسل: نعمة الهدى، ونعمة الصحة، ونعمة الكفاية؛ فإذا كنت مهتدياً، صحيحاً، مكتفياً، ما فاتك من الدنيا شيء.

نقاش جرى بين ملك ووزيره :

قال ملك لوزيره: من الملك؟ -الوزير خاف، الملك جبار-، قال له: أنت. قال له: لا؛ الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إذلاله.

فإذا واحد من أخواننا الحاضرين، اهتدى إلى الله، واستقام على أمره، وتمتع بصحة جيدة، وعنده قوت يومه؛ عنده ثمن وجبة طعام واحدة، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، لا يقل: لا يوجد بيع، السوق ضعيف، عندنا بضاعة كاسدة، الإنسان حينما لا يحتاج أن يغسل كليتيه كل أسبوع، هو غني جداً، حينما لا يحتاج أن يضع دسام لقلبه، هو غني جداً، حين لا يحتاج أن يذهب إلى بلد بعيد، ليجري عملية جراحية، نجاحها بالمئة خمسين، تساوي ثمن

بيته؛ هو غني جداً.

فاللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

أكبر الدعاء: أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة؛ فإنك إن أعطيتهما في الدنيا، ثم أعطيتهما في الآخرة؛ فقد أفلحت.

((أفضل الدعاء: أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أعطيتهما في الدنيا، ثم أعطيتهما في الآخرة، فقد أفلحت))

هذا هو الملك الحقيقي الذي وصل إلى عفو الله في الدنيا وعافيته، وإلى عفو الله في الآخرة وعافيته، ارزقنا العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وكان هذا الدعاء: من أحب الأدعية إلى النبي ﷺ، من أحب الأدعية إلى النبي هذا الدعاء.

أفضل الصدقة: أن تشبع كبداً جائعاً :

الحديث الثالث:

((أفضل الصدقة أن تشبع كبداً جائعاً))

لذلك: سئل عليه الصلاة والسلام:

((أي الإسلام أفضل؟ قال: أن تطعم الطعام))

لكن الولايم التي يقيمها بعض الناس؛ هذه ولايم بعضهم لا يبتغون بها وجه الله عز وجل، هذه يتبارون فيها مع أندادهم، والمتباريان -كما قال عليه الصلاة والسلام- لا يجابان، ليس هدفه أن يطعم جائعاً، هدفه أن يعرض عليك مستواه الرفيع الذي يعيش به، هذه ولايم يدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء، تجد الغني مشمئزاً، لا أريد لحمًا، الفقير جائعاً، ما أكل لحمًا منذ شهر.

تطبيق عملي للحديث الذي ذكر آنفاً :

كان في عالم جليل في الشام -الشيخ عطا الكسم- كان مفتياً، وكان عالماً جليلاً، له عادة محرجة جداً، إذا عزم كبراء البلد؛ صنع لهم طعاماً عجيباً خشناً -يعني مجردة، كشكة، فأولاده: يا بابا؛ اسود وجهنا، هذا الطعام لا يأكلونه أبداً-، وإذا دعا الفقراء، ذبح لهم الذبائح، هذا الطعام يشتهونه.

الآن أكثر الولايم تجد: لا أريد لحماً، لا أريد هذه، شيء ملاحظ؛ كلهم أغنياء؛ ادع واحداً، جائعاً، فقيراً، يشتهي أن يأكل اللحم، هذا: أطعم كبداً جائعة.

أنا سمعت عن رجل صالح، كان سفيراً في بلدنا، لكنه صالح جداً، أكثر همه: أن يدعو طلاب العلم، طلاباً من أطراف الدنيا جاؤوا إلى هنا ليتعلموا، هؤلاء ليسوا أغنياء، فكان يدعوهم إلى مأدبته، كان رجلاً طالب علم هو أساساً؛ فأفضل الصدقة: أن تطعم كبداً جائعة.

نقطة هامة :

بلغني بعض الأخوان: صدقة الفطر؛ يعني عندنا مبلغ ندفعه؛ خمسون ليرة على الرأس، في بعض الأخوة يجلب بكيلين لحمة -رأس العصفور- وعلبة بازلاء، وكيلين رز، وعلبة سمناة؛ هذا طعام لخمس أشخاص لأربعة أيام، يقدمون على العيد صدقة الفطر، هذه العلبة؛ علبة بازلاء، كيلين رز، كيلين لحمة، يطبخ طبخة درجة أولى، يأكلها مع أولاده، كثير من الأشخاص الأغنياء يعمل وليمة؛ يدعو الفقراء، ويحسبها من الزكاة، العلماء قالوا: إباحة الطعام ليست من الزكاة.

أعط هذا الفقير قطعة لحم كبيرة، أعطه أكلة لذيذة بعلبة، يأكلها هو وأولاده وزوجته، الأب أب، لو أطعمته وحده، وتركت أولاده وزوجته يتضورون جوعاً، ماذا فعلت؟! ما فعلت شيئاً، لا بد من أن تقدم هذا الطعام للأهل، أكثر إخواننا إذا كان أحبوا أن يتصدقوا على روح والدهم؛ أقول له: اعمل لي مئة علبة صفيحة، كل علبة فيها كيلين ووزعها -بدون ولايم في البيت-، وزعها على فقراء جائعين، هؤلاء يدعون لك وللمتوفى، إذا: هنا أفضل الصدقة: أن تشبع كبداً جائعاً، والجائعون كثيرون جداً.

ثلاثة أحاديث:

((إن أفضل الإيمان: أن تعلم أن الله معك حيثما كنت))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والطبراني في المعجم الأوسط]

((أفضل الدعاء: أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة))

((أفضل الصدقة: أن تشبع كبداً جائعاً))

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-58} : أحاديث نبوية متفرقة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-10-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما سر هذا الحديث؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البيهقي:

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلمه أجره وهو في عمله))

في هذا الحديث حرف واحد؛ كل سره في هذا الحرف: أعطوا الأجير أجره، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: أعطوا الأجير أجراً؛ أي أجر يجزئ رب العمل، أما حينما قال: أعطوا الأجير أجره؛ الأجر الذي يتناسب مع جهده، وقد يكون مضطراً، قد يرضى منك أن يأخذ أبخس الأجور، قد يرضى منك أن يأخذ أقل مبلغ تعطيه إياه، ولكنه مضطر؛ إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام أمرك أن تعطيه الأجر الذي يليق به، الأجر الذي يكافئ جهده، الأجر الذي يغطي حاجاته.

اعتقاد باطل :

الإنسان حينما يعتقد أنه يعيش في الدنيا من أجل أن يستمتع بها، وأن الموت نهاية الحياة الدنيا؛ له أن يفعل ما يشاء، له أن يبني مجده على أنقاض الناس، له أن يبني ثروته على إفقار الناس، له أن يمص عرق الناس، إذا لم يوجد آخرة؛ ممكن.

ربح الإنسان ليس في حجم ثروته ولكن في حجم عمله الصالح :

أيها الأخوة، أما حينما يكون هناك يوم نقف جميعاً بين يدي الله عز وجل، ليسألنا عن كل شيء؛ عن هذا المال مم اكتسبه، وفيم أنفقته؟ فربح الإنسان ليس في حجم ثروته، ولكن في حجم عمله الصالح، فالذي عنده موظفون،

أو عمال، أو رجال يعملون معه؛ إن أعطاهم حقهم، وقل ربحه، أفضل له عند الله ألف مرة من أن يعطيهم أقل من حقهم، ويزداد ربحه، أما بالعقلية التجارية؛ كلما ضغطت المصاريف؛ ازداد الربح، لك أن تضغط المصاريف، مصاريف الضيافة اضغطها، مصاريف السفر اضغطها، مصاريف الإعلان اضغطها، أما مصاريف الأجور هذه لا ينبغي أن تضغطها، إنك إن ضغطتها؛ ضيعت حق هؤلاء، والله عز وجل سيسألك عنها، في الحديث: أعطوا الأجير أجره؛ أي الأجر المكافئ لعمله، الأجر المتناسب لطاقته، الأجر الذي يوفر له كرامته.

خطأ كبير يحصل في التجارة والصناعة :

أنا أجد أن أصحاب الأعمال الناجحة؛ تجارة أو صناعة، الذين يعطون من معهم الأجر الكافي؛ يأخذون منهم كل شيء، ويعطونهم الأجر الكافي، أما حينما تبخل على من معك، وهو أمين، فهذا خطأ كبير قي التجارة والصناعة، خطأ كبير أن تضيق على من يعمل معك ليلاً ونهاراً.

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه))

أولاً: في الهاء؛ يعني أعطوه الأجر المناسب، وثانياً: السرعة؛ أعطوه الأجر في الوقت المناسب، وثالثاً: واعلموه.

الجهالة تفضي إلى المنازعة :

أيها الأخوة، الجهالة تفضي إلى المنازعة.

أكثر التجار؛ لا تفرق، تعال، يبني آمالاً...، خذ دفعة، يجعلها دفعات لبعد ستة أشهر أو سنة؛ يفاجئه بمبلغ بسيط جداً، بمعاش قليل؛ يعمل عنده ثورة، لماذا؟ قل له من أول يوم: أنا أجرك عندي كذا وكذا، أعلمه، أعطه الأجر المناسب في الوقت المناسب، وبين له مسبقاً حجم أجره؛ من أجل ألا تنشأ منازعة بينك وبينه، من أجل ألا يحقد العامل على رب العمل.

رسالة لكل من يملك حرفة وله موظفون :

أخواننا الكرام، أصحاب الأعمال التجارية، أو أصحاب المعامل، إذا عدوا موظفيهم كأبنائهم، جعلهم الله تحت إشرافك، وأناطهم بك، لا تعاملهم كأشخاص تعصرهم، وتأخذ جهدهم، ثم تلفظهم، عاملهم كأخوة لك، كأفراد أسرة

واحدة؛ هذا مما ينهض بهم، ويسبب توفيق الله عز وجل لهذا العمل.

يعني حديث دقيق:

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلموه أجره و
هو في عمله))

كلما نقصت المعلومات، تنشأ المنازعات، كلما أعطيت كلام ضبابي؛ تنشأ منازعة، كلما أبقيت شيئاً غير واضح، تنشأ منازعة، وضح كل شيء، بين كل شيء، أعطه الأجر المناسب في الوقت المناسب، مع الإعلام الكافي بكل التفاصيل.

هذا ما يفعله الكثير من التجار :

كثير لنا أخوان تجار، يجدون صانعاً ذكياً، يلحون له بالشراكة، قد أشاركك، مسكين هذا الصانع؛ يدخل في علم الأحلام، يعيش أياماً سعيدة جداً؛ وصاحب العمل ليس جاداً في هذا القول، يشغله سنتين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، وبعد ... ما في أمل أن يدخله معه ولا بنسبة ولا بشيء إطلاقاً، أنت غررت به؛ طمعت ثم أحبطته، وهذا لا يجوز؛ الإنسان يجب أن يكون واضحاً. قال له:

((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والبخاري في مسنده، والإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه]

كلمة سهلة، لكن كلمة من صاحب العمل؛ هذه تعطيه أملاً للموظف، تجعله يعيش في أحلام، فحينما يفاجأ أنك لست جاداً فيما تقول؛ ينشأ عنده إحباطاً، قد يؤدي به إلى انحراف نفسي، أو انحراف خلقي، أصعب شيء بالإنسان خيبة الأمل؛ أن يكون معلقاً آماله على شيء؛ ثم في لحظة واحدة هذا الشيء يتبدد أمامه، أيام يختل توازنه، أيام يفقد صوابه، أيام يصاب بجلطة، فهكذا الكلام؛ تظنه كلاماً بسيطاً، إذا وعدت: المؤمن إذا وعد وفي، وإذا عاهد صدق في عهده، وإذا أوتمن لم يخن.

يعني: هذا الحديث لأخواننا التجار مفيد جداً؛ أعطه الأجر المناسب في الوقت المناسب، مع الإعلام الكافي، ولعلك ترزق به، ربما، من أدق ما في هذا الدين، أنه يمتحنك، فإن رآك أديت للناس حقوقهم، بارك الله بك،

قصة من الواقع :

في عندنا أخ بجامع النابلسي، أخ مقيم كان في لبنان، فلما زار بلده سورية، وسمع كذا درساً، تاقت نفسه أن يبقى في الشام دائماً، لكن ليس له عمل هنا، فهو كان يعمل سابقاً بمواد الحلويات، فأعاره أخوه سيارة، واشترى من المعامل بعض المواد الغذائية، ووزعها على بائعي المفرق، يعني ألفان إلى ثلاثة آلاف يحصلهم في الشهر، باليوم؛ ساعتان، ثلاث، والسيارة استعارة، والمواد للمعامل للتوزيع. له صديق حميم متزوج حديثاً، هذا الصديق فقد عمله فجأة، صاحب العمل أنهى له عمله، فإنسان متزوج من شهرين، ثلاث، وعريس، ودخله ... التجأ لهذا الأخ الأول، قال لي: ماذا سأفعل معه؟ يعني صديق، وفقد دخله، قال لي: والله، أقاسمه دخلي.

كل دخلك ألفان ليرة، ثلاثة آلاف؛ قصة قديمة، قال له: اجلس بجانبني، أنت تنزل وتوصل العلبة للسلمان فقط، أنا أبقى وراء المقود، معناها أنت تعاونني بالجهد، وأعطيك نصف الدخل.

الرجل حي يرزق، يقسم بالله العظيم، أول شهر؛ الله هداهم إلى شيء ... هكذا؛ بعض أنواع الحلويات الكروية: وضعهم بصندوق مئة قطعة مع كذا صورة وباع بشكل جملة. قال لي: أول شهر، حصلنا عشرين ألفاً، قال له: هذه عشرة، وهذه عشرة، من ألفين لعشرين، بنفسية أنه أنا أريد أن أعين أخي؛ يعني إذا أنت تاجر ولديك موظفين ثلاثة؛ بنفسية هؤلاء أخواني، هؤلاء مثل أولادي؛ لازم أعطيهم حقهم، لازم أكرمهم، لازم آخذ بيدهم، أنا مثل والدهم، فإذا أنت بهذه النفسية؛ فالله يعطيك ويعطيهم، ويعطيك لتعطيهم، وبرزقك بحسنتهم؛ حاجة دقيقة، عامل الله عز وجل، هذا الذي أمامك؛ إنسان، إنسان.

ما رأيك؟ :

أنا مرة كنت بمحل يعني بخانة الجمرک، يعني كان يوم عطلة، فكان ابن صاحب المحل صف الثاني، من غرائب الصدف، وعنده صانع بصف الثامن، يعني بسنه تقريباً، فحمل الصانع أول ثوب، ثاني ثوب، ثالث ثوب، رابع ثوب، قال له: لم أعد أقدر، قال له: شاب أنت، جاء ابنه، حمل ثوباً واحداً؛ قال له: انتبه، بابا .. ظهرك.

يا لطيف، يا لطيف؛ موقف قدر، هذا ابن الناس أيضاً، ابن الناس هذا، خفت على ابنك بثوب واحد، ما خفت

على ابن الناس بعشرة أثواب، تحمله إياهم؟! هذه أمامي جرت.

فأنت لما تكون مؤمناً إيماناً قوياً؛ ترى أن هؤلاء الذين حولك عباد الله عز وجل، وإن الله سيسألك عنهم جميعاً، سيحاسبك عنهم.

احذر من هذا الفعل أيها التاجر :

الإنسان يضع لابنه مئتي ألف دروساً خاصة؛ ليأخذ بكالوريا، فيدخله جامعة؛ ليجعله طبيباً، في عنده صانع؛ يطلب منه ساعة قبل انتهاء الدوام؛ ليحضر الدرس بمدرسة ليلية، ليأخذ كفاءة، لا يرضى؛ يقول لك: إذا تعلم يتكبر، الله سيحاسبك ... ابنك دكتور تريده، أما هذا اليتيم إذا أحب أن يأخذ كفاءة؛ تمنعه؟! نحن نريد أخواناً تجاراً مؤمنين؛ يعاملون الناس معاملة أب، وإلا تنشأ نظم وتنشأ نظريات؛ نستوردها من الشرق تارة، أساسها الحق، أساسها تفريق الأمة، أساسها تحطيم الأغنياء:

((الأغنياء أوصيائي والفقراء عيالي، فمن حرم مالي عيالي؛ أدقته عذابي ولا أبالي))

هكذا نريد أصحاب المعامل :

في أخ من أخواننا كان يشتغل عاملاً بمعمل جوخ، لكن صاحب المعمل صالح جداً؛ يقسم بالله العظيم؛ لا يذكر اسم صاحب المعمل إلا و يبكي وفاء له، ويقرأ الفاتحة على روحه. قال لي: أنا كنت صغيراً، أبي ميت، يتيم، اشتغلت عنده، أول يوم أكرمه؛ أعطاه هدية، أخذ له ألبسة، مدير المعمل، شيف المعمل، أدخله على حراق، فجعله أسوداً؛ فأقام قيامته، أخذوه على الحمام، غسلوه، أخذ له بدلة جديدة، وصار كل يوم، يقول له: تعال كل معي. قال لي: أنا أجب معي معكرونة، وهو يجلب معي أكلاً طيباً. قال لي: إذا تأكل من طعامي؛ أتناول من طعامك، عامله كابن، وكلما ذكر اسمه؛ يبكي ويقرأ له الفاتحة، نحن هكذا نريد أصحاب معامل؛ يكون عمالهم مثل أولادهم؛ فينشأ ترابط اجتماعي، تعاون، هذا الحق مستورد؛ ليس من عندنا؛ الحق بين الطبقة العاملة وأرباب العمل؛ هذا حق مستورد؛ نحن ليس عندنا بالإسلام حق؛ عندنا بالإسلام رب عمل مثل الأب، والأعمال والموظفون كأولاده تماماً؛ ينصحهم في دينهم، وفي دنياهم، ويعطيهم أجرهم قبل أن يجف عرقهم.

لا تستغرب :

هذا الحديث دقيق جداً؛ لعلك ترزق به، أنت حاول، هذا الأخ الذي عندك، تعامله كابنك؛ تجده يخلص لك. كثيراً ما أعرف أناساً، يدخل موظف التموين، يكتب مخالفة؛ الصانع لا يقبل إلا أن يقدم هويته محل معلمه: وفاء، ففي موظفون مخلصون جداً، السبب: أن صاحب العمل أعطاهم حقهم وأكرمهم.

هذا الحديث يخصك أيها التاجر :

هذا الحديث وجدته مناسب جداً لأخواننا التجار؛ عندك صانع، عندك محاسب، عندك موظف؛ أكرمهم، ودله على الله، واجعله يصلي في المسجد، لا تعتبر الصلاة ضياعاً للوقت، بالعكس إذا صلى؛ اتصل بالله؛ صار أميناً، لمصلحتك إذا صلى، إذا كان له صلة بالله؛ تستفيد منه أكثر، صار أميناً، والأمانة أهم شيء بالعمل:

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلموه أجره و
هو في عمله))

اعلمي هذا أيتها المرأة :

حديث آخر؛ يقول عليه الصلاة والسلام:

((أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها.

-في بحياة المرأة؛ أبوها، أخوها، ابنها، عمها، خالها، ابن أختها، ابن أخيها، زوجها؛ أعظم الرجال حقاً، أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها-.

وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه))

وجاء لفظه في الصحيح:

((قلت: يا رسول الله! أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها, قلت: فأَي الناس أعظم حقاً على الرج
أخرجه الحاكم في مستدرکه؟ قال: أمه))

على خلاف ما يتوهم الإنسان، ليس زوجته؛ بل أمه، الأم هي الأولى ثم الزوجة، الأم أنجبت، الزوج هو الأول؛
الآن في كثير زوجات؛ من أجل أن تنفذ كلام أمها؛ تخرب بيتها، وتخسر زوجها، وتخسر أولادها، المرأة يجب أن
تعلم أن أول إنسان في حياتها؛ زوجها:

((فإنما هو جنتك ونارك))

جنتها إذا أخلصت له، واتقت الله في معاملته، ونارها إذا أهملت واجبه، إنما هو جنتك ونارك، فيجب أن نربي
بناتنا هكذا.

من أخطاء الآباء :

أيام الإنسان يكون قاضياً وهو لا يدري؛ تأتيه ابنته متخاصمة مع زوجها؛ الأب يصغي إلى ابنته، وكأن كلامها
منزل، ولا يسمح لنفسه أن يسأل صهره: ماذا فعلت معك ابنتي؟ كلام ابنته مصدق، يقاطع الصهر، لا يتصلون
به؛ الذي حكته البنت صحيح!! كلا؛ غير صحيح؛ قد تكون الزوجة ظالمة جداً، أنت قاض الآن؛ يجب أن تكون
منصفاً، وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، لو كنت صهراً، وزوجتك أساءت لك؛ وذهبت إلى بيت أهلها؛ أنا
عندي آلاف القصص، أنا لا أنطلق من هواء، أنا تأتيني قصص كثيرة جداً؛ أعتب على الآباء: سمعت كلام
ابنتك، ولم يخطر ببالك أن تسأل صهرك، لعلها أساءت له، لعلها قصرت في حقه، لعلها تطاولت عليه.

أين عقلك أيها الأب؟ :

أخ من أخواننا؛ زوجته أساءت له إساءة تفوق حد الخيال؛ كلاماً وضرباً وإهانة وإهمالاً، وذهبت إلى أبيها،
وتكلمت ما شاءت عن زوجها كلاماً لا أصل له، وهذا الشهر الثالث، ولم يتصل الأب بصهره، اعتبر كلام ابنته
صحيحاً، وهي كاذبة، وحردها، وقاطعه الصهر، وعنده أولاد ثلاث.

في أخطاء كثيرة جداً.

ولد بار :

((أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه))

الأم هي الأولى.

في أم بركت؛ عندها عدة أولاد؛ ثلاثة أغنياء، وواحد فقير جداً؛ ساكن بالبيت بالمخيم بلا أبواب، فأرادوا أن يضعوها في المأوى؛ مأوى العجزة، الأولاد الأغنياء، المأوى طالب بتوقيع كل أولادها؛ فلما ذهبوا إلى هذا الفقير؛ رفض أن يوقع؛ قال لهم: أنا أستقبلها، فجاء بها إلى بيته، الأم لم تفهم ما السبب؛ لماذا جاؤوا بي إليك؟ قال: لتبقي عندي، أخوتي رفضوا أن تبقي عندهم، دعت له دعاء كثيراً؛ الله عز وجل رزقه خلال عشرة أيام؛ ما أتمم به كسوة بيته، وهو لا يعلم من أين جاء هذا المال، وبعد عشرين يوماً توفاه الله.

انظر هذا الختام ما أجمله! وهم ضيعوا كل عملهم.

معقول!! :

أعرف رجلاً، أمه عنده خدمها اثنتي عشرة سنة، ثم ضاق بها ذرعاً، وبدأ يتأفف، وبدأ يحكي كلاماً قاسياً، وبدأ.... فهي حينما شعرت أنه يكرهها، وأنه ضاق ذرعاً بها؛ اتصلت بابنها الفقير، وقالت له: خذني إليك، يومان، توفيت عند الصغير الفقير، اثنتا عشرة سنة؛ ضاع عمله.

العبرة بالخواتيم :

أعرف رجلاً كان أستاذاً لي في التعليم، في امرأة تجلس في الجامع؛ يراها من عشرين سنة؛ يؤمن لها أكالاتها، ينظف لها غرفتها، في غرفة بجامع الشمسية؛ فكان يراها، وهو مدير مدرسة، رجل صالح جداً، ثم انتقل من المهاجرين إلى المزة، عمره سبعون سنة، كل يوم من المزة إلى المهاجرين؛ ليرعى هذه المرأة، أقنعوه أهله؛ أنه أنت انتهت مهمتك، أنت انتقلت من حيك، لها غيرك، قال لها: أبداً؛ أنا معاهد ربي أن أخدمها للموت، فلما رأوا أن عمره سبعين سنة، وكل يوم يركب من باص إلى باص؛ حتى ينظف لها غرفتها، و يؤمن لها أكالاتها؛ أشفقوا

عليه؛ فقالوا له: ائت بها إلينا، فردوا لها غرفة في البيت، ووضعوها رحمةً بأبيهم، عشرة، اثنا عشر يوماً؛ توفاهما الله عز وجل؛ ختم الله له عمله الطيب.

أيام تخدم والدتك عشرين سنة، غلطان، ثلاث؛ تخسرهم كلهم، فالإنسان ينتبه؛ الذي عنده أم أو أب يبالغ بإكرامهم؛ لأنه إذا كان ختم عملك بإكرامهم فهذا عمل جيد جداً:

((أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه))

الأم.

عقاب عنيف :

في امرأة غنية جداً جداً، أراض، ودكاكين، وبيوت، وعندها أولاد ضائعون زوجاتهم من النمط الحديث، فضاقوا بأمرهم ذرعاً، وأخذوها إلى دار العجزة، هي: أنا أين؟ أين أنا؟! قال: أنت في دار العجزة. قالت: جيد، انتنوني بكاتب العدل -قصة واقعية- كل أملاكها وهبتها للجمعيات الخيرية، هم مرتاحون؛ غداً تموت أمنا، ونصبح من كبار الأغنياء. فلما ماتت؛ لم يجدوا شيئاً؛ عاقبتهم في الدنيا؛ لم يجدوا شيئاً.

دراسة علمية :

أخواننا الكرام، في دراسات: أن الإنسان عندما يكبر بالسن؛ أهم شيء أن يكون بين أهله؛ فكل ابن أو بنت تضع الأب أو الأم في مأوى العجزة؛ تنشأ مشكلة نفسية تحطمه، هذا سعادته يجلس بين أولاده، بين أحفاده.

من أعظم الأعمال: أن ترعى والدك أو والدتك :

من أعظم الأعمال ترعى والدك أو والدتك:

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

هم عندك ... انظر؛ الإنسان ماذا يقول؟ أنا عندي ولدين، عندي ابنتين، عندما يكبر يصبح هو عند ابنه، يقول:
أبي عندي، وهو شاب، يقول الأب: عندي ولدان، عندما يكبر يصبح الأب عند ابنه:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

يبلغن عندك؛ هم عندك، الأب الشاب بره سهل، أما الأب المتقدم بالسن؛ في سن معين يصير عبئاً للإنسان، كلامه كثير، يعيد القصة مئة مرة، يتدخل بشؤون لا تعنيه، البطولة الآن، البطولة: أن تتحمل الأب والأم وقد تقدمت بهما السن:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

العلماء قالوا: لو أن في اللغة كلمة أقل من أف، لقالها الله عز وجل؛ إلا أنهم حملوا على أف من شد نظره إلى أبيه؛ نظر إليه هكذا؛ كأنه قال: أف، من أغلق الباب بعنف كأنه قال: أف، وأي إساءة للأب تساوي كلمة أف؛ فهي محرمة في الإسلام.

درس اليوم :

عندنا حديثان اليوم؛ الأول:

((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلموه أجره و
هو في عمله))

والثاني:

((أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم
أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-59} : أحاديث شريفة تبدأ ب أفضل

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-10-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هو الحد الأدنى في التعلم من دينك؟ :

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

الإنسان يتلقى، يستمع، يحضر خطبة، يحضر درساً، يسمع شريطاً، يقرأ كتاباً، السؤال: تتلقى إلى متى؟ أما أن لك أن تلقي؟ تستمع إلى متى؟ أما أن لك أن تتكلم؟ تصغي إلى متى؟ أما أن لك أن تدعو إلى الله عز وجل؟.

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

يعني: الحد الأدنى من التعلم: حضور خطبة الجمعة، الحد الأدنى، هي فرض على كل مسلم:

ومن ترك الجمعة ثلاث جمعات، نكتت نكتة سوداء في قلبه.

وفي الحديث:

((من ترك ثلاثاً جُمعَ تهاوناً بها، طبع الله على قلبه))

[أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في سننهم]

ثم يكون الران، وتلا قوله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 14]

ما المقصد من حضور خطبة الجمعة؟ :

ما المقصد من حضور خطبة الجمعة؟ سماع الخطبة تستمع، لأن كل المفسرين حينما فسروا قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية: 9]

ذكر الله هو الخطبة، فهذا الذي يأتي في آخر الخطبة، ويلحق بركعة وراء الإمام، ويتوهم أنه صلى الجمعة؛ هذا سقط عنه الوجوب وإن لم يحصل المطلوب، المطلوب ما حصل.

دعوة تحريض :

أيها الأخوة، إذا اخترت جامعاً تثق بخطيبه، وتثق بعلم خطيبه، وتثق بإخلاص خطيبه، ولزمت هذا المسجد، تعلمت شيئاً؛ ولو آية، ولو حديث، ولو قصة، ولو حكم فقهي، ولو فكرة في الإسلام.

أنت الآن معك ستة أيام؛ في لقاءات، في زيارات، في سهرات، في ولاءم، في أدوار -إن صح التعبير- في سفر، في لقاء مع أولادك، مع زوجتك، مع أخوانك، مع شركائك، مع أقربائك، مع أخوتك، مع أخواتك، مع بنات أخواتك، مع بنات أخوتك، هذه اللقاءات ماذا تتكلم فيها؟:

((ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا على مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة))

[أخرجه أبو داود في سننه]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

((فربّ مبلّغ أوعى من سامع))

[أخرجه الترمذي في سننه]

متى يدعو الشخص إلى الله؟ :

أيها الأخ الكريم، حين تعتقد أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم؛ عندئذ تصغي إلى الخطبة، وتأخذ أهم ما فيها، ثم تحاول أن تلقي بعض ما سمعته من الخطيب في هذه اللقاءات خلال الأسبوع، هذا عمل المؤمن، فأنت في هذا الأسبوع مكلف أن تدعو إلى الله، هذا التبليغ فرض عين على كل مسلم، لكن لئلا تتوهم أنك أنت مكلف أن تلقي كل شيء؛ وأن تعطي الناس كل شيء، لا، فرض العين في الدعوة؛ في حدود ما تعلم، ومع من تعرف، من هم أقرب الناس إليك؟ من هم خاصة الناس إليك؟:

((إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ الزم بيتك، وامسك لسانك، وخذ ما تعرف،

ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك))

من؟ أنت وأولادك، وزوجتك، وأخوانك، وأخواتك، وأولاد أخوانك، وأولاد أخواتك، وجيرانك، وشركائك، وأصحابك، هذه خاصة نفسك.

أمر لا يخفى عليك :

الإنسان حينما يتلقى العلم ليلقيه؛ يركز، أما إذا كان يتلقى العلم، وليس مكلفاً إطلاقاً أن يلقيه؛ لا يركز، يخرج درس رائع، لكن ما مضمونه؟ لا يتذكر، لكن درس جميل جداً كان، هذا اسمه انطباع -لا يقدم ولا يؤخر-، إذا الإنسان ليس مكلفاً نفسه إطلاقاً، ولا يفكر إطلاقاً في إلقاء كلمة أثناء الجمعة؛ مهما استمع إلى درس دقيق، ومنهجي، ورائع، وعميق، ودقيق، فيه أدلة، وأحاديث، وآيات؛ لا يستوعب شيئاً، أما إذا جلست لتستمع، كي تجعل

من موضوع هذا الدرس أو هذه الخطبة حديثاً طوال الأسبوع؛ عندئذٍ تركز، الخطيب تكلم كذا، وذكر كذا، وجاء بالآية الفلانية، والحديث الفلاني، فأنت لا تركز في سماع الدرس؛ إلا إذا أردت أن تلقيه على الآخرين.

شيء مؤلم حقاً :

أنا مرة وجدت إنساناً في أيام الشتاء الباردة، يحمي سيارته: إلى أين؟ يوم الجمعة، قال لي: في بائع فول بالميدان درجة أولى، ربع ساعة حتى حميت، وهو بالمهاجرين ساكن، إلى الميدان حتى يجلب كيلو فول، يأكله صباحاً! يعني دينك أرخص عليك من كيلو فول؟! تجد أقرب جامع، وتأتي بعد الخطبة، وتلحق ركعة، هذه صلاة الجمعة، أما من أجل صحن فول؛ تحمي السيارة ربع ساعة، وتنتقل من المهاجرين للميدان، لأن الفولات ظراف، ابحث لك عن خطيب ظريف، وشغل سيارتك، اذهب لعنده، ما في مانع؛ لأنك أنت مكلف أن تدعو إلى الله، مكلف أن تدعو؛ في حدود ما تعلم، ومع من تعلم، ومع من تعرف، مع من تعرف؛ خاصة نفسك.

حاسب نفسك :

حاسب نفسك، معقول تمضي جمعة، ما تتكلم كلمة بالحق، فقط بالأسعار، والأخبار، وأخبار الساقطين والساقطات، الأحياء منهم والأموات، هذا حديثنا؛ أما في موضوعات سليمة جداً تلقياها؛ لذلك:

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم))

من يلوذ بك.

تأمل وفكر واستنتج :

مرة ثانية:

ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار.

عن:

((ما اجتمع قوم ثم تفرقوا لم يذكروا اسم الله، كأنما تفرقوا إلا عن جيفة حمار))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدرکه]

أما إذا جلس قوم في مجلس ليذكروا الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده .

عن الحديث:

((ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، و نزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده))

ماذا يوجد أرقى من ذلك؟ سكينة، طمأنينة، صار قلبه برداً وسلاماً، واثق من رحمة الله، واثق من عدالة الله، مطمئن للمستقبل، نزع منه الخوف، نزع منه القلق، نزع منه الفرق، الملائكة حفته، أعانته، وألهمته الصواب، وسددت خطاه، وأنطقته بالحق، وربنا عز وجل غشي كل هؤلاء الذين كانوا بالمجلس، غشيم برحمته، رحمة وسكينة، وحفظ، وعناية، وذكرهم الله فيمن عنده؛ هؤلاء الذين إذا جلسوا مجلساً؛ ذكروا الله فيه.

رأي شخصي :

فأنا أرى أن من خصائص المسلم: يعني لا يوجد إنسان من الحاضرين ليس له لقاءان، ثلاثة، أربعة بالجمعة؛ زار أخته، في عنده سهرة، في عنده وليمة، في عنده عقد قران، في عنده صلة رحم، دخلت، ما الموضوع الذي ينبغي أن نتحدث به؟ اجعل موضوع الحديث طوال الجمعة الذي تلقينته يوم الجمعة، إما من خطبة، أو من درس علم، بهذا تكون قد نفذت وصية رسول الله:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

((فربّ مبلّغ أوعى من سامع))

[أخرجه الترمذي في سننه]

تعلم وعلم :

فهذا الحديث الذي رواه ابن ماجة:

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم))

تعلم وعلم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي وأبو داود في سننهما]

من تعلم وعلم، ليس من تعلم فقط؛ العلم ليس هدفاً لذاته، العلم وسيلة، كي ترقى به، وكي تحمل الناس على أن يرقوا به.

دعوة رجاء :

هذا حديث أتمنى على الله أن يعينكم على تطبيقه، أن تتعلموا علماً ثم تعلموه، في بيئكم، مع أهلكم، مع أولادكم، مع أخوانكم، مع جيرانكم، مع أصدقائكم؛ بقاء، بنزهة، بسفر، بوليمة، بزيارة، بصلة رحم، بأي وقت، اختر خطيباً تثق بعلمه، وتثق بإخلاصه، والزمه، واكتب أثناء الخطبة أشياء أساسية، وحاول أن ترددها أثناء الجمعة؛ تكون فعلت كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام، وكما جاء في هذا الحديث:

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم))

أفضل العيادة أجراً: سرعة القيام من عند المريض :

أفضل العيادة أجراً: سرعة القيام من عند المريض.

عن الحديث الضعيف:

((أفضل العيادة سرعة القيام))

ألا تطيل.

ورد في بعض الأحاديث:

((العيادة فواق ناقة))

يعني مدتها مدة حلب ناقة؛ يعني عشر دقائق:

((العيادة فواق ناقة))

لأن المريض قد يكون متألماً، يحتاج إلى دواء، يحتاج إلى أن يخرج من غرفته، يحتاج إلى مساعدة زوجته، يحتاج إلى أن يجلس جلسة معينة، فالمريض لا يحتمل أن تطيل عنده المقام فلذلك: العيادة فواق ناقة، وأفضل العيادة أجراً: سرعة القيام من عند المريض.

أفضل الفضائل :

و:

((أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عن ظلمك))

في بالجامعات تقديرات؛ في تقدير مقبول، وفي تقدير جيد، وفي جيد جداً، وفي ممتاز، وفي مرتبة الشرف؛ إن أردت أن تكون في الأعلى مع أولي الفضل.

سبب نزول هذه الآية :

قال تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا
وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[سورة النور الآية: 22]

العلماء جميعاً: على أن هذه الآية تخص سيدنا الصديق رضوان الله عليه، سيدنا الصديق له قريب اسمه مصطح؛ هو الذي تولى كبر حديث الإفك، هو الذي روج في المدينة: أن السيدة عائشة وقعت في الفاحشة مع مصطح -مع الذي نقلها- سيدنا الصديق كان يعطيه عطاء كل شهر، كان أحد أقربائه، ضمه إلى بيته، فلما تكلم على ابنته كلاماً، متى قطع عنه المعونة؟ حينما نزلت براءة ابنته في القرآن، معناها أنه كاذب، حينما برأها الله عز وجل من فوق سبع سموات، مع ذلك مصطح كاذب فيما يقول، قطع عنه المساعدة؛ لأنه شيء لا يحتمل، إساءة ما بعدها إساءة، من أكبر الكبائر: قذف محصنة؛ يهدم عمل مئة سنة.

عن الحديث:

((إن قذف المحصنة يهدم عمل مئة سنة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير واليزار في مسنده]

انظر إلى شرح هذه الآية :

فجاءت الآية: ولا يأتل؛ أي لا يحلف، ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة: من هم أولو الفضل؟ المقصود سيدنا الصديق؛ الله عز وجل يمدحه بهذه الكلمة، بماذا يمدحه؟ بالمال والسعة، ما معنى كلمة أولو الفضل؟ فضل في الدنيا أم فضل في الدين؟ أيليق بالله عز وجل أن يمدح إنساناً في الدنيا؟! أن هذا من أولي الفضل؛ يعني من الأغنياء؟! لا، مستحيل، مستحيل، لا يليق بذات الله أن يمدح إنساناً من عباده بالدنيا؛ إذاً: قطعاً أولو الفضل في الدين، يعني في الإيمان، إذاً: هذه شهادة من الله عز وجل؛ شهادة من الله لسيدنا الصديق بأنه من أولي الفضل والسعة، كان غنياً.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا ذَوِي الْقُرْبَىٰ - مصطح من ذوي القربى - وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

مصطح هاجر من مكة إلى المدينة في سبيل الله، وارتكب هذه الجريمة، العلماء قالوا: إن هذه الجريمة على فظاعتها، وعلى كبرها، لا تلغي هجرته، لأن الله ﷻ، أثبت له أنه هاجر في سبيل الله:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[سورة النور الآية: 22]

لماذا خاطب الله الصديق في هذه الآية بالجمع؟ :

سيدنا الصديق كم رجل؟ واحد، لماذا خاطبه الله بالجمع؟ أنت ممكن أن تخاطب إنساناً كبيراً بالجمع، ممكن أن تخاطب مدير دائرة، وزير، رئيس وزارة، تقول له: أنتم اتخذتم قراراً، هذا القرار لم يكن منصفاً، أنتم هذا العمل فسرتم هذا العمل تفسيراً معيناً، أنتم فسرتم؛ هذا من باب التعظيم، أما أيعقل أن الله ﷻ يخاطب الصديق بالجمع؟ تكريماً له، الآية كلها عن سيدنا الصديق:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[سورة النور الآية: 22]

هذا هو المقام الذي بلغه الصديق في الإسلام :

ما هذا المقام الذي بلغه الصديق؟!.

ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر.

لو وزن إيمان الخلق مع إيمان أبي بكر لرجح.

عن الحديث:

((سُدُّوا عَنِي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةٍ أَبِي بَكْرٍ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا به كبوة، إلا أخي أبا بكر، ما ساءني قط، فاحفظوا له ذلك))

عن الحديث:

((وما عرضتُ الإسلامَ على أحدٍ إلا كانت له كِبْؤَةٌ، إلا أبو بكر))

إذاً: إن أردت أن تكون من أهل الفضل، إن أردت أن تكون من أهل الفضل؛ صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك.

كن مثل هؤلاء :

تحب أن تكون مقبولاً، ماشي؛ الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[سورة النحل الآية:90]

العدل قسري، أما الإحسان طوعي، وأنت مأمور بالإحسان كما أنك مأمور بالعدل، فإن أردت أن تكون محسناً، صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك.

لذلك هنا يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن ظلمك))

هذه أخلاق الأنبياء، هذه أخلاق الصديقين، هذه أخلاق الأولياء، هذه أخلاق المقربين، هذه أخلاق السابقين؛ أن تصل من قطعك، وأن تعفو عمن ظلمك، وأن تعطي من حرمك.

وفي حديث آخر قريب من هذا الحديث:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتَسْعٍ؛ خَشْيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَلِمَةِ الْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا، وَنُطْقِي ذِكْرًا، وَنظري
عبرة))

آخر حديث:

((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله: التودد إلى الناس))

لأنه أنت هدفك هداية الناس، والهداية تحتاج إلى تمهيد، والتمهيد هو التودد، والتودد عمل طيب يعبر عن حب صحيح، المودة عمل، سلوك، كلمة، ابتسام، هدية، مصافحة حارة، يعني عمل طيب، هذا التودد، التودد إلى الناس مفتاح قلوبهم، سبب هدايتهم، لذلك:

((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله: التودد إلى الناس))

وكم من إنسان اهتدى بكلمة طيبة، بهدية، بعمل طيب، بخدمة، بمعاونة، بمد يد المساعدة، هذا الذي يفعله المؤمنون.

درس اليوم :

صار في عندنا الدرس اليوم:

((أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم))

و:

((أفضل العيادة سرعة القيام))

من عند المريض.

((أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عن ظلمك))

((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله: التودد إلى الناس))

هذه أربع فضائل في الصدقة والعيادة، وأن تكون فاضلاً، وأن تكون متودداً للناس.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين، الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-60} : جهاد النفس ثم الجهاد الدعوي ثم الجهاد القتالي

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-11-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء الاستفتاح :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

كيف فسر الإمام علي هذه الشبهة؟ :

صحابي جليل يصلي بغير وضوء، ويفر من رحمة الله، ويحب الفتنة، وله في الأرض ما ليس لله في السماء، كلام لا يقبل وصعب أن نفسره، إلا أن الإمام علياً كرم الله وجهه، قال:

يا أمير المؤمنين؛ إنه يصلي على النبي بغير وضوء، وإنه يفر من رحمة الله، أنا فررت من رحمة الله، رحمة الله هي، فررت منه، نعم، ويحب الفتنة:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

[سورة التغابن الآية:15]

إن من لا يحب أولاده، وله في الأرض ما ليس لله في السماء؛ له زوجة وولد، والله سبحانه وتعالى منزه عن الزوجة والولد.

هذا اسمه تأويل، التفسير شرح، أما حينما يأتي النص متناقضاً مع الواقع ومع العقل؛ لا بد أن تقول، فهذا الصحابي الجليل الذي يصلي بغير وضوء؛ غير معقول، إذًا: يصلي على النبي بغير وضوء، والذي يفر من

رحمة الله، هذه رحمة الله، الآن فررنا منها لئلا نتبدل، ويحب الفتنة؛ من منا لا يحب أولاده؟:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

[سورة التغابن الآية:15]

وله في الأرض زوجة وولد، ما ليس لله في السماء.

متى يكون التأويل؟ :

الإمام الغزالي يقول:

إذا ورد المنقول بما يخالف المعقول، وجب أن نؤول المنقول بما لا يخالف المعقول.

التأويل صار ضرورياً.

إذا قلنا: هذا المؤمن الصادق المطبق الورع في نار، أية نار هذه؟ نار الحب، يشبه الحب بالنار لتأججه.

قال الشاعر:

في من الوجد ما إن اقترب قلبي من الجمر لاحترق الجمر

إذا اقترب قلبه من الجمر؛ ما الذي يحترق؟ الجمر وهكذا.

من أنواع الجهاد في سبيل الله :

حديث اليوم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أفضل الناس: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله، و يدع

الناس من شره))

الحديث بمعظم المجالس قد يصل إلى موضوع الجهاد، والجهاد ذروة سنام الإسلام؛ يعني أعلى شيء في الإسلام على الإطلاق: الجهاد، ولكن الذي يؤسف له: أن معظم الناس إذا ذكروا كلمة جهاد يفهمونه جهاداً قتالياً؛ الجهاد

القتالي أحد أنواع الجهاد, لكن قبل الجهاد القتالي: هنالك جهاد النفس والهوى.

ما وراء هذه الأحاديث :

هذا حديث صحيح في البخاري:

((أفضل الناس: مؤمن يجاهد نفسه في الله عز وجل))

يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله.

الحديث الذي شرح في الدرس الماضي: أصدق المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون

((أفضل المؤمنين إسلاماً: من سلم المسلمون من لسانه ويده, وأفضل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً, وأفضل

المهاجرين: من هجر ما نهى الله تعالى عنه, وأفضل الجهاد: من جاهد نفسه في ذات الله عز و جل))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من لم يجاهد أو لم يحدث نفسه بالجهاد؛ مات على ثلثة من ثلم النفاق))

عن الحديث:

((من مات ولم يغز, ولم يحدث نفسه بالغزو, مات على شعبة من نفاق))

فيه طرف نفاق؛ من لم يجاهد أو من لم يحدث نفسه في الجهاد.

تعريف الجهاد بالمعنى الاصطلاحي :

الجهاد بالمعنى الاصطلاحي هو:

1- جهاد النفس والهوى.

2- الجهاد الدعوي.

3- الجهاد القتالي.

متاح لنا في هذه الأيام الجهاد؛ جهاد النفس والهوى؛ متاح لنا، متاح لنا الجهاد الدعوي، إذًا: لا ينبغي إن ذكرت كلمة جهاد، أن نصرّفها إلى الجهاد القتالي، جهاد النفس والهوى -كما قال عليه الصلاة والسلام- أعلى أنواع الجهاد، هذا الذي هزم أمام نفسه، كيف يجاهد غيره؟! مستحيل، المهزوم أمام نفسه؛ إنسان ساقط، لن تستطيع أن تجاهد الآخرين بلسانك، إلا إذا جاهدت نفسك وهواك.

((ابن آدم، عظ نفسك فإن وعظتها فعظ غيرك، وإلا فاستح مني))

كم نوع للجهاد؟ :

كلما ذكرت كلمة الجهاد، ينبغي أن نفهمها على التسلسل التالي:

جهاد النفس والهوى في المرتبة الأولى، ثم الجهاد الدعوي -يعني أن تدعو إلى الله- هل هناك من دليل يؤكد أن الدعوة إلى الله نوع من الجهاد؟ نعم آية كريمة، يقول الله عز وجل:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية: 52]

أجمع علماء التفسير: أن الهاء تعود على القرآن الكريم:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

ربنا ﷺ في عليائه: سمي الجهاد الدعوي جِهَادًا كَبِيرًا:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية: 52]

النوع الثالث: هو الجهاد القتالي.

انظر إلى هذا التسلسل الإسلامي للجهاد :

أيها الأخ، هل تعتقد أن الجهاد القتالي يسمح الله لك به إن لم تبدأ بالجهاد الدعوي؟ أهل سمرقند بلغهم أن فتح مدينتهم لم يكن شرعياً -لم يبدأ بالجهاد الدعوي، بدأ مباشرة بالجهاد القتالي- فأرسلوا وفداً سراً إلى خليفة المسلمين -عمر بن عبد العزيز- وأبلغوه سراً أن مدينتهم فتحت بالجهاد القتالي دون أن يسبق ذلك الجهاد الدعوي؛ أي دون أن يعرض عليهم الإسلام، قوتلوا مباشرة، وانتصر المسلمون، ودخلوا المدينة، وفتحوها، وأداروا شؤونها.

سيدنا عمر بن عبد العزيز فيما تروي الأخبار على قصاصة صغيرة وجدها أمامها، أعطى أمراً لقائد الجيش أن ينسحب من سمرقند، ويعيد فتح هذه المدينة وفق التسلسل الإسلامي:

يعرض عليهم الإسلام فإن أبوا؛ يعرض عليهم الجزية؛ فإن أبوا؛ يقاتلهم.

فالجهاد القتالي مرحلة متقدمة جداً، أما الشيء المتاح لنا جميعاً؛ أن نجاهد أنفسنا وأهواءنا؛ الإنسان إذا ضبط شهواته، ضبط أهواءه، وحمل نفسه على طاعة الله، علاقته، وزكى نفسه، فقد جاهد الجهاد الأول، فإذا انطلق إلى غيره يبين لهم، ويدعوهم، ويؤكد لهم بالدليل والتعليم، فقد انتقل إلى المرتبة الثانية، فإذا أتى لنا أن نقاتل اليهود في المستقبل إن شاء الله، هذا هو الجهاد القتالي.

في عندنا الجهاد: جهاد النفس والهوى، الجهاد الدعوي، ثم الجهاد القتالي.

هذا الجهاد الدعوي :

أيها الأخوة، أما الجهاد الدعوي فذكرته كثيراً؛ يعني ما في إنسان إلا ويحضر يوم الجمعة إحدى خطب المساجد؛ هذا الخطيب ألم يقل آية؟ ألم يشرح آية؟ ألم يشرح حديثاً؟ ألم يبين حكماً؟ ألم يبين قصة؟ ألا تستطيع أن تذكر شيئاً مما قاله في ساعة؟! هذا الذي ذكرته، وتأثرت به، وتفاعلت معه، يجب أن تنقله، ولو فعل كل المسلمين هذا لكنا في حال غير هذا الحال، لا يوجد واحد من الحاضرين إلا له لقاءات، وسهرات، وسفر، وولائم، وزيارات، و تهنئة، وتعزية، هذه اللقاءات الاجتماعية التي تجري كل أسبوع، لو أن كل إنسان لزم خطيباً يثق بعلمه، واستقامته، وورعه، وأخذ عنه شيئاً من خطبة الجمعة، وصار يبلغ الناس مما سمع، وهذا الذي أقوله دائماً: أنت

مكلف أن تتقل عن رسول الله ولو آية، ولو حديث:

((فربّ مبلّغ أوعى من سامع))

[أخرجه الترمذي في سننه]

هذا الجهاد الدعوي، والله عز وجل يقول:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

متى يموت الإنسان على ثلثة من النفاق؟ :

وقال عليه الصلاة والسلام:

((خيركم من تعلّم القرآن وعلمه))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي وأبو داود في سننهما]

أما إنسان لا يجاهد نفسه إطلاقاً، ولا يجاهد غيره جهاداً دعوياً، ولا يحدث نفسه بالجهاد إطلاقاً؛ يموت على ثلثة من النفاق، يعني يموت منافقاً.

اعلم هذه الحقيقة :

أقول لكم هذه الحقيقة: مستحيل أن تستقر أو أن يستقر الإيمان في قلبك؛ دون أن يعبر عن ذاته بحركة نحو الآخرين، مستحيل، لا تصدق أبداً مؤمناً لا يفكر إطلاقاً في هداية الآخرين، لا تتصور مؤمناً يبقى صامتاً طوال عمره، يصلي،

ويصوم، ويطيع الله، ولا يعنيه أمر الآخرين.

الوردة الطبيعية ذات الرائحة الفواحة؛ إن لم تجد رائحتها إطلاقاً فليست وردة طبيعية، إنها وردة اصطناعية، توهمتها طبيعية، لو أنها طبيعية لفاحت رائحتها، والمؤمن الصادق؛ بمجرد أن تستقر حقيقة الإيمان في قلبه، هذه

الحقيقة تعبر عن ذاتها بالدعوة إلى الله؛ الجهاد الدعوي.

أمر عجيب!! :

أنا أعجب أحياناً، أجد أحياناً لا يوجد عنده إمكانيات أن يلقي محاضرة، ولا أن يتكلم بالعلم، لكنه متحرق على أن يكون داعية إلى الله؛ يقتني عدة أجهزة ويوزعها، بعد حين حوله عشرات صار.

أنت إذا تأثرت بدرس، ولهذا الدرس شريط، وأخذت هذا الشريط، وأعرته لأخيك أو لأختك، نقلته من إنسان لإنسان؛ أنت الآن داعية لكن بالوساطة، ما في مانع.

متى يشك في إيمان الشخص؟ :

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾

[سورة القمر الآية: 17]

العلم ميسر جداً؛ في محاضرات شفوية، وفي مقالات مكتوبة، وفي أجهزة دينية، كل شيء موجود، فممكن إنسان لا يفكر إطلاقاً بالدعوة إلى الله؛ هذا إنسان يشك في إيمانه، لأن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف الآية: 108]

فإن لم تدع إلى الله، فأنت لست متبعاً لرسول الله ﷺ، لست متبعاً أنت، لو أنك متبع؛ لدعوت إلى الله على بصيرة، يعني بالدليل والتعليل.

خلاصة فيما سبق ذكره عن أنواع الجهاد :

1- جهاد النفس والهوى :

ملخص ما قيل حتى الآن: أن هناك جهاداً؛ جهاد النفس والهوى، وهذا من أعلى مستويات الجهاد، وهو المنطلق، والدليل: قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر:

((أفضل الجهاد من جاهد نفسه في الله عز وجل))

يعني: غض بصره، وضبط لسانه، وضبط بيته، وضبط عمله، وحرر دخله، وأنفق فيما يرضي الله، يعني ضبط جوارحه، وضبط كسبه للمال، وإنفاقه للمال، وضبط بيته؛ زوجته، بناته، وأولاده، وضبط عمله، هذا أعلى أنواع الجهاد، ولا تنس أنه: من مات ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على ثلثة من النفاق.

2- الجهاد الدعوي :

انتهينا من جهاد النفس والهوى، انتقلنا على الجهاد الدعوي:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

تعلم القرآن وعلمه، تعلم السنة وعلمها، تعلم أحكام الفقه وعلمها، تعلم سيرة النبي وعلمها، تعلم وعلم في حدود ما تعلم ومع من تعرف، عليك بخاصة نفسك، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ الزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك.

من هم خاصة نفسك؟ :

عن الحديث الحسن:

((حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متّبعاً، ودُنيا مؤثّرة، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك بنفسيك، ودع عنك
العوامّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

أولادك، إخوانك، أخوتك، أخواتك، أولاد أخوتك، أولاد أخواتك، أولاد خالاتك، أولاد عماتك، جيرانك، زملاؤك في العمل، أخوانك في المسجد، هؤلاء خاصة نفسك، هذا إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متّبعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه.

من هم أفضل الناس؟ :

قال:

((أفضل الناس: مؤمن يجاهد نفسه في الله عز وجل، أو يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمن في
شعب من الشعوب يتقي الله، و يدع الناس من شره))

وجد الطريق فيه فتن، والأماكن العامة فيها فتن، ورأى أناساً منحرفين؛ انسحب إلى بيته، وعبد الله في بيته، هذا أيضاً يأتي بعد المجاهد، العبرة أن تجاهد نفسك وهواك بحملها على طاعة الله، وتزكيتها، ثم بالبعد عن مواطن الشبه، مواطن الشبهات وأماكن الفتن، بعد هذا يمكن أن تنتقل إلى المرتبة الثانية في الجهاد؛ وهي الجهاد الدعوي، تعلم وعلم، تلقى وألقى، اقتبس وأعط، وحينما يتاح للمسلمين -إن شاء الله- الجهاد القتالي؛ لا يقصرون. هذا ملخص كلمة الجهاد التي كلما وردت؛ يصرفها الناس إلى الجهاد القتالي، لا لا قبل القتالي، يوجد مراحل طويلة جداً؛ جاهد نفسك وهواك، المهزوم لا يستطيع أن يؤثر في أحد، المهزوم أمام نفسه ساقط من عين الله، ومن عين نفسه لا تستطيع أن تجاهد الناس، إلا إذا كنت منتصراً على نفسك.

أنا في بعض الخطب أَدعو وأقول:

اللهم انصرنا على أنفسنا حتى نستحق أن نتصرنا على أعدائنا.

وإلا المهزوم أمام نفسه لن يستطيع أن ينتصر على أحد.

الله إذا أعطى أدهش :

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل بمناسبة هذه الأمطار، يعني إذا أعطى أدهش، بعشرين دقيقة قبل يومين؛ هطلت كميات تزيد عن ثلاثين ميليمتراً، نحن كل أمطار دمشق مئتان واثنان عشر تقسيم ثلاثين، يعني ست مرات، بالمرة عشرون دقيقة، يعني مئة وعشرين دقيقة، تساوي أمطار الموسم كله، إذا أعطى أدهش، لكن كما قال عليه الصلاة والسلام:

((اللهم حوالينا ولا علينا))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، وأبو داود والنسائي في سننهما، ومالك في الموطأ]

الأمطار أحياناً تكون مدمرة، نرجو الله أن تكون سقيا رحمة لا سقيا عذاب.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصل الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-61} : أكبر الكبائر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى -فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 08-11-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

انتبه إلى هذا الحديث :

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح, الذي رواه الإمام البخاري:

((أكبر الكبائر: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ, وَقَتْلُ النَّفْسِ, وَعَقْوُقُ الْوَالِدَيْنِ, وَقَوْلُ الزُّورِ))

هذه ليست كبائر, بل هي من أكبر الكبائر متدرجة, هذه الأعمال من أكبر الكبائر, التي يمكن أن يقتربها الإنسان.

اعلم ذلك :

أيها الأخوة, ومن أكبر أكبر هذه الكبائر: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ, لأن الله سبحانه وتعالى:

﴿لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النساء الآية:48]

الإنسان قد يرتكب عشرات الأخطاء, لكن الطريق إلى الله سالك, أما هناك خطأ واحد, وهو الشرك بالله, هذا الذنب لا يُغفر.

ما هي الذنوب التي يغفرها الله, وما هي الذنوب التي لا تترك؟ :

ورد عن رسول الله -ﷺ-:

((أن هناك ذنباً يغفر, وأن هناك ذنباً لا يغفر, وأن هناك ذنباً لا يترك))

فما كان بينك وبين الله يغفره الله, لأن حقوق الله مبنية على المسامحة, وما كان بينك وبين العباد لا يُترك, لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة, وحقوق العباد لا تسقط إلا بالأداء أو المسامحة, في حالتين؛ إما أن تؤدي الحق, وإما أن يسامحك أخوك عن طيب نفس, من دون ضغط أو إكراه, إذا تمت مسامحة بين العباد, ربنا ﷺ: يبارك هذه المسامحة, ولا يتدخل.

لذلك: النبي -عليه الصلاة والسلام- كان إذا مات أحد أصحابه, ودعي إلى الصلاة عليه, يسأل:

((أعليه دين؟ فإن قالوا: نعم, يقول: صلوا على صاحبكم, ولا يصلي عليه))

مع أنه من أصحابه, وربما خاض معه المعارك, وربما كان مجاهداً في سبيل الله.

بل إن النبي -عليه الصلاة والسلام- استفتي مرة, فيما إذا كان الشهيد تُغفر له كل ذنوبه, فأجاب بالإيجاب, ثم جاءه جبريل مستدركاً, قال للذي سأله:

((تعال - يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

حتى في بعض الأحاديث: لو أن الإنسان مات شهيداً, ثم عاش, ثم مات شهيداً, لا يُغفر له الدين أبداً.

والدين أحاديث كثيرة جداً, وردت في الترغيب والترهيب, تحذر من الدين؛ يجب أن تستقرض لأمر خطير, ويجب أن تستقرض ومعك ما يكافئ هذا الدين؛ عقار, أو شيء ثابت.

لو أن صاحب الدين طالب بدينه, هناك ما يباع لأمر أساسي, وعندك ما يكافئ الدين, وإلا يبقى معلقاً بدينه إلى يوم القيامة.

والإنسان قبل أن يستقرض, ليعد إلى الألف, لأن المال شقيق الروح.

((من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها، أتلفه الله))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

إليكم هذا المثال لتوضيح معنى الشرك بالله :

((أكبر الكبائر: الشرك بالله))

البارحة: كان في درس في جامع النابلسي، درس تفسير، ضربت لهم مثلاً عن الشرك، مألوف:

إنسان له في حلب مبلغ كبير، وليكن مليون ليرة، إذا وصلها الساعة الثانية عشرة ظهراً، قبض المبلغ، بعد هذا الوقت: لا يأخذ شيئاً، ركب قطاراً، يمكن أن يرتكب أخطاء كثيرة في هذا القطار؛ يمكن أن يدفع ثمن تذكرة من الدرجة الأولى، ويجلس في الدرجة الثالثة، هذا خطأ، جلست في مكان أقل مما دفعت، ويمكن أن يجلس عكس اتجاه القطار، يصاب بالدوار، ويمكن أن يجلس مع شباب غير مهذبين، ينزعج طوال الطريق، ويمكن أن يكون جائعاً، ولا يعلم أن في القطار مطعم صغير، ويمكن ويمكن

مع كل هذه الأخطاء: القطار في طريقه إلى حلب، وسيصل في الوقت المناسب، وسيأخذ المبلغ، أما هناك خطأ لا يغتفر، كبير، كبير، كبير: هو أن يركب قطار درعا خطأ، هذا القطار على فخامته، لا يوجد فيه ولا مشكلة، ركب في الدرجة الأولى، والمناظر جميلة جداً في الربيع، وقدمت له ضيافة راقية، وكان في الغرفة وحده، وكل شيء ميسر؛ لكن مشى بعكس هدفه، لم يأخذ شيئاً من هنا.

فهذا الخطأ لا يُغفر مع أخطاء كثيرة؛ ما دمت متجهاً إلى حلب، وسوف تصل في الوقت المناسب، القضية سهلة، أما إذا أخذت أفخم قطار، واتجهت عكس المراد، هنا الطريق مسدود.

إليكم معنى مفهوم الذنب الذي يغفره الله، ومعنى الشرك الذي لا يغفره :

فالشرك

انظر: إن توجهت إلى الله، وعندك ذنب، يغفره الله لك، إن توجهت إلى الله، وقد قصرت في أداء واجب، يغفره الله لك، إن اتجهت إلى الله، وفي صلاة فاتتكم، يغفرها الله عز وجل، أما إذا اتجهت إلى غير الله، لن تجد شيئاً، لن

تحصل شيئاً؛ لن تسعد, لن تغطي, لن تطمئن:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾

[سورة النساء الآية:48]

لذلك:

((أكبر الكبائر: الإشراف بالله))

ما هو الإيمان الذي يقبله الله وينجي صاحبه من العقاب؟ :

أيها الأخوة, أما أن تعتقد أن الله خلق الكون, قضية اعتقدها إبليس, وهذا الإيمان يسمى إيمان إبليسي؛ لأن الله عز وجل قال:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة ص الآية:81]

أما الإيمان المنجي: هو أن تؤمن بأن الله لا إله إلا هو, واحد لا شريك له:

﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف الآية:84]

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد الآية:4]

﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية:123]

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر الآية:2]

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

[سورة الأعراف الآية:54]

﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[سورة الزمر الآية: 62]

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال الآية:17]

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:26]

﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح الآية:10]

هذا الإيمان: ألا ترى مع الله أحداً.

كم من قوة في الأرض يرهب جانبها؟ إلا المؤمن؛ لا يخشى إلا الله، ولا يرجو غير الله، ولا يتجه إلى غير الله، ولا يعلق الأمل على غير الله، ولا يخاف غير الله، هذا هو التوحيد، وإلا إشراك.

أنواع الشرك بالله :

الإشراك نوعان: جلي وخفي؛ جلي في الجاهلية، وخفي بعد الإسلام.

في الجاهلية كان في أصنام:

﴿وَلَا تَذَرْنِ وَدَاً وَلَا سِوَاعاً وَلَا يُغُوثٌ وَيَعُوقٌ وَنَسْرًا﴾

[سورة نوح الآية: 23]

هذه آلهة، كانت تعبد من دون الله؛ لكن بعد الإسلام:

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم؛ ولكن رضي فيما دون ذلك من الشرك الخفي))

إذاً:

((أكبر الكبائر: الإشراف بالله))

الإشراف بالله: أكثره خفي، وليس جلياً.

يعني: أنت حينما تعلق الأمل على المال وحده

يقول لك: الدراهم مراهم، تحل كل مشكلة، ماذا تكلم؟ نطق بالشرك وهو لا يدري، هذه الكلمة قد تحتاج إلى تأديب كبير، هذا الإنسان الذي يقول هذا الكلام، قد يصاب بمشكلة، لا يحلها المال أبداً.

ففي كلمات كلها شرك، فلانة إلى كبري، لن أزوجها

أحياناً: فتاة يعني يفوتها قطار الزواج، ماذا تقول أمها؟ هذه تركتها إلى كبري، ومن أدراك أنك سوف تصلين إلى هذا السن؟.

قالت:

((لقد أكرمك الله -سمعها النبي- قال: ومن أدراك أن الله أكرمه؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبي مرسل، لا أدري ما يفعل بي، ولا بكم))

فالإنسان ليبتعد عن الشرك، لأن الشرك ذنب لا يغفر، والشرك الجلي غير موجود، والموجود الشرك الخفي.

ورد في بعض الأحاديث:

((الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء , على الصخرة الصماء , في الليلة الظلماء , وأدناه أن تحب على جور ,
وأن تبغض على عدل))

يعني: أحياناً الإنسان: له صديق غير مستقيم, جائر, لكن هذا الصديق غني, فإذا دخلت عليه, رحب بك أشد
الترحيب, وأكرمك, وأعطاك, أنت تحبه على جور, هذا شرك, أحببته على جور, هذا شرك, هذا ليس من كمال
الإيمان, أما إذا أحببت مؤمناً مستقيماً, هذا من كمال الإيمان.

من أمثلة الشرك بالله :

الحب في الله عين التوحيد؛ أن تحب رسول الله, أن تحب أصحاب النبي, أن تحب كل مؤمن, أن تحبه حباً
حقيقياً, أما أن تحب إنساناً جائراً, لأنه يعطيك, هذا شرك, هذا حب على جور, أو أن يأتي إنسان صالح, قدم لك
نصيحة أزعجتك, فأبغضته, هذا البغض: نوع من الشرك.

أن تبغض على عدل, وأن تحب على جور.

((الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء , على الصخرة الصماء , في الليلة الظلماء , وأدناه أن تحب على جور ,
وأن تبغض على عدل))

هذا وصف سيدنا علي للشرك.

أحياناً الإنسان: يفكر تفكيراً شركياً, يتوجه توجيهاً شركياً.

لو أنك سمعت النشرة الجوية, فإذا هناك منخفض جوي قادم من أوروبا, متمركز فوق قبرص, في طريقه إلينا,
وبعد أيام سوف تمطر السماء أمطاراً غزيرة؛ إن لم تر هذا رزق الله ساقه إليك, إن لم تر يد الله تسوق هذا
المنخفض, فهذا نوع من الشرك, لذلك قال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[سورة يوسف الآية:106]

يعني: إذا اعتقدت أن هذا المنخفض: هو الذي يأتي بالمطر, كتلة غيوم متجهة نحو القطر, أما إن رأيت الله يسوقها, ويرسل هذا الغيم رزقاً للعباد؛ من أجل البهائم الرتع, والأطفال الرضع, والشيوخ الركع, هذا توحيد.

هذا التوحيد :

يعني: أحد أخواننا البارحة, قدم لي نشرة جوية لمحافظة دمشق فقط, الشيء المدهش: أكثر من عشرة أماكن, أو خمسة عشر مكاناً؛ 60, 65, 97, 72, 83 مقابل 3 ملم, 2, 1 العام الماضي, 93 مقابل 3, 86 مقابل 2, إذا أعطى أدهش.

إن رأيت هذا رزقاً للعباد, ساقه الله إلينا؛ ليفجر الينابيع, لترتع البهائم, ليرضع الصغار, ليأكل الكبار, هذا توحيد.

احذر من أن تقترب هذا الذنب :

أيها الأخوة,

((أكبر الكبائر: الإشراك بالله, وقتل النفس, وعقوق الوالدين, وقول الزور))

كما قلت قبل قليل: هذه ليست كبائر, هي من أكبر الكبائر, والإنسان يظل بخير, ما لم يسفك دماً.

أنا أؤكد لكم: أن الإنسان إذا حضر مجلس علم, ونور الله قلبه بهذا العلم, وعرف ما له وما عليه, وعرف الحدود فلم يتجاوزها, وعرف الحلال والحرام, عرف الخير والشر, عرف ما ينبغي وما لا ينبغي, هو على بصيرة من أمره, هذا الإنسان لن يصل إلى القتل, في سلام, لأن الله يهديهم سبل السلام, ليس سلاماً واحداً, سلام مع ربه؛ يدافع عنك, ويؤيدك, ويحفظك, وينصرك, ويوفقك, سلام مع أهله, سلام مع أخوانه, سلام مع جيرانه.

فتجد المؤمن كالكوكب الدري, أبعد الناس عن أن يتورط في جريمة, أما الشيطان

لما القبطي وكز الإسرائيلي, ماذا قال سيدنا موسى؟:

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

[سورة القصص الآية:15]

قصة مؤلمة :

حدثني أخ في الشام، وقعت جريمة، أساسها: إنسان شاب، تائه، شارد، دخل إلى ملهى، رأى راقصة أعجبتة، فخطبها، فتزوجها، ثم اكتشف أن في حياتها ألف رجل ورجل؛ اتصالات يومية، وأصحاب، وأصدقاء، ولقاءات، لم يحتمل، عنفها، وبخها، هربت إلى بيت أهلها، متعلق بها، استرضاها، طلبت منه مئة ألف، تُضاف إلى مقدمها، كتب لها مئة ألف، ما إن كتب لها المئة ألف، حتى هربت ثانية، وأقامت عليه دعوى، تطلب المبلغ نقداً، وإلا يسجن، فلما عرف هذا المطب الذي وقع به، أخذ سلاحاً، واتجه إلى بيت أهلها، أطلق النار عليها، وعلى أمها، وعلى أختها، وشعر أنه مقتول، فأطلق النار على نفسه، مات وحده، ونجا الثلاثة:

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

[سورة القصص الآية:15]

قصة من واقعنا :

إنسان آخر: سائق سيارة، استوقفته فتاة، ترتدي عباءة: إلى أين يا أختي؟ قالت: إلى أين تريد، خذني إلى أي مكان تشاء، فهم، وعد هذا غنيمة، ولما قضى وطره منها، قدمت له ظرفين؛ ظرف فيه رسالة، و ظرف فيه خمسة آلاف دولار، فلما ذهب ليصرف المال، إذا بها مزورة، وضع السجن، ولما فتح الرسالة، وجد فيها سطرًا واحداً: مرحباً بك في نادي الإيدز:

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

[سورة القصص الآية:15]

آلاف القصص، آلاف الجرائم؛ المؤمن الذي له مجلس علم، نور الله قلبه بالعلم، على بينة من ربه، على صراط مستقيم، على منهج واضح، له اتصال بالله، له أخوة في الله؛ يسدون خطاه، يرشدونه، يأخذون بيده، لا يمكن أن يصل إلى هذا الطريق.

لذلك: أكبر الكبائر: الإشراف بالله، وقتل النفس.

ويظل المسلم بخير, ما لم يسفك دماً.

الشرك يؤدي إلى سفك الدم :

أيها الأخوة, الإنسان أحياناً, الشرك يؤدي إلى سفك دم.

تاجر أقمشة عنده موظف, اختلف معه, طرده, جيد, لا يوجد مانع, هذا الموظف أخبر الجهات المسؤولة: أن عنده مستودعاً, فيه أقمشة مهربة, جاء البلاء الأعظم, ضبطت البضاعة -وكلف وقتها قبل اثنتي عشرة سنة, كلف بثمانمئة ألف, يعني مبلغ خيالي, يساوي ثمانية ملايين, عشرة ملايين- ما كان من هذا صاحب المحل: إلا أن قتل هذا الموظف.

الآن: محكوم ثلاثون سنة, مضى منها اثنتا عشرة سنة؛ لو كان موحداً, لو أنه رأى أن هذا فعل الله, ولعل الله يغفر له, لو أنه رأى أن هذا فعل الله؛ لعله تأديب, لعله تربية, لعله رضي بقضاء الله, لبقى مع أهله, وعوض الله عليه.

أنا أقول لكم قصصاً واقعية, البلد مليئة بالقصاص, الذي له مجلس علم محصن

يا بني! العلم خير من المال؛ لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال, والمال تنقصه النفقة, والعلم يزكو على الإنفاق.

يا بني! مات خزان المال وهم أحياء, والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة, وأمثالهم في القلوب موجودة.

هذا ما يقع به الإنسان الجاهل البعيد عن مجالس العلم الشرعي :

مرة أخ, بعد ما انتهت الخطبة, قال لي: عندي سؤال, لي عندك مشكلة, أرجو أن تصغي إلي, أصغيت إليه:

عنده زوجة خاتنة, وله منها خمسة أولاد, وهو يشك أن كل هؤلاء الأولاد: ليسوا منه, حسناً: مع من تخونك؟ قال لي: مع جارنا, كيف تعرف عليها جارك؟ قال لي: والله أنا السبب, كان عندنا في البيت, قلت لها: تعالي أم فلان, هذا مثل أخيك, من هنا بدأت.

لماذا يجب أن تحضر مجلس علم؟ لتعرف ما ينبغي وما لا ينبغي, ما يجوز وما لا يجوز, الحلال والحرام,

المنهج الصحيح.

الشرع حبل الله المتين، من أمسك به نجا.

يعني: مستحيل إنسان يطبق الشرع، يصل للمحكمة، مستحيل إنسان يطبق الشرع، يصل للمقبرة مقتولاً، مستحيل. واضح؛ لو أن السائق له مجلس علم، حينما تقول له: خذني إلى أين تريد، يفتح الباب، ويركلها بقدمه، انتهى الأمر، لو أن هذا الزوج يحضر مجلس علم، لا يسمح لأحد أن يرى زوجته إلا المحارم، انتهى الأمر، ما عرفها، لو أن كل من أصابته مصيبة، عرف الله، ما وقع في هذه المشكلة.

ما سبب المشاكل في الأرض؟ :

أيها الأخوة، خذوا هذه القاعدة الذهبية: ما من مشكلة على وجه الأرض، إلا بسبب معصية.

الأمن الجنائي عندهم قاعدة: كلما وجدوا جريمة، يقول: فتش عن المرأة، وراها في امرأة.

أنا أريد أن أقول كلاماً، أصح من هذا الكلام:

كلما رأيت مشكلة، فتش عن المعصية؛ أين في معصية، هذه المشكلة وراها معصية، وهذه المعصية وراها جهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه، ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، عدوك اللدود، لو مَكَّن منك، لا يستطيع أن يفعل بك، ما تفعله أنت بنفسك عن طيب خاطر:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:57]

هم ظلموا أنفسهم.

يقول الله عز وجل:

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

[سورة البقرة الآية:175]

يعني: كأن الله يتعجب, يعملون عملاً ينتهي بهم إلى الدمار, إلى الهلاك, إلى الفقر, إلى القهر, إلى المرض, إلى الهم, وقد ينتهي بهم إلى القتل.

هؤلاء الذين يُعدمون, الذين يرتكبون الجرائم, ما الذي أوصلهم إلى حبل المشنقة؟ بعدهم عن الله, وغفلتهم, والعمل الذي هم فيه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه الآية:124]

الشرع لا بد من أن يؤخذ كله وإلا لا تقطف ثماره :

أنا أقول لكم حالات حادة, حالات خطيرة؛ لكن هناك آلاف الحالات المخففة؛ إنسان محترم, لكن يطلق البصر في الحرام, إنسان محترم, لكن يؤثر الاختلاط في العلاقات الاجتماعية, إنسان محترم, يتساهل في كسب المال, إذاً: الشرع لا بد من أن يؤخذ كله, أو إن أخذت شيئاً, وتركت شيئاً, لا تقطف الثمار يانعة منه.

قاعدة :

فأكبر الكبائر: الإشراك بالله, وقتل النفس, وعقوق الوالدين:

الذي ليس فيه خير لأمه وأبيه, لا خير فيه إطلاقاً؛ لأن الأب هو الذي أنجبك, وهو الذي جعله الله سبب وجودك, فالذي لا خير فيه لأمه وأبيه, لا خير منه.

وفي قاعدة تقول: إياك أن تخالط العاق, أو أن تشاركه, لو أن فيه خيراً, لكان خيره لأمه وأبيه؛ لكن ما فيه خير.

وعقوق الوالدين: ولعل الإنسان, يرزقه الله عز وجل رزقاً وفيراً, لبره لوالديه.

ولد ببره لأبيه أعطاه الله :

أعرف رجلاً، ابنه أخذ الله بيده، عنده معمل حلويات شوكولا، فيرسل لأبيه بضاعة، اشترى له محلاً بأرقى أحياء دمشق، كل البضاعة التي يرسلها له، لا يطالبه بثمنها، ويضع ثمنها في جيبه، من بره لأبيه، والله عز وجل أعطاه عطاء مدهشاً.

فالإنسان أمه وأبوه، ينبغي أن يكون وفيّاً لهما، ينبغي أن يحسن إليهما أشد أنواع الإحسان.

((ما برّ أباه، من شد نظره إليه))

إذا نظرالى أبيه هكذا ما بره.

أنت محاسب على هذه الكلمة: -أف- بالنسبة لوالديك :

أيها الأخوة، والله عز وجل: لو أن في اللغة كلمة، أقل من كلمة أف، لقالها الله عز وجل:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

بل إن إغلاق الباب بعنف، وأبوك في الغرفة، يشبه كلمة أف، أية إساءة للأب، ولو على مستوى كلمة أف، أو أقل، أو أكثر، تحاسب عليها.

من حصاد قول الزور :

(أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور):

لولا الكذب، ولولا قول الزور، لكننا في حال غير هذا الحال.

الآن: كم دعوى في قصر العدل؟ ثمانية آلاف بمستوى واحد فقط، بشعبة واحدة من شعب محكمة النقد، ثمانية آلاف دعوى، لو ألغينا قول الزور، بقي عشرة، كلها دعاوى كيدية؛ فيها كذب، فيها دجل، وثائق مزورة، محامون يكذبون، محامون الآخرون يعني يجاوزون، يقبض من موكله، ويقبض من خصم موكله، لو ألغينا قول الزور،

لانتهى كل شيء, مشكلتنا الكذب, لو ألغيت الكذب, لم يعد في مشكلة.

إنسان يعني رأى الاستقامة صعبة عليه, فاعتذر للنبي, قال له:

((عاهدني ألا تكذب, فعاهده, فكلمنا أراد أن يفعل معصية, كيف سيقولها للنبي؟ عاهده ألا يكذب, فاستقام على أمر الله, لأنه عاهد النبي ألا يكذب))

فالصدق: هي أهم صفة بالإنسان؛ الصدق, والأمانة, والعفة, نعرف أمانته وصدقته, وعفافه ونسبه.

حديث اليوم :

أيها الأخوة الكرام, هذا الحديث:

((أكبر الكبائر: الإشراف بالله, وقتل النفس, وعقوق الوالدين, وقول الزور))

وألهمنا الله الصواب, ألهمنا طاعته, وأعاننا على تطبيق أمره, وألهمنا حبه, وحب من يحبه, وحب عمل صالح يقربنا إلى حبه.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا, وصى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-62} : أدعية مأثورة - الفرق بين الخليل الماكر وبين المؤمن صاحب

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-11-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

قارن بين المؤمن وبين الخليل الماكر :

أيها الأخوة الكرام, من أدعية النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذه الأدعية تنطوي على حقائق دقيقة جداً.

يقول عليه الصلاة والسلام, في بعض أدعيته:

((اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر, عيناه ترياني, وقلبه يرعاني؛ إن رأى حسنة دفنها, وإن رأى سيئة أذاعها))

إن أصعب الأمور على النفس الإنسانية: أن يعيش مع عدو, ما من صداقته ود, ومن نكد الدنيا على الحر: أن يرى عدواً له, ما من صداقته ضد؛ إن كان إماماً, إن أحسنت لم يقبل, وإن أسأت لم يغفر, وإن كان صديقاً: إن رأى حسنة دفنها, وإن رأى سيئة أذاعها.

المؤمن عكس ذلك, إن رأى حسنة أشاعها, وإن رأى سيئة غفرها؛ لا بد من أن يكون بين المؤمن وغير المؤمن مسافة كبيرة جداً, لا بد من أن يكون المؤمن صارخاً في أخلاقه, المؤمن ستير؛ إن رأى حسنة شاعها, ما شجع صاحبها, أتى عليه, قدره, وإن رأى سيئة التمس له العذر, وغفرها, ولم يذكرها.

ما موقفك من ذنب فعله صديقك؟ :

وقد ذكرت لكم من قبل: أن الذنب شؤم على غير صاحبه.

لو أن صديقاً لك, ارتكب ذنباً ما, موقفك من هذا الذنب: إن ذكرته فقد اغتبتته, وإن عيرته فقد ابتليت به, وإن

أقررتة على ذنبه فقد شاركته بالإثم.

فقبل أن تذكر ذنب صديقك.

إن عيرته ابتليت به، وإن ذكرته فقد اغتبتته، وإن أقررتة عليه شاركته بالإثم.

هذا الذي لم يقترف الذنب، صديق صاحب الذنب، فكيف بصاحب الذنب؟.

فلذلك النبي - عليه الصلاة والسلام -:

((يستعذ من صديق؛ إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها، ويعوذ من إمام سوء، إن أحسنت لم يقبل،
وإن أسأت لم يغفر))

هذا هو اللؤم بطبعه.

إليك الغنى الحقيقي :

((اللهم أغن بالعلم، وزين بالحلم، وأكرمن بالتقوى، وجملن بالعافية))

أيها الأخوة، الغنى غنى العلم، السبب: لأن العلم ينتج عنه عمل صحيح، والعمل الصحيح ثمن الجنة؛ لا عملاً صالحاً من دون علم، ولا جنة من دون عمل صالح، فالعلم مفتاح الجنة؛ لذلك: الغنى غنى العلم، لا غنى المال، السبب:

أن العلم يحرسك، وأنت -أيها الإنسان- تحرس المال، والمال تُنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

الحلم زينة الإنسان :

((اللهم أغن بالعلم، وزين بالحلم))

-الإنسان مكانته في حلمه، مكانته في هدوءه، مكانته في سمته الحسن.

الآن في بيته: إذا كان صياحاً، سخاباً؛ يسب، ويلعن، ويشتم، ويبطش، فقد مكانته بين أهله، في عمله، إن كان

بذيء اللسان، سريع الغضب، فقد مكانته في عمله، الحلم سيد الأخلاق.

وكاد الحلِيم أن يكون نبياً.

فالإنسان زينته بالحلم، والعنف لا يلد إلا العنف، في أي مجال؛ إن كنت عنيفاً، لاقيت عنفاً مقابلاً له.

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

من صفات المؤمن الرفق.

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

فالحلم زينة الإنسان.

من أحلم العرب الأحنف بن قيس :

يقولون: من أحلم العرب الأحنف بن قيس.

قال: كان قصير القامة، أسمر اللون، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، أحنف الرجل، ضيق المنكبين، ما من صفة في الدمامة إلا وفيه، وكان مع ذلك سيد قومه؛ إذا غضب، غضب لغضبه مئة ألف سيف، لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم: أن الماء يفسد مروءته ما شربه، كان حلمه إلى غير حدود.

فالإنسان يستتبط مكانته من حلمه؛ في بيته، وفي عمله، والحليم محترم، والحليم مبجل، والحليم مهيب، بينما الصخاب: هناك من يحاكيه، ومن يقلده.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام-: يعد الحلم ديناً.

من علا صياحه في البيت تجرح عدالته :

أيها الأخوة، من علا صياحه في البيت، يجرح عدالته، من علا صياحه في بيت، في بيت هادىء، كأنه لا يوجد أحد؛ الأب متوازن، الزوجة سالحة، الأولاد نشؤوا على هذا الهدوء، في بيوت صاخبة، الجيران يعلمون كل أحوالهم؛ من صياحهم، وضجيجهم، وخصوماتهم، وسبابهم، وضربهم، وشتيمهم.

من علا صياحه في البيت، تُجرح عدالته-.

ما معنى كظم الغيظ؟ :

وأكرمن بالتقوى: -قال:

﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:134]

ثلاث درجات؛ كظم الغيظ أولاً: من الداخل مرجل، لكن ضبط أعصابه، هذا كظم الغيظ، والعفو راحة من الداخل، أما الإحسان: أن تقابل الإساءة بالإحسان، هذه أخلاق الصديقين:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[سورة فصلت الآية:34]

وأكرمن بالتقوى: -بطاعة الله عز وجل.

الغنى غنى العلم، والكرامة بطاعة الله، والزينة الحلم.

((وجملني بالعافية))

ما هي العافية؟ :

آخر شيء - : وجملن بالعافية))

ما هي العافية؟.

والله -أيها الأخوة- أقول لكم من أعماق أعماقي: إذا أحدكم استيقظ صباحاً معافى, يجب أن يسجد لله عز وجل على هذه النعمة, يعني أي اتجاه نحو المستشفى, الليلة بمئة ألف, ثلاث ليال بثلاثمئة ألف, أي سفرة لأوروبا بمليون, والنتائج غير مضمونة؛ وساعة مرنان, وساعة إيكو, وساعة تصوير طبقي محوري, وساعة دسام, ويوجد دسام أميركي بخمسة وستين ألفاً, ويوجد دسام صيني؛ يا ترى في الأردن, لما في أوروبا, لما في بيروت, لما في الشام, يدخل الإنسان بمتاهة كبيرة جداً.

لذلك: الإنسان إذا أسرع إلى الله عز وجل, وفر إليه, كفاه الله هموم الدنيا.

اعمل لوجه واحد, يكفك الهموم كلها.

أنا هذا الدعاء, أدعوه دائماً:

((أغننا بالعلم, وزينا بالحلم, وأكرمنا بالتقوى, وجملنا بالعافية))

((اللهم ارزقنا العفو والعافية, والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

أتريد أن تعرف نعمة الصحة إليك؟ بيان ذلك :

لنا قريبة, أصيبت بورم خبيث في مستقيمها, فاستؤصل, الخروج من جنبها, الخروج ليس بإرادتها, لا يوجد إرادة, في كيس, ثمن الكيس ثلاثمئة ليرة, تحتاج كل يوم كيساً, جالسة, يخرج الغائط باختياره, لم يعد لك علاقة فيه إطلاقاً, والمشكلة: أحياناً يمتلىء الكيس غازات, إن ثقبته, تحافظ عليه, البيت كله ملئ برائحة كريهة, وإذا كان

بدلته بثلاثمئة ليرة. فالذي مستقيمه جيد, أليست هذه نعمة؟.

إنسان انشل مستقيمه, انشل, يعطي شخصاً عشرة آلاف ليرة, ليزيل الأقدار ببعض الأدوات البلاستيكية بيده, انشل المستقيم, القدر يبقى في الأمعاء, لا يخرج.

يعني: أنا مستعد الآن: عدد لكم مئة مرض, كل مرض يجعل حياة الإنسان جحيماً, ويتمنى أقرب الناس إليك أن يموت, أقرب الناس إليه؛ أولاده, زوجته.

فإذا إنسان, منحك الله نعمة الصحة, شيء لا يقدر بثمن, حافظ عليها؛ حافظ عليها بطاعة الله, حافظ عليها بتقوى الله, حافظ عليها بخدمة الخلق.

من عاش تقياً عاش قوياً :

والله زرت شخصاً في العيد, والد صديقي, ولطيف, عمره ست وتسعون سنة, قال لي: والله عملنا تحليلاً من يومين, الحمد لله, لا يوجد شيء, كله طبيعي.

ركبت سيارة من يومين, وعالم بسيارة ثانية, أنا في ذهني: عمره خمس وسبعون سنة, قال لي: مئة وأربعة, ما شاء الله!.

من عاش تقياً, عاش قوياً.

يعني: هذه الصحة بعد الهدى, رقم اثنان, بعد الهدى الصحة, والصحة ثمنها الطاعة, أساساً: الطاعة تعمل اعتدالاً, الطاعة لله فيها اعتدال لكل شيء, لا يوجد فيها شدة نفسية, والشدة النفسية سبب كل مرض.

من نتائج الشرك بالله :

أيها الأخوة, الشرك من نتائجه الخوف, والخوف يضعف جهاز المناعة.

جهاز المناعة: من أعجب الأجهزة, أخطر جهاز في الإنسان, هو الجيش الخاص بالإنسان, جيش بكل معنى الكلمة؛ كريات حمراء, كريات بيضاء مستطلة, كريات بيضاء مصنعة للمصل, كريات بيضاء مقاتلة, كريات بيضاء منظمة, سريعة الخدمات, وقيادة, وأرشيف, يدخل جرثوم, تأتي الخلايا المستطلة, تفك الشيفرة, تأخذها,

تبلغها لعقد اللفف, حيث كريات التصنيف, تفك الشيفرة الخاص بالجرثوم, تصنع مصلاً مضاداً, تأتي الخلايا المقاتلة, تحمل السلاح, تقاتل الجرثوم؛ هذا الجهاز يقويه الحب والطمأنينة والأمن, ويضعفه الخوف والحدق والقلق.

فذلك: الإيمان يقوي هذا الجهاز, وإذا قوي هذا الجهاز, قضى على كل الأمراض.

إذاً:

((أغنن بالعلم, وزين بالحلم, وأكرمن بالتقوى, وجملن بالعافية))

دعاء الصالحين من عباد الله :

((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي, واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي, واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك, وإذا أقررت أهل الدنيا من دنياهم, فأقرر عيني من عبادتك))

أهل الدنيا عندهم ممتلكات, يقول لك: آخذ البيت بثمانية وعشرين ألفاً, اليوم ثمنه ثلاثون مليوناً, يعطيها نعمة أيضاً, تقر عينه بسعر هذا البيت, آخذ أرض, تضاعفت مئة ضعف, عندي محل في شارع الحمراء, المتر بمليون ليرة؛ تقر عينه بممتلكاته, بمركزه, بوكالته, بعمله التجاري, ببيته الفخم, له إطلالة جميلة جداً.

قال له: يا ربي, كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم, فأقرر أعيننا من رضوانك.

المؤمن تقر عينه بطاعة الله, تقر عينه بالعمل الصالح, تقر عينه بفهم كتاب الله, تقر عينه بخدمة الخلق, لأن هذه هي ذخيرة الآخرة.

ما النتيجة التي نستنتجها من حياة هذين الشخصين؟ :

أخواننا الكرام, الفقر الحقيقي: فقر العمل الصالح, إنسان يعيش لنفسه.

ذكرت البارحة في الدرس: أن الذي يعيش لنفسه هو مرتاح, لكنه عند الله صغير, أما الذي يعيش لغيره متعب, لكنه عند الله كبير, عند الله كبير؛ فحينما تعيش للآخرين, أنت أسعد الآخرين, أسعدهم أنت, وحينما تعيش لنفسك,

تقعد طعم الحياة الدنيا, طعم الحياة الدنيا بخدمة الخلق, لأنك إن خدمت الخلق, كنت قريباً من الخلق:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:56]

شخص حل مشكلة مسجد :

في إنسان عنده معمل أنابيب حديدية, والله نحن في جامع النابلسي, نريد أن نمدد تدفئة مركزية, فنحتاج إلى نصف مليون ليرة, ثمن أنابيب للحرم, فإذا كل إنسان

قال لي فلان: صاحب المعمل, يعني يوجد في قلبه رحمة, لو ذهبت معنا, ربما أعطاك حسماً عشرة بالمئة, خمسون ألفاً, نحن بأمس الحاجة إلى لا يوجد.

والله بادرت إلى الذهاب معهم, دخلت عليه, وبينت له: أن هذا الجامع, نريد أن ننشئ فيه تدفئة مركزية, ونحن بحاجة إلى هذه الفاتورة, فنظر إلى الفاتورة.

قلت: نطمع أن تحسب لنا مبلغاً من المال, يعني ننتفع في شأن آخر, قال: لا, كل هذه الفاتورة هدية مني, والله بكلمة واحدة, كل هذه الفاتورة, وإذا في قياسات ليست عندي, خذوها من السوق, وأنا أدفع ثمنها.

إذا وقف ليصلي, فبكي في الصلاة, شعر بالسعادة, كثيرة عليه؟ لا, حل مشكلة مسجد.

المسجد المريح يجلب الناس, والبارد غير النظيف, غير المريح

الشيخ النابلسي من أنصار تهيئة المساجد بكل وسائل الراحة هذا ما نقل إلينا :

أنا من أنصار تهيئة المساجد بكل وسائل الراحة؛ يعني سجاد, تحت السجاد لباد, تكييف في الصيف, تدفئة في الشتاء, نظافة, هذا بيت الله عز وجل.

يعني أليس عاراً علينا: أن تكون الملاهي أنيقة جداً, والمساجد غير أنيقة؟ لا, المفروض: أن تكون المساجد في

أعلى درجة من الأناقة، والنظافة، والترتيب:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:56]

ما معنى هذا الدعاء: -اللهم اجعل حبك أحب عندي-؟ :

((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي))

الإنسان يخاف من مرض، لكن لا يخاف من معصية الله، هذه مشكلة، يحب أشياء كثيرة، لكن لا يحب الله أكثر، لو أنك تحب الله أكثر من أي شيء، لما عصيته من أجل شيء.

يعني كلمة دقيقة سأقولها

إذا الإنسان قال: الله أكبر، وهذه كلمة عظيمة جداً، كبير، يعني وأطاع مخلوقاً، وعصى خالقاً، فهو ما قالها ولا مرة، ولو ردها بلسانه ألف مرة، لأنه في الحقيقة رأى طاعة هذا المخلوق، أكبر عنده من طاعة الله. لو أن إنساناً أطاع زوجته، وعصى ربه، وجاء يوم العيد، قال: الله أكبر، الله أكبر، ما كبر ولا مرة، لأنه رأى رضا زوجته عنه، أفضل من رضا الله عليه؛ فالذي أكبر عنده هو زوجته، وليس الله عز وجل، هذا كلام دقيق.

من هو الموفق؟ :

((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك:

-الدنيا لا تنتهي، وكلما رتبت، وحسنت، يظهر نماذج أجمل، وأجمل، فكل شيء جديد، يغدو بعد حين قديم، والقضية لا تنتهي، ثم يأتي الموت، فينهي كل شيء، أما إذا الإنسان: هياً نفسه لهذه الساعة التي لا بد منها، فهو الموفق-.

وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فأقرر عيني من عبادتك ومن طاعتك))

دعاء حبذا لو تدعو به :

والدعاء الذي أدعوه دائماً:

((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري, وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي, وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي, واجعل الحياة زيادة لي في كل خير, واجعل الموت راحة لي من كل شر))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

قال لي: والدتي ننيمها على ديوان, نربطها من يديها ورجليها, قلت: لماذا؟ قال: لو أطلقنا يديها ورجليها, لأكلت غائطها, وخلعت كل ثيابها, لو أطلقت يداها, لخلعت كل ثيابها, وبدت كما خلقها الله, ولأكلت من غائطها, لذلك: يضطرون أن يربطوا يديها إلى رأسها, ورجليها إلى أسفل الديوان, والله الموت أشرف, يعني في أمراض وبيلة.

فالإنسان المؤمن, من كرامة الإنسان عند الله: أنه يموت سريعاً, ثلاثة أيام, السنة ثلاثة أيام, أما أكثر؛ شهرين, ثلاثة, سنة, سنتين, الله يخفف عنك يقولون, هكذا يقال.

والله أنا في أحد العمرات, كل الدعاء: الله يجعل الموت ثلاثة أيام فقط, شيء جميل جداً, إنسان بمكانته, بمحبته, يعني يقول لك: خطف خطفاً, يترك أحلى الذكرى, أما إذا كان برك عشر سنوات, يكرهونه.

فالإنسان قيمته: أن يتحرك, يقضي حاجته بنفسه؛ لا أحد يوبخه, لا أحد يعنفه.

قصة مرت عليها فترة طويلة من الزمن :

أخواننا الكرام, قصة قديمة جداً, طبيب نسائي, له قلب كالصخر, يعني لا يخرج من بيت إلا بعرباية, وليرة ذهب انكليز -لم يكن في سيارة, القصة قديمة جداً-, وجمع ثروة طائلة جداً, طبيب نسائي وحيد في الشام. وكانوا يضطرون أن يبيعوا الفراش من تحت الزوجة, إذا ولادة عسيرة, في مشكلة, يبيعون الأدوات, يعطونه ليرة انكليز, وعرباية, عوضاً عن السيارة, يعني فعمر بناء في أحد أحياء دمشق, -الآن موجود البناء- حجر مزخرف, البناء مطل على الشام بأكملها.

في سن مبكر, أقل من خمسين, أصيب بشلل, فزوجته قاسية جداً, ضاقت به ذرعاً, وضعت في القبور, وترشده

الخادمة من حين لآخر, لتأمين طعامه, يقول لها: أين المدام؟ والله لا أعرف, قولي لها: تنزل لعندي, كل يومين, ثلاثة, تنزل وتخافقه, تضرب أنت والمدام, ماذا تريد؟ الخادمة أأست تأكل وتشرب؟ ثماني سنوات, نقلته لمكان بعيد, طلعت رائحة البناء, نقلته إلى مكان بعيد.

الذي قلبه صخري, الله يذوقه البأس في الحياة الدنيا, وفي إنسان يموت بصحته, يموت بمكانته.

هذه كرامة العلماء عند الله :

أيها الأخوة, كنت في تعزية, والله لا أنسى هذا الموقف: عالم جليل, جلس إلى جانبي, خرج من بيت التعزية, مشى متراً, لقي شخصاً لا يعرفه, يلبس لفة, وعمامة, وجبة

قال له: تقضل أستاذ لكي أوصلك, قال له: رضي الله عنك يا بني, أوصله إلى البيت, طلع أول طابق, الثاني, بيته رابع طابق, رابع طابق, فتح, دخل, خلع العمامة, والجبّة, استلقى على الفراش, سلمها, لو أحب أن يأخذ تكسي, مات في التكسي, الله سخر له إنساناً لا يعرفه, أوصله, ما مات إلا على فراشه, بين أهله, هذا من فضل الله عز وجل.

صنائع المعروف تقي مصارع السوء :

مرة: أنا قادم على الحريقة, وجدت أمام قصر العدل جثة, فوقها شرف, مات في الطريق, الساعة التاسعة, العاشرة, كان لي مكتب في الحريقة, جلست الساعة الثانية, كذا مثل ما هو, الطبيب الشرعي لم يأت بعد, لا يزال

وإنسان ينام بين أولاده, بين أهله, على فراشه, محترم, يقرأ له القرآن.

لذلك:

((صنائع المعروف, تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

نبي يموت في بيت الخلاء !!!؟ :

في باكستان: رجل ادعى النبوة، وسمى نفسه عيسى المنتظر، وكان في جائحة أنفلونزا خطيرة جداً، -ليس أنفلونزا، كوليرا- فكان يقول: من علامة نبوتي: أنني لن أصاب بهذا المرض، من علائم نبوته، مات بهذا المرض في المرحاض، في المرحاض مات في هذا المرض، أي نعم.

لذلك:

((صنائع المعروف، تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

تعليق :

تعليقات على كلمة:

((واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))

النبي الكريم، رأى جنازة، قال:

((مستريح ومستراح منه، فقالوا: يا رسول الله! ما مستريح وما مستراح منه؟ قال: أما العبد المؤمن، استراح من عناء الدنيا، فهو مستريح، وأما الكافر، يستريح منه كل شيء))

كان عبئاً، على كل شيء.

لا عيش إلا عيش الآخرة :

قال:

((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

أحياناً الإنسان: يركب سيارة, يرى هكذا فيلة فخمة جداً, في المصايف, مكلفة أربعون مليوناً؛ مسابح, بساتين, شرفات, أناقاة, بذخ, يرى سيارة ثمنها حوالي أربعة وعشرين مليوناً, بين ستمئة!!، والله شيء جميل يا أخي. إذا الإنسان رأى شيئاً فخماً؛ بيتاً جميلاً, مركبة جميلة, بستان, شيء من مظاهر الدنيا, هذا الدعاء:

((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

لأن عيش الآخرة مستمر, أما هنا منقطع, والإنسان كلما رفه نفسه, تغدو المغادرة صعبة جداً.

هذه نهاية أهل الدنيا :

شخص له عمل في الأقمشة, صار معه مرض خبيث بالثمانية والثلاثين, لم يعرف ما معه, حين عرف, صار تأتيه نوبات هيستريا, يقول: لا أريد أن أموت, ما كان يصلي إطلاقاً, وكان غارقاً مع الفنانات, والممثلات حياته كلها جنس, وخمر

فحينما وافته المنية, له قريب صديقي, قال لي: والله -يا أستاذ- صرخ صوتاً, لم يبق في البناء كله بيتاً, إلا وسمع هذا الصوت, حينما جاءه ملك الموت.

معناها: إذا الإنسان وضع البيض كله في سلة واحدة, ثم فوجيء: أن البيض سرق

فإذا الإنسان كل إمكاناته في الدنيا, معناها إذا قلبه وقف, أو الدم جمد في أوعيته انتهى؛ فكل آمالنا معلقة على نبض القلب, وعلى سيولة الدم فقط, كل آمالنا, والقلب قد يقف فجأة بلا سبب, والدم قد يتجمد فجأة, إذا في الدماغ.

يقول لك: خثرة في الدماغ انتهى, انشل؛ يا شلل, يا جنان, يا فقد ذاكرة, يا فقد سمع, يا فقد بصر, إذا في الدماغ, في محل ثان.

يقول لك: جلطة انتهى, صار قاب قوسين من الموت, أما إذا الإنسان: كان مع الله عز وجل, يكون له نهاية طيبة, والله عز وجل يمتعه بسمعه, وبصره, وقوته ما يحييه.

((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

بماذا تدوم النعم، ومتى تفقد؟ :

((اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار))

هذه بعض أدعية النبي -عليه الصلاة والسلام- وادعوا الله بها دائماً، والدعاء مخ العبادة، والله عز وجل يستجيب لكم، فأولاً: اشكروا الله على النعم التي أنتم فيها.

يعني العالم، يقول لك: زلزال، مئة ألف بلا مأوى، تراهم في الطريق، هو وأولاده....

نحن الله باركنا بأوطاننا، باركنا ببيوتنا، فهذه النعم: يجب أن نشكر الله عليها، وألا نجترىء عليه بمعصية.

وبالشكر تدوم النعم.

أبدأ، الشكر قيد للنعمة؛ قيدتها أنت بالشكر، قيدتها بعدم الشكر طيرتها.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-63} : عُمَارُ الْمَسَاجِدِ

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 22-11-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

كن من أولياء الله :

رُوي عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

((إن الله تعالى إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض, صُرِفَتْ عن عمار المساجد))

يعني: قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

المؤمن له معاملة خاصة.

الإنسان -أحياناً- ينتمي إلى جماعة, له ميزات كثيرة, ينخرط في سلك له ميزات كثيرة , يدخل في وزارة الخارجية؛ له جواز دبلوماسي, وله مهمات, وله ميزات كثيرة, لا يوجد إنسان ينضم لجامعة, أو لسلك, إلا له ميزات ليست لكل الناس.

أنت إذا انضمت إلى الله عز وجل, وكنت من أوليائه, أول ميزة: أن الله ﷻ يصرف عنك المصائب التي تنزل على العباد, لقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

من شواهد القرآن على أن المؤمن له معاملة خاصة إذا استقام على أمر ربه :

1- قصة يونس عليه الصلاة والسلام

القصة الشهيرة: قصة سيدنا يونس -عليه الصلاة والسلام- لما وجد نفسه فجأة في بطن الحوت في ظلمات ثلاث؛ ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة أعماق البحر:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:87]

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

هذه قصة، الله عز وجل قلبها إلى قانون. قال:

﴿وكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

فكلما ألت بك ملمة، تصور سيدنا يونس، كيف أنه في بطن الحوت، احتمال النجاة صفر.

يعني بطن حوت، وحبته المعتدلة أربعة طن، كل الإنسان وزنه مئة كيلو، الوجبة المعتدلة عسرونية أربعمئة طن، وزنه مئة وخمسون طن، يعني شيء مخيف، نبي كريم، رأى نفسه في بطن الحوت:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾

[سورة الصافات الآية:142]

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾

[سورة الأنبياء الآية:87]

بحسب المعطيات: الأمل صفر, إنسان التقمه الحوت, بقي دقائق, ثوان, حتى يُصبح في بطنه, في معدته,
وحتماً: العصارات حارقة, العصارات الهاضمة التي في بطن الحوت تحرقه حرقاً.

أحياناً الإنسان: يستعمل كلور, يعني يحفر الرخام؛ الكلور, المعدة فيها حمض كلور الماء, وبطن الحوت على
أشد, لأنه يبتلع أسماكاً كبيرة؛ هي, وعظامها, وكل ما فيها, وحرشفيها, كلها تُهضم.

سيدنا يونس:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:87]

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

الآن قانون:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

يعني: أي مؤمن إلى يوم القيامة؛ في أي مكان, وفي أي زمان, ربنا ﷻ: ينجيه من عذاب الدنيا, فضلاً عن
عذاب الآخرة.

فالمؤمن يجب أن يشعر أنه حينما آمن, واصطَلح مع الله, وتاب إليه, واستقام على أمره, وأقبل عليه: له معاملة
خاصة.

قال تعالى:

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية:57]

-هذا شاهد آخر:-

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾

[سورة الذاريات الآية:32]

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾

[سورة الذاريات الآية:33]

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾

[سورة الذاريات الآية:34]

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الذاريات الآية:35]

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة الذاريات الآية:36]

معنى أول شيء: الله عز وجل أخرج المؤمن, الذي لا يستحق العذاب, فهل من الشيء السهل: أن تكون لك معاملة خاصة عند الله؟.

ما السبيل للخروج من هذه المصائب التي تحيق بالإنسان من كل جانب؟ :

أيها الأخوة، الحياة كلها مصائب، وكلها حروب أهلية، وكلها تشرد، وكلها فقر، وكلها أمراض وبيلة.

والله الإنسان من دون إيمان بالله، يوجد مليون سيف فوقه؛ سيف الحوادث، حادث شل نصفه الأيمن، سيف القهر، في قهر سيف الفقر، سيف الخصومات، سيف العقوق، سيف الزوجة اللئيمة، مليون سيف، أنت حينما تؤمن بالله، وتستقيم على أمره، لك عنده معاملة خاصة:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل الآية:97]

هذه الميزة، لك عند الله حياة طيبة، وهذه حق لك.

الدليل من السنة على أن الله لا يعذب عباده إذا هم عبده :

والله سبحانه وتعالى، أروع ما في السنة: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان قد أردف خلفه معاذ بن جبل، قال:

((يا معاذ، ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم، سألت ثانية، وثالثة، وهو يقول: الله ورسوله أعلم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: حق الله على عباده: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً -جيد، يعني أن يطيعوه- ثم سألت النبي -عليه الصلاة والسلام- سيدنا معاذاً، قال: يا معاذ، فما حق العباد على الله إذا هم عبده؟ -طبعاً: سأله مرة، ومرتين، وثلاثة، ويقول سيدنا معاذ: الله ورسوله أعلم-، يقول عليه الصلاة والسلام: حق العباد على الله إذا هم عبده: ألا يعذبهم))

يعني الله عز وجل: أنشأ لك حق عليه، إنك إن عبدته، لك عليه حق؛ ألا يعذبك لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

الدليل من الكتاب على أن الله لا يعذب أحبابه :

أيها الأخوة، هل هناك في دليل قطعي: أن الله لا يعذب أحبابه؟ دليل قطعي:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

يعني: أنتم لستم أحبابه، ولستم أولاده، لأنه يعذبكم، فلو أنه أقرم على دعواكم، لما عذبكم، لو أنه أقرم على دعواكم: أنكم أبناء الله، وأحباؤه، لما عذبكم، لأن الله لا يعذب أحبابه.

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق :

فأنت إذا وصلت إلى مرتبة: أن يحبك الله عز وجل، ومحبة الله بيدك، وسائلها بيدك، وفي أشخاص من بني البشر إمبراطور مثلاً، لن تستطيع أن تصل إليه، لا يوجد أمل إطلاقاً، ولا أن تلتقي معه، ولا أن تقدم له هدية، الملك إذا قدمت له هدية، يكافئ أضعافاً مضاعفة، هل يتاح لأي إنسان: أن يصل إلى ملك، ليقدم له هدية؟ ممنوع.

لو أن الله - سبحانه وتعالى، - لم يخلق لنا وسائل القرب منه، والله مشكلة، لا يوجد حل؛ كل السعادة عنده، كل الخير عنده، كل الأمن عنده، طريق له لا يوجد، لم يجعل لك طريق له، أما ربنا عز وجل جعل لك: الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

وأنت في البيت، يوجد طريق إلى الله، إذا الزوج عاون زوجته.

كان - عليه الصلاة والسلام-: في مهنة أهله.

هذا الطريق؛ إذا ربي أولاده، نصحهم، أمرهم بالصلاة، صبر عليهم، أنفق عليهم، أحسن ترتيبهم، إذا برّ أمه، هذا طريق إلى الله، إذا بر أباه هذا طريق إلى الله، خرج من بيته إلى دكانه، في الطريق: كلما غضضت بصرك عن امرأة طريق إلى الله، وصلت للمحل التجاري، كلما صدقت مع إنسان، ونصحت المسلمين، ورحمتهم، طريق إلى الله.

الله جعل لك ألف طريق وطريق، مليون طريق وطريق؛ في الطريق، وفي المحل، وفي السفر، وفي الإقامة، وفي الحزن، وفي الفرح، وفي زواجك، وفي تزويج أولادك، وفي كل شؤون حياتك، هناك وسائل تصل بك إلى الله؟ معنى ذلك: إن الله أرادنا أن نقبل عليه، والدليل: جعل لنا وسائل.

ما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك :

ما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك.

إلا ليجيب لك؛ لو أنه لا يستجيب لأحد، ما فتح لنا باب الدعاء، ما فتح على عباده باب الدعاء إلا ليجيبهم، ليشعرهم أنه يسمعهم.

الآن: أنت تدعو من؟ هل تدعو إنسان غير موجود؟ مستحيل، المؤمن لمجرد أن يدعو الله عز وجل، معنى ذلك: أنه مؤمن بوجوده، ومعنى ذلك: أنه يسمعه -اثان- ومعنى ذلك: أنه مؤمن أنه قادر على تلبية طلبه -ثلاثة- ومعنى ذلك: أنه يحبه، قد يكون قادراً، ولا يلبيك، لا يحبه؛ موجود، ويسمع، وقادر، ويحب، هذا الدعاء:

﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾

[سورة الفرقان الآية:77]

الطرق إلى ملوك البشر غير سالكة أما الطرق إلى الله عز وجل سالكة :

أيها الأخوة، في طرق إلى الله عز وجل، أما أقوياء الناس، ملوك البشر: الطرق إليهم غير سالكة، مغلقة، لا يوجد أمل.....

أحياناً: تجد مدير دائرة، تأتي أول يوم، ثاني يوم، ثالث يوم، رابع يوم؛ مشغول، اجتماع، مهمة، ليس متفرغاً، لن تستطيع أن تصل إليه، أما ربنا عز وجل قال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾

[سورة الكهف الآية:110]

تريد موعداً:

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

يا الله ما أجمل الآية! طريق:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

محور الدرس :

محور هذا الدرس: أن المؤمن حينما آمن بالله، وحينما اصطاح معه، واستقام على أمره، وتاب من ذنوبه، وأقبل عليه مخلصاً، له معاملة خاصة، هناك وعود كثيرة في كتاب الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج الآية:38]

يدافع عنك وأنت لا تشعر، يهيىء أشخاصاً بالوقت المناسب، بالمكان المناسب، والعبارة المناسبة: يدافعون عنك:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:194]

بشارة ثانية؛ معك بالحفظ، والتأييد، والنصر، والتوفيق. بشارة ثالثة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[سورة مريم الآية:96]

أنت في مودة الله عز وجل:

﴿فَأْتِكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية:48]

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[سورة فصلت الآية:30]

لا خوف, ولا حزن, ولا ضلال, ولا شقاء, والله يدافع عنك, ويدعمك, ويؤيدك, وينصرك, ويحفظك:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد الآية:11]

لذلك:

((إن الله تعالى إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض, صُرِفَتْ عن عمار المساجد))

هل يعقل أن يكون المؤمن كالكافر؟! :

أيها الأخوة, معقول أن يكون المؤمن كالكافر!!:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة الآية:18]

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة القلم الآية:35]

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[سورة القلم الآية:36]

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص الآية:61]

إليك هذه الآيات التي تشعر المؤمن بالثقة بربه على أن مستقبله مضمون :

هذا الشعور , شعور الثقة بالله عز وجل:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية:51]

كتب لنا , وليس كتب علينا؛ لنا: تفيد التملك, لمن هذه الساعة؟ تقول: هي لي, على من هذه المخالفة؟ على جاري, ليس لي علاقة, على من؟ على فلان, لمن؟ لي؛ فاللام: تفيد التملك والاختصاص, أما على: تفيد القهر:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة الآية:286]

لها وعليها:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية:51]

معنى ذلك: أن المستقبل مضمون, المستقبل فيه مخاوف كبيرة جداً, في شلل, أقرب الناس إلى الإنسان يتمنى موته, في افتقار مفاجيء .

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ - لو أن الإنسان ترك منهج الله، أعرض عن الله، أدار ظهره للحق، ماذا ينتظر من الدنيا؟ قال:- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هراً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

قلت لكم مرة: كان في رجل يعمل في الطب النسائي، لم يكن في الشام كلها غيره، بالثلاثينات لم يكن في سيارات، لا يخرج من بيته إلا بليرة إنكليز أم الحصان وعرباية، قد يضطر أن يبيع الفراش من تحت المرأة، ولادة عسيرة، خطرة، لا يخرج إلا بعرباية وليرة إنكليز، جمع ثروة طائلة، أشاد بناء بنوري باشا، وبناء أجمل بناء، كله حجر مزخرف، بالخمسينات أصيب بالشلل، أمرت زوجته المصون أن يُوضع في القبر، لئلا يزعجها بصياحه ورائحته، فكانت الزوجة ترسل له الخادمة، لتأمين طعامه وشرابه، يقول لها: أين المدام؟ أين هي؟ قلت لها، والله يا سيدي، لم تأتي كل أسبوع مرة تشتمه، وتعود إلى البيت، بعد عدة سنوات نقلته إلى قبر بعيد عن البناء. هذا مطب كبير جداً.

يعني: الإنسان إذا ما استقام، في أمامه بالخريف

((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هراً مفنداً؟))

يخرف، يقول لك: أبي خرفان، الأولاد يتكلمونها: أبي مخرف؛ أبوك أنجبك، ورباك، وأعطاك، وعلمك، وسلمك محل وأنت شاب، أبي خرفان يقول له، أو هراً مفنداً:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾

[سورة الحج الآية:5]

ففي أمام الإنسان الشارد؛ الشارد، الفاسق، الفاجر، المنحرف، الجاهل، في أمامه غنى مطغي، أو فقر منسي، أو مرض مفسد، أو هرم مفند، -خرف يعني- أو موت مجهز، وإذا نجا من كل هذه: الدجال فشر غائب ينتظر، وإذا

نجا من كل هؤلاء: أو الساعة, والساعة أدهى وأمر.

هذا الذي شرد عن منهج الله, أما الذي عرف الله في شبابه, واستقام على أمره, وبنى حياته على منهج الله, وبيته على منهج الله, وعمله على منهج الله, هؤلاء لهم شيخوخة, والله يشتهي كل منا أن يكون مثله.

زيارة إلى حلب :

أنا ذهبت إلى حلب, يعني: نعزي أحد الأخوة الكرام العلماء في موت ابنه, فأخذنا إلى شيخه, شيخ وقور بالتسعين, والله لم أر في حياتي إنساناً في عز, وفي جاه, وفي جمال, وفي نورانية, كهذا الشخص, ملك جالس في بيته؛ أخوانه من حوله, أولاده من حوله, كلام منفذ فوراً, الأنوار في وجهه.

يا بني! حفظناها في الصغر, فحفظها الله علينا في الكبر, من عاش تقياً, عاش قوياً.

من منا يحب أن يكون في كبره -لا سمح الله- مشلول, أو معذب, أو فقير؟.

زيارة من الجولان إلى دمشق :

والله زارني أخ من الجولان, قال لي: كان عندي مئتا وخمسون دونماً, قال لي: كل يوم ذريف للبيت, ومختار قرية, وله جاه كبير, دائماً في ولاءم ببيته, كل يوم في وليمة, يذبح خروف كل يوم, قال لي: يوجد حولك أعمال ناطوراً بثلاثة آلاف ليرة؟ لا يوجد معي ثمن طعام.

هذه غنى مطعياً, أو فقراً منسياً, أو مرضاً مفسداً, أو هرمماً مفئداً, أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

هذه شيخوخة العارفين بالله :

من منا يحب أن يكون في شيخوخته إنساناً محترماً جداً, ذاكرته قوية؟.

يعني: كان هذا الرجل السفرجلاني -رحمه الله تعالى- في الستة والتسعين, ست وتسعون سنة, أسنانه في فمه.

أنا أعرف رجلاً, سألت طبيب أسنان من أخواننا, متفوق جداً: مر معك إنسان لا يوجد ولا سن محشى؟ قال لي:

والدي, قال لي: عمره خمس وثمانون سنة, قال لي: والله ولا سن محشى, لكن كان والده ورعاً جداً, ورعاً إلى درجة الوسوسة, لم يشرب كأس شاي بحياته في المدرسة, لأنها مسخنة على سخانة المدرسة, هذه أموال عامة, السكر منه, والشاي منه, لم يشرب أبداً, كلفوه يشتري للمدرسة وحده لجنة مبيعات, يفاصل كأنها له, ورع غير معقول, رجل حي يرزق, خمس وثمانون سنة, أسنانه في فمه.

فالشيخ السفرجلاني: كان عمره ست وتسعون, أسنانه في فمه كلهم -ليس بدلة تهز, يضحك تقع البدلة- أسنانه في فمه, بصره حاد, سمعه مرهف, قامة منتصبة, قائم, ست وتسعون.

يا سيدي, ما هذه الصحة التي حباك الله بها؟ يقول: يا بني! حفظناها في الصغر, فحفظها الله علينا في الكبر.

هنيئاً لكل شاب نشأ في طاعة الله :

أيها الأخوة, لا أعبط إلا شاباً نشأ في طاعة الله, أقول: هنيئاً له, هذا له مستقبل متألّق, بالخمس عشرة يغض بصره عن النساء؛ ضابط لسانه, يقرأ القرآن, يصلي, يرتاد المساجد, إذا إنسان أطاع الله وهو شاب, مخبأً له شيء جميل جداً, في خريف عمره شيء جميل جداً, وفي كبرات والعياذ بالله, يا لطيف! يا لطيف!.

قال لي: واضع حبل على يديها ورجليها -لأمه- على الديوان, لماذا؟ قال: لو أطلقنا يديها, تأكل غائطها, وتخلع كل ثيابها أمام أولاده, وهي غائبة عن الوعي إطلاقاً, كم سنة؟ صار لها ثماني سنوات, يا لطيف!:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾

[سورة الحج الآية:5]

طاعة الله ثمينة جداً.

((إن الله تعالى إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض, صُرفت عن عمار المساجد))

هذا الذي يغض بصره

والله -يا أخوان- أحياناً: يأتي مرض, ينسى الإنسان حليب أمه.

لي صديق, له صديق وصل لمعاون وزير, يحمل دكتوراه بالجيولوجيا من فرنسا, ويسكن ومعه زوجة إفرنسية, ويبدو أن أهله أغنياء؛ سيارتان, ثلاثة, وبيت فخم جداً, فقد بصره, يعين, يراعوه, أبقوه شهراً في بيته: يوقع على وصف سكرتير, ماذا كتب بالمعاملة يا بني؟ يقول: كذا وكذا, موافق, وقع, بعد ذلك سرحوه, زاره صديقي - صديقي دكتور زميله- قال له: والله -يا دكتور- أتمنى أن أجلس على الرصيف, وأن أمد يدي للناس, وليس لي من الدنيا إلا هذا المعطف, وأن يرد بصري.

هل تعلم؟ :

إذا إنسان غض بصره عن محارم الله, تظن الله يفجعه ببصره؟ أغلب الظن, لا أقول, أغلب الظن, الله لأن له حجج, لكن في الأعم الأغلب: لا, العين هذه, نزلت منها قطرة دمع خشية لله, يفجع بها؟ لا والله, إن رأى امرأة لا تحل له:

((من ملأ عينيه من الحرام, ملأهما الله من جمر جهنم, أما من غض بصره عن محارم الله, أورثه الله حلاوة
في قلبه إلى يوم يلقاه))

إذا إنسان اتقى الله في عينيه, واتقى الله في لسانه, واتقى الله في أذنه, واتقى الله في يده, ما لمس يد امرأة لا تحل له, أهلاً, أهلاً, يشد عليها, اشتقنا لكم, أين أنتم؟ من هذه؟ لا زوجتك, ولا أختك, ولا عمك, ولا خالتك, رفيقة زوجته.

إذا الإنسان ورع, الله عز وجل يحفظه في الدنيا والآخرة.

أتريد أن يكون لك خريفاً متألقاً؟ اتق الله :

أيها الأخوة، فإذا إنسان يرغب خريفاً متألقاً، هو بالتسعين، أولاده أمامه مؤدبين جداً، في أولاد يضربون آباءهم، أو يتناولون عليهم، تريد أن يكون ابنك مثل الألف واقف أمامك؟ اتق الله عز وجل، تحب ما يدخل لعندك موظف يهينك، اسمح لنا بالهوية، امش معنا؟ أثناء بيع أي زبون خاف من الله، عد كل زبون وكيله الله؛ انصحه، وارحمه، ولا ترفع السعر عليه، ما دام أنت خفت الله فيما بينك وبينه، لن يخيفك من أحد أبداً، لا يسمح له يخوفك الثاني، أما إذا جاء زبون غشيم، وضعت في عنقه المسؤولية، ستوكة، بأعلى سعر ألبسناها له، يظن نفسه شاطراً.

والله من ورائهم محيط :

قال لي أخ، قال لي: والله عندي سيارة، يوجد في المحرك عطل خطير، المحرك مشعور، قال لي: الحمد لله، الله فضل، البارحة ألبسناها لواحد، لا يعرف ماذا يتكلم؟ قال: الله مفضل عليه، ألبسها لواحد، باعها، -هذه بيجو- أخذ من طرطوس كولف س، لون بيج، الفرش كحلي، لون طحيني، الفرش كحلي، طار عقله، ثلاثة أيام تعطبت السيارة، جاء لعندي: هكذا صار معي في المخيم، دخل الباص من الشمعات، حطمها كلها، قلت له: ألم تقل لي البارحة: أنك ألسبتها لذلك الشخص؟.

الله كبير، إخفاء العيب كبيرة، تحب الله عز وجل يعزك؟ يرفع شأنك؟ يحفظ لك صحتك؟ يجعل لك مكانة في بيتك؟.

ما رأيك؟ :

قال لي واحد، كنا بجدة بعمرة، زرنا شخص في جدة هو من الشام، متضايق من زوجته، قال لي: جالس أنا على الأرض، أشاهد فيلماً بالتلفاز، هي جالسة على الكنب، ضربتني برجلها على رأسي، قالت له: غير القناة. في هكذا زوجة، في هكذا، في زوجات مسيطرين، مكانتك؛ مكانتك، وصحتك، وعزتك، وكرامتك، لها قيمة، في

.....

رأس الحكمة مخافة الله :

قال له: يا بني! حفظناها في الصغر, فحفظها الله علينا في الكبر, من عاش تقياً, عاش قوياً.

اجهد أن تطيع الله, وأن تتواضع, وأن تقف عند حدوده, وأن تخاف منه.

رأس الحكمة مخافة الله.

الله عنده أدوية لا تعد ولا تحصى, وكل دواء يساوي الحياة جليماً, وكل دواء لحاله يجعل حياتك جليماً.

خلاصة القول :

عود على بدء:

((إن الله تعالى إذا أنزل على عاهة من السماء على أهل الأرض, صُرفت عن عمار المساجد))

أبدأً. والدليل:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

ونحن في أطاف الله عز وجل, وكل إنسان له اتصال بالله, وله خوف منه, وله طاعة له, تتطبق عليه الآية الكريمة:

﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية:48]

﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية:48]

له من هذه الآية نصيب, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119=64} : السخاء وحسن الخلق

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 29-11-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما الذي يفسد دين المرء؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف:

((إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق، ألا فزینوه بهما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

ولهذا الحديث رواية أخرى:

((إن هذا الدين قد اصطفيته لنفسى، ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه))

يعني: الإنسان الذین يفسد دينه سوء خلقه، يفسد دينه بخله، فالذي له زي ديني؛ أوله انتماء ديني، أوله أرضية دينية، أوله خلفية دينية، أو محسوب على المسلمين، اختر أي عبارة شئت، محسوب على المسلمين؛ له زي ديني، له انتماء ديني، له أرضية دينية، له خلفية دينية، ولاؤه للمؤمنين، هذا الإنسان يُفسد دينه أن يكون بخيلاً، ويفسد دينه أن يكون سيء الخلق.

والإنسان حينما يتزيا بالدين، ولا يكون حسن الخلق، ولا سخياً كريماً، ماذا يفعل؟ ينفر الناس من الدين، الإنسان العادي لا أحد يقتدي به.

ماذا تفهم من هذه المقولة للشافعي؟ :

يقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: لأن ارتزق بالرقص -معقول!! هكذا قال- أهون من أن ارتزق بالدين. لو ارتزق بالرقص, هو عند الناس رقاصاً, لا أحد يقتدي به؛ أما إنسان له زي ديني, له انتماء ديني, له ولاء ديني, له أرضية دينية, له خلفية دينية, محسوب على المسلمين, ويستخدم الدين للدنيا, يستخدم الدين لمكاسب مادية, هذا ماذا يفعل؟ هذا يفعل فعلاً عكس الداعية تماماً؛ الداعية مقرب هو مبعد, الداعية محبب هو مبغض, الداعية يصل هو يقطع, وكم من إنسان أساء لدينه أيما إساءة, فكان سبباً في تنفير الناس من دين الله عز وجل؟.

تطبيق عملي لهذا الحديث :

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي, ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق, فأكرموه بهما ما صحبتموه))

يعني: إذا الإنسان له مظهر ديني, يجب أن يكون كريماً, يجب أن يتعامل مع الناس.

يعني قصة لا علاقة لكم بها, لكن لها موعظة, كنت أصلي إماماً في أحد المساجد, ومركبتي في التصليح, فأنا مضطر أن أستأجر سيارة, الذي صلى ورائي في المسجد سائق تكسي, فلما انتهت الصلاة, وصلينا السنة, وانصرف, وانصرفت معه, قلت له: هل توصلني إلى المنطقة الصناعية؟ ارتبك, واضطرب, قلت: أوصلني, فقال: تقضل أستاذ, يعني قالها على مضض, ماذا توهم؟ كالعادة, والله أعطيته ضعف العداد, فانقلب مئة وثمانين درجة: لا تؤاخذنا أستاذ, أطال الله في بقائك

إذا أردت أن تكون مقرباً ازهد بما عند الناس يحبك الناس وارغب فيما عند الله يحبك الله :

أنت لك مظهر ديني, يجب أن تكون سخيماً, يجب ألا يفكر إنسان ألا تعطيه أجرته, أما لما الناس يألفوا الناس, له زي ديني, ويتسلطون على بعضهم بعضاً, هذه تجربة, فإن أردت أن تكون مقرباً, ازهد بما عند الناس يحبك الناس, وارغب فيما عند الله يحبك الله:

لا تسألن بُني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يُسأل يغضب

إن أردت أن تسري هذه الدعوة، ازهد بما عند الناس، لا تكلف أحداً، لا تطلب من أحد، لا ترجو على دعوتك لا حمداً ولا شكورا، ولا أي شيء من أشياء المكافآت.

لذلك: لا يوجد شيء يتذبذب بين القدسية إلى درجة أنها صنعة الأنبياء، وبين التقاهة إلى درجة أنها عمل مبتذل: كالدعوة إلى الله، فبينما تكون في صنعة الأنبياء، وأنت في أعلى مرتبة:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت الآية:33]

وبين من:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

[سورة آل عمران الآية:77]

شيء مؤلم :

مرة لي قريب توفي، فذهبت لأتابع إجراءات أمور القانونية، وصلنا إلى مكتب دفن الموتى، ونركب مركبة، لحقوا بنا عشرين، ثلاثين قراء، وتشاحنوا، وتضاربوا، وأنا أقرأ جيداً أستاذ، وأرخص منه، قلت: يا لطيف! هكذا، هكذا حفاظ القرآن؟ أين مكانتك؟ أين عزتك؟ فهذا الدين خطير جداً.

واقعة :

مرة حدثني أخ كريم، يوجد عالم وقور -توفي رحمه الله- له تلميذ محب جداً، هذا التلميذ اشترى يعني دراجة نارية، فالشيخ فقير، لا يوجد عنده إمكانية أن يشتري سيارة، قال له: سيدي، أتحب أن أوصلك؟ قال له: لا يا بني! مرتبتي مرتبة علم، لا يليق بمكانتي أن أركب خلفك على الدراجة، قال له: أنا ليس كبير، لكن هذه مكانة.

يعني: رجل الدين؛ إن أعز هذا الدين، أعزه الله.

يقول الظاهر بيبرس: والله ما استقر ملكي، حتى مات العز بن عبد السلام.

عالم جليل له مكانة، وهيبة، أكثر من الظاهر بيبرس، لماذا؟ لترفعه عن مال السلطة.

هكذا كان علمائنا :

مرة سئل الحسن البصري: بم نلت هذا المقام؟ -كان سيد التابعين، وكان له مكانة لا يدهيها مكانة، اسمعوا

الإجابة- قال: باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.

باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.

لو عكست: الناس مستغنون عن علم هذا العالم، وهذا العالم محتاج إلى ما عند الناس، انتهى، والله صار أذل

من الشاة، الذي يُعز هذا العلم يعزه الله.

لذلك: كبار العلماء لهم أعمال، سيدنا أبو حنيفة كان بذالاً، تاجر أقمشة، وسيدنا الشافعي، والحنبل، كبار علماء

المسلمين، لهم أعمال، دائماً: رافعو رؤوسهم، عندهم عزة وكرامة.

إن أردت أن تكرم هذا الدين زينه بحسن خلقك وزينه بسخائك :

فهذا الدين استخلصه الله لنفسه، ولا يُصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه.

إنسان له مظهر ديني؛ عسبي، غضوب، سفية اللسان هذه مستحيلة.

ما كان -عليه الصلاة والسلام- فحاشاً، ولا لعاناً، ولا بذيئاً.

هكذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام-.

فالذي يؤلم: أن الذي يتصدق بنشر هذا العلم، ليس في المستوى الذي جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- إن

أردت أن تكرم هذا الدين؛ زينه بحسن خلقك، وزينه بسخائك، عندئذ يحبك الناس.

منعطف خطير :

يعني: والله أعرف رجل، أنا أحترمه كثيراً، وهو من حفاظ كتاب الله، شاب قال لي: عملت عنده يعني أشهر، لم يعطن شيء.

أنت ماذا فعلت مع هذا الإنسان؟ حطمته.

فأنت حينما تؤدي ما عليك لكل الناس، تجلبهم إلى الدين، أما إذا أردت أن تستغل هذه المركبة لتحقيق مصالح مادية، أنت الآن عملت عكس عمل الداعية؛ الداعية مقرب أنت مبعده، الداعية محبب أنت مكروه، الداعية موصل أنت قاطع، فإياك، ثم إياك، ثم إياك، أن تكون سبباً في قطيعة إنسان عن الله عز وجل.

لأن ارتزق بالرقص، أحب إلي من أن ارتزق بالدين.

لا ترتزق بالدين؛ دعه في السماء، دعه في الصفاء، دعه في القدسية، ارتزق من أي عمل إلا الدين، لأن الدين لا يحتمل التجارة إطلاقاً.

هذه حقيقة :

الإنسان يستفيد من علم طبيب، ولا يعنيه سلوكه؛ قد يكون طبيب لا يصلي، وقد يكون الطبيب زانياً، وقد يكون شارب خمر، يحمل بورد، علمه عال، فأنت تستفيد من طبيب، ولا يعينك أمر سلوكه، وتستفيد من مهندس، ولا يعينك أمر سلوكه، تستفيد من مدرس، لا يعينك أمر سلوكه، إلا عالم الدين، لا يمكن أن تحترمه، ولا أن تستفيد منه، إلا إذا رأيتَه مطبقاً لما يقول.

لذلك:

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسِي، ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه))

مدرس تربية دينية أحسن تلميذه الظن به فكان المدرس عند حسن ظن تلميذه :

مرة أعرف مدرس تربية دينية، يعمل في محافظة، رأيت له مكانة كبيرة جداً، واحترام كبير جداً، على خلاف ما كنت أتوقع، فلما سألته ماذا فعلت؟ قال لي: والله قصة قصيرة، حدثت طلابي عن التضحية، أحد الطلاب والده

وقع بحادث سير، أخذ إلى الإسعاف ليلاً، بحاجة إلى دم، طرخوا باب الأقرباء جميعاً، لم يعطهم أحد دمًا، فقال ابنه الصغير، الذي هو طالب عندي: أستاذنا حدثنا عن التضحية، يعطيكم هو الدم، قال: طرخوا بابي الساعة الثالثة صباحاً، ولحسن الظن كان دمه موافقاً لدم المصاب، وذهب معهم تواءً، أعطاهم ثلاثمئة سائتي، قال لي: هذا العطاء في هذه الساعة المتأخرة من الليل، أبلغ من ألف محاضرة ألقىتها عليه.

فالإنسان يزين هذا الدين بأخلاقه، يزين هذا الدين بسخائه، يحبب الناس بهذا الدين بسخائه، يحبب الناس بهذا الدين بسخائه؛ السخاء وحسن الخلق: تقرب، وتوصل، وتحبب، وبالبدل وسوء الخلق: تقطع، وتنفّر، وتبغض، وهذا عمل عكس الداعية: التبغيض، والقطيعة، والتنفير.

((إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق، ألا فزینوه بهما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

رأي شخصي :

أنا الذي أراه: أن الأشخاص الذين يتمتعون بخلق راق، بخلق حسن، مع العلم بأمر الدين، هم الذين يجلبون إليهم قلوب الناس، فأنت على مستوى بيتك؛ إن أردت أن تحبب أولادك بهذا الدين، يجب أن تكون رحيماً، منصفاً، مضبوط اللسان، مضبوط الجنان، مضبوط الأعضاء، أما لو ضربت إنساناً بقسوة، أو سببته بقسوة، أين كلامك منه؟ انتهيت أمامه.

ما الفرق بين المداراة والمداهنة؟ :

وفي حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس، كما أمرني بإقامة الفرائض))

نحن يوجد عندنا شيء اسمه مداراة, وشيء اسمه مدهانة؛ مدهانة:

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

[سورة القلم الآية:9]

المدهانة معصية, والمدهانة نقيصة, والمدهانة ضعف توحيد, والمدهانة نفاق؛ المدهانة نفاق, وضعف توحيد, ونقيصة, ومعصية, أما المداراة طاعة, المداراة عمل صالح, المداراة توحيد.

تعريف المداراة :

تعريف المداراة: أن الذي يضحى بدينه من أجل دين الآخرين, فهو يداريهم.

يعني: عاونت إنساناً, بذلت شيئاً من مالك, من وقتك, من علمك, من خبرتك, من أجل أن تستجلب قلبه, أنت عندئذ تداري.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس))

ولن يفتح لك قلب الإنسان, إلا إذا فتحت لن يفتح لك عقل الإنسان في الدعوة إلى الله, إلا إذا فتحت قلبه بإحسانك, افتح قلبه بإحسانك, عندئذ يفتح لك عقله لبيانك, أما أن تلقي عليه محاضرة, وأنت مسيء له لا يستمع.

لذلك:

((يا داود -كما ورد في الحديث القدسي- ذكر عبادي بالإحسان إليهم, فإن النفوس جبلت على حب من

أحسن إليها, وبغض من أساء إليها))

إن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها :

رجل يعمل تاجر ساعات, قال لي: فلست, له أخ -هكذا أقسم لي, والكلام على عهديته- قال لي: والله أخي يملك منتي مليون, وأنا في أدنى درجات الضعف -فلست نهائياً- ولم يطعه أخوه من أمه وأبيه ليرة واحدة, قال لي: ذهبت لبلد مجاور, في مستورد كبير غير مسلم, كنت في محله في مكتبه, يعني غلبتني عيني, فبكيت أمامه - المفلس وضعه صعب جداً- فلما رأي في هذه الحالة, أرسلني إلى فندق فخم جداً على البحر, قال لي: امض أنت وزوجتك ثلاثة أيام, كي ترتاح أعصابك -على حسابه- فلما انتهت هذه الأيام الثلاثة, جئت إلى مكتبه, قال لي: أعطاني بضاعة بخمسين ألف ليرة لبناني -كانت الليرة مئة وستين في عزها- أعطاني خمسين ألف نقدي, قال لي: خذ وانطلق مرة ثانية.

هذا الإنسان, قال لي: والله أحبه أكثر من أخي, والله معه حق.

((يا داود, ذكر عبادي بالإحسان إليهم, فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها, وبغض من أساء إليها))

من مبادئ الدعوة إلى الله :

إذا أنت ما تمكنت تفتح عقله لبيانك, افتح قلبه بإحسانك أول, جرب؛ اخدمه, أكرمه, أعطه, إذا فتحت قلبه بإحسانك, فتح لك عقله لبيانك.

لذلك: الإحسان قبل البيان في الدعوة إلى الله, والقوة قبل الدعوة, والترغيب قبل الترهيب, والأصول قبل الفروع, والتدرج قبل الطفرة, والتربية لا التعرية, والأمر قبل الأمر, ومن يذكر؟ الأصول قبل الفروع, الأمر قبل الأمر, الترغيب لا الترهيب, التبشير لا التحذير, القوة قبل الدعوة, الإحسان قبل البيان, التربية لا التعرية, هذه بعض مبادئ الدعوة إلى الله عز وجل.

لذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس, كما أمرني بإقامة الفرائض))

لذلك: رأس العقل بعد الإيمان بالله: مداراة الناس؛ كن ليناً، كن لطيفاً، ضح بوقتك من أجله، ضح بجزء من جهدك من أجله، ضح بعلمك من أجله، أعطه علمه، حينما تحسن إليه يكن أسيراً لك.

بالبر يُستعبد الحر.

قال: احتج إلى الرجل تكن أسيره، استغن عنه تكن نظيره، أحسن إليه تكن أميره.

لذلك ورد عن النبي الكريم:

((ابتغوا الحوائج بعفة الأنفس, فإن الأمور تجري بالمقادير))

ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.

((إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس, كما أمرني بإقامة الفرائض))

تعريف المداهنة :

فالمداهنة: بذل الدنيا من أجل الدين، أما المداهنة بالعكس: بذل الدين من أجل الدنيا.

مدعو إلى غداء، وكل هؤلاء الأصحاب لا يصلون، فما صلى حتى لا يرحبهم، ما صلى هذا مدهن، قيل كلاماً سيئاً جداً عن الدين سكت، سكوته إقرار، أو جازاهم بهذا الموضوع، يعني ضحى بعقيده من أجل إرضائهم. والقاعدة الذهبية: من أَرْضَى الناس بسخط الله، سخط عنه الله، وأسخط عنه الناس، ومن أَرْضَى الله بسخط الناس، رضي عنه الله، وأَرْضَى عنه الناس. هذا قانون.

من ابتغى أمراً بمعصية، كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى.

المداهنة: أن تبذل دينك من أجل دنياك، والله هذا حدث

كن مؤمناً ولا تكن مدهناً :

أول يوم رمضان، جيء بضيافة، خاف أن يكون ديناً، فشرّب القهوة، هذا ماذا فعل؟ عصى الواحد الديان من أجل إنسان.

قالت له: يا بني! إما أن تكفر بعهد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت -أم سيدنا سعد بن أبي وقاص- قال: يا أمي، والله لو أنك لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة، ما كفرت بعهد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي.

المؤمن بحياته في كلمة لا، لا؛ له درس علم، له صلاة جمعة، له إنفاق، لأسباب قاهرة يلغي الصلاة، أعوذ بالله! مدهن معناها هذا؛ كل إنسان يضحي بدينه، بعباداته، بعقيدته.

أحياناً: يجامل، يطرح موضوع: أن الدين كله خرافات، يقول له: والله صحيح، أنت ماذا فعلت؟ أنت داهنت أنت، أنت ضحيت بعقيدتك كلها، في أقوياء -أحياناً- يتكلمون عن الدين كلاماً قاسياً جداً، فالضعفاء لو أنهم سكتوا، يعني ما كلفهم الله فوق ما يطيقون، اسكت، لكن ابق ساكناً، لا يجاري، يأتيه بشواهد أيضاً.

فالذي يضحي بعقيدته، يضحي بعبادته، لا يصلي حفاظاً على مكانته، لا يصوم رمضان حفاظاً على مكانته، يُضغط عليه من أجل أن يفعل شيئاً حراماً، بكسب الحرام، يوافق

عدل ساعة يعدل عند الله أن تعبه ثمانين عاماً :

أحد القضاة، أكبرته إكباراً كبيراً، يعني هو محكمة استشارية، مستشار، يعني رئيس ومستشاران، فالحكم، قال لي: في ظلم الحكم، قال له: والله لو قطعت أنا ملي قطعاً قطعاً، ما وقعت هذا الحكم، فتراجعوا عنه، خرج براءة. يعني: الله يحبك أن تكون قوياً، أنت قاض، وأنت معك صلاحية، ويجب أن توقع، قال له: والله لو قطعت أصابعي قطعاً قطعاً، ما وقعت هذا الحكم، رئيس المحكمة وقف، صار في مشكلة، راجعه، خرج بريئاً الشخص. عدل ساعة، يعدل عند الله أن تعبه ثمانين عاماً.

إذا وجد قاض نزيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ووكّل إنساناً له منصب رفيع، كان نزيهاً، كان مع الحق، لكننا في حال غير هذا الحال.

قال: رجل يطوف حول الكعبة, يقول: ربي اغفر لي ذنبي, ولا أظنك تفعل - هكذا ربي اغفر لي ذنبي, ولا أظنك تفعل - وراءه رجل قال له: يا هذا, ما أشد يأسك من رحمة الله! قال له: ذنبي عظيم, أنى لي أن يغفر هذا الذنب؟ قال له: ما ذنبك؟ قال له: والله كنت جندياً في قمع فتية, فلما قمعت, أبيحت لنا المدينة, دخلت أحد البيوت, فرأيت فيه رجلاً, وامرأة, وولدين, فقتلت الرجل, وقلت لامرأته: أعطني كل ما عندك, أعطتني كل ما عندها, فقتلت ابنها الأول, فلما رأته جاداً في قتل الثاني, أعطتني درعاً مذهبة - من ذهب - أعجبتني, فلم أقتل الثاني, تأملت هذه الدرع فإذا عليها بيتان من الشعر, قرأتهما, فوق مغشياً علي: - ما هذان البيتان؟ - قال:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

فلذلك: الإنسان حينما يقف مع الحق, الله عز وجل يقويه, يرفع له مكانته, يدافع عنه, المداينة سبحان الله! لا يوجد إنسان داهن

حديث عجيب!! :

يعني: أنا في حديث عجيب:

((من أعان ظالماً - انظر - سلطه الله عليه))

أول ضحاياه: هذا الذي أعانه.

((من أعان ظالماً سلطه الله عليه))

فالإنسان لا يداهن, لكن ماذا يفعل؟ يداري, المداراة: من أصل الدين.

((بُعثت بمدارة الناس))

((إن الله تعالى أمرني بمدارة الناس))

أما المداهنة: أن تجامل أن توقع.

يعني: كلفت بعمل لا يرضي الله

نهاية المطاف :

يعني: أنا مرة قرأت عبارة للحسن البصري -سبحان الله! تُكتب بماء الذهب- كان عند والي البصرة, جاء توجيه من يزيد بن معاوية -خليفة, توجيه, يبدو أنه غير صحيح, يعني لو أنه نفذه يغضب الله عز وجل- هذا الوالي وقع في حيرة؛ إن نفذ أمر يزيد أغضب الله وأسخطه, وإن لم ينفذ أمر يزيد أغضب يزيداً وأسخطه -شيء يحير- عنده الحسن البصري سيد التابعين, قال له: ماذا أفعل؟ قال له الحسن البصري كلمة -يا الله! تكتب بماء الذهب- قال له: إن الله يمنعك من يزيد, ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

إذا إنسان صار معه سرطان, خبيث, ماذا يفعل معه كل أصدقائه؟ كل من عصى الله من أجلهم, انتهى الأمر, أما لما يغضب إنسان عليه, الله يخلصك منه.

قال له: إن الله يمنعك من يزيد, ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

لذلك:

((ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي, أعرف ذلك من نيته, فتكيداه أهل السموات والأرض, إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً, وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني, أعرف ذلك من نيته, إلا جعلت الأرض هويماً تحت قدميه, وقطعت أسباب السماء بين يديه))

يعني: إذا أنت اعتصمت بالله, لن يخيبك الله أبداً:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

[سورة الطلاق الآية:3]

-أبدأ-:

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ﴾

[سورة الطلاق الآية:3]

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-65} : المسؤولية

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-12-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ما معنى الإنسان مسؤول؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه, حفظ أم ضيع؟ حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته))

[أخرجه النسائي في الصحيح, وابن حبان في صحيحه]

الإنسان مسؤول, معنى مسؤول: أُعطي حرية الاختيار, وسُخرت له السموات والأرض, أُعطي سؤله؛ لكنه سيحاسب على كل أعماله, وحركاته, وسكناته حساباً دقيقاً.

الإنسان -أحياناً- يترنم, ويقول: فلان مسؤول كبير, وكأنه بهذا الكلام يمدحه, وغاب عنه معنى الكلم, مسؤول كبير؛ أي أنه سيُسأل عن كل تصرفاته, وعن كل مواقفه, وعن كل حركاته وسكناته.

واقعة حصلت في اليابان :

مرة إمبراطور اليابان, أرسل سبعة طلاب إلى بلاد الغرب ليتعلموا, بُهروا بالحضارة الغربية, ومدن أوروبا, والملاهي, والمسارح, ودور السينما, فانغمسوا في ملذاتهم, وضيعوا دراستهم, فلما عادوا إلى اليابان أعدمهم جميعاً. سألت مرة أحد الأخوة الذي عاش في اليابان فترة طويلة, قال: بعد هذه الحادثة, ما من طالب أرسل إلى بلاد الغرب إلا ودرس بجدية فائقة, ونال أعلى الشهادات, حينما رأى الذي سبقه قد أُعدم, لأنه لم يحرز هذه الشهادة,

هكذا كان أجدادنا :

أيها الأخوة، المؤمن الصادق: يشعر أن الله سيحاسبه حساباً دقيقاً.

السيدة فاطمة، دخلت على سيدنا عمر بن عبد العزيز، رآته يبكي في مصلاه، قالت: ما يبكيك؟ قال: دعيني وشأني، قالت: ما يبكيك؟ قال: دعيني وشأني، فلما ألحت عليه، قال: نظرت في رعيتي؛ فوجدت الفقير الجائع، وابن السبيل، والشيخ الفاني، والأرملة، والطفل الصغير، فعلمت أن الله سيحاسبني عنهم جميعاً، وأن خصمي دونهم رسول الله، فلهذا أبكي.

فحينما قال عمر: والله لو تعثرت بغلة في العراق، لحاسبني الله عنها.

كان واقعياً في هذه المسؤولية.

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه))

كلما ارتقى إيمانك، تشعر بهذه المسؤولية.

من أمثلة الواقع على عدم الشعور بالمسؤولية :

إنسان من الشام، سافر بسيارته من جدة إلى دمشق، وصل إلى مكان لعله تبوك، شعر أنه يحتاج إلى تصليح السيارة، دخل إلى مكان تصليح، يعني علبه السرعة تحتاج إلى زيت، فكلف صاحب المحل طفل صانع صغير فغير الزيت، وقال له: السيارة جاهزة، فمشى، بعد حين احترقت علبه السرعة، لأن الزيت خلص، هذا الصانع لم يشد البراغي، فالزيت سال، فلما سال، احترق العلبه، وفتت السيارة، الحرارة ستة وخمسون، خرج صاحب السيارة من المحرك للصندوق مرتين، ثلاثة، ضربة شمس، مات.

فهذا الذي وكل طفلاً صغيراً بتغيير الزيت، ولم يضبط عمله، ولم يراقب عمله، مسؤول عند الله عز وجل، يحاسب كقاتل.

قبل فترة، لي صديق، عنده طفلة، صدقوني لها شكل غريب جداً من حيث الجمال، طفلة صغيرة، صف ثالث

ابتدائي، صحن من الصحن وقع فوقها فقتلها، في المزة، أو في مساكن دمر، فجاءوا بالذي ركب هذا الصحن، بدلاً من أن يضع أربعة براغي، وضع برغيين، من أجل السرعة؛ فبرغيان، رياح شديدة، طار الصحن، وقع على هذه الطفلة فقتلها، أنا أضرب أمثلة حادة.

فالإنسان محاسب عن زوجته، لا يسمح لطبيب أن يكشف عليها، هذا ليس ورع، هذا حمق، فمرضها تقاوم. قبل أيام، قبل أشهر، رجل يعني له زوجة شعرت بالآلام في بطنها، أخذها إلى عند الطبيب، قال له: اعمل تنظير، يبدو في ضيق مادي، لم يعمل تنظير، لو أنه فعل تنظير، لكشف المرض في أوله، أول مرض سهل سرطان بالمعاء، بأوله يُستأصل قسم، وتعيش حياة مديدة بشكل جيد، انتقل إلى الأحشاء كلها، انتقل للكبد، انتهت، هذا الإنسان يلقي الله وكأنه قاتل، لأنه امتنع عن معالجة زوجته، كان من الممكن أن تعالج في وقت مبكر، وأن يُستأصل هذا القسم المتورم، وأن تعيش حياة عادية.

أنا أعرف قريبة، من عشرين سنة استأصلت متر من أمعائها، أول سرطان أمعاء سهل جداً، قبل أن ينتقل ليس له مشكلة؛ فهذا أهمل معالجة زوجته، والثاني أهمل شد البراغي قتل إنساناً، والثالث أهمل تركيب هذا الصحن وإن كان أصل تركيبه له مشكلة، لكن سنعه شيئاً غير مشكلة، أهمل التركيب فقتل طفلة.

طبيب يشعر أنه مسؤول عن مرضاه :

المؤمن الصادق يشعر بالمسؤولية، المسلم يشعر أنه مسؤول عن طلابه، والطبيب يشعر أنه مسؤول عن مرضاه. حدثني أخ كان في مصر، طبيب عالج طفلاً، أعطى والده وصفة معيار كبير، وهذا العيار يقتله، بعد ما ذهب الطفل مع والده، انتبه الطبيب أنه كتب عياراً كبيراً، هو -طبعاً- مستوصف حكومي، لا يعرف من هو والد المريض؟ فهذا الطبيب كان جريئاً جداً، توجه إلى التلفاز، وأبلغهم: بلغوا -قطعوا البرامج- أنه يوجد طفل مع والده، كان في المستوصف الفلاني، والطبيب أخطأ بالوصفة، ولحسن الحظ، وتوفيق الله: أن الخبر وصل للأب قبل أن يعطي الدواء لابنه.

هو الطبيب ضحى بسمعته من أجل إنقاذ طفل؛ لكن هذا الطبيب ارتقى في عين الناس إلى أعلى عليين؛ الطبيب: يشعر أنه مسؤول عن مرضاه.

الصيدلي كذلك, دواء منته, إياك أن تبيعه, ضعه في سلة المهملات.

الإنسان محاسب عن كل آثار عمله :

المهندس الذي يتساهل في الإشراف على صب السقف, يكفي أن يُوضع الحديد في الأسفل, أو بشكل غير طبيعي, حتى يتصدع السقف, الحديد له مكانته فقط, فإذا عملوا مفرقة, وغير مكانه أيضاً, مهمته صار الشد, الحمل اختلف.

ففي شرفة مرة, وقفت فيها الطالبات فوقعت في الجامعة, لأن المهندس لم يشرف على تنفيذ صب البناء.

فأنا أعطيك أمثلة؛ المهندس مسؤول, والمعلم مسؤول, والطبيب مسؤول, مصلح السيارة مسؤول.

قال لي أخ: أركب سيارتي باتجاه حمص, خرج دخان من زوايا المحرك, فتح, نار, ثم عرف أن الذي صلحها له قبل يوم, لم يضبط خراطيمها, فخرج بخار البنزين, وحرقت السيارة, آلاف القصص:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾

[سورة ياسين الآية:12]

الإنسان محاسب عن كل آثار عمله.

أحياناً الإنسان: يطلق امرأة طلاقاً تعسفياً, امرأة صالحة, لسبب تافه, طارئ, الزوج غضوب, طلقها, الزوج له خلفية دينية, يصلي, ماذا تفعل كي تغاضبه؟ تسفر, ثم تنقلت, فكل معصية ارتكبتها هذه المرأة في صحيفة الذي طلقها طلاقاً تعسفياً.

يعني: الشواهد لا تنتهي, محاسب عن كل تصرفاتك, وعن عطائك, ومنعك.

أحياناً: تمنع تمتع إنسان شيء, هو في أمس الحاجة إليه, ينحرف, ومنعك سبب انحرافه.

لأب البخيل الذي لا يزوج أولاده, يقول كلاماً مضحكاً الآن: أنا أنشأت نفسي بنفسي, وعليك أن تكون أنت كذلك, والأب حالته المادية جيدة جداً, لو أن هذا الابن انزلق في الزنا, لكان الأب مسؤولاً عنه, أليس كذلك؟ الأب عن ابنه, الأب لم يضبط ابنته, زلت قدمها, تقول: يا رب, لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي؛ هو الذي غفل عني,

هو الذي لم يراقبني, هو الذي لم ينصحي.

كم من رجل, وكم من أب, أولاده منحرفون, بناته منحرفات, وهو لا يدري؟.

لذلك:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه, حفظ أم ضيع؟))

في أمراض كثيرة تتفاقم, وهؤلاء الذين يأمرسون بحصار اقتصادي للدول الإسلامية حصراً, ويموت كل عام خمسمئة ألف طفل جوعاً, وهم ينفذون خطتهم إلى ما لا نهاية, هؤلاء سيحاسبون عند الله كقتلة سيحاسبون.

ينبغي أن تعلم :

أيها الأخوة, العبرة: أنك إذا آمنت بالله, يجب أن تشعر بالمسؤولية التي ألقيت على عاتقك, أنت مسؤول:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:92]

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية:93]

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية:42]

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾

[سورة إبراهيم الآية:42]

كيف يحسب الإنسان: أن الله غافل؟ حينما يرى المنحرف يزداد قوة، ومنعة، ومالاً، وغنى، ولأن الله لا يحاسبه، يتوهم الإنسان -أحياناً- أن الله غافل عنه، مع أن الله أرخى له الحبل، وسوف يكون في أية لحظة في قبضة الله، وسينتقم منه، وسينكل به:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة النروج الآية:12]

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع؟))

يعني أحياناً الإنسان: لا يعتني بكهرباء البيت، الكهرباء مئتان وعشرون، وقد يقف أهله في الحمام بلا شيء، على الأرض مباشرة، مات بالكهرباء، الكهرباء قاتلة، الكهرباء قاتلة إذا معها ماء بدون حذاء، أو شيء. فالإنسان تموت زوجته، تموت ابنته، يعطي دواء منتهي مفعوله، يعمل له تسمم، يهمل ضبط سيارة تعمل حادثاً، يهمل تركيب بللور يقتل طفلاً، يهمل تركيب صحن يقع يقتل طالبة، هذا شيء بين أيديكم، وبين سمعكم، وبصركم.

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع؟))

يعني: إذا الطبيب ما سأل المريض: هذا الدواء: هل أنت متأثر بالبنسلين؟ إذا لم يسأله، وأعطاه بنسلين، والبنسلين يساوي صدمة، وأودت بحياته، الطبيب صار قاتلاً.

أنا أريد لا أن أخوفكم، بل أن أضعكم أمام مسؤولياتكم؛ الله موجود، وسيحاسب جميعاً الناس؛ هذا المريض أمانة

في عنق الطبيب, هذا الموكل أمانة في عنق المحامي, هذا البناء أمانة في عنق المهندس, كم بناء سقط وذهب من سقوطه ضحايا؟ كثيرون, في عنق الذي بنى البناء؛ لم يشهد صب الإسمنت, لم يراقب العمال, لم يتأكد من نسب الاسمنت في الأثاثات, فانهار البناء, يعني أبنية كثيرة تنهار, السبب: الإهمال.

لذلك:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه, حفظ أم ضيع؟))

إذا نما إيمانكم ينمو معه الشعور بالمسؤولية :

أستاذ في المدرسة, معاشه قليل, تضيق نفسه, يصب جام غضبه على الطلاب؛ فإذا كان أستاذ رياضيات ضرب الطلاب, كرههم بهذه المادة إلى آخر حياتهم, إذا أستاذ لغة عربية قسا على الطلاب, كرههم بهذه المادة إلى آخر حياتهم, وقد يكره الطالب المدرسة من أستاذ ظالم, قد يبقى جاهلاً, السبب: أستاذ ظالم, فهذا الأستاذ الظالم الذي يضرب بعنف, ويوبخ, ويسب, ويشتم, لا يدري أن الله سيحاسبه, بين أيديك وردات, بين أديك أطفال بريئون, بقسوته, وحمقه, كرههم بالمدرسة, وهذا كله بين أيديهم.

فإذا نما الإيمان في قلوبكم, ينمو مع الإيمان الشعور بالمسؤولية, والذي يقود سائق باص, يغير فيلم الفيديو, انحرف وتوفي سبعة وعشرون شخصاً, وقبل منها حادث ستة وخمسون شخصاً, الكل ماتوا, أثناء تغيير فيلم الفيديو, معه ركاب.

فالسائق مسؤول, الطبيب مسؤول, المهندس مسؤول, المحامي مسؤول, المدرس مسؤول, الشيخ الذي يعطي نموذجاً سيئاً للناس, بعضهم ينفر من الدين بسببه مسؤول؛ صار منفراً, صار قاطعاً عن الله وليس واصلاً, صار مبعداً وليس مقرباً, هكذا

فكلما نما إيمانكم, ينمو مع إيمانكم الشعور بالمسؤولية, شعور صحي, شعور يؤكد الإيمان: إن الله سيحاسب.

تطبيق عملي للشعور بالمسؤولية :

سيدنا عمر -رضي الله عنه- كان مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف ليلاً، كانا يتجولان في المدينة، فرأى قافلة قد أناخت رحلها في ظاهر المدينة، قال: تعال نحرسها، ونحتسب هذا عند الله، سيدنا عمر وصل إلى مكان هذه القافلة، سمع صوت طفل يبكي، توجه إلى أمه، قال: أرضعيه، أرضعته، ثم بكى، فعاد وقال لها: أرضعيه، أرضعته، ثم بكى، عندئذ غضب، قال: يا أمة السوء! أرضعيه، قالت: وما شأنك بنا؟ إنني أفطمه، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يعطينا العطاء لا بعد الفطام، ولم تعلم أنه عمر -يعني التعويض لا يستحقه الطفل، إلا إذا فطم، تقطمه من أجل أن تأخذ التعويض.

ماذا فعل سيدنا عمر؟ -ضرب جبهته- وقال: ويحك يا بن الخطاب! كم قتلت من أطفال المسلمين؟ -عد نفسه قاتلاً- وذهب ليصلي بأصحاب رسول الله صلاة الفجر، ما استطاع واحد أن يسمع ماذا قرأ؟ لشدة بكائه، كان يقول: رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزبها؟ وأصدر قراراً في اليوم التالي: أنه يستحق العطاء كل من ولد.

ألغى موضوع الفطام، عند الولادة يستحق العطاء، شعر أنه قتل أطفالاً كثيرين.

فإذا نما عندك هذا الشعور بالمسؤولية، فأنت مؤمن ورب الكعبة، إن كنت تخاف الله أن يسألك لماذا فعلت هذا؟ لماذا كتبت هذا الضبط؟ ألا تعلم أن هذا التاجر مظلوم، سيحاسب هذا الموظف حساباً عسيراً، أي موظف في أي مكان، سيحاسب حساباً عسيراً إذا ظلم الناس، أو أهمل مصالحهم، أو عقد عليهم الأمور، أو ألصق بهم تهماً هم بريئون منها.

قف عند هذا الكلام :

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع؟.

-يعني أحياناً أقول لكم هذا الكلام: أكثر أخطاء الأولاد سببها الآباء، طفل كذاب، السبب: لأن الأب قال له: قل له: ليس هنا، قال له: ليس هنا.

فالابن يرى أباه في البيت، ويأمره أن يكذب، ظن أن الكذب شيء طبيعي، نشأ على الكذب، أو على الإهمال، أو

على الغش، أحياناً: يكون مع والده، والده يكذب في البيع والشراء، ويغش، ولما الطفل يصدق: يوبخه، يجب أن يحكي الحقيقة: يوبخه.

فكم من أب هو سبب انحراف أولاده؟ وكم من معلم هو سبب انحراف طلابه؟ وكم من طبيب لإهماله؟

والله -أيها الأخوة- كم من إنسان مات، أجريت له أخطر عملية، لم يمت من العملية، من عدم العناية به بعد العملية، من نقص بعض الأدوية، يموت بلا مبالاة، لا يتكلم شيئاً، هذا الذي لا يشعر أن الله سيحاسبه، إنسان ميت، كل إنسان لا يشعر بمسؤولية تجاه الله عز وجل هو إنسان ميت، وأحياناً: يعني سبب تافه، يسبب مشكلة كبيرة جداً-.

اعلم أيها الرجل أنك مسؤول عن أهل بيتك :

حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته))

يعني: هؤلاء النساء الكاسيات، العاريات، المائلات، المميلات، أليس لهن آباء؟ أليس لهن أزواج؟ أليس لهن أخوة؟ والله آبؤهم، وأخوتهم، وأزواجهم، محاسبون عنهن حساباً عسيراً، لأن هذه التي تبرز مفاتها في الطريق، إنما تدعو الناس إلى النظر إليها، تدعوهم إلى التمتع بمفاتها، لسان حالها يقول: تحرشوا بي، لسان حالها يقول: تأملوا محاسني.

فهذا الطريق ملك الجميع، وليس ملك امرأة وحدها، فإن تفلتت أساءت إلى خلق الله عز وجل، ليس كل إنسان جاهز للزواج، ليس كل إنسان

أحياناً: بين الشاب وبين الزواج عشر سنوات قادمة، أو عشرون سنة قادمة، فهذه التي تغريه، تبرز له مفاتها، تحاسب عند الله حساباً شديداً.

امرأة تكره الحجاب وتعنف كل من يرتديه فقهرها الله به :

في امرأة تكره الحجاب كراهية لا حدود لها، وتعنف كل محجبة، وتتعتها بأبشع النعوت، ولها عمل، يعني تمارس من خلال عملها، الضغط على كل فتاة محشومة.

قال لي أحد الأخوة: أن هذه المرأة، التي تكره الحجاب أشد الكراهية، رُؤيت تضع الحجاب بعد حين، فظنُّ أنه توبة

من الله عليها، ثم قال: عُرف أنها أصيبت بمرض خطير في رأسها، وقد منعها الطبيب من وضع شعر مستعار، قال لها: لا بد لك من إشارب أن تضعيه، الله قهرها.

نقطة هامة :

أيها الأخوة، فالإنسان يكون دقيقاً، مسؤولاً، اسمع هذه فيها ترنن، مسؤول؛ لماذا فعلت؟ لماذا لم تفعل؟ لماذا أعطيت؟ لماذا لم تعط؟ لماذا ارتكبت؟ لماذا لم ترتكب؟ لماذا طقت؟ لماذا تزوجت؟ لماذا أخذت، لماذا أعطيت، فكر قبل أن تعطي، ماذا سأجيب الله عز وجل؟ فكر قبل أن تمنع: ماذا سأجيب الله عز وجل؟.

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))

[أخرجه النسائي في الصحيح، وابن حبان في صحيحه]

من الذي يشعر بالمسؤولية، ومن الذي لا يشعر بها؟ :

أيها الأخوة، الشيء الدقيق: أن الذي يشعرك بالمسؤولية: فُرنك من الله، أما البعيد عن الله عز وجل: لا في العير، ولا في النكير؛ جاهل، وأحمق، ويفعل ما يشاء، ولا يدري أن الله سيحاسبه عن كل أفعاله. وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((رأس الحكمة مخافة الله))

كلما ازدادت حكمة، ازدادت خوفاً من الله، كلما ازدادت قريباً منه، ازدادت ورعاً.

النبي رأى تمرة، انقطع عنه الوحي أسبوعين، لم يفهم ما السبب؟ ثم قال:

((يا عائشة لعها تمرة أكلتها))

تمرة.

يغتصبون أموال الناس بعضهم بعضاً، ستة آلاف دعوى في قصر العدل وحدها، ستة آلاف دعوى؛ أكثرها اغتصاب، أكثرها أكل حقوق، أكثرها عدوان، أكثرها كيد، لو أن الناس خافوا من الله.

من روائع تاريخ الصحابة :

ما قولكم؟ سيدنا عمر تسلم منصب وزير العدل في عهد سيدنا الصديق, خلال عامين متتالين لم يرفع إليه أحد قضية -ولا أحد- سيدنا عمر كان وزير عدل, سيدنا الصديق خلال عامين من توليه هذا المنصب الرفيع, لم يرفع, لم تسلم إليه قضية, لو أنصف الناس, استراح القاضي.

أنت حينما تعلم ما لك وما عليك, تستريح وتريح.

إليكم بعض هذه المسؤوليات التي تقع في أعناقكم :

نحن الآن بحاجة إلى أن نشعر بالمسؤولية, أقول لكم بعض المسؤوليات:

أنتم أبناء هذه البلدة, الشباب إن لم تحل مشكلتهم, فكل من في هذه البلدة مسؤول.

الآن يوجد عندنا حيين, ثلاثة في دعارة, يجوز بعد حين لا تجد حياً لا يوجد فيه دعارة, ما دام طريق الزواج مغلق؛ بيوت لا يوجد, والآباء يريدون مظاهر, وبيت في الشام, وغرف فخمة, وحلي غالية, ما دام الطلبات هكذا, طريق الزواج مغلق, ماذا يحل محل؟ طريق السفاح, فأبناء هذه البلدة مسؤولون.

هذه مسؤوليتك أيها الغني :

أستاذة تُحضر دكتوراه عن المرأة السورية, وصلت إلى بعض يعني المستشفيات, وبعض المصحات, وبعض السجون, فاكتشفت أن من بين مئة امرأة تعمل في الدعارة, خمس وتسعون عن حاجة, في خمس فاسدات, أما خمس وتسعون امرأة من مئة امرأة, تعمل في الدعارة عن حاجة.

فهذا الغني حينما يبخل بماله, وتُضطر المرأة أن تزني, من أجل أن تأكل هي وأولادها, هذه مسؤولية أغنياء البلدة كلها؛ مسؤولية التقصير في دفع الزكاة, مسؤولية التقصير في تفقد أحوال الناس.

الشيء الذي يعني قتر منه القلب ألماً: أن امرأة لا تريد الزنا, بعيدة عن الزنا, لها زوج, لها أولاد؛ ولكن ضغط الحياة فوق طاقتها, وعلمها قليل, فرأت في الزنا حلاً لمشكلتها.

في فندق هنا في شارع رامي, يوجد امرأة تباع يعني عرضها للنزلاء, نقلت الإيدز لسبعة عشر رجلاً, وأساسها

انطلقت من فقر, من الفقر, الفقر أوردتها إلى هذا الورد, ثم أصيبت بمرض الإيدز, ثم نقلته إلى سبعة عشر رجل من نزلاء الفندق.

الذي يبخل بماله, الذي يرفع الأسعار, الذي يقلل قيمة الأموال بين أيدي الناس, المال قوام الحياة؛ بالنهاية زنا, بالنهاية دعارة, بالنهاية سرقة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-66} : لا ينفع الإنسان إلا القلب السليم

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-12-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هو مقياس أهل الأرض، وهل هذا المقياس ينفع الإنسان عند الموت:

عن رسول الله ﷺ - فيما رواه الإمام الطبراني:

((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أحسابكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

في مقياس لأهل الأرض، وهناك مقياس عند الله؛ مقياس أهل الأرض: الوسامة، والجمال قيمة في المرأة والرجل، بمقياس أهل الأرض: الغنى قيمة، الغنى محترم جداً، أخطاؤه كلها معفو عنها، والقوة قيمة؛ الوسامة، والغنى، والقوة.

إنسان له مركز قوي، بإمكانه أن يفعل وألا يفعل، ولكن هؤلاء الناس: إذا رفعوا إنساناً، كيف ينفعونه عند الموت؟:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية: 88]

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء الآية: 88]

لو أن الناس -جميعاً- عظموا هذا الإنسان، إنسان غني، ينفق من أمواله كيف يشاء، فالناس يلقون على مسامحه كلمات الثناء، طمعاً بماله، طمعاً بما عنده، لو أن الناس أسمعوه كل كلمات الثناء في القوامس، ثم جاءه ملك الموت، وحاسبه الله عن كل شيء، ماذا تنفعه أمواله؟ ألم يقل الله عز وجل:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾

[سورة الحاقة الآية:19]

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي﴾

[سورة الحاقة الآية:20]

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾

[سورة الحاقة الآية:21]

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

[سورة الحاقة الآية:22]

﴿فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:23]

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

[سورة الحاقة الآية:24]

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾

[سورة الحاقة الآية:25]

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي﴾

[سورة الحاقة الآية:26]

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾

[سورة الحاقة الآية:27]

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:28]

﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:29]

﴿خُدُّوهُ فَعُلُّوهُ﴾

[سورة الحاقة الآية:30]

﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ﴾

[سورة الحاقة الآية:31]

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾

[سورة الحاقة الآية:32]

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحاقة الآية:33]

فالمال لا ينفع، والقوة لا تنفع، والوسامة لا تنفع، والذكاء لا ينفع، وطلاقة اللسان لا تنفع، لا ينفعك إلا قلب سليم، وعمل طيب.

هذا هو العمل المقبول عند الله :

الإمام الفضيل بن عياض له كلمة رائعة, يقول: العمل لا يُقبل عند الله إلا بشرطين:

إلا إذا كان خالصاً, وكان صواباً. خالصاً وصواباً, بهذين الشرطين: ينفع العمل الصالح؛ خالصاً:



ما ابتغي به وجه الله, وصواباً: ما وافق السنة.

هل يستطيع الإنسان أن يتصور كلمة الأبد كما وردت في القرآن الكريم؟ :

فأيها الأخوة, نحن في حياةٍ دنيا قصيرة, سريعة الزوال, وشبكة الانتقال, أما الحياة الأبدية التي وصفها الله في القرآن:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾

[سورة البينة الآية:8]

إلى أبد الأبدين, والعقل البشري, من الصعب عليه: أن يتصور الأبد.

يعني: مليار سنة؛ مليار, مليار, مليار, مليار, لو بقيت عاماً دون أن تأكل, دون أن تشرب, دون أن تنام, تقول: مليار, مليار, مليار, مليار, هذا ليس هو الأبد, الأبد أطول.

لو يوجد واحد في الأرض, والصفار للشمس, والمسافة مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر, كل ميليمتر صفر, هذا هو الأبد؟ لا, هذا رقم, والرقم إذا نُسب لـ نهاية قيمته صفر, واحد بالأرض, و صفار للشمس, والمسافة مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر, وكل ميليمتر صفر, هذا الرقم ليس هو الأبد, هذا رقم محدود, ما دام نُسب لـ نهاية, فقيمته صفر, قضية الأبد

أيها الأخوة، تصور كيس طحين زيرو، واعمل هكذا من دون ضغط، ائت بمكبر، كم ذرة؟ كل ذرة مليون سنة، الكيس كم سنة؟ مكبر ضعه، كانت النتيجة ثمانمئة وخمسون ذرة، كل ذرة مليون سنة، الكيس كم ذرة؟ مئة كيلو، هذا قلم أزرق. ما الأبد؟.

علام يدعونا الله، ومن هو الخاسر؟ :

الله عز وجل يدعونا لسعادة الأبد، يدعونا لجنة عرضها السموات والأرض، لذلك:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الزمر الآية:15]

إذا الإنسان فلس في الدنيا لا يعد خاسراً، لو فقد ماله كله لا يعد خاسراً، من هو الخاسر الأكبر؟ هو الذي خسر الآخرة:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:44]

ما معنى الأبد كما وردت في القرآن الكريم؟ :

أنا أتمنى على أختوتنا الكرام: أن يفهموا معنى الأبد، معنى جنة إلى أبد الأبد:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾

[سورة ق الآية:35]

يعني: أنت خطر في بالك شيء، أمامك صار:

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:23]

لا تحتاج إلى سلم، أي شيء خطر في بالك أمامك، نظام الجنة: أنها عطاء بلا سبب، والدنيا أساسها: الكدح

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾

[سورة الانشقاق الآية:6]

لماذا الجنة رابحة جداً؟ لأنك أنت كم سنة؟ نعددهم؛ عشر سنوات، اثنتا عشرة سنة، عشرون سنة، صليت في اليوم خمسة أوقات، صمت كل سنة شهر، حججت مرة، أو مرتين، غضضت بصرک، صدقت، كنت أميناً، كنت مخلصاً، عبت الله عز وجل، كم سنة وانتهى كل شيء، الآن في جنة عرضها السموات والأرض:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبْوًا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

[سورة الزمر الآية:74]

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ﴾

[سورة الحاقة الآية:19]

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ﴾

[سورة الحاقة الآية:20]

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾

[سورة الحاقة الآية:21]

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

[سورة الحاقة الآية:22]

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:23]

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

[سورة الحاقة الآية:24]

كلمة :

نحن بصراحة، أقول لكم كلاماً دقيقاً: يعني موضوع الجنة والنار؛ يعني نسمعها في المساجد، من خطباء المساجد، في درس دين، أما إنسان يسعى للجنة بشكل واضح، بشكل مركز، يُدخل حساب الآخرة في كل حساباته اليومية؛ في كل كلمة، في كل حركة، في كل سكنة، في كل نظرة، في عطائه، في منعه، في صلته، في قطيعته، في كلامه، في نظراته، في جوارحه، في بيعه، في شرائه، الدنيا أمام الناس، وعظمة الآخرة هي خبر بالقرآن، أما الدنيا في امرأة بالطريق أمامك، في سيارة فخمة جداً، في فيلة فخمة جداً؛ حدائق، ومدخل، وتزيينات، وفرش فخم، في ولائم فخمة جداً، في سفر، الدنيا محسوسة، والآخرة خبر.

ما معنى أن الإنسان يستحق الجنة؟ :

ما معنى: أن الإنسان يستحق الجنة؟ قال:

﴿الم﴾

[سورة البقرة الآية:1]

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:2]

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

[سورة البقرة الآية:3]

صدق ما قاله الله، الشيء المحسوس: الدنيا.

نقطة هامة :

أيها الأخوة، أكثر الناس يبيع، ويشترى، يقبض خمسمئات، يأكل، يلبس، يحضر حفلة، يركب سيارة، يأخذ أهله سيران، هذا الشيء ملموس كله، الناس يعيشون باللموس، يعيشون بالمحسوس، يعيشون لحظتهم فقط، أما لو تصورنا مصيرهم، يعني هل يجرؤ إنسان مؤمن بالآخرة يغتصب بيتاً؟ هل يجرؤ إنسان مؤمن بالآخرة يقول لك: ليس لك عندي شيء، وهذه المحاكم؟ هذا سلوك إنسان كافر بالآخرة، أما لو سألت كل المسلمين: هل أنت مؤمن؟ يقول لك: أعوذ بالله! أعوذ بالله! أنا مؤمن بالآخرة؛ لكن لا ترى في عمله، ولا في طريقته في التعامل ما يؤكد ذلك، أبداً.

يعني: بأي محكمة بقصر العدل يوجد ستة آلاف دعوى، أكثرها دعاوى كيدية، لا يهमे المال، وماله اغتصبوه.

أنا أستمع إلى حالات، حسناً: أين إيمانه بالآخرة؟ أين إيمانه بالعدل الإلهي؟.

من هو الأحمق؟ :



هذا الذي كان يدور حول الكعبة، قال له: رب اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل، فقال له رجل وراءه: يا هذا، ما أشد يأسك من رحمة الله! قال له: ذنبي عظيم - قلت القصة سابقاً- دخل لبيت، وقتل رجلاً، وأمر الزوجة أن تعطيه كل ما عندها، أعطته كل ما عندها، قتل ابنها الأول، فلما رأته جاداً في قتل الثاني، أعطته درعاً مذهبة من الذهب، كتب عليها بيتان من الشعر، فلما قرأهما، وقع مغشياً عليه:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

والله البارحة، أعرف رجلاً، -والله أيها الأخوة- يتمتع بأعلى درجات القوة، والبجوحة، والغنى، والصحة، لكنه ما كان يتقي الله أبداً، ما اتقى الله، البارحة توقفت كليته عن العمل؛ فشل كلوي.

من هو الأحمق؟ الذي ينسى أن هناك إلهاً عظيماً سيحاسب، هذا إنسان أحمق، هذا أنا أسمىه كتلة غباء؛ يظن أنه قوي، وأنه غني، وأن بماله يفعل ما يشاء، تجارته رائجة، المال بين يديه كالتراب، الناس كلهم يعطونه لماله، يستذلهم بماله، وينسى الواحد الديان، الله عز وجل فاجأه بفشل كلوي.

يعني: في أمراض -أيها الأخوة- تجعل حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

هل ينظر الله إلى صورنا؟ لم؟ :

فالحديث دقيق: (إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم)؛

طويل، أبيض، عيون زرق، دميم، قصير.

كان أحنف الرجل، مائل الذقن، ناتئ الوجنتين، غائر

العينين، ضيق المنكبين، ليس شيء من قبج المنظر

إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه.

سيدنا ابن مسعود، صعد إلى الشجرة، هبت رياح

عاتية، كشفت رداءه عن ساقين دقيقتين، فتبسم



الصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((أتعجبون من دقة ساقى ابن مسعود؟ هما والله يوم القيامة كجبل أحد))

لو أتيت لكم أن تروا سيدنا خالد: كان نحيلاً، قصير القامة، لا يملأ العين أبداً.

فالرجال، قيمة الرجل بإيمانه، بعلمه، بعمله، باستقامته.

(إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم): هذا الشيء ليس لك، ليس لك علاقة فيه، الله عز وجل هو الذي صورك،

ليس لك فضل فيه؛ فضلك بطاعتك لله، فضلك باستقامتك، فضلك بإحسانك، فضلك بعلمك، فضلك بعملك

الصالح.

ما قيمة الحسب والمال عند الله؟ :

(إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أحسابكم):

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية:1]

عم النبي.

((سلمان منا آل البيت))

سلمان الفارسي.

((نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه))

سيدنا الصديق، وضع يده تحت إبط بلال، وقال: هذا أخي حقاً.

كان يعذبه صفوان بن أمية، قال: بعني إياه، قال: خذه، والله لو دفعت به درهماً لبعته، قال له: والله لو طلبت به مئة ألف درهم لأعطيتك، أخذه، وضع يده تحت إبطه ليغيظ صفوان، وقال: هذا أخي حقاً.

وكان سيدنا عمر: إذا قدم بلال، خرج لاستقباله إلى ظاهر المدينة.

معقول! أمير المؤمنين يخرج من المدينة إلى ظاهرها، ليستقبل بلالاً الحبشي الأسود!!.

هذا الدين، هذا هو ديننا.

((اسمعوا، وأطيعوا، ولو تولى عليكم عبد رأسه كالذبيبة))

(إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أحسابكم، ولا إلى أموالكم): في بيت مئة متر، في بيت أربعمئة، في بيت بحي متواضع جداً، في بيت بأرقى أحياء دمشق، في بيت كسوته تكلفتها

قصة وعبرة :

قال لي إنسان، والله الذي لا إله إلا هو، كنت مرة في حلب، المضيف أراد أن يطلعني على أحياء حلب الحديثة، أخذني إلى حي الشهباء، أطلعني على قصور، يعني دمشق كوخ أمامها، هذه الفيلة مهندسون جاؤوا من بلاد بعيدة، صمموا هذا البناء، النتيجة: لفت نظري بناء جميل جداً على النمط الصيني، قال: صاحب هذا البناء -هذه سنة اثنين وسبعين أذكر، أو أربع وسبعين- وضع فيه رخام خمسة ملايين ليرة، -كان الدولار ثلاث ليرات-، خمسة ملايين رخام، بلغني أن صاحب هذا البناء توفي في الثانية والأربعين من عمره، وُضع في القبر، يعني صدفة، كان طويل القامة، والقبر كان أقل من طوله، وُضع في القبر، ودفعه الحفار في رأسه، حتى جاء رأسه هكذا صاحب الفلة هذه، هكذا

أيها الأخوة: (إن الله لا ينظر إلى أموالكم): يمكن إنسان عنده سيارة، ثمنها أربعة وعشرون مليون ممكن، وفي بيك آب بمئتي ألف، الاثنتان تمشيان، العبرة: تنتقل من مكان إلى مكان؛ فالسيارة مال، والبيت مال، والمكتب التجاري مال، والفيلة بالمصيف مال.

ما الشيء الذي ينظر إليه الرب في الإنسان؟ :

((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أحسابكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

أيها الأخوة، المؤمن الصادق: لا يجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليه.

قالوا: القلب بيت الرب.

ورد في الأثر القدسي:

((أن عبدي ظهرت منظر الخلق سنين، أفلا ظهرت منظري ساعة؟))

الإنسان -أحياناً- يدخل بيته, يقول لك: دهانه قديم, يغير أثاث بيته, يغسل سيارته, يرتدي ثياباً جميلة, يتزين, تعطر, يخلق, يتغسل, يحسن منظره؛ منظر بدنه, منظر ثيابه, منظر مركبته, منظر بيته.

قال له:

((أن عبي طهرت منظر الخلق سنين, أفلا طهرت منظري ساعة؟))

من الحقد, من اللؤم, من الغل, من الحسد, من الكبر, من العنجهية, من الفوقية, هذه كلها أمراض نفسية.

((طهرت منظر الخلق سنين, أفلا طهرت منظري ساعة؟))

هذا الحديث مهم جداً أيها الأخوة: (إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم, ولا إلى أحسابكم).

إنسان يرتدي ثياباً أنيقة جداً, طبعاً: في ثياب غالية, يقول لك: هذا الطقم ثمنه ثمانون ألف, وهذا الحذاء ريتقول, هذه الكرافة حرير, قد يرتدي ثياب جميلة جداً وغالية, تكلم كلاماً بديئاً, فقال له إنسان: إما أن تتكلم مثل لبسك, أو البس مثل كلامك, إما أن تتكلم مثل لبسك -هذا كلام مرتب-, أو البس مثل كلامك, هذا كلام, الكلام السافل يريد ثياباً محترقة جداً.

ف:

((طهرت منظر الخلق سنين, أفلا طهرت منظري ساعة؟))

الكافر مسكين :

يجب أن تعرف حقيقة الحياة الدنيا, الآن: الكافر مسكين:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف الآية:103]

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف الآية:104]

يعني: يسعى، ويعمل، ويجهد، ويجمع، أندم الناس: من عاش فقيراً ليموت غنياً.

درهم تنفقه في حياتك خير من مئة درهم ينفق بعد موتك :



رأوا شاباً مندفع، إلى أين؟ - هكذا قال - قال: أريد
أشرب خمراً على روح والدي، والده خلف له مئة
مليون، يعني الوالد سيحاسب عن هذه الأموال: كيف
أكتسبها، ولم ينتفع بها؟ كان بخيلاً، عاش فقيراً،
ليموت غنياً.
فلذلك: درهماً تنفقه في حياتك، خير من مئة ألف
درهم يُنفق بعد مماتك.

العبد الفقير، لي بالدعوة ربع قرن تقريباً، طبعاً: خلال

العمر المديد بالدعوة، بعض الأخوان الكرام الميسورين عملوا عندي وصايا، عندي إضبارة للوصايا، الشيء الذي
آلمني جداً: ولا وصية نفذت من بعد موتهم، يعني أهلهم لم يسخوا عليهم بتنفيذ وصيتهم.
إنسان ترك لأولاده ثلاثة أبنية، كل بناء أربعة طوابق، وصى بالفين فقط؛ للمساجد، وطلبة العلم لم ينفذوها
أبدأً.

لا تكن تحت رحمة أحد أيها الأخ الكريم، درهم تنفقه في حياتك، خير من مئة درهم ينفق بعد مماتك، هذا إذا
أنفقوه، وفي الأعم الأغلب لا ينفق:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:20]

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:21]

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج الآية:22]

لم يربيهم, الأب لم يربِّ أولاده تربية صالحة.

هذه هي ثروة الصالحين :

أنا أعرف رجلاً أنشأ مسجداً, لم يأخذ من أحد قرشاً؛ الأرض, والبناء, والكسوة, والفرش, ربي أولاده تربية صالحة, توفي قبل أن ينتهي المسجد, دفع أولاده ملايين بعد وفاته, حتى تم بناء المسجد.

وأعرف رجلاً في جامع المنصور بالميدان, - هذا له قصة من أندر القصص-؛ رجل مؤمن, صادق, ميسور, أوصى: بأن له هذه الأرض, أوصى: بأن يُنشأ عليها مسجد جامع المنصور بالميدان -بعد التقاطع- هذا الأب الصالح, الميسور, عنده ولد, أكبر أولاده بعيد عن الدين, فلم يعبأ بهذه الوصية, والأرض أبقاها له, لينشئ عليها بناء يتاجر فيه, هذا الابن أنجب ولداً صالحاً جداً, علم ابن ابنه بوصية



على فراش الموت المال لامتعى له

الجد, فقال له: إن لم تنفذ هذه الوصية, لا تقع عينك علي بعد هذه الساعة, أغيب عن وجهك, لست أبي, ولست ابنك, فاضطر الأب مرغماً: أن ينفذ وصية أبيه, فأنشئ هذا المسجد المنصور, وأساسه وصيته, والابن نكل بوصية والده, ابن الابن أجبر أباه على أن تنفذ وصية والده, أما هو

ورد في الأثر:

((أن درهماً تنفقه في حياتك، خير من مئة ألف درهم يُنفق بعد مماتك))

يعني: أنت الخمسمئة لها معنى، عندك لها معنى؛ الخمسون ألف لها معنى، والمئة ألف لها معنى، أما إنسان على فراش الموت، المال لم يعد له معنى، أعطوه، ليس له قيمة، وأنت صحيح، شحيح، في أوج شبابك، في أمس الحاجة إلى المال.

قصة ذكرت في جامع النابلسي :

أنا ذكرت البارحة في درس الجمعة، في جامع النابلسي عن قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

[سورة المزمل الآية:20]

ذكرت قصة، لكنها تلفت النظر، لعلني ذكرتكم لكم: رجل من أهل اليسار والغنى، -يعني أنا يرجح عندي: أنه مؤمن، ويحب الخير-، فأراد إنشاء مسجد في أحد أحياء دمشق، بحث عن أرض، وجد أرضاً مناسبة جداً، صاحبها ورثها قبل أسابيع، صاحبها مستخدم مدرسة، عنده خمسة أولاد، معاشه ثلاثة آلاف ليرة، من أفقر الناس، فجاء هذا الذي يريد أن يُنشئ فوقها مسجداً، فاوض صاحبها على الثمن، اتفقوا على ثلاثة ملايين ونصف، عقدوا شيكاً بمليونين، قال له: الباقي، الرصيد عند أخذ الرخصة، أو عند التنازل عند الأوقاف، قال له: لماذا الأوقاف؟ قال له: هذه سوف تُنشئ عليها مسجداً، قال له: أعطني الشيك، مزقه، قال له: أنا أولى منك أن أقدمها لله، وهذا المستخدم قدم هذه الأرض لله.

يقول الرجل الغني، قال: بحياته ما شعر نفسه صغيراً إلا في هذه اللحظة، أمام المستخدم، ومعه ملايين، معه مئتا مليون، أما رأى إنساناً معاشه ثلاثة آلاف، عنده خمسة أولاد، هذا كل ما يملك من الدنيا، لم يتحمل أن يسبقه أحد إلى الجنة.

قال له: أنا أولى منك أن أقدمها لله، مزق الشيك، وقدمها، أحد أخواننا المهندسون: هو الذي أنشأ هذا المسجد في نهر عيشة، والآن مسجد من أرقى المساجد، أرض هذا المسجد: قدمها رجل لا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض.

تعليق الرجل الغني أعجبي: بحياته ما شعر نفسه صغيراً أمام إنسان كهذه اللحظة, صغير, لا شيء, لأنه: رب درهم سبق ألف درهم.

فإن الله تعالى قد يكون المستخدم بيته صغير, غرفة واحدة, قد يكون يمكن يرتدي ثياباً من البالة لا تعجبك؛ لا يوجد عنده أناقة, ولا يوجد عنده شيء, يوم معكرونة, يوم مسبحة, لا يوجد شيء يأكله, ماذا يريد أن يأكل بثلاثة آلاف؟ عنده خمسة أولاد, لكن هذا

(إن الله لا ينظر إلى أموالكم): لا يوجد عنده فرش فخم, صالون, ويكانز, غرف نوم فخمة, لا يوجد عنده شيء, عنده الأرض قدمها لله.

((إن الله لا ينظر إلى صوركم, ولا إلى أموالكم, ولا إلى أحسابكم, ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

الله يريد قلباً منيباً, قلباً خاشعاً, قلباً صافياً, قلباً مخلصاً, قلباً نقياً.

هذا العبد الذي يحبه الله :

قال:

((يا رب, أي عبادك أحب إليك, حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إلي: تقي القلب, نقي اليدين, لا يمشي إلى أحد بشيء, أحبني, وأحب من أحبني, وحبيني إلى خلقي, قال: يا رب, إنك تعلم أني أحبك, وأحب من يحبك, فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلاني, ونعمائي, وبلائي))

((أحب عبادي إلي: تقي القلب, نقي اليدين, لا يمشي إلى أحد بشيء, أحبني, وأحب من أحبني, وحبيني إلى خلقي))

((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم, ولا إلى أموالكم, ولا إلى أحسابكم, ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-67} : إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرِدُ الْقَدْرَ إِلَّا الدَّعَاءُ

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-12-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

دعاء الاستفتاح :

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ما الشيطان اللذان يحرص عليهما كل إنسان, وهل هناك من أسباب لزيادة الرزق؟

أيها الأخوة الكرام, شيطان يحرص عليهما كل إنسان, حرصاً لا حدود له, أجله ورزقه, والآجال والأرزاق: لا علاقة للعباد بهما, وأي إنسان يعصي الله, من أجل أن يطول أجله, أو أن يزداد رزقه, فهو جاهل جهلاً كبيراً, لأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً, ولا تقرب أجلاً, الأجل بيد الله, والرزق بيد الله وحده؛ ولكن لو أن أحدكم سأل: هل هناك من أسباب لزيادة الرزق؟.

هناك أسباب كثيرة, والرزق متبدل, وليس ثابتاً كما يتوهم بعض الناس, وأكبر دليل على ذلك:

﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

[سورة الجن الآية:16]

هذا أول دليل:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف الآية:96]

ثاني دليل:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾

[سورة نوح الآية:10]

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾

[سورة نوح الآية:11]

﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾

[سورة نوح الآية:12]

انظر إلى حركة النظام في الأرض :

أيها الأخوة، الله عز وجل: ثبت أشياء كثيرة، وحرك أشياء، دورة الأرض حول نفسها ثابتة، لا علاقة لها بفسق العباد وفجورهم، لا يوجد عندنا دعاء دوران، في دعاء مطر، دعاء استسقاء؛ لكن دعاء دوران لا يوجد عندنا، ما سبق أن الأرض توقفت، يا رب تدورها، لا، الدورة ثابتة، دورتها حول الشمس ثابتة، الأشياء لها خصائص، الحديد، والذهب ذهب، لا يوجد إنسان يشتري سميكة ذهب، تصبح حديداً، يكون قد خسر خسارة كبيرة جداً، لا يوجد إنسان يزرع حمص يطعم قمح، البذور ثابتة، الخصائص ثابتة.

فرينا عز وجل؛ كي يستتب النظام في الأرض، كي تطمئن، ثبت خصائص الأشياء، وثبت حركة الأفلاك، أما الرزق: حركه؛ يزيد وينقص.

في سنة من السنوات - هكذا قرأت- ثلاثة ونصف مليون طن قمح, استهلاك بلدنا كله مليون طن, ثلاثة أمتار ونصف زيادة عن استهلاكنا, في سنوات مئتان وستون ألف طن, أقل من استهلاكنا, فالرزق متبدل:

﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

[سورة الجن الآية:16]

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[سورة الجن الآية:17]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف الآية:96]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

﴿لَأَكُلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

وقس عليها القرآن الكريم.

من أسباب زيادة الرزق :

1-تطبيق القرآن الكريم في الأسواق :

لو طبق القرآن في أسواقنا؛ لا يوجد غش, لا يوجد خداع, لا يوجد تدليس, لا يوجد نظرات لا ترضي الله عز وجل, لا يوجد تزوير, لا يوجد إيهام, لا يوجد استغلال, لا يوجد احتكار, لأكلنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

﴿لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

2-الأمانة :

((الأمانة غنى))

كما قال عليه الصلاة والسلام.

أكاد أقول لكم قانوناً قطعياً: الأمين يغتني, والخائن يفقر.

3-الصلاة في البيت :

الآن: بيت فيه صلاة, هذا البيت مكفي:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾

[سورة طه الآية:132]

في بيت تُؤدَّى فيه الصلوات

الآن: محل تجاري, يُقام فيه شرع الله؛ لا يوجد كلمة نابية مع امرأة, لا يوجد نظرة شهوانية, لا يوجد يمين كاذبة, لا توجد بضاعة محرمة, لا يوجد تسيب في علاقة صاحب المحل بالزبائن؛ في انضباط, في حشمة, في أدب, في غض بصر, في صدق, في أمانة, في إخلاص, هذا المحل يصبح مرزوقاً.

4-صلة الرحم تزيد في الرزق :

الآن: صلة الرحم تزيد في الرزق.

إنسان له أخوات بنات, بعضهن فقيرات؛ يتفقد شؤونهن, يراهن, يقدم لهن بعض المساعدات من حين لآخر, في رمضان, في الأعياد, هذا الذي يصل رحمه مرزوق, صلة الرحم تزيد في الرزق.

5-الإتقان في العمل يزيد في الرزق :

وفي قانون, يعرفه كل العالم: والإتقان يزيد في الرزق.

لو في البلد ألف نجار؛ في أيام الرواج: كلهم يعملون, في أيام الكساد: المتقن لا يتعطل أبداً, في أي حرفة, المتقن لا يتعطل, أما المهمل يتعطل.

النبي -عليه الصلاة والسلام-: دفن أحد أصحابه, فالذي حفر القبر ترك فيه فرجة, فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن هذه لا تؤذي الميت, ولكنها تؤذي الحي, إن الله يحب من عبده: إذا عمل عملاً أن يتقنه))

هل تعلم؟ :

سمعت فكرة, أضعها بين أيديكم: آلات نسيج مطرزات, صنع سويسرا, الآلة في الشام: يُباع الثوب من هذه الآلة -القصة قديمة من اثنتي عشرة سنة تقريباً- يُباع الثوب بثلاثمئة ليرة, ثلاثة عشر متراً, مطرز, الآلة نفسها, في سويسرا: المتر سعره ألف ليرة, الآلة نفسها, هنا العامل غير متقن؛ أخطاء في التطريز, خيوط مقطعة, بعض البقع على القماش, صناعة درجة خامسة, فكل الثوب سعره ثلاثمئة ليرة, البضاعة المستوردة مصنوعة على الآلة نفسها؛ لكن مع الإتقان, المتر سعره ألف ليرة.

الآن: الشركات في العالم المتقنة, مبيعاتها محجوزة لسنتين, ولا تحتاج إلى دعاية, أما غير المتقنة: تحتاج إلى دعاية, الإتقان -إذاً-: يزيد في الرزق.

أنا حدثتكم قبل شهر تقريباً، عن أخ كريم: لم يتح له أن يكون له محلاً تجارياً، اضطر أن يبيع القماش على الرصيف، بساط وضع فيه فضل، الفضلة بخمسين ليرة، جاءت امرأة سائحة، -طبعاً: الخمسون: يعني دولار-، قال لها: بدولار،

أعطته مئة دولار، ليس لها علم، وضعهم في الجيبة، بعد، مرة ثانية، امرأة اشترت، سحب، فوجد مئة دولار، هو لم يكن معه مئة دولار، تذكر الأولى، ركض إلى أن حصلها عند العسرونية، قال لها: أريد واحد، هذه المئة، يراقبه صاحب محل، أعجبه أمانته، -فالمحل كان صيرفي سابقاً، والمهنة ممنوعة الآن-، قال له: تشاركني؟ قال له: والله أتمنى، قال له: نعم، عملوا عقداً، في اليوم الثاني صار في المحل، قعد بالمحل؛ اشترى، وباع، وريح، قال لي: أخذنا بيتاً بركن الدين، بعد ذلك كبرناه، بعد ذلك أخذنا سيارة.

والآن: رجل عنده زوجة، وأولاد، وبيت، وسيارة، وكل شيء درجة أولى.

ذكرت هذه القصة لبعض الأخوة: الأمانة غنى، فقال بعضهم قصة أخرى، قال لي: بست رقية، في بائع أقمشة، جاءت سائحة -القصة مشابهة تماماً- اشترت قطعة قماش، قال لها: بدولار، أعطته مئة دولار خطأ، فلما رآها، كنَّ عليها، وضعها في جيبه، وبقي ساكتاً.

في اليوم التالي: جاءت الشرطة، أخذوه إلى المخفر، نفى خبره، اعترف، أعطاهم المئة دولار، ودفع خمسة آلاف، لئلا تُحال قضيته للنياحة العامة.

أرأيتم؛ نفس القصة، بائعين قماش، دولار ومئة دولار، والسائحة إيرانية، نفس القصة؛ الأول: صار صاحب محل تجاري، وتزوج، واشترى أول بيت، والثاني، اشترى سيارة أمريكية، والثاني: ضرب، ودفع المئة دولار، ودفع بظهرهم خمسة آلاف، حتى لا تُرفع القضية للنياحة العامة.

أرأيتم إلى عدالة الله، الأمانة غنى.

قال تعالى:

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾

[سورة الجن الآية:16]

هذه أول آية:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾

[سورة الأعراف الآية:96]

آمن، واتقى، واستقام:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية:66]

الأمانة غنى، صلة الرحم، ماذا أيضاً؟ إتقان العمل.

الآن: بيت يُصلَّى فيه:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾

[سورة طه الآية:132]

الاستغفار.

6- استمطروا الرزق بالصدقة :

استمطروا الرزق بالصدقة.

وأنت في أشد حالات الضيق تصدق, من أجل أن تكون صدقتك سبباً لرزق وفير, استمطروا الرزق بالصدقة.

يعني: إذا أخ كريم, له أعمال صالحة, له صدقات, يبرر الناس, وكان في ضائقة مادية, وكان في أسواق باردة, وكان عليه دفع كثير, لا يلغي الأعمال الصالحة, الأعمال الصالحة: هي التي تجلب الرزق؛ عودت الناس عليك, عودت بعض الفقراء: أن يطرقوا بابك, عودت أناساً: يستجدوا فيك, عودت أناساً: تعطيهم معونات على الأعياد, في رمضان, عودت بعض أقربائك: تؤمن ألبسة لأولادهم, تؤمن أدوات مدرسية, عودت بعض الأقرباء: تملئ مستودعات الوقود على أول البرد, عودتهم, فلا تغير عوائدك, هذه الصدقات: هي التي تزيد في الرزق؛ الصدقة, الإيتقان, الاستغفار, صلة الرحم, إقامة القرآن والسنة, الإيمان والتقوى, الاستقامة على أمر الله.

المعاصي تقطع الأرزاق :

الحديث هذا:

((إن الرجل يُحرم الرزق بالذنب يُصيبه))

[أخرجه ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

باع بيعة فشلت, صار في ذنب, بعت بيعة, أعادوها لك شحناً, عمل فكرة, فشلت, راسلت شركة, أخذوها منك.

((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))

[أخرجه ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

مثل ما الأعمال الصالحة؛ الاستقامة, والتوبة, والاستغفار, وصلة الرحم, والإيتقان, وأداء الصلوات في البيت: تجلب الأرزاق, المعاصي: تقطع الأرزاق.

في حديث آخر:

((بشر الزاني بالفقر, ولو بعد حين))

مهما كنت غنياً

قصة :

والله -أيها الأخوة- شخص -أعرفه معرفة كما أعرف أولادي, في قرابة- عمل بالتجارة, أخذ محلاً بمركز المدينة, أخذ محلاً بالحمرة ألبسة ولادية, اشترى سيارة, صار مستورداً كبيراً, كل شهر سفرة لأوروبا, أسهمه سعدت, وخطه البياني سعد, فلما ذلت قدمه؛ والله محل المركز سلمه, محل الحمرة سلمه, باع سيارته, في بضاعة له صودرت, باع بيعة إلى ليبيا, لم يأخذ قرشاً منها, وجد المشتري محتالاً؛ إلى أن جلس يبيع على الطريق أدوات منزلية, إلى أن طلب المساعدة ليأكل ويشرب, لأنه ذلت قدمه.

((بشر الزاني بالفقر, ولو بعد حين))

الواحد -يا أخواننا الكرام- قبل أن يخطيء, يعد للمليون, قبل أن يخطيء يراقب نفسه؛ ماذا سيقول الله عز وجل؟ بماذا يجب ربه؟ لماذا فعلت كذا؟.

البر يزيد في العمر :

((إن الرجل يُحرم الرزق بالذنوب يصيبه, ولا يرد القدر إلا الدعاء, ولا يزيد في العمر إلا البر))

[أخرجه ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

البر يزيد في العمر؛ فالإنسان يحضر درس علم حتى يتعلم, يعرف منهج الله عز وجل, يعرف قوانين الله عز وجل, يعني يكاد المؤمن, هو لا يعلم الغيب إلا الله؛ لكن المؤمن يعرف قوانين الله عز وجل, فالإنسان الذي يؤدي زكاة ماله, ماله محفوظ.

ومن أدى زكاة ماله، أذهب الله عنه شر ماله:

أنا حدثني أخ، قال لي: أخذنا معمل بلبنان بالحازمية، يعني صور لي الموضوع كهذا المسجد: بناء مستطيل، معمل لأناس في دمشق، ومعمل له، رجل صالح جداً، هذا الرجل من عادته: يدفع زكاة ماله، هذا الفرض؛ يدفع زكاة بيوته كلها، وأولاده، زكاة أثاث البيوت، سجاد، ثريات، زكاة السيارات، كل شيء يملكه؛ منقول وغير منقول، ثابت ومتحرك، سائل وجامد، هل يوجد غير هذا؟ منقول وغير منقول، ثابت ومتحرك، سائل جامد، يدفع زكاته. قال لي: أخذنا معمل بالحازمية، معمل كالونات ستائر، أحداث لبنان تعرفونها، عشر سنوات حرب أهلية، لما الحرب انتهت، قال لي: ذهبت إلى المعمل، -أقسم بالله وهو عندي صادق، ورجل عمره ثمانون سنة الآن، التقيت فيه قبل شهر- قال لي: معمل جارنا غير حيطان لا يوجد؛ لا في آلات، ولا في مفتاح كهرباء، ولا في مغسلة، فتحنا معملنا، قال لي: والله الخطوط، الماكينات، قال لي: اشتهدت أن أجد شيئاً مفقوداً. عشر سنوات حروب أهلية بالحازمية، معملان إلى جانب بعضهم. أنت حينما تؤدي زكاة مالك، تحفظ مالك، أو تحفظ بقية مالك.

((ومن أدى زكاة ماله، أذهب الله عنه شر ماله))

صار المال كله خير.

فالإنسان: يجب أن يعرف

اعلم حقيقتك أيها الإنسان :

أنا قلت قبل يومين: الإنسان له وجود حيواني، وله وجود إنساني؛ أكل والحيوان يأكل، شرب والحيوان يشرب، تتنفس والحيوان يتنفس، نام والحيوان ينام، طيب تزوج والحيوان يتزوج، أنجب والحيوان ينجب، عمل وفي حمير يعملون أيضاً؛ طيب: أكل، شرب، تنفس، نام، اشتغل، أنجب، عمل، استمتع، كله حيواني؛ طلب العلم إنسان، عرف الله إنسان، بحث عن منهج الله إنسان، اتصل بالله إنسان، خدم الخلق إنسان، رحم الخلق إنسان، لك وجود إنساني، وجود حيواني.

هذا الكلام: معقول؟ معقول.

ما وراء هذه الآيات :

الله عز وجل قال:

﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾

[سورة المدثر الآية:50]

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾

[سورة المدثر الآية:51]

هذه آية. قال:

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾

[سورة الأعراف الآية:176]

جيد. قال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة الآية:5]

لكن حتى الحمار، والكلب، والأنعام: إن رأيت حفرة تحيد عنها، في شيء بالإدراك، في أشخاص أقل من الحيوان، والدليل:

﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾

[سورة المنافقون الآية:4]

هذا قرآن:

﴿كَانَهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾

[سورة المنافقون الآية:4]

﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:44]

﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة الآية:5]

﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾

[سورة الأعراف الآية:176]

يعني: الإنسان إذا اكتفى نشاطه؛ عمل، متع، طعام، شراب، نوم، إذا اكتفى بهذا النشاط، هذا النشاط حيواني، طبعاً على أرقى.

الآن: الدابة أعطاها فرشاة روث، تصبح كونفورت بالنسبة لها، ضع لها كيس شعير، بوفيه مفتوح، هكذا.....

يعني: كل مخلوق له ترتيب، فالإنسان يدخل لفندق خمس نجوم، ما دام أكل، وشرب، ونوم، مستوى حيواني؛ لكن على مستوى راق، على خمس نجوم، وفي بعد ذلك: نجوم ظهر، بعد ذلك يجدهم.

العمل الصالح لا يزيد أمد العمر، يزيد حصيلته :

فيا أيها الأخوة، الذي أقوله لكم.....

((إن الرجل -هذا حديث اليوم- ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه؛ ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا

البر))

[أخرجه ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

العمل الصالح لا يزيد أمد العمر، يزيد حصيلته.

الآن: أنت عندك معمل تجاري, في دوام من العاشرة إلى الثانية, من الرابعة إلى السابعة, مثلاً هذا الدوام, وفي درج الغلة, أي الأهم؟ درج الغلة, لو أنك فتحت ساعة, وبعث بمليون, والثاني فتح ثماني ساعات, باع بمئة ليرة, أيهما أعدل؟ أيهما أربح؟ المهم: درج الغلة, لا وقت الدوام.

فالإمام النووي -رحمه الله تعالى- عاش أقل من خمسين سنة, ترك رياض الصالحين, -يمكن لا يوجد كتاب, أكثر منه بركة في العالم الإسلامي؛ رياض الصالحين- ترك الأذكار, شرح صحيح مسلم, ترك بغية المحتاج - معقول! كتاب فقه من أوسع كتب الفقه- وشرح حديث من أرقى الأحاديث؛ شرح صحيح مسلم, وترك الأذكار, ورياض الصالحين, وعاش أقل من خمسين سنة, وشخص تجده يعيش مئة وثلاثين سنة, عمر تافه؛ شدة, وطويلة طول الليل.

فالعمر: قيمته لا بأمدته؛ ولكن بمضمونه, فالبر يزيد في العمر, البر يعني: العمل الصالح.

محور موضوع الرزق :

((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه؛ ولا يرد القدر إلا الدعاء , ولا يزيد في العمر إلا البر))

[أخرجه ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

أيها الأخوة, أرجو الله سبحانه وتعالى: أن نكون قد أفدنا من هذا الحديث.

أنا أردت أن يكون الحديث, محور موضوع الرزق, كيف يزيد, وكيف ينقص؛ ينقص بالزنا, والمعصية, ويزيد بالاستقامة, والإيمان, والتقوى, والصلاة, والإتقان, والاستغفار, وصلة الرحم, وأداء الصلوات, والأمانة, فالذي يحب أن يزيد رزقه, الباب مفتوح.

سؤال ورد: المؤمن ألا يمتحن بقلة الرزق؟.

بلى، الامتحان ليس دائماً طارئاً، الامتحان طارئ ... سألنا أخ: المؤمن ألا يُمتحن بقلة الرزق؟.

نعم يمتحن، إلا بحياة ليله ثلاثة أطوار؛ طور تأديبي لا يستقيم، وطور امتحاني حتى يثبت، بعد ذلك في إكرام، فحياة المؤمن تستقر على الإكرام؛ لكن يسبق الإكرام، امتحان وتأديب، الامتحان، والتأديب، والإكرام، ثلاث مراحل، تتداخل أو تتمايز.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-68} : تمهيد عن رمضان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 30-12-1997

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل يوجد فرق بين العبادات وبين الطقوس في الأديان الوضعية؟ :

أيها الأخوة الكرام، هناك فرق جوهري بين العبادات وبين الطقوس في الأديان الوضعية، هناك حركات، وتمتعات يمارسها المتعبدون في معابدهم، لا معنى لها، هذا شأن الطقوس، فما شأن العبادات؟. العبادات -كما قال الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى- : معللة بمصالح الخلق. فالجاهل: إذا جاء رمضان يصوم؛ ولكن صياماً



لا ينبغي أن يتحول رمضان إلى فلكلور

تقليدياً، صياماً اجتماعياً.

فالصيام عند بعض الناس: عادات، وتقاليد، توارثها الأبناء عن الأجداد.

فذلك: تجد في رمضان الشيء العجيب؛ أكثر المعاصي، والآثام، والسهرات المفتوحة، والسهرات في الفنادق، تُقام في رمضان، أكثر الولائم، واللقاءات، والاختلاطات، والسهر على الشاشات في رمضان، هذا رمضان عند الناس، صار جزءاً من فلكلور المجتمع؛ تقاليد، تراث شعبي، أما العبادة: شيء آخر، العبادة: لا علاقة لها بهذا إطلاقاً.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

لعل: تفيد الترقب, والله سبحانه وتعالى في هذه الآية: بين علة الصيام:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

العلة الذكر:

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[سورة العلق الآية:19]

العلة القرب:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

تنهى عن الفحشاء والمنكر: تزداد بها قرباً, تستخدمها لذكر الله عز وجل؛ فالعبادة معللة, مبينة.



أيها الأخوة، من شأن القوي -أيها الأخوة، القوي غير المربي- يُصدر أمراً بلا تعليل، ما على هذا الإنسان إلا الطاعة، ليس من شأنك: أن تسأل لماذا؟ نفذ؛ لكن خالقنا العظيم، وربنا الكريم، هو إله، ونحن عبده، ومع ذلك: حينما أمرنا، أعطانا العلة، فالصلاة:

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[سورة العلق الآية:19]

معنى الصلاة؛ قرب:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

((ليس للمرء من صلاته، إلا ما عقل منها))

((لو يعلم المصلي من يصلي، ما انفتل))

حديث رسول الله.

((الصلاة: معراج المؤمن))

((الصلاة طهور، تُطهر القلب من كل أدراجه))

غل، حقد، حسد، استعلاء، غطرسة، غيبة، نيمية، تُطهر، طهور.

((الصلاة نور))

المصلي له رؤية، والإنسان عمله تابع لرؤيته، وأوضح مثل:

الذي يرتكب جريمة، ماذا رأى؟ رأى أن في هذه الجريمة مغنماً كبيراً؛ ما رأى أنه سيُشْنَق، ما رأى أنه سيلقى القبض عليه، رأى أنه سيأخذ هذه الثروة الطائلة، ويتمتع بها طوال حياته، ومعالم الجريمة تختفي، إذًا: هو أعمى. يعني: أخطر شيء بالحياة العمل؛ والعمل أساسه الرؤية، والرؤية أساسه نور، والصلاة نور، فالمصلي قلما يرتكب حماقة، لأنه يرى بنور الله.

انظر إلى فضل الله علينا :

فالله عز وجل قال:

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[سورة العلق الآية:19]

قال:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

قال:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

النبي - عليه الصلاة والسلام - قال:

((ليس للمرء من صلاته، إلا ما عقل منها))

وقال:

((الصلاة معراج المؤمن))

((ولو يعلم المصلي من ينجي, ما انفتل))

وقال:

((الصلاة طهور))

وقال:

((الصلاة نور))

((والصلاة طهور))

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

انظر, معللة, هذه عبادات معللة, وهذا من فضل الله علينا, عبادات معللة.

هذه هي العبادات في الدين الإسلامي :

الصيام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:183]

الزكاة:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

الحج:

﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾

[سورة المائدة الآية:97]

فكل العبادات الشعائرية من فضل الله عز وجل، معللة بمصالح الخلق، إذًا: هي عبادات، هذا في الدين السماوي، هذا في دين الإسلام.

هذا شأن الأديان الأخرى :

أيها الأخوة، لكن ما شأن الأديان الأخرى؟.

يعني: أنتم قد لا تصدقون، هؤلاء الذين تفوقوا في الصناعة، والتكنولوجيا في اليابان، ماذا يعبدون؟ قد لا تصدقون.

أحد أخوتنا الكرام، أقام هناك أمدًا طويلًا، واستطاع أن يدخل معابدهم، ماذا يعبدون؟ ذكر الرجل، طيب: ماذا يعبد بعض الهنود؟ الجرذان.

وعندي مجلة فرنسية، فيها تحقيق مصور عن عبادة الجرذان؛ معابد ضخمة، ومحاريب، وأقواس، وأبهاء، وقصور، وهذه الأماكن تمتلئ بالجرذان، إنهم يعبدونها من دون الله، وماذا يعبدون في شمال التيفيد؟ يعبدون النار، وماذا يعبدون في البرازيل؟ موج البحر. فنحن كرمنا الله، وشرفنا: بأن نعبد



خالق السموات والأرض:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: 21]

نعبد الذي خلقنا.

يعني: أكبر زعيم بالهند، اسمه غاندي، مشهور جداً، له مقالة: يُفضل فيها البقرة على أمه. إنهم هناك يعبدون البقر من دون الله، بقرة تُعبد، تقطع الطريق ساعات مديدة، إذا وقفت في عرض الطريق، يأخذون روثها وبولها، يتعطرون به في الأعياد، إذا دخلت البقرة إلى محل، إلى بقالية فخمة جداً، وأكلت ما تشتهي، من أعلى أنواع الفاكهة، عند صاحب البقالة: عيد عظيم، لأن الإله دخل إلى عنده، وأكل من بقاليته، هكذا.

هذا رمضان الناس اليوم إلا من رحم ربك :

الله عز وجل: شرفنا بطاعته، وشرفنا بعبادته، وشرفنا بالقرب منه، فعبادتنا معللة، نحن ما عندنا طقوس، أما أهل الدنيا، البعيدون عن الدين، الشاردون، مثلهم النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((بالناقة، ربطها أهلها، ثم أطلقوها، لا تدري الناقة؛ لا لما عُقلت، ولا لما أُطلقت))

لماذا يصوم؟ لا يعلم، أما هذه جزء من تراثنا الشعبي، جزء من أعرافنا وتقاليدنا؛ لذلك هذه الحفلة الراقصة الساهرة، إكراماً لشهر رمضان المبارك، وهذا النادي يحتاج إلى بعض الخمر، من أجل حاجة الموسم في رمضان، وهذا وهذا، صار الوضع بعيداً عن العبادة، نحن مؤمنون والحمد لله، نحن مسلمون.

إليك هذه الفرصة الذهبية :

أيها الأخوة، هذا الصيام فرصة ذهبية، للصلح مع الله.

صعد النبي المنبر، فقال:

((رغم أنف عبد, أدرك رمضان))

((صعد النبي المنبر, فقال: آمين, ثم صعد الدرجة الثانية, فقال: آمين, ثم صعد الثالثة, فقال: آمين, سأله أصحابه -رضوان الله عليهم-: علام أمنت يا رسول الله؟ قال: جاءني جبريل, فقال: رغم أنف عبد, أدرك رمضان, فلم يغفر له))

هذا شهر العبادة, شهر التوبة, شهر الصلح مع الله, شهر الصلاة في المسجد, شهر القيام, شهر صلاة الفجر في المسجد, شهر ضبط الجوارح, ضبط العين:

((من ملأ عينيه من الحرام, ملأهما الله من جمر جهنم))

ضبط اللسان:

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه, ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

شهر ضبط الأذن:

((من استمع إلى قينة, صُبَّ في أذنيه الآنق يوم القيامة, قيل: وما الآنق؟ قال: الرصاص المُذاب))

ضبط اليد من أن تبتطش, ضبط الرجل من أن تسير إلى محرم, ضبط البيت من أن تكون فيه معصية لا ترضي الله, ضبط العمل من كسب غير مشروع, شهر الصلح مع الله, شهر التوبة, فرصة.

هكذا رمضان :

أكثركم يعملون في التجارة, إذا عليك دين كبير جداً, بالملايين, ولا تملك منه شيئاً, وصاحب الدين يضغط عليك بالهواتف, وعن طريق الموظفين, وساعة تهديد, وساعة ثم جاءك من يقول لك: أنا ضامن أن يسامحك بهذا الدين الكبير, ويصبح الحساب بينكما صفرًا, وتفتح بينكما صفحة جديدة, هكذا رمضان, الإنسان إذا صام إيماناً واحتساباً, غفر الله ذنوبه.

يعني: أنت الماضي كله ألغيتَه؛ بتقصيراته، بتجاوزاته، بمعاصيه، الماضي كله يُلغى بثانية واحدة؛ حينما تصوم رمضان إيماناً واحتساباً، يغفر الله لك، وحينما تقوم رمضان إيماناً واحتساباً، يغفر الله لك، وثلاثون يوماً دورة مكثفة.

ما الذي ينبغي أن نفعله في رمضان؟ :

فنحن طبعاً العادة، لنا درس في الحديث، نتابع هذا في دروس قادمة إن شاء الله، أما هذا الدرس مقدمة.

أنت حينما تضبط جوارحك

طبعاً: هناك صيام البهائم، صيام عن الطعام والشراب، ويغدو رمضان عند الناس شهر اجتماعي؛ الحفلات، واللقاءات، والولائم، والزيارات، والسهرات، وكل المرغبات في رمضان، وكل البرنامج الفنية الجميلة في رمضان، هذا صار شهراً اجتماعياً، شهراً فنياً.

نحن مسلمون، نريده شهراً عبادياً، شهر عبادة، إذًا: يحتاج إلى التزام كامل، إلى ضبط الحواس والجوارح، واللسان، طبعاً: صيام الفم عن الطعام والشراب، صيام لا يُقدم ولا يؤخر، لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

من هو الشقي؟ :

أيها الأخوة، من هو الشقي؟ هو الذي يؤدي عبادات بلا فهم.

يعني: أنت تصور إنساناً في الأرض؛ مدير شركة، مدير مؤسسة، يكلف موظفاً، يركب سيارة إلى حلب، قال له: ماذا أفعل هناك؟ قال له: حينما تصل، ارجع، لماذا؟ هكذا، هذا إنسان في خلل بعقله، أمر بلا معنى، لا يوجد عند إنسان، فكيف عند الواحد الديان؟ عند إنسان ليس له معنى.

فالله عز وجل: يأمرنا أن ندع الطعام والشراب، لماذا؟ والنساء لماذا؟ لعلة كبيرة جداً.

حينما أمرك أن تدع الطعام والشراب، وهي أشياء مباحة، تمهيداً كي تدع كل ما حرمه عليك، إن كنت قادراً على ترك المباحات، فلأن تكون قادراً على ترك المحسنات، من باب أولى؛ لذلك رمضان: صلح مع الله:

((إذا رجع عبد إلى الله، نادى مناد في السموات والأرض: أن هئتوا فلاناً، فقد اصطح مع الله))

رمضان عودة إلى الله، رمضان توبة:

((إن الله عز وجل، أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوارد، والظمان الوارد))

ما الغاية من طرح هذا المثال؟ :

والله سبحانه وتعالى، يعني ألهم النبي -عليه الصلاة والسلام-: أن يضع هذا المثل بين أيدينا. إنسان يركب ناقه، عليها طعامه وشرابه، يقطع بها الصحراء والمغارة، جلس ليستريح، أدركته سنة من النوم، أفاق، فلم ير الناقة، أيقن بالهلاك المحتم، فصار يندب حظه ويبكي، ويلطم وجهه، إلى أن تعب من شدة البكاء، فأخذته سنة من النوم، فأفاق، فرأى الناقة أمامه، اختل توازنه، قال من شدة الفرح: يا رب، أنا ربك وأنت عبدي.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا الله أفرح بتوبة عبده المؤمن، من هذا البدوي بناقته))

من أجل أن تعرفوا ما معنى التوبة؟.



التوبة أول ما ينبغي فعله في رمضان

أيها الأخوة، فإن شاء الله تتعقد التوبة، وهذا أول يوم من أيام رمضان؛ اعقد توبة مع الله، واصطلح معه، واضبط بيتك وعملك، هما المنطقتان اللتان أنت مكلف بهما، وما سوى ذلك: حشر أنف، ليس لك علاقة، الله عز وجل ملكك البيت، أنت رب الأسرة، وملكك العمل، ينبغي أن تقيم الإسلام في بيتك وعملك، فإن فعلت هذا، إن فعلت ما أنت به مكلف، أعفاك الله، مما لست مكلفاً به. الآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد الآية:11]

إذا النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر الله له ذنوبه))

وفي حديث آخر صحيح:

((ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له))

فقيام رمضان مهم.

أنا الذي أتمناه على أخوتنا الكرام: أن يبرمجوا حياتهم وفق رمضان, لا أن يبرمج رمضان وفق شؤونهم؛ يعني يوم أكلنا في محل بعيد, يوم انتقلنا ألغينا التراويح, يوم مدعوون ألغينا التراويح, هذه التراويح: أساسية في رمضان, ينبغي أن تقف بين يدي الله عز وجل, لتستمع إلى القرآن يُتلى عليك من قبل الإمام, وأنت واقف في المسجد تصلي, وهذا أعلى مستوى في قراءة القرآن؛ أن تقرأه, أو أن تستمع إليه في



قيام الليل في رمضان فرصة

مسجد في أثناء الصلاة, وهذا رمضان فرصة, بعد ذلك:

من منا يستطيع: يضمن أن يعيش لرمضان الثاني؟ ولا واحد, أبداً, وأتحدى أن يضمن شخص منا, أن يقول: أنا سأعيش إلى رمضان القادم. فالإنسان الموت يأتي بغتة, والقبر صندوق العمل. فهذا رمضان فرصة؛ تعمل صلحاً مع الله, تسوي حساباتك كلها, أن ترجع من ذنوبك, كيوم ولدتك أمك, لكن يحتاج إلى إرادة قوية, إلى ضبط, فالاستقامة أساس الصيام, أما هذا الصيام؛ الصيام الاجتماعي, صيام التراث والفلكلور, هذا الصيام: نحن بعيديون عنه, إن شاء الله تعالى. نحن رمضان؛ شهر عبادة, وشهر إنابة, وشهر قرب, وشهر تقوى, وشهر مغفرة, وشهر عتق من النار, فكلما ازدادنا يقيناً بمغفرة الله عز وجل, ازدادنا سعياً حثيثاً لطاعته. أرجو الله سبحانه وتعالى: أن يجعل صيامنا مقبولاً, وأن يجعلنا من عتقاء رمضان. نحن دروسنا في رمضان, في هذا المسجد المبارك: أحد, ثلاثاء, خميس, ربيع ساعة الدرس, يعني وجبة خفيفة, ثلاثة أيام, إلى أيام العيد, إن شاء الله.

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-69} : المصيبة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حديث يملأ قلب المؤمن سعادة وطمأنينة :

روى البيهقي عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال:

((إن الصالحين يُشَدَّدُ عليهم, وإنه لا يصيب المؤمن, نكبةً من شوكة فما فوق ذلك؛ إلا خُطت به عنه خطيئة, ورُفعت له بها درجة))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

هذا الحديث -أيها الأخوة-: يملأ قلب المؤمن سعادة وطمأنينة, هذا الحديث يجبر كسره, لأن الله عز وجل في سياق الحديث عن المؤمنين قال:

﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:156]

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:157]

لذلك: إن الصالحين يشدد عليهم.

ما مفصل هذا المثال؟ :

لو أن طالباً في الجامعة، يدرس في أرقى كلية، وينتظره مستقبل كبير جداً، وكان هناك مواد كثيرة، وأساتذة متشددون، وفحوص متوالية، وأطروحات، وحضور دروس، ومخابر، وتقارير علمية، وتكليف بأعمال كثيرة، هذا الطالب الجامعي،

المنهك، المتعب، التقى بإنسان في سنه، لم يدخل المدرسة إطلاقاً؛ ينام إلى الظهر، يمضي وقته في لعب النرد، يسهر مع أصدقائه المنحرفين، فجرت مناقشة بين هذين، فلما شكا الأول صعوبة الحياة، والدراسة، والسهر، والكتب، والأساتذة، والفحوص، والأعمال المرهقة، والدوام، قال له الثاني: أنا لا يوجد عندي ولا مشكلة، أنا مرتاح؛ أنا أستيقظ متى شئت، أنام متى شئت، أذهب إلى أي مكان شئت، أجلس مع من شئت. ماذا نقول لهذا الإنسان الثاني؟.

نقول له: أنت خارج قوس، أنت خارج الجامعة كلها، أنت إنسان متلبس بالجهل، ليس لك علاقة، توازن نفسك مع إنسان آخر.

لذلك: المؤمن يشدد عليه، لأنه فيه خير، أما الإنسان: لما لا يكون فيه خير:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

[سورة الأنعام الآية:44]

متى تشعر أن الله يحبك؟ :

متى تشعر أن الله يحبك؟ لما يعالجك، يتابعك؛ أخطأت خطأ حاسبك عليه، تكلمت كلمة حاسبك عليها، نظرت نظرة حاسبك عليها، تجاوزت حدك حاسبك عليها؛ معنى أنت فيك خير، معنى أنت مرجو منك الفوز، معنى ذلك: أن الله سبحانه وتعالى وضعك في العناية المشددة، فهل تحزن إذا كنت في العناية المشددة؟ إن أردت أن تصدق ذلك، اقرأ قوله تعالى:

﴿قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:44]

لذلك هذا الحديث: يقودنا إلى موضوع المصيبة.

أنواع المصائب :

نحن عندنا خط فاصل؛ بين الكفار والعصاة، وبين المؤمنين الطائعين؛ فالمصائب التي تصيب العصاة أو الكفار: مصائب ردع، ومصائب قضم، أما المصائب التي تصيب المؤمنين: مصائب دفع ورفع، أما مصائب الأنبياء: مصائب كشف.

صار الكفار والعصاة ردع أو قضم، المؤمنين دفع أو رفع، الأنبياء كشف، يعني في أنفسهم كمال، لا يمكن أن يظهر إلا بمصيبة؛ يعني قلبهم كبير، قلبهم رحيم، هدفهم نبيل.

يمشي على قدميه ثمانين كيلو متراً من مكة إلى الطائف، ليلقى أناساً غلاظاً، شداداً، جهلة، متعطرسين؛ يشتمونه، يسخرون منه، يكذبونه، ثم يدفعون صبيانهم إلى ضربه، فيأتيه ملك الجبال، يقول له:

((يا محمد، أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لسخطت عليهم الجبلين؛ -مكناه الله من أن ينتقم منهم، مكناه من أن يسحقهم، مكناه من ألا يبقى منهم أحداً، وهم يستحقون ذلك، فكان جوابه-: اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون، لعل الله يُخرج من أصلابهم من يوحدك يا رب))

فلولا هذه الشدة العالية، وهذه المشقة الكبيرة، وهذا السفر الطويل، وهذه المحنة القاسية، ثم مكناه من أن ينتقم منهم، ثم عفا عنهم، هذه مصيبة؛ لكنها مصيبة كشف.

يعني: معك سيارة -مثلاً-: مئة وخمسون حصان محركها، نحن على العشرين حالنا ميسرة، على الخمس عشرة ميسرة، السيارة على العشرة تسير، المئة والعشرون حصان، لا تبدو قوتها في طريق سهل، ولا في طريق نازل، تبدو قوتها في الصعود هكذا والركاب عدد تام، وأغراض كبيرة جداً، تسير على المئة وثمانين، فهذا الطريق الصعب جداً، هو الذي يكشف عظمة هذه السيارة، الفكرة واضحة؟.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أشد الناس بلاء الأنبياء , وأنا أشدهم بلاء , ثم الأمثل فالأمثل))

هذه مصيبة الدفع للمؤمن :

الإنسان مستقيم, على العين والرأس؛ لكن حركته إلى الله بطيئة, عبادته فاترة, أعماله الصالحة قليلة, مشغول بالمباحات, ليس بالمعاصي, أنا أتحدث عن مؤمنين؛ يعني يصلي, ويصوم, ويحج, ويذكي, ويغض بصره, ولا يكذب, ولا يغش, ولا يحتال أبداً, مستقيم, لكن مشغول؛ يزين بيته, يعمل فيلة, يعمل مسجاً, كله حلال, يغير سيارته, يعتني ببيته, يؤدي الصلوات الخمس, هذا حركته إلى الله بطيئة, عبادته فاترة, أعماله الصالحة قليلة, لأن الله يحبه كثيراً, يدفعه إليه, تأتيه مشكلات, لمن يلجأ؟ إلى الله وحده.

كان -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا حزبه أمر, بادر إلى الصلاة))

فهذا المؤمن, عندما يلوح له شبح مصيبة: يسارع إلى الصلاة, إلى الدعاء, إلى الالتجاء إلى الله, إلى قراءة القرآن, إلى حضور مجلس علم؛ رفع مستوى عبادته, رفع مستوى أذكاره, رفع مستوى استقامته, دفع صدقته, لينجو من عذاب الله, أو لينجو من مشكلة, فالله قريبه, معنى ذلك: الله جعل هذه المصيبة تقريباً له.

أحاديث ترفع همة المؤمن لطاعة الله :

السيدة فاطمة أصابتها حمى, سألتها أبوها -رسول الله-:

((مالك يا بني؟ قالت: حمى لعنها الله, قال: لا تلغنيها, فو الذي نفس محمد بيده, لا تدع المؤمن وعليه من

ذنب))

((مصائب المؤمن مكفرات))

اطمئنوا -أيها الأخوة-:

((مصائب المؤمن مكفرات))

((ما من عثرة, ولا اختلاج عرق, ولا خدش عود, إلا بما قدمت أيديكم, وما يعفو الله أكثر))

لذلك: المؤمن إذا جاءته مصيبة, يشكر الله عليه.

((إذا أحب الله عبده ابتلاه؛ فإن صبر اجتباه, وإن شكر اقتناه))

هذه مصيبة الدفع.

هذه مصيبة الرفع للمؤمن :

أيها الأخوة, أما الرفع:

يعني: إنسان عنده سيارة نقل, كل طن خمسة آلاف, حمل طوناً واحداً, تسع خمسة طن, تحمله خمسة أضعاف هذه الحمولة, نعطيه خمسة أضعاف الأجر.

فأحياناً: الله عز وجل يسوق لإنسان مصيبة؛ يصبر, ويرجو الله, ويشكر, ولا يتأفف, ضاعف الله له الأجر, فالمؤمن: مصائبه بين أن يدفعه إليه, وبين أن يرفع أجره, عنده مصائب دفع ورفع:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

أخواننا الكرام, فلسفة المصيبة جزء من عقيدة المسلم, تقع مصيبة

أنا أذكر: طبيب كريم، مقيم بمستشفى، قال: جاءنا مريض، معه سرطان بالأمعاء، قال: ما مر عليه مريض، بهذا الصلاح والتقوى؛ وجه منير، ما سمعه يصيح أبداً، مع أن آلام الورم الخبيث بالأمعاء لا تحتمل، -عافانا الله وإياكم.

أنا أدعو وأقول: نعوذ بالله من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء.-.

فكان هذا المريض، كلما دخل عليه إنسان، يقول له: أشهد أنني راض عن الله، يا ربي لك الحمد، قال: غرفته منورة، كلما أفرع الجرس، تدافع الأطباء للدخول عليه، وخدمته، يعني أربعة، خمسة أيام، المستشفى تحركت حركة رائعة، إنسان معه مرض خبيث بأمعائه؛ ذاكر الله عز وجل، شاكر الله، عمل عظيم جداً.

-الرضا بمكروه القضاء، أرفع درجات اليقين.

أن ترضى عن الله.

قال له: يا ربي، هل أنت راض عني؟ يطوف حول الكعبة، يمشي وراءه الإمام الشافعي، قال له: يا هذا، هل أنت راض عن الله، حتى يرضى عنك؟ قال: يا سبحان الله! ما هذا الكلام؟ قال له: من أنت أولاً؟ قال له: أنا محمد بن إدريس -يعني الشافعي-، قال له: كيف أرضى عنه، وأنا أتمنى رضاه؟ -ما هذا الكلام-؟ فقال الإمام الشافعي: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله.

الآن: إذا إنسان ببجوحة، وصحة، وأولاد، وزوجة، وبيت، يقول لك: الله مفضل، طبعاً مفضل، عمل سياحة، رجع، قال لك: إذا أحب عبده، أرجعها لملكه، وهذه آية لما حديث؟ يعمل سياحة، ويدعي: أن الله يحبه، لأنه سمح له: أن يعمل جولة بأمريكا، أو أوروبا!.

المشكلة: أن ترضى عن الله في مكروه القضاء.

قال له: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله.

فالمصيبة مصيبة.-.

فهذا المريض راض عن الله، مرض خبيث، الموت

أنا التقيت بطبيب، أصيب بمرض في كبده، مرض لكن مميت، وحسب معلومات الأطباء، بقي له أيام، والله ما رأيت إنساناً، أكثر رضى عن الله منه، وهو في هذا المرض العضال في كبده، وبعد أيام توفي.

من غرائب الصدف :

طبيب من غرائب الصدف: أن هذه المستشفى، جاءها مريض آخر، للغرفة نفسها، مصاب بالمرض نفسه، ورم بالأحشاء، لم يترك نبياً إلا وسبه، رائحة الإنتان تفوح منه إلى أمتار، يقرع الجرس، فلا يستجيب له أحد؛ يسب الدين، يسب الإله، وبعد ثلاثة أيام مات.

يقول الأطباء: ما رأينا، مسافة كبيرة جداً؛ المصيبة واحدة، المرض واحد، الموت محقق، إنسان تلقاه بصبر، وإنسان تلقاه بكفر.

من الوقائع :

سمعت عن إنسان، يعني له أعمال طيبة جداً، باني مساجد، ما دخل لعنده لجنة تبرعات، له موقف غريب: افتح الصندوق، وخذ ما تشاء، ولا تعلمني كم أخذت، هذا الإنسان انتهى أجله عند الله عز وجل، صار معه مرض بالدم، ذهب إلى الاتحاد السوفييتي قديماً، رجع، لا يوجد أمل، جالس في البيت، فُرع جرس الهاتف، رفع السماعه، آخر تحليل من طبيب: ما في أمل، وموته بعد أيام، -روى لي قصته صديقه-، عرف حاله ميتاً، أعماله طيبة جداً، لأنه

خبر أحد أصدقائه الخالص، قال له: أنا فيلمي انتهى، -بالتعبير هذا-؛ صفقة لم أدفع ثمنها، ألغها، وهذه الصفقة مدفوع ثمنها، أنت خلصها وبعها، وادفع رأس مالها، وأرباحها لأولادي، أول يوم حل مشاكله المالية بشكل مكثف، لم يترك قضية عالقة؛ شيء ألغاه، شيء وكل فيه إنساناً، حدد المصاريف، حدد الإنفاق، حدد ثاني يوم: طلب أولاده، استقبلهم ولداً ولداً، بنتاً بنتاً، ودعهم ووصاهم ببعضهم، له شيخ في الشام، -الآن خارج سوريا، رده الله-، هذا الشيخ زاره الساعة الواحدة، عمل له تهليلة، هكذا، مجلس أنس، هو ماذا فعل؟.

تغسل بيده قبل ساعتين، عمل حمام، لكن درجة أولى، وجلس إلى التخت، وجاء الشيخ، عمل له ورداً، والساعة

الواحدة سلمها.

القصة واقعية، الذين رووها أعرفهم، وهم صادقون عندي، ما السر؟ أن هذا استقبال الموت برضى، لأن له عملاً طيباً.

نموذج متعاكس :

أيها الأخوة، يقابله إنساناً، نفس المرض، سرطان بالدم، عمره ثمان وثلاثون سنة، أول الأمر: لا يعرف ما معه، أهله أخفوا عنه، هو فاسق، فاسق جداً؛ من ملهى لمهى، وكل صديقاته مغنيات، فذهب لعنده ابن عمه، -ابن عمه في قرابة بيني وبينه-، فابن عمه أحب أن يقبله، لا يعلم، قال له: لا تتزع طعمة فمي، الآن كانت عندي فلانة، إلى هذه الدرجة مستواه، فلما علم أنه معه مرض خبيث، تأتته حالات هستيرية، كل ساعة يبحث، يقول: لا أريد أن أموت، فلما جاء ملك الموت: صرخ صرخة، يقسم بالله جيران البيت؛ أنه ما من طابق إلا سمع هذه الصرخة، وهذا رد الموت عن ثمان وثلاثين سنة، أمضاها في المعصية والآثام.

أضع بين أيديكم نماذج متعاكسة

الموت عرس المؤمن :

سيدنا بلال: على فراش الموت، قالت له ابنته: واكربتاه يا أبت! قال: لا كرب على أبتك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

فالبطولة: أن يكون لك عمل صالح، تشتهي معه الموت.

((إن عبداً خيره الله بين زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عنده))

سيدنا الصديق بكى حتى مات من البكاء، عرف أن النبي ينعي نفسه.

قال:

((إن عبداً خيره الله بين زهرة الدنيا وبين ما عنده, فاختر ما عنده))

هذه بطولتنا؛ تتعرف إلى الله, تطبق منهجه, تطلب العلم, تستقيم, تربي أولادك, تخدم أخوانك, حتى إذا جاء ملك الموت, يكون ضيفاً.

من هنا ورد عن رسول الله, أن:

((الموت تحفة المؤمن))

وفي رواية أخرى:

((الموت عرس المؤمن))

جواب لسؤال :

وسئل بعض العارفين: كيف القدوم على الله؟ قال: أما العبد المؤمن, فكالغائب رُدَّ إلى أهله.

-الغائب ابنه ثماني سنوات بأمريكا, ورجع, هل يتركون طبخة لا يفعلونها له؟ غرفة خاصة, غطاء جديد, عطورات, قادم-, وأما العبد الكافر: فكالعبد الأبق رُدَّ إلى مولاه.

شخص هارب من المحكمة الجنائية, ولقطوه, يأكل حوالي ألف ضربة, يصل للسيارة.

المؤمن: كالغائب رد إلى أهله, والعبد الكافر: كالعبد الأبق رد إلى مولاه.

ما تبقى من شرح لهذا الحديث :

فالحديث:

((إن الصالحين يُشَدَّدُ عليهم, وإنه لا يصيب المؤمن, نكبة من شوكة فما فوق ذلك.

-يعني في مسمار, لست منتبهاً, صار في علام, فقط علام أحمر, هذه فما فوقها: هذه في حساب دقيق, وتكفيراً لذنب المؤمن.

قال:- (إِلا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ, وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

فنحن إن شاء الله نكون مؤمنين, المصائب تكفير, حتى الهم والحزن, يعني:

من قصر بالعمل, ابتلاه الله بالهم.

حتى الهم مصيبة, أحياناً: ينهم الإنسان, يلوح له شبح مصيبة.

فنحن بين مصائب القصم؛ القصم والردع للكفار, والدفع والرفع للمؤمنين, والكشف للأنبياء.

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. صلى الله على سيدنا محمد النبي

الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {70-119} : أحاديث نبوية - أحب الخلق إلى الله

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الدين مبني على الحب :

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه الإمام أحمد:

((إن أحب عباد الله إلى الله, أنصحهم لعباده))

قبل أن نشرح الحديث

الدين كله: مبني على الحب؛ أن تحب الله, وأن يحبك الله, وقد قال الله عز وجل:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة الآية:54]

فأساس الدين المحبوبة, ولو ألغيت الحب في الدين, ألغيت المحبوبة, لغدا الدين طقوساً لا معنى لها, وثقافات كغيرها من الثقافات, ولغدا الدين أعرافاً وتقاليد, أما الذي يجعل فيه الحياة, هو الحب.

فلذلك: حينما تُلغي الحب من الدين, كما تُلغي الكهرباء من كل الأجهزة الكهربائية؛ البراد ما قيمته من دون كهرباء؟ المكيف, المدفأة, المروحة, المسجلة, الفرن, كل هذه الأجهزة: تغدو عبئاً على الإنسان, وحاجات لا معنى لها, من دون قوة محركها؛ فالحب في العبادات, والحب في المعاملات, والحب في الدين, كالكهرباء في الآلة الكهربائية, فإذا انقطعت الكهرباء, أصبحت الآلة حاجة لا معنى لها, أصبحت عبئاً على صاحبها, مشكلة الحب.

أتريد أن تعرف أن الله يحبك؟ أعطاك هذه المقاييس :

قال: يا رب أي عبدك أحب إليك, حتى أحبه بحبك؟.

يعني: الإنسان حريص أن يعرف؛ ما إذا كان الله يحبه, أو لا يحبه. الله عز وجل أعطانا مقاييس, قال:

إن الله يحب الصادقين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 222]

إن الله يحب المتطهرين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة المائدة الآية: 13]

إن الله لا يحب الفاسقين:

﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 32]

لو قرأت القرآن, قراءة تدبر, وقراءة تعقل, واستتبقت الآيات التي تبدأ: إن الله لا يحب, واستتبقت الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: إن الله يحب, وجعلتها في جدول؛ فعلاقتك مع الله, وطريق محبتك له, وطريق محبته لك بين يديك, فالذي يحرص على أن يحبه الله, ينبغي أن يفعل ما يحب.

الله عز وجل قال:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة الآية:54]

يعني: إذا أحبك الخلق جميعاً، ولم يحبك الله، ما قيمة محبتهم لك؟ لا شيء، وإذا أحبك الله، تستغني بهذا الحب، عن حب الخلق جميعاً، بل إن الله إذا أحبك، ألقى حبك في قلوب الخلق، وإذا أبغضك الله عز وجل، ألقى البغض في قلوب الخلق؛ فإذا كان الله يحبك، لا تعول على أحد، وإن كان الله لا يحبك، لا تتفعلك محبة أحد.

لذلك المؤمن الصادق: إذا قرأ القرآن، ماذا يحب الله؟ يحب الصادقين، يحب التوابين، يحب الصابرين، يحب المتقين، يحب المتطهرين، لا يحب من كان خواناً أثيماً، لا يحب من كان مختالاً فخوراً، لا يحب والنبي -عليه الصلاة والسلام- له أحاديث كثيرة:

((إن الله لا يحب العبد الأشتر))

لا يحب الخوان.

أنا أرجو الله سبحانه وتعالى، أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة:

الله عز وجل محبته واضحة، ولها ثمن، ولها طريق، وبغضه له طريق، وله ثمن؛ فإن كنت حريصاً على حب الله لك، فكن كما يحب.

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن أحب العباد إلى الله، أنصحهم لعباده))

المؤمن نصوح، ينصح لمن؟.

قال عليه الصلاة والسلام، في الحديث الجامع، المانع، الصحيح:

((الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لمجرد أن تنصح العباد، فالله يحبك، تتصحبهم في دنياهم؛ لا تتبع بضاعة سيئة، لا تُدلس، لا توهم المشتري أن البضاعة جيدة، لا توهم المشتري أن البضاعة مستوردة من المكان الفلاني، وهي من جهة أخرى، لا توهم المشتري أن هذا اللون أجمل لون، انصح عباد الله، فإن اتقيت الله فيما بينك وبينه، لن يخيفك من مخلوق، لأنك تتقي الله عز وجل.

ما معنى النصح لله؟ :

أيها الأخوة، أما ما معنى النصح لله؟.

هناك فعل نصحه، ونصح له؛ نصحه واضحة؛ أي دله على الخير، دله على دفع الضرر، وجلب النفع، هذه النصيحة؛ كمن ينصح العسل: يُصفيه من الشمع، وكمن ينصح الثوب: يخيطه، فالنصح، الناصح من الشيء الخالص:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية:8]

الشيء الناصح: الخالص، ثوب ناصح مَخِيط، عسل ناصح مصفَى، فإذا نصحت العبد: أحبك الله عز وجل.

درسنا اليوم:

((أحبُّ عباد الله إلى الله، أنصحهم لعباده))

(الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، -الله: تتصح نفسك أن تؤمن به، وأن تنزهه، وأن تطيعه، وأن تحبه، وأن تقبل عليه، وأن تتوكل عليه، وأن تجعله، تجعل أعمالك خالصة له، هذا معنى النصح لله-.

ما معنى النصح لكتابه ورسوله؟ :

ولكتابه: -أن تؤمن أن هذا القرآن كلامه، وأنه كلامه القديم، وأن هذا الكلام فيه خير مطلق:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فصلت الآية:42]

وفي تطبيقه سعادة المجتمع-.

ولرسوله: -أن تؤمن برسالته، وألا تكذبه، وأن تتبع سنته، وألا تعصي أمره-.

ما معنى النصح لأئمة المسلمين وعامتهم؟ :

ولأئمة المسلمين وعامتهم))

أي: أن تعاونهم على الحق، أن تدلهم على الخير، وأن تعينهم عليه، وألا تُسهم في خلق فتنة عمياء، تأكل الأخضر واليابس.

وأما النصح للمسلمين: أن تدلهم على الله.

وهذه النصيحة، دائماً: تشمل نصيحة نفسك، ثم نصيحة الآخرين، فإن أردت أن تكون ...

يعني أحياناً: تأتيك آله، لا تحتاج إلى تصليح، صاحبها متوهم: أنه لا بد من تصليحها، فأنت كمؤمن، تتصحه ألا يصلحها، وأن تبقى على حالتها، أفضل من تصليحها، أنت عارضت مصلحتك، لأنك -أنت- فوت عليك الريح، لكنك تعرضت إلى الله عز وجل.

ذكرت البارحة قصة

شاب من أخواننا، يعمل محامياً، وبأول حياته بالسلك، فإنسان سأله سؤالاً عن قضية، قال له: هذه شملها قانون العفو؛ لا تحتاج لا إلى دعوى، ولا إلى محام، ولا إلى وكالة، لمجرد أن تقدم استدعاء إلى المحكمة، تُشطب الدعوى، وتنتهي بلا حكم، لأن القضية شُملت بقانون العفو.

سأل محامياً آخر، قال له: لا، هذه فيها سجن، هذه قضية معقدة، إذا لم توكل محامياً، وقدمت مذكرات متتالية، فيها سجن، فألقى في قلبه الخوف، دفع له عشرين ألف ليرة، ولم يكتف بهذا، بل اتهم زميله الذي استشاره أولاً، بأنه لا يفهم، فجاء هذا الشاب لعندي، متألم أشد الألم، قال لي: أنا نصحتك، قضيتك منتهية، شملها قانون العفو؛ ومع ذلك: اتُهمت أنني لا أفهم، قلت له: هذا -والله- وسام شرف لك عند الله يوم القيامة، فالمؤمن ينصح.

كل إنسان ينصحك بخلاف الواقع لا يوجد فيه دين، وكل إنسان ينصحك بالواقع فيه دين :

مرة لي صديق، أحب أن يعمل مصلحة حلويات، فقلت له: اسأل البائعين، واسأل المصانع، سألهم على الصفين، لا يوجد إنسان نصحه بالمهنة، قال له: احذر، هدم بيت، فاقورة هذه المهنة، احذر؛ تموين، أسعار، كساد، برك مسكين، والله -أيها الأخوة- جاء وحدثني، قلت له: اذهب إلى فلان، -أعرف رجلاً مؤمناً بالبنورية-، واسأله عن هذا الموضوع، فكان الجواب: مصلحة جيدة جداً، وأرباحها جيدة، وتصنيعها سهل، ولا يوجد فيها كساد، وأنا أساعدك على الصناعة لوجه الله، هذا المؤمن.

هو بهذا الكلام الطيب خسر؟ لا لم يخسر، لكن الدين نصيحة؛ كل إنسان ينصحك بخلاف الواقع، هذا لا يوجد فيه دين، وكل إنسان ينصحك بالواقع، فيه دين.

((الدين النصيحة))

فقضية الدين

الناس يظنون الدين في الجوامع, لا والله؛ الدين بالأسواق, الدين بالمحلات التجارية, الدين بالمعامل, الدين بالبيوت, الدين بالحفلات, الدين بالأعراس, الدين بكل مجال, أما المجال من أجل أن تتلقى تعليمات الدين, الجامع من أجل أن تتلقى التعليمات؛ وتنفيذها في الطريق, وتنفيذها في البيت, وتنفيذها في الدكان, وتنفيذها في المعمل, وتنفيذها في مكتب المحاماة, وتنفيذها في عيادة الطبيب, وتنفيذها في الوظيفة, فأنت هنا تتلقى التعليمات, والتركيز هناك.

الناس يتوهمون: أنه إذا دخل إلى المسجد وصلى, هذا هو الدين, أما شأنه خارج الجامع حر؛ يتكلم كما يريد, يأخذ ما يريد, يرفض ما يريد, يكذب كما يريد, هذا الذي ضيع المسلمين, هذا الذي جعل ألفاً ومئتي مليون, لا وزن لهم في العالم, ليست كلمتهم هي العليا, لأنهم فصلوا الحياة عن الدين.

هكذا كان الدين في حياة الصحابة :

الصحابة الكرام: كانت حياتهم دينهم, ودينهم حياتهم, ودينهم في بيوتهم, وفي أعمالهم, وفي تجارتهم.

أحد الصحابة, -يعني الآن: أذكر اسمه- قال: عاهدت رسول الله على السمع, والطاعة, والنصح لكل مسلم.

أرسل خادماً, ليشتري له فرساً, فجاء بفرس مع صاحبه, قال له: هذه باعها بثلاثمئة درهم, نظر إلى الفرس, قال له: بعته بثلاثمئة؟ قال له: نعم, قال له: هي أعلى من ذلك, أتبيعها بأربعمئة؟ قال له: طبعاً, أبيعك بأربعمئة, قال له: هي أعلى من ذلك, أتبيعها بخمسمئة؟ قال له: بعته, قال له: هي أعلى من ذلك, وما زال يرفع السعر, حتى وصلت إلى ثمانمئة, من حوله عاتبوه أشد العتاب, قال له: هو باعك إياها بثلاثمئة درهم, فلماذا دفعت له الثمانمئة؟! قال: لأنني عاهدت رسول الله على النصح لكل مسلم.

ولما الإنسان ينصح المسلمين؛ في طعامهم, في شربهم, في علاقاتهم في معاملاتهم, الله عز وجل يكافئه في الدنيا والآخرة.

هكذا ينبغي أن تفهم الدين :

فأنا أريد ألا نتوهم: أن قضية الصلاة, والصيام, هذه الشعائر التعبدية, هذه ليست هي الدين, هي جزء من الدين, وأساسية في الدين؛ لكنها ليست الدين كله, أهم شيء في الدين: العبادات التعاملية؛ إن صحت, صحت العبادات الشعائرية. لذلك:

((إن أحب عباد الله إلى الله, أنصحهم لعباده))

الإنسان: ينبغي أن ينصح أهله, وأن ينصح أولاده, وأن ينصح جيرانه.

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك :

أنا -والله- أعرف مؤمنين كثيرين, لو فاته ربح كبير, ينصح الآخرين, هذه المركبة: لا تحتاج إلى تبديل محرك, مع أن التبديل يكسبه ثلاثون ألفاً أحياناً, هذه الحاجة: لا تحتاج إلى تصليح, دائماً مع صاحب الحاجة, دائماً مع المصلحة.

لذلك: عندنا قاعدة: عامل الناس, كما تحب أن يعاملوك.

بماذا يكرم الله زوار المساجد؟ :

((إن بيوت الله في الأرض المساجد, وإن حقاً على الله: أن يُكرم الزائر))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

الملاحظ: لا يوجد ضيافة في الجامع, فما هو الإكرام؟ الإكرام العلم, والعلم حارس.

الناس ثلاثة؛ عالم رباني, ومستمتع على سبيل نجاة, وهمج رعا, أتباع كل ناعق.

فأول إكرام في المسجد: العلم, ثاني إكرام: الطمأنينة:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد الآية:28]

ثالث إكرام: تيسير الأعمال.

هم في مساجدهم، والله في حوائجهم.

كم إكرام يوجد؟ العلم، والطمأنينة، والتيسير، هذه دفعات على الحساب، هذا من إكرام الله لك، حينما تكون في بيته؛ العلم وهو أعلى كرامة للإنسان، ثم الطمأنينة، وهو شيء ثمين:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:81]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:82]

والثالث:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾

[سورة الليل الآية:5]

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:6]

﴿فَسُنِّيْهِرُهُ لِيَلْجُرِ﴾

[سورة الليل الآية:7]

إذا:

((إن بيوت الله في الأرض المساجد, وإن حقاً على الله: أن يُكرم الزائر))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أتريد أن تسترضي ربك؟ عليك بالصدقة :

آخر حديث:

((إن صدقة السر, تطفئ غضب الرب))

يعني: إذا الإنسان أخطأ, أو قصر, أو تجاوز حده, وندم أشد الندم, وخاف من عقاب الله عز وجل, إن دفع صدقة, يُطفئ بهذه الصدقة غضب الله عز وجل.

وفي حديث آخر:

((باكروا بالصدقة, فإن البلاء لا يتخطاها))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

((صدقة السر, تطفئ غضب الرب))

وإن الصدقة, لتقع في يد الله, قبل أن تقع في يد الفقير.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

[سورة هود الآية:114]

فكل إنسان وقع في خطأ, وقع في معصية, وقع في تقصير, وقع في تجاوز, وقع في مخالفة, وأراد أن يرمم هذه العلاقة مع الله, أن يرممها, أن يجعلها خالصة لله, قال تعالى:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

[سورة هود الآية:114]

فليباكر بالصدقة، وأنت بالصدقة تسترضي الله، الأقوياء لا يُسترضون، واللؤماء لا يُسترضون.

اللئيم لا يسترضى؛ لكن الله يسترضى!!! :

قال سيدنا علي: والله، والله، مرتين، لحفر بئر بإبرتين -هذا الشيء مستحيل- وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين -وهذا الشيء مستحيل- ونقل بحرين زاخرين بمنخلين، -هذا الشيء مستحيل- وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، أهون علي من طلب حاجة من لئيم، لوفاء ديني.

فاللئيم لا يُسترضى، والقوي لا يُسترضى، لكن الله يُسترضى، شيء جميل جداً: الله يُسترضى؛ إذا وقعت في معصية، وقعت في تقصير، وقعت في كلمة غير صحيحة، نظرة غير صحيحة، استغفر الله، وادفع الصدقة، هذه الصدقة: تقع في يد الله، قبل أن تقع في يد الفقير.

و:

((باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطاها))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

و:

((صدقة السر، تطفىء غضب الرب، وإن صلة الرحم، تزيد في العمر، وإن صنائع المعروف، تقي مصارع السوء، وإن قول لا إله إلا الله، تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء، أدناها هم))

هذا الحديث الشريف: يجب أن تحفظوه، لأنه في قوام العلاقة مع الله عز وجل.

درسنا اليوم هذه الأحاديث :

فدرسنا اليوم: حديثين, أو ثلاثة:

((إن أحب عباد الله إلى الله, أنصحهم لعباده))

و:

((إن بيوت الله في الأرض المساجد, وإن حقاً على الله: أن يُكرم الزائر))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

والثالث:

((إن صدقة السر, تطفىء غضب الرب, وإن صلة الرحم, تزيد في العمر, وإن صنائع المعروف, تقي مصارع
السوء, وإن قول لا إله إلا الله, تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء, أدناها الهم))

دعاء الختام :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-71} : حديث شريف - إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ لَا يُقْبَلُ لَهَا بِالْأَلْفِ

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 06-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هل تصدق أن كلامك من عملك؟ :

عن رسول الله ﷺ - أنه قال:

((إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ - مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - لَا يُقْبَلُ لَهَا بِالْأَلْفِ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ - مِنْ سَخَطِ اللَّهِ - لَا يُقْبَلُ لَهَا بِالْأَلْفِ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه، ومالك في الموطأ]

هل تصدقون: أن كلامكم من أعمالكم؟.

العوام يتوهمون: أن العمل شيء، والكلام شيء آخر، يقول لك: كلام بكلام، صار كلاماً صافراً.

هذا هو الخطأ الفاحش، هذا هو الجهل بعينه، لن تستقيم على أمر، إلا إذا عددت كلامك من عملك، إلا إذا عددت كلامك جزءاً من عملك؛ فقد تقول كلمة لا تلقي لها بالاً، من رضوان الله تعالى ترتفع بها عند الله إلى أعلى الدرجات، وقد تتكلم بالكلمة -من سخط الله تعالى- لا تلقي لها بالاً، تهوي بها في جهنم إلى أسفل سافلين.

إليك هذا المثال على أن الكلام جزء من العمل :

أضرب لكم بعض الأمثلة:

السيدة عائشة أم المؤمنين، ذكرت عن أختها صفية -ضرتها-، قالت:

((قصيرة - فقط، ما قالت فوق ذلك - فقال عليه الصلاة والسلام: يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

هذا كلام النبي - عليه الصلاة والسلام - لا ينطق عن الهوى.

إلى أن تعتقد -أيها الأخ الكريم-: أن كلامك جزء من عملك، عندئذ ترقى عند الله.

ما الذي يمنعك إذا جلست مع أسرتك، مع أصدقائك، مع جيرانك، أن تذكر الله عز وجل؟

أيها الأخوة، هؤلاء الذين يجلسون في السهرات، في المجالس، في الندوات، على الولائم، وينهشون أعراض الناس، ويطعنون بزيد، ويتهمون عبيد؛ بلا بينة، بلا دليل، يوزعون التهم على الناس، هؤلاء يقومون -كما قال عليه الصلاة والسلام- من مجلسهم عن أنتن من جيفة حمار.

ما الذي يمنع المؤمن؛ إذا جلس مع أسرته، مع أخوانه، مع أصدقائه، مع جيرانه، مع زملائه، جلس مع من يسافر معه؛ في وليمة، في عقد قران: أن يذكر الله عز وجل.

((ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل؛ إلا غشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكروهم الله فيمن عنده))

((لا يستقيم إيمان عبد، حتى يستقيم قلبه.

-قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:88]

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء الآية:89]

((ولا يستقيم قلبه، حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

هكذا روي عن الشيخ بدر الدين :

يروى الأخوة الكرام، الذين عاصروا الشيخ بدر الدين -رحمه الله-: في كل حياته، ما كان أحد يجرو أن يقول أمامه كلمة غيبة، يقول له: اسكت يا با، أظلم قلبي.
لو أننا التزمنا ألا نغتَاب أحداً، ألا نطعن بأحد، ألا نذم أحداً، ألا ننم بين الناس، هذه مهلكات.

ما قاله الغزالي عن آفات اللسان :

الإمام الغزالي، عد في إحياء علوم الدين، أربعة عشر مرضاً من أمراض اللسان، سماها آفات، آفات اللسان؛ فالغيبة من آفات اللسان.
رجل قال له: بلغني أنك اغتبتني، فقال له: ومن أنت حتى أغتابك؟ لو كنت مغتاباً أحداً، لا اغتبت أمي وأبي، لأنهما أولى بحسناتي منك. فهمتم؟.

لأن الذي تغتابه، سيأخذ كل حسناتك يوم القيامة.

كلام النبي من أصح الأحاديث، لا ينطق عن الهوى.

العبادات الشعائرية لا تعفي صاحبها من مخالفات اللسان ومن آفات اللسان

الحديث الفيصل في هذا الموضوع:

النبي -عليه الصلاة والسلام- سأل سؤال العارف، قال:

((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ الَّذِي لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ، قَالَ: لَا، الْمُفْلِسُ مَنْ أَتَى بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ - وَنَحْنُ فِي الصِّيَامِ - وَصَدَقَةٍ، يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَسَبَّ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، طَرَحُوا عَلَيْهِ سَيِّئَاتِهِمْ، حَتَّى يُطْرَحَ فِي النَّارِ))

((النار))

إذاً: الصوم, والصلاة, والحج, العبادات الشعائرية, هذه لا تُعفي صاحبها من مخالفات اللسان, ومن آفات اللسان.
لذلك -أيها الأخوة-: عودوا أنفسكم ضبط اللسان, والمؤمن يخزن لسانه, يخزن

انتبه إلى كلامك لأنه محسوب عليك :

((إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة -مِنْ رضوان الله- لا يُلقِي لها بالاً، يرفعه الله بها في الجنة, وإن العبد ليتكلم بالكلمة -من سَخَط الله- لا يُلقِي لها بالاً، يهوي بها في جهنم))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه, ومالك في الموطأ]

فكلامك جزء من عملك, قبل أن تتطق, فكر: هذه الكلمة؛ هل فيها استهزاء بأحد؟ هل فيها استعلاء؟ هل فيها سخرية؟ هل فيها غمز؟ هل فيها لمز؟ هل فيها طعن؟ هل فيها استخفاف؟ هل فيها كبر؟.

آلاف الكلمات التي من سخط الله تعالى.

يعني: شخص -هكذا- وضعه المادي جيد جداً, قال: المال يحل كل شيء, الدراهم مراهم.

قال لي: والله جلست في المنفردة, تسعة وستين يوماً, وأنا بريء, لأنني عند الله مذنب, لهذه الكلمة التي قلتها: المال يحل كل شيء.

لا يحل كل شيء إلا فضل الله عز وجل.

من اعتمد على ماله ضل.

أغنى أغنياء العالم يموت جوعاً, لهذه الكلمة قصة أصغ السمع لها :

يروون: أن أحد أكبر أغنياء العالم يهودي روتشيلد, يعني عنده كان مستودعات سبائك الذهب, بيت بكامله, كان يقرض الدولة البريطانية.

قال: مرة دخل لمستودع السبائك الذهبية, والباب أغلق خطأ, وبيت محصن, مدعم, فصاح, وصاح, وضرب, وخبط, إلى أن أوشك على الموت, فجرح أصبعه, وكتب على الجدار: أغنى أغنياء العالم, يموت جوعاً.

مات جوعاً، أغنى أغنياء العالم، كان يقرض الدولة البريطانية، مات في صندوقه الحديدي، صندوقه غرفة.
هو من عادته أن يسافر كثيراً، ينتقل كثيراً، ظن أهله أنه مسافر، انتقل لبلد آخر. فشأت حكمة الله أن

هذه قصة باخرة تيتانيك :

فالكلمة باخرة اسمها تيتانيك، أضخم باخرة صنعت في العصور الوسطى، في عام ألف وتسعمئة واثني عشر هذه صنعت.

-يعني أنا قرأت عنها مقالة مطولة، وقبل سنة بحثوا عنها وجدوها، اسمها التيتانيك-.

هذه الباخرة، يعني أفخر باخرة صنعت على الإطلاق في حينها، كل جدرانها مزدوجة، بحيث لو صار في خرق، هناك إغلاق عرضية، وكأن الخرق لم يكن.

هذه الباخرة، أول باخرة تسافر إلى أمريكا، من دون قوارب نجاة، السبب:

قال: لأن القدر لا يستطيع إغراق هذه الباخرة، في نشرة، الباخرة تعليمات: إن العدو لا يستطيع إغراق هذه الباخرة.

في أول رحلة لها من لندن إلى بوستن، ركب فيها أثرياء أوروبا، يعني نخبة، صفوة الصفوة، الحلي التي على نساء الراكبين، قال: المبلغ فلكي، الحلي فقط، أن الذي معه ألف مليون، معه زوجته، طبعاً معها خاتم ألماس بثلاثة ملايين؛ فيها معها حلي عالية جداً، فيها مسابح، فيها مطاعم، فيها حدائق، فيها نوادي ليلية، أجمل التريات، أجمل الخشب، أجمل الفرش، يعني كل ما في الحضارة في هذه الباخرة.

في أول رحلة لها من بريطانيا إلى بوستن، في عرض البحر، اصطدمت بجبل ثلجي فشطرها شطرين، أرسلت - يسمونها- إشارات إنذار، كل من حولها: ظن أن هذه الإشارات احتفالات، لأنهم يعلمون أن القدر لا يغرق هذه الباخرة، قبل سنة وجدوها في عرض المحيط.

أنا يوجد معي مصوراً، يعني مقالة مصورة عن هذه الباخرة، سبب إغراقها.

أحد القساوسة قال، قال: إن غرق هذه الباخرة، درس من السماء إلى الأرض.

قبل سنتين، ثلاثة، الأميركيان أرسلوا مركبة اسمها اسلنجر، المتحدي، يتحدون من؟ بعد سبعين ثانية: أصبحت كتلة من اللهب، عليها سبعة رواد وامرأة.

هزيمة داخلية وقعت في إسرائيل :

أعداؤنا -لعنهم الله- في ليلة القدر من العام الماضي، عندهم -تقريباً- مئة وخمسة وعشرون ضابطاً، نخبة الجيش الإسرائيلي، نخبة النخبة هؤلاء؛ الكومانندوس، تدريبات على القتال، على الصراع الياباني، على القبطي، يتقنون اللغة العربية، بلهجاتها المحلية، ركبوا طائرتين، ليأخذوا بعض المسلمين من المساجد ليلة القدر، الطائرتان سقطتا، والصندوق الأسود.

آخر كلمة قالها الطيار الأعلى، قال: أنا أسقط، ولا أعلم لم أسقط!؟.

وقع فوق أخيه الطائرة الثانية، والاثنتان وقعتا فوق مستعمرة.

قال: منذ أن أنشئت إسرائيل، لم تبين بهزيمة داخلية كهذه الهزيمة.

يتحدون من؟ يذهبون ليأخذوا الناس من المساجد، وهم في ليلة القدر.

يعني: هذه من أفعال الله عز وجل هذه، وأفعاله مباشرة من دون تدخل، يعني هذه بالتعبير التجاري: مجيرة له وحده، لا تحتاج بطولات هنا، مجيرة له وحده.

فالإنسان -أحياناً- يتكلم كلمة، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً.

والحوادث كثيرة، إياك أن تقول كلمة فيها تحدٍ، كن أديباً مع الله.

يجب أن تعتقد هذا الأمر :

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة -من رضوان الله تعالى، أيضاً- لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات))

يعني: إذا شخص دخل إلى بيت أخته، أخته شكت له زوجها، يعني رضاها عنه؛ زوجك أخلاقه عالية، مثقف، دخله محدود، لكن الناس كلها في ضيق الآن، بعد ذلك: أنت هل تضمنيه أنه لك وحدك؟ أخلاقه عالية، دين،

وسوف تفرج إن شاء الله, فرضاها.

قال لي رجل: شكوت زوجتي إلى أخيها, قال له: طلقها.

هذه كلمة من سخط الله تعالى, ويوجد كلمة من رضوان الله تعالى

أحياناً: تطمئن أخاك, أحياناً تطيب له قلبه أحياناً, تريحه أحياناً ففي كلمات راقية جداً.

فيجب أن نعد كلامنا من عملنا, فحينما تعتقد, وتوقن: أن كلامك جزء من عملك تتجو, أما إذا كان يظن الكلام لوحده, أخي لم نعمل شيئاً, كلام بكلام, انظر, كلام بكلام, هو الكلام

حنين درس لنا :

كلمة قالتها:

((قصيرة, قال لها: يا عائشة, لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

كلمة.

حسناً: الصحابة في حنين ماذا قالوا؟.

كلمة قالوا؛ صحابة كرام, وفيهم النبي العظيم, وجاهدوا معه في بدر, وأحد, والخندق, وبذلوا أموالهم, ودماءهم في سبيل الله, وجاهدوا في الله حق جهاده, وهم نخبة المجتمعات البشرية, ومع كل هذه الميزات, قالوا كلمة.
قال: لن نغلب من قلة. نحن أكثر.

قال:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:25]

درس .

إذا الله عز وجل ما سامح الصحابة, وفيهم رسول الله, نحن من؟.

فكلمات غير منضبطة, كلمات فيها استعلاء, كلمات فيها تحد.

أحياناً يقول لك: فلان دخله قليل, لا يفهم شيئاً, أنت يعني أفهم منه؟! الله رزقك.

يا عائشة, أكرمي مجاورة نعم الله, فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود:

أنا لا أنسى كلمة, أحد أخواننا قدم بيتاً بحوالي عشرة ملايين لجمعية خيرية, فصار مشغلاً للفتيات الفقيرات في العفيف, والبيت غال جداً, قدمه هدية, وصار في احتفال لتقدير العمل الطيب, كل الخطباء أثنوا عليه, والله كلام طيب, إلا واحد ذكره, قال له:

كان من الممكن أن تكون أحد المنتفعين في جمعيتنا, تقف في طابور طويل, ومعك هديتك, وسأخذ بصمتك, مقابل ثلاثمئة ليرة مساعدة في الشهر؛ لكن الله أكرمك, وأغناك, وسمح لك: أن تقدم هذا البيت لوجه الله تعالى, فاشكر الله.

إذا الإنسان أعطى, الله قادر يجعله يأخذ.

هؤلاء الذين يقبون في الحاويات, أليسوا بشراً؟ من شدة الجوع.

امرأة تقف عند بائع دجاج, تريد كيليين رجلين دجاج, هل يوجد أحد منكم يأكله؟.

هذا يأكله بعض الناس من شدة الفقر.

فإذا الإنسان تكبر, وتكبر, الله يذله, إذا أكل لقمتين, قال له: يا رب, الحمد لله الذي أطعمتني فأشبعنتي, وأسقيتني فأروييتني.

هذه من نعم الله الكبرى.

إذا الإنسان في رمضان جلس، في مائدة أمامه، يعني مائدة عامرة، هذه ليس من السهل أن تكون، اشكر الله عز وجل.

((يا عائشة، أكرمي مجاورة نعم الله، فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود))

((إن النعمة إذا نفرت قلما تعود))

درسنا اليوم :

فدرسنا اليوم: الكلمة جزء من عملك.

إياك أن تقول كلمة فيها تفاوض، فيها تجبر، فيها استعلاء، فيها اعتداد، فيها احتقار، إياك؛ الله عز وجل يفكر ويغنيه، ويضعفك ويقويه، ويمرضك ويشفيه، إياك.

إن رأيت نعمة أسبغها الله عليك، فاشكر الله، وإن رأيت إنساناً مبتلى، فاشكر الله دون أن تسمعه.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-72} : حديث شريف - إن لله عبداً اختصهم بحوائج الناس

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 08-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

محور درسنا اليوم :

روى الطبراني عن ابن عمر -رضي الله عنهما-, أن رسول الله -ﷺ- قال:

((إن لله تعالى عبداً اختصهم بحوائج الناس, يفرع الناس إليهم في حوائجهم, أولئك هم الآمنون من عذاب الله))

وفي حديث آخر, في معنى قريب:

((إن لله تعالى أقواماً, اختصهم بالنعمة لمنافع العباد, يُقرّها فيهم ما بذلوا, فإذا منعوها نزعتها منهم فحولها إلى غيرهم))

إقبال وإدبار :

أولاً: إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه:

ممكّن أن تعرف, ما إذا كان الله يحبك أو لا يحبك؟ من كثرة الذين يطرقون بابك في حوائجهم؛ فإذا كنت مقصوداً, إذا أقبل الناس عليك, إذا توسموا فيك الخير, إذا عقدوا عليك آمالهم, إذا رجوا نوالك, فأنت ممن يحبك الله, أما إذا انصرف الناس عنك, وانفضوا عنك, ويئسوا منك, وأسقطوك من حساباتهم, وتركوك ولذاتك, فأنت ممن لا يحبهم الله عز وجل.

هناك إنسان يعيش للأخريين, وهناك إنسان يسخر الأخريين له, وشتان بين الاثنين؛ إنسان يعيش للأخريين, وإنسان

يسخر كل من حوله له.

كلمة :

الأنبياء أعطوا كل شيء, ولم يأخذوا شيئاً, أخذوا رضوان الله, والأقوياء أخذوا كل شيء, ولم يعطوا شيئاً, والناس بين هؤلاء وهؤلاء.

لي كلمة أقولها كثيراً: الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم, والأقوياء ملكوا الرقاب بقوتهم, وأنت إما أن تكون تابعاً لنبي, أو تابعاً لقوي؛ إن كنت تابعاً لقوي, تستخدم قوتك لتحقيق مصالحك, أما إن كنت تابعاً لنبي, تطبق الكمال الذي أمرك النبي به, كي تستميل القلوب إليك.

احفظ هذه القاعدة :

(إن لله تعالى عبداً, اختصهم بجوائح الناس).

يعني: سمعت عن شاب, أسس معملاً غذائياً حلويات, وعليه إقبال شديد, يكاد يكون معمله الأول, طيب: ما سر هذا الإقبال؟ ما سر هذه البضاعة الرائجة؟ ما سر هذه الأرباح الكبيرة؟.

له أب, وهذا الأب له محل تجاري, يبيع هذه الحلويات, كل شيء يقدمه لأبيه لهذا المحل, لا يحاسبه به, يقول له: بع هذه البضاعة وخذ ثمنها لك, لهم أخوة, يعطيهم عطاء بغير حساب, أقرباؤه, يصل رحمه إلى درجة: أنه ينفق أكثر من نصف دخله لمن حوله.

فمرة عوتب: أنت تنفق إنفاقاً غير معقول!!.

قال: لو أنني أمسكت عن هذا الإنفاق, لحوله إلى غيري, لا, ليبقى عندي هذا المال, وأنا سأنفق.

حينما تنطلق من أنك؛ إذا أعطيت أعطاك الله, وإذا أنفقت أنفق الله عليك, وإذا أنفقت على من حولك, جعل رزق الآخرين عندك, أما إذا بخلت, حول هذا إلى غيرك.

إن أعطيت يعطيك وإن منعت يمنع عنك :

أحيان في أمثلة، يعني تقرب الفكرة: أسرة دمشقية من الأسر العريقة، عندها بيت أثري كبير؛ داخلي، خارجي، وأرضي، ووسطاني، وعلوي، ففي هذا البيت ليمونة، يعني حمل غير معقول، أربعمئة، خمسمئة حبة كل موسم، كل أهل الحي يطرقون الباب، بالله ليمونة، صاحبة البيت: امرأة سالحة، تعطيهم الليمون، ما منعت الليمون عن أحد من أهل الحي، أبداً، امرأة سالحة، متقدمة في السن، توفيت، عندها في البيت زوجة ابنها، -يعني كنتها-، أول طارق، قالت له: لا يوجد عندنا ليمون، بعد حين يبست الليمونة.

مثل صارخ، واضح؛ إن أعطيت يعطيك، منعت يمنع عنك، عاوتت هناك من يعاونك، لا تعاون لا أحد يعاونك، ترحم هناك من يرحمك، لا ترحم لا أحد يرحمك.

هذه بضاعة الحمقى :

مرة قرأت ثلاث كلمات بمجلة أجنبية المختار، ثلاث كلمات المقالة، انتهت، بقي فراغاً، وضعوا حكمة، قال: إذا أردت أن تسعد، فأسعد الآخرين.

أخواننا الكرام؛ المال يُمل، والأكل يمل، والزوجة تمل، والسفر يمل، والفنادق تمل، والحفلات تمل، أما العمل الصالح لا يمل، الذين يخدمون الناس هم أسعد الناس، الذين يعطونهم هم أسعد الناس، هناك من يأخذ، يقول لك: دخله في اليوم مليونين، في هكذا أشخاص، مليون، مليونان، ماذا يأكل مساء؟ القليل من اللحم؛ الأكل محدود، جميع المتع محدودة، والدخل غير محدود.

أين ذاهب يا بني؟ قال له: ذاهب لأسكر على روح أبي.

ترك له مئة مليون، وابن فاسق، ذهب يسكر على روح أبيه.

فالحمقى يجمعون الأموال، ولا ينفقونها في سبيل الله، تأتي ذريتهم، فتتفقها على المعاصي والآثام، هم يعذبون في القبر على هذه الأموال التي خلفوها لهم، والتي تنفق في المعاصي والآثام، وأولادهم يتمتعون بها من دون حساب. لذلك: درهم تنفقه في حياتك، خير من مئة ألف درهم ينفق بعد مماتك.

لا تكن تحت رحمة أحد أنفق في حياتك :

تجربة متواضعة بسيطة، بحكم عملي في الدعوة: يعني أخوة كثيرون جعلوني ناضراً لوصية لهم؛ أول أخ، والثاني، والثالث، يمكن والرابع، كتبوا وصايا، شخص مئة ألف، عنده أربع بنايات، أوصى للفقراء مئة ألف، وأنا - فقط- شاهد، لم تنفذ الوصية، والله أربع وصايا لم تنفذ وصية منهن، والأربعة ماتوا، خلف إنسان أربع بنايات لأولادهم، لم تستطع أنفسهم أن ينفقوا على روح أبيهم مئة ألف ليرة، نحتاجها، عليهم بأنفسهم.

لذلك: لا تكن تحت رحمة أحد، لا تكن أنفق في حياتك.

قصة :

أنا ذكرت مرة قصة، -سمعتوها مني كثيراً-: الرجل المحسن، الذي اشترى أرضاً، الذي عمرها جاء، في أحد أحياء دمشق، الأرض ظهرت لشخص مستخدم، ورثها من فترة، لا يملك من الدنيا شيئاً إلا ثلاثة آلاف ليرة معاشه، مستخدم مدرسة، وعنده خمسة أولاد، فلما علم هذا المستخدم: أن هذه الأرض اشترت منه، لتكون جامعاً، أخذ الشيك ومزقه، قال له: أنا أولى أن أقدمها لله منك، وقدمها، هذا قصر له في الجنة.

أخواننا الكرام، موضوع الآخرة: لا يوجد إنسان يدخله في حساباته اليومية؛ الآخرة، في موت، وفي حساب.

فلذلك:

((إن الله تعالى عباداً اختصهم لحوائج الناس))

أعطاك علماً، أعطاك مالاً أنفق، أعطاك سلطة احكم بالعدل، يعني يكون لك عملاً، ما العمل الذي تلقى الله به؟.

((يا بشر، لا صدقة، ولا صيام، ولا جهاد، ففيم تلقى الله إنذا؟))

حينما تأتي الدار الآخرة، ما العمل الذي

أنا لا أنسى مرة، يعني رجل من أغنياء بلدنا، وأظن أنا فيما أعلم أنه صالح، لكن ليس له عملاً صالحاً، هو صالح فقط، هناك أعمال كبيرة تُسجل، لا يوجد، يعني عاش لذاته، توفي، خبرني ابنه، ذهبت إلى تشييع الجنازة، الجامع في المهاجرين، وقف أحد العلماء، ابنه، أنا ما سمعت في حياتي أقصر تأبين، في حياتي، قال: أخوكم أبو فلان، كان مؤذناً ترحموا عليه.

قلت: أنا لو كنت مكان العالم، ماذا أقول عنه؟ لا يحكى شيء ثان.

في إنسان ترك علماً، إنسان ترك مؤلفات، إنسان ترك جمعيات خيرية، إنسان ترك أولاداً صالحين، إنسان ترك

قلت: الإنسان يعمل عملاً، يحكى عنه أثناء الموت، عشر دقائق أقل شيء؛ إذا قلنا بيته فخم جداً، يحكى البيت في التأبين؟ عنده سيارتين، يحكى عنهما في التأبين؟ كل سفرة لأوروبا شهر تحتاج، كل سنة سفر لأوروبا بأفخر الفنادق، يحكى في التأبين هذا؟ حسناً، في بيته جبصين أيضاً، يحكى في التأبين؟.

كل شيء كان عنده، رجل ميسور، ومرتب أموره جداً؛ لكن أنا لو كنت مكان هذا العالم، هل بإمكانني أن أزيد عن هذا كلمة؟ أبداً.

أيها الأخوة، على موضوع أقصر كلمة، قال: أحد رؤساء الدول في أوروبا انتخب، يلقي كلمة طويلة جداً، قال: أنا أشكر من انتخبني، وأحترم من لم ينتخبني، وأنا لكل الإفرنسيين، وانتهت الكلمة.

أحياناً: الكلام خيره ما قل وما دل.

((إن الله تعالى عبداً....))

((إن الله تعالى عبداً اختصهم بحوائج الناس, يفرع الناس إليهم في حوائجهم, أولئك الآمنون من عذاب الله,
أولئك))

إذا كان طرق بابك كثيراً؛ صباحاً, ومساءً, وظهراً, وعصراً, وسائلاً, ومحتاج, وصاحب مشكلة, ووسيط, لا
تتضجر, لا تنزعج, معنى ذلك: أن الله يحبك, لأن الله إذا أحب عبداً, جعل حوائج الناس إليه.

إذا أحب أعطاك مالاً أنفق منه, أعطاك حكمة كن وسيطاً بين المتخاصمين, أعطاك علماً أنفق علماً,
أعطاك قوة ابذل قوتك.

يعني أحياناً: ذهابك إلى إنسان, بيده أمور معقدة, مع إنسان تحل مشكلته, مشكلة كبيرة جداً, لك مكانة عنده,
ابذل وقتك, وابذل مكانتك في شخص, لا يمكن أن يبذل ماء وجهه لإنسان, اسكت, ليس لي علاقة, لا أصغر
نفسى أمامه, أخوك يطلب منك, عاونه.

حديث خطير :

الثاني:

((إن الله تعالى أقواماً, اختصهم بالنعمة بمنافع العباد, يُقرها فيهم ما بذلوا -مدة بذلهم لها, يقرها فيهم- فإذا
منعوا نزعها منهم فحولها إلى غيرهم))

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:38]

كلمة قالها بعض العارفين بالله :

بعض العارفين بالله، لهم تعبير مضحك، يقول لك: يذهب الزاهد، يأتي العاشق.

أحياناً: شخص زاهد؛ يتأفف، يتبرم، يسوف، لا يوجد عنده وقت، حسناً، مع السلامة، يأتي إنسان؛ مندفع، مقبل، متحمس، متواضع، متأدب.

فإذا الإنسان، له عمل في الحياة، وقصر فيه، قد يُزاح جانباً، وقد يأتي بإنسان ولا يقصر، إذا إنسان عنده مال بخل به، يُزاح جانباً، ويؤتى بإنسان يبذل، يعني البذل قائم.

أوسع كلمة :

أوسع كلمة: هذا الدين دين الله؛ يعني أنت نصرته أو لم تتصره، منصور، لأنه دينه، بقيت المشكلة: هل يسمح الله لك أن تتصره أو لا يسمح؟ هل يعطيك الله شرف نصره أم لا يعطيك؟ هنا المشكلة، هل يسمح الله لك أن تتصره أو لا يسمح:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:38]

استنتج :

قال:

((مفاتيح الخير بيدي، ومفاتيح الشر بيدي، فطوبى لمن قدرت على يديه مفاتيح الخير، والويل لمن قدرت على يديه مفاتيح الشر))

إنسان كتلة أذى، إذا لم يؤذ لا يعرف أن ينام، يرتاح؛ لكن يخلق مشكلة.

قال: جالس حجي في الباخرة، -قصة قديمة، كان الحج في الباخرة- يرتدي المنشفتين وجالس، وجالس كم رجل حوله، تجار من الشام؛ والله أنا استوردت، أنا بعت، أنا اشتريت، أنا رحت، هذا موظف مالية، كله سجله عنده

في الباخرة، كله كتبه، عاد إلى الشام، حاسبهم واحداً واحداً، -يعطيه الله العافية على الحجة- حاسبهم واحداً واحداً في الباخرة -القصة وقعت- يرتدي منشفتين، ويسخر نفسه للحماقة، ويكتب؛ ماذا بعث؟ ألم تقل: أدخلت صفتين، لكن أيديت واحدة، اعترفت بواحدة، هات ثمن الثانية، هات حساب الثانية.

ممكن أنت بعبادة تؤذي الناس؟ ممكن؟.

ففي شخص دوره سلبي، دوره إيذائي، دوره أخذ دوره، إدخال الخوف، دوره تنغيص حياة الأسر، دوره وفي شخص إيجابي، دوره فقط الطمأنينة، فقط السلام، فقط المودة، فقط العلم.

فالإنسان: هنيئاً إن كان عمله إيجابي، والويل لمن كان عمله سلبي.

واحد يعني يعيش على أنقاض الناس، على إيذاء الناس، لم ينتبه لنفسه؛ أول ولد معنوه، الثاني معنوه، الثالث معنوه، الرابع معنوه، بعد ذلك تاب، تاب على الولد الرابع، على الرابع تاب، باني ماله على أنقاض الناس، شاعر بقوته: أنه يستطيع أن يحقق كل أهدافه، لأنه قوي.

فأخواننا الكرام، أنا لا يهمني نص الحديث، يهمني فحواه.

ما دورك في الحياة؛ إيجابي لما سلبي؟ :

أيها الأخ الكريم، أنت ما دورك في الحياة، سلبي لما إيجابي؟ أنت مصدر عطاء لما أخذ؟ مصدر تظمين لما تخويف؟.

يقول لك: أقول له: المبلغ كبير، حتى يخاف، يعطيني شيئاً خارجياً بعد ذلك، بعد ذلك يخفضونه له، يجوز، تقول له: كبير يموت من الرقم الكبير، لا يتحمل، وتحدث.

بلغوه الضريبة: رأساً مات، لم يتحمل.

ما دورك في الحياة؛ إيجابي لما سلبي؟ بث الأمن لما الخوف؟ أخذ المال لما إعطاء المال؟.

الويل لمن كان دوره سلبياً، وهنيئاً لمن كان دوره إيجابياً في الحياة.

فأنت لك عمل, وعملك سبب سعادتك, وعملك سبب الجنة.

فدقق, عد للمليون قبل أن تفعل شيئاً.

اثنان لا تقربهما؛ الإشراف بالله, والإضرار بالنفس.

الله إذا أعطى أدهش وإذا أخذ أدهش :

الحديث الثاني له تفصيل:

((يقرأها فيهم ما بذلواها, فإذا منعوها نزعها منهم, فحولها إلى غيرهم))

جاء خاطب لابنته, كأنه آكل ليمونة, ماذا يعمل؟ قال له: مهندس, لا يكفي معاشه, يجوعها, هو مليونير, عنده مشاريع في المنطقة الحرة, كلمة كبيرة حكاها, الله عز وجل بقدره قادر: مُنعت منطقة الحرة, صودرت أملاكه, عليه دفع, أعلن إفلاسه, جاء بعد سنتين -الأخ من أخواننا الوسيط- قال له: هذا الذي خطب ابنتي من سنتين, خطب؟ قال له: لا, قل له: البنت جاهزة, تزوجه إياها, نفس المليونير, النتيجة: أقنعوه, خطبها مرة ثانية, عمل عند صهره محاسب, الله سلبه كل ثروته, وجعله عند صهره محاسب حتى.

إذا الله أخذ أدهش, إذا أعطى أدهش, وإذا أخذ أدهش.

إنسان مئات الملايين, يصبح مكسوراً, عليه ديون.

في أمثال كثيرة, المؤمن كلما ازداد ماله, يتواضع أكثر, يتواضع, يتلملم.

قصة غني :

حكى لنا أحد العلماء, كان في بلد يعني إسلامي, بلغوه: شخص تبرع بثلاثمئة مليون دولار, معقول!! ثلاثمئة مليون دولار!!.

قال له: والله أرغب أن أعرفه, فعملوا دعوة صباحاً على طعام الإفطار, فجاء العالم جلس, ما كان يأتي المليونير, الذي دفع ثلاثمئة مليون دولار -ليس سورياً- قال لهم: أين الأخ؟.

جاء قبلك, جالس هناك, من كثرة تواضعه, جالس جلسة لم يعرفه أنه هذا هو! افنكر أنه سيأتي شخصاً مهماً
..... لا, لا.

كلما ازداد مالك, تواضع أكثر.

أجمل شيء بالبغي التواضع.

((التواضع حسن, لكن في الأغنياء أحسن, الورع حسن, في العلماء أحسن, العدل حسن, في الأمراء أحسن,
التوبة حسن, في الشباب أحسن, الحياء حسن, في النساء أحسن, الصبر حسن, في الفقراء أحسن, السخاء
حسن, في الأغنياء أحسن))

فهذا الحديث: الله عز وجل؛ أعطاك مالاً، أعطاك صحة، أعطاك علماً، أعطاك وجاهة، لك صلاة مع الناس، هذه
ابذلها بالحق، والآية الكريمة:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي
الْأَرْضِ﴾

[سورة القصص الآية:77]

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-73} : الأمراض النفسية

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ظاهرة في بلاد المسلمين تلفت النظر :

أيها الأخوة الكرام، ظاهرة في بلاد المسلمين تلفت النظر، هذه الظاهرة هي: قلة الأمراض النفسية في بلاد المسلمين، بينما تجد في بلاد الغرب، يعني نسبة المرضى النفسيين مئة وخمس وخمسون بالمئة. يعني أحياناً الإنسان: يعالج مرتين؛ من أزمة نفسية، من كآبة، المرض المتقشي في العالم الغربي: مرض الكآبة. لو أن إنساناً يريد جواباً علمياً، ما سبب انحسار الأمراض النفسية -طبعاً: في أما نسبتها قليلة جداً-، ما سبب انحسار الأمراض النفسية في بلاد المسلمين؟. الجواب: هو الإيمان بالله.

إليك دلالات هذا الحديث:

((إن لله ما أخذ وله ما أعطى))

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((إن لله ما أخذ، وله ما أعطى))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

هذا الحديث؛ الجامع المانع المختصر المفيد: الذي بحوزتك من عند الله، والذي فقدته بأمر الله.

بدوي في الصحراء, يقود قطيعاً من الإبل, سئل: لمن هذه؟ قال: لله في يدي.

ورينا عز وجل يقول:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾

[سورة آل عمران الآية:26]

﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾

[سورة آل عمران الآية:26]

يعني: كل شيء يُملِكُ مالكة الله؛ فالإنسان على التحقيق لا يملك شيئاً, إنما هو مال الله.

أساساً أعرابي, يعني في غلظة أمسك النبي من ثوبه, وكان ثوبه يميني نجراني, وشده حتى أثر على صفحة عنقه الشريف, قال:

((يا محمد, أعطن مما عندك, فهو ليس مالك ولا مال أبيك, فتبسم عليه الصلاة والسلام -ولو فعلها مع غيره لطارت عنقه- قال: صدق, إنه مال الله))

يؤكد هذا قول الله عز وجل:

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾

[سورة الحديد الآية:7]

أنت مستخلف, يدك على المال التي بحوزتك, يد الأمانة, لا يد التملك, مستخلف.

ماذا نستنتج من هذه الواقعة التي حصلت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؟ :

فهذا الحديث الشريف:

((إن الله ما أخذ))

يعني: اللهم صل عليه, حينما توفي ابنه إبراهيم بكى, قال له أبو ذر -فيما أذكر-:

((أتبك يا رسول الله؟ قال: إن العين لتدمع, وإن القلب ليحزن, ولا نقول إلا ما يرضي الرب, وإنا عليك يا

إبراهيم لمحزون))

لأن الله أخذه.

منعطف هام :

رجل له ابن مريض من الصحابة الكرام, وكان مرضه شديداً, فجاء في إحدى الليالي, سأل زوجته عن ابنه: كيف حال ابننا؟ قالت: هو في أهدأ حال, فتوهم أنه شفي وارتاحت نفسه, وضعت له العشاء, وأكل. وفي رواية: أنها هيأت نفسها له فأصاب منها, وفي الصباح أراد أن يرى ابنه, قالت: لو أن الجيران أعطونا جارية واستردوها أتغضب؟ قال: لا, قالت: كذلك فعل الله عز وجل, فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام, وقص عليه قصة هذه الزوجة الرائعة الفقيهة, الموحدة الصابرة, فقال عليه الصلاة والسلام: بارك الله لكما في ليلتكما.

وقيل: أنهما أنجبا غلاماً, أنجب عشرة حفاظ قرآن كريم في هذه الليلة.

أنت إذا آمنت أن الذي أعطاك الله إياه من فضله, وإذا شاء أخذه, لا تتسحق.

معقول!!!! :

أنا أعرف رجلاً, يعني في بجمحة مالية كبيرة, عنده معمل, وله ولد توفي, ترك الصلاة, وكفر, يعني: لماذا مات؟.

النبي مات ابنه, ما فعل

وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد :

فالإنسان حينما يؤمن, تخف أمراضه النفسية, لا يوجد عنده أمراض, التوحيد يريح, التوحيد علاقتك مع الله, والله حاضر ناظر, بيده كل شيء:

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[سورة المؤمنون الآية:88]

﴿وَالنَّاسُ يُرْجَعُ الْأُمُورَ كُلَّهَا﴾

[سورة هود الآية: 123]

وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

إذا كان الله معك فمن عليك, وإذا كان عليك فمن معك؟ :

آيات التوحيد رائعة, انظر:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

[سورة فاطر الآية:2]

يعني: إذا الله أعطاك, أعطاك, لا تستطيع جهة في الأرض, أن تحول بين الله وبين هذا العطاء, وإذا كان أخذ منك, أقرب الناس إليك يتكرر لك, أقرب الناس إليك, والله زوجتك.

حدثني شخص والله صار يبكي, قالت له: إذا وجدتك تموت, ويلزمك كأس ماء لا أسقيك.

وحدثني رجل: ابنه ضربه.

ففي كلمة رائعة: إذا كان الله معك فمن عليك, وإذا كان عليك فمن معك؟.

يعني: إذا كان عليك, أقرب إنسان يتهم عليك, وإذا كان الله معك, يسخر لك العدو ليعدمك, عدوك يصبح في

خدمتك.

إليك معنى هذه الآية :

أيها الأخوة, معنى قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾

[سورة طه الآية:39]

((إذا أحب الله عبداً, ألقى حبه في نفوس الخلق))

محبوباً.

يصبح

وفي حديث:

((ما أخلص عبد لله, إلا جعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالمودة والرحمة))

يعني: من علامة الرضوان الإلهي: أن الناس يحبونك.

احفظ هذا القانون الرباني :

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية:159]

بقدر ما استقر في قلبك من الرحمة, تكون مع الناس
ليناً, رفيقاً, لطيفاً, رحيماً, منصفاً, ويقدر بعدك عن



الله, يقسو القلب, ومع قسوة القلب؛ المواقف القاسية, والفضة, لذلك: ينفض الناس من حولك.

ففي معادلة رياضية: اتصال, رحمة, لين, التقاف.

انقطاع, قسوة, فظاظة, انفضاض.

صحيح, معادلة رياضية؛ تتصل بالله, يمتلئ القلب رحمة, تعامل الناس باللين, والرفق, والإنصاف, والعدل, يلتف الناس حولك, ويحبونك, تغفل عن الله, تتقطع عنه, يمتلئ القلب قسوة, تكون فظاً غليظ القلب, ينفذ الناس من حولك ويذمونك, فهذا قانون, لذلك:

((إن الله ما أعطى, وله ما أخذ))

دعاء رائع :

أروع دعاء بهذا الموضوع:

((اللهم ما رزقتني مما أحب, فاجعله قوة لي فيما تحب, وما زويت عني مما أحب, فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: أنت بين حالين؛ بين شيء تتمناه وقد حصلته, وشيء تتمناه ولم تحصله؛ فالذي حصلته وظفه في الحق, والذي لم تحصله وظف فراغه في الحق.

الإنسان إذا حصل مالا، ينبغي أن يوظف هذا المال في الحق, فإذا كان دخله محدود, وعنده وقت فراغ, من أين جاء وقت الفراغ؟ من دخله المحدود.

انتهت الساعة الثانية الوظيفة, ما عنده شيء بعد الظهر, ما دام الوضع كذلك, يوظف الفراغ في الحق, معناها: مثل المنشار, على الحالتين ربحان.

بالمناسبة:

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:30]

يعني ممتحنين, وأنت أيها المؤمن ممتحن مرتين؛ ممتحن فيما أعطاك, وممتحن فيما منعك, الذي منعك منه ممتحن فيه, والذي أعطاك إياه ممتحن فيه, والبطولة: أن تتجح في المنع والعطاء, وربما كان المنع عين العطاء.

وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك؟
كن مع الله ترى الله معك واترك الكل وحاذر طمعك
وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك؟

متى يسعد المؤمن؟ ولم منعنا النبي عليه الصلاة والسلام من كلمة (لو)؟ :

أخواننا الكرام, بالتعازي, يعني في كلمات يقولها المسلمون والله طيبة: عظم الله أجركم, يقال له: شكر الله سعيكم.
ومن العبارات التي سنها لنا النبي في التعزية, أن تقول:

((إن لله ما أخذ, وله ما أعطى))

يعني: الإنسان حينما يرى أن كل شيء بقضاء من الله وقدر, حينما يعتقد أن لكل شيء حقيقة.

((وما بلغ عبد حقيقة الإيمان, حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه, وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والإمام أحمد في مسنده]

لا يوجد بقاموس المؤمن لوم, وهذا اللوم حينما تختفي من قاموس المؤمن, يسعد أشد السعادة, أما كلمة لو: تحرق القلب, وقد يصاب بأزمة قلبية بهذه الكلمة, آلام الندم لا توصف, لذلك النبي منعنا من كلمة لو, لكن العجيب واردة في القرآن.

قال تعالى:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

[سورة الجن الآية:16]

قالوا: هذه لو الإيجابية.

لو الإيجابية ضرورية، إذا الإنسان -لا سمح الله- دمر ماله، لأنه مانع الزكاة، لو قال بينه وبين نفسه، إذا قال بينه وبين نفسه: لو أدت زكاة مالي، لما دمر الله مالي، كلام صحيح، وقلها ما شئت، وهذه ليست محظورة في الدين، هذه لو الإيجابية؛ لو أدت زكاة مالي لما دمر الله مالي، لو غضضت بصري لما كنت شقياً في بيتي، لو أدت الذي علي لما تكلم الناس في حقي، لو اتقيت الله في بيع هذه البضاعة لما أخافني الله من غيره.

كلمة :

أنا أقول لكم هذه الكلمة: معظمكم تجار، مستحيل أن تخاف الله وأنت في بيعك وشرايتك، وأن يخيفك من سواه، أما إذا لم تخف الله، وجدت الزبون جاهل، لبسناه البيعة، يقول لك: سوق نار وزيون حمار، هؤلاء إذا كان استغليت، أن السوق حام، والزبون جاهل، ولبسته زباله، وأخذت منه أعلى سعر، وظننت نفسك ذكياً، الله يخوفك من غيره الآن.

يدخل إلى عندك شخص بدلبسك، ويغلبك، لأن الله كبير، والله يعالج.

انظر إلى هذه الآية ما أجملها! :

انظر الآية ما أجملها:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم الآية:41]

وأية دقيقة جداً، كان من الممكن أن نخطيء، وألا ندوق نتائج خطئنا ممكن.

ممكن إنسان يرتكب أخطاء كبيرة، دون أن يدفع الثمن، لكن الله شاءت حكمته: إذا فسدت وأفسدت، يذيقك الله ثمن الفساد، من أجل ماذا؟ لهدف نبيل:

﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم الآية:41]

لذلك: أي موقف تقفه غير صحيح، الله عز وجل يؤدبك، والتأديب: هو عين الرحمة:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية:147]

فهذا الحديث:

((إن لله ما أخذ، وله ما أعطى))

من روائع تاريخ الصحابة :

ذكرت في جامع النابلسي مرة، أن رجلاً من الصحابة، بايع رسول الله -ﷺ- على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم، أرسل خادماً له ليشتري له فرساً، فجاء الخادم بالفرس، وصاحبها قال: هذه الفرس باعها صاحبها بثلاثمئة درهم، قال له: يا هذا، إنها أغلى من ذلك، أتبيعني إياها بأربعمئة؟ قال له: أتمنى، قال له: أتبيعني بخمسمئة؟ قال له: أتمنى، قال له: بسبعمئة؟ قال له: أتمنى، قال له: بثمانمئة؟ نقده ثمانمئة درهم، من حوله تعجبوا أشد العجب، باعك إياها بثلاثمئة؟! قال: لا يعرف قيمتها.

أمرني رسول الله -ﷺ- بالسمع والطاعة، أو: عاهدت رسول الله على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم.

حينما تخاف الله لا يخيفك من أحد, وحينما لا تخاف الله تخاف من ذلك :

والله في تاجر, تاجر أعرفه, هو موفق, حدثني عن شيء فعله, لكن أعجبني تماماً, يعني اشترى صفقة استيراد, عرضها بثمانية ونصف, قصة قديمة جداً- لا يوجد زبون بثمانية, سبعة ونصف سبعة, ستة ونصف ستة, خمسة ونصف خمسة, لم تبع معه, خمسة آلاف تألم أشد الألم, يدخل محله تاجر ناشيء, يعني شاب, أول عهده في التجارة, عرض عليه هذه الصفقة, أعجبته, لأنه جاهل, قال له: هذه بثمانية ونصف, قال له: والله تستحق ذلك, بخمسة لم تبع معه هو, قال له: بثمانية ونصف, قال له: تستحق ذلك, قال له: حقها على ظهرها, قال له: جاهز, ومنذفع, يريد أن يشتريها, فذهب ليأتي بالرعبون, قال له: تعال, والله لا أبيعك إياها إلا بخمس ليرات, أنت غشيم يا بني, هذه الصفقة تغلسك, اذهب تيسر.

خاف من الله, يعني هو عرضها بخمسة لم تبع, جاء شاب جاهل, معه مال, يشتريها بثمانية ونصف, وحقها على ظهرها, لم يبعه إياها, خاف من الله, لأنه صار في استغلال لجهله.

فحينما تخاف الله, -هذه أعيدها كثيراً- لا يخيفك من أحد, وحينما لا تخاف الله, تخاف من ذلك, من ذلك تخاف, لأن الله عز وجل قال:

﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:151]

الخوف هو أكبر شيء يعاقب به الإنسان :

أيها الأخوة, أكبر شيء يعاقب به الإنسان: هو الخوف. يعني:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل الآية:112]

﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

[سورة قريش الآية:4]

حديث اليوم :

أخواننا الكرام, هذا الحديث:

((إن لله ما أخذ, وله ما أعطى))

هذا الحديث: يقيم توازن, يجعلك متوازن؛ لا تتقدم, لا تقل لو, أنت ابدل وسعك, وتوكل على الله, والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-74} : حقيقة الإيمان

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

تأمل ببصيرتك آيات التوحيد :

((وإن العباد عصوني، حولتها عليهم بالسخطة والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلاحهم بصلاحكم))

﴿وَالْيَهُ يَرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية:123]

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:26]

﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح الآية:10]

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر الآية:2]

حينما تصل إلى التوحيد، وصلت إلى الله، أما حينما يكون هناك ضعف في توحيدك، يكون هناك ضعف في استقامتك؛ لأنه ينبغي أن ترضي زيدا، أو عبداً، أو فلاناً، أو علاناً، فإن أرضيتهم، ولم ترض الله عز وجل، وقعت في الشرك.

طبعاً: آيات التوحيد كثيرة جداً، إلا أن بعضها ذكرتها لكم تمهيداً لهذا الحديث.

متى يبلغ العبد حقيقة الإيمان؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

شيء طائش لا يوجد، إنسان يروح ضحية لا يوجد، لأن الله عز وجل يقول:

((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد، وسألني كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي، إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر - ذلك لأن عطائي كلام، وأخذني كلام، كن فيكون، زل فيزول - فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))

لذلك ورد في أثر قدسي آخر:

((إني والجن والإنس في نبأ عظيم؛ أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب؛ أهل ذكري، أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيارتي، أهل معصيتي، لا أقنتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعائب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأغفر، وأنا أرأف بعبي من الأم بولدها))

((إن تابوا فأنا حبيبتهم, وإن لم يتوبوا فأنا طبيبتهم, أبتليهم بالمصائب, لأظهرهم من الذنوب والمعائب))

يعني: إما أن تأتيه راكضاً, والله عنده أدوية كثيرة.

((عجب ربكم من قوم, يساقون إلى الجنة بالسلاسل))

لذلك ورد في الحديث الصحيح:

((واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء, لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك, وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء, لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك))

[أخرجه الترمذي في سننه]

متى يكون الطريق إلى الله سالك؟ :

قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

[سورة فاطر الآية:2]

هو حينما تياأس من الناس وتتوجه إلى الله, قطعت أربعة أخماس الطريق, حينما تعرض عن الخلق وتعتقد الأمل على الخالق, وصلت إلى الله عز وجل, ما دام في طرق جانبية, فالطريق إلى الله غير سالك, إلى أن تقطع الأمل من كل الخلق, ما دام في باب مفتوح في الأرض, باب السماء مغلق, إلى أن تياأس مما في أيدي الخلق, وتحرص على ما عند الله عز وجل.

هذا الحديث أساسي في الإيمان:

((لكل شيء حقيقة, وما بلغ عبد حقيقة الإيمان, حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه, وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والإمام أحمد في مسنده]

إذا ألغيت كلمة لو من حياة المؤمن, لا يوجد عنده ندم, قدر الله وما شاء فعل.

((فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل, فإن لو تفتح عمل الشيطان))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

وليس غريباً: أن تكون معظم مشكلات الناس النفسية, هي حالة ندم على شيء فاتته من الدنيا, ما هو لك لك, وما ليس لك ليس لك.

لذلك: يعني:

((ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس, فإن الأمور تجري بالمقادير))

ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.

((وشرف المؤمن قيامه بالليل, وعزه استغناؤه عن الناس))

التوحيد يعلم الشجاعة, التوحيد يعلم العفة, التوحيد يعلم الجرأة, التوحيد يعلم الغنى, كيف تستغني عن الناس؟
الأمر كله بيد الله,

﴿بيده ملكوت السموات والأرض﴾

-نعم-

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف الآية:84]

يعني: حينما توقن أن شرايين القلب الشريان التاجي، فتحته بيد الله، قد يُسطم، وقد يبقى مفتوحاً، فإذا أغلق، أصبحت حياة الإنسان جحيماً؛ يحتاج إلى قثطرة، وعمليات، وزرع أوعية تُؤخذ من مكان، توضع في مكان، ويحتاج إلى نشر صدره، إلى فتح قلبه، إلى إدخال جراحة.

يعني: الشريان التاجي بيد الله عز وجل، عمل الكليتين بيد الله عز وجل، نمو الخلايا بيد الله، قد تتضبط، وهذا ما يُسعدنا، وقد لا تتضبط، فإذا لم تتضبط، لا يوجد لها حل.

يعني: خمسون ألف سيف مسلطة فوق رؤوسنا، لا يُنجينا منها إلا طاعة الله عز وجل.

إليك هذا المثال لتوضيح هذه الحقيقة :

أيها الأخوة، مثل بسيط: تصور وحوش كاسرة، ضبع مثلاً، سبع، ذئب، وحوش كاسرة، مخيفة، مربوطة بأزمة، بيد جهة قوية، فأنت كلما كنت ذكياً، علاقتك لا مع الوحوش، ولكن مع من يمسكها، فإذا رضي عنك، أبعدها عنك، وإذا غضب عليك، سلطها عليك، علاقتك مع من؟ مع الله عز وجل، والدليل:

﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾

[سورة هود الآية:55]

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود الآية:56]

الدواب كلها بيد الله، والله على صراط مستقيم، علاقتك مع الدواب لما مع الله عز وجل؟ مع الله، ليس لك علاقة مع الدواب أبداً، علاقتك مع من يملكها، فإذا غضب، أرخى الزمام، فوصلت إليك، وإذا أحبك، أبعدا عنك، فعلاقتك معه لا معها.

((لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والإمام أحمد في مسنده]

هذا العالم علم حقيقة الإيمان بالله :

عالم جليل كان في مكة المكرمة، فجاء أحد خلفاء بني أمية الكبار، رآه في الحرم يطوف، -يعني مناسبة أن يكرمه- قال له: سلن حاجتك، قال له: والله إنني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فخلج الخليفة، رآه خارج الحرم، قال له: سلن حاجتك، قال له: والله ما سألتها من يملكها، فأسألها من لا يملكها!؟.

فلما ألح عليه، قال له: حاجتي أن تدخلني الجنة، قال له: هذه ليست بيدي، قال له: إذاً: ليس لي عندك حاجة. انتهت.

من روائع الزمان :

يقولون: مرة هارون الرشيد حج بيت الله الحرام، طلب عالماً من علماء الحرم الكبار، كان الإمام مالك، إمام دار الهجرة، فذهبوا إليه وقالوا: الخليفة يريدك، ينتظرك، يريد أن ينتفع بعلمك، قال لهم: قولوا له: يا هارون، العلم يؤتى ولا يأتي، فلما أبلغوه هذا، قال: صدق، أنا آتية -والخلفاء كانوا فقهاء أيضاً- فقال لهم: أيضاً قولوا له: إن جاءنا، لا ينبغي أن يتخطى رقاب الناس، قال: صدق، ثم قال لهم: وقولوا له

فلما جاءه، وجلس في طرف المسجد على كرسي، فقال: من تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه، قال: خذوا عني هذا الكرسي.

يعني: كان الخلفاء يعرفون قيمة العلم أيضاً، والعلماء يعرفون قدره، وكلما عرف العالم قدره، قدره الأمير.

سئل مرة الحسن البصري: بم نلت هذا المقام؟ -كان سيد التابعين- قال: باستغنائي عن دنيا الناس, وحاجتهم إلى علمي.

لو عكسناها: إذا صار من يعمل في الدعوة بحاجة إلى مال الناس, والناس مستغنون عن علمه, أين صار؟ في الحضيض, في الوحل.

فالعلم ينبغي أن يكرم, ومن لم يكرم نفسه, لا يكرمه أحد, العلم ينبغي أن يكرم.

إذا كان الله معك فمن عليك, وإذا كان عليك فمن معك! :

الحسن البصري, -ذكرتها لكم مراراً-: وقف موقف جرأة وشجاعة من الحجاج, يعني نصحه, الحجاج غضب غضباً شديداً, قال للذين استمعوا إليه: والله لأروينكم من دمه, وأمر بقتله -ببساطة, الحجاج كان عنده قتل الإنسان أهون من قتل ذبابة- فأمر بقتله, طبعاً: جيء بالسياف, ومد النطع, وأرسل الحاجب, ليأتي بالحسن البصري كي يقتله في قصره, جاء الحسن البصري, ورأى الوضع منتهياً, السياف جاهز, والنطع ممدود, وكل شيء, والجو متوتر, ولا يبقى إلا أن تُقطع رأسه, فتمتم بكلمات لم يفهما أحد, فإذا بالحجاج يقف له, ويستقبله, وما زال يقربه من مجلسه, حتى أجلسه إلى جانبه, وقال له: يا أبا سعيد, أنت سيد العلماء, واستفتاه في قضية, وقيل: هكذا, وعطره, وضيغه, ثم شيعه إلى باب القصر.

-اللذان لم يفهما ماذا حدث: هما السياف والحاجب, لأنهما وحدهما يعلمان علم اليقين, أنه بعد قليل: سوف تُقطع رأسه-.

تبعه الحاجب, قال له: يا أبا سعيد, لقد جيء بك لغير ما فعل فيك, ماذا قلت لربك؟ فقال الحسن البصري: قلت لربي: يا ملاذي عند كربتي, يا مؤنسي عند وحشتي, اجعل نعمته علي برداً وسلاماً, كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

الله بدل له قلب الحجاج؛ علاقتك مع الله, مع الله وحده, فإذا كان الله معك, لا أحد في الأرض يستطيع أن يصل إليك, وإذا كان الله عليك, أقرب إنسان إليك يتهجم عليك.

إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك!؟.

إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله:

كان الحسن البصري عنده يزيد بن معاوية، كان عند والي البصرة رجل عنده الحسن البصري، جاء البريد من الشام، من دمشق العاصمة، من خليفة المسلمين يزيد، في هذا البريد فيه أمر لوالي البصرة، هذا الأمر لا يرضي الله عز وجل؛ لعله في ظلم، أو في شيء وقع في حيرة، ماذا يفعل؟.

فسأل الحسن البصري، قال له: إن أنا نفذت هذا الأمر أغضبت الله، وإن عصيت الخليفة أغضبتك، فأنا بين نارين ماذا أفعل؟ -قال له الحسن كلمة رائعة-، قال: إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله. هذه كلمة رائعة جداً: إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله. فإذا كنت مع الله، كل شيء في خدمتك، وإن لم تكن معه، كل شيء ضدك.

قانون التيسير والتعسير :

الله عز وجل: علمنا بالقرآن. قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾

[سورة الليل الآية:5]

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:6]

﴿فَسُنِّيئِرُهُ لِيُسْرَى﴾

[سورة الليل الآية:7]

لا يوجد شيء أحلى للنفس من التيسير، ولا في شيء يغيظ الإنسان كالتعسير.

كان عليه الصلاة والسلام، يدعو ويقول:

((اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً))

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾

[سورة الليل الآية:5]

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:6]

﴿فَسُنِّيئِرُهُ لِيُسْرَى﴾

[سورة الليل الآية:7]

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾

[سورة الليل الآية:8]

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:9]

﴿فَسُنِّيئِرُهُ لِيُعْسِرَى﴾

[سورة الليل الآية:10]

فقانون التيسير والتعسير: أعطى، يعني عمل أفعالاً سالحة، واتقى أن يعصي الله، وصدق بالحسنى؛ يعني آمن، واستقام، وعمل عملاً سالحاً، وأما من بخل: لم يعمل سالحاً، وأما من بخل، واستغنى عن طاعة الله، كذب بالحسنى؛ لا آمن، ولا استقام، ولا أعطى؛ معنى: آمن، استقام، أعطى تيسير، لم يؤمن، ولم يستقم، ولم يعط تعسير.

فالتيسير منك، والتعسير منك -نعم-، والله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا، إلا من أبى، كل ابن آدم

الآن: والحديث الشريف:

((كلكم يدخل الجنة إلا من أبى, قالوا: ومن أبى؟ قال: من أطعني دخل الجنة, ومن عصاني فقد أبى))

حديث اليوم :

حديث اليوم:

((إن لكل شيء حقيقة, وما بلغ عبد حقيقة الإيمان, حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه, وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والإمام أحمد في مسنده]

والحمد لله رب العالمين

الدرس {75-119} : الإنفاق والرزق

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 15-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذه حقيقة الرزق :

روى الدار قطبي: عن أنس -رضي الله عنه-, عن النبي -ﷺ- أنه قال:

((إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش, فيُنزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم؛ فمن كَفَّر كُفِّرَ له, ومن قَلَّ قَلَّ له))

الفعل فعل الله, والرزق رزق الله, والأمر كله بيد الله؛ فمن أنفق, أنفق الله عليه, وكثُرَ أرزاقه, ومن قَلَّ؛ قَلَّ الله عليه.

نقطة مهمة :

النقطة الدقيقة: أن الإنسان -أيها الأخوة- حريص حرصاً لا حدود له على شيئين: على حياته, وعلى رزقه, وحياته, ورزقه بيد الله وحده, ولم يُسلم قضية الحياة والرزق لمخلوق, ولو توهمت: أن فلاناً قتل فلاناً, المقتول يموت بأجله, هذه عقيدة أهل السنة والجماعة, المقتول يُقتل بأجله.

((واعلم أن الأمة, لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء, لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك, وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء, لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: هو الأساس أن تدع الخلق, وتتجه إلى الخالق, هذا هو الدين, وهذا هو التوحيد.

الإنسان: حينما يُعلق الآمال على الخلق, يتشعب, يتشتت, يتمزق؛ إن أرضى زيداً, يغضب عبيد, وإن أرضى فلاناً, يغضب علان, أما إذا جعل علاقته بالله عز وجل, وأيقن أن أجله, ورزقه بيد الله, وأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً, ولا تقرب أجلاً, لأن هذا الذي تعبده, إذا لم يحملك, كيف تعبده؟ تعبد قوياً أنت, تعبد من بيده كل شيء.

يعني: كل إنسان يقول لك: أنا أخاف أن أطيع الله, فأدفع الثمن باهظاً.....

مثلاً: إنسان إيمانه صفر؛ تعبد الله ويُسلبك إلى غيره؟ تعبد الله ولا يحملك؟ تعبد الله ولا يدافع عنك؟ تتفق من مالك على الفقراء والمساكين ولا يرزقك؟:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:175]

أخواننا الكرام, إذا هممت بدفع صدقة, ثم قلت: لا, أنا أولى, لا يوجد داع, اعلم علم اليقين: أن هذا من الشيطان, لأن:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة البقرة الآية:268]

كل التوجيهات, الوسوسات, إلى معصية تستحي بها, من الشيطان وكل التقنيات إلى إلغاء الإنفاق من الشيطان, وكل المناوشات بين المؤمنين من الشيطان.

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم))

يعني: أن يُعبد صنم في العالم الإسلامي, مستحيل, انتهى, هذا انتهى إلى يوم القيامة.

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم))

لن تجد إنساناً في كل بلاد المسلمين, يعبد غير الله.

يعني: في الصين بوذا, وفي نار, وفي بقر, وفي آلهة كثيرة, في العالم الإسلامي نعبد الله وحده, هذا من فضل الله علينا, حسناً: ما دور الشيطان إذا؟.

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم؛ ولكن رضي بالتحريش بين المؤمنين))

كل الخلافات بين المؤمنين, بأمر من الشيطان, وبدافع من الشيطان, وهي تُرضي الشيطان.

سؤال دقيق :

الإنسان -أحياناً- لما يتحرك, في سؤال دقيق, أرجو أن يكون واضحاً عندكم:

أنت -أحياناً- تتحرك, -دقق- تتحرك لمصالح من؟ من المستفيد؟ من؟ هذه الحركة؛ لو تحركت لمناوشة أخ في الله, لو تحركت لإحداث خصومة, لشق صف, لشرخ بين شخصين, هذه الحركة: لصالح من؟ لصالح الشيطان. يعني: أحياناً الأمر: يُفسر ليس على هذا, حسناً: الأمر تم لصالح من؟.

إذاً: إذا كان تم لصالح الشيطان, إذاً: هذا الوحي من الشيطان, فالخصومات بين المؤمنين, لصالح الشيطان, إذاً: هي بوحى من الشيطان. قال:

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾

لما وكزه موسى فقضى عليه:

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

[سورة القصص الآية:15]

كل الإحجام عن الإنفاق، بدافع الخوف من قلة الرزق، بوحى من؟:

﴿يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ﴾

[سورة البقرة الآية:268]

﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾

[سورة آل عمران الآية:175]

﴿يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ﴾

[سورة البقرة الآية:268]

حسناً:

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة البقرة الآية:268]

واضح.

يخوفك من أن تُتفق، ويخوفك من أن تعمل صالحاً، ويعدك بالفقر: إن فعلت هذا، ويدعوك إلى المعصية، والإثم، والفجور، ويُوقع بينك وبين أخيك.

بالمناسبة: الله عز وجل ذكر على لسان الشيطان:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف الآية:16]

الإنسان: ما دام في طرقات منحرفة, لا يوجد شيطان, إذا إنسان من ملاه, ودخله ربوي, ووقته في الملاهي, ومتقلت, لا يشعر بوسوسة إطلاقاً, لأنه يفعل ما يريد الشيطان.

مرة قال لي شخص سؤالاً: لماذا الصحون في أوروبا قليلة جداً, وعندنا كثيرة جداً؟ قلت له: لأن الذي تراه في هذه الصحون, هم يفعلونه كل يوم, يعني هم في انحطاط, ونحن على طريقهم سائرون. فلذلك:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾

[سورة آل عمران الآية:175]

الأمر بالمعصية من الشيطان, الأمر بالبخل من الشيطان, التحريش بين المؤمنين من الشيطان, دائماً خذ القاعدة: هذا الأمر تم لصالح من؟ لصالح جهة, إذا هذه الجهة: هي التي سببت هذا الأمر.

فاعلم علم اليقين: أنه ليس من صالح المؤمنين, أن يكون هناك فرقة بينهم, ولا أن تكون بينهم عداوة وبغضاء, ولا أن تكون بينهم قطيعة رحم, ولا أن تكون بينهم عداوة؛ فإذا كانت هذه العداوة, وقطيعة الرحم, والبغضاء, والإحجام عن المعاونة, هذا لصالح الشيطان, والشيطان هو الباعث.

فلذلك: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش))

فالشيطان يقول:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف الآية:16]

لمجرد أن تتجه إلى المسجد, لمجرد أن تتوي أن تتوب, تأتيك الوسواس, شيء طبيعي جداً, يوم كان الإنسان مع الشيطان, أراحه من الوسواس, لما كان مع الشيطان, لا يوجد مشكلة, أنت تحقق ما يريد:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[سورة النساء الآية:27]

إذا كنت مع الله, فأنت في خير, أما الذين يتبعون الشهوات: يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً إلى الشهوات. قال له:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف الآية:16]

يعني الشيطان: لمجرد أن تسلك طريق الإيمان, طريق الصلح مع الله, أن تتوب, أن تحجب زوجتك, أن تضبط عينك, أن تضبط لسانك, تأتيك الوسواس, من خلق الله؟ صار لك ثلاثون سنة, السؤال لم يخطر في بالك, لما تبت, أذاك السؤال! أي الدين أصح مثلاً؟.

قال له:

﴿لَا يَنْبَغُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:17]

أتريد أن تعرف نعم ربك عليك؟ إليك بعضها :

اسأل حوالي مئة شخص، لا على التعيين، كيف الوضع؟ يقول لك: والله سوق مسموم، لا يوجد عمل. تسكن في بيت، وعندك أولاد، وعندك زوجة، ومعك طعامك، وسفرتك عامرة، بكل أنواع الطعام، وأولاد بصحة تامة، وعندك مركبة، ولا يوجد عندك مشكلة، يوجد هموم قليلة في العمل، لا يوجد مانع؛ يا رب لك الحمد على نعمة الصحة، يا رب لك الحمد على نعمة الزوجة، لك زوجة، لك أولاد، لا يوجد مرض عضال في أسرتك، هذه نعمة: لا تقدر بثمن.

لذلك: أنا -والله أيها الأخوة- أستصغر شأن الإنسان، حينما يشكو.

الإنسان لا يعرف قدر النعمة عليه إلا بعد زوالها :

مرة شخص، -هكذا- زرتَه بالأربع وسبعين، مكتب استيراد درجة أولى، قال لي: لا يعاش في البلد، سوق مسموم؛ لا يوجد عمل، ولا يوجد ربح، والله أثناء كان الدولار بثلاث ليرات، كانت أرباحه مليونين في السنة، لم يعجبه، هذا ليس عمل، بعث الله له مرضاً، زرتَه، والله سأسمعكم ماذا قال لي؟.

قال لي: والله -يا أستاذ راتب- الإنسان يكفيه ألف ليرة في الشهر.

يعني: يتمنى أن ينفق ألف ليرة في الشهر، لكن يعيد الله له صحته، التي كان يستمتع بها.

إذا سمح ربك أن تعيش يوماً جديداً؛ احمد ربك عليه واقرأ هذا الدعاء :

الإنسان يقوم صباحاً، ما فيه شيء، دققوا -أيها الأخوة-:

كان -عليه الصلاة والسلام-، إذا استيقظ من نومه، يقول:

((الحمد لله الذي رد إلي روحي.

-لي صديق، نام، زوجته نائمة إلى جانبه، مست يده مثل البوظ، فاستيقظت مذعورة، ميت.

لنا أخ، دخل لغرفته، العادة يصلي الفجر حاضراً في الجامع، يعني أحياناً أهله يصلون، أو لا يصلون الفجر، ظنوا

أنه صلى ورجع, زوجته مهيئة السلطة, والبيض المقلي, والترتيبات, ماما: قم أيقظ أباك, قال لها: أبي ميت, نام ولم يستيقظ.

فلما الإنسان يستيقظ, يجب أن تقول:-

الحمد لله الذي رد إلي روحي.

-وقف, لا يوجد فيه شيء؛ صحته طيبة, يرى بعيونه, يسمع الصوت, يتكلم, يعني أفرغ مثانته, والأجهزة كلها سليمة, قليلة هذه؟-

والحمد لله الذي عافاني في بدني.

-الشيء الثالث: صليت في الجامع-.

والحمد لله الذي ألهمني ذكره, ورد إلي روحي, وعافاني في بدني, وأذن لي بذكره))

سمح لي.

في أشخاص يقومون بأعمال شاقة الفجر, يغسل سيارته في الساحات العامة, لك هذا وقت صلاة, وقت عبادة, هذا ليس وقت غسيل سيارة, هذا وقت الرحمة, وقت التجلي, وقت أن تقف بين يدي الله عز وجل, في شخص خارج من الملهى الآن, داىخ, أنت جالس في الجامع.

فالإنسان

كان نبيكم تعظم عنده النعمة مهما دقت :

كان -عليه الصلاة والسلام- تعظم عنده النعمة مهما دقت.

يعني: قليلة تشرب كأس ماء, ويخرج, والطريق سالك.

قال له: بكم تشتري هذا الكأس -لأحد الخلفاء- إذا مُنع عنك؟ -نظر, هارون الرشيد ذكي- قال له: بنصف ملكي, قال له: فإذا مُنع إخراجهم, في أناس يصرخون, إذا كان صار معهم حصر بول, شيء مخيف, آلام لا

تحتمل - قال له: بنصف ملكي الآخر, قال له: إذأ: ملكك يُساوي كأس ماء؛ شرباً وإخراجاً.

نعمة يجهلها الكثير من الناس :

أنا أريد أن أذكركم بنعم الله عز وجل, أريد أن تقولوا: الحمد لله دائماً, أريد إذا دخلت بيتك, معك مفتاح بيت:

((الحمد لله الذي آواني, وكم ممن لا مأوى له))

قال لي شخص كلام لطيف, قال لي: نسافر نحو الغرب, نرى حالنا, ما عندنا شيء في بلادنا, نسافر نحو الشرق, نرى حالنا ملوكاً, أسر بأكملها في الرصيف, نصف الشعب الهندي على الرصيف نائم؛ والولادة على الرصيف, واللقاء الزوجي على الرصيف, أو بقوارب صغيرة, أنت عندك مأوى.

((الحمد لله الذي آواني, وكم ممن لا مأوى له))

انظر لمن هو أدنى منك, فذلك: أخرى ألا تحتقر نعمة الله عليك :

أخواننا الكرام, رجاءً, عندنا قاعدة ذهبية: انظر لمن هو أدنى منك, فذلك: أخرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.
أما في الدين: إياك أن تنظر إلى المجرمين؛ أخي أنا لست مجرمًا, يقول لك, ما أحلاك أن تكون مجرمًا, أنا لا أسرق, ما أحلاك أن تكون حرامياً.
في أمر الدين: انظر إلى من هو فوقك

انظر -الآن- المؤمنين, الكبار, الأولياء, العارفين بالله؛ كيف كسبوا حياتهم؟ كيف عرفوا أن يعيشوا؟ كيف طبّقوا منهج الله؟ كيف رضي الله عنهم ورضوا عنه؟ كيف استحقوا الجنة بأمر الدين؟ إياك أن تنظر لمن هو أدنى منك, أما بأمر الدنيا: انظر إلى من هو أدنى منك, فذلك: أخرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.

من فوائد الصيام :

والحقيقة: يعني الصيام له فائدة, له مليون فائدة, من الفوائد: تعرف أنك إنسان ضعيف, تجد شخصاً محترماً جداً, إذا كان في الصيف, الصيام في الصيف, من الساعة الثانية عشرة ظهراً, يعني متعلق بكأس ماء, كل أحلامه

كأس ماء, وكأس ماء ينعشه, أنت مفتقر لكأس ماء, مفتقر للقمّة طعام تأكلها. فلذلك أنا أقول هذا الكلام لسبب: في بؤس كبير, والفقر منتشر, والذين يحتاجون الطعام والشراب كثير, لذلك: بقدر ما تستطيعون, أنفقوا من أموالكم.

ما من نفقة تنفقها في سبيل الله إلا والله يعوضها إليك, دليل ذلك :

هناك في القرآن الكريم ثماني آيات حصرأ, تؤكد كلها: أنه ما من نفقة تُنْفَقُها في سبيل الله, إلا والله يعوضها, أبداً:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾

[سورة سبأ الآية:39]

إله يقول لك هذا: أي نفقة تنفقها, الله عز وجل: يخلفها أضعافاً مضاعفة.

من أسرار زكاة الفطر :

حسناً: في سؤال ثان: مر بالفقه: أن الإنسان في رمضان, عليه أن يدفع زكاة الفطر, من هو الذي يكلف؟. قال: الذي عنده في البيت وجبة طعام واحدة -يعني مئة غرام جبنة, مع رغيف, مع كأس شاي فقط, البيت لا يوجد فيه شيء, إلا مئة غرام جبنة, وجبة طعام- الذي يملك قوت يومه, عليه زكاة الفطر -لكن هذا فقير جداً!-. قال: من أجل أن يذوق في كل سنة مرة, طعم الإنفاق. له أن يأخذ, لكن لا بد من أن يُنْفَق, ليذوق طعم الإنفاق.

لذلك :

((فمن كَفَرَ كُفْرَ له , ومن قَلَّ قَلِّ له))

((أنفق بلائاً, ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

((عبدني أنفق, أنفق عليك))

طرفة :

والله قصص, لو في وقت -أسمعها وأسجلها أحياناً- لا تُقدر بثمن.

إنسان: تجد أنفق مئة ألف, جاءه مئتان, الله أكرم منك.

يعني: في طرفة: الله عز وجل لا يتحمل منية, تعطي يعطيك أضعافاً, يغمرك بالعباء.

((أنفق, ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

هذا درس اليوم, ونحن في رمضان, وكان -عليه الصلاة والسلام-: إذا جاء رمضان, كان جواداً, وكان أجود ما يكون في رمضان, كالريح المرسلة.

ملاحظة :

لي ملاحظة بسيطة: الأحاديث الشريفة: تُلح على إطعام الطعام, الحكمة من ذلك: أن هذا الإنسان عليه ديون, تعطيه ألفين, يدفعهم دين, يحتاج إلى ثوب, تعطيه ثلاثة آلاف, يشتري ثوباً, يدخن, تعطيه يشتري دخاناً, وأولاده جائعون, أما إذا قدمت له طعاماً؛ تتكة سمن, تتكة زيت, رز, سكر, هذا في النهاية إلى البطون الجائعة, تضمن أنت بتوزيع الطعام: أن تصل هذه المواد إلى معدة هؤلاء الفقراء, من دون إشكالات.

لذلك: من أعظم الأعمال؛ إطعام الطعام, توزيع الطعام, وهذا شهر كريم, والله عز وجل يحبنا متعاونين, ولا يحبنا متفرقين, لا يحبنا

((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

نفى أن يكون منهم.

((والله ما آمن, والله ما آمن, والله ما آمن, من بات شعبان, وجاره إلى جانبه جائع, وهو يعلم))

وإذا كل إنسان تفقد أسرته, وتفقد جيرانه فقط, تحل مشكلة, تفقد نسبي, وتفقد جغرافي, جيرانك وأقربائك, إذا كل إنسان تكفل بأقربائه, بجيرانه, صار في تكافل اجتماعي.

والزكاة -كما قلت لكم-: تظهر الدافع من الشح, والفقير من الحقد, والمال من تعلق حق الغير به.

دعاء الختام :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-76} : فضل كلام الله

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 18-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مفتاح الدرس اليوم :

أيها الأخوة الكرام,

((إن أحسن الحديث - كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح, الذي رواه الإمام البخاري -: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

لو قلت لي: كم كتاب في الأرض؟ ما يُطبع في اليوم الواحد من الكتب, بلغة واحدة, لا تستطيع أن تقرأه في منتهي عام, ما يطبع في اليوم الواحد من الكتب, باللغة الإنكليزية, لا تستطيع أن تقرأه في منتهي عام, كم كتاب يوجد في الأرض؟ كل هذه الكتب في طرف, وكتاب الله في طرف؛ لأن فضل كلام الله على كلام خلقه, كفضل الله على خلقه, كم هي المسافة كبيرة بين خالق البشر, وبين البشر؟.

إن فضل كلام الله على كلام خلقه, كفضل الله على خلقه :

البارحة: ذكرت كلمة في درس التفسير: أن بينك وبين أقرب نجم ملتهب, أربع سنوات ضوئية, الضوء يقطع في الثانية ثلاثمئة ألف كيلو متر, حسبنا البارحة درس, التراويح استمرت ساعة, قطعنا ونحن على ظهر الأرض مئة ألف كيلو متر.

الأرض تسير حول الشمس ثلاثين كيلو متراً في الثانية, هذا شيء بديهي, من مسلمات علم الفلك, الأرض في دورتها حول الشمس, تقطع ثلاثين كيلو متراً في الثانية, أما الضوء ثلاثمئة ألف في الثانية.

فهذا النجم يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، هذا نجم ملتهب، بُعده عنا أربع سنوات ضوئية، الشمس بعدها عنا ثماني دقائق فقط، القمر ثانية ضوئية واحدة، القمر ثانية، الشمس ثماني دقائق، أبعد نجم في المجموعة الشمسية، بعده عنا ثلاث عشرة ساعة، أما هذا النجم الملهب غير المجموعة الشمسية، أقرب نجم ملتهب للمجموعة الشمسية، بعده عنا أربع سنوات ضوئية، حسبنا حساباً بسيطاً البارحة.

لو أردنا أن نصل إلى هذا النجم بمركبة أرضية، كم سنة نحتاج؟ خمسين مليون سنة، والحساب بسيط جداً؛ لأن ثلاثمئة ألف في الثانية، ضرب ستين في الدقيقة، -اضربهم في البيت-، ضرب ستين في الساعة، ضرب أربع وعشرين في اليوم، ضرب ثلاثمئة وخمس وستين في السنة، ضرب أربعة، يخرج معك رقم، -الطريق إلى هناك سرعانية، بالسيارة-، تقسيم مئة، كم ساعة نحتاج؟ تقسيم أربع وعشرين كم يوم؟ تقسيم ثلاثمئة وخمس وستين كم سنة نحتاج؟ الحصيلة: خمسون مليون سنة، من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلينا، نحتاج خمسين مليون سنة، حسناً؛ هذه المجرة الحديثة، بعدها عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية.

أحدث مجرة، -أذاعتها محطة أخبار عالمية قبل عام تقريباً-، بعدها عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، الأربع سنوات خمسون مليون سنة، الثلاثمئة ألف بليون كم سنة؟.

الله عز وجل قال:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة الآية:75]

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية:76]

ذلكم الله رب العالمين .

فكلامه ككلام البشر!؟.

لذلك ورد:

((أَنْ فَضَّلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ، كَفَضَّلِ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ))

كم هي المسافة بين خالق الكون وبين إنسان ضعيف، هي نفسها بين كلام خالق البشر، وبين كلام البشر؛ فكل مكتبات العالم، وكل ما فيها من كتب، لا شيء أمام كتاب الله عز وجل.

لذلك: (إن أحسن الحديث كتاب الله)؛ في أمر، وفي نهى، وفي حرام، وفي حلال، وفي وعد، وفي وعيد، وفي أخبار الأمم السابقة، وفي ما سيكون في المستقبل، وفي آيات كونية، وفي مشاهد من يوم القيامة، وفي تاريخ الأمم والشعوب، فيه كل شيء، بشكل معجز، بكلام دقيق.

انظر إلى آداب الضيافة في معرض هذه القصة في القرآن الكريم :

حسناً: مثل بسيط: الله عز وجل علمنا آداب الضيافة، خمسة آداب بسطر واحد، في معرض القصة عرضاً.

سيدنا إبراهيم: لما جاءه الضيوف، قال تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾

[سورة الذاريات الآية:26]

راغ، معنى راغ في اللغة: انسلَّ خُفِيَةً.

إذا إنسان عنده ضيف، سأله: نعمل لك عشاء؟ لا، شكراً، تناولت الطعام، لست جائعاً، الضيف لا يُسأل، تأتي بالعشاء مباشرة. فانسل خفية، ولم يسأله:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾

[سورة الذاريات الآية:26]

﴿فَمَا لَبِثَ﴾

[سورة هود الآية:69]

لم يطل.

في إنسان تدعيه إلى غداء, تخرج روحه حتى يأتي الطعام, خمس ساعات:

﴿فَمَا لَبِثَ﴾

[سورة هود الآية:69]

الطعام جاء سريعاً:

﴿أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيزٍ﴾

[سورة هود الآية:69]

طيب.

الطعام

لا يوجد إنسان, يقدم للضيف طعاماً درجة خامسة, أكلة منتزعة, أكلة قديمة, سخنها وقدمها له, هذه ليست واردة إطلاقاً؛ إما أن تقدم أطيب الطعام, أو لا تقدم شيئاً:

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيزٍ﴾

[سورة هود الآية:69]

انظر:

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾

[سورة الذاريات الآية:27]

قربه.

أحياناً: يكون في العيد صحن, الضيف يستحي, يجب أن تقرب الطعام إلى عنده:

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية:27]

من خطأ الإنسان :

مرة جلسنا عند شخص, يعني أتى -هكذا- بالفواكه, والحلويات, ثلاث ساعات لم يقل: تفضلوا, ممكن تأكل لوحدك؟ مستحيل, والناس مسافرون, قادمون من سفر, وجائعون, قل لهم: تفضلوا, يتكلم, والطعام موضوع.

تفاعل مع الآيات :

أيها الأخوة, كم أدب صاروا؟:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾

[سورة الذاريات الآية:26]

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾

[سورة هود الآية:69]

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية:27]

هذا كلام الله :

حسناً: آية ثانية:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

[سورة هود الآية:6]

هذا قرآن, انظر.

ما؛ من, إلا: النفي والاستثناء في قصر, يعني رزقها على الله حصراً, ليس على غير الله عز وجل, هذه واحدة, في نفي.

لو قال الله: الدواب على الله رزقها: اختلف المعنى, هذا لم يعد قرآناً, قال: الدواب على الله رزقها: هذا ليس قرآناً:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

[سورة هود الآية:6]

هذه من, لماذا من؟ هذه من دقيقة جداً, تفيد استغراق أفراد النوع, كيف؟.

لو إنسان سألك: أمعك مال, لننشئ شركة تجارية؟ تقول له: لا, تنفي المال الكافي, تحتاج الشركة خمسة ملايين, أما إذا قلت له: ما معي من مال, ما معك ولا ليرة, إذا تستخدم من, تفيد استغراق النوع. إذا قلنا: الطلاب لهم عندي مكافآت, عددهم ثلاث وعشرون, لكن في اثنين غائبين, لم يأخذوا نصيبهم, لو قلت: ما من طالب في هذا الصف, إلا وله عندي مكافأة؛ دخلوا الغائبين, والمرضى, والمأذونين, فكلمة من: تفيد استغراق أفراد النوع.

يعني: نملة سمراء, على صخرة صماء, في ليلة ظلماء, على الله رزقها.

من إعجاز القرآن الكريم :

وَعَلْ يَعِيشُ بَقْمَةً مِنْ قَمِّ هَيْمَالَايَا, فِي نَبْعِ مَاءٍ فَوْقَ, مَا مَعْنَى نَبْعِ الْمَاءِ بِجَبَلٍ؟ أَخَوَانَا الدارسون فيزياء, ما معنى وجود نبع ماء بقمة جبل؟.

معنى: أنه في جبل أعلى, ومستودعه بالجبل الأعلى؟ من المستحيل أن يصعد, إلا ويكون في ضغط في الطرف الثاني.

ما معنى: أن أندونيسيا فيها ثمانية آلاف جزيرة؟ أندونيسيا, كل جزيرة لها نبع ماء عذب, ثمانية آلاف جزيرة.

ما من جزيرة إلا وفيها نبع ماء عذب, يتناسب مع مساحتها, ما معنى ذلك؟.

أمطار الجزيرة لا تكفي لهذا النبع؟ مستحيل.

أرواد: فيها نبع ماء عذب, أمطار أرواد تشكل نبعا؟ أبداً, لا بد من مستودع في طرطوس, والتمديد تحت البحر,

مستحيل أن يكون غير هكذا.

وعلى بقمة من قمم هيمالايا، في نبع ماء له خاص، معنى ذلك: الله مهيب له مستودع بجبل أعلى، وفي تمديدات.

حسناً: نهر التايمز في بريطانيا، مستودعاته في أوروبا، والتمديدات تحت بحر المنش:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

[سورة هود الآية:6]

لو قلنا: إلا الله يرزقها: ليس قرآناً، لأنه لا على وجه الإلزام، أما كلمة على: تفيد الإلزام:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

[سورة هود الآية:6]

نفينا، واستثنينا؛ من: لاستغراق أفراد النوع، وعلى: تفيد الإلزام الذاتي.

هذا القرآن الكريم؛ صياغة ما بعدها صياغة، بلاغة ما بعدها بلاغة، إعجاز ما بعده إعجاز، لذلك: هنيئاً لمن جعله كتابه المقرر، هنيئاً لمن أفنى حياته في قراءة القرآن، وفهم القرآن، والعمل بالقرآن، ولا يوجد عندنا حل لمشكلاتنا -الآن-

إلا القرآن؛ إلا أن نعود إليه، وأن نطبقه، ولا يوجد عندنا مشكلة -دققوا في هذه المقولة-:

ما من مشكلة على وجه الأرض، إلا بسبب خروج عن منهج الله، ما من خروج عن منهج الله، إلا بسبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه، ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

أعدى أعدائنا الجهل :

فلاح عنده بيتين بلاستيكيين في درعا, يعني غلتهم حوالي مئتي ألف في الشتاء, مدفأين, أحب أن يأتي بسماد, أعطوه كيلو سماد, يحل ببرميل, ذهب واشترى كيليين, بتوهمه أنه أحسن, فوضع السماد, ثاني يوم كله أسود, والتعليمات كيلو, لما وضع كيليين, حرق النبات كله, فهو من فعل فيه الشر؟ هو نفسه, جهله.

يعني: أكبر عدو لنا, ليس إسرائيل, لا, ولا أمريكا, ولا الدول الكبرى, ولا الدول الطاغية, لا, لا, أعدى أعدائنا الجهل, إذا جهلنا هذا القانون الإلهي, هذا أكبر عدو لنا, هم أعدؤنا طبعاً؛ إلا أن الجهل: يجعلنا نرتكب أخطاء فاحشة, وندفع الثمن باهظاً.

ما المراد بالكتاب والحكمة في الآية؟ :

قال:

((إن أحسن الحديث كتاب الله -كتاب الله في كليات, مبادئ عامة. فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- وبين, وفصل, ووضح, وجلّ الأمور, السنة, تفسير القرآن:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة البقرة الآية: 129]

الكتاب: هو القرآن, والحكمة: هي السنة:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

والنبي معصوم, أوتي القرآن, ومثله معه: هي السنة.

لذلك:- إن أحسن الحديث كتاب الله, وأحسن الهدى.

-قال لي شخص: والله ابني مريض, في أول الربيع أكل عوجاً كثيراً, فصار معه مشكلة بالهضم عويصة جداً, قلت له: لكن الله عز وجل قال:

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾

كل من الثمر إذا كان يانعاً, يعني ناضج.

فتقرأ القرآن, تجد كل شيء فيه تقريباً, كل الأمور الأساسية فيه.

إنسان وهو يركض, وجد صنوبر ماء بارد, فشرب حتى ارتوى, وقع مغمياً عليه:

﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:249]

إذا الإنسان, يعني في جهد كبير جداً, وحرارته عالية, لو مسك قارورة مياه باردة من البراد, وضعها في جوفه, في احتمال أن يموت فجأة.

يوجد اثنتا عشرة حالة وفاة, من شرب الماء البارد دفعة واحدة, مع الحر الشديد.

في عصب -الأطباء كشفوه- بين المعدة والقلب, اسمه العصب المبهم, أو العصب الحائر, هذا العصب: قد يتنبه تنبهاً قاسياً, يعطي أمر للقلب: أن يقف, يوجد اثنتا عشرة حالة وفاة مفاجئة في العالم, من جراء شرب ماء دفعة واحدة. ماذا قال النبي؟.

((مصوا الماء مصاً, ولا تعبوه عباً))

الحيوان الذي لا يوجد عنده فكر, كيف يشرب؟ مصاً.

انظر: الدواب تمص مصاً, فالله كرمنا بالفكر, ليس معناها: الذي لا يوجد عنده فكر أفهم منا-.

من حماقة الإنسان :

إن أحسن الهدى كتاب الله, وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ-, وشر الأمور محدثاتها.

-شخص وجد كاميرة فيديو, أعجبته, والله شيء جميل, اشتراها, ارتكب حماقة كبيرة, صور نفسه مع زوجته, بأوضاع لا ترضي, زوجته لا يوجد مانع, الفيلم بالخطأ, وضعه في غلاف شريط, مستعار من محل تجاري, هذا استأجر فيلمين, رجعا, فحص واحداً, ليس هذا الذي أعطاه إياه, أعجبه الفيلم, طبع عنه, وزعه, وصل لأخيه, هذا أخي, وهذه زوجة أخي, بلغه, اضطر أن يبيع بيته في الشام, باع بيته, وهجر إلى مدينة أخرى-.

طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة :

وشر الأمور محدثاتها.

-الآن: معظم الناس: تجد في الأعراس, في مصورة, أو مصور, في فيلم, كل امرأة بأبهى زينة, بأفصح ثياب, تأتي, تري زوجها العرس؛ هذه من هي؟ هذه زوجة فلان, والله عنده معرفة في الاختيار, هذه من هي؟ هذه من هي؟ هذه أعراض المسلمين, بقيت بالفيلم, كلها موجودة, صحيح لما خطأ؟.

لذلك:

((طوبى لمن وسعته السنة, ولم تستهوه البدعة))

كل متوقع آت وكل آت قريب :

وإنما توعدون لآت:

-يعني كل متوقع آت, وكل آت قريب, بدأنا رمضان؛ اليوم عشرون, العيد على الأبواب, الحج على الأبواب, الصيف على الأبواب, عام تسعة وتسعين على الأبواب, عام ألفين على الأبواب.

الإنسان يفتح, يغمض, جاء ملك الموت, كُتبت نعوته, أصبح نزيل قبره, هكذا الدنيا, تمضي سراعاً.

((ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم! أنا خلق جديد, وعلى عملك شهيد, فتزود مني, فإني لا أعود إلى يوم القيامة))

من الأشياء المحدثه :

((وشر الأمور محدثاتها))

وفي حديث آخر:

((كل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة, وكل ضلالة في النار))

قال: في كندا طبيب جراح, أستاذ في الجامعة, يعني عمل عملية تجميل للسيدات بأثدائهن, ففي قطعة بلاستيك لينة جداً, تُوضع بشرطة خفيفة ضمن الثدي, الخبر الدقيق الآن: في مليون امرأة بكندا, مصابة بسرطان الثدي, والدولة تعطي -الآن- تعويضاً لكل امرأة, مبلغاً ضخماً جداً.

يعني: من قال: إنه يجب أن نضع في الثدي قطعة بلاستيك؟ هذه من قالها؟ هذه أشياء محدثة كلها. ففي شركات تجارية, همها: الربح الأول, والناس حقل تجارب, فأنت ابق مع المنهج الإلهي, هذا الشيء غير صحيح.

قال لي أخ: كان بمونتريال في التلفاز, يذيعون كل يوم: أن كل إنسانة وضعت العملية أجرتها, وصار معها سرطان, لها تعويض من الدولة, طبعاً الدولة: تقاضي الشركة الصانعة لهذه القطع, تقريباً: مليون امرأة معها سرطان, بسبب أنهم وضعوا قطعة بلاستيك داخل الثدي, يعني من أجل التجميل, ليس أكثر.

((فكل محدثة بدعة))

من البدع :

في أشياء كثيرة بحياتنا كلها بدع, ما أنزل الله بها من سلطان.

الآن: تجده يجب أن يشرب مع الأكل, على طول مياه غازية, كلها مواد كيميائية, أصبحت جزءاً من حياته, مثلاً: يشربها من حين لآخر, أما بشكل كثيف جداً, لا, هذه كلها مواد كيميائية أساساً, شيء غير طبيعي.

ينشأ في بعض البلاد, ببلاد النفط, أعلى نسبة فشل كلوي هناك, أعلى نسبة بالعالم, بسبب المياه الغازية الكثيرة جداً.

فالإنسان يبقى طبيعياً, كيف صممه الله على التمر واللبن؟ هما الأطيبان, كما قال عليه الصلاة والسلام, اجعل غذاءك طبيعياً.

نهاية الإنسان :

قال:- وإنما تواعدون لآت, وما أنتم بمعجزين))

مهما طال.

كل مخلوق يموت, ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

دعاء الختام :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-77} : الإحسان - الرحمة التي خصها النبي في ذبح الذبيحة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-01-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أنت أيها الإنسان حسنة من حسنات الله، أنت مظهر إحسان الله لك :

أيها الأخوة الكرام، في صحيح مسلم، عن رسول الله ﷺ - أنه قال:

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحْذَكُم شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَبِيحَتَهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

يعني: يمكن أن يُوصف عمل الإنسان كله، في كل حياته، بكلمة واحدة: الإحسان؛ إذا كان زوجاً محسن، إذا كان أباً محسن، إذا قاض محسن، تاجر محسن، طبيب محسن، سافر في نزهة محسن، صار عنده تعزية محسن.

((إن الله كتب الإحسان على كل شيء))

وأنت -أيها الإنسان-: حسنة من حسنات الله، أنت مظهر إحسان الله لك.

ما هو رد فعلك لخالقك الذي أحسن إليك؟ :

الله عز وجل قال:

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

[سورة القصص الآية: 77]

تعريفك, وجودك, إحسان من الله. الله ﷻ منحك نعمة الوجود, لك وجود, ومنحك نعمة الإمداد, أمذك بالهواء, بالماء, لو الهواء احتاج فواتير, عمل عظيم جداً, قطعوا الماء, هل تستطيع العيش بدون ماء؟ قطعوا الهواء, يموت رأساً الإنسان, الهواء في كل مكان, وبلا مقابل, في كل مكان؛ أمذك, تكرم عليك بالوجود, وبالإمداد, ثم هداك إليه, فأنت مظهر لإحسان الله, رد فعلك الإحسان.

ما أبعاد هذه الآية؟ :

أخواننا الكرام, آية كريمة: أناس كثيرون لا يقف عند أبعادها, قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

حسناً: لم لم يقل: إن شكرتم وصبرتم, إن شكرتم وأحسنتم؟ لم قال:

﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

لأن الكون مسخر لك تسخيرين؛ تسخير تعريف, تسخير تكريم.

لو جاءتك هدية, يعني جهاز هاتف, مستواه عال جداً, له خدمات كبيرة, فُدم لك هدية من مخترعه, رد فعلك ما هذا؟.

أولاً: قدم لك هدية, أنت ممتن, ثم قدم لك في أعلى مستوى, أنت معجب, فإذا قدمت لك هدية ثمينة جداً, ومعقدة جداً, وتقدم خدمات عالية جداً, رد فعلك حيال هذه الهدية: الامتتان والإكبار. حسناً كل هذا الكون: مسخر لك, وأنت لا تدري.

ذلكم الله رب العالمين :

البارحة، بدرس من دروس الموضوعات العلمية، في الأنف، في قرن الأنف: يوجد عشرون مليون عصب، كل عصب له سبعة أهداب، كل هذب مغطى بمادة مخاطية، لزجة، مذيبة، تأتي الرائحة، تتفاعل الرائحة مع المادة المخاطية، المذيبة، يتشكل شكل، رائحة الياسمين مفتاح، رائحة الورد مستطيل، هذا الشكل: حينما يتشكل، طبعاً: تتفاعل الرائحة مع المادة المخاطية، المذيبة، تفاعلاً كيميائياً، يتشكل شكل، الشكل يُرسل برسالة كهربائية للدماغ، بالدماغ: يوجد عشرة آلاف ذاكرة شممية، ماذا يفعل الدماغ؟.

يمرر هذا الشكل المفتاح على عشرة آلاف ذاكرة شممية، تتطابق الياسمين وأنت لا تدري.

عشرون مليون عصب شممي، كل عصب ينتهي بسبعة أهداب، كل هذب مغطى بمادة مخاطية، لزجة، مذيبة، الرائحة تتفاعل مع المادة المخاطية، اللزجة، المذيبة، يتشكل من تفاعلها الكيماوي شكلاً هندسياً؛ بين منحني، بين مستطيل، بين مربع، بين شكل مفتاح، هذا الشكل: يُرسل بإشارة كهربائية إلى الدماغ، مركز الشم في الدماغ: يتسع لعشرة آلاف رائحة، حتى تعرف ما الرائحة؟.

أحياناً: يعطونك عطرًا، تقول: هذا أراميس مثلاً، هذا ورد، كيف عرفت؟ الشكل الهندسي: مُرّر على عشرة آلاف، بلمح البصر.

ذلكم الله رب العالمين.

أنت أيها الإنسان مكرم عند ربك :

أيها الأخوة، النقطة الدقيقة: أنك أنت مكرم:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية:4]

الآن: هذه المثانة، لو لم يوجد فيها عضلات، كيف يريد السائل الموجود في داخلها أن ينزل؟ لا بد من تنفيس، تزييد بوري، أما بالعضلات: هذه تضغط، تفرغ محتواها بأقصى الوقت، لأن الوقت ثمين.

انظر إلى هذه الحكمة الريانية في الإنسان :

الله عز وجل لم يضع أعصاب حس في الشعر, لو وضع أعصاب حس في الشعر, ذهبت إلى الشامي, تعمل عملية حلقة, تريد تخديراً كاملاً, وإذا لم تعمل , سوف تصبح كالوحش.

ربنا عز وجل لحكمة بالغة: شعرنا في أعصاب حس, تقصه عند الحلاق وأنت مرتاح, والأظافر لا يوجد فيها أعصاب حس, مع أن في رأس الإنسان ثلاثمائة ألف شعرة, في كل شعرة وريد, وشريان, وعصب, -عصب محرك, ليس حسياً-, وعصب, وعضلة, وغدة دهنية, وغدة صبغية, في كل شعرة:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية:4]

هذه قصة وقوفك على قدميك والسير بهما كيفما تشاء :

يضعون في المحلات مجسماً, محلات الألبسة, انظر إلى القاعدة: عرضها ثمانون سانتى, حتى يقف, حسناً: أنت واقف على رجل صغيرة, لطيفة, كيف تقف؟ لا تستطيع أن تضع تمثالاً لإنسان على قاعدة صغيرة, يقف. قال: لأن في الأذن الداخلية في ثلاث قنوات هكذا, كل قناة ليس الستائر, القسم العلوي في أشعار, لما تميل, السائل يكون أفقياً, يمس الأشعار, تعمل هكذا

لولا مركز التوازن بالأذن, لا يوجد إنسان يمشي على رجليه إطلاقاً, ولا يوجد إنسان يركب دراجة, هذا التوازن من نعم الله الكبرى, فالتوازن دقيق.

تمشي في الطريق, سمعت صوت سيارة, تأتي على اليمين, ما معنى على اليمين؟ يعني الصوت وصل إلى الأذنين, بفارق واحد على ألف وستمئة وعشرين جزء من الثانية, يرفع الصوت ثلاثمئة وثلاثين متراً بالثانية, فالمسافة بين الأذنين: يصل الصوت إلى هنا قبل هنا, إذا السيارة من هذه الجهة, يصل إلى هنا قبل هنا, واحد على ألف وستمئة وعشرين من الثانية.

قال: بالدماع في جهاز, يحسب تفاضل الصوتين, ويعرف جهة السيارة, يعطي أمر للجهة المقابلة, لولا يوجد هذا الجهاز, يسمع الإنسان بوق مركبة, يأتي أمامها يموت.

والله مرة: قادم من حمص, يعني راكب سيارتي, وجدت قطع غنم, أطلقت البوق, ذهبوا إلى اليسار, قلت: ليس الجهاز عندنا موجود فقط, عند الغنم موجود الجهاز, يعرف الحيوان جهة الصوت عن طريق الأذنين.

ماذا عن العين؟ :

قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

[سورة البلد الآية:8]

العين فيها لوحدها عشر طبقات في الشبكية, وفيها مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط.

ما رد فعل التعريف, وما رد فعل التكريم, ومتى يتوقف العلاج الإلهي للإنسان؟ :

أيها الأخوة, فأنت حسنة من حسنات الله, هذا الكون مسخر لك تسخير تعريف, أنت من خلال الكون تعرف الله, ومسخر لك تسخير تكريم, ما رد فعل التعريف؟ الإيمان, ما رد فعل التكريم؟ الامتتان؛ فإذا آمنت وامتننت, إذا آمنت وشكرت, حققت المراد من وجودك, لماذا العلاج يتوقف؟ الآية دقيقة:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء الآية:147]

﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

لذلك: الإنسان حينما يؤمن ويشكر, يتوقف كل أنواع التأديب, لأنه حقق المراد من وجوده:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية:4]

ما هي البروستات عند الإنسان؟ :

في بروستات, تسمعون عنها كثيراً, ما هي البروستات؟ هي مثل شرط السير, واقفة عند مفترق طريقين؛ طريق الخصيتين, وطريق البول, يجتمعان في المستقيم, هو البروستات, الآن: يدر فيه البول, البول مادة حامضية, مخرشة, تفرز البروستات مادة قلوية معدلة, ليبقى مجرى البول سليماً.

الآن: ماء الحياة يريد أن يخرج من الخصيتين, الطريق فيه بول, تفرز البروستات مادة مطهرة, ومادة معطرة, ومادة مغذية, وتفتح طريقاً, وتغلق طريقاً, خمساً وثمانين سنة, لا تكل ولا تمل, هذه البروستات, شيء خطير جداً.

من آيات الله الدالة على عظمته :

البلعوم: أنت نائم, مرتاح, اللعاب كثر في فمك, إذا كثر اللعاب, تذهب إشارة إلى الدماغ وأنت لا تدري, الدماغ يعطي أمراً للسان المزمار, يغلق طريق الرئتين, يفتح طريق المري, تلع ريقك وأنت نائم, أنت هل تعلم أنك بلعت ريقك, من فوق الخمسة مرة في الليلة؟ ليس عندك علم, بالتعبير الآلي: فل أوتوماتيك كامل, تنام مرتاحاً. في نقطة أهم:

الآن: إذا إنسان -لا سمح الله- صار معه ثبات, فوراً يريد فرشاة ثمنها ألوف, هزازة, وإلا يتفسخ لحمه, كل إنسان مصاب بالثبات, عدم الحركة, خلال أيام يتفسخ لحمه. الله عز وجل قال قبل:

الإنسان نائم على الفرشة, له هيكل عظمي, وفوق الهيكل العظمي عضلات, الهيكل العظمي + العضلات التي على فوقه, تضغط على العضلات التي تحته, اللحم يهرس, لما اللحم ينضغط, الأوعية تضيق لمعتها, تنمل الرجل, التتميل والخضران, يعني التروية ضعيفة, فصار في انضغاط.

يوجد في العضلات مراكز الضغط, هذه المراكز حينما تُضغَط الأوعية, تُعطي إشارة للدماغ, الدماغ يعطي الأمر,

يقلب النائم, أنت نائم, ومستغرق في النوم, تقلب بعد ريع ساعة, انضغط القسم الثاني, يأتي أمر من الدماغ, تقلب قلبة ثانية, لكن القلبات عكس بعضهم, لو كان مع بعضهم, تقع من السرير. قال:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

[سورة الكهف الآية:18]

لولا الانقلاب, الإنسان يتفسخ, تصوروا إنساناً نائماً, يتقلب في الليلة من ثمان وثلاثين لأربعين قلبة!!:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

[سورة الكهف الآية:18]

هذه من آيات الله الدالة على عظمته.

لذلك: هذا الكون مسخر تسخير تكريم, ومسخر تسخير تعريف؛ فينبغي أن تعرف الله من خلال الكون, وينبغي أن تشكره وتحبه من خلال هذا الكون, فإذا كان رد فعلك الإيمان والشكر, حققت الهدف من وجودك.

إليك هذا المثال لتوضيح معنى هذه الآية :

قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

أنت أب, عندك ابن, جلاؤه كله جيدات, وثناءات, وأحسنت يا شاطر, أتمنى لك النجاح, وجائزة, وتقدير, ومرحى, وهدايا, تضربه كف لابنك؛ لأنه ناجح, لأنه أديب, لأنه نظيف, لأنه مرتب؟ مستحيل. انظر الآية ما أجملها:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

يعني: أنا -يا عبادي- أنتظر منكم: أن تؤمنوا بي وتشكروني, فإن فعلتم, أوقفت كل المعالجات.

إذا شخص منا, يحب الله, يرفع عنه كل الضيق, وكل التعب, وكل الهم, وكل الحزن, يؤمن ويشكر, إذا فعل هذا, حقق المراد من وجوده:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

ما محور هذه الآية؟ :

أيها الأخوة, بل إن هناك آية, تملأ القلب طمأنينة:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

حسناً: إذا قال المسلمون, على شاكلة هؤلاء: نحن مسلمون يا أخي, نحن أبناء أمة محمد, شيء جميل والله, حسناً:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

لماذا الله ينزل عقوباته علينا؟ لماذا؟ معناها: عندنا أخطاء.

حسناً: لو أن الله أقرنا: على أننا أحبابه, لما عذبنا.

الإمام الشافعي يقول: إن الله لا يُعذب أحبابه.

إذا أنت محب له, مطيع, لا يعذبك.

ما مغزى هذا الحوار الذي دار بين النبي وبين معاذ بن جبل؟ :

سيدنا معاذ: ركب خلف النبي - هذا حديث مطمئن - قال له:

((يا معاذ، ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم، سأله مرة ثانية: يا معاذ، ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسوله أعلم، سأله الثالثة، فأجابه النبي، قال له: حق الله على عباده: أن يعبدوه -نطيعه، هذا حق- .

فلما أجاب هذه الإجابة، سأله سؤالاً ثانياً، قال له: يا معاذ، ما حق العباد على الله، إذا هم عبده؟ قال: الله ورسوله أعلم، سأله الثانية، الثالثة، قال له: ألا يعذبهم))

فالله عز وجل: أنشأ لنا حق عليه، يمكن أن نطالبه به، إذا عبدته لا يعذبك:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى الآية:30]

((لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد، وسألني كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي، إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر؛ ذلك لأن عطائي كلام، وأخذي كلام -دققوا الآن- فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه))

دعاء الختام :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-78} : الصدق والبر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-22

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

كم نوع للصدق، وما هما؟ :

أيها الأخوة الكرام، من الأحاديث الأساسية في أصول الدين، ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود -رضي الله عنهما-، أن النبي -ﷺ- قال:

((إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا))

فما هو الصدق؟.

الصدق نوعان كبيران: صدق الأقوال، وصدق الأفعال، وقد تقول شيئاً والواقع خلافه، قد تروي شيئاً ليس صحيحاً، فهذا كذب الأقوال، فإذا كان صحيحاً، فهذا صدق الأقوال، هذا الذي ألفه الناس عن الصدق؛ ولكن الشيء الدقيق: هو أنك قد تعلن شيئاً، ويأتي فعلك خلافه، هذا كذب الأفعال، فإن جاء الفعل مصداقاً لما تقول، هذا صدق الأفعال.

لذلك: الناس لا يمكن أن يُصغوا إليك، إلا إذا رأوا أفعالك مطابقة لأقوالك، فمن كان صادقاً في أقواله، وأفعاله، هذا الصدق، لا بد من أن يهديه إلى هذا الدين العظيم، إلى البر.

لأنه يوجد في الكون حقيقة واحدة: هي الله، هذه الحقيقة: إن كنت صادقاً في طلبها، وصلت إليها:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

ما الدليل من الكتاب على أن الله لا يمكن أن يعذب إنساناً من دون سبب؟ :

الله ﷻ قال :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء الآية:147]

يعني: إذا ابنك أخذ بجلائه عشرات, كله جيد, وأخلاقه عالية, ومعاملة طيبة لأخواته, وبار بك وبأمه, الضرب ليس له معنى. مثل بسيط منتزع من حياتنا اليومية:

لا يوجد أب في الأرض, يضرب ابنه الناجح, المتفوق, الأخلاقي, المهذب, اللطيف, النظيف, مستحيل, يكون إنساناً شريراً أساساً. فإذا كان الإنسان لا يُوقَع أذى بابنه المستقيم, فالواحد الديان: يمكن أن يعذب إنساناً بلا سبب؟ قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى الآية: 30]

يجب أن تعتقد :

يجب أن نعتقد: أن كل شيء وقع إرادته الله, وأن كل شيء أرادته الله وقع, وأن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة, وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

يعني: عمل لله بلا حكمة, مستحيل؛ فالمؤمن لا يعترض, والمؤمن لا ينتقد, والمؤمن لا يُسيء الظن بالله عز وجل.

لو اطلعتم على الغيب, لاخترتم الواقع.

والله لو كشف الغطاء , ما ازددت يقيناً .

والله لو علمت أن غداً أجلي , ما قدرت أن أزيد في عملي .

حقيقة لا بد من أن تعرفها عند الموت :

في حقيقة لا بد من أن تعرفها عند الموت:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 22]

الناس فرق, ومذاهب, واتجاهات, وأفكار, وكلٌّ يطعن بالآخر, وكل يدعي العصمة, حسناً: من يحكم بين هؤلاء؛ هؤلاء المتفرقون, المتشردمون, هؤلاء المتعدون في مذاهبهم, واتجاهاتهم, وسلوكهم, واعتقادهم, من يحكم بينهم؟
الله ﷻ. عند الموت: لا بد من أن تعرف الحقيقة المطلقة عند الموت:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 22]

هذه الحقيقة المطلقة: إن عرفتها وأنت حي, كنت أسعد الناس.

خيارك مع الإيمان خيار وقت :

أنا أعيد وأكرر: خيارك مع الإيمان خيار وقت, ما الخيار الآخر؟ خيار قبول أو رفض.

قد تُعرض عليك فتاة لتتزوجها, تقول: لم تعجبني رفضتها, قد يُقترح عليك شراء بيت, تقول: صغير رفضته, قد تعرض عليك وظيفة, تقول: راتبها قليل ترفضها. في أشياء بحياتك كثيرة جداً, موقفك منها قبول أو رفض, أما الإيمان: أي إنسان

من هو أكثر كفار الأرض؟ الذي قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات الآية: 24]

فرعون, عندما أدركه الغرق, ماذا قال:

﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾

[سورة يونس الآية: 90]

إذاً: أكفر كافر: سوف يؤمن عند الموت, حسناً.....

إذاً: القضية, قضية: متى تؤمن؟ لا بد من أن تؤمن عند الموت, فالقضية إذاً: متى تؤمن؟.

فخيارك مع الإيمان خيار وقت, ليس خيار قبول أو رفض؛ فإما أن تؤمن قبل فوات الأوان, وأنت من أسعد الناس, وإما أن يأتي الإيمان عند الموت, يوم:

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية: 158]

﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية: 158]

فالحقيقة التي سوف تراها عند الموت؛ كن من شئت, لو سكنت في أقصى الدنيا, لو جئت من أقصى الشمال, من أقصى الجنوب, من أقصى الغرب, لو سكنت في جزيرة, في قمة جبل, في عرض البحر, وكنت بحاراً, كن أي إنسان, عندما يأتي الموت, تُكشف لك الحقيقة.

الحالة التي تصيب الإنسان حينما يعرف حقيقة الإيمان عند الموت فقط :

أيها الأخوة، يقع الندم:

﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[سورة الفجر الآية:24]

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر الآية:25]

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:27]

هذا الندم الشديد سببه: أنك أثناء كنت في صحتك، وعافيتك، ما طلبت الحقيقة، طلبت الدنيا، الدنيا بين يديك.

مشكلة الناس اليوم :

مشكلة الناس الآن: أنهم يعيشون لحظتهم، ما دام صحته طيبة، وجيبه مليئة، وبيته عامر، انتهى الأمر، لا يحسب حساباً للمغادرة؛ ساعة المغادرة، ساعة فراق الدنيا، ساعة الخروج من البيت أفقي، يخرج الإنسان كل يوم عامودياً، أليس هكذا؟ يذهب ويرجع، يذهب لكن في مرة يخرج هكذا هذه هكذا بلا رجعة، هكذا، خلص انتهى.

الساعة الثانية عشرة لا يُقال: أين فلان، تأخر، لماذا لم يأت؟.

هل سمعتم: إنسان مات واندفن، أهله في الليل سألوا عنه: تأخر، لماذا لم يأت إلى الآن؟ خير، خير إن شاء الله، ألم تدفنوه؟ لم يعد يرجع انتهى. فهذه الطلعة أفقي، مشكلة الطلعة أفقي، مشكلة كبيرة جداً.

فهذه اللحظة: أصعب لحظة بحياة الإنسان؛ فإذا كان ذكياً، وعاقلاً، يستعد لها من الآن، يعني يكشف الحقيقة التي لا بد من أن تُكشف له عند الموت، إن اكتشفها الآن استثمارها، وانتفع بها، إن جاءت متأخرة لا قيمة لها،

أدرك نفسك من أن تقع في هذا المصاب :

الإنسان في الدنيا -أحياناً- يظن أنه فالح:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف الآية:103]

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف الآية:104]

الإنسان وهو حي: يظن نفسه متفوقاً؛ جمع ثروة طائلة، وصل لمركز حساس، استطاع أن يقنع الناس بشيء هو غير قانع فيه؛ لكن أقنعهم، واستفاد من إقناعهم، هذا في الدنيا، أما حينما يكشف الغطاء:

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾

[سورة النبا الآية:40]

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾

[سورة النبا الآية:40]

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية:27]

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:107]

﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾

[سورة المؤمنون الآية:108]

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:109]

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:110]

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:111]

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 115]

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

[سورة القيامة الآية: 36]

من غباء الكافر :

يوجد آية أخرى:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 34]

مرة عرضوا فكرة: عالم جليل من علماء العصور الوسطى، اعتقد: أن الأرض كروية، وصرح بهذه النظرية، فغُذِب، وقتل، والناس يضحكون عليه، لأنه اعتقدها كروية.

نحن -الآن- نضحك على من؟ على من يضحك عليه، أليس كذلك؟ وقتها -وقت إعدامه- الناس فرحوا، وهللوا، وعدوا هذا مجنوناً، لأنه يعتقد الأرض كروية، أما نحن -الآن- إذا شاهدنا هذا المشهد، نضحك على من يضحك

عليه:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 34]

ما معنى هذه الآيات من سورة الواقعة؟ :

ما معنى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾

[سورة الواقعة الآية: 1]

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 2]

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 3]

يعني: قد يكون الإنسان حاجباً، مستخدماً، مستقيماً، مطيعاً لله عز وجل، شأنه صغير، حجمه صغير، وفي إنسان كبير، له حجم كبير، له أموال طائلة، له أهل، له أتباع، يأتي الموت، فيجعل هذا الصغير المستقيم فوقه يوم القيامة:

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 2]

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 3]

الأمور بخواتيمها:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:128]

قرآتم تاريخ الصحابة؛ هؤلاء الذين وقفوا مع النبي، والذين حاربوه، والذين هجوه، والذين كذبوه، بالنهاية: سيدنا الصديق: تقف أمامه بأدب، تقرأ له الفاتحة، وفي دعاء خاص له، أما أبو جهل: تلعنه الملائكة، والناس أجمعون. ففي أشخاص عارضوا النبي، أصبحوا في مزبلة التاريخ، وفي أشخاص في أعلى عليين.

الإنسان في النهاية كلمة أخواننا، كلمة في النهاية، يعيش ثمانين سنة؛ يأخذ شهادة، يعمل تجارة، يعمل صناعة، يعمل زراعة، يعمل وظيفة، يتزوج، ينجب أولاداً، يشتري بيتاً، يزوج أولاده، إذا مات بعد كذا سنة، يحكى عنه كلمة واحدة: فلان وفقه الله، وإذا إنسان ابن حرام، يقول لك كلمة واحدة، وينتهي عملك كله إلى كلمة واحدة؛ فإما أن تكون محسناً، أو غير محسن.

قانون رباني :

فإن الصدق في طلب الحقيقة، يهديك إلى سعادة الدنيا والآخرة.

البر الإحسان.

أنت مخلوق للإحسان، فإن كنت محسناً دخلت الجنة.

يعني: إن صدقت في طلب الحقيقة؛ آمنت بالله، واستقمت على أمره، وأحسننت إلى خلقه، فكان هذا الإحسان ثمن الجنة، سعادة إلى الأبد، وإن لم تكن صادقاً في طلب الحقيقة، كذبت على الناس، وأوهمتهم أنك على حق، ولم تكن صادقاً، هداك هذا إلى الفجور، إلى الشهوات، والفجور تهديك إلى النار.

هذا مختصر مفيد، هذا قانون، معادلة دقيقة جداً: إن كنت صادقاً في طلب الحقيقة، قادتك الحقيقة إلى الإيمان بالله، والاستقامة على أمره، الإحسان إلى خلقه، وهذا اسمه بر، كله قادتك إلى الجنة، وإن لم تكن صادقاً في طلب

الحقيقة، قارك هذا إلى التقلت من منهج الله، والإساءة إلى خلق الله، وإرواء الشهوات بالحرام، فكان هذا سبباً لدخول النار، فأصبح قضية سهلة؛ تعرفه، تتضبط بمنهجه، تُحسن إلى خلقه، تسعد في الدنيا والآخرة، تغفل عنه، تتقطع عنه، تتقلت من منهجه، تُسيء لخلقه، تشقى في الدنيا والآخرة.

الناس رجلان هما؟ :

الناس رجلان؛ شقي وسعيد، قبل شقي وسعيد، محسن ومسيء، قبل محسن ومسيء، منضبط ومتقلت، قبلهما متصل ومنقطع، قبلهما يقظ وغافل؛ إنسان عرف، إنسان غفل، إنسان انضبط، إنسان تغلت، إنسان أحسن، إنسان أساء، إنسان صعب، إنسان فقه.

يؤكد هذا قول النبي الكريم:

((الناس رجلان.

-في خمسة آلاف مليون إنسان، يقول لك: يوجد في مكان واحد مثلًا لغة؛ كم فرقة، وكم طائفة، وكم ملة، وكم مذهب، وكم اتجاه، وكم اعتقاد؟ بالألغات.

لا أدري قال: أربعمئة ديانة في الهند، أربعمئة ديانة، مثلًا لغة؛ لغة، وديانات، وطوائف، وأحزاب، واتجاهات.-.

النبي يقول: الناس في النهاية رجلان -فقط اثنان، هذا التقسيم باطل؛ في رجل عرف الله، فاتصل به، فطبق منهجه، فأحسن إلى خلقه، فسعد في الدنيا والآخرة، وإنسان غفل عنه، انقطع عنه، تغلت، أساء، شقي في الدنيا والآخرة.-.

الناس رجلان -قال النبي الكريم-؛ بر تقي كريم على الله عز وجل، وفاجر شقي هين على الله عز وجل))

[أخرجه الترمذي في سننه]

إن وجدت الناس معذبين, قل هذه المقولة: هان أمر الله عليهم, فهانوا على الله

أيها الأخوة, إن وجدت الناس معذبين, قل هذه المقولة: هان أمر الله عليهم, فهانوا على الله.

هان أمر الله عليهم, فهانوا على الله.

الآن: أكثر كلام الناس؛ لا تدقق, لا أدقق, يعني آكل مالا حراماً؟ أكذب؟ أنافق؟ ارتكب الموبقات؟ لا أدقق, هذا كلام فارغ, لا تدقق, كلمات العوام خطيرة جداً.

من هون ليوم الله يفرجها الله.

ضع رأسك بين الرؤوس, وقل: يا قطاع الرؤوس.

ابن أخذ أمني عني.

كلمات النفاق, والكفر, والفجور, هذا كله كلام, يجب أن يركل بالأقدام.

التعليق على هذه القصة :

سيدنا عمر بن الخطاب, -دققوا في القصة- جاءه ملك, جاءه مسلماً -يعني إذا أنت عندك -مثلاً- في المحل صانع, والتقيت بملك, في فرق بينهما-, فجاءه ملك اسمه جبلة, أعلن إسلامه, -مكسب كبير هذا الملك- يطوف حول الكعبة, جاء بدوي بالخطأ, داس طرف إزاره, فانخلع عن كتفه, فهذا ملك, وله عظمة وصولجان, التفت نحوه, وضربه على أنفه, هشم له أنفه, فهذا بدوي؛ فقير, ضعيف, أكل ضرباً بلا سبب, من شخص يطوف حول الكعبة, ذهب إلى عمر, سيدنا عمر استدعاه. قال له:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟.

فقال جبلة:

لست ممن يكتم أو ينكر شيئاً أن أدبت الفتى أدركت حقي بيديا

قال له:

أرض الفتى لا بد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه
أو يهشمناً الآن أنفك - يخاطب ملكاً - وتنال ما فعلته كفك

-هذا صعق-.

قال له:

كيف ذاك يا أمير -معقول- هو سوقة وأنا عرش وتاج ممكن-.
كيف ترضى أن يخز النجم أرضاً!؟

قال له:

نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً
وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا

قال له :

كان وهماً ما جرى في خلـ دي أنني عندك أقوى وأعز
أنا مرتد إذا أكرهتني

قال له:

عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبييه كل صدع فيه
بشبا السيف يداوى وأعز الناس بالصعلوك تساوى

تعليق على القصة، طبعاً هرب في الليل، وانتكس، وارتد عن دينه، وبعد ذلك: ندم أشد الندم.

التعليق: سيدنا عمر، ضحى بملك، ولم يضح بمبدأ.

في الإسلام: لا يوجد حل وسط، لم يضح بمبدأ.

ملخص الدرس :

فملخص الدرس: يوجد في الكون حقيقة واحدة؛ إن طلبتها بصدق, وصلت إلى السعادة المطلقة في الدنيا والآخرة, وإن غفلت عنها, شقي الإنسان في الدنيا والآخرة.
أخواننا الكرام, يعني إن شاء الله آخر درس في رمضان.

دعاء الختام :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-79} : ضرورة تهيئة الإنسان نفسه لساعة مغادرة الدنيا

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور راتب محمد النابلسى بتاريخ: 28-02-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

انظر إلى هذه المقولة لعلي بن أبي طالب :

أيها الأخوة الكرام, الإمام علي -كرم الله وجهه- يقول: والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. يقينه قبل كشف الغطاء, كيقينه بعد كشف الغطاء, أما أكثر الناس إذا جاءهم ملك الموت, كشفت لهم الحقائق التي كانت غائبة عنهم.

ف

((الناس نيام, إذا ماتوا انتبهوا))

خيارك مع الإيمان خيار وقت :

قال تعالى:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية:22]

وخيارنا مع الإيمان خيار وقت, خيار وقت, لا خيار قبول أو رفض, لأن كل بني البشر عند انتهاء أجلهم تُكشف لهم الحقائق, لكن هذا الإيمان لا ينفع إطلاقاً:

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمْنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية:158]

ما مبادرة هذه المقدمة؟ :

أيها الأخوة، قدمت هذه المقدمة، ومعها حديث آخر للإمام علي -كرم الله وجهه- يقول: والله لو علمت أن غداً أجلي، ما قدرت أن أزيد في عملي.

ينطلق بأعلى سرعة، ولو علم أن غداً أجله، لا يستطيع أن يزيد في عمله.

هذان القولان، قفزا إلى ذهني، بسبب أنني قبل أن أكون عندكم اليوم، جاءني اتصال هاتفي من ألمانيا، أخ كريم يقيم فترة هناك، وفترة في الشام، قال لي: أنا داخل إلى المستشفى لإجراء عملية في القلب، وقد لا أخرج منها حياً، فأرجو يعني أن أوصيك بابني خيراً، و إلى آخره، وصية طويلة أملاها على الهاتف.

والبارحة كنت في زيارة أخ كريم، أيضاً: أصيب في قلبه، رأيته في حالة، يعني دمعه غزيرة، وعبرته وفيرة.

يعني: فكرت أن الإنسان حينما يأتيه الشيء الخطر يتذكر؛ ليت الإنسان يتذكر وهو في صحته، وهو في قوته، وهو في غناه، وهو في بحبوحة وقته المديد، لأن هذا حدث ينتظرنا جميعاً، هل يستطيع واحد منا وأنا معكم، أن ينجو من هذا الموقف؟ يعني: كل يوم يستيقظ كالذي سبقه إلى ما شاء الله؟ لا، لا بد من أن يفاجأ في أحد الأيام، أن هناك خلل في جسمه، هذا الخلل: إذا كان مرض الموت، يتفاجأ إلى الموت.

حسناً: الإنسان إذا رأى نفسه سيغادر، ألا ينبغي أن يكون يقظاً وحذراً؟.

حديث خطير :

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((بادروا بالأعمال الصالحة -فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ماذا ينتظر؟- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً -قد يأتي فقر ينسيك كل شيء، دون أن تتأهب له، كما أن الله سبحانه وتعالى يعطي فيدهش، يأخذ فيدهش- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً -الغنى الذي يحملك على معصية الله، مصيبة من أكبر المصائب،

الغنى المطغي- أو مرضاً مفسداً -مرض يفسد عليه حياته- أو هراً مفنداً -شيخوخة, سميت في القرآن:
أرذل العمر:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

أو موتاً مجهزاً, أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

خطر لا ينتبه إليه كثير من الناس :

أيها الأخوة, فكلنا جميعاً وأنا معكم, لا بد من مغادرة الدنيا, فبدل أن نندم أشد الندم, ونحرص على عمل صالح قبيل الوفاة؛ ونحن أصحاب, ونحن أشداء, ونحن أغنياء, ونحن في بحبوحة, ينبغي أن نفكر في ساعة المغادرة, وأكبر خطر يتهدد الإنسان: هو أن يعيش لحظته, دون أن يفكر في المستقبل, المستقبل في لقاء مع الله عز وجل.

ومن نعمة الله على الإنسان: أن الأعراض التي تصيب جسمه من شيب, أو ضعف بصر, أو أسنان, أو مفاصل, أو كولسترول, أو شحوم, أو بعض الآلام في الجهاز الهضمي, أو في هذه إشارات من الله لطيفة: أن يا عبدي, قد قرب اللقاء, فهل أنت مستعد له؟.

كيف نستعد لهذا اللقاء؟ بالتوبة النصوح, بالعمل الصالح, بطلب العلم, بتعليم العلم, بإطعام الفقراء والمساكين, بالأمر بالمعروف, بالنهي عن المنكر.

هل فكرت في ساعة المغادرة من الدنيا؟ :

أيها الأخوة, فثلاثة لقاءات في هذه الليلة واليوم مع أخوان كرام, يعني أصيبوا بقلوبهم, وبكوا يعني دون أن يتمنوا أن يبكوا, لأنهم شعروا أن الأجل صار قريباً, صار في آفة بالقلب, القلب أخطر عضو بالإنسان, ويتمنى أن يعمل صالحاً.

أنا أتمنى وأنت صحيح القلب, أن تفكر في ساعة المغادرة, وأن تتفق مالك في سبيل الله, وأن تتفق وقتك في

سبيل الله.

((بادروا بالأعمال الصالحة - يعني: تسابق إليها, اجعلها مبادرة, فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً, أو غنى مطغياً, أو مرضاً مفسداً, أو هرمًا مفنداً, أو موتاً مجهزاً, أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟))

من هو الإنسان الخاسر؟ :

أيها الأخوة الكرام, من كرامة الإنسان عند الله عز وجل: أنه أعطاه عقلاً, والعقل أداة معرفة الحقائق؛ فالذي يعطل عقله, ويتحرك بمنطلق من غرائزه وأهوائه, إنسان خاسر, فهؤلاء الذين أرادوا الدنيا, واطمأنوا لها:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

[سورة يونس الآية:7]

هؤلاء يندمون أشد الندم عند مغادرة الدنيا.

رسالة تهنئة لكل مؤمن عرف الله وسار وفق منهجه :

أيها الأخوة, والله ما رأيت أعقل من المؤمن, لأنه عرف الله في الوقت المناسب, وعرف منهجه, وطبق منهجه, فالذي يعد عند الناس أكبر المصائب, هو يعد عنده عرس, وأسعد لحظات حياته: الذي يموت على الإيمان, هذه سعادة كبرى, لا تدانيها أية سعادة, لأن الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده في جنة عرضها السموات والأرض, وأرسل به إلى الدنيا, ليهييء نفسه بهذه السعادة, ليعمل عملاً صالحاً, يصلح للعرض على الله عز وجل, يصلح له ليدخل به الجنة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية:32]

اسأل نفسك هذا السؤال :

هذه فقرة من الدرس متعلقة بهذه الاتصالات الثلاثة، التي يعني كانت في هذا اليوم واللييلة من أخوة كرام، يعني أصيبوا بأمراض.

قال لي: قد لا أخرج من المستشفى وبكى، والثاني كذلك، والأول كذلك، معنى ذلك: ونحن جميعاً على هذا الطريق.

لذلك الإنسان: ليسأل نفسه سؤالاً محرراً، هل بقي بقدر ما مضى؟ هل بقي بقدر ما مضى؟ الذي تجاوز الأربعين.

يعني: إذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((معترف المنايا بين الستين والسبعين))

فالذي تجاوز الأربعين، يجب أن يعلم أنه قد بقي أقل مما مضى، كيف مضى الذي مضى؟ مضى كالمح البصر، وإذا كان الذي بقي أقل من الذي أمضى، يمضي -أيضاً- كالمح البصر.

وما هي إلا هي غمضة عين وانتباهتها فإذا الإنسان تحت أطباق الثرى

نظرة فيها عبرة :

مرة وقفت في هذا السوق؛ سوق الحميدية، ونظرت إلى محلاته التجارية، قلت: سبحان الله! كل خمسين سنة في طقم جديد، أليس كذلك؟ البيوت كذلك.

وقف أمام شارع في بنايات، كل خمسين سنة في طقم جديد؛ يموت، يُباع البيت، يشتريه إنسان آخر، يجدده، يكبر في السن، يموت، يأتي أولاده يبيعونه، وهكذا فالبيوت، والمحلات التجارية، يتجدد أصحابها كل خمسين عام تقريباً. الله عز وجل جعلنا خلائف في الأرض.

موقف عصبى ينبغي أن لا تنساه :

فمرة سألوا طالب وصل للدرجة الأولى على القطر في البكالوريا, أجروا معه مقابلة الصحيفة, فأنا قرأت المقابلة, يعني أعجبني شيء, فيه شيء رائع, يعني: ما سر نجاحك؟ ما سر التفوق الذي أنت فيه؟ قال: لأن لحظة الامتحان لم تغادر ذهني إطلاقاً.

وأنا أقول لكم: لحظة مغادرة الدنيا, ينبغي ألا تغادر أذهاننا إطلاقاً, إذا كانت أماننا, إذاً: نحن ندخل حسابات الآخرة في أعمالنا اليومية؛ بكل موقف, بكل حركة, بكل نظرة, بكل سكرة, بالعطاء, بالمنع, ببيعك, بشرائك, ماذا سأجيب الله عز وجل؟ ما موقعي من الله عز وجل؟ لو أن الله سألني ماذا أجيبه؟ لم فعلت؟ لم أعطيت؟ لم منعت؟ لم وصلت؟ لم قطعت؟ لم غضبت؟ لم رضيت؟.

فالإنسان لما يهيبه نفسه للقاء الله عز وجل يأتي الموت, يعني يأتي بشكل مقبول.

من آيات الله :

الصالحون -دائماً- موتهم آية من آيات الله, الذي يقول الذي على فراش الموت لأولاده: يا بني, قم سلم على عمك, لا يوجد, أين عمو؟ لا يوجد أحد, جاءه ملك الموت بصفة أحب الناس إليه, يأتيه ملك الموت بصفة أحب الناس إليه, فالإنسان ينبغي أن يكون مستعداً للقاء الله عز وجل. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:102]

يعني: لا يأتينكم الموت إلا وأنتم خاضعون لله عز وجل.

يعني: إذا كان سيأتي إنسان ليأخذك إلى مكان جيد, وأعطاك موعد بين الثانية والثانية, وأنت حريص جداً على أن تكون معه, ولا ينتظرك ولا ثانية, ماذا تفعل؟ تهيب نفسك من الثانية الأولى, في أية ساعة طرق الباب, أنت جاهز.

رأي شخصي :

أنا أرى: أن المؤمن لا يسعد إلا إذا كان جاهزاً جاهزية تامة لمغادرة الدنيا, لأن القضية سهلة؛ أد الذي عليك, ابتعد عن كل مشكلة, أد واجباتك, أد ما عليك من حقوق, أد صلواتك, اضبط جوارحك, اضبط أعضاءك, اضبط بيتك, عمك, أنت عندئذ مستعد للقاء الله عز وجل.

من مزايا الشام :

وفي أخ آخر, يعني سألني أن أعطيه بعض الانطباعات عن سفرتي الماضية, قلت له: هذا الإسلام العظيم, أولاً: كل شخص يعيش في بلد فيها سلبيات, وفيها إيجابيات؛ إيجابيات بلاد الشام -أدامها الله لنا- لا يعرفها إلا من ترك هذه البلاد.

يعني: نحن نتمتع بأشياء ثمينة جداً, يفتردها معظم الناس في البلاد الأخرى, نتمتع بهذا المنهج القويم الذي, لا أقول جميع الناس, لكن معظم الناس يسيرون عليه.

يعني: أكثر الأسر تستمر إلى نهاية الحياة, أما هناك التقلت الشديد من منهج الله, الحرية البهيمية, جعلت الأسر تنتهي بعد سنة أو سنتين, فالنساء يعشن وحدهن, والرجال يعشن وحدهن, والإنسان حر إلى درجة تدعو إلى القرف والتفرز, يعني الشذوذ هناك كبير جداً, وعالي النسب, والمخدرات, وتفكك الأسرة, يعني بالعين الظاهرة بلاد جميلة جداً, وغنية جداً, والأمور ميسرة جداً, أما النفوس شقية جداً, لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

[سورة طه الآية:124]

هذه آية قرآنية, وهذا كلام خالق الكون, ولا يمكن, ولا يمكن لإنسان على وجه الأرض في القارات الخمس, أن يسعد وهو بعيد عن الله, مستحيل, لذلك: ما دام ذكر الله منعماً, السعادة منعمة.

وليس للخبز وحده يحيا الإنسان.

هذا كلام السيد المسيح: ليس للخبز وحده يحيا الإنسان.

كل شيء ميسر, لكن لا يوجد سعادة, وقد تجد في بلاد أخرى كل شيء صعب, وفي سعادة؛ حينما تشعر أنك في طاعة الله, وأنت مطيع لله, وأن هذا المنهج القويم مطبق له, فهذه سعادة كبرى, لا يعرفها إلا من فقدوها, لأنه يوجد ثلاثون حديث صحيح في الترغيب والترهيب, تحض على السكنى في الشام.

قال عليه الصلاة والسلام:

((رأيت عمود الإسلام قد احتمل من تحت رأسي, فأتبعتة بصري, فإذا هو في الشام, فعليكم بالشام في آخر

الزمان))

تلك هي الأمة الغربية :

الحقيقة الدقيقة: أن الإنسان إذا كان حصل المال هناك, وفقد أثن شيء يملكه, وهو الأولاد, الابن أغلب الظن لا ينتمي لا إلى هذه الأمة, ولا إلى هذا الدين, لأنه نشأ في بلاد؛ التعليم فيها على منهج غريب, القيم غريبة, المبادئ غريبة, العقلية غريبة, الأهداف غريبة, اللغة غريبة, فإذا ابنك نشأ على هذه النشأة, وانسلخ عن أمته, وعن دينه, وعن لغته, وهو ابنك, وامتدادك, وبضعة منك, وفلذة كبدك, فيشقى الأب بشقاء ابنه. ولا يوجد أسرة أقامت هناك, إلا وفقدت أثن ما تملك وهو أولادها, طبعاً: ما فقدت وجودهم, هم عندها؛ لكن فقدت انتماءهم, وفقدت اتصالهم, وفقدت دينهم, وفقدت يعني انتماءهم لأمتهم, فلذلك

دعوة للمغترب المسلم بالعودة إلى وطنه :

أحياناً الإنسان: يقرأ حديثاً, يفهمه, يتلوه على الناس, يشرحه, لكن لا يعيشه, أحياناً يعيش الحديث.

أنا حديث أقرؤه في جامع الصغير, أقرؤه مراراً:

((من أقام مع المشركين, برئت منه ذمة الله))

في هذه السفارة, تذوقت هذا الحديث, يعني أعلى شيء عليك ابنك, ابنك ليس عربياً, ولا مسلماً, انسلخ من أمته, ومن إسلامه, ومن لغته, فالإنسان حينما يفقد أولاده, يفقد انتماءهم, ماذا حصل؟ لم يحصل شيئاً. لذلك: ما رأيت أعقل من الذين ذهبوا وعادوا, ولو عاشوا حياة دون التي كانوا يعلمونها, لكن حصلوا شيئاً ثميناً,

وهو أنهم كسبوا أولادهم.

اعرف قيمة بلدك :

وقال لي أخ كريم, قال لي: حينما تقيم هناك, تضحى بأثمن ما تملك وهم أولادك, ولو أن الآباء نجوا, نجوا من فساد عريض, أما الأبناء لا ينجون, ففي مشكلة, هذه المشكلة

يعني: أنا أدعوكم إلى أن تعرفوا قيمة بلدكم؛ قيمة مجلس علم, قيمة أذان, قيمة أن في البلدة يوجد أخوك, وأخوك الثاني, وأختك, وابن عمك, وابن خالتك, وفي زيارات, وفي علاقات, وفي شيء اسمه حياء, عيب, في شيء اسمه عيب, في شيء اسمه مخجول, هناك حرية بهيمية, هذه الحرية: تجعل الإنسان لا يطاق ولا يحتمل.

إحصائيات :

مرة كنت في درس من دروس الأحد بالنابلسي, فأما في إحصاء عن حالات الطلاق في أمريكا, خمس وستون بالمئة من الزواج ينتهي إلى الطلاق, بأقل من عامين, وفي بلد آخر بأوروبا, سبعة وثلاثون بالمئة, وكان يحضر الدرس أحد أخواننا قضاة الشرع, القاضي الأول, فسألته أمام أخواني: كم النسبة عندنا؟ قال لي: ثمانية بالألف بفضل الإسلام.

يعني: أكثر الحالات يستمر الزواج, تجد الإنسان يعيش مع زوجته أربعين, خمسين سنة, له أولاد, له أصهار, وله

فهذه نعم لا يعرفها إلا من فقدها, والمؤمن يعني يعرف النعم بوجودها لا بفقدها, أشخاص كثير لا يعرفون النعمة إلا بفقدها, حينما تُفقد يعرفونها, لا, ينبغي أن تعرفها وهي موجودة.

من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله :

فالإنسان لا ينسى الإيجابيات في بلده, لا ينسى أنها هذه بلاد مسلمين؛ أكثر الأكل حلال, هناك أكثر الأكل حرام, و تحتار ماذا تأكل, هذه مذبوحة بشكل غير

يحتار.

((من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله))

يعني: أنا أعينكم، وأعيد أبناءكم: أن يعني يطمحوا إلى هذه التي يسمونها جنة الدنيا، هي والله بهذه العين جنة، أما بالإدراك العميق والله ليست جنة، والله بلادنا جنة، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- هكذا قال:

((رأيت عمود الإسلام قد احتمل من تحت رأسي، فأتبعته بصري، فإذا هو في الشام، فعليكم بالشام في آخر الزمان))

والدنيا فانية.

ليت الإنسان يدرك هذه الحقيقة :

مررت على مقبرة هناك، قلت: هذه مقبرة، كان هؤلاء هنا، فماتوا ودفنوا، وانتهى نعيمهم المزعوم، وبقيت مسؤولية أعمالهم، والموت ينهي كل شيء؛ ينهي غنى الغني، وفقير الفقير، وقوة القوي، وضعف الضعيف، وينهي متعة الذي استمتع بالدنيا إلى أقصى درجة، وينهي الذي يتعذب في الدنيا حتى توفاه الله عز وجل.

لذلك المؤمن: حينما يلقي الله عز وجل، يرى مقامه في الجنة، يقول: لم أر شراً قط، وأهل الدنيا حينما يأتيهم ملك الموت، يرون مكانهم في النار، فيصيحون صيحة، لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، يقولون: لم نر خيراً قط. فالله عز وجل يجعلنا من المقبولين.

يعني: البطولة أن ترى الحقيقة.

ما الذي ينبغي أن نأخذه من بلاد أعدائنا وما الذي ينبغي أن نتركه؟ :

أحياناً: الإنسان يبهر؛ يبهر بأبنية شامخة، بحدائق، بسيارات رخيصة جداً كلها حديثة، بمحلات تجارية فيها شيء يحار العقل فيه، هذا انبهار شكلي، أما حقيقة الدنيا: هي السعادة التي تأتي من معرفة الله، هذه مفقودة هناك، لذلك: هم يحتاجون إلى ألف عام مجازاً، كي يكونوا في مستوى حياتنا الروحية، وعلاقاتنا الدينية، وأداء صلواتنا، وعباداتنا، وهذه الألفة بيننا، ونحتاج إلى سنوات طويلة كي نكون مثلهم في نظامهم، ودقتهم، وتنظيم حياتهم، ما

الذي يمنع أن نقتبس من أعدائنا مثلاً: الأشياء الجيدة؛ التنظيم، والدقة، وتوفير الوقت، والإنتاج القوي، وتطبيق العمل، والكفاية، والقانون على الجميع؟.

هذه الأشياء إيجابية عندهم، ينبغي أن نأخذ بها، أما سلبياتهم: انهيار الأسرة، والأسرة إذا انهارت، انهار كل شيء، المجتمع أساس الأسرة، فإذا انهارت، انتهى المجتمع.

أربعة أخطار تهدد العالم الغربي :

وقد يقول بعضهم: أن هؤلاء في هذه البلاد، يعيشون على أدمغة الأمم الأخرى، لا على أدمغة شعبهم، هم ضاعوا.

وأنا سمعت تصريحاً لرئيس سابقاً: يعني: ينتظر أمريكا أربعة أخطار، بينما قال المذيع هذه الأخطار، قفز إلى ذهني: ما الأخطار؟ يعني الصين؟ يا ترى أوروبا؟ اليابان؟ لا، قال: تفكك الأسرة، وشيوع الجريمة، وانتشار المخدرات، ومرض الإيدز.

هذه أربعة أخطار تهدد العالم الغربي، والعالم الإسلامي، سموه: الحزام الأخضر، هو المنطقة الخضراء الآمنة من هذه الأخطار، بفضل ليس الدين، بقية الدين، الدين بقي منه بقية فقط، بقية قليلة، في تقلت هنا، لكن بقية الدين، جعلت -أيضاً- هذه البلاد حزاماً أخضر، فكيف لو كان الدين الحقيقي؟ لكننا في حال غير هذه الحال.

دعاء الختام :

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً والباطل باطلاً، أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-80} : التوبة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-03-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما معنى هذه الآية؟ :

أيها الأخوة الكرام، ربنا عز وجل، جعل التوبة صمام أمان، كيف أن هذا الوعاء البخاري، له صمام أمان لئلا ينفجر، فالله ﷻ لحكمته البالغة؛ علمه، وخبرته، جعل التوبة للإنسان منفذ الإخلاص، فإذا استحكمت عليه ذنوبه، إذا كثرت عليه سيئاته، فتح الله لهذا العبد باب التوبة.

لذلك الإمام النووي -رحمه الله تعالى-، عقد في كتابه رياض الصالحين موضوعاً حول التوبة، صدره ببعض الآيات الكريمة.

قال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

فالتوبة طريق الفلاح، والفعل أمر، وكل أمر يقتضي الوجوب.

وجميعاً: حينما يتوب الناس جميعاً، نقطف ثمار الإسلام.

كما لو أن عندك هاتف وحديك، ولك مئة صديق، ليس عندهم هاتف، هذا الهاتف لا قيمة له، أما إذا كان عند كل

الأصدقاء هواتف, هذا الهاتف له معنى كبير .

فأنت حينما تعيش في مجتمع تائب؛ في أمانة, في إخلاص, في صدق, أنت إذا أمرت أن تكون صادقاً, مليون إنسان أمر أن يكون صادقاً لمصلحتك, إن أمرت أن تكون أميناً, مليون إنسان أمر أن يكون أميناً لمصلحتك, فالتركيز على كلمة جميعاً:

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

هذه حالة الإنسان في آخر الزمان :

في إنسان في آخر الزمان: يعيش في مجتمع متماسك؛ هو يستقيم, يضبط لسانه, ويضبط بصره, وأمين, وصادق, ولكن المجتمع من حوله فاسد, لذلك: هذه الفضائل لا تظهر كثيراً.

لذلك عليه الصلاة والسلام قال:

((اشتقت لأحبابي, قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا, أنتم أصحابي, أحبابي: أناس يأتون في آخر الزمان, القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر, أجره كأجر سبعين, قالوا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم, قالوا: ولم؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

فإذا تاب الناس إلى الله جميعاً, قطفت ثمار الإسلام؛ الناس كلهم صادقون, الناس كلهم لا يكذبون, الناس كلهم مخلصون, الناس كلهم ورعون, الناس كلهم عفيفون, لذلك تعيش في بحبوحة كبيرة جداً.

ما العبرة من هذه القصة؟ :

سيدنا عدي بن حاتم -رضي الله عنه-, كان ملكاً, وفر من رسول الله -ﷺ-, وقد أسرت أخته عند رسول الله, ولقيت منه أطيّب معاملة, فوصفته لأخيها, الحق به؛ فإن كان ملكاً يصبك من خيره, وإن كان نبياً أفلحت ونجحت, فجاء إلى -النبى عليه الصلاة والسلام-

قال:

(من الرجل؟ قال: عدي بن حاتم, قال: الفأر من الله ورسوله؟)

-استقبله.

وكان -عليه الصلاة والسلام- حكيماً, كان يقول:

((أنزلوا الناس منازلهم))

[أخرجه أبو داود في سننه]

لأنه ملك سابقاً -دعاه إلى بيته, وقذف إليه وسادة واحدة في بيته من أدم, محشوة ليفاً, قال: اجلس عليها, قلت: بل أنت, قال: بل أنت, قال: فجلست عليها, وجلس رسول الله على الأرض, قال: إيه يا عدي بن حاتم, -دققوا في هذه الكلمات الثلاث-, لعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين, ما ترى في حاجتهم, -فقراء أصحابي-, وايم الله! ليوشكن أن يفيض المال فيهم, حتى لا يوجد من يأخذه, ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين, أنك ترى أن الملك والسلطان في غيره, -الله أعطى القوة لأعداء المسلمين وقتها-, وايم الله! ليوشكن أن تسمع بالمرأة البابية تحج البيت على بغيرها لا تخف, -الأمر يستتب بالمسلمين-, ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين, ما ترى من كثرة عدوهم, وايم الله! ليوشكن أن تفتح بلادهم من قبل المسلمين))

وعاش عدي بن حاتم, حتى رأى هذه البشارات الثلاث.

فالعبرة: أن يتوب الإنسان إلى الله, يتوب المؤمنون جميعاً إلى الله, إذا تابوا جميعاً, قطفنا ثمار الدين, وإذا تفلتوا جميعاً.....:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:105]

أنا أتمنى -والله-: أن يكون الناس جميعاً مؤمنين, أن يكونوا جميعاً مستقيمين, أن يكونوا جميعاً محبين, أن يكونوا جميعاً صادقين, فإن لم يكن كذلك.....

قال: إن لم يكن ما تريد, فأرد ما يكن.

نقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

اعلم هذه الحقيقة :

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:105]

يعني: الله عز وجل أجل وأكرم: أن يعامل المطيع كما يعامل العاصي, لو أن العصاة كثروا, يعني:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الجاثية الآية:21]

مستحيل؛ لو كنا في زمن الفساد, لو كنا في زمن الكذب, لو كنا في زمن التقلت, لو كنا في زمن شيوع الملهيات في البيوت, نحن نرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا.

مراحل التوبة إلى الله :

ويقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية:8]

يعني: توبة لا عودة منها.

بالمناسبة -أيها الأخوة-: أول توبة؛ بلمحة, بلحظة, الصلحة بلمحة, أما التوبة الثانية: أصعب, إذا الإنسان تاب, ثم لئن توبته, من الصعب أن يتوب ثانية, فإذا تاب ثانية, وقبله الله عز وجل, التوبة الثالثة: أصعب وأصعب. فكلما اجترأ العبد على ربه في ذنب, وأعاده مرة ثانية, وثالثة, ضعفت معنوياته, وضعفت همته للتوبة؛ ولكن الحل: أنه في المرة الأولى: تبت إلى الله, المرة الثانية: يمكن أن تضيف إلى التوبة عملاً صالحاً, كي يرمم نقض

التوبة الأولى, المرة الثالثة: عمل صالح, وصيام؛ فكلما صار في خطأ, يجب أن يرمم.

نحن في بحبوتين هما؟ :

فالآية:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

و:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾

[سورة التحريم الآية:8]

وقال تعالى:

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية:3]

وتعلمون -أيها الأخوة, كما قلت من قبل-: أننا جميعاً في بحبوتين؛ بحبوحة الاستقامة, وبحبوحة الاستغفار:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

فعود نفسك أن تستغفر؛ لأنك إن استغفرت الله عز وجل, فأنت في بحبوحة من عذاب الله.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

((والله إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليومِ سبعينَ مرةً))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

إلا أن هذا الاستغفار، وهذه التوبة، تحتاج إلى شرح؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- معصوم، وقد عصمه الله من أن يخطيء في أقواله، وفي أفعاله، وفي أحواله، هو مشرع، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية:7]

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾

[سورة الحشر الآية:7]

لو أنه غير معصوم، لكننا قد أمرنا بالمعصية، لو أن النبي غير معصوم، وأمرنا الله عز وجل أن نأخذ عنه دائماً، فكان في أمر حكمي بغير الكمال؛ لكن لأنه معصوم، والله عز وجل عصمه، إذًا: نأخذ عنه كل شيء.

هذا هو استغفار النبي لربه :

والله عز وجل يقول:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

أما استغفار النبي -عليه الصلاة والسلام- من نوع آخر؛ يعني كلما عرف الله عز وجل، كلما وصلت معرفته إلى

درجة، ثم في اليوم التالي عرف الله بمستوى أعلى، استحيا من الله بالمستوى الأدنى.

يعني إنسان له حجم مالي كبير، قلت له أنت: يعني معك مليون؟ قال لك: لا، مليون!! قلت له: يعني مئة مليون؟ قال لك: لا، مئة مليون فقط!!.

فأنت كلما توقعت رقماً، هذا أكبر بكثير، فالمفروض الإنسان: أن يعرف الله حق المعرفة، الأنبياء أعلى من عرف الله، إلا أنهم لم يعرفوه كما يعرف الله نفسه.

لذلك: لا يعرف الله إلا الله، أما أعلى إنسان على وجه الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، عرف الله هو رسول الله، ومع ذلك معرفته ليست مطلقة، فكان يستغفر، كلما ارتقت معرفته يستغفر؛ يا رب سامحني، أنت أعظم من ذلك، أنت أرحم، أنت أعلم، أنت أكمل، أنت أقوى.

فكلما عرف الله في درجة، يستغفر ربه على هذا المستوى، الذي هو دون ما يليق بكمال الله، هذا المعنى.

من فصاحة النبي العربي عليه الصلاة والسلام :

كان -عليه الصلاة والسلام- كان بليغاً.

قال:

((أوتيت جوامع الكلم))

قال:

((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))

ما معنى بيد أني؟ يعني إلا أنني، هذا أسلوب تأكيد الهم.

أنا أقول: فلان، فلان يعني كريم، إلا أنه مفرط في ماله، فأنا ذمته، أما أنا إذا قلت: فلان كريم، إلا أنه رحيم، أنا استخدمت المديح بأسلوب الهم، هذا نوع من الفصاحة.

قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

يعني سيوفهم مسلولة من قراع الكتائب, هذا مدح, هذا

فالنبي استخدم هذا الأسلوب, قال:

((أنا أفصح العرب إلا أنني من قريش))

هذه قريش أفصح قبيلة على الإطلاق, هذا اسمه: تأكيد المدح بما يشبه الذم.

في أسلوب عكسي: تأكيد الذم بما يشبه المديح؛ فلان لئيم, لكنه حباب, أكدت الذم بما يشبه المديح, لأن الاستثناء من صفة الذم, معناها مديح.

هذا الأسلوب: العرب يعرفونه في جاهليتهم.

ماذا بين لنا النبي في هذا الحديث؟ :

فالنبي -عليه الصلاة والسلام, وقد أوتي جوامع الكلم-, روى قصة, والقصة مؤثرة, والقصة حادة, صارخة, ليبين لنا كم فرح الله عز وجل بتوبة عبده المؤمن.

رجل يركب ناقه, يقطع بها مفازة, تعب, جلس ليستريح, على ناقته طعامه وشرابه, -ولا يعرف الصحراء إلا من دخل إلى الصحراء, إذا دخل إلى الصحراء, وغابت عنه ناقته, مات قطعاً- فتعب, جلس ليستريح, لم ير الناقة, أيقن بالهلاك, أيقن بالموت القطعي, فجلس يبكي, ثم يبكي, حتى أدركه النعاس ثانياً, فنام فاستيقظ, فرأى الناقة, فمن شدة فرحه, اختل توازنه, قال: يا ربي أنا ربك, وأنت عبدي.

قال عليه الصلاة والسلام:

((الله أفرح في توبة عبده من ذلك البدوي بناقته))

فإذاً: إذا أنت تبت إلى الله, الله يفرح بك؛ لأنه ينتظرك, ولأنه خلقك ليرحمك, ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق

ليرحمهم, ليسعدهم, والدليل:

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِدَالِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود الآية:119]

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِدَالِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود الآية:119]

خلقهم ليرحمهم.

إذا:

((لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم, كان على راحته بأرضٍ فلاةٍ فأنفَلتُ منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجَع في ظلِّها وقد أيس من راحته فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامِها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

إما أن تتوب إلى الله من ذات نفسك وإما أن يحملك على التوبة :

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، عن النبي -ﷺ- قال:

((إنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- يبسطُ يدهُ بالليلِ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مُسيءِ الليلِ، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

يعني: الله عز وجل ينتظرنا جميعاً، وكلنا مطلوبون إليه، وهو يعالجنا؛ فإما أن نتوب من ذوات أنفسنا، وإما أن يحملنا على التوبة، وهذا المعنى الدقيق، قال تعالى:

﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

[سورة التوبة الآية: 118]

﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

[سورة التوبة الآية: 118]

يعني: ساق لهم من الشدائد ما حملهم على التوبة؛ فإما أن تتوب من ذاتك، وإنا أن يسوق الله لهذا الإنسان شدائد، ومصائب، يحمله بها على التوبة، هذه قضية دقيقة جداً.
يعني بالتعبير العامي: إما أن تأته مسرعاً، أو أن يجيبك إليه مسرعاً.

((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار))

((إذا كان ثلث الليل الأخير، نزل ربكم إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى ينفجر الفجر))

متى يغلق باب التوبة؟ :

وعن أبي عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، عن النبي -ﷺ- قال:

((إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَعِرْ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: إذا وصلت روحه إلى حلقومه، أغلق باب التوبة. وليست التوبة:

﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾

[سورة النساء الآية: 18]

آية ثانية:

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية:158]

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية:158]

وفرعون عندما أدركه الغرق:

﴿قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾

[سورة يونس الآية:90]

قال:

﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾

[سورة يونس الآية:91]

افهم بدقة :

مر معي بيت شعر حيرني. قال:

إن فرعون وهامان معاً والنبيين جميعاً في سقر

معقول!!

إن فرعون وهامان معاً والنبيين جميعاً في سقر

الأنبياء , -قسم- قسم؟ بارك الله بك:

إن فرعون وهامان معاً والنبیین -رحق النبیین- جميعاً في سقر

يعني فرعون وهامان؛ لكن هنا أتى واو؛ إن: حرف مشبه بالفعل، فرعون: اسمها، وهامان: معطوفة على فرعون، والنبیین: معطوفة عليهم بحسب الظاهر، أما هي قسم، لو كان غير قسم، المعنى في فساد كبير، معقول الأنبياء في سقر!!.

إن فرعون وهامان معاً والنبیین جميعاً في سقر

يعني: وحق النبیین.

من أَلغاز اللغة :

في اللغة العربية باباً اسمه: الأَلغاز، الأَلغاز يعني: أبياتاً ملغزة:

إن هُنْدُ -إن هندا-:

إن هُنْدُ المَلِيحَةُ الحَسَناءُ وهي من أَضْمَرَت لَخْلٍ وِفاء

هذا من الأبيات الملغزة؛ يعني !: فعل أمر، وأُيِّي إِ همزة، وعد يعد عد، وقى يقي ق، وفي يفي ف.

ف: الفاء لوحتها فعل أمر، والقاف: لوحتها فعل أمر، والهمزة: لوحتها فعل أمر.

ف: إن: فعل أمر مع نون التوكيد الثقيلة.

يعني: عديني يا هند، وعد من أضمرت لخلٍ وفاء.

هذا بيت ملغز.

إذاً:

((إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

عن عبد الله بن سعد بن مالك، وكان قائد كعب -رضي الله عنه- من بنيه حين عمي، قال:

((سمعت كعب بن مالك يحدث بحديثه، حين تخلف عن رسول الله -ﷺ- في غزوة تبوك. قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله -ﷺ- في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك -في هذه الغزوة تخلف هذا الصحابي الجليل- فلما عاد النبي -ﷺ- واستقبل المنافقين، اعتذروا له جميعاً، كلٌّ ادعى شيئاً وعذراً، قبله النبي لحكمة بالغة؛ إلا أن كعب بن مالك -رضي الله عنه- أراد أن يصدق النبي. قال: والله -يا رسول الله!- لو جلست عند أحد غيرك، فأنا أوتيت لساناً برداً -أقنعه- ولكنني خفت أن أسترضيك، فيسخطك الله علي، فأجمعت أن أكون صادقاً عنك. والله حينما تخلفت عنك، ليس لعذر إطلاقاً -أبدأ، لم يكن في أي عذر-؛ ولكنني تخلفت عنك، -رأيت الصادق-.

فالنبي أمر بمقاطعته خمسين يوماً مع اثنين آخرين، -قاطعوهم-، ثم تاب الله عليهم توبة، تسع أهل الأرض كلهم.

النبي -عليه الصلاة والسلام- لما صدقه قال: أما هذا فقد صدق))

قبل، قبل قليل: سمع لثمانين رجلاً منافقاً، وقبل أعدارهم، أما حينما سمع سيدنا كعب، قال:

((أما هذا فقد صدق))

سيدنا سعد قصته فيها شيء دقيق: هو أنه أخلص لله، وأنه وحد، يعني عنده قناعة؛ لو أنه أرضى الله، لو أنه أرضى النبي بالكذب، ليوشكن الله أن يسخطه علي، ولو أنه أرضى الله بالصدق، ليوشكن الله أن يرضي عنه النبي، هكذا.....

فأنت حينما.....

اجعل الهموم همماً واحداً، يكفك الهموم كلها.

من جعل الهموم همماً واحداً، كفاه الله الهموم كلها.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن رسول الله -ﷺ- يقول:

((لو أن لابن آدم وادياً من ذهب، أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه بني آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب))

يعني يا أيها الأخوة، يجب أن نستغل أعمارنا، وأن نجري حساباً دقيقاً في حياتنا؛ فأى مخالفة، أي تقصير: يجب أن تغطي بالتوبة، والإنسان إذا تاب، تاب الله عليه.

((والتائب من الذنب، كمن لا ذنب له))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

((وإذا تاب العبد توبة نصوحة، أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض، خطاياهم وذنوبهم))

((وإذا رجع العبد العاصي إلى الله، ناد مناد في السموات والأرض: أن هئنوا فلاناً فقد اصطح مع الله))

وكلمة تهانينا: والله لا تقال حقيقة: إلا لمن اصطح مع الله، لأن الصلح مع الله أكبر غنيمة.

إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟.

إلا أن التوبة، ينبغي أن تكون بعد الذنب مباشرة، وهذا تؤكد الآيات الكريمة:

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء الآية:17]

والتوبة -أيها الأخوة-: علم, وحال, وعمل, كيف هي علم؟.

إذا إنسان معه ارتفاع ضغط, متى يُعالجه؟ حينما يعلم أنه مرتفع, إذا قاسه, وليس له أعراض الضغط, أعراض ليس له أبداً, لكن هذا الضغط: لا يُعالج إلا إذا علم.

فالإنسان متى يتوب؟ إذا كان ليس له مجلس علم, وليس له مرجعية دينية, لا يتعلم, يرتكب كل المعاصي, يقول لك: ماذا عملنا؟ لم نعمل شيئاً, هذه حرام, هذه؟.

فإذا الإنسان: ما طلب علماً, لا يتوب, لأنه واقع في المعاصي ويظنها طاعات, يرتكب الموبقات ويظنها حسنات, أما الإنسان إذا طلب العلم؛ يعرف موقعه من الدين, يعرف أخطاءه, انحرافات, تقصيراته, مخالفاته, عندئذ يتوب. فالتوبة علم.

وفعلاً: إذا كان العلم صحيحاً, ينشأ مع الذنب حالة ندم شديدة, فإذا لا يوجد حالة ندم, التوبة ليس لها معنى.

وبعد الندم في ثلاثة أشياء؛ إقلاع في الحاضر, وعزيمة على المستقبل, وندم في الماضي؛ يندم ويعزم, ويقبح, صار في علم, وحال, وندم, وإقلاع, وعزيمة, هذه التوبة الصحيحة: إن كانت بينك وبين الله, أما إن كانت بينك وبين العباد: فلا بد من أن يضاف إلى هذه الشروط, شرط الإصلاح.

يعني: حقوق العباد لا تسقط إلا بالأداء والمسامحة.

ونحن على مشارف الحج, في وهم عند المسلمين: أن الذي يحج, يغفر الله كل ذنوبه, نعم صحيح, يغفر لك الذنوب التي بينك وبينه, أما التي بينك وبين العباد: هذه لا تغفر إلا بالأداء أو المسامحة.

إذاً: التوبة علم, وحال, وعمل؛ العلم: أن تعرف منهج الله عز وجل, حتى تعرف أخطاءك, وحجم انحرافاتك, والحال: إن كنت صادقاً في طلب مرضاة الله عز وجل, ورأيت أنك غير مطبق لمنهج الله تتألم, الألم يدفعك إلى الإقلاع الفوري عن الذنب, وندم على ما مضى, والعزيمة في المستقبل: على ألا تعود إليه.

فعلم, وحال, وعمل؛ أما إذا كان الذنب بينك وبين العباد, فلا بد من أن تؤدي الحقوق, أو أن تستسمح منهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-81} : الصبر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 21-03-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أنت مكلف بالصبر :

أيها الأخوة الكرام, باب الصبر عقده الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه المبارك رياض الصالحين, فكما تعلمون يبدأ الباب ببعض الآيات, ثم يثني ببعض الأحاديث الصحيحة.

يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

أنت بادىء ذي بدء, مكلف أن تصبر, ما معنى أن تصبر لشيء, أو على شيء, أو عن شيء؟ عن, أو على, أو ل؛ تصبر عن شهوة, وتصبر على طاعة, وتصبر لقضاء وقدر, تصبر لقضاء وقدره الله عز وجل, وتصبر عن شهوة محببة لا ترضي الله, وتصبر على طاعة متعبة, فأنت مكلف أن تصبر, والصبر ربع النجاة.

إليك الأدلة من الكتاب على تكليف الإنسان بالصبر :

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

﴿إِلَّا﴾

[سورة العصر الآية:3]

-خاسر, إلا-:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

فأنت مكلف أن تصبر, وأن تصبر:

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

مكلف أن تصبر, وأن تحمل أذاك على الصبر؛ أن تذكره بحكمة الله, وبرحمة الله, وبفضل الله, وبأن الدنيا فانية, وأن الآخرة هي الباقية, وأن المطيع هو الفائز, وأن الذي يصبر هو الفائز, مكلف أن تصبر, وأن تحمل أذاك على أن يصبر.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

الشيء الثاني: يجب أن تعلم أنك في دار ابتلاء, وفي دار امتحان, وأن من لوازم الابتلاء والامتحان: أن تأتي الأمور على غير ما يحب.

ما وراء هذه الآيات؟ :

قال تعالى يخاطب المؤمنين حصراً:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

-نبلونكم أيها المؤمنون-:

﴿بشئٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

-ليس خوف دائماً, تخاف أحياناً-:

﴿وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

-أحياناً: يموت ابنه-:

﴿وَالنَّمْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

-يأتي سقيع قاس, ذهب المحصول كله-:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

إذاً: ربنا عز وجل شاءت حكمته: أن يمتحننا, وأن يعالجنا, وأن يرقى بنا عن طريق الصبر, إلا أن الصابر له جزاء عجيب.

أحياناً: تعطي شيكاً مفتوحاً, توقع, والرقم فارغ؛ تضع مئة ألف, تضع مئتي ألف, سبعمئة ألف, ثلاثة ملايين, ثمانية ملايين, مئة مليون, الشيك مفتوح. قال:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر الآية:10]

فقط الصابر؛ الذي صبر على طاعة, وصبر عن شهوة, وصبر على قضاء الله, لقضاء الله وقدره.

ويقول الله عز وجل:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى الآية:43]

ما الفرق بين هاتين الآيتين؟ :

الآية الكريمة في نصيحة سيدنا لقمان لابنه:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة لقمان الآية:17]

أما هنا:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى الآية:43]

الفرق بين الآيتين؛ حينما يأتي الفعل من الله مباشرة: عليك أن تصبر، والصابر له أجر كبير، أما حينما يأتي الفعل من الإنسان: عليك أن تصبر، وأن تغفر، أن تصبر لأن الله شاءت حكمته أن يبعث لك هذا الشيء؛ من سلطه عليك؟ من سمح له أن يصل إليك؟ من قواه على أن يصل إليه؟ الله ﷻ.

فأنت علاقتك مع الله، ولئلا ينشأ حقد على هذا الإنسان الذي هو عصا، قال لك: اصبر:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى الآية:43]

هذا توكيد.

كيف نفسر هذه الحادثة وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية؟ :

إنسان -مثلاً: لا سمح الله ولا قدر، لا أفجعنا الله جميعاً بهذا-، لو وقع ابنه من الشرفة فنزل ميتاً، لا يوجد إنسان يقيم دعوى عليه، لا يوجد إنسان يخاصمه، وقع ابنه، هذا قضاء من الله وقدر، أما لو سائق دهسه، أنت أمامك إنسان؛ ممكن تقاضيه، ممكن تحقد عليه، ممكن تقتله.

فالمؤمن: يعتقد أن الذي أصابه -ولو عن طريق البشر- سمح الله به، لا يحقد، لكن يُعالج، إذا إنسان مستهتر،

نوقفه, ندفعه غرامة, نردعه, لا يوجد سداجة في الدين:

﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾

[سورة الشورى الآية:40]

أما إذا غلب على ظنك, أن عفوك عنه يُصلحه. قال:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى الآية:40]

وقال تعالى:

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: 153]

مع الصابرين بالتوفيق, ومع الصابرين بالنصر, ومع الصابرين بالحفظ, ولا يوجد أجمل من إنسان صادق.

الرضا بمكروه القضاء , أرفع درجات اليقين :

يقول سيدنا علي -كرم الله وجهه-: الرضا بمكروه القضاء , أرفع درجات اليقين.

يعني أعلى درجة باليقين: أن ترضى بقضاء الله وقدره.

الرضا بمكروه القضاء , أرفع درجات اليقين.

وفي آية أخرى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:31]

دائماً السيارة تُمتحن في الصعود لا في النزول، بالرّخاء: كلنا نحب الله، لكن نتفاوت، نحن مع الله في الشدة، يعني على الشدائد تتفاوت الناس. قال:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران الآية:179]

أحياناً: تطبخ طبخة إسمنت، يضعونها مكعبات، يضعونها على آلة، من طرف ممسوكة، من طرف ثان سائدة، يضعونها أوزاناً، على أي وزن تقطع، هذا قوة تماسك الإسمنت، كل طبخة لها ترتيب، وكل واحد منا له قوة تماسك، في إنسان يصبر، أما على مصيبة واحدة لا يصبر، في إنسان يصبر أحياناً.

أعرف إنساناً كان يحضر دروس علم كثيراً، مات ابنه، فترك الصلاة، يعني لم يقبل، لم يرض بقضاء الله وقدره، مع أن النبي مات ابنه. قال:

((إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك -يا إبراهيم- لمحزونون))

هذه الآيات إذا:

﴿اضْبُرُوا وَصَابِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر الآية:10]

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى الآية:43]

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

[سورة البقرة الآية: 153]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:31]

الصبر ضياء :

أيها الأخوة الكرام، هذه الآيات، أما الأحاديث:

قال عليه الصلاة والسلام:

((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ .

-التعبير الحديث: الحزن خَلَقَ.

يعني: إنسان مريض، وهو راضٍ عن الله، إنسان معه مال ضيق ذات اليد، وهو راضٍ عن الله، لن تتألق، ولن
تشعر أنك مؤمن ورب الكعبة، إلا إذا جاءك شيء تكرهه، وأنت راضٍ به.

فالصبر يجعل لك صلة بالله، هذه الصلة من ثمراتها الضياء، والقرآن حجة لك أو عليك-.

أنت مخير :

((كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا، أَوْ مُوَبِقُهَا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي والنسائي في سننهما]

انظر حركة سوق الحميدية، الساعة الثامنة صباحاً، الساعة الثانية ظهراً؛ ازدحام، وسيارات، كل شخص في باله
شيء.

((كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا، أَوْ مُوَبِقُهَا))

إنسان يسعى لدرس علم، يسعى لكسب رزق، يسعى لطلب الحلال، يسعى لمعالجة والده المريض، يسعى لخدمة
شخص لهفان، يسعى لخدمة الناس، وفي إنسان يسعى للزنا، يبحث عن بيوت دعارة، يسعى للإيقاع بين الناس،
إنسان يسعى لإيذاء الناس، فأنت مخير تخرج من بيتك؛ إما إلى الجنة، إما إلى النار.

((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

من الذي يملك الدنيا بحدافيرها؟ :

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-:

((أن ناساً من الأنصار سألوا النبي -ﷺ- فأعطاهم, ثم سألوه فأعطاهم, حتى نفذ ما عنده, فقال لهم -حين أنفق كل شيء بيده-: ما يكن عندي من خير, فلن أدخره عنكم؛ ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ, وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ, وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ, وما أُعْطِيَ أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر))

الصابر ملك الدنيا, صغيرة أمامه, أما الطمع: أذل رقاب الرجال.

استغن عن المرء تكن نظيره :

قال: استغن عن المرء تكن نظيره, احتج إليه تكن أسيره, أحسن إليه تكن أميره.

أنت ممكن أن تكون نداءً لأكبر غني في العالم, متى؟ إذا استغنيت عن ماله فقط, يمكن أن تكون نداءً لأقوى رجل في العالم, إذا استغنيت عن أن تستعين بقوته, أنت غني بالله, المؤمن عزيز النفس, يساوي أغنى إنسان, يساوي أقوى إنسان, لأنه مستغن عنهما, انتهى.

((من جلس إلى غني فتضع له, ذهب ثلثا دينه))

والله -أيها الأخوة- قد يكون دخلك في الشهر خمسة آلاف, لا يكفيك عشرة أيام, تكون من أغنى الناس.

ما موطن الشاهد من هذه القصة؟ :

أنا مرة قال لي شخص مهندس, له قريب -يمكن القصة سمعتها مني سابقاً-, يعني يبحث عن أرض لبناء مسجد, وجد أرضاً مناسبة في بعض الأحياء, تفاوض مع صاحبها ثلاثة ونصف مليون, صاحبها مستخدم مدرسة, عنده ثمانية أولاد, أو خمسة أولاد, دخله أقل من أربعة آلاف, فقير فقر مدقع, الأرض ورثها من شهر, شهرين, فالأرض مناسبة للجامع.

الذي يريد إنشاء المسجد, يعني شخص حجمه المالي كبير جداً, بمئتي مليون السعر مناسب, ووافق الطلب,

فساومه, وكتبا العقد, وحرر له شيكاً بمليونين, قال له: الباقي بعد التنازل للأوقاف, أدفعهم لك المليون ونصف. قال له: ما الأوقاف؟ هذا المستخدم الذي عنده خمسة أولاد, الذي معاشه أربعة آلاف, ما الأوقاف؟ قال له: هذه نريد أن نعملها مسجد, لما تتنازل للأوقاف عن ملكية الأرض والأمر يتم, أعطيك الرصيد.

قال له: مسجد؟ قال له: نعم, قال له: أعطني الشيك, أخذه, ومزقه, ما هذا؟ ماذا حصل لك؟ قال له: أنا أولى منك تقدمها لله, هذه لبيت الله.

والآن: مسجد مبني في نهر عيشة, من أرقى المساجد. قال له: أنا أولى منك.

يقول الرجل الغني -أبو المئتي مليون-: في حياتي ما صغرت, صغرت أمام إنسان, كما صغرت أمام هذا المستخدم, رأيته أعظم مني كثيراً.

هذا غني, هذا إنسان لا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض, وأربعة آلاف ليرة, لا يكفيه خمسة أيام, وعنده خمسة أولاد, قال له: أنا أولى منك أقدمها للمسجد, لست أفضل مني أنت.

فقد تكون فقيراً, لكن أنت غني عند الله عز وجل.

إن الغنى غنى النفس.

((من جلس إلى غني فتضع له, ذهب ثلثا دينه))

هذه مقولة يعقوب يوم أن فقد ابنه :

ماذا قال سيدنا يعقوب؟:

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾

[سورة يوسف الآية:86]

طبعاً: من شكأ إلى مؤمن -وضع ثان, قال- فكأنما اشتكى إلى الله, ومن اشتكى إلى كافر, فكأنما اشتكى على الله.

إياك, ثم إياك, ثم إياك, أن تعرض همك لكافر, يشمت بك, ويلومك على تدينك, أما المؤمن يتألم, والأكمل منهما: أن تشكو إلى الله وحده.

من العيب :

قال: ويُعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم.

لأن الله يرى, يعرف وضعك.

قال له:

((ابن آدم! كن لي كما أريد, ولا تعلمني بما يصلحك))

يعني: لا تكلف خاطرك, تقول لي ماذا تريد؟ أعرف ما الذي تريد, لكن كن لي كما أريد, ولا تعلمني بما يصلحك.

دعوة رجاء :

أنا كل رجائي: أن تتعد مع الله صلة, أن تتعامل مع الله مباشرة, أن تخلص له, أن ترجوه, أن تخافه, أن تخدم عباده, ولا تعبأ بأحد, والله وحده أهل أن تتقيه, وأهل أن ترجو رحمته.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم؛ ومن يستعفف يُعفه الله, ومن يستغن يُغنه الله, ومن يتصبر يُصبره الله, وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر))

هذا حال المؤمن مع الله :

وعن رسول الله -ﷺ-، يقول:

((عَجَباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كُلُّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابتهُ سرَّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابتهُ ضراءُ صَبِر، فكان خيراً له))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

على الحاليتين راض، على الحاليتين يسعد بالله في السراء والضراء.

كلمات يتأسى لها القلب ألماً لكنها معبرة عن رضى بقضاء الله وقدره :

وعن أنس -رضي الله عنه- قال:

((لما ثقل النبي -عليه الصلاة والسلام- جعل يتغشاه الكرب -يعني سكرات الموت-، فقالت فاطمة -رضي الله عنها-: واكرب أبتاه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات، قالت: يا أبتاه أجاب رياً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثو على رسول الله -ﷺ- -التراب؟))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

كانت أقرب الناس إليه، وأحب الخلق إليه.

قصة حصلت في عهد أتاتورك :

قرأت مقالة، قصة بكتاب، في عهد أتاتورك، هذا كان طاغية، جبار، كان إذا إنسان صلى يقتله، في عالم جليل في تركيا، عالم جليل، ألف رسالة حول تقليد الأجانب، الرسالة حوالي خمسين صفحة، وأخذ موافقة مسبقة من وزارة المعاهد، وأخذ موافقة من الجهات المسؤولة وطبعتها.

أتاتورك منع أي مظهر ديني، منع الحروف العربية، منع اللباس الديني، -إلى الآن ممنوع-، منع اللغة، وأمر

الناس بوضع قبعة كالأجانب تماماً.

فوجدوا رسالة، أو كتيباً صغيراً، يعني يُهاجم تقليد الأجانب، حسناً: هذه الرسالة موافق عليها سابقاً، موافق عليها، وأخذت موافقة، والرجل أخذ هذا الشيخ الجليل إلى السجن، ولا يوجد محام، عمل مرافعة.

يقول صديقه: بقي يومين، ثلاثة، يكتب مرافعة، أنا لم أعمل شيئاً، أنا شخص ألفت رسالة، وعملت مرافعة قبل صدور قرار أتاتورك بسنة ونصف، لا يجوز أن يتحاسب قانوناً.

يقول هذا الرجل -زميله-: بعد ما عمل يومين، ثلاثة بالمرافعة، مرة نام، استيقظ مستبشراً، مزق كل شيء كتبه، لماذا فعلت هذا؟ قال له: رأيت رسول الله، ماذا قال لك؟ قال له: غداً ضيفنا.

يقول النزير في السجن: ما رأيت إنساناً أسعد في حياتي من هذا الشيخ.

في اليوم الثاني حكموه بالإعدام، وشنقوه.

يبدو أن الله دعاه فلباه، ليس كل مودة مودة، في مودة إلى الجنة رأساً.

يقول: -أنا تأثرت بالقصة- شيء عجيب! إنسان مستبشر، ضاحك، سعيد، رأى النبي بالمنام، قال له: أنت ضيفنا غداً -بشره، لم يعد يريد أن يكمل-، وقال له: لا تكمل المرافعة.

لا تكملها، مزقها، وفي اليوم الثاني كان مع الرفيق الأعلى.

فلذلك قالت له:

((واكرب أبتاه! قال: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات، قالت: يا أبتاه أجبت ربا دعاك، يا أبتاه جنة الفردوس مأواك، يا أبتاه إلى جبريل ننعاك. فلما دفن، قالت فاطمة -رضي الله عنها-: أطابت أنفسكم أن تحثو على رسول الله التراب؟!))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

أجمل ما يقال في التعزية

هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده :

عن أبي زيد، أسامة بن زيد بن الحارثة، مولى رسول الله، وحبه، وابن حبه -رضي الله عنهما- قالت:

((أرسلت بنت النبي -ﷺ-: إن ابني قد احتضر فاشهدنا -تعال إلينا- فأرسل يُقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى -الذي أخذه في الأساس له- إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده في أجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام معه؛ سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال -رضي الله عنهم- فرفع إلى النبي الكريم الصبي، فأقعد في حجره، ونفسه تققع، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟! قال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده))

وفي رواية:

((في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والنسائي في سننه]

في شخص رحيم، وقد تبدو رحمته بأشياء كثيرة.

متى يكون الصبر؟ :

آخر حديث: عن أنس -رضي الله عنه-، قال:

((مر النبي -ﷺ- بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي -ﷺ- فأتت باب النبي، فلم تجد عنده بوابين، قالت: لم أعرفك، فقال عليه الصلاة والسلام: إنما الصبر عند الصدمة الأولى))

كل أصحاب المصائب بعد ساعتين يصبر، لا بد من أن يصبر، أما البطولة عند سماع النبأ، عند أول خبر، أن تقول: يا ربي لك الحمد، هذا فعلك، وأنا راض عن فعلك.

آخر حديث - كما قلت قبل قليل-: يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما يصيب المسلم من نصب, ولا وصب, ولا هم, ولا حزن, ولا أذى, ولا غم, حتى الشوكة يشاكها - شوكة -
إلا كفر الله بها من خطايا))

((ما لك يا بنيتي؟ قالت: حمى لعنها الله, قال: لا تلغنيها, فو الذي نفس محمد بيده, لا تدع المؤمن وعليه من
ذنب))

استبشروا يا أخوان؛ كل شيء متعب, كل شيء مزعج, حتى الشوكة -شكة دبوس, أحياناً: يكون في مسمار, لا
تنتبه, يعمل خطأ أحمر, حتى هذا الشطب- قال:

((إلا كفر الله عنك به بعض الخطايا))

((وعزتي وجلالي, لا أقبض عبدي المؤمن, وأنا أحب أن أرحمه, إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في
جسده, أو إقتاراً في رزقه, أو مصيبة في ماله أو ولده, حتى أبلغ منه مثل الدر, فإذا بقي عليه شيء, شددت
عليه سكرات الموت, حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

المؤمن جميع أنواع المصائب المادية, والمعنوية, والصغيرة, والكبيرة, حتى الهم:

من قصر بالعمل, ابتلاه الله بالهم حتى الهم: مكفر للمؤمن, أما غير المؤمن: المصائب عقوبات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-82} : المجاهدة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 28-03-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مفتاح الدرس :

أيها الأخوة الكرام, عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين, باباً عنونه بالمجاهدة, وقد بدأه ببعض الآيات الكريمة, وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

والآية الكريمة:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر الآية:99]

والآية الثالثة:

﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

[سورة المزمل الآية:8]

والرابعة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية:7]

والخامسة:

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة الآية:110]

والسادسة:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية:273]

ماذا تعني المجاهدة؟ :

أيها الأخوة الكرام، المجاهدة بذل الجهد، لأن سلعة الله غالية، لأنك إن خطبت ود الله عز وجل، لا بد من أن تؤكد صدقك فيما تفعل.

فالمجاهدة كما قال العلماء: أنواع كثيرة؛ أعلاها بنص كلام رسول الله -ﷺ-: جهاد النفس والهوى.

لأن الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه، لن يستطيع أن يقاتل عدوه، الذي لا يضبط نفسه أمام الشهوات والمغريات، لا يصمد أمام أعداء الله ولا ثانية.

فأصل الجهاد: أن تجاهد نفسك وهواك، والمجاهدة تقتضي: حمل النفس على أمر الله ونهيه.

ما معنى هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

؟ :

فربنا عز وجل يقول:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

أي نوصلهم إلى الطرق التي تؤدي إلى مرضاة الله عز وجل, عليك أن تتوي لتعرف الله, وأن تستقيم على أمره, وأن تملك إرادة قوية, بحمل النفس على طاعته, عندئذ يهديك الله سبله, السبل: هي الطرق المؤدية إلى الله. يعني: ما من إنسان طلب الحقيقة, وملك إرادة قوية, لحمل نفسه على تطبيق أمر الله, إلا وأبلغه الله منه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

ما حق الجهاد في هذه الآية؟ :

الله عز وجل قال:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

[سورة الحج الآية:78]

حق الجهاد؛ أن تطيعه فلا تعصيه, أن تشكره فلا تكفره, أن تذكره فلا تنساه.

ما إعراب حرف اللام في قوله تعالى: -وإن الله لمع المحسنين- , ولم جاءت في موضع هذه الآية؟:

قال تعالى:

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

-الطرق التي توصل إلينا-:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

تصور مدينة من المدن الساحرة؛ بجمالها، وقصورها، وحدائقها، ومناخها، وفرة الطعام والشراب فيها، كل ما تشتهيهِ الأنفس بهذه المدينة، العبرة: أن تدخلها، أما أن تقف خارج الأسوار، وتصف ما فيها، لم تستقد شيئاً، العبرة: أن تدخلها، كي تنعم بكل ما فيها.

فالذين جاهدوا في الله حق جهاده، ووصلوا إليه، دخلوا في جنة القرب من الله عز وجل:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

هذه اللام: لام المرحلة: إن الله لمع.

اللام التي تأتي في خبر إن: لام المرحلة، أصلها لام الابتداء، ولام الابتداء: لام التوكيد، أصل الكلام: الله مع المحسنين، فلما دخل على هذه الجملة إن المؤكدة، زحقت لام الابتداء، أي لام التوكيد إلى خبر إن، فإن الله لمع المحسنين على سبيل التوكيد؛ هو معهم بالتأييد، معهم بالنصر، معهم بالحفظ، معهم في كل شيء، معهم بالتوفيق:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

يعني: إذا جاهدت نفسك وهواك, وكننت محسناً, وصلت إلى الله عز وجل, وإذا وصلت إليه, وصلت إلى كل شيء, وإذا فاتك الله عز وجل, فاتك كل شيء, والله ﷻ أحب إليك من كل شيء.

ماذا يعني اليقين في هذه الآية؟ :

الآية الثانية:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر الآية:99]

اليقين هو الموت, لماذا سمي الموت يقيناً؟ قال: لأن الموت محقق وقوعه.

متيقن وقوعه, واقع لا محالة, هذا معنى.

المعنى الثاني: عند الموت تكشف الحقائق, فتبلغ درجة اليقين:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

الآن: الناس المتقلتون, المنحرفون, الشاردون, العصاة, المنافقون, هؤلاء يتوهمون أنهم أذكيا, لو يعلمون علم اليقين, لكانوا في جحيم:

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

إليكم هذا المثل الذي طرح في الطاووسية :

ضربت مثلاً اليوم في الطاووسية، قلت: إنسان يركب مركبة مريحة جداً، في طريق شديدة الانحدار، تنتهي بمنعطف حاد عن يمينه وعن شماله؛ بساتين غناء، والنسيم عليل، والمناظر جميلة، والسرعة عالية، وهو في أجمل نشواته، دقق الآن:

إذا اكتشف هذا السائق الذي يعود هذه السيارة وهو صاحبها، إذا اكتشف فجأة أن المكبح معطل، تتقلب فرحته صراخاً وعويلاً، يقول لك: رحنا، الطريق شديد الانحدار، ينتهي بمنعطف حاد، المناظر جميلة جداً، أما اكتشف أن المكبح معطل، أيقن بالهلاك:

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

كل إنسان يعلم علم اليقين؛ يرى العصاة في جحيم، يرى آكلي المال الحرام في جحيم، يرى الكذابين في جحيم، يرى المنافقين في جحيم، يرى الذين يبتزون أموال الناس بالباطل في جحيم، يرى الذين يربعون الناس في جحيم، يرى الذين يبنون مجدهم على أنقاض الناس في جحيم، يرى الذين ينغمسون في الم لذات المحرمة إلى قمة رؤوسهم في جحيم:

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجِجَمِ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

اعبد ربك من المهد إلى اللحد :

أيها الأخوة، أما قوله تعالى:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر الآية:99]

يعني: عليك أن تعبدته إلى الموت، لا توجد سن معينة، إذا عبدته العبادة انتهت، لا يوجد إنسان يُرفع عنه التكليف، ما دام حياً، أنني أنا بلغت درجة اليقين، لا تكليف علي، اليقين معناه الموت.

يعني: اعبد ربك من المهد إلى اللحد.

منذ أن تبلغ إلى ساعة الموت، إذاً: تحتاج إلى مجاهدة مستمرة.

ما معنى التبطل في هذه الآية؟ :

وقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

[سورة المزمل الآية:8]

التبتل: الانقطاع, الانقطاع لله عز وجل:

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

[سورة المزمل الآية:8]

هناك مغريات كثيرة, عليك أن تتبتل إلى الله, أي أن تتقطع له, فكل شيء يصرفك عن الله؛ كل شهرة, كل لقاء, كل سهرة, كل أمسية, كل مشاهدة لعمل فني لا يرضي الله عز وجل, هذا يُبعدك عن الله عز وجل, وأنت مكلف أن تتقطع لله عز وجل:

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

[سورة المزمل الآية:8]

أعرابي كفته هذه الآية :

قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية:7]

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية:8]

قال:

((يا رسول الله! عظن ولا تطل, فتلا عليه هذه الآية, فقال هذا الأعرابي: قد كفيت, فلما قال: قد كفيت, قال

عليه الصلاة والسلام: فقه الرجل))

يعني: أكثر المسلمين يسمعون مئات الخطب, يقرؤون عشرات الكتب, يسمعون أشرطة, ومع ذلك: ليسوا كما أراد الله عز وجل, إذًا: هذا السماع لا يكفي.

هذا الأعرابي، آية واحدة كفته.

ما موضع الشاهد في هذه الآية؟ :

وقال تعالى:

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾

[سورة المزمل الآية:20]

نعم، يعني كل شيء تفعله لك.

حيانا إنسان: يقتني مكمورة، صندوق، يضع فيه ليرة ذهب كانت في جيبه، وضعها في الصندوق، كأنه فقدها، لكن مفتاح الصندوق معه ولم يفقدها، لو تصورنا أن هذه الليرة في الصندوق، تصبح ألف ليرة، فهذا الذي يضع هذه الليرة في الصندوق، لتكون ألف ليرة، والصندوق له، والمفتاح معه، فهل يعد أقل ذكاء من الذي لم يضعها في الصندوق؟ لا؛ هو الذكي، هو العاقل:

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

[سورة المزمل الآية:20]

تطبيق عملي لهذه الآية :

هكذا يُروى، أن سيدنا عمر أمسك تفاحة، يعني يبدو أنها زاهية اللون، كبيرة الحجم، الإنسان يتمنى أن يأكلها، نظر إليها، وقال: أكلتها ذهبت، أطعمتها بقيت.

يؤكد هذا النبي -عليه الصلاة والسلام-، حينما كان يوزع شاة، فقالت له السيدة عائشة:

((يا رسول الله! لم يبق إلا كتفها، -ما بقي لنا شيئا-، فتبسم النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقال: بل بقيت كلها إلا كتفها))

الذي سنأكله، هذا الذي لم يبق، أما كل الشاة قد بقيت، لأننا أعطيناها:

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾

[سورة المزمل الآية:20]

مما لو تقدموه:

﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾

[سورة المزمل الآية:20]

كم معنى لهذه الآية، وما هما؟ :

آخر آية في هذا الباب:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية:273]

يعني: الشيء اللطيف في الإنفاق، الإنسان لما ينفق.

أحياناً: يقدم هدية، يضع كرت، بطاقة، حسناً: ما السبب؟ لعلم لم يعرفوا، عرس، أو عقد قران، وفي ازدحام، والناس يعني غير متأنية، فقد يشتري باقة ورد بألفي ليرة، ولم يعلم أهل الحفل هذه الباقة ممن جاءت، يضع شريط عريض: مبروك من فلان، والآن يصوره أيضاً، ما السبب؟ من أجل أن يعلم هذا الشخص، الذي قدمت له الهدية أنها منك.

إذاً: كل إنسان يبذل شيء، يوجد عنده رغبة أن يكون هذا في علم الذي قدمه إليه، ربنا عز وجل ربحك، قال لك:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية:273]

لا تحتاج لوصل، ولا لشهادة، ولا لبيان، ولا لحلف يمين، الذي تقدمه لله عز وجل، الله به عليم، هذه واحدة.

الشيء الثاني: حينما يُنفق ماله، يتمنى أن يعود عليه. قال:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾

[سورة سبا الآية:39]

فأهم شيء بالإنفاق: أن الله يعلم, وسيعوض عليك, لم يبق شيء, لم يعد في عذر للبخل, الله عز وجل سيعوض عليك, ويعلم أنك أنفقته.

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ :

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-, أنه قال :

((قال النبي ﷺ: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والترمذي في سننه]

نعمة الصحة لا تعدلها نعمة, ونعمة الفراغ لا تعدله نعمة؛ فمن أوتي صحة وفراغاً, ما عليه إلا أن يجاهد نفسه وهواه, وأن يجاهد في الله حق جهاده.

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه, معافى في جسمه, عنده قوت يومه, فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

لم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف؟ :

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال :

((قال عليه الصلاة والسلام: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

ما السبب؟ المؤمن القوي, ما معنى قوي؟ يعني مصارع ليس شرط, الغنى قوي, والذي يحتل منصب رفيع قوي, والذي يحمل دكتوراه باختصاص نادر قوي؛ فالقوة قوة العلم, والقوة قوة المال, والقوة قوة المنصب.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

الضعيف على العين والرأس مؤمن، لكن يحتاج أن تحمله، أما القوي يحملك، الإسلام يحمل الضعيف، لكن القوي يحمل الإسلام، لذلك: الله رب النوايا؛ الذي ينوي أن يجمع المال ليكون الإسلام قوياً بماله، الذي ينوي أن ينال شهادة عالية ليكون الإسلام قوياً باختصاصه.

الآن أحياناً: يأتي طبيب باختصاص نادر جداً، يقيم في سورية، يعني حل مشكلة كبيرة، كان الفقير، أم المريض، مضطر أن يسافر إلى أقصى الدنيا، ويدفع مئات الألاف، ليعالج عند هذا الطبيب، جاء إلى بلده، وأقام، فهذا مؤمن، لكنه قوي، عنده اختصاص نادر؛ فالاختصاص النادر، والمال الوفير، والقوة في المنصب، هذه كلها قوة، وأصحابها أحب إلى الله تعالى، لأنهم يحملون بها الإسلام.

قصة :

أنا مرة ذكرت لكم: معنا أحد من علماء دمشق كان في تركيا، وبلغه أن أحد كبار التجار في تركيا، دفع لنشر هذا الدين لأناس يثق بهم ثلاثمئة مليون دولار، هذا العالم الذي في دمشق، كان في هذه البلاد يزورها، فلما سمع به، اشترأبت عقوله إلى أن يراه، إنسان دفع ...

-نحن عندنا -الحمد لله- يدفع خمسين ألف، يريد رخامة، يريد رخامة، ويريد المحسن الكبير، وتجده يمشي مثل الطاووس، دفع خمسين ألف لجامع مثلاً، هذا دفع ثلاثمئة مليون دولار.-

أراد هذا العالم الجليل من دمشق: أن يرى هذا المحسن، طلب أن يلتقي به، دُعياً إلى طعام الفطور، جاء العالم الدمشقي جلس ربع ساعة، نصف ساعة، لم يأت، قال: أين هذا الذي دعوتوني من أجل أن أراه؟ قال: هذا، هو جاء قبلك، جاء قبلك بربع ساعة، دهش!! من تواضعه، ومن أدبه.

فهذا الذي ينفق ماله، ينافس أكبر عالم، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله علماً، فهو ينفق من علمه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفق من ماله آناء الليل وأطراف النهار))

معنى: أنت بعلمك ترقى، والله يحبك، خير وأحب إلى الله، وبإنفاق مالك ترقى، إذا كان وصل لمنصب رفيع، وتقيم فيه الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، أيضاً: الله يحبك.

هل يحرم المؤمن الضعيف من الخير؟ :

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.
-لكن النبي -عليه الصلاة والسلام-: جبار الخواطر. قال:- وفي كل خير))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

حتى الضعيف على العين والرأس، أما القوي أحسن.

يعني: شخص بإمكانه يحل مشاكل البائسين، شخص معذب، يحتاج إلى مأوى، أمن له مأوى.

شخص يحتاج إلى عملية جراحية خطيرة جداً، قال له: هذه العملية علي، شخص يحتاج يعني ليبنى غرفة لبناته، هم مع أولاده في غرفة واحدة، في مخالفة شرعية، قال له: الغرفة أنا أعملها؛ فالغني قوي، والعالم قوي، وذو السلطان قوي.

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف؛ -لكن- وفي كل خير.))

كيف تكون الاستعانة بالله؟ :

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.

-احرص على ما ينفعك: يعني: خذ بالأسباب، والأسباب لا تكفي.

واستعن بالله: الاستعانة بالله من دون أخذ أسباب لا تكفي، والأخذ بالأسباب من دون استعانة لا تكفي، فهما

شرطان, شرطان لكل نجاح: أن تأخذ بالأسباب, وأن تتوكل على الله.-.

احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز, وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا, ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل, فإن لو تفتح عمل الشيطان))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لا زلنا في الأحاديث المتعلقة بالمجاهدة.

يعني:

((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز))

لا تقل: لا أستطيع, لا تقل: شيء ليس باليد, لا تقل: قضية ميئوس منها.

استعن بالله ولا تعجز.

احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز :

أنا لي صديق مدرس في التعليم الثانوي, اختصاص فيزياء وكيمياء, أصيب بمرض خبيث في رتته, الطبيب المعالج صديقي, باليقين القطعي سرطان في الرئة, القطعي, أخذت عينات, خزعات من رتته, وحللت في دمشق بأشهر مخبر, أخذت عينات إلى بريطانيا النتيجة واحدة: سرطان خبيث, زرته في البيت, والله بكيت, يسكن في بيت, يساوي ثمنه ثمن عملية جراحية, تجرى له في أمريكا, نجاحها بالمئة ثلاثين, وقد وقع أهله في صراع شديد, أضحون بالبيت وقد لا تتجح العملية, أم يشعرون تجاه رب الأسرة بالذنب دائماً, بخلوا عليه بهذه العملية؟.

لا يوجد بيت ثان, لا بد من بيع البيت, ثم تراجع هذا المرض شيئاً فشيئاً, إلى أن تلاشى, والقصة مضى عليها أكثر من اثنتي عشرة سنة, والآن حي يرزق.

((احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز))

كثيرون قيل لهم: انتهى أجليكم, وعاشوا سنوات وسنوات.

يوجد لنا أخ من أخواننا في الحريقة, يقول لي هذه القصة, قال لي: أنا ولدت في بيت عربي, في غرفة, في ساعة الولادة, لي مرت عم, الغرفة الثانية, بينهما طبله, هذه امرأة العم مريضة مرض خطير, جاؤوا بالطبيب, قال: ميئوس من شفائها, أقسم بالله, -هكذا تروي له يعني أمه-, قال: اكتبوا النعوة وانتهت, وكتبت نعوتها, ثم أكرمها الله بالشفاء شيئاً فشيئاً.

قال لي: أنا ولدت -مثلاً- في أيلول, بعد خمس, ست سنوات دخلت المدرسة, بعد عشر سنوات نزلت إلى عند أبي على المحل, بالخمسة عشر توفي أبي, حليت محله, بالخمس وعشرين اشترى بيتاً -مثلاً- متواضع, قال لي: بالأربعين أخذت بيت بالعدوي فخم جداً, قال لي: بالخمس وأربعين زارتي امرأة عمي, بعد خمسة وأربعين عاماً, وقد قيل لهم: اكتبوا النعوة, وانتهى أجلها؛ لذلك:

((احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز, وإن أصابك شيء, فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا, ولكن قدر الله ما شاء فعل, فإن لو تفتح عمل الشيطان))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

وهذا الحديث: يدخل في باب الجهاد؛ لا تخنح, لا تيأس, لا تقل: انتهينا.

إذا كنت جندياً لله حقاً, فأنت الغالب :

الآن: كم يبدو لكم أن المسلمين انتهوا في العالم؟ العالم كله ضد المسلمين, كله, والله الذي لا إله إلا هو: لو أنهم صدقوا الله, واصطلحوا معه, وتابوا إليه, والله لترون المعجزات.

في أمثلة, أنا لا أحب أذكرها كثيراً, لئلا يقال كذا وكذا, لكن معقول مثلاً ألف شيشاني, مثلاً ألف بالجبالي؛ لا معهم مدرعات, ولا طيران, بواريد يأخذونها من أعدائهم فقط, يمرغون رأس ثاني أقوى دولة في العالم بالوحل؟ معقول؟! ويقف رئيسهم نداءً بنداً أمام مقاتل شيشاني, معنى ذلك: أن الإنسان إذا اصطاح مع الله, الله عز وجل معهم, ونحن

مدعوون للصلح مع الله.

هل يعقل اليهود الذي لا يتجاوز عددهم مليون يتحدونا مثلاً؟! معقول!!.

فطبعاً: إذا هان أمر الله علينا, هنا على الله, أما إذا عظمنا أمر الله عز وجل, دافع الله عنا, لأن الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج الآية:38]

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة غافر الآية:51]

في الدنيا مستحيل, إذا كنت مؤمناً حقاً, فأنت منصور حقاً:

﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:173]

﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:173]

فإذا كنت جندياً لله حقاً, فأنت الغالب.

هذا المطلوب منا :

يا أيها الأخوة, الله عز وجل لم يطالبنا بأن نعد لأعدائنا قوة مكافئة, هذا الشيء مستحيل, هم أقوى منا بكثير, ولكنه طالبنا بالقوة المتاحة, ليست المكافئة, بل المتاحة. قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال الآية: 60]

والباقى على الله.

أنا ذكرت مرات عديدة, كيف لو الله يتدخل مباشرة؟ تحسم المرع لصالح المؤمنين, لو أن هؤلاء أهل للنصر.

نهاية المطاف :

وعن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

((حجبت النار بالشهوات, وحجبت الجنة بالمكاره))

ثمن الجنة:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية: 40]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية: 41]

فالجنة محفوفة بالمكارم, ثمن الجنة؛ غض البصر, والصلاة, الذكر, الصيام, الحج, ضبط اللسان, ضبط النظر, ضبط اليد, الدخول الحلال, هذا ثمن الجنة.

((حفت الجنة بالمكاره, وحفت النار بالشهوات))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

الحديث الأخير

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-83} : باب المبادرة إلى الخيرات

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 02-05-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

علام تحضنا هذه الآية؟ :

أيها الأخوة الكرام, الإمام النووي -رحمه الله تعالى-, عقد باباً في كتابه رياض الصالحين سماه: المبادرة إلى الخيرات, وقد بدأه ببعض الآيات, فقال في مفتح هذا الباب, أورده قوله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

هل سمعت في حياتك كلها: أن إنساناً دخل في مسابقة وحده؟ وحده لا يوجد مسابقة, المسابقة تقتضي: أن تكون في جماعة.

إذاً: قوله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني: أن تكون مع المؤمنين, لا أن تكون وحدك, فالذي يعيش وحده, منعزلاً عن مجموع المؤمنين, يقع في أوهام كثيرة؛ قد يفتي لنفسه فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان, قد يعيش قيم الناس التائهين, قد يبتعد عن منهج الله القويم, قد ينحرف؛ ليس له مرجع, ليس له منهل, ليس له مبدأ, أما إذا كنت مع المؤمنين, فأنت في حال آخر.

قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

[سورة الكهف الآية:28]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾

[سورة الكهف الآية:28]

على الأرض جالس، ولا يوجد ضيافة، أما في أماكن أخرى؛ في مقاعد وفيرة جداً، وفي ضيافة ثمينة جداً، في مناظر تبهج العين:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

-دقق في هذه الآية-:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

إياك أن تطيعه، إياك أن تستنصحه، إياك أن تسترشد، إياك أن تعرض له مشكلتك، لن يعطيك إلا الشر:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

بالمقابل:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

[سورة لقمان الآية:15]

المستقيم الذي أناب إلى الله، الذي استقام على أمر الله، الذي عرف الله، الذي اتصل بالله؛ استرشد بإرشاده، استهد بهداه، استشره، أسأله.

ما المطلوب منك من هذه الآية؟ :

الآية الثانية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[سورة التوبة الآية:119]

-كأن الآية تقول: لن تستطيعوا-:

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:119]

يعني: لن تطيعوا الله إلا إذا كنتم مع الصادقين، أما أن تكون محاط بأناس متفلتين، محاط بأناس شاردين، محاط بأناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة؛ هؤلاء يشدونك إليهم، هؤلاء يثبطون عزيمتك، هؤلاء يضعفون همتك، هؤلاء يرغبونك في الدنيا، فأخطر شيء في حياتك: البيئة؛ من تصاحب؟ مع من تسهر؟ تذهب إلى النزعات مع من؛ مع أهل الدنيا، يلعبون الطاولة إلى ساعة متأخرة من الليل، أم يذكرون الله عز وجل؟.

يعني: أخطر شيء بعد عقيدتك: البيئة التي تحتضنك، هذه إن كانت صالحة صلحت، وإن كانت فاسدة فسدت.

إليكم هذه الآيات التي تأمرنا أن نكون مع الصادقين :

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:119]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الممتحنة الآية: 13]

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:51]

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة المجادلة الآية:22]

لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي :

بحياتك في علاقته: في علاقة حميمة، في علاقة عمل؛ علاقة العمل: لك أن تلتقي مع أي إنسان ضمن عملك؛ مسلم، غير مسلم، كافر، منحرف، عاصي، علاقة عمل محدودة، أما العلاقة الحميمة، السهرات الطويلة، والنزهات المديدة، والمشاركة الكاملة الاندماجية، هذه ينبغي أن تكون مع المؤمنين حصراً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

كل هذه المعاني مستنبطة من قوله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني: أنت في مجموع, أنت مع المؤمنين, وإلا أي سباق هذا؟ إذا كنت وحدك التغي السباق.

نقطة مهمة :

يوجد نقطة مهمة: القرآن الكريم كلام الله, وأي أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب. يقول الله لك:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يجب أن تستبق.

وما لا يتم الشيء إلا به فهو منه.

الصلاة فرض, والوضوء فرض, لأن الصلاة لا تتم إلا بالوضوء.

ما لا يتم الفرض إلا به, ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

يقول الله لك:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

معنى فاستبقوا: يعني كن مع المؤمنين, من أجل أن تستبق معهم, فالاستباق يقتضي أن تكون مع المؤمنين.

و:

((الجماعة رحمة, والفرقة عذاب, وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد, وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))

البعيدة.

((ويد الله على الجماعة, ومن شذ شذ إلى النار))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لذلك: أن تكون مع المؤمنين الصادقين نعمة كبيرة؛ تأنس بهم, ينصحونك, يأخذون بيدك, يسددون خطاك, يقدمون لك خبراتهم, فلا بد من أن يكون لك مرجع, مرجع ديني, لا بد من أن يكون لك منهج تسير عليه, منظومة قيم, تأتمر بها, وتنتهي بها.

الآية الأولى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

علام تشير هاتان الآيتان؟ :

والآية الثانية:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

وهذه الآية -أيها الأخوة-: تملأ القلب طمأنينة, طالع إلى ماذا؟ سارع, لأن الوقت محدود. الآية الكريمة:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

يعني: في أي مكان أنت, أو في أية مكانة أنت:

﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني: أنت الآن تتمتع بما يسمى حرية الاختيار, وحرية الاختيار أحد أسباب سعادتك الأبدية, أما هذه الحرية ليست لك دائماً, هذه لك إلى أن يأتي الأجل:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

الاستباق محدود.

يعني أحياناً: تفتح مسابقة من واحد لخمسة, بعد هذا التاريخ الطلبات مرفوضة, فأنت تتمتع بحرية الاختيار ما دمت حياً ترزق, فإذا جاء الأجل, انتهى الاختيار, وختم العمل, وسيق الإنسان إلى مصيره شاء أم أبى.

أيها الأخوة, هاتان الآيتان تشيران إلى قيمة الوقت, أنت بضعة أيام, كلما انقضى يوم, انقضى بضع منك, أنت وقت, وقت, وقت.

هل يوجد فرق كبير بين هاتين الصورتين, وكيف ترد على فعلهما؟ :

انظر إلى صورتك قبل عشرين عام, غيرها الآن, والتي بعد عشر سنوات غير الصورة الحالية, معنى الليل والنهار -انظر- يعملان فيك, انظر إلى صورتك, حينما كنت صغيراً في الصف السادس, لا يوجد نسبة, شيء آخر.

فالفرق الكبير بين الصورتين من فعل من؟ من فعل الزمن, الليل والنهار يفعلان فيك, يعملان فيك, كيف ترد على فعلهما؟

قال: تعمل فيهما.

اعمل فيهما الخيرات, حتى تلغي مضي الزمن, الزمن يمضي, ومضي الزمن: يعني استهلاك الإنسان, كائن متحرك إلى هدف ثابت, معنى كل لحظة تمضي, تقره من هدفه الثابت.

هذا الإنسان بالقياس الزمني :

فيقولون: إذا كان نقطة حركناها ترسم خط, إذا خط حركناه, يرسم سطح, إذا كان سطح حركناه, يرسم حجم؛ طول, عرض, ارتفاع, إذا الحجم حركناه يشكل زمن, الزمن هو البعد الرابع؛ في طول, عرض, ارتفاع, وإذا تحرك هذا الشيء الحجمي يشكل زمناً.

فنحن أحد أبعادنا, الواحد منا: له وزن, له طول, له عرض, ألا يقولون: أرنا عرض أكتافك؟! يعني له عرض, وله طول, وله وزن, أما حينما يتحرك, يشكل البعد الرابع, البعد الرابع هو الزمن, والزمن وعاء العمل, والزمن محدود, والزمن يتناقص, وأولى بالإنسان أن يعد عمره عدّاً تنازلياً.

الآن: اركب, اذهب إلى حمص؛ 5-10-20-40-60-80-100-120-140-160, حمص ترحب بكم, أليس كذلك؟ على اللوحات, والأولى أن يعد الإنسان عمره هكذا, ليقول: كم بقي؟ يعني:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

ما أجمل الآية!! أنت الآن هنا؛ هناك الماضي, وهناك المستقبل, الماضي مغطى بالمغفرة, انتهى الأمر, والمستقبل بالجنة, إلام يدعوك الله عز وجل؟:

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

ماذا يفعل هؤلاء؟:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:134]

هذه صفة هؤلاء: الذين يسارعون في الخيرات.

هاتان الآيتان, بدأ بهما الإمام النووي -رحمه الله تعالى- هذا الفصل.

بادر إلى الأعمال الصالحة قبل أن تقع في هذا المنزلق :

أيها الأخوة, وأما الأحاديث:

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه, يقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم, يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً, أو يمسي مؤمناً أو يصبح كافراً,
يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل))

الإيمان التقليدي هش, لا يصمد أمام الفتن, لا يصمد أمام الضغوط, لا يصمد أمام الإغراءات, والإغراءات ما
أكثرها اليوم.

يعني: يكفي أن تجلس إلى جهاز, وأن ترى كل شيء, وأن ترى الشيء الذي يستحي أن يفكر الإنسان فيه,
يستحي من التفكير فيه, يراه كبسة زر, لذلك: أشخاص كثيرون, بالخامسة والستين تركوا الصلاة, وسهروا, عملوا
قيام ليل على الصحن, يعني:

((يمسي مؤمناً ويصبح كافراً, يصبح كافراً ويمسي مؤمناً, يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل))

كلامي في آخر الزمان, الفتن كثيرة جداً, والمغريات كثيرة جداً, والدنيا بأبهى زينة, والنساء كاسيات عاريات,
وسائل التسلية كثيرة جداً, وسائل تمضية الوقت كثيرة جداً, ممكن يغرق الإنسان باحتقالات, وأمسيات, وسهرات,
وندوات, ونوادي, ولقاءات, و..... دون أن يشعر, إلى أن يأتيه الأجل, تفضل, فجأة: يصحو على ملك الموت:

﴿فَدَرَهُمْ يَخَوْضُوهَا وَيَلْعَبُوهَا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:83]

إذا:

((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم, يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً, أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً,
يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل))

عبادة في الهرج كهجرة إلي, والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه :

نحن في آخر الزمان, ونحن في زمن الفتن, وفي زمن الثقلت, وفي زمن الكسب الحرام, وفي زمن الاختلاط, وفي
زمن أن الإنسان عليه أن يأخذ المال من أي طريق, وبأية طريقة, وبأي أسلوب, في هذا الوقت:

((عبادة في الهرج كهجرة إلي، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))

أتريد مأوى تحفظ فيه دينك؟ إليك هذا :

قال:

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾

[سورة الكهف الآية:16]

أي كهف هذا؟ بيتك الكهف، وبيت الله هو الكهف، بيتك لا يوجد فيه فتنة، وبالجامع لا يوجد فتنة، أما الطريق في فتنة، والمقاصف فيها فتنة؛ نساء بأبهى زينة، وغناء، و..... مكانك ليس في المقصف، هذا المكان ليس لك، هذا لغيرك، الأماكن العامة إذا فيها اختلاط، وفيها معاص، وفيها فجور، هذا ليس المكان مكانك:

﴿فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾

[سورة الكهف الآية:16]

سؤال وجه للنبي عليه الصلاة والسلام :

وجاء رجل إلى النبي ﷺ - فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجراً؟.

الآن أشخاص كثيرون، هم على فراش الموت؛ مليون لفلان، مليون للجمعية الفلانية، مليون للميتم الفلاني، مليون للمعهد الفلاني، ما شاء الله جيد، لكن البطولة أن تقول: مليون للمعهد الفلاني، وأنت صحيح شحيح، خمسمئات وأنت صحيح شحيح، لها معنى، أما الخمسمئات على فراش الموت، ليس لها معنى، أعطوا.

أن تصدق وأنت صحيح شحيح، أنت في أمس الحاجة إلى المال.

أنا ذكرت لكم من قبل: عن رجل مستخدم في التربية والتعليم، يعني مستخدم، دخله ثلاثة آلاف، ألفان بالشهر، عنده خمسة أولاد، يسكن في بيت عربي متداعي، ورث أرضاً، الأرض يعني بحى من أحياء دمشق المتواضعة، جاء من يشتريها منه، تساوما على ثلاثة ونصف مليون، والسعر مناسب، لا يوجد عنده غير الأرض، أول شي يعني يأتيه غير راتبه المحدود الذي لا يكفيه أيام، صاحب، الشاري وقع له شيك اثنين مليون، قال له: الباقي بعد التنازل للأوقاف، قال له: ما علاقة الأوقاف؟ قال له: هذه أريد أن أجعلها جامعاً، قال له: جامع! جامع! قال له: نعم، قال له: هات الشيك، أخذه ومزقه، قال له: أنا أولى بك أن أقدمها لله عز وجل، وقدمها لله، وأنشئ عليها مسجد، والآن مسجد بنهر عيشة.

يقول هذا الغني -ذو الحجم الكبير؛ مئتان، ثلاثمائة مليون، قال:- بحياته ما شعر حاله صغير أمام إنسان، بحياته كلها ما شعر حاله صغير، صغير أمام إنسان، كما شعر أمام هذا المستخدم، الذي قال له: أنا أولى منك بتقديمها لله عز وجل، وقدمها، المهندس أحد أخواننا الذي أنشأ هذه الأرض، عينه ناطور، لأن بيته جانب الأرض، عمل له أربعة آلاف بالشهر، لم يرض أن يأخذ، قال له: أربعة آلاف كثير، قال له: يا أخي، والله هذا سعر النواطير كلها، يساومه على أقل، أربعة كثير.

((أن تصدق وأنت صحيح شحيح))

يعني أحد أخواننا: حكى لي من يومين، ثلاثة، يعني شخص توفي، وحجمه المالي كبير، يعني كان سخياً جداً، مليونين، مليون، ثلاثة ملايين، كله وزعه، لكن متى؟ وهو على فراش الموت، أما المستخدم: هو في أشد الحاجة إلى هذا المال، قال له: أنا أولى منك أن أقدم هذه الأرض لله عز وجل:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة السجدة الآية:17]

لذلك :

((بادروا بالأعمال الصالحة))

قف هنا :

في نقطة دقيقة: أن الإنسان جمع أموال طائلة, واشترى بيوت فخمة, وسكن, وركب مركبات فارهة, ويتسابق مع أقرانه, أنا عامودين لحقت السنة, أنت عامود واحد, العامود يعني مليون, يعبرون عن المليون بالعامود, مسابقة مضحكة.

تصور طريق عريض, وفي سيارات سيق, ينتهي هكذا كله يقع في الآخر, السابق نازل, والمتأخر نازل, لأن الموت ينهي كل شيء, الموت؛ ينهي قوة القوي, ينهي ضعف الضعيف, ينهي فقر الفقير, ينهي غنى الغني, ينهي صحة الصحيح, مرض المريض, كله ينزل هكذا

المسابقة بالآخرة, بالآخرة في جوائز, في جنة, أما بالدنيا: بالنهاية لا يوجد غير موت.

هل سمعتم عن قبر خمس نجوم؟ أنا لم أر قبر نجوم, لا يوجد غير نجوم الظهر في القبر, لا يوجد شيء يعني شخص خبرني, قلت له: والله أنا كنت في أمريكا, ووجدت مقبرة هناك, أنا كنت أظن لا يوجد موت هناك, طلع في موت مثل هنا, على القبر, بالنهاية كله على القبر.

عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارق

فالمسابقة بالدنيا مضحكة, سيارات ويتسابقون.

تصور طريق هكذا قطع قطع, وحوالي مئة متر لتحت, حفرة ما لها من قرار, الأولي نزل فقط, الثاني نزل, الثالث نزل, الخامس نزل, آخر واحد نزل, هذا

المسابقة بالآخرة ليس في الدنيا: بالعمل الصالح, قال:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:26]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:61]

أما في الدنيا

هكذا عامل أبو عبيدة الجراح الدنيا :

دخلوا على سيدنا أبي عبيدة الجراح, قائد الجيوش الإسلامية إلى غرفته, فرأوا جلد غزال, وقدر ماء مغطى برغيف خبز وسيف, معلق على الحائط, قال له: ما هذا؟ قال له: هو للدنيا, وعلى الدنيا كثير, ألا ينغصنا البعير؟.

هذه الدنيا :

عندنا أخ من أخواننا الكرام, معمر بناء في أحد مصايف دمشق, أجمل بيت, والله أطلعني عليه, صاحب البيت مزوق, سنتين, ثلاثة؛ السيراميك, والألمنيوم البرونز, والجبصين بالمصيف, والبرندات, هنا العصر, هنا صباحاً نجلس هناك, هنا بعد الظهر, المطبخ, المطبخ بقدر ريع الجامع, كله خزن, مطل على إطلالة جميلة, البللور كله له مرايا, ترى ولا يُرى, الرخام كله إيطالي, فأتى بأول نقلة ليستقر, أتى بالنقطة الثانية, بقي النقطة الثالثة, قال له: أرجوك ينقصني منظم, ركب لي منظم, غداً - كان غداً الخميس - ركب المنظم, الخميس مساء توفاه الله, فقط, ولا داسها الفلة, ولا داسها, هذه الدنيا.

نظرة وعبرة :

في مهندس, يعني خطب حوالي خمس سنوات, عشر سنوات, عنده شروط معقدة جداً؛ أطوال, ومقاييس, ومحيطات, وألوان لحتى اختار الزوجة التي تروق له, ووالده من كبار مهندسي البلد, عرسه مثلاً الخميس, الثلاثاء كان في بناء, مد رأسه من أحد النوافذ, البناء على العظم, وقعت بلوكة من فوق بالخطأ, جاءت فوق رأسه مات, مات الثلاثاء, عرسه الخميس, فعملوا التعزية, ألبسوا العروس بدلة العرس, وزعوا حلويات العرس في

التعزية.

هذه الدنيا، كله ماضٍ، والموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل.

درسنا اليوم :

درسنا اليوم:

﴿وَسَارِعُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

و:

﴿سَابِقُوا﴾

[سورة الحديد الآية:21]

سارعوا وسابقوا، والمسارعة والسابقة تقتضي: أن تكون في جماعة، وأي جماعة؟ مع جماعة المؤمنين الصادقين، وأن تحتاط، رأس مالك العمل الصالح، والعمل الصالح هو العملة المتداولة يوم القيامة، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-84} : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا - العمل الصالح

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-05-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لماذا العقيدة مهمة في حياة المؤمن؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا, نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

أيها الأخوة, لماذا العقيدة مهمة جداً في حياة المؤمن؟ ولماذا هي خطيرة؟ لأن الإنسان ينطلق في حركته اليومية من عقيدته؛ أي من تصورات, أي من قناعاته, أي من رؤيته؛ له رؤية, أو له تصور, أو له قناعة, أو له عقيدة, أسماء لمسمى واحد, فإذا صحت عقيدة الإنسان؛ بمعنى أنه عرف سر وجوده, عرف حقيقة الحياة الدنيا, عرف أنه مخلوق للجنة, وأنه جيء به إلى الدنيا, ليدفع ثمن الجنة, وثمر الجنة هو العمل الصالح, إذا آمن هذا الإيمان, بنى حياته على العطاء, فإن غفل عن هذه الحقيقة, بنى حياته على الأخذ, وشتان في الحياة الدنيا بين الأخذ والعطاء؛ الريح في العطاء, والخسارة في الأخذ.

يبدو للإنسان القاصر: أن الأخذ ربح, والعطاء خسارة؛ هذا للأعمى, هذا للغافل, هذا لغير المؤمن, أما المؤمن يعلم علم اليقين: أن هذه الجنة التي عرضها السموات والأرض, ذات النعيم المقيم, والتي خلق لها, هذه الجنة ثمنها: العمل الصالح.

ما الذي يندم عليه الإنسان حينما يأتيه الموت؟ :

أيها الأخوة، لا شيء يندم عليه المؤمن، أو غير المؤمن، أو أي إنسان يأتيه الموت: إلا العمل الصالح، وقوله تعالى يؤكد ذلك:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

هذه هي الخسارة التي يجهلها كثير من الناس :

ورد في بعض الأدعية:

((لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزد فيه من الله قريباً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزد فيه من الله علماً))

يعني: أحكم يوجد عنده محل تجاري، وفي درج غلة، لو باع في اليوم مئة ألف، بمليون، ولم يزد من الله علماً في هذا اليوم، ولم يزد منه قريباً، فهذا اليوم خسارة، لأن الحسن البصري روي عنه، أنه قال: ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي يا بن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

الإنسان حينما يفتح عينيه صباحاً، يجب أن يعلم علم اليقين: أن الله سمح له أن يعيش يوماً جديداً، حسناً: ماذا يفعل في هذا اليوم؟ فرصة لا تعوض. قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

لك أن تتجه إلى المسجد، ولك أن تتجه إلى الملهى، لك أن تتجه لعمل صالح، ولك أن تتجه لعمل سيء، لك أن تستغرق في شهوة محرمة، ولك أن تستغرق في طاعة محببة:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

هو: تعود على الإنسان، هو مخير، لأنك مخير: سعادتك بيدك أصبحت:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾

[سورة الليل الآية:12]

عليك أن تختار، وعلى الله أن يهديك، الله عز وجل تكفل الهداية:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾

[سورة الليل الآية:12]

والاختيار منك، فهذا الاختيار هو سر سعادتك، أو سبب سعادتك. قال:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

-انظر:-

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

فاستبقوا؛ يعني أنت بعمر محدد، وأيام معدودة، ساعات معدودة، وأنفاس معدودة، وأماكن محدودة، وأوقات محدودة، وإمكانات محدودة، فبإمكانك أن تستغل هذا العمر المحدود بهذا الاختيار المطلق، وتمتلك سعادة إلى أبد الأبدين.

اختيارك محدود :

قلنا لك: ادخل لهذا المحل، محل حلي، ذهب، ألماس، لك أن تمكث فيه عشر دقائق، ولك أن تأخذ من هذه الدقائق العشر ما تشاء، لما خيرناك تأخذ ما تشاء بعشر دقائق، فينبغي ألا تضيع ولا ثانية، كلما اخترت الألماس الأعلى، والذهب الأعلى عياره، تكون ذكياً. فقال:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

لكن هذا الاختيار ليس دائماً، محدود. قال:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية:148]

إذا انتهى الأجل، انتهى الاختيار، انتهى العمل، تحدد مقامك في الجنة، أو -لا سمح الله- استحق النار:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة الآية:148]

هذا الفرق بين أهل الدنيا وبين من عرف حقيقة هذه الحياة :

بصراحة: راقب نفسك, ما الذي يعجبك؛ أن تأخذ, أم أن تعطي؟ إن كان يعجبك أن تأخذ: فأنت من أهل الدنيا, ولم تعرف سر وجودك, ولم تعرف حقيقة الحياة الدنيا, ولم تعرف أن هذه الدار دار تمهيد في دار القرار, أما الذي عرف حقيقة الحياة الدنيا: يبني حياته على العطاء؛ يعطي وقته, يعطي ماله, يعطي جهده, يعطي خبرته, يعطي ذكاهه, يعطي عضلاته, يعطي حرصه, يعطي حرفة لله عز وجل, يبتغي وجه الله, فلماذا العقيدة مهمة جداً؟.

يقول لك: البشر بشر, تجد شخصاً ليس له مجلس علم, يظن نفسه كلما حصل مالاً أكثر , كلما خلس الناس مالهم, وكلما كان عنده ذكاء, بحيث جمع أكبر ثروة ممكنة, أو كلما استطاع يقنع الناس بخطأ, يستغل جهلهم ليأخذ أموالهم, يعد نفسه تاجراً مرأً, وكاسداً ذكياً, أما إذا عرف الله, وعرف سر وجوده, وعرف غاية وجوده, وعرف حقيقة الحياة الدنيا, وعرف أن الآخرة دار القرار, وأنها إلى أبد الأبد, وأن مكانك في الآخرة متعلق بعملك في الدنيا, اختلف مئة وثمانين درجة؛ صار يحب العطاء لا الأخذ, يحب البذل, يحب أن يكون في خدمة الآخرين, لا أن يستهلك جهود الآخرين.

ماذا فعل الأنبياء؟ أعطوا ولم يأخذوا.

اسأل نفسك هذا السؤال :

أنت اسأل نفسك هذا السؤال الحرج: ماذا قدمت لله عز وجل؟ يقول لك: ماشي الحال, هذه لا آية, ولا حديث هذه.

يعني: الحياة ليس لها معنى, الحياة لا معنى لها, الحياة تافهة, تعيش لأنه لا يوجد موت, تعيش لحكم وجودك, هذا مقامك عند الله, هذا الكون العظيم, الذي سخره الله لك, من أجل أن تعيش حياة بهائم؛ أكل, وشرب, ونوم, وعمل ليس غير.

إنسان بالعالم الغربي, إنسان بلا هدف, آلة, ثماني ساعات عمل شاق؛ طعام, تلفزيون, نوم, وكل يوم مثل الثاني, إلى أن يأتي الأجل؛ لا يوجد هدف, لا توجد رسالة, أما المؤمن إذا عرف الله, إذا له مجلس علم, عرفت من أنت؛ أنت إنسان عظيم, أنت المخلوق الأول, أنت الذي سخر الله لك ما في السموات والأرض, أنت الذي خصك

بعطاء لم يعطه لأحد, أنت الذي جعلك فوق الملائكة إذا آمنت به, وأنت الذي وضعك تحت أحقر حيوان إذا لم تعرفه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾

[سورة البينة الآية:6]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

[سورة البينة الآية:6]

يعني: إما خير ما برىء الله, أو شر ما برىء الله؛ فلا شيء يعلو على طلب العلم, ولا شيء يعلو على معرفة الله, ولا شيء يعلو على منهج الله, ولا شيء يعلو على سنة رسول الله, ولا شيء يعلو على معرفة كلام الله.

كلما ازداد علمك اتسع أفقك

يعني: بعض الأخوة الأكارم, يتلقى العلم عن صدفة, يعني وجد نفسه فارغاً حضر درساً, الأساس عمله, فإذا وجد فراغاً طارئاً, حضر درساً, يعني سمع كلمة بعقد قران, سمع كلمة بتعزية, هذه معلوماته.

بربكم, لو هكذا شاب معه بكالوريا, من حين لآخر يشتري مجلة طبيبك, يقرأ كم مقالة بالطب, هذا يصبح طبيباً؟ لو يبقى مليون سنة, يقرأ طبيبك, ويجلس مع طبيب, يسمع القليل من النهفات منه, لا يصبح طبيباً؛ الطب منهج, الطب جامعة, الطب كلية, الطب منهج دقيق جداً, مدروس, مبرمج.

فأنا أتمنى أن يكون للأخ الكريم منهلاً علمياً صادقاً, مرجعاً دينياً؛ يعني طلب علم مركز, طلب علم دوري, طلب علم يلقي به باستمرار.

يعني: كلما ازداد علمك, اتسع أفقك, كلما ازداد علمك, عرفت سر وجودك, كلما اتسع علمك, صح سلوكك.

لاحظ معنا :

أنت لاحظ طبيب مثلاً، درس ثلاثاً وثلاثين سنة، لا يمكن أن يأكل فاكهة من دون غسل ؛ اعتاد على الجراثيم، وعلى العدوى، والأمراض السارية، والبكتريا، والإنتانات المعوية، ويرى بعينه.

مرة كنا بسهرة، في طبيب قدموا له يعني حلويات من أعلى مستوى، فيها قشطة، اعتذر ، قال: أنا أرى كل يوم الشرابين مسدودة في هذه الدسم، فإني أربأ لنفسي أن أكل هذا الدسم.

العلم يعطيك أفقاً واسعاً، العلم يعطيك سلوكاً قوياً، العلم يعطيك رؤية عميقة وبعيدة، فالإنسان لا يبقى من دون علم.

يعني: إن الله عالم، يحب كل عالم، الله لم يقل لك: قل لا إله إلا الله؟ قال لك:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[سورة محمد الآية:19]

يجب أن تعلم.

رسالة تهنئة :

فأنا أهنيء كل أخ كريم، يعني يستقي العلم من المسجد، هذا مكانه الطبيعي، ومن فضل الله: أي مكان في الأرض في بطاقات، في بطاقة رسم دخول، إلا المساجد؛ لا فيها رسم دخول، ولا اشتراك سنوي، ولا أتعاب، ولا تعويض، ولا في شيء لوجه الله، التدريس لوجه الله تعالى.

يعني: لا يستطيع إنسان يدخل إلى عند الطبيب، إلا ويكون معه خمسمئة أقل شيء، لا يستطيع أن يقابل محامياً دون مبلغ في جيبه، حتى اللقاء الأول، حتى اللقاء الأول له ثمن، إلا في أمور الدين، سبحان الله! كله مبذول، بلا مقابل، والدين أخطر علم، كل علم ممتع، أما في علم ممتع نافع، في علم ممتع نافع مسعد، العلم الديني: علم ممتع، نافع، مسعد.

فأنا انطلقت من حديث لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-:

((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا, نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

المؤمن إذا عرف الله, وعرف أن هؤلاء جميعاً عيال الله, وأنه كلما أكرمهم, وكلما نصحهم, وكلما خفف عنهم متاعب الحياة, وكلما بث فيهم الطمأنينة, كلما بث فيهم السلم, بث فيهم الفضيلة, رضي الله عنه, لذلك ينطلق بشكل مخيف.

بالإيمان في سر, سبحان الله! ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن, حتى تعبر هذه الحقيقة عن نفسها بحركة نحو الخلق.

يعني مؤمن ساكن, لا يوجد مؤمن خاضع في بيته, متوقع, ليس لي علاقة بالناس, ليس لي دخل, الناس هلكي, لا يوجد فيهم خير.

من قال: هلك الناس فهو أهلكهم.

من كفر مسلماً فقد كفر.

هذا الذي يبأس من نشر الحق, إنسان بعيد عن جوهر الدين.

نصيحة :

لي عندكم هذه النصيحة: قبل أن تناموا, ما العمل الذي فعلته ابتغاء وجه الله؟ لا تريد سمعة, ولا كتاب, ولا شكر, ولا مدح, ولا ثناء, ولا تنويه, ولا سمعة, ولا مكانة, عمل لوجه الله, تبتغي به الدار الآخرة, هذا الذي ينفحك, هذا الذي تدخره لساعة الفراق.

ويا أيها الأخوة, ساعة الفراق تأتي فجأة, الحد الأدنى, قد يكون إنسان يتمتع بأعلى صحة, قد يكون حادث.

كلمة :

أنا أقول لكم هذه الكلمة, والله الذي لا إله إلا هو, لا يشغل المؤمن شيء في حياته, كأن يهتم بأمر الله ونهيه, ما حكم الشرع في هذا: يجوز أو لا يجوز؟.

أحياناً الإنسان: يعني يكون دخله في معصية, في دخله معصية صريحة, يقول لك: أنا أبيع طاولات زهر.

النبي قال:

((من لعب النرد, فكأنما غمس يديه في لحم خنزير ودمه))

فهذه الطاولة محرم بيعها, يختارون مهناً رائجة, فيها معصية.

شارع بأكمله من بعد باب الجابية حتى شيخ حسن, صار كله يصنع صحن, يقول لك: أربح, الحمد لله, الله موفقنا, الله معرفته بالمعصية.

يعني: هذه التي ترقص, تقول: الله موفقها بالرقصة, نفس الشيء, أو الشيء نفسه.

يعني: الإنسان لا يكون جاهلاً؛ في دخول مشبوهة, في علاقات مشبوهة, في طريقة بالبيع مشبوهة, فتفقهوا قبل أن تدخلوا السوق, من تفقه قبل أن يتاجر سلم, أما من دخل السوق ولم يتفقه, أكل الربا شاء أم أبي, إذا بالدخل في حرمة, صار في مشكلة.

أمنية :

فهذا الذي أتمناه عليكم: أن تدققوا في حياتكم, أن تدققوا في بيوتكم, الذي يُطلب منا شيء واحد: أن نقيم الإسلام في بيتنا, وفي عملنا, انتهى الأمر, ولا تكلف فوق هذا بشيء, دعك من كل الأخبار, دعك من كل مشكلات المسلمين في العالم.

الله عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:105]

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:105]

قبل كل شيء: أنا علي أن أستقيم.

الحقيقة المرة خير ألف مرة من الوهم المريح :

دائماً خذ هذه القاعدة: الحقيقة المرة, خير ألف مرة من الوهم المريح.

تجد شخصاً مقيماً

والله, والله التقيت مع شخص, قال لي: الحمد لله, والله الله مجبحة علينا, عندنا مطعم الحمد لله, ودخل كبير, لكن الشيف -الله يصلحه- يبيع خمرأ, إن شاء الله في رقبته: قال لي.

والله يصلي أول صف بالمسجد, أول صف يصلي, الخمس أوقات في المسجد, الحمد لله, الله مفضلها, الله يصلحه, إن شاء الله برقبته: قال لي, ليس لي علاقة أنا, قال لي: والله نصحته, لكن لم يرض, مرتاح, هذا الجهل بعينه, أنا أربأ بالمسلم.

زيارة :

مرة زرت بلداً غربياً, زرت المغرب مرة, وجدت لا يوجد جنس الدين في البلد كله, لا يوجد فيه غير مساجد, مظاهر إسلامية, أما سلوك

فسألني أخ: ماذا رأيت في المغرب؟ قلت له: رأيت الإنسان يضع أمامه, -طبعاً: تشبيه- هو يضع أمامه لحم خنزير, وكأس خمر, ولأنه مسلم, يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

يعني سمى، ولما انتهى، قال: الحمد لله على نعم الله، علاقته بالإسلام: سمى، وحمد الله على لحم الخنزير، وكأس الخمر.

المعاصي كلها في هذه البلاد، لم يبق غير الصلاة، في مساجد، في صلاة؛ أما التعامل، الانحراف، تغلبت النساء.

متى يسوق الله هذا الابتلاء للمسلمين؟ :

الله عز وجل قال:

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل الآية:112]

الجوع و الخوف. وقال الله عز وجل:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام الآية:65]

وقال:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

-يعني: ما من قرية-:

﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

تجد مسلمين متقلتين؛ اختلاط، والمال الحرام، وعدوان، وانتهاك أعراض، وكسب مال حرام، وفي مساجد، وفي دروس، وفي خطب، وفي

الله عز وجل: يعني يسوق لهؤلاء البلاء، ما يجعل الحليم حيران.

ماذا فسر العلماء هذا الخير؟ :

الله عز وجل قال:

﴿إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾

[سورة هود الآية:84]

سيدنا شعيب يخاطب قومه:

﴿إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾

[سورة هود الآية:84]

ماذا فسر العلماء هذا الخير؟ قال: رخص الأسعار، وفرة المواد.

المواد موفورة، والأسعار رخيصة، أما إذا الأسعار غالية جداً، يجوز في وقت لم يكن يوجد مواد، شيء صعب، يوجد مواد الآن لكنها غالية، لا تتناسب مع دخل الإنسان المتوسط، هذه مشكلة إذاً.

كان سيدنا عمر: أول ما يسأل، يقول: كيف الأسعار عندكم؟.

يجوز هذا الدرس

حديث اليوم :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

المؤمن بنى حياته على العطاء، وغير المؤمن بنى حياته على الأخذ، وإذا أردت أن تأخذ أم أن تعطي، والذي يعطي هو الذي يفوز يوم القيامة، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-85} : ميزان المؤمن - الإصلاح بين الناس

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-05-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أكبر نشاط للإنسان هو الكلام :

أيها الأخوة الكرام:

الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عقد باباً في كتابه رياض الصالحين، سماه: الإصلاح بين الناس.

وكعادته: يبدأ بابه ببعض الآيات الكريمة المتعلقة بمحور نفسه؛ فالآية الأولى: يقول الله عز وجل:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

أكبر نشاط للإنسان: هو الكلام؛ الفقير يتكلم، والغني يتكلم، والعاقل يتكلم، والذي يعمل يتكلم، والصغير يتكلم، والكبير يتكلم، والأخلاقي يتكلم، والفاسق يتكلم، أوسع نشاط للإنسان هو الكلام.

والإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- عد في إحيائه أنواعاً كثيرة من معاصي اللسان.

ما هو اللغو؟ :

الله ﷻ يقول:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

كلام فارغ، هذا إن لم تغتب؛ إن لم تكن مغتاباً، ولا مؤتقاً، ولا ساخرًا، ولا طاعناً، ولا محتقراً، إن تلافيت كل معاصي اللسان -دق- إن تلافيت كل معاصي اللسان، قد تقول كلاماً لغواً لا معنى له. قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

واللغو ما سوى الله، وحينما يُكشف للإنسان، تُكشف له الحقائق عند الموت، لا يندم إلا على ساعة واحدة مضت، لم يذكر الله فيها، لا يندم إلا على ساعة مضت، لم يذكر الله فيها.

إليكم هذه الأحاديث والآيات التي وردت في فضل ذكر الله :

قال:

((وما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار))

أما إذا جلسوا مجلساً ذكروا الله فيه، -دق-: غشيتهم الرحمة -رحمة الله مسعدة- ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده.

الرحمة هي السعادة، والسكينة هي الطمأنينة، والملائكة تحفهم؛ أي تسدد خطاهم، يوفق في أعماله، صار ملهم، مشدد فيه.

وذكرهم الله فيمن عنده: رفع ذكره، إذا ذكرت الله ذكرك، لكن ذكره لك، أعظم ألف مرة من ذكرك له، والدليل:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

يعني: ذكر الله لك حينما تذكره، أكبر بكثير من ذكرك له، أنت إذا ذكرته، قمت بواجب لك، أما إذا ذكرك، أسعدك في الدنيا والآخرة. لذلك:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:152]

((ما ذكروني عبد في ملاً، إلا ذكروني في ملاً خير منهم، ولا ذكروني في نفسه، إلا ذكروني في ملاً من ملائكتي))

وأجمل آية في هذا المعنى:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:4]

أنت حينما تكون جندياً لله عز وجل، تستحي أولاً، وتحترق نفسك ثانياً: أن تصرف كلامك لأمر

((الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل))

متى ينجو العبد من عذاب الله؟ :

ربنا عز وجل يقول:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

يعني: أنت جالس في البيت مع أهلك، -دق- ما الذي يقال؟ كلام فارغ أحياناً، أحياناً: في غيبة، في نسيمة، في بهتان، في محاكاة، في تقليد، في طعن، في سخرية، هذه كلها معاص، لن تنجو من عذاب الله، إلا إذا عددت

كلامك من عملك, كلامك من عملك, جزء من عملك, لا تقل لي كلاماً بكلام.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً, يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

موقف شنيع :

بنت بالروضة لها صديقة, قالت لها: زوريني -عمرها أربع سنوات- قالت لها: أزورك, سألت أمها, قالت لها: أين بيتها؟ قالت لها: بالمهاجرين, عال, قالت لها: لا, نحن لا نصعد على الجبل.

أنت ماذا فعلت أيتها المرأة؟ هذا الذي يحتقر مساكن الناس, يحتقر إمكاناتهم, هذا قد يُبتلى بعذاب أليم, دائماً الإنسان: يتكلم كلمة يطيب فيها القلوب, يطيب القلوب.

موقف سليم :

مرة زيت, أخ دعاني, صدقوني, الفراغ بين الديوانين لا يتجاوز ثلاثين سانتي, أو أربعين سانتي, غرفة صغيرة جداً, فاستحي بهذه الغرفة, قلت: من أنت أمام رسول الله؟.

كان إذا أراد أن يصلي قيام الليل, لا تتسع غرفته لصلاته ونوم زوجته, فلا بد من أن تتحي نفسها حتى يصلي النبي, وهو سيد الخلق, وحبیب الحق.

التفريق من فعل الشيطان والجمع من فعل الرحمن :

أيها الأخوة, تكلم كلاماً يجبر خاطر, تكلم كلاماً يطيب القلوب, يوجد شخص يشمئز منك وتشمئز منه.

كيف هذا البيت يسعك؟ هو راض فيه, أنت ما شأنك؟ راض فيه هو, مسرور فيه, مأوى, الدنيا موقفة؛ إلا ما يزهّد الناس فيما عندهم, إلا ما يصغرهم.

ماذا يعطيك معلمك؟ يكبر الرقم, يقول له: سبعة آلاف, سبعة!! وكيف تعيش فيهم!؟.

شيطان يتكلم, يزهّدك بدخلك, يزهّدك بزوجتك, إذا تدخل.....

أحياناً: تقول الجارة للزوجة: والله زوجي أحسن منه, ماذا قدم لك على العيد؟ والله.... ألم يقدم لك شيء؟! ماذا

يريد أن يقدم لي زوجي؟ ألم يقدم لك سواراة؟ والله زوجي أفضل منه.

مزقت؛ دائماً التفريق من فعل الشيطان، دائماً التفريق من فعل الشيطان، والجمع من فعل الرحمن.

من خصائص المؤمن :

فالمؤمن -دائماً- يجمع القلوب، يرضي ابنته بزوجه، يرضي أخته بزوجه، يذكرها بأخلاقه، باستقامته، بعفته، مستقيم، طاهر، ليس له غيرك، لا يعرف غيرك، تنسي الزوجة، أما ماذا قدم لك على العيد؟ والله لم يقدم لي شيء، لماذا لم تغيروا البيت؟ حسناً: لا يوجد معه غيره، يقدم طعاماً، وشراباً، وفي ضيق عام، يجب أن يصغرها، شيطان يتكلم؛ الشيطان كلامه يفرق دائماً، الشيطان كلامه يبعد، الشيطان كلامه يورث الأحقاد، الضغائن، الخلافات، فاضبط لسانك، ماذا تتكلم؟ في كلمات تطيب القلوب، في كلمات تجمع النفوس، في كلمات تطمئن، في كلمات تشرح الصدر.

ما موطن الشاهد في هذه الآية؟ :

قال تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

كلام فارغ، يعني تحدثه بأمور الدنيا، ماذا يوجد في الدنيا؛ بالأسعار، بالعملات، بالديون، بالسيارات، بالحفلات، بالسفرات، يقظ سبع ساعات، تحدثه بالدين، يتتأوب رأساً، يقول لك: عندي موعد، اسمح لي:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

انظر الكلام الدقيق:

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

هذه مهمة المؤمن :

رجل من علماء دمشق، مقيم خارج سوريا، حدث مرة بحديث إذاعي، قال: لي صديقان عزيزان علي؛ واحد شاعر كبير، والثاني أحد أكبر علماء اللغة، وقعت بينهما جفوة، فاتصلت بأحدهما، وقلت له: والله فلان متألم جداً من هذه الجفوة، وفي نيته أن يزورك، لكن الشيء لم يقع، وقلت للآخر الكلام نفسه: فلان متألم لهذه الجفوة، وفي نيته أن يزورك، هذا الكلام طيب القلبين، فالتقيا، واصطلحا، فأنت كمؤمن: مهمتك الجمع، مهمتك التوفيق، مهمتك الإصلاح:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

هذه القنوات الثابتة، القنوات النظيفة، القنوات التي ترضي الله، ودائماً وأبداً: فكر بما تقول.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً -يقول لك: ماذا عملنا؟ خربت الدنيا، كيف ماذا عملنا؟- يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

قالت له:

((قصيرة -فقط لم تتكلم شيئاً، والسيدة عائشة- قال لها: يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

لك أيتها المعلمة :

تجد معلمة -مثلاً- عندها بنت حبيبة، مستقيمة، علامتها قليلة، تقول لها: أنت غبية.

هل تعلم أن هذه الكلمة تورثها عقدة، تستمر معها سنوات طويلة؟ ليست غبية، المعلم الراقى، الطالب الضعيف: يعطي سؤالاً سهلاً، يجيب عنه: جيد يا بني! جيد، ممتاز أنت، يرفعه، يعطيه ثقة بالنفس.

فرق كبير: بين أن تحطم الناس، وبين أن ترفعه، أحياناً: كلمة تحطم، وكلمة تتعش، كلمة تجعل الإنسان يعطيك كل جهده، وكلمة تثبط له كل طاقته.

الحالات التي أجازها الشرع في الكذب :

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

فالإصلاح بين الناس قناة نظيفة للكلام، الإنسان لو كذب، لا يعد كاذباً، لأنه يوجد رخص كثيرة في الكذب؛ أن تصلح بين الناس، وفي الحرب، لأن الحرب خدعة، والإنسان يكذب على زوجته، لكن أكثر الأخوان الكرام: فهموا هذا التوجيه فهماً غير صحيح، مغلوطة، كل شيء يكذب عليها فيه.

بكم اشتريته؟ يقول لها: بثمانية آلاف، هو ثمنه ثلاثة آلاف في السوق، تقص الحديث لأختها: أين عقلك أنت؟ هذا ثمنه ثلاثة آلاف هذا، يكون زوجها كاذباً، مسموح تكذب عليها بموضوع واحد.

لو قالت لك: أتحبني؟ أنت تحبها، لكن ليس كما تريد، أقل مما تريد، فأنت قلت لها: والله أحبك، لا يوجد مشكلة، يعني طيبت قلبها، ولو هي سألتك، أو لو أنت سألتها: أتحبيني؟ قالت لك: نعم، من لي غيرك؟ كلام طيب، أما لا توجد زوجة ما فيها عيب، لو يريد أن يذكر لها العيب، ويكبر لها العيب، حطمها، ليس لها أحداً غيره، حطمها.

فالمؤمن لا يحطم، يعني هذه نصيبك، وهذه الله عز وجل كتبها لك، ولا يوجد أمامك غيرها، وارض بها هدية من الله عز وجل، فإذا أنت أغفلت عيوبها، وذكرت محاسنها، أنت ترفع مستواها، تنشطها، تصبح متألفة.

المؤمن يطيب القلوب ولا يسيء :

صدقوني: المرأة النشيطة يأتيها جمال إضافي؛ إذا أنت أثنت عليها، وطمأننتها، وما صغرتها ببعض عيوبها، تسعد، تتألق، جزء من الجمال هو الطمأنينة.

أحياناً الإنسان: يتورد وجهه، أو يصفر وجهه، بالحالات المسعدة يتورد، وبالحالات المؤلمة يصفر، فقد تجد فتاة جميلة جداً إذا حطمتها، تجد فقدت نصف جمالها، وفتاة وسط إذا أنعشتها، يرتفع جمالها إلى درجة أعلى؛ فالمؤمن يطيب القلوب، المؤمن لا يسيء:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

الصلح قناة أساسية للكلام، الإنسان يصفن، كل كلمة يفكر فيها، بكلمة ينفرد:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان؟

احفظ هذا الشعر وخذ العبرة منه :

دخل شخص من حماة إلى عند ملك، قال له: من أين أنت؟ قال له: من حماة حماك الله، فأعطاه جائزة، رآه شخصاً من حمص، قال له: ما قلت له؟ هكذا قلت له أعطاني، دخل، قال له: من أين؟ قال له: من حمص حمصك الله، قال لهم: اقطعوا رأسه.

كلمة، يعني كلمة تضيع:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان؟

كلمة تهيك؛ فكلما كان عقلك كبيراً، تضبط لسانك، تخزن لسانك، هذه الكلمة

لماذا؟؟؟ :

أيها الأخوة، جالس في جلسة كلها تجار، شخص موظف، والله إذا الإنسان لم يكن دخله في الشهر ثمانين لا يكفي، ماذا فعلت بهذا الموظف؟ أنت حرقتة حرقاً، يدبر شأنه بثمانية، ماذا تعني الخمسين؟ لماذا الكلام الفراغ؟ قل: الله ساترها، الله يطرح البركة، الله يتوب علينا؛ يتبجح بدخله، يتبجح بإنفاقه، بنزهاته، برحلاته، ينتبه.

التعميم من العمى :

في شخص، أحياناً: يكون شخص مثلاً: يعمل بمهنة، أنت مهنة لم تعجبك، ويوجد محامون كذابون كثير، لا الكلام غير صحيح، لعل يكون شخص أبوه محام، حطمته أنت، وفي محامين صادقين والله، المهنة بالأساس صحيحة، أنت تدافع عن مظلوم، إذا في ناس انحرفوا، في ناس طبيين، مستقيمين، لا تعمم، إياك أن تعمم، التعميم من العمى، دائماً: استثن، بكل حرفة؛ في ناس صادقين، في ناس مخلصين، في ناس يخافون الله عز وجل، لا يوجد, هذا شيء طبيعي.

مشاهد من الواقع :

اليوم كنت في مكتبي التجاري، دخل شخص، في مشكلة، يجب أن يشهد شاهد: أن التسعيرة صحيحة، قال له: تشهد؟ قال له: أشهد، لكن أريد عشرين ألف، ليقسم هذا القسم، ثمنه عشرون ألفاً، تدفعهم، أضع يدي على المصحف، وأقول: شاهدت؟ أنا لم أشاهد، لكن هو -طبعاً- حكاها، لكن عمل صدمة، -هذه المسلمون، هذه صدمة-.

أنا قلت له بالعكس، قلت له: والله جاءتني ورقة، -وأحتفظ بها إلى الآن- يقول لي أخ مؤمن: قدمت عشرين مليوناً لأسرة، لا يعلمون عنها شيئاً، هي لوالدهم، توفي بحادث، لا يعلمون عنها شيئاً؛ ولا في وصل، ولا ثمن، ولا عقد، ولا في شيء إطلاقاً.

غير، إنسان ثان

هذا الذي حصل في واشنطن :

أنا ذكرت لكم، أو لا أعرف، في جامع ثان، جاء أخ من أمريكا، من واشنطن، قال لي: سائق تكسي مسلم، ركبت معه سيدة أمريكية، نسيت محفظة، فيها عشرة آلاف دولار، فيها أساور وألماس، يعني شيء ثمين جداً، هذا المسلم اتجه للشرطة، وقدمها للشرطة، هذا صعق، شيء غير معقول إطلاقاً!! نوع من الجنان أن ترجع شيئاً وجدته، فاتصل بحاكم الولاية، فجمعوا طلاب التعليم الثانوي، وجمعوا بعض المدرسين، وألقى فيهم الحاكم كلمة بنفسه: إذا أحدكم وجد بسيارة المحفظة، وفيها المبلغ، وفيها ماذا تفعلون؟ قال لي: والله بلا تردد، بلا تفكير، بغفوية رائعة: نأخذهم، نأخذهم، قال لهم: في رجل مسلم لم يأخذهم، قدمهم للشرطة، وعملوا له احتفالاً، ورعى الاحتفال حاكم ولاية واشنطن.

هذه هي أمانة المسلم :

أنا أتكلم القصة من مدة، قال لي شخص: والله أنا عندي موظف، أخ عنده موظف، وجد ثمانمئة ألف، رجعهم لصاحبهم ثمانمئة ألف، وجدهم في محفظة بالأدم، السيارة مفتوحة، الحقيبة وقعت، فيها ثمانمئة ألف، بحث عن صاحبهم عن طريق الشرطة ورجعهم.

لا تتكلم قصة تهز القيم، تكلم قصة ترفع المعنويات، لا تقل: كل الملتزمين كذابين، لا، كلهم صادقون، وأنت لوحدك كذاب، لا تعمل قصة تثبط العزيمة، تئس الناس من هذا الدين العظيم، لا، تكلم قصة تعطي العكس، ترفع المعنويات.

كن مصدر طمأنينة للناس :

قال تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

تجلس مع أهلك بسهرة، بنزهة، بلقاء، بعقد قران، بأمسية، بعيادة مريض، اضبط لسانك، ألم تسمع أي حديث، آية، قصة عن صحابي؟ احفظهم هؤلاء، إذا تكلمت، تجد الوجوه أشرقت، الناس اطمأنوا؛ كن مصدر طمأنينة للناس، ألق فيهم الطمأنينة، السكينة، ألق فيهم محبة الله عز وجل، ألق فيهم محبة هذا الدين العظيم؛ بين شرف المؤمن، بين عفة المؤمن، بين استقامة المؤمن، بين تضحية المؤمن، لا تأتي بصور نادرة وتعممها على المؤمنين كلها.

من علامة النفاق :

بالمناسبة -أخواننا الكرام: والله- في آية قرآنية وحيدة، والله لو تعرفوا مؤداها، لانزع القلب منها. قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[سورة النور الآية:19]

ماذا فعل؟ لا تكلم، ولا تكلم كلمة أبداً، فقط من الداخل ارتاح، إذا الفاحشة انتشرت ينسر، سرورك بشيوع الفاحشة بين المؤمنين، هذا وضعك في الخندق المعاكس، معنى منافق، لأن الله عز وجل يقول:

﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[سورة آل عمران الآية:120]

المنافق إذا كان يأتيه الخير ينزعج، يأتيه الشر يرتاح، فكل إنسان يفرح: أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، هذا علامة النفاق، والعياذ بالله!.

محور هذا اللقاء :

أنا أردت أن أركز في هذا اللقاء، على الكلام الذي يلقي في سهرة، في وليمة، في سيران، في نزهة، في تعزية، بمناسبة فرح، في حفلة، في خطوبة، في لقاء، في ندوة، اضبط لسانك، دائماً: هيبء نفسك، هيبء تفسير آية، تفسير حديث،

قصة عن صحابي، هكذا شيء مشرق، حادثة طيبة.

ألا تسر بهذا العمل؟ :

البارحة ذكرت بالدرس حادثة، -ذكرتها لكم عدة مرات- يعني: مستخدم، عنده خمسة، ستة أولاد، معاشه ثلاثة آلاف، ورث أرضاً، وإنسان أحب أن يعمر مسجداً بمنطقة من مناطق دمشق التي لا يوجد فيها مساجد، وجد الأرض مناسبة جداً، واشتراها من صاحبها بثلاثة ملايين ونصف، وعملوا شيكاً بمليونين، وقال له: الباقي أعطيك إياه عند التنازل للأوقاف، قال له: لماذا الأوقاف؟ -لم يفهم ما القصة؟-، قال له: هذه نريد أن نعمرها جامعاً، قال له: جامع!! هات الشيك، مزقه، قال له: أنا أولى أن أقدمها لله منك، هذه أرضي لأنها، وقدمها، وتعمرت، وجامع رائع جداً بنهر عيشة، قدم أرضه، مستخدم، دخله ثلاثة آلاف، ثلاثة آلاف دخله.

يقول الرجل الميسور -الذي معه مئات الملايين-: بحياتي لم أصغر أمام إنسان، كما صغرت أمام الإنسان؛ ثلاثة آلاف دخله، خمسة، ستة أولاد، مستخدم مدرسة ابتدائي، يقدم أرضاً ورثها من فترة، ثمنها ثلاثة ملايين ونصف، لا يأخذ قرشاً منها لوجه الله.

تكلم قصة تنعشنا، ترفع معنوياتنا.

لا خير في كثير من نجواهم :

تجد -والله- في مسلمين ممتازين، في شخص، تعرفون الزبال ما مهمته؟ يجمع القمامة من كل البيوت، في شخص أين في قصة سيئة، أين في قصة مزعجة، أين في إنسان سقط، أين في إنسان نافق، أين في إنسان عمل عملاً خلاف دينه، إذا جمعهم، يحفظهم غيباً، فلان عمل هكذا.... أنت هل تعلم ماذا تفعل؟ أنت تلقي قنابل، لأن كل قصة تهزها للقيم، كل قصة تعمل مشكلة، هذا سموه الزبال، بأمور الفكر يختار من كل بيت، من كل معمل، من كل حي، من كل سوء، قصة ممتعة، ومؤثرة، ومثيرة يتكلمها، مع تكلم هذه القصة: هز القيم، ثبط العزائم:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ﴾

[سورة النساء الآية:114]

انتبه :

بالمناسبة أخواننا الكرام: إذا قصة تعرف آخر فصل فيها, ولا تعرف الفصول السابقة, لا تذكرها, تخلق مشكلة منها, إذا قصة فيها ظلم صارخ, حسناً: أين الله عز وجل؟ أين الله عز وجل؟ أنت أخرجتنا, تكلمت قصة, تكلمت آخر فصل, حسناً: هذه لها فصول كثيرة.

هذه هي عدالة الله :

مرة كنت بالعيد عند أحد أقبائي, رأيت هذا البناء, قال لي: هذا لشخص, تزوج واحدة على كبر, شابة صغيرة, ضحكت عليه, كتبها لها كلها, بعد أن كتبها لها كلها, طلبت المخالعة, وتركته, تحب شصاً غيره, وتركته من دون بيت, والله شيء صعب, إنسان تعمل معه زوجته العمل, أنا بشكل عفوي, قلت له: لكن القصة لها فصول سابقة, تعرفها أنت, قال لي: لا, قلت له: تذكر جيداً, لأنه هو جاره, قال لي: نعم, هذا كان أكبر أخوته, لما توفي والده, أخذ كل المال له, أقسم بالله, قال لي: حرم أربع أخوات, أخذ المال كله له, جاءت المرأة, ضحكت عليه, وكتبت البناء كله لها, وتركته بلا بيت.

الآن توازن, معقول!! معنى في عدالة بالكون.

لا تقبل تسمع قصة من آخر فصل, لا تعرف من أول فصل لآخر فصل وتتكلم, يا اعمل معروف اسكت, لا تعمل مشكلة.

اسمع هذه القصة بتفاصيلها :

والله الذي لا إله إلا هو, أمشي بالحريقة, -يمكن القصة من عشرين سنة-, خرج شخص من محل يبيع قمصان, قال لي: أنت تخطب؟ قلت له: نعم أخطب, قال لي: تقضل انظر القصة ما أصلها؟ ما القصة؟ قال لي: شخص جاء على محله بمدحت باشا حتى يسترزق, حتى يؤمن قوت أولاده, قال لي: في عمل أشرف من العمل؟ قلت له: لا والله, العمل عبادة, عبادة فعلاً, قال لي: سمع إطلاق رصاص, اثنان يتشاجران, قال لي: مد رأسه, تأتي رصاصة بنعرتة, ينشل فوراً, قال لي: ماذا فعل هذا؟ فهمني ماذا فعل؟ والله علمي علمك: قلت له, لا أعرف, لا أعرف ماذا فعل؟.

القصة مزعجة جداً، شخص بريء، ليس له علاقة، قادم ليفتح محله، يبيع قماشاً للناس؛ البضاعة مشروعة، والعمل مشروع، والتجارة مشروعة، والرجل يعني مسلم، يصلي، ولم يعمل شيئاً، وسمع إطلاق رصاص، مد رأسه، من جاءت الرصاصة بالعمود الفقري، انشل فوراً، لا أعرف أجابوه.

والله -يا أخوان- بعد عشرين يوم، أخ من أخواننا، -وكان طالبي-، قال لي: أستاذ، نحن عندنا جار، كان يسكن بالميدان، وبالمصطبة، قال لي: ويوجد عندنا جار يسكن فوقنا، اغتصب أموال أولاد أخيه الأيتام، مبلغ كبير، فحاولوا خلال سنتين، ثلاثة، يطلبوا المال، لم يرد عليهم، فشكوه للشيخ حسين خطاب -رحمه الله-، جمعهم: أعطهم، قال له: لا أعطهم، هذا الحاضر، قال لهم: يا بني! هذا عمكم؛ لا تشكوه إلى القضاء، لا يليق فيكم أن تشكوه، اشكوه إلى الله.

الكلام الساعة الثامنة مساءً، هو نفسه طلع، قال لي: عنده محل بمدحت باشا، نزل في اليوم الثاني الساعة التاسعة، فتح المحل، سمع إطلاق الرصاص، مد رأسه، جاءت الرصاصة في عاموده الفقري، انشل فوراً. الآن توازنا، أليس كذلك؟ توازنا، الأحداث كلها هكذا، إذا عرفت أنت من الجمل أنه فقط، لو تعرف كل قصة أسبابها، تجد في عدل مطلق.

المطلوب منك :

حدثني أخ قاضي تحقيق، قلت له: حدث معك عمل ما؟ قال لي: والله في إنسان قاتل قتيلاً، وحكموه بالإعدام، لا هو محام، قال لي: القاضي بلغه الحكم، جاء لعنده، قال له: يعني الحكم بالإعدام، لعل الله هكذا يطلع عفو -هو المجرم ثخين- قال له: أنت قاتل هذا القتيلاً؟ قال له: لا، قال له: أنا لست قاتله، أنا قاتل غيره قال له. الله كبير.

فدائماً: وثاق من حكمة الله، ومن عدالته، إذا تكلمت، لا تتكلم قصة خاطئة، لا تتكلم قصة تزلزل القيم فيها، تكلم قصة ترفع المعنويات:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-86} : التوبة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-06-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء الاستفتاح :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من نعم الله على الإنسان :

أيها الأخوة الكرام, من أقرب أسماء الله تعالى إلى المؤمن اسم التواب؛ فالتوبة نعمة كبرى أنعم الله بها علينا؛ فالإنسان يخطيء, تذل قدمه, يقع في مطب, تغلبه نفسه, ما الحل؟ لولا التوبة, ما هو حال الإنسان؟ يزداد فجوراً. حينما يوقن الإنسان: أنه لا توبة, ينطلق من ذنب صغير إلى أكبر ذنب, من أقل ذنب ينطلق منه إلى أكبر ذنب, لأنه لا يوجد توبة, أما حينما يعلم أن الله سبحانه وتعالى تواب رحيم, يغفر الذنوب جميعاً:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية:53]

ألا تعجب من هذا الإنسان!!!:

أشد ما أعجب, من إنسان له ماض سيء؛ في تقصير, يوجد عليه ذنوب, وآثام, والله سبحانه وتعالى فتح له باب التوبة على مصراعيه, وقال: يا عبدي تب أتب عليك, استغفر أغفر لك, وقد يغيب عن الناس معنى الحديث الصحيح, الذي يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا كان ثلث الليل الأخير، نزل ربكم إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ هل من سائل فأعطيه؟ حتى ينفجر الفجر))

والله -أيها الأخوة-، لو لم يكن في السنة إلا هذا الحديث لكفى، مهما يكن الهم عظيماً؛ مرض مستعص، فقر مدقع، طرق مغلقة، أمور معسرة، إنسان مقهور.

هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟.

إليك هذا المثال لتوضيح معنى العفو الإلهي لذنوب الإنسان :

فالإنسان بالتوبة يلغى الماضي كله، بعضكم تجار، بل أكثركم تجار، عليه دفع ثلاثة ملايين لشركة، ومعها سندات، وبإمكانها أن تقيم الدعوى، وأن تضع السندات في التنفيذ، وأن تحجز عليه، ذهبت إليها معتذراً، فقال لك مدير الشركة: كل هذا المبلغ مسامح به، ولنفتح صفحة جديدة، بماذا تشعر؟ ثلاثة ملايين ونصف. كل إنسان بحسب حجمه المالي، إذا عليه ثلاثون مليون، قال لك: مسامح، صفحة جديدة، هكذا الله عز وجل:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾

[سورة الزمر الآية:53]

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الحجر الآية:49]

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾

[سورة الحجر الآية:50]

((إذا قال العبد: يا رب وهو راعع, قال الله له: لبيك يا عبدي, إذا قال العبد: يا رب وهو ساجد, قال الله له: لبيك يا عبدي, فإذا قال العبد: يا رب وهو عاص, قال الله: لبيك, ثم لبيك, ثم لبيك))

ينتظرك, من منا يصدق أن الله يفرح؟ أن الله يفرح بتوبة عبده, كما يفرح الظمان الذي كاد يموت عطشاً إذا وجد الماء؟.

إنسان منقطع في البادية, وتاه وضل الطريق, وأوشك على الموت, ثم رأى نبع ماء, إنسان عقيم, ومعه أموال لا تأكلها النيران, وهو يتمنى ولداً يرثه, إذا زوجته حامل, كم يفرح؟ إنسان, لك مع إنسان مليونين بسند, ضاع منك السند, قال لك: هات السند وخذ مليونين, لم تكن تجد السند, ثم وجدته فجأة.

((لا الله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد, والعقيم الوالد, والظمان الوارد))

لا تكلفك التوبة إلا أن تقول: يا رب لقد تبت إليك, سامحني يا رب, لوجدوا الله تواباً رحيماً, لوجدوا الله تواباً رحيماً؛ وما أمرك أن تتوب إلا ليتوب عليك, ما أمرنا أن نتوب إليه وإلا ليس بكلامه معنى, والله ﷻ منزه عن أن يقول كلاماً بلا معنى.

يعني: أنت لما تعمل مسابقة, وتعلنها بالجرائد, وتستقبل ثلاثمئة طالب تعيين, تفحصهم كلهم, وبذهنك واحد من قبل إعلان المسابقة سوف تعينه, كل هذه المسابقة أصبحت كذباً, ما دام في شخص سوف تعينه في هذا المكان, قبل أن تعلن عن المسابقة؛ فكل هذا الإعلان, وكل هذا الامتحان, والامتحان الكتابي, والمقابلة, والتسلسل, والذي في ذهنك عينته, معنى المسابقة ليس لها معنى.

الله ﷻ: منزه عن أن يقول كلاماً لا معنى له؛ ما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا, وما أمرنا أن نستعين به إلا ليعيدنا, وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا, وما أمرنا أن ندعوه إلا ليجيبنا, إله يقول لك:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:60]

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾

[سورة نوح الآية:10]

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[سورة النساء الآية:27]

من كرم الله علينا :

باب التوبة، صدقوني -أيها الأخوة-: لو أنك تحمل ذنباً كالجبال، هذه الذنوب كالجبال، يمكن أن تلقىها بكلمة واحدة: يا رب تبت إليك، يقول لك: عبيدي وأنا قد قبلت.

ومن كرم الله عز وجل: أنه فضلاً عن أنه يقبلك؛ يلقي في روعك أنه قبلك، يلقي في روعك أنه تاب عليك، يلقي في روعك أن الماضي قد ألغى، فأنت بكلمة واحدة، بكلمة: يا رب تبت إليك، ألغى الماضي كله، بشرط أن تكون التوبة توبة نصوحة، لا مكث فيها ولا عودة.

شروط التوبة :

1- العلم :

العلماء قالوا: التوبة لها ثلاثة شروط: علم، وحال، وعمل.

العلم: كيف تتوب من الذنب، ولا تعلم أنه ذنب؟ ما من مجلس بدروس العلم، بدروس العلم، تعلم أين أنت من الدين؛ في المؤخرة، خارج المنهج الإلهي، في الوسط، في المقدمة؟.

وأنا أقول هذا المثل كثيراً، لأنه أوضح مثل: متى تعالج نفسك من الضغط العالي؟ من ضغط الدم المرتفع؟ إذا عرفت أنه معك ضغط دم، متى تعرف؟ إذا جئت بجهاز، إن أحضرت الجهاز، وقست ضغط دمك، وجدته مرتفعاً، عندئذ تعالجه.

وأنت إن لم تحضر درس علم، قد يكون كسبك حراماً وأنت لا تدري، قد تكون البضاعة التي تبيعها وتشتريها محرمة وأنت لا تدري، قد توجر هذا البيت للزنا وأنت لا تشعر، أنا ليس لي علاقة، برقيبتهم إن شاء الله، لا برقيبتك وليس برقيبتهم، أنت تعلم علم اليقين: أن هذا البيت الذي يُوجر بعشرة آلاف ليرة في اليوم الواحد، وأفخر فندق بدمشق ثلاثة آلاف وخمسمئة، معناها ليس للنوم، لشيء غير النوم، السعر يعرفك، ليس لي علاقة، لا لك علاقة.

متى تعلم هذا الذنب أنه ذنب؟ :

فكيف تتوب من الذنب إن لم تعلم أنه ذنب؟ متى تعلم أنه ذنب؟ بطلب العلم.

الآن أوضح مثل: يعني لا يقرأ، ولا يكتب، ألقينا على مسامعه نصاً، قرأنا أمامه نصاً، فيه ألف خطأ، ماذا يقول لك؟ ممتاز، رائع، ما شاء الله على هذا الصوت، ألف خطأ فيه، هذا المستمع: متى يعلم أن هناك أخطاء؟ إذا كان درس العربية؛ رآك الفاعل نصبته، والمفعول به رفعته، وحرف الجر، نصبت على حرف الجر، والخبر جعلته مجروراً، لو تعلم العربية، لكشف لك أخطاءك، وأنت نفس الشيء: حينما تتعرف إلى منهج الله، تعرف خطأك.

العلم يكشف لك أخطاءك :

القرض ربوي، أخي أنا ليس لي علاقة، أنا واضع مالي مع فلان، جزاه الله خيراً، يعطيني على المئة ألف، ثلاثة آلاف بالشهر، ليس لي علاقة بحساباته؛ يريح، يخسر، بلا جرد، هكذا أفضل لي، يظن نفسه قاضياً غرضاً، يظن نفسه واعياً، هو ارتاح من الحسابات والجرد، هذا ربا هذا، كل ربح ثابت ليس له علاقة بالجرد والربح فهو ربا، متى تعلم أنك مذنب؟ إن طلبت العلم، فلا بد من طلب العلم، أول شيء طلب العلم: يكشف لك أخطاءك؛ في كسب المال، في إنفاق المال، في العلاقات الاجتماعية.

أربع أخماس بيوتات الشام، يكاد يكون بالمئة تسع وتسعين، بالعرس مئة امرأة؛ في أبهى زينة، كاسيات عاريات، يدخل العريس يجلس إلى جانب العروس، وكلهم دينون، وأسر عريقة في الشام، هكذا العادة، وإلا معنى العريس عيب إذا لم يجلس إلى جانب العروس، حسناً: هذه معصية كبيرة جداً، معصية كبيرة جداً: أن الرجل يجلس أمام مئة امرأة؛ في أبهى زينة، كاسيات عاريات، نحن مسلمون، كيف تعرف أن هذا ممنوع؟ كم عرس فيه تصوير فيديو؟ كم عرس في؟ ما قصة الفيديو؟.

يعني: أنت تأخذ شريطاً، وترى نساء الناس كلها بأبهى زينة؛ هذه امرأة فلان، من؟ امرأة فلان! يعرف يختار، هذه

من هذه؟ هذه من هذه؟ هذه من هذه؟ هذه بيوت المسلمين هكذا ...

كيف يتوب الإنسان من الذنب, إن لم يعلن أنه ذنب؟ لا يتوب منه, متى يعلم؟ إذا كان طلب العلم, لذلك: طلب العلم حتم واجب على كل مسلم, طلب العلم فرض على كل مسلم, كيف أنك تتنفس, كيف أنك تأكل, كيف أنك تشرب؛ النفس, والطعام, والشراب: فرض عين على كل إنسان كي تستمر حياته, وطلب العلم فرض عين على كل إنسان كي يسلم ويسعد في الدنيا والآخرة.

هذه بضاعة الإنسان من دون علم :

ففي آلاف آلاف المكاسب المحرمة, آلاف أنواع البضاعة المحرمة.

يعني: الإنسان من دون علم مجرم, يعني: صناعة غذائية فيها مواد لا تصلح للاستعمال البشري, المعمل أغلق, ختم بالشمع الأحمر, وله دعايات تملأ الدنيا, هذا صاحب المعمل: لو عرف الله, لما غش المسلمين في صحتهم. يعني شيء يسوق إلى شيء, عشنا العمر, تسمع بالشهرين, ثلاثة, بستة أشهر, إنسان معه سرطان, أنا بدرس الجمعة بالنابلسي, كل جمعة يوجد عندي أوراق كثيرة, سبع حالات سرطان, كل جمعة, كل جمعة, الأورام الخبيثة عددها مرتفع إلى عشرين ضعف, السبب: يوجد عندنا أخطاء في طعامنا, عندنا أخطاء في شربنا, أخطاء في بيئتنا, أخطاء بكل ما نعيش فيه, في تلوث الجو, في أصبغة كيميائية, في مواد مسرطنة, في مواد حافظة, في استعمال بلاستيك مع الحار والحامض, فلا يوجد دين, لا يهتم الإنسان صحة المسلمين, يهتمه ربحه فقط, يضع مادة مبيضة, مسرطنة, ترفع سعر الطحين, يضع مادة مثبته.

يوجد -هكذا سمعت- بعلف الدجاج, يوضع بكل طن كيلو, كيليين كلويات النحاس مادة سامة, هذه ما فائدتها؟ هذه فيها بوردرة, من أجل ألا يفسد العلف, ما فسد, أما الذي أكلوا الفروج ماتوا بالسرطان.

لفتة نظر :

أنا أقول لكم كلاماً دقيقاً: إذا ألغيت الدين من الحياة, الحياة تصبح صعبة جداً, كلها مطبات.

يعني: أنا أكثر شيء لفت نظري في هذه الجمعة: ارتفاع نسب الأورام الخبيثة إلى عشرين ضعف كلها, حتى الفروج ينمو بأربعين يوم, نعطيهِ هرمونات, هرمونات, من أجل تسرع نمو الخلايا, هذه آخرتها بأجسامنا, حتى

العلف ما يفسد, نضع فيه مواد سامة, حافظة, حتى العلبه الكبرى, أو السردين ما تقسد, نضع فيه بنزوات الصوديوم ثلاثة بالألف, مادة مسرطنة.

يعني: لا يهمننا صحة الناس, يهمننا سلامة البضاعة, والبيع, والريح, لا يوجد دين لأنه, لو يوجد دين, تعد للمليون قبل أن تؤذي مسلماً في صحته, تعد للمليون.

وأنا -والله الآن- أنصحكم أيها الأخوة, أنصحكم: بالابتعاد عن كل الأصبغة الملونة, بالابتعاد عن كل شيء كيميائي, بالابتعاد عن كل شيء يثير الشبهة, ارجعوا إلى أصل الطعام والشراب, ارجعوا إلى أصل كل شيء من منبعه.

ماذا تقول الدراسات حول الأورام الخبيثة؟ :

في دراسات حول الأورام الخبيثة, بعضهم يقول: البلاستيك, أكياس النايلون مع المواد الحارة, أو الحامضية, أو الدفين, تتفاعل فوراً.

يوجد دكتور بالجامعة, عمل ببعض المحاضرات المطولة شيء مخيف, لما تصب الحليب في كيس النايلون, يتفاعل معه فوراً, ويصير في مادة من الكيس ذابت مع الحليب أول شيء, هذه نشربها نحن- من البلاستيك إلى المعدة, هذه المواد كلها تترسب بأجسامنا, فمن دون دين: يهمننا الريح فقط؛ الذي عنده معمل, الذي عنده صناعة غذائية, الذي عنده

ماذا يصنع المؤمن بعد أن يعرف الله؟ :

فمتى تتوب من الذنب؟ إذا علمت أنه ذنب, كيف يرحمك الله, إن لم تنصح المسلمين؟.

لذلك: التوبة تحتاج إلى علم, من هو الملك؟ هو الذي ينام مساء مرتاح الضمير؛ ما كان سبباً في إيذاء إنسان, ما كان سبباً في إمرض إنسان, ما كان سبباً في إفقار إنسان؛ لا أفقر, ولا أذى, ولا أمرض, فهذه التوبة: هي التي تحتاج إلى علم, التوبة علم, لذلك: لا يعلو على طلب العلم شيء, أنت حينما تطلب العلم, أنت تقوم بأخطر مهمة أوكلت إليك بالحياة, أوكل الله إليك أن تعبده, كيف تعبده؟ تعبده إذا عرفت منهجه, افعل ولا تفعل.

المؤمن بعد أن عرف الله، وعرف أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، وسوف يحاسب، لا شيء يعلو على معرفة الحكم الشرعي، هل يجوز أن أبيع هذه المادة؟ هل يجوز أن أصنع هذه المادة؟ هل يجوز أن أؤجر هذا البيت؟ هل يجوز أن أفعل كذا وكذا؟ المؤمن الصادق يسأل عن الحكم الشرعي دائماً، كي يتوب من الذنب، ويستقيم على أمر الله، والتوبة أساسها العلم.

2- الندم :

الشيء الثاني: التوبة من خصائصها الندم؛ إنسان اقترف ذنباً، إنسان وقع في سخط الله، يجب أن يندم، يجب أن يتألم، وإلا ما صحت توبته، من علامة الندم الصحيح ثلاث حالات؛ حالة اسمها الإقلاع الفوري، وحالة اسمها العجلة المطلقة، وحالة الثالثة: إذا كانت التوبة متعلقة بذنب مقترف مع إنسان الإصلاح؛ الإصلاح في الماضي، والإقلاع في الحاضر، والعزم في المستقبل على ألا يرد لهذا الذنب؛ فإذا صح العلم، وصح الندم، وأقلع، وعزم، وأصلح، صحت التوبة، والإنسان إذا تاب، التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كيوم ولدته أمه، هذا معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية:8]

﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية:8]

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة التحريم الآية:8]

ما معنى (جميعاً) في هذه الآية؟ :

فيا أيها الأخوة الكرام، في موضوع التوبة: الله عز وجل يقول:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

أريد معنى كلمة جميعاً، ما معنى جميعاً؟ توبوا إلى الله؛ لكن جميعاً، لو إنسان تاب مقبول، لكن لا ينتفع من توبة أخوانه، كيف؟.

أنت تمكنت تشتري جهاز هاتف، ممتاز، لكن أنت حولك مئة صديق، لا يوجد عندهم هواتف، هذا لم يعد له طعمة، أما لو كان في مئة جهاز هاتف عند مئة صديق لك، صار لهذا الجهاز معنى، تتصل مع الجميع في أي لحظة، إذاً: كلما اتسع نطاق التوبة، عم الخير، إذا كل الناس يخافون الله عز وجل، وأنت مرتاح.

لذلك -أيها الأخوة-: أن تعيش في مجتمع مؤمن، والله قطعة من الجنة، جنة؛ الكل ينصح، الكل يصدق، الكل يُخلص، أما أنت بمجتمع الانحراف، بمجتمع المعصية والفجور، أنت مع ألغام، كل إنسان لغم، متى ينفجر؟ والساعة قصص، لأسباب تافهة دخل السجن؛ هذا صودر ماله، هذا لأنه وقعت التسعيرة شهرين حكم عرفي، لأنه من دون معرفة بالله عز وجل حياة صعبة جداً، أما إذا في معرفة بالله الحياة جنة، فأنت كلما اتسع نطاق التائبين، اتسع الخير العميم، لهذا قال الله تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

جميعاً، حتى يعم الخير؛ مع الدهان في مطب، مع المواد في مطب، مع الطيان في مطب، مع المساح في مطب، عمرت بناء، في مشكلة مع الذي أنشأ البناء؛ مشكلة مع البناء، مشكلة مع الذي مدد الكهرباء، كل واحد مشكلة، أما إذا كلهم تائبون لله عز وجل، لم يعد يوجد ولا مشكلة، كل واحد يأخذ ماله، ويدع ما ليس له، أما غير المؤمن: يريد أن يعيش وحده، أن يغتني وحده، أن يغش وحده، أن يأخذ كل شيء دون أن يعطي شيئاً، هذه صفات الشاردين عن الله عز وجل، هذا معنى قوله تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور الآية:31]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية:8]

ما معنى هذا القول للنبي عليه الصلاة والسلام :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مئة مرة))

لكن توبة النبي -عليه الصلاة والسلام- لها معنى خاص، يعني كلما أقبل على الله، ورأى من كمالاته، ثم أقبل ثانية ورأى رؤية أوسع، استغفر الله لرؤيته السابقة.

يعني: أنت أمام إنسان، تظنه يقرأ ويكتب، ثم فوجئت أنه يحمل شهادة ثانوية، فاستحييت من ظنك الأول، ثم فوجئت أنه يحمل دكتوراه، فاستحييت من رؤيتك الثانية، ثم فوجئت أن عنده حوالي ثلاثمئة مؤلف، ثم فوجئت أنه يحتل أعلى منصب تدريسي في الجامعة، فكما ظننته في مستوى، ثم فوجئت أنه هو مستواه أرقى، تستغفر من رؤيتك السابقة.

هذا يعني توبة النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ كلما أقبل على الله، ورأى جانباً من كمال الله، ثم أقبل ثانية، ورأى جانباً أوسع، استحيا من رؤيته السابقة، واستغفر الله عز وجل، وهذا معنى قول الله عز وجل، أو معنى التكبير: الله أكبر.

من أدق معاني هذه الكلمة الرائعة: الله أكبر مما عرفت؛ فمهما عرفت عن الله فهو أكبر، مهما عرفت عن رحمته فهو أرحم، مهما عرفت عن قدرته فهو أقدر، مهما عرفت عن محبته فهو أشد حباً.

قصة شهيرة لها هدف من طرحها :

والقصة الشهيرة: النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يصور فرح الله عز وجل بتوبة عبده، بقصة مختصرة عن أعرابي، كان يجتاز الصحراء على ناقته، وعليها طعامه وشرابه، جلس ليستريح، أفاق فلم يجد الناقة، -وهذا لا

يعرفه إلا من عاش في الصحراء .

مرة حدثنا أستاذ في الجامعة, قال: كل شعر الجاهلية, لا يمكن أن تتذوقه إلا بحالة واحدة: أن تسكنوا في البادية أسبوعاً واحداً تحت الخيام.

إذا الإنسان سكن في البادية تحت الخيام, ورأى قبة السماء, واستمتع بالنسيم العليل, وسار في الليل, هذه المشاعر تتنابه, بإمكانه عندئذ أن يتذوق الشعر الجاهلي؛ وصف الناقة, وصف الطريق, وصف الوحش, وصف السماء, والشيء الثاني: ولا أحد يتذوق هذا المثل, إلا إذا عاش في الصحراء .

إنسان راكب ناقة, عليها طعامه وشرابه, فإذا شردت عنه, الموت بالمئة مليون, الموت محقق, لا يوجد ساعات يموت عطشاً, الإنسان في البادية, في الصحراء .

فهذا الأعرابي جلس في ظل نخلة ليستريح, أفاق فلم ير الناقة, أيقن بالهلاك فبكى, حتى يعني كاد يموت من البكاء, أدركته سنة من لنوم, أفاق فرأى الناقة أمامه, اختل توازنه, قال:

((يا ربي أنا ربك وأنت عبيد .

-من شدة فرحه اختل توازنه, تكلم كلاماً معكوساً, كلام كفر, قال له: يا ربي أنا ربك وأنت عبيد .

الآن دققوا-:

يقول عليه الصلاة والسلام: لا الله أفرح بتوبة عبده من هذا البدوي بناقته))

هل عرفتم ما معنى التوبة؟ أنت إذا قلت: يا رب لقد تبت إليك, يعني الله عز وجل وهو خالق الكون: يفرح بهذه التوبة.

حديث لمسلم:

((الله أشد فرحاً بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة فأنفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحته فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما]

الرواية:

((لا الله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته))

نصيحة :

والنصيحة الأخيرة: تب بعد الذنب مباشرة:

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء الآية:17]

والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-87} : الصبر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-06-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما حقيقة الصبر؟ :

أيها الأخوة الكرام, الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عقد في كتابه رياض الصالحين, باباً عن الصبر سُمي الباب: باب الصبر, بدأه ببعض الآيات الكريمة, وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

هذه الحقيقة: حقيقة الصبر, تعني: الإيمان.

هل كل المخلوقات قبلت حمل الأمانة؟ من الذي قبلها, وما هي الأمانة؟

الله عز وجل عرض الأمانة على السموات, والأرض, والجبال, أي على كل المخلوقات في عالم الذر, وعالم الذر قبل عالم الصور:

﴿فَأَيُّنَ أَنْ يُحْمَلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

[سورة الأحزاب الآية:72]

يعني: جزء من هذه المخلوقات: قبلت حمل الأمانة؛ الأمانة عطاء متميز, سعادة أبدية, لكن لها ثمن, في تكليف. يعني: كل إنسان له دخل, أما إن أردت دخلاً غير محدود, هذا يحتاج إلى جهد كبير, إلى شهادة عالية جداً, وإلى مغامرة, فأكثر المخلوقات: أبت حمل الأمانة:

﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾

[سورة الأحزاب الآية:72]

لكن الإنسان حملها, فلأنك إنسان, معنى ذلك: أنك قبلت حمل الأمانة, ما الأمانة؟ نفسك التي بين جنبيك.

الدليل من الكتاب على أن النفس البشرية هي الأمانة التي أكلها الله للإنسان :

الدليل:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:9]

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:10]

نفسك أمانة بين يديك أكلت لك, أطلقت يدك في نفسك؛ فإما أن تعرفها بالله, وإما إن تبقيها جاهلة, إما أن تحملها على طاعة الله, وإما أن تسمح لها بالتقلت, إما أن تتطلق من الإحسان للخلق, وإما أن تتطلق من الإساءة إليهم, إما أن تجعلها صادقة أو كاذبة, مخلصه أو خائنة, محسنة أو مسيئة, فنفسك بين يديك؛ إما أن تقودها, وإما أن تقودك هي, إما أنك تحاببها, أو هي تحاببك, ونفس الإنسان ذاته, وهذه النفس لا تموت, لكنها تذوق الموت.

اختر الإجابة الصحيحة: هل تموت النفس البشرية أم تذوق الموت؟ :

قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

[سورة آل عمران الآية:185]

لا تموت.

النفس -كما قال العلماء, استنباطاً من قوله تعالى-: نفخة من روح الله:

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِتُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:77]

النفس لا تموت, لكنها تذوق الموت, في النهاية:

((فو الذي نفس محمد بيده, ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار؛ إما في جنة يدوم نعيمها, أو في نار لا ينفد عذابها))

هذا مقياس الفلاح عند الله :

فمن هو العاقل؟ من هو الذكي؟ من هو الموفق؟ من هو الفالح؟ من هو الفائز؟ الذي زكى نفسه بمقاييس الناس, في مقياس آخر:

اشترى أرضاً بثلاثين ألف حر, صار ثمنها ثلاثون مليون, الناس يعدونه نكياً جداً, وفالحاً جداً, عنده أولاد, وكلهم أطباء, ومهندسون, لكن لا يوجد فيهم دين, لكن قمم في المجتمع, يمشي بالعرض, عنده بيت, أخذوه بثلاثين ألف, صار ثمنه ثلاثون مليون, عنده وكالة حصرية, ربحه اليومي نصف مليون.

هذا مقياس الناس؛ يعني تزوج امرأة جميلة, عنده أولاد نجباء, بيته فخم, مركبته رائعة, له شركة اتصالات مع الناس, رجل يعيش عصره, يسافر, يجلس في أماكن جميلة, هذا مقياس الفلاح عند الناس, لكن مقياس الفلاح عند الله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:9]

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:10]

لأن الحياة

الذي عنده خط هاتف في البيت، وقُطع هذا الخط يضيع، يقول لك: كنت مقطوعاً عن العالم الخارجي، الموت ليس يسحبون خط الهاتف منك، يسحبون منك كل شيء، هو خط هاتف لو سحب منك لا تحتل. إنسان يسكن في بيت، يعني في موقع ممتاز، ونظيف، لكن أجرة، يوجد عليه دعوة إخلاء، الدعوة نجحت وبالتنفيذ، وجاء المسؤولون ليضعوا أغراضه في الطريق، يعني المصيبة كبيرة جداً، الموت أبلغ من ذلك؛ الموت لا بيت، ولا سيارة، ولا تجارة، ولا زوجة، ولا ولد، ولا مال، ولا شيء، كل شيء جمعه في الحياة الدنيا، تخسره في ثمانية واحدة إلى القبر، تحت الأرض، ماذا في القبر؟ في القبر عمل الإنسان.

من مقومات الأمانة :

فلذلك: درس الصبر اليوم: دقيق جداً؛ لأنك إنسان، أنت قبلت حمل الأمانة، والأمانة نفسك التي بين جنبيك، أنت حينما قبلت حمل الأمانة، أعطاك الله مقوماتها، أعطاك كوناً سخره لك:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

[سورة الجاثية الآية:13]

لأنك قبلت حمل الأمانة، أعطاك قوة إدراكية العقل، مبادئ العقل تتطبق على مبادئ الكون، لأنك قبلت حمل الأمانة، أعطاك حرية الاختيار:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة الآية: 286]

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[سورة الكهف الآية:29]

لأنك قبلت حمل الأمانة، أودع الله فيك الشهوات قوى محرقة:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾

[سورة آل عمران الآية:14]

أعطاك الكون، أعطاك عقلاً، أعطاك شهوة، أعطاك اختياراً، أعطاك إرادة، أعطاك قوة فيما يبدو، شيء كثير؛ تقف، تتحرك، تنام، تؤسس مشروعاً، تتزوج، أعطاك قوة، ثم أعطاك منهج شريعة.

زبدة القول :

فالآن ملخص ملخص الملخص: لأنك إنسان مخلوق للجنة، الجنة لها ثمن، الثمن: ضبط الشهوات، ضبط الشهوات هو الصبر، الإيمان هو الصبر.

يعني: الله عز وجل أودع لكل إنسان حب النساء، حتى الأنبياء.

قال لك: تزوج، مسموح لك أن ترى زوجتك، أن تستمتع بها، وأن ترى أمك، وأختك، وابنتك، وخالتك، وعمتك، وابنة أخيك، وابنة أختك، هذه المحارم، وما سوى ذلك: عليك أن تغض البصر، شيء جميل، هذا الصبر؛ الصبر: غض البصر.

أعطاك مالاً، والمال محبوب، قال لك: أنفق منه ابتغاء وجه الله، إنفاق المال يحتاج إلى جهد، يحتاج إلى صبر، غض البصر يحتاج إلى صبر، أن تصلي الفجر في وقته يحتاج إلى صبر، أن تضبط اللسان يحتاج إلى صبر، أن تخوض معركة في سبيل احتمال الموت كبير جداً يحتاج إلى صبر، فالصبر هو الإيمان.

الدليل:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة الفازعات الآية:40]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة الفازعات الآية:41]

الجنة ثمنها: أن تنهى النفس عن الهوى.

من روائع هذا الدين :

الشيء اللطيف جداً بهذا الموضوع: هو أن الله عز وجل, ما من شهوة أودعها في الإنسان, إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها, لا يوجد في الدين حرمان, لكن في تنظيم, لذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص الآية:50]

المعنى المخالف: لو أنك اتبعت الهوى وفق هدى الله عز وجل, لا شيء عليك.

أنت مخلوق للجنة والجنة ثمنها أن تصبر :

إنسان اشتهى المرأة تزوج, لا شيء عليه, يقارب امرأته, ويصلي قيام الليل, أما لو نظرت إلى امرأة لا تحل لك, لا تستطيع أن تصلي صلاة متقنة, تشعر بحجاب, هناك صار في اتصال كامل, وصار في بكاء بقيام الليل, هنا صار نظرة فقط, تلك مسموح بها, أما هذه محرمة, هذا الفرق؛ فالإيمان صبر, الإيمان صبر, صبر في الكلام.

تعرف قصة ممتعة جداً, وأنت تجلس في جلسة بنزهة, وإن حكيت عن إنسان, ضحكوا, وانقلبوا على نصفهم, لكن هذه فيها غيبة, فعاكست هوى نفسك وسكت؛ ضبط اللسان يحتاج إلى صبر, ضبط العين يحتاج إلى صبر, أن

تصلي الصلوات الخمس بإتقان تحتاج إلى صبر، أن تكظم غيظك تحتاج إلى صبر، هو الدين كله صبر، هو الصبر ثمن الجنة، أنت في الأصل مخلوق للجنة، والجنة ثمنها أن تصبر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

[سورة الطور الآية:48]

كم موضوع للصبر؟ :

موضوع الصبر ثلاثة موضوعات، يجب أن تصبر على الطاعة، طاعات، تكاليف، إنفاق؛ المال يحتاج إلى جهد، المال محبب، أداء الصلوات يحتاج إلى جهد، صيام رمضان يحتاج إلى جهد، أداء الحج يحتاج إلى جهد، ضبط اللسان، غض البصر، تربية الأولاد، معاملة كله يحتاج إلى جهد، تكليف، ذو كلفة، عمل مكلف.

((إن عمل الجنة حزم بربوة، وإن عمل النار سهل بربوة))

فلذلك: أنت مخلوق للجنة، والجنة ثمنها ليس الحرمان، ولكن الانتظام، ليس الحرمان، ولكن الضبط.

ما هو الشرع؟ :

قلت البارحة في خطبة: أن الإيمان درجة أخلاقية، لأن المؤمن محكوم بمنظومة قيم، يوجد عنده حرية:

((الإيمان قيد الفتك))

حركتك وفق برنامج، في شيء مسموح، شيء غير مسموح، ما هو الشرع؟.

كل شيء بحياتك له حكم شرعي، لا يوجد شيء مباح، تحب أن تأكل فاصولياء اليوم، لا بامية، لا بادنجان، لا كوسا، هذا مباح؛ في شيء مستحب، في شيء غير مؤكدة، في سنة مؤكدة، في واجب، في فرض، وفي مكروه كراهة تنزيهية، مكروه كراهة تحريرية، وحرام.

فأنت منذ أن تستيقظ، حتى تنام، كل شيء بحياتك له حكم شرعي، والإنسان بعد أن يؤمن بالله عز وجل، ولا شيء يعلو في حياته على معرفة الحكم الشرعي، لأنك بعد أن عرفت الله، ينبغي أن تعبد، القضية منطقية، عرفت الله، الآن في طور التقرب إليه، لا يوجد شيء يقربك من الله كطاعته، كيف تطيعه؟ بمعرفة أمره ونهيه.

لذلك: معرفة الأحكام الشرعية: فرض واجب على كل مسلم، لأنه بهذه الأحكام تتقرب إلى الله.

الإيمان منظومة قيم :

اليوم كنا بزيارة مريض، موضوع على الباب حبله طرف، هذه حرام، هذه من الشرك، يوجد أناس يضعون حبله بطرف، أناس يضعون عيناً وفيها سهم، أناس يضعون خرزة زرقاء، هذا كله شرك، ليس إلا الله؛ هو وحده النافع، هو الضار، هو المعطي، هو المانع، هو الرافع، هو الخافض، نوع من أنواع الشرك، حتى أن تقرأ حظك هذا الأسبوع في المجلة حرام، محرم.

((من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر، من أتى ساحراً فلم يصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، ولا دعاء أربعين ليلة))

أحياناً بالسيران: تأتي النجمة يلهون، يقول لك: لهو، منزعجون، نعطيها قرشين، فقيرة، تكلم لنا: حرام؟ فقيرة: أعطها مالاً فقط.

أحياناً: بالجلسات، بالبيت: فنجان القهوة، أيضاً حرام، فالمؤمن يوجد عنده أشياء محرمة، الإيمان منظومة قيم.

فذلك -يا أيها الأخوة-: الإيمان يعني الصبر، الصبر فقط، الصبر: ضبط الشهوات بمنهج الله:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص الآية:50]

أما الذي يتبع هواه وفق هدى الله، لا شيء عليه، لأنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان، إلا وجعل لها قناة نظيفة تجري خلالها.

فالآية الأولى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

لي تعليق على هذه الآية: ما الذي جعل المسلمون متقلتين؟ لماذا المسلمون اليوم مليار ومئتا مليون ليست كلمتهم هي العليا؟ أمرهم ليس بيدهم؟ للكفار عليهم ألف سبيل وسبيل؟ مع أن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

لماذا لا يدافع الله عنا؟:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج الآية:38]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:7]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة النور الآية:55]

-أين الاستخلاف؟:-

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾

[سورة النور الآية:55]

-أين التمكين؟-

﴿وَلْيُبَدِّلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور الآية:55]

أين التطمين؟ هذا سؤال كبير، جوابه صغير.

فالإسلام منهج كامل، يعني تجاوزاً مئة ألف بند؛ صلى، صام، حج، زكى، كم بند قدم؟ أربعة بنود، بقي عليه تسعمئة وأربعة وتسعين ألف بند، معنى ذلك: الذي يصلي، يصوم فقط، ولم تكن تجارته إسلامية، وبيته إسلامي، وطعامه إسلامي، وكلامه إسلامي، ونزهته إسلامية، وحزنه إسلامي، وفرحه إسلامي، هذا ليس مسلم.

أساس تخلف المسلمين: أن هذا المنهج العظيم، الذي هو مئة ألف بند، ضغطوه، صغروه، عملوه خمسة بنود، أربعة بنود، أضافوا له الأناشيد انطرب، أضافوا له الرقص حضرات، فشيء مضحك الميلوية..... الإسلام أعظم من هذا؛ الإسلام منهج الحياة، الإسلام هو الحياة، الإسلام منهج كامل.

لذلك العلماء قالوا: أي أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب.

يجب أن تصبر وتعين الآخرين على الصبر :

الآن: أول آية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

يجب أن تصبر:

﴿وَصَابِرُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:200]

يجب أن تعين الآخرين على الصبر؛ تصبر وتُصبر الآخرين، ذكرهم بالآخرة، بالإيمان....

سيدنا عمر قال: كان إذا أصابته مصيبة قال: الحمد لله ثلاثاً، أول حمد لله: إذ لم تكن في ديني.

ما دام بيتك سليماً؛ لم تخرق الاستقامة، لم تقع في حرام، أهلك مستورون، بناتك صالحات، أولادك أطهار، ذهب المال، يأتي المال مرة ثانية، عليك أن تصبر الآخرين.

الابتلاء من خصائص المؤمن :

الآية الثانية: يبدو أن الابتلاء من خصائص المؤمن. قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:155]

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:156]

معنى من خصائص الحياة الدنيا: الابتلاء.

((أشد الناس بلاء الأنبياء، وأشدهم بلاء أنا، ثم الأمثل فالأمثل))

حديث يكشف لنا حقيقة الحياة الدنيا :

من هنا خطب النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال:

((إن هذه الدنيا دار التواء

-ليس من الممكن أن تأتي الدنيا كاملة، صحة، الزوجة يوجد فيها مرضين، ثلاثة، الزوجة صحيحة، الأولاد يوجد عندهم بعض المشكلات، الأولاد جيدون، والزوجة جيدة، أنت معك مشكلة، الصحة كلها طيبة، الدخل قليل، الدخل كثير لا يوجد أولاد، الزوجة عقيمة، يعني دائماً في مشكلة-.

إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء , ومنزل ترح لا منزل فرح , فمن عرفها لم يفرح لرخاء , ولم يحزن لشقاء , قد جعلها الله دار بلوى , وجعل الآخرة دار عقبى , فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً , وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً , فيأخذ ليعطي , ويبتلي ليجزي))

الصبر أجره مفتوح :

أيها الأخوة, أما هذا الذي صبر , ليس له أجر محدود , أجره مفتوح . قال :

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر الآية:10]

الآن: كل وظيفة في الدنيا لها معاش , إلا في بريطانيا , القاضي ليس له معاش , معه شيك مفتوح , أحب أن يأخذ خمسين ألف جنيه , مليون , يعني هذا القاضي ليس له دخل محدود , دخله غير محدود , والصابر -أيضاً- ليس له أجر محدود:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر الآية:10]

هنيئاً لمن كان مؤمناً , وساق الله له مصيبة , وصبر عليها , وقال : حسبي الله ونعم الوكيل , يا ربي لك الحمد .

قف هنا :

الآية التي بعدها:

﴿وَأَمَّنْ صَبْرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى الآية:43]

وأحياناً الإنسان : يأتيه قضاء وقدر على يد إنسان .

أحياناً: ابنه - لا سمح الله- يقع من الشرفه, يموت, لا يوجد خصم أمامه, يقول لك: حادث قضاء وقدر.

أحياناً: سائق يدهس ابناً, أنت أمامك شخص, هو متسبب بالقتل, هنا الإنسان يحتاج إلى صبر أشد؛ يجب أن يرى أن هذا فعل الله, وأن يعفو عن هذا الذي أجرى الله على يده هذا القضاء, إن كان العفو يقربه إلى الله:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى الآية:40]

هذا حال المؤمن :

والآية التي بعدها:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:31]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَجَباً لأمر المؤمن! إن أمره كُلُّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابتهُ سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابتهُ ضرَّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له، وليس ذلك لغير المؤمن))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

هذا المؤمن, المؤمن مثل المنشار؛ بالسراء يرقى, وبالضرء يرقى, بالخير يرقى, وفي المصيبة يصبر, في الرخاء شكور, وفي البلاء صبور.

ومن أقوال النبي -عليه الصلاة والسلام- في مناسبات الوفاة:

((إن لله ما أخذ, وله ما أعطى))

دعوة رجاء :

وأرجو الله سبحانه وتعالى: أن تتقلب هذه الآيات, وهذه الأحاديث واقعاً نعيشه, المؤمن صابر؛ لكن يصبر لله:

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

[سورة المدثر الآية:7]

يصبر, ويستعين على الصبر بالله:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[سورة النحل الآية:127]

يصبر ويصابر؛ يصبر, ويصابر, ويستعين بالصبر بالله, ويصبر لله عز وجل, والجزاء بغير حساب, والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-88} : المراقبة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 11-07-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة الدرس :

أيها الأخوة الكرام:
عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه
رياض الصالحين: باب المراقبة, وبدأ ببعض الآيات
الكريمة, ثم الأحاديث الصحيحة. فقال تعالى -الآية
الكريمة-:



﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:213]

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:214]

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:215]

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:216]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾

[سورة الشعراء الآية: 217]

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[سورة الشعراء الآية: 218]

﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: 219]

حركاتك, وسكناتك, وذهابك, وإيابك, ومنعك, وعطاؤك, وزيارتك, وقطيعتك, وابتسامتك, وعبوسك, وكل تصرفاتك في علم الله عز وجل:

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[سورة الشعراء الآية: 218]

أفضل إيمان المرء: أن يعلم أن الله معه حيث كان :

حينما تشعر أن الله يراقبك, استحييت منه, وهذا شأن الإنسان, الإنسان يستحي من أحد أقربائه الوجهاء, إذا كان يراقبه, يجلس أمامه جلسة أدبية, يرتدي أمامه ثياباً محتشمة, يختار الكلمات اللطيفة, يختار الابتسامة الرائعة, إذا كان بحضرة إنسان يحترمه, فكيف إذا شعرت أن الله ﷻ يراقبك؟.

لذلك: أفضل إيمان المرء: أن يعلم أن الله معه حيث كان.

فإذا علمت أن الله يعلم, انتهى كل شيء, فهذا حال المراقبة, حال أساسي عند المؤمنين, وأحد أسباب استقامتهم: شعورهم أن الله معهم, وهذا الحال سماه النبي: مرتبة الإحسان, أعلى من الإيمان, الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

متى يرتاح العبد؟ :

تصور إنساناً يمشي، وهو يعلم أن الله معه، وأن الله مطلع على قلبه، مطلع على سريره، عليم بما يقول؛ نواياه، سرعاته، بواعثه، أهدافه كله في علم الله عز وجل، حينما تعلم أن الله يعلم، قطعت أربعة أخماس الطريق إلى الله، حينما تعلم أن الله يعلم.



لذلك: الإنسان حينما يجتهد، ويرقى في درجة إيمانية عالية يرتاح، الصراع صعب؛ الصراع، والأخذ، والرد، يا ترى أفعل، لا أفعل، لا، هذا الصراع ينتهي: عندما تشعر أن الله معك، أما قبل أن تعلم أن الله معك، النفس أمارة بالسوء، تنتشد مرة إلى سلوك أهل الإيمان، ومرة إلى سلوك أهل العصيان، صار في صراع، أما إذا شعرت أن الله يعلم.....

يعني إذا كان إنسان في محل، وبحاجة إلى مال، هو

صانع، المعلم غير موجود، فتح الدرج، أخذ، أم لا أخذ، لن يدري، لن يعد الأموال، لكن لما أخذ، أقع في مشكلة، الصراع متى ينتهي؟ إذا كان صاحب المحل واقفاً، انتهى الأمر، صاحب المحل أمامك واقف؛ انتهى الصراع كله، انتهت كل المشكلات، انتهى ضغط النفس، انتهت الوسوسة.

حينما تعلم أن الله يعلم، هذا حال مريح، يعينك على أن تستقيم على أمر الله:

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[سورة الشعراء الآية: 218]

﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: 219]

هذه هي الآية الأولى.

مقولة وردت :

لذلك يقولون: أحد الشيوخ عنده أحد التلاميذ, كان يحب أحدهم حباً جماً, فالآخرون حسدوه, فاعترضوا على الشيخ في تقريبه لهذا الصغير, فامتحنهم, قال: انبجوا لي دجاجة, في مكان لا يراكم فيه أحد, فكل واحد وراء جدار, في غرفة, ذبحوا, وأتوا بالدجاجة, إلا هذا الغلام الصغير, قال له: والله -يا سيدي- لا يوجد مكان, إلا ورأيت أن الله معي فلم أفعل, قال: هذا هو الذي ميزه عليكم, هو مع الله, ويشعر أن الله معه.

فأن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه, فإنه يراك, هذا شيء جميل جداً.

من صفات المؤمن :

يعني: المؤمن يستحي أن يرتكب معصية, والله يراه.

والنبي -عليه الصلاة والسلام-: طرد أجيراً اغتسل عرياناً أمام الناس, قال له:

((إنك لا تستحي من الله, خذ أجارتك, لا حاجة لنا بك, فإني أراك لا تستحي من الله))

والإنسان كلما ازداد حياؤه ازدادت حشمته, تجد البيت المسلم بيتاً منضبطاً, في ثياب -هكذا- فاضحة, متبذلة, الفتيات, الشباب, كثيرون جداً هم الذين يقومون في البيت بالثياب الداخلية, كثيرون جداً, بوقاحة, وأخواته شابات, وهو شاب, أمام والدته, أمام والده, وفي بيوت -والله الذي لا إله إلا هو-, ما رأى الأب في كل حياته ابنته إلا بثياب محشمة, إذا دخل عليها يستأذن؛ لا يوجد أب يخلع أمام أولاده إلا في غرفة خاصة, ولا توجد أم تخلع ثيابها أمام أولادها إلا في غرفة خاصة. هذا المؤمن:

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[سورة الشعراء الآية:218]

هو الإنسان إذا تيقن من أن الله معه دائماً, صار إنساناً آخر, يحاسب نفسه على الخواطر, لأن كل الخواطر بعلم الله عز وجل, أنت مكسوف, صفحة مفتوحة أمام الله عز وجل.

الآية الثانية:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد الآية: 4]

قالوا: هذه معية عامة؛ أي أن الله سبحانه وتعالى مع كل الناس، في كل أموالهم، أما إذا قلت: إن الله مع المؤمنين، معية خاصة، معية التوفيق:



﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد الآية: 4]

معية عامة.

الآية الثالثة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 5]

طرفة :

يعني أحياناً من باب الطرفة: تأتي صديقة زوجتك إلى عندك في الشتاء، غرفة الضيوف لا يوجد فيها مدفأة، أنت عندك مدفأة في غرفة الجلوس، تقول للزوجة: انت بالضييفة إلى عندنا، المكان دافىء، يا ترى أنت النية المكان دافىء، لكن لما في شيء ثان، من يعلم ذلك؟ الله ﷻ، مكشوف عند الله عز وجل، الكلام منطقي، أدفاً لكما، يا ترى هنا أدفاً لكما، لما في شيء ثان؛ لترى من هي صديقتها؟ ما شكلها مثلاً؟ الله عز وجل:

﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 5]

إذا عندك شعور أن الله كاشفك, انتهى تستقيم على أمره, وتستحي منه. يقولون: سيدنا علي -هكذا, قصة-: أنه وصل إلى درجة أنه يقتل كافر, وضع السيف على عنقه ليقطع رأسه, فبصق الكافر بوجهه, قال: لماذا أحجبت عن قتله؟ قال: كنت أقتله في سبيل الله, فلما بصق في وجهي, النية ترددت, والله يرى.

يعني في مراقبة دقيقة جداً, المؤمن مطلوب منه أن يكون كذلك.

قصة لها دلالة مخيفة :

يعني قصة -والله سمعتها, لا أعرف, لها دلالة مخيفة-: صديق لي, له عمّة أو خالة توفيت, -قالها: غريب! مع أنني أنا من طبيعتي لا أستخدم المنامات إطلاقاً-, له قريبة توفيت, لعلها عمته أو خالته, قال لي: رأيتها في الرؤيا في المنام, النار تاكل ثيابها, وهي تستغيث, -خير إن شاء الله, منام مزعج جداً-, بعد حين رآها في منام مشابه, أقسم لي بالله: أنه لثمانى سنوات من حين لآخر يراها بهذه الحالة, النار تاكل ثيابها, بعد ثمانى سنوات رآها بحالة طيبة, هكذا وجهها مشرق, ترتدي ثياباً بيضاء, وعليها ابتسامة, فرح لها فرحاً شديداً.



قال لها: ما القصة؟ ماذا حدث لك؟ قالت له:
الحليبيات يا بني, الحليبيات. ما الحليبيات؟.

كان لها أولاد زوج, ولها أولاد, فالحليب؛ كأس ولدها
ممتلئ حليباً, كأس ابن زوجها نصفه حليب ونصفه
ماء, من يعلم ذلك؟ الله, هي في المطبخ, أول كأسين
لولديها, ثاني كأسين لأولاد زوجها, أول كأسين حليب
كامل الدسم, ثاني كأسين؛ نصف الكأس حليب

ونصفها ماء, بعد ما أضيف الماء, مثل بعضهم, خذ هذه ماما, خذ هذه, خذ هذه, خذ هذه, لم يدر أحد, لا زوجها
علم, ولا أولادها علموا, أبداً, لكن الله يعلم ظلم هذا. فإذا الإنسان يعلم أن الله يعلم, يعني اختلف حاله من الأرض

للسماء .

يعني الآن إذا إنسان قلنا له: خطك الهاتفي مراقب, كيف ينضبط في كلامه على الهاتف, ولا كلمة, لا يقول: فرد الخاص بالثقيب, يقول: مثقب, فرد لا يقولها, يخاف يفهمونها فهماً ثانياً, هذه أفضل, هذا إذا كان الإنسان أيقن: أنه مراقب, خطه مراقب:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 5]

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

[سورة الفجر الآية: 14]

يرصد عبادته, واحداً, واحداً:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية: 18]

الإنسان يُدهش:

﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية: 49]

كل شيء مسجل.

مرة قال لي صديق جاءته مخالفة, يعني قال: أنا ما كنت في هذا الطريق, هذه الصورة, قال لي: الصورة مسكّنة, مسكّنة, صورة سيارته بالتاريخ المعين, بالسرعة المعينة, المخالفة بالمكان المعين, انتهى الأمر.

الآن في طرق بالتخفيف حديثة جداً, لا يسألونك, يعرضون عليك الفيلم الذي صوروه لك فقط, تفضل تكلم, قطعوا أربعة أخماس الطريق بالتحقيق, الصورة مسكّنة:



﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية: 49]

كل شيء مكتوب, بالعكس الكتاب مرقوم, والكتاب مرقوم, مرقوم يعني مُرَقَم, كل صفحة لها رقم, مثل دفتر حساب المالية, مُرَقَم ومختوم, لا تستطيع الصفحة ثلاثة عشرة, هل تستطيع أن تبني الشقة بمليون؟ لا تستطيع, هذه ألغها, تظهر أحد عشر, خمسة عشر, يحاسبونك, دفتر المالية مرقم, وفي آخره صفحة, بلغت صفحات هذا الدفتر مئة وعشرين ختم توقيع.

فالكتاب مرقوم, كل صفحة لها رقم, والكتاب مرقوم من الرِّقْم, الرِّقْم العدد, الرِّقْم الصورة, كل مخالفة مع صورتها, لم أكن, تفضل.

أول ما أتوا بجهاز الرادار -أصلحهم الله-, التقوا مع سائق؛ أنك كنت في المطار, ومشيت بسرعة عالية, ماذا قال السائق؟ بديني, بمجدي, بالكعبة, أنا لم أكن في المطار, فأروه الصورة, وأمسكها, جعلوه يحلف بكل مقدساته, أنه لم يكن في المطار, أروه الصورة, سكت, الصورة مسكّنة, فالكتاب مرقوم من الرِّقْم, والكتاب مرقوم من الرِّقْم, كتاب أعمالك, صفحاته مرقمة, وكل مخالفة مع صورتها ملونة أبعاد ثلاثة, أرقى شيء ثلاثة أبعاد, انتهى كل شيء, هذا معنى المراقبة.

هذه هي خائنة الأعين :

الآية التي بعدها:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

[سورة غافر الآية: 19]

خائنة الأعين؛ لا يمكن لجهة في الأرض أن تكشفها، لجهة في الأرض.

جالس في غرفتك، والدنيا ليل، وقبل أن تنام أطفأت المصباح، النافذة مفتوحة، أنت في ظلام، أنت لا ترى، ولكنك ترى، خرجت جارتك على الشرفة، تظن لا يوجد أحد، بثياب متبدلة، لو أنك ملأت عينك من محاسنها، من الذي يكشفك في الأرض؟ ولا جهة في الأرض، لكن الله يراك، هذه خائنة الأعين.

أنت -حسناً- عندك مريضة، في مكان يؤلمها، نظرت إليه، وهذا من حقا، أما اختلست النظر إلى مكان آخر لا يؤلمها، من الذي يكشف هذه النظرة؟ الله ﷻ:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

[سورة غافر الآية: 19]

ما ثمن دخول الجنة؟ :



هذا الدين يا أخوان، دين انضباط، يعني: جنة عرضها السموات والأرض، جنة إلى أبد الأبد، ثمنها بالانضباط:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية: 40]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية: 41]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[سورة النازعات الآية: 41]

من يعلم خائنة الأعين؟ :

شخص أعطاك جواز سفره, من أجل أن تجدهه طبعاً, هو وزوجته, المؤمن لا يفتحه أبداً, لا يرى الصورة, حسناً: لو فتحت في الطريق, رأيت من هي, ما شكل زوجته, زوجته في الصورة, من يعلم هذه النظرة؟ الله عز وجل, صاحب الجواز: هل بإمكانه أن يكشف هذه النظرة؟ لا, أعطاك إياه, وقال لك: إذا ممكن جدده لي, يوجد على الجواز صورتك, وصورة زوجتك, لو أنه فتح الجواز, ونظر إلى صورة الزوجة, هذه نظرة خائنة:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

[سورة غافر الآية: 19]

أحياناً: إنسان في بيت, يعني بيت ليس له؛ في خزن, في درج, في طاولات, يرى أن الله معه, لا يفتح شيئاً.

هذا المؤمن :

والله مرة -هكذا- سكنت في بيت أسبوع, قلت له: والله لا أعرف شيئاً فتح في البيت كله إطلاقاً, لا درج, ولا
أبدأ.

أحياناً إنسان: موضوع دفتر على الطاولة, يجب أن لا تنتظر في كتاب أخيك إلا بإذنه, قد يكون في حسابات معينة, يجب ألا تقتحم أسراره إطلاقاً, هذا المؤمن, لا تنتظر بكتاب أخيك إلا بإذنه, حتى لو على جهاز كمبيوتر, عنده



يعلم خائنة الأعين

برامج معينة, عنده برنامج محاسبة, ترى ما هي حساباته, تفتح له, لا يجوز؛ لا تقتحم برامج لأخيك إلا بإذنه, لا تقتحم دفتر أخيك إلا بإذنه, لا تقتحم حاجات أخيك في بيته إلا بإذنه, فهذه كلها خائنة الأعين:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

[سورة غافر الآية: 19]

في أشخاص يحب يعرف كل قضية ما أصلها, أي نعم.

ما محور هذا الحديث؟ :

الحديث الشريف:

((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن))

[أخرجه الترمذي في سننه]

اتق الله حيثما كنت: إذا في فرق بالتقوى بحسب المكان, فهذا دليل النفاق, أمام الناس منضبط, وحدك غير منضبط, وأنت بالمملكة تصلي الصلاة في وقتها, لأنه في مطاوعة, خارج المملكة لا تصلي أبداً, المرأة بالمملكة منضبطة انضباطاً شديداً, تركب الطائرة, تلخع كل شيء, ترجع كأنها ممثلة, هذه معناها منافقة, النفاق يقابله – الآن – ما يسمى ب(انقسام شخصية), له شخصيتان؛ شخصية مع المؤمنين, شخصية مع المنافقين:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 14]

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 15]

الإنسان لما ينحرف, يصبح له شخصيتان؛ شخصية لتحقيق مصالحه مع المؤمنين, وشخصية يتملق بها الكفار والمنحرفين, هذا اسمه نفاق, أو انقسام شخصية, أو ازدواء شخصية.

الحديث:

((اتق الله حيثما كنت - في أي مكان عليك أن تتقي الله - وأتبع السيئة الحسنة تمحها, وخالق الناس بخلق
حسن))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ما معنى: (احفظ الله يحفظك)؟ :

الحديث الأخير:



((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك))

احفظ الله يحفظك: يعني أنت يجب أن تخاف من الله فيما
بينك وبينه, فإذا خفت من الله فيما بينك وبينه, ما أخافك من
أحد, يحفظك من أن تخاف من غيره.

احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله في عينك, يمتعك الله بها إلى
نهاية عمرك, احفظ الله في أذنك, اسمع الحق, يمتعك الله بها

إلى نهاية عمرك, احفظ الله في لسانك, يمتعك الله به إلى نهاية عمرك, احفظ الله في أعضائك, احفظ الله في
يدك, احفظ الله في رجلك, احفظ الله في كسبك, احفظ الله في إنفاقك, احفظ الله في زوجتك, احفظ الله في أولادك,
إن أقمتم أمر الله في هذه النقاط, متعك الله بصحتك, وبأهلك إلى يوم موتك.
احفظ الله يحفظك: احفظ أمر الله من أن تضيعه, يحفظك من أن تخسر شيئاً في الحياة الدنيا.
هذا حديث جامع مانع:

((احفظ الله يحفظك))

يعني أن تخاف من الله وحده, مستحيل أن يخيفك من غيره, أن تخاف منه وحده.

إذا خفت من الله لن يخيفك من غيره :

يعني مثلاً: بائع, يخاف الله: أن يظلم أي مشتر

يعني فرضاً: وجد فأرة في تنكة الزيت, خاف من الله, لم يعد يبيعها, عملها صابون, وثنها ألفان وخمسمئة التنكة, يستطيع يبيعها, ولا أحد يدري ما فعل, لكنه خاف من الله, فيما بينه وبين الله, هذا الإنسان لا يمكن أن يخاف من موظف تموين, لأنه خاف من الله, انتهى, ما دام خاف منه, لن يخيفك من غيره.

احفظوها يا أخواننا هذه: إذا خفت منه, لن يخيفك من غيره, صرت غالباً عليه أنت, أما إذا لم تخف منه, تصبح مثل الطفل الصغير أمام إنسان عادي جداً, أقل من عادي, مثل الطفل تصبح أمامه, لأنك لم تخف فيما بينك وبين الله, لم تخف من الله, أخافك من بعض عبادته, يعني إما أن تكون عبداً لله, وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم, ترجوه, تصبح أمامه مثل الطفل, لأنه لا يرحمك, أنت من الله لم تخف.

أثناء تعامل الزبائن ما خفت من الله؛ جرمتهم, بعثهم بضاعة فاسدة, بأسعار غير معقولة, جاء موظف أظهر الفرق, أما إذا أنت خفت من الله عز وجل, لن يخيفك من أحد غيره.

((لا أجمع على عبدي أمنين وخوفين؛ إن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة, وإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة))

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-89} : اليقين والتوكل

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 25-07-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء الاستفتاح :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من الآفات التي تهلك الإنسان :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين، باباً سماه: باب اليقين والتوكل.

مشكلة الإنسان: في عدم اليقين، وفي طول الأمل، آفتان خطيرتان تُهلكان الإنسان؛ ضعف اليقين، وطول الأمل، وإن أردنا أن نضيف إليهما شيئاً ثالثاً خطيراً: ضعف التوحيد، ضعف اليقين، وضعف التوحيد، وطول الأمل، هذه ثلاثة مهلكات؛ ضعف اليقين: ليس متأكداً، الإنسان لا يتحرك إلا إذا أيقن.

ما الحل الذي نصل إليه من جراء هذه الأمثلة؟ :

إنسان يدخن، يقرأ في سرطان رئة، في سرطان شفنتين، في جلطة، في احتشاء عضلة قلب، في مرض الغرغرين، يعني ليس متأكداً أن هذه الأمراض تنتظر المدخن، متى يقلع عن التدخين حتماً؟ إذا أصيب بجلطة، وتأكد أنها من الدخان، الآن دخل باليقين؛ اليقين: يحملك على العمل، ضعف اليقين: يجعلك متردداً.

الآن: إذا أنت أيقنت كتاجر، يوجد بضاعة سوف ترتفع أسعارها، لأنك رأيت مسودة مرسوم تشريعي لمنع استيراد

هذه المادة، هناك من يبيع بيته، ويشترى هذه البضاعة، دخل باليقين، أما كإشاعة، يقول لك: اعمل نصف عاقل، نصف مجنون. متى تتحرك؟ إذا أيقنت المشكلة في ضعف اليقين.

هؤلاء الناس؛ مؤمن مؤمن، في آخرة في آخرة، في جنة في جنة، في نار في نار، حسناً: لماذا تقترف المعاصي؟ يقول لك: الله يتوب علينا، لا يوجد عنده يقينيات.

إنسان من بني البشر قوي، إذا قال له: تعال لأسألك يوم الخميس الساعة العاشرة، تعال إلينا، واصطحب معك الهوية، ثلاثة أيام لا ينام الليل، إنسان من بني البشر: لأنه موقن وراء السؤال في مشكلة، وقد يدخل ولا يخرج. حينما تتعامل باليقين، تُحل كل مشكلاتك، يقينيات الدين وصلت إليها، أما كل المسلمين؛ في آخرة، وفي جنة، وفي نار، وفي حوض، وفي صراط، وفي موت، وفي قبر، وفي الحنش الأقرع بالقبر، كله كلام؛ لكن لا يوجد يقين، لو يوجد يقين: لا تنام الليل.

((والله لو تعلمون ما أعلم ما أنتم عليه بعد الموت؛ ما أكلتم طعاماً عن شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولذهبتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم))

قضية اليقين، إذا أنت ذهبت إلى بيروت، ورأيت تفتيشاً يفوق حد الخيال، وتفتش السيارة مكاناً مكاناً، هل تشتري أغراضاً من بيروت؟ مستحيل، صار الغرض عبثاً، لم يعد مكسباً، صار مغرباً.

أنت لاحظ نفسك؛ حينما تصل في حياتك الدنيا إلى يقينيات، اليقينيات تحملك على الحركة.

متى يدخل الإنسان في اليقين؟ :

قلت في درس سابق: إنسان يسكن بيتاً في الطابق الرابع؛ يعمل له جبصين، يعمل له شرفات، يعمل له ألمنيوم برونز، يعمل بحرته رخام في الأرض، يزينه تزييناً مذهلاً، يقول لك: كل بلاطة تصورت أين مكانها، إذا صار معه مشكلة في قلبه، وقال له الطبيب: هذا الدرج كالمشمار لك، ثاني يوم يضعه في الدلال، دخل باليقين. أنا أقصد ما أقول:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

إنسان راكب سيارة في طريق هابط؛ جنائن على الطرفين، نسيم عليل، وسيارة فخمة، مرتاح، معه أهله، يمزح، ويضحك، فإذا أيقن فجأة: أن المكبح معطل، والانحدار شديد، والمنعطف حاد، في النهاية يولول، كان يضحك، يقول لك: متنا، دخل في اليقين.

هل أنت موقن بمصادقية هذه الآيات؟ :

أنا ألح على اليقين، الآيات القرآنية: هل أنت موقن من مصداقيتها؟.

لما ربنا عز وجل قال:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:92]

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية:93]

تغتصب بيتاً تعود؟ تضع شريكاً في الطريق؟ تضحك عليه؟ تطلق زوجتك طلاقاً تعسفياً وأنت ظالم لها؟ تدلس في البيع والشراء؟ تغش؟ توهم الشاري أن هذه البضاعة من مصدر معين وهي ليس كذلك؟ ادخل باليقين وانظر، تصبح إنساناً مستقيماً، اليقين يحملك على الاستقامة:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

من أمثلة اليقين :

مرة كنا مع طبيب قلب جراح في سهرة، قدموا طعاماً طيباً؛ حلويات في القشطة، ما ذاق قطعة منها، كُئِل: أنا أرى كل يوم الشريان التاجي مسدود من هذه الأكلات، أحبها؛ ولكن لا أتناولها. يوجد عنده يقين. مرة قادم من حلب في الشتاء، أمطار غزيرة كأفواه الكرب، وجدت إنساناً في العدوي، يجري رياضة، قلت: خمسة ملايين في دمشق، كلهم في بيوتهم وراء المدافىء؛ يأكلون، ويشربون، كم في ذهنه من اليقين: أن الجري مفيد تحت المطر؟:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

هل تريد أن تحرر هذه المفاهيم الخاطئة؟ إليك ذلك :

أخطر أفة تُهلك الناس: ضعف اليقين، ليس متأكداً؛ في آخرة؟ في آخرة، حسناً: أين العمل لها؟ يقول لك: الله يتوب علينا، في جنة؟ في جنة، حسناً: أين الطاعات؟ أين الإنفاق؟.

يدفع ملايين على عرس، ويضن بمئة ليرة على فقير، الأولى ظاهرة؛ لأنه في تصوير، وفي بطاقات، وفي أخبار، وأمام الناس، أما هذه الهدية ليست ظاهرة، ليس موقناً: أن الله يعلم أنه أنفق، ليس متأكداً.

نريد أن نحرق هذه المفاهيم الخاطئة، هذا التصور المريض:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

الإيمان ليس في العبادات الشعائرية وإنما في الاستقامة :

أنت موقن: إذا ظلمت إنساناً سوف تدفع الثمن باهظاً؟ لست موقناً، تظن نفسك مجتهداً.

تجد محامياً، يأتيه موكل غشيم، يقول له: اعتبرها في جيبك، الدعوى منتهية، ويعلم علم اليقين أمل النجاح صفر، يعمل بقره حلوب لثمانى سنوات، بعد ذلك يتهم القاضي: أنه ارتشى من خصمه، ماذا يظن نفسه؟ . ذكياً، مجتهداً، يعني بعلمه استطاع أن يحصل دخلاً كبيراً، أخذ عشرين ألفاً، وراء عشرين، وراء ثلاثين: انتبه، القاضي بطنه كبير، وخصمك ليس بقليل، مثل ما تريد؛ يخوفه، يريد خمسين، هذه خمسون، وهو موقن أن الدعوى خاسرة، يسحب منه مئة، مئتين، على ثمانى سنوات، يعطيه معلومات كلها خاطئة، بعد ذلك يفاجئه: أن القاضي قبض الخصم، أنا نصحتك، لم تقبل معي، الخمسون لا تكفي كان، يقول له، هذا البلد كله هكذا يمشي؛ تجد سرطان، حادث، مشكلة، مرض خبيث:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

الإيمان ليس بالصلاة، الصلاة سهلة، أنشط في الصيف، والصيام سهل، يعمل الإنسان ريجيم، والحج سياحة، أما الإيمان في الدرهم والدينار، في الاستقامة التامة؛ الصلاة فرض، والصيام فرض، والحج فرض، من دون استقامة: تُفرغ هذه العبادات من مضمونها.

هل يجرؤ صيدلي إذا كان يعلم علم اليقين أن يبيع الدواء بعد انتهاء مدة صلاحيته؟ :

قال تعالى:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

هل يجرؤ صيدلي إذا كان يعلم علم اليقين: ينفي الصلاحية؟ الدواء منته من جمعة، ثمنه ثمانمئة ليرة، شيفرة، الصلاحية يحكها، انتهى، يبيعه.

أنا كنت أظن سابقاً، كنت أظن: أن الدواء الذي انتهت صلاحيته لا يفيد، ليته لا يفيد، في دراسات دقيقة جداً، يُضر ضرراً كبيراً، هذه المواد حينما تتفكك، تصبح سامة أحياناً، هو أمن بيع الدواء بثمانمئة ليرة، وصلاحيتها منتهية:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

في أكثر الحرف

واقعة :

زارني طبيب، قال لي: أنا معي ثلاثة بوردات، أهلاً وسهلاً، بعد ما حضر خطبة الجمعة، وجلس في غرفتي بعد الخطبة، قال لي: أنا خرجت عشرين جيلاً من الأطباء، طبيب مشهور جداً، ويعني عمره من فوق الثمانين سنة،

لكن ما شاء الله كأنه شاب, قال لي: أنا أحب المرضى, كأنهم أولاده, حكى كلاماً طيباً, وأنا صدقته, يعني مخلص.

قال لي: جاءتني امرأة معها سرطان في الثدي, ممتد للكتف, منتهية, فانفرد بزوجها, قال له: أنت في حقها مجرم, قال له: لماذا؟ قال له: هذا المرض يجب أن تكشفه أنت, أو يكشفه طبيب قبل سنتين, على قدر الحمصة, على قدر الجوزة, يُستأصل, يُعالج بالأشعة, واحتمال النجاح مئة في المئة, أما الآن: لا يوجد أمل, قال له: لا, نحن كنا عند طبيب فلان, لم يقل لنا: سرطان, بقينا عنده سنتين, بقينا عنده سنتين, لم يقل: سرطان, أعطانا كورتزون, وأعطانا مضادات التهاب, ومسكنات, فماذا قال لي الطبيب؟.

قال لي: والله طالب طب صف ثالث, يعلم أنه سرطان, لكن هذا الطبيب؛ لكن لو قال: سرطان, تحولوا عنه إلى غيره, فأوهمهم أنه غير سرطان, بدأ يبتز أموالهم خلال سنتين.

قال لي: لما الزوج عرف الحقيقة, قال له: نحن عند فلان, لم يقل سرطان, قال له: هذا, لم يعرف هذا سرطان, قال له: طالب طب يعرفه, طالب طب صف ثالث, قال لي: الزوج فجأة تذلل على الأرض, ودعا, قال له: يا رب, إذا كنت موجوداً تنتقم منه -ربط الانتقام منه بوجود الله-.

قال لي: بعد ستة أيام ماتت المرأة, أنا الموضوع نسيته, بعد أحد عشر شهراً, جاءه شاب أنيق, قال لي: جلس مكان زوج المريضة على المقعد, وجلس متهاكاً, قال له: خير؟ قال له: أنا زميلك, الاسم الكريم؟ قال له: فلان, نفسه, سرطان في الصدر, قال لي: والله يا أستاذ, والله بحسب خبرتي, عمر السرطان أحد عشر شهراً, من وقت ما تذلل الزوج, قال له: يا رب, إذا كنت موجوداً انتقم منه.

هذا لو كان الطبيب, يعلم علم اليقين: ما فعلها, قال له: أخي مع زوجتك مرض خبيث, اذهب إلى طبيب أشعة, أنا انتهت عندي؛ لكن ما كان يعلم علم اليقين, ظن نفسه ذكياً, يعمل المريض بقرة حلوب:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

ما فحوى هذه النقطة؟ :

هل يجرؤ سمان عنده تنكة زيت بلدي, وقعت فيها فأرة يبيعهها؟ لو كان يعلم علم اليقين: لا يجرؤ أن يبيعهها, يستخدمها للصابون, أما للبيع مستحيل, يخاف من الله, أما إذا لا يوجد عنده علم يقيني, يقول لك: لا تدقق, من يراك؟ قل: الله ولا تخاف, هكذا, هذه اسمها تلبسة, يبيعهها, يأتي رينا يبعث له موظف تموين, بركه شهرين سجن, والله لست فاعلاً شيئاً, وتنكة الزيت!؟ كيف لست فاعلاً شيئاً!؟:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

أخواننا الكرام, شيء مخيف, ربنا عدل, عدله مطلق؛ كلما ازددت علماً به, ازددت طاعة له, وازددت خوفاً منه, سلامة الإنسان

ما رأيك؟ :

زرت شخصاً, قال لي: أنا عمري ست وتسعون سنة, التحليل مئة في المئة, صحيح, كله طبيعي, قال لي: ما تناولت قرشاً حراماً في حياتي, ولست فاعلاً حراماً في حياتي, الحرام لا يعلمه:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

هذا دين، إله؛ مطلع عليك، على نواياك، على البواعث النفسية، على الأهداف، على السلوك، كله الله مطلع عليه، أنت مكشوف عنده:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:18]

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾

[سورة الأنفال الآية:24]

علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قف عند هذه المحطة :

أيها الأخوة الكرام، ولا أبالغ: أكثر مشكلات الناس ناتجة عن ضعف اليقين، ليس متأكداً، لا يخاف. يعني تصور إنساناً على كتفه عقرب، قلنا له: يوجد على كتفك عقرب، بقي هادئاً، مرتاحاً، ابتساماً على شفتيه، قال لك: والله أنا شاكر لهذه الملاحظة، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني من أن أكافئك عليها، رأيت ماذا قلت له؟ ما دام بقي هادئاً، وأعطاك كلاماً معسولاً، ما سمع ماذا قلت له، لو سمع ماذا قلت له، لخرج من جلده خوفاً، لكن لم ينتبه.

الله عز وجل قال:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة فاطر الآية:22]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:21]

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:22]

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾

[سورة الأحزاب الآية:22]

هكذا قال هذا الشخص :

أخ من أخواننا, اشترى سيارة, لكن فخمة جداً, يابانية من أحدث موديل, بيضة, بثلاثة ونصف, من خوفه عليها تأمين كامل, سألني, قلت له: التأمين كامل حرام, أما الإجباري ضريبة, هذا ليس له ثقة بي, رفع التأمين, بعد ثلاثة أيام حادث, كلفه مئة وثمانون ألفاً, أنا شعرت بالحرج, قال لي: أستاذ, كنا ما رفعنا التأمين, ما صار معنا هكذا, سألناك: حرام؟ قلت لنا: التأمين, تفضل ماذا أريد أن أقول له؟ -طبيب, والله طبيب أسنان, لكن لامع جداً- قلت له: والله هذا الشرع, والله لن يضيعك, صلحها, وباعها, كره السيارة, باعها بوقت كان أسعارها في صعود, باعها بمليون وأربعمئة ألف, بعد أربعة أشهر, السوق كر للمليون ونيف, مليون إلا, ربح أربعمئة ألف, اشترى بيتاً بدمر, باعه, ربح أربعمئة ألف.

قال لي: والله -يا أستاذ- بفضل الفتوى, ربحتنا ثمانمئة ألف, أولها صعب, رفعنا التأمين مئة وثمانين ألفاً, قال لي: ثمانمئة ألف جاءني لما ضربت, وبعثها بسعر غال, وأخذت بيتاً وبعته بسعر غال:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

قصة زائر من السعودية :

زارني رجل، يعني استأجر بيتاً جانب الجامع، سعودي، يعني حضر درس الجمعة، ودرس السبت، ودرس الأحد، ودرس الاثنين، والخطبة، والفجر، والظهر، أحب الدروس جداً، لزمها جميعها، والله أنا أحببت تعال زورنا، زارني، ماذا تعمل -حضرتك- في السعودية؟ قال لي: عندي ستون سيارة، مئة وعشرون؛ ستون مارسيدس، وستون ليموزين للتأجير، قلت له: مؤمن عليهم؟ قال: لا والله، قال لي: والله ثماني سنوات ولا حادث، أيقن بحفظ الله: أنا أؤدي الزكاة، وأستقيم على أمر الله.

ما سبب مشكلاتنا؟ :

في أخ كان يؤمن بأن لا إله، ليس لا إله إلا الله، لا إله فقط، وقف، لا يكمل، لا إله، يعني ملحد، أحد أخوانه التزم في الجامع، -والأخ الذي يلتزم في الجامع، ويستقيم في الجامع، ويتمنى الهداية لأصدقائه القدامى، أنا أقدمه، أكثرهم ملحدين-.

فهذا النتيجة استجاب بعد جلسات طويلة جداً، استجاب، وصلى، أما مؤمن على السيارة تأمين كامل، قال لي: والله تأمين كامل، وأدفع كل سنة أربعين، خمسين زيادة، خلافي مع شركة التأمين، قال له: ارفع التأمين الاختياري، وابق على الإجباري، فطبقتها، مضى سنة، اثنا عشر شهراً لا يوجد فيها ولا عيب، عمل لنا عشاء على نية

قال لي: غير معقول! كل عمري أؤمن تأميناً كاملاً، وأدفع فوّه أربعين، خمسين ألف، السنة ولا حادث، أنت تعامل الله عز وجل، تعامل خالق الكون:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

ضعف اليقين يا أيها الأخوة، ضعف اليقين وراء كل مشكلاتنا.

أنت لاحظ نفسك في أمور الدنيا

الدين استقامة :

مرة من باب الطرفة يعني

قديماً كان في أزمات تموينية، من حوالي عشر سنوات، -الله أكرمنا الآن، كل شيء مؤمن- والإنسان موظف، دخل إلى بيته الساعة الثالثة، من تعب ميت، خلع، ولبس بجامته، وجلس، فقال له ابنه خمس كلمات، لبس، وخرج من البيت، قال له: المؤسسة الآن جاءها زيت بلدي، والتتكة ثمنها ثمانئة، في الخارج ثمنها ألف وثمانئة، وأنت قابض معاشك، ولا يوجد عندنا زيت، ولا يوجد ازدحام، انظر كم شرط؟ لا يوجد ازدحام، والوجبة الآن جاءت، وتوفر ألف ليرة، ونحن لا يوجد عندنا زيت، وقابض معاشك الآن، يسرع، يصعد يجلب الأموال ويرجع، هذا اليقين، في توفير ألف بهذه العملية، وجانب البيت المؤسسة، ولا يوجد عندهم زيت، ومعه ثمن التتكة، وتوفير ألف، ولا يوجد ازدحام، والوجبة الآن جاءت، يأتي بها رأساً، هو دخل باليقين، ادخل باليقين وانظر، لا تنام الليل، لا تأكل قرشاً حراماً.

يلف محركات، أما محرك محروق، شرط خمسة آلاف، فتحه، وجدته محروقاً، في إطار خارجي مقطوع، لحمه خمس دقائق بالكاوي، بعد جمعة: يا ولد شغل، شغل، خمسة آلاف أخذهم، عرف الله، علم علم اليقين، جاءتته حالة مشابهة، فتحه، ليس محروقاً، لحمه بالكاوي، جاء صاحبه، قال له: خمس وعشرون ليرة، قال له: عجيب!! قلت: خمسة آلاف! ما فيه شيء.

قبل أن يعلم علم اليقين: أكل المال الحرام، بعد أن علم علم اليقين

هذا الدين أخواننا، الدين لا يحتاج لعيماً كثيراً، لا يحتاج إلى -هكذا- تشعبات، وخلافات، الدين استقامة.

هذا هو الدين :

قال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها, قال له: ليست لي, قال له: قل لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب, قال له: ليست لي, قال له: خذ ثمنها, قال له: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها, ولو قلت لصاحبها: إنها ماتت, أو أكلها الذئب لصدقتي, فإني عنده صادق أمين؛ ولكن أين الله؟.

هذه لا يوجد لها حل, هذا الدين, الدين: أن تقول: أين الله؟ فقط.

إن الله يدافع عن الذين آمنوا :

أخ كريم من أخوانكم -يمكن الآن حاضر معنا- قال لي: عندي موظف من خمس وعشرين سنة, أمين, قال لي: من يومين, أحسب الصندوق, ينقص خمسمئة ليرة: يا فلان في نقص خمسمئة ليرة, قال لي: انقلب وجهه مثل التوت, قال لي: والله لا أعرف, لعل شخص طلب أصرف له خمسمئة, أخذتهم من الصندوق, وضعت خمسمئة في جيبتي, لعل هكذا, قال لي: أخذتها, وضعتها بعد ربع ساعة, زبائن لبنانية أتوا, اشتروا من عنده, أخذوا خمسمئة ثانية.

الله دافع عنه بعد ربع ساعة, لأنه أمين, هو أمين, لا يأكل شيئاً ليس له:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

دعوة رجاء :

أنا أرجو الله سبحانه وتعالى: أن نصل إلى اليقين, باليقين: مثل إذا إنسان مستورد, والبيان الجمركي نسخة منه للمالية, يخفي البيان في حسابات المالية, وإلا تهدر كل حساباته, هذا العمل لا يوجد معه لعبة, يفرض عليه ضرائب كبيرة,

لأنه موثق البيان نسخة منه للمالية, يكتب الحسابات.

هذا الموضوع: أن تعلم علم اليقين؛ إن علمت علم اليقين, استقمت على أمر الله عز وجل, فإذا استقمت نجوت, وهذا كل الدين أساساً.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-90} : التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 08-08-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما وراء هذا المثل :

أيها الأخوة الكرام:

الباب التاسع من كتاب رياض الصالحين للإمام النووي -رحمه الله تعالى- معنون بباب: التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى.

أيها الأخوة، أضرب لكم بعض الأمثلة

تدخل إلى بيت صديقك في العيد، تجد إنساناً؛ تتأمل ثيابه، شكله، أناقته، هندامه، حديثه، لا تعرف عنه إلا بضعة كلمات، يقول لك: صديقي يا ترى؛ موظف، تاجر، ثقافته عالية، متدنية، ملتزم، غير ملتزم، فأنت لا تعرفه، لو حدثوك عنه ساعة، حجم معرفتك كبير، ازداد حجم معرفتك، تعاملت معه تعامل أكمل قاعدة؛ لو ظننته جاهلاً، طلع معه دكتوراه مثلاً، تستحي بحاله، لو ظننته فقيراً، طلع غني كبير، لو ظننته متقلتاً، طلع ملتزم مثلاً. فقضية أن تعرفه: قضية مهمة جداً. هذا المثل سوف نتوسع فيه:

ولله المثل الأعلى، الله عز وجل خلق السموات والأرض كلمة، يعني بميزان معرفة الله خمسة غرامات، الله عز وجل رحيم خمسة ثنائيات، أما الشهوات حجمها عشرة كيلو، فالشهوات لا يحرك الميزان خمسة غرامات، إذا في كفة عشرة كيلو، لا يحرك الشهوات خمسة غرامات، ولا عشرة، ولا مئة، لحتى تتجمع المعرفة بعشرة كيلو، لحتى يتحرك الميزان.

فالله عز وجل أودع في الإنسان شهوات، الشهوات قوية جداً، لا يلجمها إلا إيمان قوي، تجد المؤمن مضحي بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، ولا يعصي الله لو قطعته إرباً إرباً، ويوجد إنسان لأتفه سبب يعصي الله.

فأول نقطة: أنت حينما تعصيه, معنى ذلك: أنك لا تعرفه.

لا بد من أن تعرف الله من خلال خلقه :

يجوز إنسان يعرف جهة قوية, لو قالت له: تعال إلينا الخميس الساعة الثانية عشرة, ثلاثة أيام لا ينام الليل, ما الأمر!؟ والله لست فاعلاً شيئاً مثلاً, يعرف ما معنى الذهاب إلى هناك؛ قد يرجع, وقد لا يرجع.

لما الإنسان يعرف ماذا عند الجهة القوية من عقاب, وماذا عندها من ثواب, فصار حينما تعرف الله تطيعه, وحينما تعصيه تأكد أنك لا تعرفه.

فذلك: الله عز وجل, لا يكفي أن تقول: خلق السموات والأرض؛ الله خالق, عظيم, لا بد من أن تعرفه من خلال خلقه.

مثل ثان, لكن الثاني أوضح: مستخدم في جامعة, في دكتور بروفييسور, مستواه عال جداً, كلما دخل يقف له: أهلاً دكتور, غادر, وقف له, ممتاز, هذا المستخدم له ثلاثون سنة في الجامعة, معرفته بالأستاذ العالي تزداد شعرة ثلاثين سنة, أما لو كان طالب عنده, سمع محاضرة, ثاني محاضرة, كلما سمع محاضرة يكبر حجم معرفته, وكلما ازداد حجم معرفته احترمه أكثر, يقول لك: أستاذ, هذه فيها استهزاء, من نبرة كلمة أستاذ فيها استهزاء, إذا كان

متى يطيع العبد الله ومتى يقصر في طاعته؟ :

أنا مرة كنت في جامع, شخص -هكذا- قصير القامة, منحني الظهر, يرتدي عباءة بيضاء, كنت أنا وصديقي, فلما لمحته ذهبت إلى عنده بسرعة, وسلمت عليه سلاماً بمنتهى الأدب, هو افتكره سمان, كان عميد كلية الآداب, كان عميدنا, وكان أعلم العلماء في النحو, -توفي رحمه الله-, أنا عشت معه أربع سنوات, سمعت محاضراته, أعرف دقة علمه, امتيازه العالي في فهم النصوص, سمعت محاضرات يعني رائعة جداً, وقرأت كتبه كلها, فلما لمحته في المسجد, سارعت للسلام عليه باحترام بالغ.

أحياناً: يأتي طبيب قلب من أمريكا, من فرنسا, تجد في المطار في ألف رجل, لكن في خمسة أطباء قدموا ليستقبلونه, يعرفون قيمته, تجد الشخص العادي ينظر إليه, يقيسه من شكله, أما هذا القادم يستقبله, يعرف حجمه

العلمي, يعرف أنه أحد ثلاثة أطباء في العالم, تجد يحترمه احتراماً غير معقول, هذا تمهيد.

أنت لا تطيع الله إلا إذا عرفته, ولا تخشى عذابه إلا إذا عرفته, ولا ترجو ما عنده إلا إذا عرفته, ولا تؤثر رضاه على الدنيا إلا إذا عرفته؛ فحينما تتقلت من منهج الله أنت لا تعرفه, وحينما تقصر في طاعته أنت لا تعرفه, وحينما تفكر في معصية أنت لا تعرفه, فالناس يتفاوتون في معرفة الله, فيتفاوتون في طاعتهم له. فالتفكر في خلق السموات والأرض: أحد طرق معرفته, أبداً.

كيف نعرف الله؟ :

شركة, شركة إنشاءات, مكتوب شركة إنشاءات عامة, لو أعطوك يعني كتيب عن إنجازاتها؛ البناء الفلاني, الوزارة الفلانية, والجامعة الفلانية, المعمل الفلاني, كلما رأيت بناء تكبر الشركة.

يقول لك: ثلاثة وثمانون بناء, وكل بناء عشرون طابق مرافق, ومساحات شاسعة, وتجهيزات, فأنت لو قرأت شركة إنشاءات عامة, ليس كما لو تقرأ كتاباً عن إنجازات هذه الشركة مثلاً, فكيف ينبغي أن نعرف الله؟. الله عز وجل جعل كل هذا الكون, جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنی, وصفاته الفضلى, أو جعل هذا الكون تجسيداً.

الآن: يعني أنت إذا كان ركبت سيارة فارهة جداً, ماذا يخطر في بالك؟ كم هؤلاء المهندسون أذكيا, كم هم متقنون, كم هم عندهم أدواق عالية جداً في اختيار الألوان, في اختيار المقاعد, في تهيئة راحة الراكب, فأنت لم تر المهندس, رأيت صنعته؛ الصنعة تدل على الصانع, النظام يدل على المنظم, التسيير يدل على المسير, الإلتقان يدل على المتقن, فكل الكون تجسيد لأسماء الله, كل الكون مظهر لأسماء الله الحسنی, فإذا أردت أن تعرفه, فعليك بالكون.

ماذا نستنتج من هذه الأمثلة؟ :

يعني بعض الأمثلة

لا شك أن أخواننا, بعضهم عاصروا المرجة, قبل خمسين سنة كان فيها سيارة, اسمها فور أبو دوسة -تسمعون فيها- الأقدم المصباح قنديل, فتيلة وزيت, يشغلها السائق مساء, والدولاب صب, لا يوجد نفخ, والمحرك حركة

الاستراتيجية مبرمجة أن تنضج في يوم واحد، معقول القمح يكون، والله لنراها إذا هي استقرت، لنقطفها، انتحار تصبح.

في برمجة بالكون، في صنعة متقنة، في إعجاز؛ كلما تأملت خلق السموات والأرض ازدادت معرفة بالله، وكلما ازدادت معرفة بعلمه، معرفة بخبرته، معرفة برحمته، معرفة بحكمته، معرفة بقدرته، معرفة بغناه، ازدادت طاعة له، وطمعت بما عنده، وخشيت من وعيده، أبدأ، أنت لا تطيع الله.

ينبغي أن تعلم :

الآن بالعسكرية، -لا تبعد- يأتي جندي غر، يوجد قبله متقدم سبعة، إذا قال له: ازحف، ينظر إليه، يزوره، لن أزحف؛ في سبعين، في ثمانيتين، في نجمة، في نجمتين، لو رأى اللواء، قال له: ازحف، على الزاي يكون قد صار على الأرض، لا يناقشه، يعرف ما معنى اللواء، العريف غير اللواء، يعرف قيمة الرتبة.

فأنت كلما رأيت الله عظيماً تطيعه، ولا يخطر في بالك تعصيه أبدأ، كلما رأيتك حكيماً، رحيماً، قديراً، بيده كل شيء، فأنت في طاعته.

فيا أخوان، أنت تطيعه بقدر ما تعرفه، ترجوه بقدر ما تعرفه، تخافه بقدر ما تعرفه.

الإنسان كلما ازداد علمه يخاف ويحذر، وكلما قل علمه يتهور :

الآن: إذا شخص غير متعلم، يمسك تقاحة، يقول لك: سم الله، لا يضر مع اسمه شيء، أنت تعلم في أدوية سامة، رُشَّت بها هذه الشجرة.

والنبي قال:

((من أكل التراب، فقد أعان على قتل نفسه))

أما الطبيب الذي يعيش مع الأمراض، والجراثيم، والأمراض المعدية، والأوبئة، والذي اختصاصه في الزراعة، يعلم أن الأدوية كلها سامة، يبقى قسم منها على الثمرة، لا يأكل هكذا

فالإنسان كلما ازداد علمه يخاف, ويحذر, وكلما قل علمه يتهور.

محور الدرس :

الذي أريده من هذا الدرس: أنه لا يكفي أن تقول: الله خلق السموات والأرض, لا بد من أن تعرفه, ولا يمكن أن تراه:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة الأنعام الآية:103]

لكنك تعرفه إذا تأملت في مخلوقاته, لذلك تعد أرقى عبادة على الإطلاق عبادة التفكير, أنت تتفكر في خلق السموات والأرض هذه عبادة, أما المؤمن: إن شرب كأس ماء يتفكر, إذا أكل رغيف خبز يتفكر.

رسالة من الله للإنسان :

كم نوع قمح في العالم؟ أنا كنت أظن في أربعة آلاف وخمسة نوع, هكذا قرأت, مرة عندنا أخ -أستاذ في الجامعة في كلية العلوم قسم النبات- قال لي: خمسة وأربعون ألف نوع يوجد قمح في العالم, لأنه مادة أساسية؛ فتنبت في الأراضي المالحة, وفي الأغوار, وفي السهول, وفي الجبال, وفي الصحارى, وعلى شطآن البحار, وفي قمم الجبال, وفي الحرارة القليلة, وفي الحرارة الباردة, وفي كل الظروف, خمسة وأربعون ألف نوع في العالم:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

[سورة عبس الآية:24]

أنا لو أكون محل أخواننا الكرام, أجعل شهراً أفكر في الطعام

من صمم البقرة غذاء لك؟ :

هذه البقرة تأكل حشيشاً أخضر, تعطيك حليباً, الحليب الذي تعطيك, يفوق حاجة وليدها, يعني إذا كان حامل, أو ولدانة, تريد كيلين في اليوم, أربعة كيلو حليب, في بقرات تعطي ثلاثة وستين كيلو حليب في اليوم, حسناً:

الحليب غذاء كامل؛ جينة، لبن، قشطة، سمنة، مشتقات الحليب: يعني حاجة أساسية جداً في الحياة. حسناً: من صمم البقرة غذاء لنا؟:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

[سورة النحل الآية:5]

هذا معنى هذه الآية :

قال :

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة ياسين الآية:72]

أيضاً: بقرة مذلة، أما لما يصيبها جنون، والعياذ بالله

عندنا أخ عنده بقرة جنت، قتلت أول واحد، والثاني، وعطبت الثالث، سحب مسدس قوسها، ثمنها سبعون ألف، لأنها جنت. من أجل أن تعرف ما معنى:

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة ياسين الآية:72]

حيوان وديع في بريطانيا، البقر جن، لما جن اطروا أن يحرقوه، ثلاثة عشر مليون بقرة، قيمتها ثلاثة وثلاثون مليار جنيه إسترليني. من أجل أن تعرف ما معنى:

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة ياسين الآية:72]

لو الله عز وجل ركب بأخلاق الغنم أخلاق الضبع، هل تستطيع أن تأتي بخروف على البيت لعندك؟ لا تستطيع، يقول لك: فلان مثل الغنمة؛ لين، وديع، لا يوجد مشكلة له. كلمة:

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة ياسين الآية:72]

الجمال يقوده طفل، الطفل لقمة واحدة، الجمال لقمة واحدة يأكله، لكن مذل، أما شقفة عقرب، يخرج من جلدك، تتألم كثيراً من عقرب، جمال وزنه خمسة طن، وزنه ثلاثة طن، لا تخاف منه، طفل يقوده، أما عقرب صغير، يختل توازنك إذا رأيته، أفعى، ثعبان مثلاً؛ الثعبان غير مذل، العقرب غير مذل، سمك القرش غير مذل في البحر، يعني إذا رأى الإنسان انتهى الإنسان، سمك متوحش يعد من أشد الحيوانات توحشاً في الأرض، سمك القرش ليس مذللاً. من أجل أن تعرف قيمة التذليل، خلق لك حيواناً غير مذل.

هذا من صنع الله :

فيمكن تقضي شهرين في أكلك وشربك، شهرين في ابنك، كيف؟ من أين أصله؟ نقطة ماء، خمسمئة مليون حوين باللقاء الزوجي، خمسمئة مليون، تحتاج البويضة حوين واحد، كيف يدخل؟ كيف تنقي أقوى حوين؟ أقوى واحد تتقيه، يدخل، يُغلق الباب، يدخل واحد وانتهى الأمر، كيف يدخل؟ بحث طويل عريض، كيف تنقسم البويضة؟ كيف بعد تسعة أشهر طفل؟ طفل، شكل جميل؛ عينان، أذنان، أنف، فم، لسان، شعر خفيف، هيكل عظمي، معدة، أمعاء، بنكرياس، مري، كبد، شيء دقيق جداً، كليتان، دسامات بالقلب، أوعية وشرابين. من صنع هذا؟:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾

[سورة الطارق الآية:5]

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾

[سورة الطارق الآية:6]

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

[سورة الطارق الآية:7]

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾

[سورة الطارق الآية:8]

قضية إعجاز :

يعني قضية الولادة شيء دقيق جداً، يعني يوجد مع الطفل الصغير مزود بمنعكس المص، يعني آلية معقدة جداً، يعرفها من دون تعدد، الطفل الآن خرج إلى الدنيا، ضع فمه على ثدي أمه، يُحكم إغلاق شفثيه على حلمة الثدي، ويسحب، منعكس المص معقد جداً، لولا هذا المنعكس؛ لم يوجد درس في الأحمدية، ولا في الطاوسية، ولا كان في الحميدية ولا إنسان، ولا في الشام ولا إنسان، ولا في العالم ولا إنسان، ما كان يوجد مخلوق على وجه الأرض، لولا هذا المنعكس؛ منعكس المص.

لو إنسان جاءه ابن، الآن علمه لنرى، يقول له: يا بابا، الآن نرضعك، ضع فمك على ثدي أمك، وأحكم الإغلاق، واسحب الهواء، يفهم عليك؟ لا يوجد طريقة. قال:

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾

[سورة عبس الآية:20]

قال:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد الآية:10]

هذه هدية الله لك :

الثديان هدية من الله، حليب في الصيف بارد، في الشتاء دافئ، معقم، جاهز جاهزية تامة، في مناعة الأم، في كل مقاومات الأم، هضمه سهل جداً، يتبدل تركيبه في الرضعة الواحدة، شيء مدهش، يتبدل تركيب حليب الأم في أثناء الرضعة الواحدة، يبدأ ستين بالمئة ماء، ينتهي أربعين بالمئة ماء، بآخر مصة، حتى تبدأ بحليب ممتد، ثم ينتهي بحليب مكثف، وكل يومين، ثلاثة، تتبدل نسب تركيبه، كأنه في جهاز، في مخبر كيماوي، تعبير مذهل؛

فحليب الأم آية، العينان آية.

من آيات الله :

فالإنسان يفكر بجسمه، يفكر بأكله، بشربه، يفكر بالجبال، بالهواء، بموجة الحر، هذه هذه نفخة من جهنم، أذن الله لجهنم أن تنفخ في الأرض نفختين؛ نفخة في الصيف، ونفخة في الشتاء، لكن هذه المرة: النفخة طويلة صارت. يعني أنا كنت في شمالي أمريكا، أربعون تحت الصفر، نزلت إلى جنوبها: خمس وثلاثون، يعني قطعنا في الطائرة ثلاث ساعات، الحرارة فرقت خمساً وسبعين درجة من الشمال للجنوب.

اتصل بي البارحة إنسان من ألمانيا -قريب لي- قال لي: والله اليوم -أستاذ، الحمد لله- الجو لطيف، لم نشعل الشوفاج، اليوم خبرني، قال لي: الجو لطيف لم نشعل الشوفاج، أما البارحة أشعلنا الشوفاج، لأننا شعرنا بالبرد، الحرارة دون اثنتي عشرة درجة.

نحن هنا 71 بالشمس، بالظل 51، بالخليج 79، 84 بالشمس، و59 بالظل، في الخليج عشرات السيارات احترقوا وحدهم من دون شيء، واقفة أمام البيت اشتعلت، 59، وبالشمس 84، بقي للغليان 16 درجة، فإله له آيات، له آيات عظيمة.

خاتمة القول :

يعني درس اليوم؛ لا تستطيع أن تعرف الله إلا إذا فكرت في مخلوقاته، والمخلوقات أمامك، انظر إلى أصل خلقك، انظر إلى طعامك وشرابك، انظر إلى من حولك، انظر إلى ما حولك؛ من جبال، من سهول، من أمطار. يعني إنسان سكن بفنلندا، الحرارة 69 تحت الصفر، كل شيء يغطي، أما عيناه لا يستطيع أن يغطيها، وإلا لا يرى طريقه، فالعين تلامس الجو البارد، فيجب -بحسب القواعد العلمية- يتجمد ماء العيون، وكل إنسان يسكن هناك يفقد بصره، الله عز وجل أودع بماء العين مادة مضادة للتجمد.

فآيات كثيرة جداً، ودالة على عظمة الله، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن نتابع هذا الموضوع في درس آخر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-91} : المبادرة إلى الخيرات 1

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 15-08-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

تمهيد :

أيها الأخوة الكرام:

الباب العاشر من رياض الصالحين, باب: المبادرة إلى الخيرات.

إن وظفت في الدنيا كانت بلاء كبيراً, أما إذا وظفت في الآخرة كانت خيراً كثيراً.

سباق الدنيا طريق طويل, ينتهي مقاطع هكذا, مئة متر, وفي أسفل هذا

فالطريق كبيرها وصغيرها, جديدها وقديمها, قويها وضعيفها, سباق أحق, لا معنى له.

فالإنسان إذا بلغ قمة النجاح في المال, يأتي الموت فينهي هذا النجاح, وإذا بلغ قمة نجاحه في المجد والشأن بين الناس, يأتي الموت فينهي هذا النجاح, وإذا بلغ نجاحه في علم دنيوي, يأتي الموت فينهي هذا كله, لذلك الإنسان مفطور على التنافس, أما التنافس حيادي.

التنافس تسميه الغيرة ممكن, تسميه الحسد ممكن, تسميه التنافس ممكن, المسمى واحد, أما الأسماء متنوعة, هذا التنافس حيادي؛ أنت قد توظفه في الخير, وقد توظفه في الشر.

قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:26]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:61]

﴿فَبِدَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية:58]

((ولا حسد إلا في اثنتين - كما قال عليه الصلاة والسلام-: رجل آتاه الله علماً فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار))

هذا الرجلان حققا الهدف من وجودهما، إذًا: تنافس مطلوب، بل مشكور، بل مرغوب، ولكن في الآخرة، أما في الدنيا تنافس أحمق، لأن هذا السباق ليس فيه فائدة.

دقق في معنى هذه الآيات :

دقق في قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:205]

-متعناهم-:

﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:206]

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:206]

﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية:205]

﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:206]

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾

[سورة الشعراء الآية:206]

هذه قصة أهل الدنيا وأهل الآخرة :

يعني أعلى رقم سمعته عن عرس، كلف خمساً وثمانين مليون.

جاءني شاب، قال لي: أنا مضطر أن أتزوج، ولا صبر لي عن الزواج، أعمل في شركة، موظف، وليس معي إلا هذا الراتب، وهو يكفيني بصعوبة، عند والدتي أرض في الغوطة، يلزمني ثمن مواد خمسة وخمسون ألف، يعني أنشئ غرفة ومنافعها، وأتزوج فيها.

فقسمت خمسة وثمانين مليوناً على مئة ألف، ثمانمئة وخمسون شاب، قريب ألف شاب تزوجهم، ونزوح -طبعاً- الفتيات، هذا إذا إنسان زوج حوالي ألف شاب أحسن، لما ينفق الخمس وثمانين مليون في ليلة واحدة، ويلعنه الله، والملائكة، والناس أجمعون؟.

هذه في المنافسة، يعني: نحن، الورود جاءت بالطائرة

يعني تعرفون مواد التنافس، الراقصة الفلانية خمسون ألف دولار نصف ساعة مثلاً، يتنافسون على الدنيا، المؤمن

يتنافس على الآخرة، هذه القصة كلها.

لك قضية الاختيار :

فالتنافس جبلة بالإنسان، هذه الجبلة حيادية؛ إما أن توظف في الخير، وإما أن توظف في الشر.

إنسان له صوت رائع؛ إما أن يوظف هذا الصوت في القرآن الكريم، يصبح قارئ قرآن كريم كبير جداً من ثلاثين سنة، وتسجيلاته تملأ الآفاق، أو يكون مغنياً كبيراً، يموت وتسجيلاته تملأ الآفاق.

الشيء عجيب بالحياة، كل شيء حيادي؛ اللسان، طلاقة اللسان حيادية، يمكن أن توظف في الحق، كما يمكن أن توظف في الباطل، وسامة الإنسان حيادية، يمكن أن تشكر الله على هذه الوسامة:

اللهم كما حسنت خلقي، فأحسن خلقي.

ويمكن أن تُعوي بها الفتيات، قوة الإنسان حيادية، هذه القوة توظف في الحق، كما توظف في الباطل، المال حيادي.

المال حيادي لك أن توظفه في الحق ولك أن توظفه في الباطل :

دعينا مرة إلى افتتاح مسجد في الصبورة، الذي أنشأ هذا المسجد، دعا كل علماء دمشق، استقبلنا واحداً واحداً، وابتسامته إلى هنا، كادت نواجهه تظهر، وأطعمنا، وأكرمنا، وأقيم احتفال رائع، خرجت من هذا المسجد، فإذا أمامي ملهى على الطرف الثاني، صاحبه بناء، وجلب إليه كل الموبقات، التي لا يتخيلها الإنسان، وبعد افتتاحه بأسبوع مات.

إنسان عمر مسجداً، يسعد به إلى أبد الأبد، إنسان أنشأ ملهى، يشقى به إلى أبد الأبد.

كل شيء حيادي، المال حيادي؛ ممكن تستخدم مالك، قوتك، نكائك، طلاقة لسانك في الحق، أو في الباطل.

السباق جزء من طبيعة الإنسان :

هذه الغيرة، أو حب التنافس، أو تأكيد الذات، أو حب التفوق، أو الحسد، الحسد مشكور كما قال النبي:

((لا حسد إلا في اثنين))

مشكور: إذا كان في الآخرة، ومذموم أشد الذم: إذا كان في الدنيا

إذاً: السباق جزء من طبيعة الإنسان.

هل قرأت هذه الآية؟ :

الآن في آلاف الأشخاص، تجاوزوا كسب الرزق، الآن يجمعون؛ يعني الهم الكبير، الجمع، والتنافس على أكبر رقم حفظه في عام.

ربنا عز وجل قال:

﴿وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:157]

﴿وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:157]

تمعن في هذه الآية :

قال تعالى:

﴿وَلَيْنِ مَثَمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:158]

فإنسان ألقينا القبض عليه، وسقناه إلى أمه؛ كل الرحمة، والحب، والخير عند أمه:

﴿وَلَيْنَ مُتْمُ أَوْ قُتِلْتُمْ لِلَّهِ تُحَشَرُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:158]

هذا يقينك :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ﴾

[سورة آل عمران الآية:169]

بل: حرف إضراب:

﴿أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:169]

﴿فَرِحِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:170]

الفرح، والرزق، والحياة.

لذلك: خطأ أن تقول: فقيدنا العالي؛ الميت ما افتقده أحد، يحيا حياة صارخة؛ إما في مقدمات الجنة، أو في مقدمات النار.

هذا حال آل فرعون في القبور :

قال: وفرعون:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

[سورة غافر الآية:46]

قال: فرعون مضى على موتهم -تقريباً- ستة آلاف عام, كل عام ثلاثمئة وخمسة وستين يوماً, كل يوم مرتين غدواً وعشياً, والخير للأمام:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

[سورة غافر الآية:46]

والمؤمن يغدو قبره روضة من رياض الجنة.

كن مع المؤمنين وتنافس معهم :

قال تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني: لا بد من أن تكون مع المؤمنين, ولا بد من أن تتنافس معهم, يعني في أولويات الاستباق, في أولويات, ممكن تستهلك وقتك في جزئية من الدين, وأنت عند الناس صاحب دين, لكن ما اخترت الأعمال العالية. إنسان غاص إلى أعماق البحر, فهذا الغواص خاطر, وضحي, وغامر في قاع البحر, في لؤلؤ, وفي أصداف, تحمل المخاطرة, واحتمال أن يأكله سمك القرش, واحتمال أن ينشأ عنده مشكلة بالضغط, غاص وغاص, جاء بالأصداف, وترك اللآلئ, وهذا هو اللهو؛ اللهو: أن تشتغل عن النفيس بالخسيس, اللهو: أن تشتغل عن النفيس بالخسيس, إذاً: جزء من إيمانك: أن تعرف ما هو النفيس؟.

دخلت إلى غرفة, فيها ألف قطعة من الذهب, مئة قطعة؛ عيار 24, ومئة 21, مئة 18, مئة 11, مئة نحاس مطلي ذهب, مئة نحاس ملمع, مئة تنك, قلنا لك: اختر, أنت بحاجة إلى مقياس إلكتروني, تفحص الألف قطعة, تأخذ المئة تبع 24, تكون ذكياً جداً, أما لو أخذت المعدن الخسيس, هذا هو الغباء بعينه. فأنت:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يجب أن تكون مع المجموع, والإنسان من دون مجموع لا يغار.

لو إنسان عاش وحده, يعني تأتيه خواطر مضحكة, يقول لك: هذه ليست حراماً, أنا لست قانعاً أنها حرام, حسناً: أنت من؟ أنت مشرع؟ معك علم من الله؟ معك تشريع؟ أوحى الله إليك؟ ألقى في روعك؟.

الإنسان حينما ينفرد, وينعزل, يفكر تفكيراً مضحكاً, لأنه لا يوجد ضوابط. قال لك:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني: كونوا مع المؤمنين, وتنافسوا معهم.

أنواع الاختلاف :

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾

[سورة يونس الآية:19]

أول خلاف طبيعي: خلاف نقص المعلومات:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

الآن في خلاف ثان:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:19]

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: 213]

أول خلاف طبيعي, أساسه: نقص المعلومات, ثاني خلاف قدر, أساسه: التنافس, والتحاسد, والدنيا:

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

[سورة البقرة الآية: 213]

التنافس الثالث شريف: تنافس على أحسن.

قف هنا :

يعني: شخص -مع احترامي غير المتناهي لمن يتقن أحكام التجويد-, أمضى كل حياته بإتقان أحكام التجويد فقط, هذا عمله الوحيد, نقول له: جيد؛ لكن هناك أعمال, يعني تفوق هذا العمل بالملايين. فأنت مكلف بعد أن آمنت: أن تبحث عن الأفضل, عن الأحسن, عن الأعظم, عن الأكثر أجر, عن الأكثر سعادة, هذا معنى: فاستبقوا.

لا تستطيع أن تكتفي: أني -والله أنا- أصلي, وأصوم, وأحج, وأزكي, وانتهى الأمر, لا, يجب أن تتنافس. يقول الله لك:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

وآية ثانية:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 133]

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

المسارعة: المسابقة.

صار في آيتين؛ معناها الزمن، لو كان الزمن ممتد: لا يوجد مسارعة.

بالتعبير العامي: الذي في بيت أهله على مهله.

هذا معنى السباق والمسارعة :

أما أنت لاحظ نفسك في الامتحان، الذي قدم فحص امتحان جامعة، معك ثلاث ساعات، ممكن بثلاث ساعات يخطر في بالك تنظف ساعاتك؟ والله هذه غير نظيفة، ممكن هذه الثلاث ساعات المصيرية، التي ستحدد نجاحك، وستحدد مستقبلك، ممكن بثلاث ساعات -مثلاً- تأخذك غفوة؟ مستحيل، لا يوجد طالب ينام أثناء الامتحان، ممكن بثلاث ساعات تلعب لعب خمسات مثلاً؟ ممكن؟ ممكن في هذه الساعات الثلاث تعمل خطاط، ترسم رسومات معينة؟ لما كل طاقاتك، وكل ذكائك، وكل ذاكرتك بالامتحان.

ففي مسابقة هنا، يوجد عندك أسئلة، وعندك إجابات دقيقة جداً، والوقت محدد.

لو كان قال لك: اجلس كما تريد، للغد، عال، ممكن أعمل أعمالاً أخرى، لكن الوقت محدد، وكل إنسان له عمر، ينبغي أن يفعل في هذا الزمن المحدود كل شيء، ليصل إلى كل شيء. هذه معنى:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿وَسَارِعُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

في زمن محدود، والمهمة كبيرة.

ما وراء هذا المثل :

لاحظ، لما الإنسان -لا سمح الله ولا قدر- يقولون: يجب أن تغادر هذه البلاد خلال أربع وعشرين ساعة، دون أن تعود إليها، ولك أن تحمل معك، ما وزنه ألف كيلو فرضاً، عندك بيت أربعمئة متر؛ في برادات، في فريزرات، في غسالات، في مكيفات، في مراوح، في كمبيوتر، معك ألف كيلو، ماذا تأخذ؟ تأخذ طقم الكتابة؟ مستحيل، غرفة النوم؟ مستحيل، تأخذ الصيغة أولاً، الكمبيوتر، إذا في أجهزة غالية جداً تأخذها، تختار من كل الأثاث حوالي ألف كيلو؛ تختار أعلى شيء، وأخف شيء، ما على ثمنه، وقل وزنه، هذه، نفس المثل:

أنت في الدنيا، كم سنة الإنسان؟ بضعة أيام، يجب أن تعمل في هذه الأيام شيئاً، له عند الله أجر كبير، ويحتاج إلى وقت قليل، غير معقول تبذل جهداً كبيراً على أجر قليل، هذه معنى:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

الاستباق؛ في اختيار الاستباق، في أولويات الاستباق، في سلم أولويات.

من معاني هذه الآية أيضاً :

الآن: إذا إنسان في الامتحان؛ في سؤال واضح جداً، في سؤال وسط، في سؤال لم يعرف فيه شيء إطلاقاً، ماذا يفعل؟ يمكن يقضي ساعتين ونصف بالسؤال الثالث الذي لم يعرفه إطلاقاً، والأول يعلمه علم اليقين. الطالب الموفق ماذا يفعل؟

يكتب السؤال الذي يعرفه، يقول لك: أويته، أمنت علامته، السؤال الأقل صعوبة، يترك آخر سؤال، الذي لم يفهمه، يجلس يفكر، أو يبحث عن جيرانه، أول شيء يؤمن السؤال، الذي يعجز عنه يدعه إلى الأخير.

وكل شخص إذا لا يوجد عنده سلم أولويات، تسلسل، يقع في ضياع شديد. هذا معنى:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

معنى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

من ملامح آخر الزمان :

وقد حدثنا النبي -عليه الصلاة والسلام- عن ملامح آخر الزمان
قال عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟.

-كل شخص منا له عمر، ممكن يستيقظ إلى ما شاء الله دون جديد؟ مستحيل، كل يوم تستيقظ ما فيك شيء؟
أبدًا، إلى متى؟.

أنت الآن بالأربعين، إلى متى؟ للألفين؟ لا، غير معقول، للمئة؟ غير معقول، في يوم يوجد محل يؤلمك، -لا
سمح الله ولا قدر-، هل لاحظت على الإنسان يوماً ما وقف؟ طبعاً لأنه مرض الموت، الله يريد أن ينهي الأجل
عن طريق مرض معين، ممكن إنسان يستيقظ إلى ما شاء الله، كما هو في الماضي؟ مستحيل. قال لك إذا-:

هل تنظرون إلا فقراً منسياً، -فقر فجائي-، فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفنداً، أو
موتاً مُجهزاً، أو الدجال فشر غائب يُنتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر))

كل شخص منا له أقرباء سبقوه إلى الدار الآخرة، أين هو الآن؟ غير موجود؛ فكرة، حديث صار، كان رجلاً،
صار حديثاً، صار خيراً.

من مشاهد التاريخ :

كنت مرة في مصر , زرنا القلعة, يوجد قاعة كبيرة جداً, محاطة من أربع جهاتها بمقاعد خشبية, فالدليل رفع أحد المقاعد, ظهر صندوق, -والله غريبة- فتحه, خشب صندوق, حدثنا عن هذه المقاعد.

أحد حكام مصر, دعا المماليك إلى طعام نفيس في هذه القاعة, فلما جاؤوا جميعاً, واستقروا, وأكلوا, افتتحت هذه المقاعد, فيها أسلحة, وذبحهم واحداً واحداً, نجا واحد فقط.

فالدليل يحدثنا عن هذه القصة, قلت: سبحان الله! قال تعالى:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾

[سورة سبأ الآية:19]

اسمع هذا القول :

وأنا أقول لكم الآن: الحياة مسرحية, فيها مقاعد مشاهدين, فيها خشبة مسرح, المستقيم: له مكان مع المشاهدين؛ يرى, ويسمع, وغير المستقيم: سيجر إلى خشبة المسرح, وسيضرب ضرباً مبرحاً, وسيغدو قصة.

لذلك الدعاء: اللهم لا تجعلنا عبرة لأحد من خلقك.

ألا نكون نحن قصة.

اللهم أعوذ بك أن يكون أحد أسعد مما علمتني منه.

سائل يسأل النبي عليه الصلاة والسلام :

جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- رجل, قال:

((يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح, -هو على فراش الموت, والمرض عضال, ولا يوجد أمل, وجاءت سكرة الموت بالحق, قال لهم: مليون لفلان, مئة ألف لفلان.

طبعاً: المال لم يعد له قيمة في هذا الوقت, أما وأنت شاب, قوي, المئة ألف لها عندك معنى كبير؛ دفعتها لمعهد

شرعي, لإنشاء ميثم, لطلبة علم-.

أن تصدق وأنت صحيح شحيح؛ تخشى الفقر, وتأمل الغنى, ولا تمهل, حتى إذا بلغت الحلقوم, قلت لفلان كذا,
ولفلان كذا, وقد كان لفلان))

محور الدرس اليوم :

أيها الأخوة, محور الدرس اليوم: المسابقة, فقه الأولويات, والمسابقة, وأن تكون مع الجماعة.

فاستبقوا: يعني أنت ضمن جماعة, وسارعوا: ضمن جماعة, أن تكون مع الجماعة.

((ومن شدَّ شدًّا في النار))

((عليكم بالجماعة, وإياكم والفرقة, فإن الشيطان مع الواحد, وهو من الاثنين أبعد, وإنما يأكل الذئب من الغنم
القاصية))

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-92} : المبادرة إلى الخيرات-2-

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-08-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً.

متى يكون السباق له معنى؟ :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين, باباً سماه: باب المبادرة إلى الخيرات. فقال تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

هل سمعتم في حياتكم كلها: أن إنساناً دخل في سباق وحده؟ السباق ليس له معنى إلا بالجماعة.

فحينما قال الله عز وجل:

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾

[سورة البقرة الآية:148]

يعني أنت ينبغي أن تكون مع الجماعة, وإلا ليس هناك ما يسمى بالسباق, ولا بالمنافسة, ولا بالمسارعة؛ فالتنافس, والتسارع, والسباق, يحتاج إلى جماعة.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((عليكم والجماعة, وإياكم والفرقة, فإن الشيطان مع الواحد, وهو من الاثنين أبعد, وإنما يأكل الذئب من الغم القاصية))

لم خلق الله هذه الجبلية في الإنسان حيادية؟ :

هذا الباب يحتاج إلى مقدمة: هو أن في جبلية الإنسان حب التنافس, في جبلية الإنسان حب التفوق, في جبلية الإنسان حب العلو في الأرض, في جبلية الإنسان حب تأكيد الذات, هذه الجبلية قد تقودنا إلى الحسد المهلك, وقد تقودنا إلى المنافسة المسعدة, والأصل واحد, يعني سلم ترقى به, أو تهبط به.

لذلك: هذه الجبلية؛ حب التنافس, حب التفوق, حب العلو في الأرض, حب تأكيد الذات حيادية, لأنك مخير, فكل خصائصك حيادية, تُوظف في الحق, أو توظف في الباطل.

كيف يستعمل الناس هذه الجبلية في الدنيا؟ يتنافسون في تأسيس بيوتهم, في اقتناء مركباتهم, في المباهاة بدخلهم, بنزهاتهم, بإنفاقهم الأموال:

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾

[سورة الكهف الآية:34]

المشكلة: أن هذه الجبلية صممت من أجل أن تصل إلى الآخرة بأعلى سرعة, لأنه مركب في هذه النفس التفوق, التنافس, السرعة.

فرينا عز وجل: خلق هذه الجبلية حيادية, ودعانا أن نوظفها في الحق.

قال :

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:26]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:61]

﴿فَبِدَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية:58]

يجب أن تفرح بفوزك بالآخرة، لا بالدنيا.

إذاً: قضية التنافس، وتأكيد الذات، والتفوق، هذا شيء مودع في كل إنسان، الإنسان الشارد يستخدمه في الدنيا؛ فيكون الحسد، يكون التنافس البغيض، يكون التهاوي إلى السقوط، ويكون هذا التنافس في الآخرة، فيكون الفوز العظيم، والذي لا يغار ليس من جنس البشر، كل إنسان في طبيعته الغيرة، لكن الله عز وجل جعل فيك هذه الغيرة، لتغار في أمر الآخرة، فتسعى حثيثاً.

وقد ورد في الحديث: أن علو الهمة من الإيمان.

لذلك كلمة فاستبقوا، تعني: أن هناك جماعة؛ لا بد من أن تكون مع الجماعة، لكي يكون هناك استباق، وتعني: أن تبحث عن الأولويات.

أخواننا الكرام:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾

[سورة يونس الآية:19]

هذا الخلاف الأول: خلاف طبيعي, لنقص المعلومات:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

فالاختلاف حُسم, الأمور واضحة, كان خلاف نقص معلومات, وخلاف طبيعي, فلما جاء الكتاب من عند الله عز وجل, حُسم هذا الخلاف. قال:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

بعد أن جاء الوحي, وجاء الكتاب, والأمور واضحة جداً, ظهر خلاف من نوع آخر, وهو خلاف الحسد:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

الآن: الخلاف الثالث, أول خلاف طبيعي, سببه: نقص المعلومات, ثاني خلاف قدر, سببه: الحسد, ثالث خلاف محمود, سببه: التنافس.

قال تعالى:

﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

[سورة البقرة الآية: 213]

يعني المؤمنون يتنافسون؛ هذا يرى أن الدعوة إلى الله أعظم عمل، هذا يرى أن بناء المساجد أعظم عمل، هذا يرى أن تعلم القرآن أعظم عمل وتعليمه، كل مؤمن يرى عملاً، يراه أعظم الأعمال، فالمؤمنون يتنافسون، ويختلفون؛ هذا في أصول الفقه، وهذا في التفسير، وهذا في الحديث، وهذا في السنة، وهذا في التجويد، وهذا في الأعمال الخيرية، وهذا في الدعوة إلى الله، وهذا في تأليف الكتب، صار في تنافس، لكن هذا التنافس الثاني تنافس محمود، هدفه حب التفوق في الآخرة.

فإذا الإنسان لم يشعر بحاجة أن يسبق إنساناً، يوجد عنده خلل في الدنيا؛ لا يرضى إلا بالتفوق، لا يرضى إلا بأكمل بيت، وأفخر مركبة، وأعظم تجارة، في الآخرة، يقول لك: أنا وراء الباب.

هذا الذي يتنافس مع أخوانه في الدنيا، ولا يتنافس معهم في الآخرة، إنسان يوجد عنده خلل في إيمانه خطير.

انظر إلى هذا التنافس الرائع بين الصحابة :

سيدنا عمر، يعني يحب أن يفهم ماذا يفعل الصديق؟ بلغه أنه يرعى هذا البيت، كلما أتى لرعاية هذا البيت، يُقال له: لقد سبقك أبو بكر.

مرة أراد أن يحلب الشياه قبل الفجر، سبقه أبو بكر

ففي تنافس كان بين الصحابة، تنافس رائع.

لذلك: الآن مصيبة المسلمين: أن التنافس في الدنيا, حل محل التنافس في الآخرة, صار الإنسان يهمله أن يكون بيته فخماً, ولما يأتيه الضيف؛ يبين له مساحة البيت, والأثاث, وهذه التحف, وهذه المقتنيات, فإذا جلس يتحدث: أنه عمل عرساً لابنته كلفه كذا, وعمل كتاباً لابنه كلفه كذا, وسافر دفع كذا, ونزل في الفندق الفلاني, هذا حديثه؛ حديث تنافس, وعلو في الأرض, ولكن في الدنيا.

لذلك: إذا أردت أن يحبك الناس, ضع نفسك في التعتيم وتحدث عن ربك, لأنك لا تعني الناس؛ يعينهم ربهم, تعينهم آخرتهم, يعينهم شيء يقربهم إلى الله عز وجل.

اقرأ :

فآية الأولى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

والآية الثانية:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

أما كلمة:

﴿وَسَارِعُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

أضع بين أيديكم مثلين:

طالب بالامتحان في الجامعة، الامتحان ثلاث ساعات، والأسئلة كثيرة جداً، هل رأيتم في حياتكم طالباً، وهو في الامتحان ينظف ساعته؟ مستحيل، هل رأيتم طالباً في الامتحان يكتب حساباته، ماذا اشترى البارحة؟ مستحيل، هل رأيتم طالباً في الامتحان يرسم رسوماً بلا معنى على ورقة مسودة؟ هذا وقت ثمين جداً، لا يحتمل إلا أن تفكر في السؤال والجواب.

فحينما تشعر أن الدنيا كلها امتحان، تظن بالوقت أن تبدله في سبيل ثمن رخيص.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أيها الأخوة، المثل الثاني: إنسان مقيم في بلد، عنده بيت فخم، أربعمئة متر، ويوجد غرف ضيوف عديدة، وغرف نوم، وأجهزة كهربائية، وبرادات، وفريزرات، ومكيفات، ومرآح، ومكاوي، وأفران، وميكروويف، وصيغة لزوجته، وساعات، وهدايا، كلف أن يغادر البلد بأربع وعشرين ساعة، معه سيارة هوندا فقط، يملؤها، ماذا يضع فيها من كل هذا البيت؟ هذه العملية الدقيقة

أنا مكلف أن أغادر، معي حجم متري مكعب، ماذا أضع في هذه الأمتار المكعبة؟ ممكن يضع كذبة كبيرة فيها؟ مستحيل، يضع كل شيء غالي الثمن، صغير الحجم؛ يبدأ بحلي زوجته، يبدأ بالمقتنيات الثمينة، بالأشياء الذهبية، يصل إلى الأجهزة الغالية جداً، قد يكون حاسب غال، يختار ما غلى ثمنه وقل وزنه.

وأنت في الحياة الدنيا, يجب أن تسابق, يجب أن تكون عندك أولويات, الشيء الغالي, والذي له وزن قليل تأخذه.
فهناك أناس يمضون وقتهم في أعمال, لكن غير مجدية, كلام فارغ.

علام تشير هذه الآيات والأحاديث؟ :

﴿فَدَأْفَلْحِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:4]

من صفات المؤمن: لا يوجد عنده وقت فراغ, يمضيه في القيل والقال.

((وإن الله كره لكم قيل وقال, وكثرة السؤال, وإضاعة المال))

((يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ, يَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا))

((طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عَيْبِ النَّاسِ))

((مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

[أخرجه الترمذي في سننه, ومالك في الموطأ]

هذا كله في المسارعة, لا يوجد عنده وقت لمعركة جانبية, لا يوجد عنده وقت يستقبل مشكلة في التاريخ, ويجعلها محور للمناقشة والحوار, الآن أنتم على حق, أم نحن على حق, والخلافة من حق من؟.

القضية انتهت من ألف وخمسمئة سنة, لنبحث عن الهدف, والمنهج بين أيدينا, فهذا الذي لا يعرف قيمة الوقت, يستقبل قضايا قديمة, مشكلات قديمة, يجعلها محور الصراع, هذا إنسان لا يعرف قيمة الوقت, لذلك اللغو, كل ما سوى الله لغو:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

كل ما سوى الله باطل, هذا من درس المسارعة, والسبق مع الزمن.

هل سباق الدنيا له معنى؟ :

بالمناسبة -أيها الأخوة-: سباق الدنيا مضحك, سباق الدنيا ليس له معنى إطلاقاً, لأن الموت ينهي كل شيء, أبدأً, كن أغنى الأغنياء تموت, توضع في القبر, ويوضع -أيضاً- أفقر الفقراء, وأصح الأصحاء, وأشد الناس مرضاً, وأقوى الأقوياء, وأضعف الضعفاء, كلهم في هذا القبر, فما هذا التنافس؟.

خطر في بالي مرة, يعني مثل مضحك: أردنا أن نعذب اثنين بجلد مبرح, واحد قبل أن يُجلد: أكل خروف محشي, والثاني: أكل سندويشة فلافل, أثناء الضرب والتعذيب: الذي أكل خروف, يخف ألمه يعني قليلاً؟ وقع السياط خفيف عليه يكون؟ أبدأً, نفس الشيء, تنتهي الدنيا.

مثل بعضها؛ إن كنت تسكن في بيت صغير, أو إن كنت عالي الشأن, أو وضع الشأن, مثل بعضها, حينما يأتي العذاب.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:104]

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تُثَلِّى عَلَيْنَا فَنَنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:105]

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:106]

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:107]

﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:108]

الدنيا ليس لها مستقبل :

أبلغ من ذلك: لو إنسان في منتصف الليل، أصابه ألم في سنه لا يحتمل، وهو يتلوى من الألم، ويصيح، ويستجير، لو استدعى في ذاكرته الولايم التي أكلها سابقاً، هل يذهب ألمه؟ أبداً.

يعني كلامي في الدنيا ليس لها مستقبل، ليس لها مستقبل.

إنسان جلس في بانيو، ماء فاتر، ارتاح تمام، إذا نهض من هذا الحوض، هل يأخذ دكتوراه؟ لا، مثل ما قعد يقوم. كيف تاجر كبير، يحقق منصب رفيع، أبداً: الاستمتاع بالحياة ليس له مردود، ليس له مقابل أبداً، أما العمل له مقابل.

يعني الإنسان المؤمن، يبني حياته على العمل، على العطاء، فالمؤمن له مستقبل، له مستقبل، قدم أعماله أمامه،

أما الكافر استمتع بالحياة.

هذه هي الحقيقة :

مرة رأيت -هكذا- بناء جميلاً جداً، في أحد مصايف الشمال، فعلاً جميل، مطل على وادي أخضر كله، منطقة مرتفعة، وهواء عليل.

قلت: لو أن إنساناً تملك هذا البناء، وسكن فيه، وكان معه ملايين مملينة؛ ينفق كيف يشاء، مضى سنة، سنتان، ثلاثة، خمس عشرة، عشرون، بعد ذلك يموت، له شيء في الآخرة؟ أبدأ، صفر؛ الاستمتاع، والاسترخاء، والأكل الطيب، والنعيم، والفرش الوسير، والنزهات، ليس لها مردود. وأوضح مثل:

الطالب، طالب أمضى العام الدراسي في جهد جهيد، للساعة الثانية؛ حرم نفسه النزهات، حرم نفسه النوم المريح، بعد ذلك صار طبيباً، دكتوراً، صار محترماً، يعمل لك هكذا خمسمئة، تحتاج إلى إيكو ألف، تنظير ألفين، عنده عشرون زبون، باليوم عنده في خمسين ألف، باليوم يوجد عنده خمسين، ستين ألفاً.

هو لما درس السنوات الطويلة، صار عنده خبرة عالية، والناس يخافون على صحتهم، يأتونه زوفات ووجدانا.

حسناً: لو أن هذا الطبيب، له رفيق أمضى الوقت كله في النوم، والنزهات، والبساتين، ولعب النرد، والكرة، هذا الانغماس في اللهو له مستقبل؟ لا يوجد شيء له، لا يوجد شيء، أبدأ، كلام دقيق؛ الاستمتاع بالحياة ليس له مردود أبدأ، أما العمل له مردود، يموت الغني، غير المؤمن: يترك كل شيء، يموت المؤمن، الذي له أعمال كالجمال: يأخذ معه كل شيء، فرق كبير جداً.

اتضع لا ترتفع، اتبع لا تبثدع، الورع لا يتسع :

فلذلك أيها الأخوة، درس التنافس مهم جداً، يجب أن تتنافس لا على الدنيا الفانية.

يعني سجادة وطنية ثمنها خمسة آلاف ليرة، صوف مئة في المئة، وجميلة، أما سجادة إيرانية ثمنها ثمانمئة ألف، الفرق بالاستعمال بالمئة عشرة، أما بالثمن بالمئة ألفين.

أهل الدنيا يحبون العلو في الأرض، ممكن تعيش، تسكن في بيت فيه كل شيء، لكن بالاعتدال، بالمعقول، ممكن

تحيط نفسك بمظاهر من الترف, لا نهاية له:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة القصص الآية:83]

قال: هناك نصيحة تُكتب على ظفر: اتضع لا ترتفع, اتبع لا تتبدع, الورع لا يتسع.

الورع لا يتسع كثيراً بالاعتدال.

سؤال وجواب :

مرة زرت بيت أحد أقبائي, قال لي: باب كلفني مئة وثمانين ألف, الباب الخشب, كسا بيته كسوة جديدة, لكن هو يعمل في مواد البناء, فجميعه جاء به استيراداً, فعلاً: شيء مذهل؛ الأبواب, المطابخ, الحمامات فوالدته توفيت, كنا في التعزية, آخر يوم سألني السؤال:

قال لي: عملي -هذا- حرام؟ يريد جواباً شرعياً, قال لي: كلفني البيت كثيراً, عملي حرام؟ قلت له: أنا سأجوابك جواباً تجارياً, ليس شرعياً, قال: كيف؟ قلت له: إنسان معه مئة مليون, هل يستطيع أن يشتري سيارة بأربع وعشرين, هذه السوداء, ستمئة؟ ويشتري بيتاً بست وسبعين؟ يوجد, وبمئة يوجد, بمليون؛ اشترى البيت, واشترى السيارة, وبرك, لم يبق معه شيء, يكون تاجراً هذا؟ لو أخذ سيارة بثلاثة ملايين, وبيت بعشرة, ثلاثة عشر, كم بقي معه؟ ثلاثة وثمانين.

إذا -فرضاً- كلام؛ لكن غير واقعي: شركة تعطي على مئة مليار ربح, هل يعقل يستهلك المئة مليون؛ بيت, وسيارة, ويبقى فقيراً, لما يستخدم بالمبلغ مبلغ بسيط لبيت, وسيارة, ويوضع الفرق في هذه الشركة الاستثمارية, الذي على مئة مليون؟

حسناً: هذا الواقع بعقلية تجارية, معك كتلة نقدية زائدة عن حاجتك, ممكن تستهلكها؟.

طبعاً: تستطيع أن تعمل عرس لابنك بخمسة وثمانين مليوناً, صار العرس, منذ أيام صار عرس بخمسة وثمانين مليون في الشام, ممكن.

ممكن تستهلك الكتلة النقدية في أمورك الدنيوية، وتأتي يوم القيامة متسولاً، ليس لك ولا عمل:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:23]

وممكن إذا معك كتلة نقدية زائدة، والله ترقى بها إلى أعلى عليين.

أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى؛ ممكن تزوج الشباب، ممكن تنشئ معهداً شرعياً، ممكن تعمر مسجداً، ممكن تطلب العلم، ممكن توزع كتاباً على نفقتك، كتاب مهم جداً، ممكن يتزوجن الفتيات العوانس، التأمين بيوت لهن.

فكرة لم تخطر في البال :

والله فكرة قالها لي أخ، ما كانت خاطرة في بالي، أحببتها جداً.

لاحظ يوجد فتيات كثر؛ مستقيمات، صالحات، مؤمنات، فاتهن قطار الزواج، وهي منضبطة.

قال لي: تمنيت على الله أن أخص كل واحدة من هؤلاء الفتيات المنضبطات ببيت صغير، عندئذ يأتيها خاطب، يعني أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى.

فهذا الذي سألني: العمل حرام؟ قلت له: لن أجيبك إجابة شرعية، سأجيبك إجابة تجارية.

الآن: من المعقول تستهلك الكتلة النقدية كلها في بيت، وسيارة، وتبقى بلا دخل؟ لما تستهلك بالمئة عشرة منهم، والباقي تستثمره عند الله عز وجل.

هذا الذي حصل في تركيا :

قلت لكم مرة: كنت في تركيا، حدثوني عن شخص تبرع بثلاثمئة مليون دولار، في جمعية نظيفة، ومستقيمة، هناك طبعاً لإنشاء المدارس، والمعاهد الشرعية، والجامعات، إلخ.....

فأحد علماء دمشق، كان في تركيا، فلما حدثه عن هذا المحسن، قال: والله أتمنى أن ألتقي به، فاتفقوا أن يدعونه إلى طعام الفطور في اليوم التالي، فجاء العالم الذي من دمشق حضر، هذا الغني لم يكن يأت بعد، انتظر ثلاثة أرباع الساعة، أين هذا الذي تتحدثون عنه؟ قال: جاء قبلك، جالس هنا، لشدة تواضعه لم ينتبه له، قال: جاء قبلك، قبلك جاء، دفع ثلاثمئة مليون دولار لنشر الحق.

المطلوب من رواد المساجد :

فيا أيها الأخوة، قضية التسابق درس مهم جداً.

يعني أنا أحسن الظن برواد المساجد، هؤلاء يحبون الله ورسوله، ما الذي أوجدهم في هذا المكان؛ إلا محبة الله، وطلب العلم؟ لكن بقي علينا التنافس، بقي علينا أن نتسابق. والله قال:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:148]

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:133]

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:26]

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:61]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-93} : المجاهدة -1-

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-08-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذه طبيعة الحياة الدنيا :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين, باباً سماه: باب المجاهدة.

والحقيقة: أن الإنسان في الدنيا في جهاد, لأن الله جعل طبيعة الحياة الدنيا طبيعة مجاهدة, أودع فيك شهوات, أعطاك منهج, فثمن الجنة ضبط هذه الشهوات, ضبط الشهوة مجاهدة.

يعني: إنسان يمشي في الطريق, امرأة سافرة, متبذلة, كيانه غرائزه, طبعه يقتضي أن يملأ عينيه منها, والتكليف أن يعض بصره عنها, في دافع نحو النظر, وفي تكليف بغض البصر.

الإنسان أمام مبلغ من المال, أودع فيه حب المال, غريزته تقتضي أن يأخذ هذا المبلغ, لكن هذا المبلغ فيه شبهة, والتكليف ينبغي ألا يأخذه.

فهذه العملية دافع؛ غريزة, رغبة, طبع, ردع, تكليف, حرام, لا يجوز, العملية هذه ثمن الجنة كلها, تدخل جنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الآبدين, إذا نجحت بهذه العملية.

قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية:40]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات الآية:41]

وأنت وحدك, لا أحد مطلع عليك, تصورت عظمة الله عز وجل, فكففت عن الحرام, خفت مقام الله عز وجل:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[سورة يوسف الآية:23]

فهذا الذي يخاف مقام ربه, ونهى النفس عن الهوى, فإن الجنة هي المأوى.

متى تنتهي المجاهدة, وماذا أعد الله لمن يدخل الجنة؟ :

فلسفة الحياة: أنك في وقت, تُعد نفسك لدخول الجنة عن طريق ضبط الشهوات, حب المال يُضبط بالكسب المشروع, وحب النساء يضبط بالزواج, وحب العلو في الأرض يُضبط بالطاعات, فنحن في مجاهدة, أما حينما يأتي الموت, وحينما يصل المؤمن للجنة, انتهت المجاهدة بالجنة:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾

[سورة ق الآية:35]

لا يوجد تكليف, حرام لا يوجد, مشادة مع النفس لا يوجد, صراع لا يوجد, رغبة تكبجها لا يوجد:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

[سورة ق الآية:35]

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية:23]

أي خاطر يخطر على بالك تراه أمامك, حتى ولو خاطر ثانوي.
إنسان من المؤمنين, وهو في الجنة: تذكر صديقاً له كان كافراً. قال:

﴿إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ﴾

[سورة الصافات الآية:51]

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

[سورة الصافات الآية:55]

نظرة.

فهذه الجنة التي خلقنا من أجلها, ثمنها هذه الدنيا, الضبط؛ أن تضبط شهوتك, أن تضبط دخلك, أن تضبط إنفاقك, أن تضبط عينك, أن تضبط سمعك, أن تضبط لسانك, أن تضبط يدك, أن تضبط رجلك, فهذه المجاهدة: أن تبذل جهداً يُعد ثمناً للجنة, أبداً.

انظر واستنتج :

يوجد أمثلة قريبة

تجد إنساناً, يعني أنا لا أقر ذلك, لكن إنسان يحمل شهادة عليا, يحمل بوردا, يحكي بالمسائل, إذا زار إنساناً, ألفين, ثلاثة آلاف, إذا مريض وقف أمامه, ألف, ألفين, يوجد عنده الإيكو, وعنده تحاليل, وعنده دخل كبير جداً, وأنيق جداً, حسناً: هذا ما يبدو لك من نعيم يعيش فيه, هذا ثمنه ثلاث وثلاثون سنة دراسة؛ رفاقه يلعبون

بالطاولة، رفاقه ينامون، رفاقه في البساتين، هو فوق الكتاب.

هذا الجهد الذي بذله حتى نال أعلى شهادة، الآن من حقه يستمتع بالحياة، من حقه يحتل مركزاً اجتماعياً، ويحتل مركزاً علمياً، ويكون دخله كبيراً، ويرفه نفسه، هذا مثل واضح.

طالب لم يعبأ بالدراسة؛ من بستان إلى بستان، من زقاق إلى زقاق، من سهرة إلى سهرة، آخرته يعمل عملاً شاقاً، عملاً متعباً، والدخل قليل، هذا الذي تعب، يبذل جهداً قليلاً، والدخل كبير، هذا الفرق.

هذه هي المجاهدة :

فلذلك: المجاهدة قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

يعني أن تجلس في المسجد لسماع درس علم هذه مجاهدة، أن تؤدي الصلوات في أوقاتها هذه مجاهدة، أن تضبط لسانك هذه مجاهدة، يوجد أكثر من عشرين معصية للسان.

الناس يمزح، يسخر، ينتقد، يهمل، ينم، يغتاب، مرتاح، أطلق لسانه العنان، يسمع ما شاء، أي مبلغ يهمله همجاً؛ حق، باطل، حلال، حرام، هات، هذا عمل النار.

((إن عمل النار سهل بسهولة))

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

وقال تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر الآية:99]

العبادة من سن التكليف حتى يحين الحين.

حتى يأتيك اليقين: أي حتى يأتيك الموت؛ الدنيا دار عمل، الدنيا دار جهد، الدنيا دار ضبط، الدنيا دار إنفاق، الدنيا دار تعبد، هي حقيقتها؛ إن فهمتها دار راحة، تعبت في الآخرة كثيراً.

اقرأ بتمعن :

يعني: من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً، كان حسابه يوم القيامة يسيراً.

((ألا يا رب نفس طاعنة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة))

((ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعنة ناعمة يوم القيامة))

((ألا يا رب مكرم لنفسه، وهو لها مهين))

((ألا يا رب مهين لنفسه، وهو لها مكرم))

قد تهينها لتكرمها، وقد تكرمها لتهينها.

ما معنى التبتل في هذه الآية، وما المطلوب؟ :

والآية الثالثة:

﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

[سورة المزمل الآية:8]

التبتل: هو الانقطاع.

يعني الإنسان في زحمة الحياة، استيقظ على المحل، تناول طعام الغداء، نام، اجتمع، سهرة، نام، استيقظ على المحل، تناول طعام الغداء، سهرة، اجتمع، استيقظ مثل دولا، لا بد من أن يقف هذا الدولا، وأن تجلس مع نفسك للتأمل، لا بد من أن تخلو مع نفسك، تقرأ القرآن، أن تفكر من أين جئت؟ وإلى أين؟ ولماذا؟. لا بد من درس علم تحضره، لا بد من تلاوة تتلوها، لا بد من تفكر تتفكر به، لا بد من طلب علم تطلبه، وإلا آخر شيء النعوة.

من هو العاقل؟ :

يعني أنا أقول: الناس يولد؛ يفرحون ظهر أسنان اللبن، يفرحون مشى، يفرحون نظف، يفرحون دخل حضانة، يفرحون قال: ماما، قال: بابا، بعد ذلك يدخل مدرسة ابتدائية يتخرج، يدخل إعدادي، يدخل ثانوي، بعد ذلك حصل على طب في الجامعة، يدخل، أنهى الجامعة، أثناء الجامعة؛ الامتحانات، والدكاترة، والأسئلة، والتفوق، انتهى جامعة، يريد أن يكمل دراسات عليا، كمل دراسات عليا، يريد أن يتزوج، تزوج، يريد بيتاً، اشترى بيتاً، يريد عيادة، اشترى عيادة، يريد أولاده، يعلم أولاده، علمهم، يريد أن يزوجهم، يزوجهم، يريد أصهار لبناته، زوج كل بناته، بدأ جسمه، معه لهته، معه وجع مفاصل، يحتاج -الآن- إلى تنكة أدوية، بعد ذلك تأتي النعوة، بالتسلسل، الناس جميعاً، ونحن معهم:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآية:19]

ممر إجباري، فالدنيا تمشي هكذا، أما المؤمن انتبه، فعمل في حياته الدنيا عملاً ينفعه بعد الموت، أبدأً، هذا الموت أيها الأخوة، لا يوجد حدث يهز كيان الإنسان كالموت.

هذا هو القبر :

يدخل الإنسان إلى بيته؛ غرفة ضيوف، غرفة نوم، صالون، غرفة للأولاد، براد، فريزة، مكيف، مروحة، غسالة، ميكروويف، هذا ظهر جديداً أيضاً، من أجل التسخين السريع، كل شيء فيه.

تصور القبر مترين بنصف متر؛ هنا بلاط لا يوجد، سيراميك لا يوجد، تريا لا يوجد، مروحة لا يوجد، ترك كل شيء في ثانية، يمشي على قدر يسير، وقف انتهى، عظم الله أجركم، تنمو الخلايا، مشيت -هكذا- سرطان الدم، سائل جمد، جلطة، انتهى.

أنواع الجهاد :

هذه الحياة بين أيديكم، العقل يقتضي أن نفكر: لماذا خلقنا في هذه الأرض؟ خلقنا لنعبد الله عز وجل، لنعرفه، لنستقيم على أمره، هذه المجاهدة.

لذلك: يوجد عندنا ثلاثة أنواع من المجاهدة؛ يوجد عندنا جهاد غير متاح لنا الآن؛ طبيعة الحياة، طبيعة العلاقات الدولية، طبيعة ... غير متاح: الجهاد القتالي، أما الجهاد الدعوي: متاح.

قال عليه الصلاة والسلام:

((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذا جهاد، بل إن هذا الجهاد، الله عز وجل: وصفه بأنه جهاد كبير. قال تعالى:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

جهاد كبير؛ أن تتعلم وأن تعلم, في جهاد أساسي؛ جهاد النفس والهوى: المهزوم أمام نفسه, لا يمكن أن ينتصر على غيره.

إذا الإنسان هُزم أمام شهواته, هذا الإنسان لا يستطيع أن يقول كلمة للناس, بالأساس هو مهزوم.

إذاً: يوجد عندنا جهاد النفس والهوى رقم واحد, إن نجحت في هذا الجهاد, أمامك جهاد متاح, وهو الجهاد الدعوي, تعلم وعلم.

محور الدرس :

فهذا الدرس اليوم عن المجاهدة. قال تعالى:

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

[سورة المزمل الآية:8]

وقال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية:7]

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية:8]

وقال تعالى:

﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾

[سورة المزمل الآية:20]

وقال تعالى:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية: 273]

يعني أنت موجود في الدنيا من أجل الجهاد، جهاد النفس والهوى، ثم الجهاد الدعوي، جهاد العمل الصالح، في جهاد العمل الصالح، جهاد الدعوة، جهاد النفس والهوى، هذه أنواع ثلاثة، متاحة لكل إنسان، ولا أحد يسألك، ولا أحد يوقفك، مهزول.

احذر من أن تعادي ولياً لله :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله تعالى يقول: من عاد لي ولياً فقد آذنته بحرب.

-يعني إذا إنسان له دعوة، له عمل صالح، ابتعد عنه، بمعنى: لا تنتقده، هذا له عمل، إذا أنت زعزعت ثقة الناس فيه، تكون خربت، وقد تكون فكرتك غير صحيحة، قد تكون فكرتك ليس لها أصل، فأنت صرت مخرباً. فإذا إنسان، الناس ينتفعون منه، دعهم ينتفعون منه، لا تشوش عليه، هذا من السنة.

فمن عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

الآن: أكثر الناس أستغرب بمجالسهم، لا يوجد عندهم موضوع يتسلون به إلا العلماء؛ هذا كذاب، وهذا غير فهم، وهذا الله أعلم ما نيته، وهذا تزوج امرأة ثانية، وهذا عمل، وهذا عطس، وهذا سعل هذا الشيء يجري في البيوت.

أنت مالك ولهم؟! أنا لا أذافع عنهم الآن، لكن اعمل عملاً ايجابياً، هذا عمل سلبي، أنت ماذا قدمت؟ هم قدموا، ويوجد أخطاء عندهم، أنت ماذا قدمت؟ ماذا قدمت للأمة؟ ما الآثار التي تركتها؟.

أنا أقول لكم:

((الورع حسن, لكن في العلماء أحسن.

-يعني أكمل شيء في العالم الورع, وأكمل شيء)

قال له: يا سيدي, لي سيد يظلمني -عبد زار شيخ سيده, زاره, رأى سيده, احترمه احتراماً ليس له حدود-, قال: يا سيدي, لو أن شيخه قال له: يا بني! أعتق هذا العبد, أعتقه رأساً, فجاء إلى عند الشيخ, قال له: يا سيدي, لو طلبت من سيدي أن يعتقني لوجه الله, قال له: أفلعل إن شاء الله, مضى شهر, شهران, ثلاثة, أربعة, لا يوجد حركة, فقام الشيخ وزار التلميذ, والعبد يرى احترام سيده لشيخه, قال له: يا سيدي, ذكرتك في المرة الماضية أن تأمره أن يعتقني, قال له: أفلعل إن شاء الله, مضى شهر, شهران, ثلاثة, أربعة, بعد سنة الشيخ قال له: يا بني! أعتقه, فأعتقه فوراً, قال له: يا سيدي, عجبت لك!! إذا الأمر يتم بكلمة, لماذا أخرتها سنة؟ -كلمة منك- قال له: لقد حملتني فوق ما أطيق يا بني, أنا وفرت من مصروف البيت مالاً, أعتق به عبداً, وبعدها أمرت سيديك أن يعتقك.

حتى يكون في صداقية: قبل أن يأمره أن يعتقك, أعتقت عبداً لنا, وفرت من مصروفي اليومي, ما يساوي قيمة عبد, فلما أعتقت عبداً, أمرت سيديك أن يعتقك-

فالورع حسن لكن في العلماء أحسن, والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن, والحياء حسن لكن في النساء أحسن, والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن, والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن.....))

ما الشيء الذي يحبه الله من العبد, ومتى يحب الله العبد? :

إذا-: وما تقرب إلي عبدي بشيء, أحب إلي مما افترضته عليه:

-يعني أعظم عمل: أن تؤدي العبادات, قبل أن تؤدي النوافل أد العبادات, الصلوات الخمس؛ صوم رمضان, حج البيت, غض البصر, صدق اللسان, حفظ الأمانة, العفة, هذه الأوامر الأساسية, فاضبط جوارحك, واضبط عباداتك, هذا أعظم عمل-.

وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه: -صلى الضحى, صلى قيام الليل, أنفق من ماله فوق الزكاة-.

وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته.

-يعني لو سألت أخواننا الكرام: أعظم شيء وصله إنسان على الإطلاق؟ في منصب إداري, رئيس أمريكا, هذا أعلى منصب, -مع أنه ظل بالوحل- أعلى منصب إداري.

أنشتاين: أعلم علماء الأرض بالفيزياء, أونسييف: كان أغنى أغنياء العالم.

حسناً: في منصب مالي, في منصب إداري, في منصب علمي, أما أنا أقول لكم:

أعلى شيء تصل إليه: أن يحبك الله, أن يحبك خالق الكون, والشيء المؤلم: أن محبته بإمكانك, ضمن إمكانياتك؛ أمرك أن تعبه, أمرك أن تكون صادقاً, أمرك أن تكون عفيفاً, أمرك أن تكون أميناً, أمرك أن تصلي له, أمرك أن تقي بوعدك, أن تنجز العهد, ووفاء الوعد, ما كلفك فوق طاقتك:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية:286]

لمجرد أن تطيعه أحبك الله, لأن الله:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة الآية:54]

والله مرة كنت في عقد قران, وقف خطيب ألقى كلمة, الذي قاله أعرفه؛ لكن ساعة إشراق

سيدنا رسول الله, التفت إلى سيدنا معاذ, قال له:

((يا معاذ, إني لأحبك يا معاذ))

سماه باسمه: والله إني لأحبك.

انظر الآن: أنت في محلك؛ ما كذبت أبداً، ما غششت مسلماً، ما نظرت لامرأة، كنت عفيفاً، نصحت كل زبون، دخلت إلى البيت؛ كنت أباً رحيماً، أباً كاملاً، عشت لأولادك، أكرمت زوجتك، أكرمت جيرانك، يحبك الله، الأمر سهل جداً؛ كن صادقاً، كن أميناً، كن محسناً في بيتك، في الطريق، وفي عملك فقط، هذا دين الإنسان.

ما معنى هذا الجزء من الحديث: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به)؟

قال:- فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بها: -تسمع بنور الله، تسمع قصة ترفضها، هذه خلاف القرآن، عندك ميزان، عندك فلتر، هذه لا تصلح، هذه خرافة، تسمع شيئاً منكراً، تقول: معاذ الله! لا أجلس معكم، صار عندك ميزان، صار عندك رؤية صحيحة، تقيس بها كل كلام؛ ما كل كلام تقبله، ما كل كلام تصغي إليه، ما كل كلام تسمعه-.

كنت سمعه: -تسمع من خلال معرفتك بالله عز وجل، هذه قصة لا تُسمع، هذا الكلام غير مقبول، الحقيقة غير صحيحة؛ هذا شرك، هذا كفر، هذا ضلال، هذه إثارة فتن، صار عندك ميزان دقيق، صارت أذنك تصطفي الحق، وترفض الباطل، أما الكافر مثل الجبانة، كل شيء يفوت، كله يسمعه، كله يتكلم فيه.

((وبحسب المرء من الشر: أن يحدث بكل ما سمع))

أحياناً قصة: لا تليق، يوجد أولاد صغار جالسون، سمعها، تضحك، حلوة جداً، قضية جنسية؛ لكن في بنات، في شباب صغار، في أطفال عندهم حياء، ليس فاهماً القصة، إذا تكلم.....

((بحسب المرء من الشر: أن يحدث كل ما سمع))

شرح ما تبقى من هذا الحديث :

وبصره الذي يبصر به: - ترى بنور الله.

لو رأيت إنساناً اغتصب ما لا حراماً، واشترى بيتاً جميلاً جداً، لا تقل: هنيئاً له، إذا قلت: هنيئاً له، رؤيتك غير صحيحة، تقول: الويل له، قد تحترم مؤمناً فقيراً، ولا تحترم غنياً منحرفاً.

((من جلس إلى غني فتضع له، ذهب ثلثا ديناً))

أبدأ. الله جعلك عزيزاً، ارفع رأسك.

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يتبصر به، ويده التي يبطش به.

ممکن مؤمن يضرب؟ يضرب.

قال له:

((عندي يتيم أفأضربه؟ - سؤال محرج للنبي: عندي يتيم أفأضربه؟- قال له: مما تضرب به ابنك))

إذا ابنك ارتكب المعصية، تضربه اضربه، إذا: اضربه، لا يمد يده إلا بالحق، للخير-.

ورجله التي يمشي بها: - أين يمشي؟ للجامع، لإصلاح زوجين، للدعوة إلى الله عز وجل، للتوفيق بين شريكين، لحل مشكلة، للإصلاح بين الناس، لكن ليس على الملهى، ليس على قبو، ليس على نادي، تقوده رجلاه إلى الطاعات، ويستعمل يده في الأعمال الصالحة، ويستعمل لسانه في ذكر الله، ويستعمل عينه في التفكير في خلق الله.

الآن: مرتبة المحبة. قال:- وإن سألتني أعطيتك، ولئن استعاذني لأعيذنه))

في درس آخر: إن شاء الله نتابع هذا الموضوع.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-94} : المجاهدة -2-

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 05-09-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما معنى هذا الحديث: (يتبع الميت ثلاث: أهله.....)؟ :

أيها الأخوة الكرام:

لا زلنا في باب المجاهدة, ومع حديث رسول الله -ﷺ-, عن أنس -رضي الله عنه-, عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

((يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيُرْجَعُ اثْنَانُ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجَعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

يعني: قد يركب أولاده بسيارته, ويمشون وراء جنازته, أليس كذلك؟ فسيارته تصل إلى باب المقبرة, أولاده يصلون إلى شفير القبر, فإذا دُفن, يرجع أولاده بسيارته إلى البيت, ويبقى هو وحيداً في القبر مع عمله فقط, فإن كان هذا العمل كريماً أكرم, وإن كان لئيماً أسلم.

الإنسان -أحياناً- يتصف بالذكاء أو الغباء, ويتصف بالكمال أو بالنقص, دعك من الكمال والنقص؛ قمة الذكاء: أن تستعد لهذه اللحظة التي لا بد منها, قمة الذكاء: أن تستعد لهذه اللحظة التي لا بد منها, قد تمتلك ملايين مملينة, وتنتهي إلى قبر, تحت أطباق الثرى, وقد تصل إلى أعلى منصب في العالم, ولا بد من أن تُدفن تحت أطباق الثرى, وقد تستمتع استمتاعاً لا حدود له.

أيها الأخوة، دققوا في هذا المثل: لو جئنا بإنسانين، أطعمنا الأول أطيب طعام في اللبن وأغلاه، وأطعمنا الثاني أخصن طعام وأرخصه، ثم عرضناهما على تعذيب شديد، الذي أكل أطيب الطعام: هل يخف عذابه؟ أبداً، الاستمتاع ليس له مستقبل؛ الاستمتاع، الانغماس في الملذات، الاسترخاء، النوم، الراحة، هذه ليس لها مستقبل.

إذا الإنسان درس، بعد ما انتهى دراسة، صار طبيباً، هذا العمل نقله إلى مرتبة علمية، إذا عمل صالحاً، صار له عند الله مقعد صدق عند مليك مقتدر، في أعمال ليس لها مستقبل، في أعمال لها مستقبل؛ الراحة ليس لها مستقبل، الانغماس في الملذات ليس لها مستقبل.

تجد مؤمناً صغيراً؛ وقته كله في طاعة الله، وقته كله في الدعوة إلى الله، وقته كله في خدمة الخلق، وقته كله في العمل الصالح، يموت، له مستقبل لا يعلمه إلا الله. فالعبرة: أن تعمل عملاً له أثر مستقبلي، لأن الزمن منقطع، هذا المعنى دقيق.

قصة وعبرة :

شخص مثلاً

لي صديق، سهرنا معه، -هكذا- خلال سنة، أو سنتين، كل خميس عملنا سهرة، رجل يعني صالح، -أنا لا أزكي على الله أحداً-؛ لكن منغمس في عمله، في تجارته، عنده معمل، في رحلاته، في نزهاته، في سفره إلى أوروبا، أدواقه رفيعة جداً، توفي، فاتصلوا بي، ذهبت لتشييع جنازته، أحد علماء دمشق يبدو أنه سبقني لتشييع هذه الجنازة، فألقى كلمة، وهو في النعش في المسجد، أنا صعقت، بالضبط قال، قال: أخبركم: أخوكم كان مؤذناً ترحموا عليه، يعني لم يستطع أن يتكلم كلمة ثانية.

قلت: حسناً: يحكى عن بيته في هذا الوقت؟ مساحة بيته مثلاً؟ تزيينات بيته؟ الجبصين في بيته؟ نوع الأثاث؟ أنواع الأطعمة التي كان يأكلها؟ الرحلات التي كان يقوم بها؟ سفرياته الرائعة؟ أنواع سيارته؟ كل هذا لا قيمة له عند الموت.

تجد شخص يموت، تهتز له الأرض، يقول لك: ترك بصمات في الدعوة إلى الله، فسر القرآن، نشر الحق بين

الملايين مثلاً.

حسناً: اثنان ماتوا، لكن شخص ترك مستقبلاً عظيماً، شخص لم يترك مستقبلاً، أقول: لم يعص الله جيد، لكن لا يوجد عمل يُذكر به.

هذا ما أقوله :

فأنا كنت أقول: اعمل عملاً، إذا الإنسان وضعوه في النعش، وأحب شخصاً أن يؤبنه، يتكلم فقط دقيقة، ستين ثانية، يتكلم ستين ثانية فقط، أو يتكلم دقيقة، أو يتكلم ربع ساعة، فالإنسان عند الموت لا ينفعه إلا عمله الصالح. فلذلك الحديث متفق عليه:

((يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَ أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَعَمَلِهِ، فِيرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

((عبدى رجعوا وتركوك))

قف عند هذه النقطة :

لعل أحدكم عزى ميتاً، حسناً: هذا البيت الأريعمنة متر؛ هو اشتراه، هو كساه خلال ثلاث سنوات، هو زينه، عمل صالونات، غرف طعام، غرف ضيوف، حسناً: أين هو صاحبه الآن؟ صاحبه الذي أشاده، وزينه، وأنفق عليه، أين هو؟ في مثواه الأخير، حسناً: هذا أليس مثوى؟ لا، هذا مثوى موقت.

ماذا نستنتج من هذا المثال؟ :

أخواننا الكرام، يعني مثل لكن رائع جداً، ودقيق جداً، هو مثل تخيلي: أنت تصور إنساناً، مستأجر بيت في بلد، نظامها، نظام هذا البلد: أن مالك البيت يطرد المستأجر، بلا إنذار، وبلا سابق أعلام على أي خاطرة، تجعله في الطريق، هكذا النظام، يعني المستأجر ليس له ولا حصنة، ليس له ولا حق بالبقاء في البيت ولا دقيقة، بعد ما يعطي أمر مالك البيت.

تصوروا دولة، هذا نظامها في الإيجار، مالك البيت هو كل شيء، والمستأجر بأول الشهر، منتصف الشهر،

خمس وعشرون بالشهر, الساعة الثانية في الليل: اخرج, يجب أن يخرج, هذا النظام.

تصور إنساناً, مستأجر بيت في البلد, وفق هذا النظام, وله دخل كبير, فجاء وكسا البيت كسوة جديدة؛ خلع البلاط, عمل بلاطاً جديداً, عمل سيراميك للحمامات, عمل جبصين, كل شيء يأتيه, أحاطه بهذا البيت, له بيت ملك شخصي, لكن بمكان بعيد, على العظم, كل دخله وضعه في البيت المستأجر, هذا البيت المستأجر؛ على كلمة, على حرف: اخرج, يريد أن يخرج, حسناً: أنا دافع ثلاثة ملايين تجديد الكسوة, لا يوجد لك شيء عندنا, امش, امش, حسناً هذه مثل السعودية امش, هيا.

حسناً: يجوز إنسان عاقل, إذا كان وضع دخله كله في بيت مستأجر, مهدد بالطرد منه في أي ثانية؟ ذلك البيت الأصلي على العظم؛ لا في نوافذ, ولا في كهرباء, ولا في ماء, ولا في بلاط, ولا في تدفئة, ولا في طعام, ولا في أثاث, أما العقل يقتضي أن آخذ هذا الدخل, وأضعه في البيت الذي أملكه, ولا يستطيع أحد أن يخرجني منه.

والله هذا المثل مع أنه مضحك, هذا ما يفعله معظم الناس, كل إمكانياته؛ عمل فيلة, وعمل مسبح, وعمل حجر خشن, ورتب الأمور, وحدائق, بعد ما استكبرت, تفضل, جاء ملك الموت, يعني قضية المغادرة هي أخطر شيء.

هل فكرت في هذه اللحظة؟ :

أنا أقول لكم كلمة دقيقة: أخطر حدث بعد أن أوجدك الله المغادرة.

إنسان يسافر, تجده يفتح خزاناته؛ ثيابه, أحذيته, حاجاته, مكتبه, مكتبته, مقتنياته, لأنه راجع, راجع, أما الميت لا أحد يخطر في باله: أنه سوف يرجع.

الآن: إنسان مات, أبوهم دفنوه الساعة الثانية عشرة, تأخر, لماذا لم يأت إلى الآن؟ انتهى, لم يعد يرجع, الخروج بلا عودة.

هذه, هذه اللحظة يا أخوان, لحظة الخروج بلا عودة, ماذا أعددت لها؟ بيت واسع, القبر ضيق, البيت مبلط.

هذا مثوى الإنسان الأخير :

يوجد أخ من أخواننا -رحمه الله- يعني أنيق، نظيف، يعني إذا يوجد في غرفة نومه أي خطأ لا يتحمل، لا ينام، شهدت وفاته، ودفنه، يعني سبحان الله! لحكمة أرادها الله، وضع البلاطة، بقيت فتحة منها، البلاطة على الحفرة لم تغلق،

أتى بالمجرفة، أهال التراب على هذا المحل، يمكن سقط من هذه الفتحة، حوالي خمسة كيلو تراب فوق رأسه، هكذا هنا مصيره، هذا المصير.

يعني: سيدنا عمر يقول: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

يجب أن تهيب نفسك للجواب، هذه اللحظة الحرجة، هذه اللحظة.

بماذا تذكرنا هذه الآيات؟ :

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾

[سورة المدثر الآية:8]

﴿فَذَلِكَ يَوْمًا نَوْمٌ عَسِيرٌ﴾

[سورة المدثر الآية:9]

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾

[سورة المدثر الآية:10]

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[سورة الفجر الآية:24]

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر الآية:25]

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر الآية:26]

ماذا أعددت ليوم رحيلك من هذه الحياة؟ :

يا أخوان، الإنسان إذا عاش الحاضر يخسر، عيش المستقبل، هذا المستقبل

الآن: أنا نحن اليوم تسع وثمانون، تسعون، واحد وتسعون، اثنان وتسعون، يا ترى أنا متى أجلي؟ تسع وتسعون، ألفان وواحد، ألفان واثنان، معنى بقي سنوات، كل واحد له نهاية، حسناً: وهذه السنوات تمضي. الآن: تجد عاماً كلمح البصر؛ الصيفية انتهت، الشتوية انتهت، جاء رمضان، ذهب رمضان، جاء الصيف، ذهب الصيف، هكذا

فما دام العمر يمضي سريعاً، ماذا أعددت لهذه المغادرة التي لا عودة منها؟.

هذا معنى الحديث:

((يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَ أَهْلٍ، وَمَالِهِ، وَعَمَلِهِ، فِيرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

الموت أقرب إلى أحدكم من شرك نعله :

وفي حديث: عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، عن رسول الله -ﷺ- قال:

((الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله))

كل شخص منكم، وأنا معكم، يوجد في حياتنا وفاة مفاجئة من أقربائنا، مفاجئة، ثانية واحدة.

أخ من أخواننا الكرام، عنده أرض بصيدنايا، قال لي: أنا أدعوك أنت ومن تحب، عشرة معك، قلت له: والله هذه، بارك الله بك، فأنا اخترت عشرة من أخواننا، كان على رأسهم قاض شهير، عضو محكمة بسورية عليا، أنا أحبه، ويلزم الدروس كلها، وضعته في رأس القائمة، الدعوة السبت الظهر، فالجمعة مساء توفي هذا المدعو، السبت

الظهر دفناه في باب الصغير, وخرجنا إلى الدعوة ننقص واحداً, السبت الظهر دفناه في باب الصغير, وخرجنا إلى صيدنايا, كان اسمه أول اسم بالمدعوين, لم يأكل معنا. أمثلة كثيرة جداً

من حوالي شهرين, ثلاثة, بجامع النابلسي, أثناء الخطبة: أحد أخواننا جالس انتهى, خرج مشياً, رجوعه محمولاً, أبدأ.

من شهر: طبيب أجرى عملية لطفل, انتهت, غسل يديه, دخل لمكتبه قلب ومات.

من فترة: شخص ترك ألف مليون, أحد أقربائه نصيبه من الورثة تسعين مليون, لماذا العمل, والتجارة, ترك, وانتبه للمالية؛ براءات الذمة, ومعاملة الإرث, الورثة, ستة أشهر, دوامه كل يوم بالمالية ستة أشهر, دخل للحمام قلب ومات, لم يأخذ قرشاً, كل يوم يوجد قصة مثل هذه.

الموت أقرب إلى أحدكم من شرك نعله.

هذا ما غفل عنه الإنسان :

جلست مع مدير ثانوية, يعني في ساعة فراغ عندي, ضيفني كأس شاي, قال لي: أستاذ, أنا أريد أن أسافر للجزائر, وقتها كان في إعاره بالجزائر, قال لي: أمكث خمس سنوات, قال لي: لم أزر سورية صيفاً؛ أعمل سنة بأوروبا, سنة بإيطاليا, وسنة ببريطانيا, وسنة بإسبانيا, تشعب عينك من هذه البلاد؛ أرى مساحتها, أرى ريفها, أرى آثارها, أرى عادات أهلها, قال لي: أرجع, أقدم استقالتي, أتقاعد, أفتح محل تحف, قال لي: هذه ليس لها تموين, ليس لها إشكالات, أضع أولادي بالمحل أيضاً, كمل, يمكن تكلم إلى عشرين سنة قادمة, والله لا أبالغ, يتكلم, أنا أسمع له, والله انتهت الساعة, قبلني الرجل, وذهبت إلى صفي, وانتهى التدريس, ذهبت إلى البيت, تناولت طعام الغداء, وعندي ساعات تدريس مساء في مدرسة بالمدينة, فنزلت إلى المدرسة, درست, وأنا راجع إلى بيتي مشياً, -بيتي كان بالعفيف-, رأيت نعوته على الجدران, والله في اليوم نفسه, في اليوم نفسه.

((الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شرك نعله، والنارُ مثل ذلك))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هذا الذي حصل في هذا المسجد :

عُقد، يعني أُقيم احتفال مولد بجامع الحنابلة، دُعيت يوم الأحد، عندي درس بجامع النابلسي، قلنا: بعد الدرس نذهب، انتهى الدرس، مشيت مع بعض الأخوات، وصلنا على باب الجامع، استقبلني أحد أعضاء اللجنة استقبالاً حاراً، وعانقني، وقبلني، ورحب بي، ودخلت جلست، جلست حوالي دقيقتين، وجدت وضع، صار في مشكلة بالجامع، وضع مضطرب، ألقى كلمة وانتهيت، ماذا حصل؟ قال: مات الذي استقبلك، وقع ومات، الآن: قبل دقيقتين، ذهبنا على مستشفى أمية منته، لا يوجد طبعاً: استلقى؛ بثيابه، وحذائه هذه الحوادث يومية. فيا أيها الأخوة الكرام؛ قمة الذكاء، وقمة العقل، وقمة النجاح، وقمة الفلاح: أن تستعد لهذه اللحظة التي لا بد منها، يعني لا تنفد منها، لو كنت ملكاً؛ ملك، نبي، أغنى أغنياء العالم.

قصة مطعم :

دخلت إلى مطعم في أمريكا، قال: هذا أعظم مطعم بالأسماء، أغنى مطعم بالفرويد، له قصة: صاحبه يعني قدم سمكاً للناس خلال أربعين سنة، بالصيف أحب أن يعمل نزهة بحرية مع زوجته بفلوريدا، عنده يخت ضخم، ركب اليخت وذهب، وصل انقطعت أخباره كلياً؛ أخباره، وأخبار زوجته، وأخبار اليخت، فقال الناس وقتها: أطمع الناس أربعين عاماً سمكاً، فأكله السمك. أكلوه، انتهى، انتهت العملية، فيلم وانتهى.

قصة رجل :

يوجد رجل -لا أزكي على الله أحداً، أحسبه صالحاً-، له محل مكتب في الحريقة، كان صالحاً، لم يدخل لمكتبه إنسان يطلب مساعدة، أو يطلب جمعية خيرية، أو بناء مسجد، يقول له: افتح الصندوق، وخذ ما شئت، ولا تعلمن، هذه من يفعلها؟ خذ ما شئت، عمل مسجداً صغيراً، وكان صالحاً، صار معه مرض في دمه، فذهب للاتحاد السوفييتي، عمل فحوصات، وينتظر بعض النتائج بالهاتف، له قريب هناك، في بيته خمسة، ستة هواتف، جالس هو، رن الهاتف، رفع السماعة، فابنه سبقه وتكلم، هو يسمع، قال له: أبوك ثلاثة أيام منته، ولا يوجد أمل إطلاقاً -القصة غريبة- يبدو في أمور دقيقة جداً، حسابات دقيقة جداً، قال له: الأربعاء الساعة الواحدة ينتهي،

حسب نظام الجسم, قال: سمعها بأذنه, -فسبحان الله, قصة غريبة جداً, يبدو كان صالح-, اتصل بأحد أصدقائي, قال له: يا أبا فلان, تعال إلى عندنا, قال له: أنا انتهيت, أول يوم أنهى كل علاقاته المالية, قال له: الصفقة الفلانية أنت تأخذها, وتبيعها, وتعطي ربحها لأولادي, الصفقة الفلانية ما دفعت حقها ألغها, قل له: صاحبها قد دنا أجله, الصفقة الفلانية أنهى له كل علاقاته المالية, ثاني يوم استقبل كل أقربائه؛ بناته, وأصهاره ودعهم, ثالث يوم: له شيخ في الشام -الآن: خارج البلد, رده الله بالسلامة-, خبر شيخه, جاء شيخه, فتغسل بيده, الحمام راكز تمام, بنفسه تحمم حماماً درجة أولى, واستلقى على فراشه, وجاء الشيخ, عملوا تهليلة حوالي ساعة زمان, لا إله إلا الله, الساعة الواحدة سلمها.

لكن أغرب قصة هذه: أن عمله الطيب, جعله يستقبل الموت استقبالاً طيباً.

انظر إلى هذه الآية ما أخطرها :

انظر الآية ما أخطرها:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية:6]

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية:7]

هذا أكبر مقياس لعملك الصالح, إذا كان عمك صالح مئة في المئة, تتمنى الموت, وإذا كان عمك غير صالح, تخاف الموت خوفاً لا حدود له.

أيها الأخوة:

((الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نغله، والنار مثل ذلك))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

فجأة صار من أهل النار.

انظر إلى عاقبة هذين الرجلين :

حدثني أخ تركي, قال لي: يروون عن أتاتورك, قبل أن يموت بأسبوع, يصيح صياحاً غير معقول, يعني صاروا يشعلون موسيقا عسكرية, حتى الصوت لا يصل من الاستغاثة والخوف, يعني يقول كلمات غير معقولة: في نار, الإطفائية يأتون يشمون: والله لا يوجد نار يا سيدي, ألا تطفئون النار؟.

فالعبرة: أن الإنسان ساعاته الأخيرة, تلخص حياته كلها.

في رجل صالح, جاءه ملك الموت بصفة صديق حميم, أولاده جالسون: يا بني ألا تسلمون على عمكم؟ هذا صديقنا الحميم, هذا الإنسان المحب.

((يبعث الله ملك الموت للمؤمن, بصفة أحب الناس إليه -بنعومة-, والكافر -والعياذ بالله- بصفة أخوف الناس إليه))

هذه قضية الموت من أهم القضايا في حياتنا. قال:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الملك الآية:2]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-95} : الموفقون في الحياة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 19-09-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

علام يشير هذا الحديث؟ :

عن ابن عباس -رضي الله عنهما وعن أبيه- قال:

((كان عمر بن الخطاب يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، -أشياخ كبار لهم شأن كبير، وكان هذا الغلام الصغير، يدخله عمر مع أشياخ بدر-، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، -يعني تألم-، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا، ولنا أبناءٌ مثله؟. -يعني اجتماع لكبار الشخصيات لشيوخ بدر، معهم غلام صغير في سن أولادهم، تألموا، فقالوا لسيدنا عمر: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟- فقال عُمُرُ: إِنَّهُ مَنْ عَلِمْتُمْ، -كلام موجز بليغ: إنه من حيث علمتم-. قال: استدعاني ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُرِيَهُمْ، -دعاني خصيصاً، ليُرِيَهُمْ مقامي عنده-، قال: ما تقولون في قول الله عز وجل

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

[النصر:1]

فقال بعضهم: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا.

-واضحة الآية:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

[سورة النصر الآية:1]

﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

[سورة النصر الآية:2]

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

[سورة النصر الآية:3]

يعني: أمرنا أن نسبحه, وأن نحمده, وأن نستغفره, وإذا نصرنا, وفتح علينا, واضحة الآية- وسكت بعضهم, فلم يقل شيئاً, فقال لي سيدنا عمر: أكَذَاكَ تَقُولُ يَا بَنَ عَبَّاسٍ!؟ قلت: لا, -ليس هذا هو المعنى-, قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ, أعلمه له))

هذه السورة, نعوة النبي, هذا الغلام الصغير الذي في سن أولادهم, فهم من السورة شيئاً, لم يفهمه أشياخ بدر. لذلك: أن يؤتى الإنسان فهماً دقيقاً في القرآن, هذه نعمة لا تقدر بثمن, أن يؤتى الإنسان فهماً دقيقاً لكتاب الله, هذه نعمة لا تقدر بثمن.

علام تشير هاتان الآيتان؟ :

وفي القرآن الكريم: إشارة لطيفة في قوله تعالى:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:79]

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:78]

وفي حديث رسول الله ﷺ - إشارة ثانية: حينما دعا لعبد الله بن عباس, قال:

((اللهم علمه التأويل))

وفي إشارة ثالثة: هي قصة سيدنا يوسف في قوله تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾

[سورة يوسف الآية:6]

النص موجود، يعني في بعض الأمثلة

إذا أوتيت فهماً في القرآن الكريم فقدر هذه النعمة :

أحياناً: نص تجده في كتاب الصف السابع، والنص نفسه تجده في كتاب العاشر، وفي كتاب الحادي عشر، والنص نفسه درسناه في الجامعة، بسطر واحد: أمضى الأستاذ فيه ساعتين، بيت في الشعر واحداً أو واحداً أمضى فيه ساعتين، فالنص نص، أما التحليل والفهم هنا التفاوت، تفاوت العلماء مع القرآن؛ تفاوت في الفهم، في العمق، في كشف الإبعاد، في كشف الاستنباطات، في كشف التأويل، في كشف الأحكام الشرعية، في كشف التوجيهات، في كشف العبر والعظات، فمن أوتي فهماً في كتاب الله، فهذه نعمة لا تقدر بثمن.

هذه مهمة الأنبياء :

الأشياخ، ماذا قالوا؟ قالوا:

((أمرنا أن نحمد الله، وأن نستغفره، إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، قال ابن عباس: أكنذك؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: قلت: هو أجل رسول الله -ﷺ- أعلمه له))

يعني: الأنبياء ليس لهم في الدنيا حظوظ، هدفهم نشر الحق، فإذا أدوا مهمتهم، تنتهي آجالهم.

الآن: يعني للتوضيح فقط، يذهب رئيس دولة إلى بلد، يقيم ساعتين ويرجع، حسناً: ألا يقعد في فندق جميل، يعمل -هكذا- نزهة، بمقصف جميل، حوالي خمسة أيام يرتاح؟ مهمة كبيرة جداً، فإذا جرت مباحثات، وصل لنتائج، انتهت الزيارة.

فالعظام يعني: الكبراء، الأبطال، ليس عندهم وقت يمضونه بلا معنى.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام-: جاء إلى هذه الدنيا لينشر الحق, وأنت حينما تقف على قبره الشريف تقول:

((أشهد أنك بلغت الرسالة, وأديت الأمانة, ونصحت الأمة, وكشفت الغمة, وجاهدت في الله حق الجهاد,
وهديت العباد إلى سبيل الرشاد))

سؤال وجواب :

سؤال: متى يؤتى الإنسان فهماً في كتاب الله؟ سؤال دقيق جداً.

الآن: تبين أن أعظم شيء:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:79]

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾

[سورة يوسف الآية:6]

إلا أن يؤتى فهماً في القرآن, فهماً دقيقاً, الجواب:

((من عمل بما علم, أورثه الله علم ما لم يعلم))

أنت حينما تطبق كل الذي تعلمه, يكشف الله عن بصيرتك, ويقذف النور في قلبك, ويعلمك من تأويل الأحاديث,
ويؤتيك فهماً في كتاب الله, وحينما تفهم آية فهماً دقيقاً, تشعر أنك ملكة الدنيا.

ما دلالة هذه الأمثلة؟ :

أضع بين أيديكم بعض الأمثلة

يأتي الإنسان, يقرأ قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:7]

﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:8]

واضحة, يعني الله عز وجل جعل هذه النفس فاجرة, وجعل هذه النفس تقيّة, انظر فيها هذه: أنا ليس لي علاقة, إن كنت فاجراً لا علاقة لي, حسناً: كيف يحاسبني؟ كيف يعاقبني؟ كيف يسألني؟ إذا كان الله عز وجل هو الذي جعل هذه النفس فاجرة, وجعل هذه النفس تقيّة:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:7]

﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:8]

فإذا فهم الإنسان: أن الله خلق فيها الفجور, وخلق فيها التقوى, بالتعبير الدارج: ضاع بيته, انتهى دينه كله, هو ليس له علاقة؛ الله خلق هذا زانياً, وخلق هذا طاهراً, حسناً: كيف يحاسبه؟!
العوام يقولون: طاسات معدودة بأماكن محدودة.

لا تعترض تطرد.

هكذا ترتب سيدك.

هكذا يقولونها كلهم.

الإنسان مسير, الإنسان يجبر على المعاصي, ثم يحاسب على هذه المعاصي, ويستحق النار إلى أبد الأبد, هذا الفهم للآية, انتهيت أنت فيه, انتهيت, المعنى ليس كذلك, المعنى:

فطر هذه النفس فطرة عالية، راقية، بحيث أنها إذا فجرت، تعلم ذاتياً: أنها فجرت من دون معلم، وإذا اتقت تعلم أنها اتقت، يا عيني، كم الإنسان راق جداً؟.

قف هنا :

لما تنقص المادة الغذائية بالمستودعات في الكبد، يقول لك: جائع، لو فحصت دم الجائع، نسب الغذاء تامة، لو فحصت الكبد، النسب ناقصة في الكبد، لأن الإنسان مبرمج، مؤلف، مهياً؛ أنه بمجرد أن تقل المواد الغذائية في الكبد، يشعر أنه جائع، الصنعة متقنة جداً.

الآن: السيارة، أحياناً: يُقطع الشريط الذي يربط الدينامو في المحرك، أو تتعطل المبردة بالسيارة، المحرك يحمى، يحترق، يعطونك ساعة حرارة، إذا في حديث ممتع مع صديقك، قد لا تنتبه.

يعني: هذا الجوع ما نوعه؟ الجوع: يا ترى مؤشر حراري؟ بصري؟ سمعي؟ صوتي؟.

يقول لك: جائع، ما نوع الإحساس بالجوع؟.

فهذه الآية:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:7]

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:8]

والله شيء جميل، هذا فهم دقيق لكتاب الله، مريح، حسناً

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾

[سورة الحج الآية:52]

-أي قال:-

﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج الآية:52]

والله هذه مشكلة, هذا كان نبياً, هذا قمة المجتمع البشري:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾

[سورة آل عمران الآية:33]

إذا كان الشيطان يستطيع أن يصل إلى هذا النبي, وأن يلقي في نفسه الوسوس, والفطرات, فنحن لو فعلنا الكبائر, لا يوجد شيء علينا, إذا النبي

هذه الآية ليس هذا معناها أبداً: إذا تمنى النبي هداية قومه:

﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج الآية:52]

هو, إضلالهم, معنى كبير جداً, النبي تمنى هدايتهم, والشيطان تمنى إضلالهم, هذا الفهم مريح:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾

[سورة يونس الآية:99]

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة النحل الآية:9]

يوجد أكثر من عشرين آية

ولو شاء ربك لاهتدى الناس جميعاً؛ ولكن لم يشأ، لا يريد، يا رب لماذا لا تريد؟ لماذا لا تريد أن تهدينا؟:

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

[سورة الرعد الآية:31]

إذا أوتيت فهماً في كتاب الله، تفهم هذه الآية على حقيقتها، الله عز وجل: لو أننا هدانا إليه قسراً، هذه الهداية القسرية: لا نسعد بها إطلاقاً، الإنسان مخير؛ ولكن الله عز وجل: أردنا أن نأتي إليه باختيارنا، طوعاً لا كرهاً، بمبادرة منا، أراد المحبوبة منا، ما أراد القهر والعنف منا، أن تأتيه محباً، هذا المعنى جميل جداً.

يعني: آيات كثيرة جداً، حينما تفهما فهماً دقيقاً: تصير إلى الله، وحينما تفهما فهماً معكوساً: تثبط عزيمتك، تُشكل قواك، تبرك في مكانك، صار في فرق كبير.

خطأ وصواب :

إنسان قال لي، قال لي: إذا شخص قال: لا إله إلا الله يدخل الجنة، وإن زنا، وإن سرق، قلت له: لكن لم يقل النبي: وإن يزني، قال: وإن زنا بالماضي، يعني زنا، وتاب، يدخل الجنة؛ لكن لم يقل: وإن يزني، بين الماضي والحاضر مسافة كبيرة جداً.

تقرأ قصة: يوجد ملكان هاروت وماروت، نزل إلى الأرض، وفسقا، وفجرا، وفعلا كل المنكرات. الله عز وجل قال:

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾

[سورة البقرة الآية:102]

ما نافية، القصة لا أصل لها؛ فبين أن تفهما نافية وتتفي القصة، وبين أن تظنها موصولة وتثبتها، فإذا أثبتها:

هل يُعقل أن الله يُضل البشر؟ مستحيل.

انظر إلى المعنى المخالف للآية وبين المعنى الصحيح :

يعني: حتى مثلاً:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

ألا يقول أحدكم: حسناً: ما ذنبه؟ إذا كان الله قد جعله غافلاً:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

نحن جعلناه غافلاً، هذا الإنسان: إياك أن تطيعه، حسناً: ما ذنبه؟ أما إذا فهمت هذه الآية فهماً عميقاً:

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

يعني: وجدناه غافلاً.

عاشرت هؤلاء القوم فما أجبنتهم؛ يعني: ما وجدتهم جبناء.

عاشرت هؤلاء القوم فما أبخلتهم؛ أي ما وجدتهم بخلاء:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾

[سورة الكهف الآية:28]

من وجدناه غافلاً، ليس المعنى: أننا خلقنا فيه الغفلة، إلا أن يؤتى فهماً في كتاب الله.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة الآية:13]

هذه فسرها أنت, فسرها تفسيراً يليق بكمال الله, يليق بعدالته, لو شئنا؛ لكن لم نشأ:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

[سورة السجدة الآية:13]

ولكن لم نشأ.

كيف توفق هذه الآية مع آلاف الآيات:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[سورة النساء الآية:27]

كيف توفق بين هذه الآية وبين قوله تعالى:

﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

[سورة إبراهيم الآية:8]

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

[سورة الزمر الآية:7]

كيف توفق بين هذه الآية وبين قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِدَالِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود الآية:119]

كيف؟ لا بد من أن توتى فهماً في كتاب الله, يجب أن تقول:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

[سورة السجدة الآية:13]

يعني: يا عبادي, إنكم تزعمون أنني أجبرتكم على المعاصي, هذا وهم, لو أنني أريد أن أجبركم على أعمالكم, وأن ألغي اختياركم, وأن ألغي التكليف, وأن ألغي الأمانة التي حملتكم إياها, لو أنني أردت أن أجبركم على شيء, لما أجبرتكم إلا على الإيمان والهدى.

إذا القضية بالإجبار: لا أجبركم إلا على الهدى, ولو شئنا أن نلغي اختياركم, نلغي حمل الأمانة, نلغي التكليف, لو أردنا أن نلغي هويتكم, وأن نجعلكم مخلوقات مسيرة, إن أردنا أن نجبركم على شيء, ما أجبرناكم إلا على الهدى, ولكن هذا الذي تفعلونه بمحض اختياركم, ومن كسبكم, وسوف تحاسبون عليه, أما ادعاؤكم أنني أجبرتكم عليه: هذا دعاء باطل, لا أصل له:

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة الآية:13]

والله -أيها الأخوة- تقرأ تفسير آية, تطير طيراناً محبة لله, تقرأ تفسير آية ثانية, فالإنسان لم يؤت فهماً بكتاب الله, لم يعلم التأويل, تشعر أنك شللت, وأنتك بركت في أرضك. فالعبرة أن تفهم هذه الآيات.

ما النتيجة التي يحصل عليها العبد حينما يفهم تأويل هذه الآية بشكلها الصحيح؟ :

لذلك قال تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

[سورة يونس الآية:39]

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾

[سورة يونس الآية:39]

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

[سورة يونس الآية:39]

يعني أنت حينما تقرأ ظاهر الآية ولا تفهمها, قد تكون على بعض الحق, أما حينما يأتيك تأويلها الدقيق, لا بد من أن تكون واثقاً من عظمة هذا الكتاب.

هذا تبويب القرآن :

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾

[سورة الأنعام الآية:115]

القرآن كله: لا يزيد عن أن يكون أمراً وخيراً؛ فالأمر عدل, والخبر صدق, القرآن كله: إما انه يأمرنا, أو يُخبرنا. الله الذي خلق السموات والأرض يخبرنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[سورة الحشر الآية:18]

يأمرنا, فالقرآن كله يمكن أن يبوب في بابين: أمر وخبر:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾

[سورة الأنعام الآية:115]

انتهى الأمر.

ابن عباس أصاب في تأويل هذه الآية :

إذاً: ابن عباس: علمه الله التأويل.

قال له:

((يا بن عباس! ما تقول في هذه الآية؟ قال: هو أجل النبي -عليه الصلاة والسلام- أَعْلَمُهُ لَهُ))

لذلك: عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت:

((ما جعل رسول الله -ﷺ- صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا
وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي))

وفي رواية في الصحيحين عنهما: كان -عليه الصلاة والسلام- يَكْتَبُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ:

((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

ومعنى يتأول القرآن: أي يعمل به، والتأويل أحياناً: وقوع الوعد والوعيد.

ما معنى التأويل؟ :

حسناً: قال لإنسان مدخن، قال له: أنت سوف تصاب بجلطة ضمن ستة أشهر، وهذا الذي قاله صحيح، وفعلاً: أصيب بجلطة بعد خمسة أشهر، هذا ليس علم غيب، علم بالقوانين، حينما أصيب بجلطة، بعد أن توقعها الطبيب.

نقول: هذه الإصابة هي تأويل كلام الطبيب.

الله عز وجل: إذا وعد المتصدق أن يزيد في ماله، وأوعد المرابي أن يحق ماله، محق مال المرابي، وزيادة مال المتصدق، هو تأويل هذه الآية:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية: 276]

معنى التأويل الدقيق: وقوع الوعد والوعيد، ما الذي يدعم إيمانك بالقرآن؟ أن يأتي تأويله، وتأويله: وقوع الوعد والوعيد، ما الذي يدعم إيمانك بالقرآن؟ أن يأتي تأويله، والإنسان -أحياناً- ينبغي أن ينتظر تأويل القرآن.

افهم جيداً :

يعني قد تجد إنساناً ذكياً جداً، ممثل من الطراز الأول؛ ورع، ونزاهة، واستقامة، وصلاح، ودين، لكن لا يصلي، يحيرك، يا أخي فهيم، أمين.

الله عز وجل قال:

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 73]

الإنسان الذي قلب الموازين عندك، كيف لا يصلي، وكيف صادق، وأمين، وحقاني، وخدم، ونشيط، لما تسنح له الفرصة: يضرب ضربته القاصمة، حينما يخونك، تأكد أنت: أن غير المؤمن لا يمكن أن يستقيم لك، ترتاح، هذا ظني به.

لذلك: الإنسان لا يتورط بشراكة مع إنسان غير موثوق في دينه، لا يتورط في زواج، لا يتورط في علاقة متينة مع إنسان بعيد عن الدين، لا بد من أن يغدر به.

ما هي الكلمات التي كان النبي يكثر نكرها قبل أن يموت، ولم كان يذكرها؟ :

وفي رواية لمسلم: كان -عليه الصلاة والسلام- يكثر أن يقول قبل أن يموت:

((سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالت عائشة: قلت: يا رسول الله! ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: جعلت لي علامة في أمتي، إذا رأيتها قلتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾))

احفظ هذا القول للعكبري :

أيها الأخوة، أعظم شيء تفعله في حياتك الدنيا: أن تفهم كلام الله، وكلام الله يُؤخذ ممن فهمه.

قال العُكْبَرِي: تُؤخذ ألفاظ القرآن من حفاظه، وتُؤخذ معانيه ممن يعاني.

أيها الأخوة الكرام: إلى درس قادم إن شاء الله.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-96} : بيان كثرة طرق الخير 1

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى -فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 1998-09-26

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما هما الشيطان الأساسيان في حياة الإنسان؟ :

أيها الأخوة الكرام:

شيطان أساسيان في حياة الإنسان: أن يؤمن بالله, وأن يعمل صالحاً, حينما تؤمن بالله الإيمان الكافي, إبليس آمن بالله. قال:

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

[سورة الأعراف الآية:12]

ما معنى ذلك: أنه من آمن بالله خالقاً, ثم قال:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة ص الآية:81]

آمن بالرب, وآمن بأنه عزيز, هذه صاروا ثلاثة. وقال:

﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية:14]

آمن باليوم الآخر, هو إبليس.

قف عند هذا الكلام :

كلام دقيق أقوله لكم.

العلماء قالوا: هناك توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

حينما تؤمن أن لهذا الكون خالقاً واحداً، ورباً واحداً، ومسيراً واحداً، وأن في هذا الكون نظاماً يدل على منظم، وتسييراً يدل على مسير، وحكمة تدل على حكيم، هذا كله، وأن الله واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، هذا كله اسمه توحيد الربوبية، لو آمنت بهذا كله لا تتجور، بقي عليك توحيد الألوهية: أن تأتي أفعالك مطابقة لمنهج الله.

يعني في إيمان بالله، وفي طاعة له، هذا المعنى موضح في الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

[سورة فصلت الآية:6]

هذا ملخص القرآن :

الآن: ربنا عز وجل سيلخص القرآن كله:

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة فصلت الآية:6]

هذا توحيد الربوبية.

ما هو المطلوب منك؟ :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

المعرفة شيء، والحركة وفق المعرفة شيء آخر، أن يكون اعتقادك صحيحاً شيء، وأن يأتي فعلك مطابقاً

لاعتقادك شيء آخر؛ فإذا آمنت بالله مريباً، مسيراً، واحداً في ذاته، واحداً في صفاته، واحداً في أفعاله، ولم تطعه، هذا الإيمان لا ينجي، سماه بعض العلماء: إيمان إبليسي، لأن إبليس قال له:

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾

[سورة ص الآية: 81]

آمن بالله رباً، وآمن به عزيزاً، وآمن به خالقاً، وآمن باليوم الآخر، ومع ذلك إبليس.

إذاً: بحاجة إلى أن تؤمن، بل إلى أن تأتي أفعالنا وفق ما تؤمن، هذا المطلوب، فبعد أن تؤمن الإيمان الكافي، الذي يملكك على طاعة الله، ما هو أهم عمل في حياتك هنا؟.

التجارة ما أهم شيء فيها؟ الربح، ما لم تريح: لا قيمة لهذه التجارة، الجامعة أهم شيء فيها النجاح، الدين أهم شيء فيه التطبيق، فالإيمان الذي لا يملكك على طاعة الله لا قيمة له.

ما الذي ينجي المسلمون؟ :

العالم الإسلامي، يعد مليار ومئتي مليون، طبعاً كلهم يعتقد: أن الله خالق الكون، ويعتقد: أن رسول الله هو رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن الجنة حق، والنار حق، ومع ذلك هان أمر الله عليهم، فهانوا على الله، ما الذي ينجي المسلمون؟ أن تأتي أعمالهم وفق منهج ربهم، هذا الشيء الأساسي.

ما الذي يحمل العبد على طاعة الله بعد الإيمان؟ :

فبعد أن تؤمن الإيمان الذي يملكك على طاعة الله، يجب أن تعلم أن هذه الحياة الدنيا، ما هو أهم شيء فيها؟ العمل الصالح، طالبني بالدليل، الدليل: أن الإنسان حينما يأتيه ملك الموت يقول:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

قف هنا :

إنسان ذهب لفرنسا، لبريطانيا، وأمريكا، ينال دكتوراه، كم خيار أمامه؟ مساء في ملهى، في سينما، في نادي ليلي، في حديقة عامة، في مكتبة، في مسرح، في تنزه بالطرقات، في شراء حاجيات، في استلقاء بالفرش، وفي دراسة، لأنه أتى إلى هذه البلدة لينال الدكتوراه، الشيء الذي لا ثاني له في هذا المكان: هو أن يدرس.

صدقوني -أيها الأخوة- وأنت بعد أن تعرف الله، وبعد أن تؤمن به، الإيمان الذي يحملك على طاعته، في شيء وحيد بحياتنا لا ثاني له: هو أن تعمل عملاً صالحاً يكون زادك يوم القيامة، أن تعمل عملاً صالحاً يصلح للمعرض على الله، أن تعمل عملاً صالحاً يكون ثمناً للجنة فقط. أكبر دليل:

الإنسان حينما يأتيه ملك الموت، لا يندم على شيء فاته من الدنيا إلا العمل الصالح، هل سمعتم إنسان على فراش الموت، قال له: يا رب حتى البضاعة تنتهي من الجمارك، لا أحد يقولها، يا رب حتى أنهي صب السقف، بقي صب السقف، أبداً.

الدنيا تسقط بمالها، وبيوتها، وبساتينها، وملاذها، وفتتها، يبقى العمل الصالح.

من الأعمال الصالحة التي تستمر بعد الموت :

نحن أحياء الآن، نحن أحياء، والأعمال أمامنا موفورة، الآن: العمل الصالح الذي خلقنا من أجله، خلقنا في هذه الدنيا لنعمل عملاً صالحاً، يؤهلنا لدخول الجنة، هذا العمل متنوع جداً، أعظم عمل على الإطلاق: أن تستطيع هداية إنسان، إن هذا العمل لا ينتهي بالموت، لا ينتهي لا بموته، ولا بموتك.

الآن: أطعم فقيراً، شبع، قال لك: يجزيك الله خيراً، في اليوم الثاني جاع ثانية، الوجبة انتهت، أكلها.

أعطني خمسة آلاف، صرفهم، عالج مريضاً، طاب انتهى، كل أعمالك الصالحة تنتهي عند الموت، إلا إذا كنت سبباً في هداية إنسان.

((يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك مما طلعت عليه الشمس، وخير لك من حمر النعم، وخير لك من الدنيا وما فيها))

أعظم عمل: هو الذي يستمر بعد الموت.

قد يقول أحدكم: يا أخي، والله أنا لا أعرف أتكلم، هذا الكلام للعلماء، حسناً: إذا أنت ربيت ابناً عالماً، كل أعماله في صحيفتك، إذا تبنيته داعية؛ طالب علم أفريقي، تركي، اعتنيت به، وأنفقت عليه، كل دعوته عندما يرجع لبلده في صحيفتك، إذا لا يوجد عندك إمكان تتكلم، أخذت مئة شريك، وزعتهم بين أقبائك، حتى اشتاقوا للجامع، التزموا، استقاموا، كلهم في صحيفتك.

أعظم عمل هو الهداية؛ لأنه لا ينتهي بموت صاحبه، ولا يموت المهتدي.

صدق من قال هذا القول :

لما قالوا: لك أب أنجبك، ولك أب زوجك، ولك أب ذلك على الله؛ الأب الذي أنجبك ينتهي فضله عند الموت، والأب الذي زوجك يبدأ فضله من يوم العرس إلى يوم الفراق؛ إما أن تفارقها، وإما أن تفارقك، هل يوجد شيء غيره؟ وأما الأب الذي ذلك على الله، يبدأ فضله من يوم اهتديت إلى الله، ويستمر إلى أبد الأبدين؛ منحك السعادة الأبدية، منحك الهدى، فحينما تعلم أنك مخلوق للعمل الصالح، لا يعلو شيء على عمل صالح.

نقطة مهمة :

في نقطة مهمة: هذا العمل الصالح يُقيّم باتساع رقعته، وامتداد أثره، وامتداد أمده، وعمق أثره، والنية التي وراءه، أربعة عوامل تقيّم العمل الصالح.

في عمل صالح لا يزيد عن نطاق الأسرة، جيد، اعتنى بأولاده؛ لكن في عمل صالح، اعتنى بأولاده، وأولاد أخواته، وبنات أخواته، هنا، في إنسان اهتدى على يده مئة شخص، إنسان ألف، في إنسان -وهو سيد الأنام-، كل المسلمين من بعثته وإلى يوم القيامة في صحيفته، أبدأ، هذا عمل.

الذي فتح مصر، الذي فتح أفريقيا، الذي فتح الصين، مئتا مليون مسلم يوجد في الصين، مئتا مليون.

فلذلك: العمل الصالح أعلى شيء فيه: الدعوة إلى الله, والدليل: يقول الله عز وجل:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:52]

ثاني شيء: اتساع رقعته, ثالث شيء: اعتنيت بإنسان, مشى معك شهرين, بعد ذلك انتكس, قصيرة, أما اعتنيت بإنسان, استنقام, وبقي مستقيماً, وتزوج امرأة صالحة, وأنجب ذرية مؤمنة, فامتداد الأمد, اتساع الرقعة, وامتداد الأمد, وعمق التأثير في إنسان ملتزم أقصى التزام, يحاسب نفسه على النظرة, على الكلمة, في إنسان ترك الكبائر نعمة, ويصلي, أما في إنسان يحاسب نفسه على الخاطر, وعلى النظرة, وعلى الكلمة, هذا التأثير في عميق جداً.

الإيمان يحتاج إلى حركة :

أيها الأخوة, لا تصدق إنساناً عرف الله عز وجل يبقى ساكناً, هذا الإيمان عجيب؛ إن استقر في قلب المؤمن, عبر عن وجوده بحركة نحو الآخرين, إنسان ساكت لا يوجد. فالمؤمن همه

سيدنا عمر طعن أثناء الصلاة, وقع في غيبوبة, فلما أفاق -إنسان مطعون, ماذا يريد أن يقول؟- قال: صلى المسلمون الفجر.

سأل عن صلاة الفجر: صلوها؟ هذا همه الأول.

((من أصبح وأكبر همه الدنيا, جعل الله فقره بين عينيه, وشتت عليه شمله, ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له, ومن أصبح وأكبر همه الآخرة, جعل الله غناه في قلبه, وجمع عليه شمله, وأتته الدنيا وهي راغمة))

محور الدرس :

محور الدرس: بعد أن تعرف الله المعرفة التي تحملك على طاعته, لا شيء في حياتك على الإطلاق يعلو على العمل الصالح؛ لأنه سر وجودك, ولأنه غاية وجودك, ولأنه ثمن الآخرة, ولأنه ثمن الجنة, وكلما كان متعلقاً بهداية الآخرين, كان أمده إلى يوم القيامة, بل إلى أبد الأبد. بالمناسبة: أعظم عمل صالح على الإطلاق: هو الذي يستمر بعد موت صاحبه.

هذا ما سمعته من لبنان :

كنت في لبنان من أسبوع، في إذاعة لدار الفتوى، سمعت شريطاً لعالم توفي، والله شيء جميل، هو تحت الأرض، وصوته يدعو إلى الله، أنا أعتقد: ممكن لمئة سنة قادمة، لألف سنة قادمة: تُذاع أشرطة، هذا شيء عظيم، ويوجد بالمقابل مغن، هو الآن تحت أطباق الثرى، ودائماً: أغانيه التي تُهيج الجنس في كل مكان، وفي كل إذاعة؛ فالغناء مستمر، والقرآن مستمر، أعظم الأعمال على الإطلاق: هي الأعمال التي تستمر بعد موت صاحبها، وأخطر الأعمال على الإطلاق: هي الأعمال التي تستمر بعد موت صاحبها.

ماذا تستنبط؟ :

أنا مرة قلت لكم: دعينا لافتتاح مسجد في الصبورة، لفت نظري: أن الذي عمر المسجد يعني تألقه عجيب، يرى مسجداً ضخماً، بناه كاملاً، لم يتلق من أحد قرشاً، ودعا العلماء على غداء، وأُقيمت كلمات بمناسبة افتتاح هذا المسجد، وانتهى الاحتفال، واتجهت إلى الشام، خرجت من هذا المكان إلى الطريق العام، فإذا على المقابل ملهى، ملهى أنشأه صاحبه، وجعل فيه كل الموبقات، كل الموبقات المحرمة، ومات بعد افتتاحه بأسبوع، أو فطس بعد افتتاحه بأسبوع.

قلت: سبحان الله! على الضفة اليسرى جامع، والضفة اليمنى ملهى، بعد حين صاحب الملهى مات، وصاحب المسجد مات، وبقي العمل الصالح إلى أبد الأبد.

فاعل الخير خير من الخير :

في كلمة عن سيدنا علي قال: فاعل الخير خير من الخير.

-إنسان أسس مستشفى لوجه الله، والمعالجة مجانية، هذه إلى متى؟ تنتهي يوم القيامة، قامت الساعة، وانتهى كل شيء، لم يعد في مستشفى، انتهى هذا العمل عند قيام الساعة، لكن الذي أنشأ هذه المستشفى لوجه الله، يسعد بهذا العمل إلى أبد الأبد، أليس كذلك؟.

إذاً: فاعل الخير خير من الخير.

وفاعل الشر شر من الشر :

الذي ألقى قنبلة على هيروشيما، وقتل ثلاثمئة ألف إنسان في ثانية، القصة هذه من كم سنة؟ حسناً: لبعده عشرين سنة ثانية، لو ما ألقيت، كانوا -جميعاً- ميّتين، وحكماً لبعده عشرين سنة، كل إنسان مات بالقنبلة، لا بد من أن يموت حكماً بعد فترة، يعني الشر انتهى، لكن الذي ألقى هذه القنبلة، أو الذي أمر بإلقائها، يشقى بهذا العمل إلى أبد الآبدين-.

وفاعل الشر شر من الشر.

الشر ينتهي عند قيام الساعة، والخير ينتهي عند قيام الساعة، أما الذي فعل الخير: يسعد بهذا الخير إلى يوم القيامة، والذي فعل الشر: يشقى بهذا الشر إلى أبد الآبدين.

ما الذي يدفعك إلى العمل الصالح؟ :

أخواننا الكرام، نحن الباب اليوم: بيان كثرة طرق الخير، العمل الصالح أعلى شيء فيه: الهداية، أخطر شيء فيه: أن يستمر بعد موت صاحبه، أن يطول أمده، أن تتسع رقعته، أن يعمق أثره، أن يكون خالصاً لوجه الله، الآن: ما الذي يدفعك إلى العمل الصالح؟.

إذا أنت زرت مريض، وأخذت معك هدية، ماذا تفعل؟ تضع بطاقة: هذه بالشفاء العاجل، إن شاء الله من فلان، لماذا؟ تخاف أن يأخذها ابنه منك، ولا يبلغه، راح ثمنها سدى، فيجب أن تعلمه، لو تقول له: ليكون أنا أخفيت لك الثريا، إن شاء الله تعجبك، أنت ليس همك تعلمه، تقول له: أنا أرسلك لك هدية.

فالذي يفعل الخير، يجب أن يعرف الطرف الآخر: أنه فعله، الله طمأنك، قال لك:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية: 215]

في حاجة للرخامة؟ أنشأ هذه المئذنة المحسن الكبير، لا يوجد حل، يوجد شخص إذا لا تضع رخام، لا يعطيك شيء، يريد رخامة أول، تضع رخامة؟ نعم أضع، هل تنتهي منه؟:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية: 215]

حسناً: إذا: أحد أكبر الدوافع: العمل الصالح, لأن الله يعلم؛ لا تحتاج إلى وصل, ولا حلف يمين, ولا بيان, ولا رخامة, ولا شيء.

من بواعث الإنفاق في سبيل الله :

طيب في شي ثان: الله يعلم وسيعوض:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

أبدأ:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

هاتان الآيتان يعلم وسيكافىء: أكبر باعثن للإنفاق؛ أنه يعلم, وأنه سوف يكافىء:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾

[سورة البقرة الآية: 197]

آية ثانية:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية: 7]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾

[سورة فصلت الآية:46]

ما معنى هذا الحديث؟ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، هذا عمل صالح.

الآن: بالبيت في عمل صالح؛ تكون أباً راقياً عمل صالح، تكون ابناً باراً عمل صالح، تكون الزوجة امرأة صالحة عمل صالح، تكون أخاً رحيماً عمل صالح، تكون جاراً طيباً عمل صالح، تكون بائعاً مستقيماً.

لم التاجر الصدوق مع النبيين؟ :

أنا حديث حيرني:

((التاجر الصدوق مع النبيين))

معقول! حسناً: ماذا عمل؟ باع، واشترى، وبيع، ومع النبيين، والله كبير عليه الحديث، لا ليس كبيراً، التاجر الصدوق دعا إلى الله بمعاملته؛ داعية، صادق، أمين، لا يكذب، لا يحتال.

من صفات التجار الصالحين :

((إن أطيّب الكسب كسب التجار -ورد في الأثر-؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان لهم لم يُعسروا، وإذا كان عليهم لم يماطلوا))

سبع صفات؛ فلما الإنسان يكون مستقيماً، صار تاجراً داعية.

اتجاه لطيف :

يوجد في الأزهر -الآن بمصر- اتجاهاً لطيفاً؛ في كلية طب بالأزهر، كلية علوم، كلية هندسة، يعني نريد أن نرسل للبلاد الأخرى طبيباً داعية، مهندساً داعية، أستاذ علوم داعية.

فالتاجر الصدوق مع النبيين إلى يوم القيامة، والصديقين، التاجر داعية بمعاملته الطيبة، وأخلاقه الحسنة.

هذا التاجر: ما قولكم تفسيرها؟.

ت: تقي، والألف: أمين، والجيم:، والراء: رؤوف، هذه سابقاً، أما الآن سابقاً.

إنسان إذا كان ذكر الأزهر، يقول: الأزهر الشريف سابقاً، المؤمن هكذا، التاجر: داعية إلى الله باستقامته.

((لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

الحديث الأخير :

آخر حديث:

((الإيمان بضع وسبعون شعبة))

زاد في رواية: وأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق))

إذا الإنسان أزاح قشرة موزة في الطريق، هذا عمل صالح.

((الحياء شعبة من الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-97} : بيان كثرة طرق الخير 2

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-10-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما سبق ذكره :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا في فصل, أو في باب: بيان كثرة طرق الخير.

كنت أصر: على أن يعلم الإنسان علم اليقين, لماذا هو في الدنيا؟ هو في الدنيا من أجل شيء واحد, من أجل عمل صالح يكون ثمناً للجنة, أو سبباً لدخول الجنة, إلا أن هذا العمل الصالح الذي هو سبب دخول الجنة: لن يكون إلا بعد معرفة الله.

قلت في درس سابق: إن الحد الأدنى من معرفة الله, هو الذي يحمك على طاعة الله, فما دامت هذه المعرفة, تقضي بك إلى الطاعة, فهي معرفة يافعة, أما المعرفة التي لا تحملك على طاعة الله, معرفة لا قيمة لها, بل إن إبليس -كما ذكرت لكم في درس سابق-: هو يؤمن أن الله خلقه. قال له:

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

[سورة الأعراف الآية:12]

﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية:14]

آمن بالآخرة. قال له:

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾

[سورة ص الآية: 81]

آمن بأن الله ربه، وأنه عبيد، وكل هذا لم يحل بينه وبين المعصية، فإيمان كهذا الإيمان: هو إيمان إبليسي.

من الأعمال الصالحة :

بعد أن تؤمن الإيمان في حده الأدنى، الذي يملك على طاعة الله، لا ينبغي للمؤمن الصادق أن يكون له عمل أكثر، من أن يعمل عملاً صالحاً يتقرب به إلى الله، وأبواب العمل الصالح في الدنيا لا تعد ولا تحصى، أينما تحركت هناك فرص للعمل الصالح، أينما تحركت؛ وأنت في بيتك، وأنت مع أولادك، وأنت مع أمك وأبيك، وأنت مع زوجتك، وأنت في الطريق، وأنت في العمل، الأعمال الصالحة كثيرة جداً، بل إن الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، بل إن العمل الذي تعمله، والحرفة التي تحترفها، والمهنة التي تمتنها، إن كانت في الأصل مشروعة، وسلكت فيها الطرق المشروعة، الشرعية، وأردت منها كفاية نفسك، وأهلك، ونفع المسلمين، ولم تشغلك عن طلب علم، ولا عن طاعة، ولا عن واجب ديني، انقلبت حرفتك إلى عبادة.

فهؤلاء الناس الكثر، الذين يعملون صباح مساء في أعمال شاقة، لو عرفوا الله، وعرفوا سر وجودهم، لأصبحت حرفهم عبادات، بالمعرفة تصبح العادات عبادات، من دون معرفة قد تكون العبادات الخالصة آثام، الهجرة عبادة خالصة.

((ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))

دقق في هذه الكلمة :

دقق في هذه الكلمة: المباحات مع معرفة الله، ومع ابتغاء وجه الله: تنقلب إلى عبادات، والعبادات المحضنة من دون معرفة: تنقلب إلى آثام، لأنه فيها شرك، فيها نفاق، والعمل -كما ذكرت في درس سابق- يُقِيمُ بنيته.

((إنما الأعمال بالنيات))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

ويقيم العمل -أيضاً- بامتداد أمده، ويقيم باتساع رقعته، ويقيم بعمق تأثيره.

من الأعمال التي ترضي الله :

فالأعمال كثيرة، لكن كما هي في الدنيا، يمكن أن تتعامل بعملة تركية، يمكن أن تتعامل بالدولار، كلاهما عملات، لكن عملة ساقطة، ثلاثة آلاف وسبعمئة ليرة تركي، يساوي دولاراً واحداً، ففي أجور بعملات ساقطة، وفي أجور بعملات غالية جداً.

فمن الأعمال التي ترضي الله عز وجل: أن تكون سبباً في هداية إنسان، ليس شرطاً أن تكون أنت داعية، لكن لو كنت طالب علم، ونقلت ما في درس معين إلى أخ، إلى صديق، إلى جار، إلى ابن، إلى زوجة، بشريط، بنقل شفهي، يعني أنت تعلم وعلم.

من لوازم الدعوة إلى الله :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في سننه]

ادع إنساناً إلى مجلس علم، أسمعته شريطاً، حدثه عن موضوع تأثرت به، إنك إن وصلت إلى هداية إنسان بإقناعه، والتلطف به، وإكرامه، إن وصل هذا الإنسان إلى الله، كل أعماله في صحيفتك، فذلك: الدعوة إلى الله فرض عين، وهي صنعة الأنبياء، فرض عين لقوله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف الآية:108]

فلن تكون متبعاً لرسول الله، إلا إذا دعوت إلى الله على بصيرة، ولقوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

فالتواصي بالحق: أحد أركان النجاة، بل هو ربع النجاة:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

من خصائص المؤمنين والمنافقين :

وقد ذكرت لكم من قبل: أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملكين ليهلكا قرية، قالوا:

((يا رب، إن فيها رجلاً ما عصاك ساعة في حياته، قال: به فابدؤوا -ولم؟- قال: لأن وجهه لم يكن يتمعر

حينما يرى منكراً))

يعني: لم يأمر بالمعروف، ولم ينه عن منكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: من أخص خصائص النبي، ومن أخص خصائص المؤمنين، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف: من أخص خصائص المنافقين، بل إن الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، تأتي مرتبتهم بعد الأنبياء في آيات كثيرة.

فلذلك الدرس اليوم: توسيع للدرس الماضي، لا بد من أن يكون لك عمل صالح تلقى الله به.

((يا بشر، لا صدقة، ولا جهاد، فبم تلقى الله إذا؟))

نقطة مهمة :

في نقطة مهمة جداً: شخص يعرف أنه لن يموت الآن، خطأ، هذا طبعاً خطأ كبير، لا يوجد إنسان مات، إلا وهو يعتقد: أنه سيعمر عشرات السنين، فتعامله مع مغادرة الدنيا تعامل شكلي، تعامل غير حقيقي، أما لو -لا سمح الله ولا قدر- أشرف الإنسان على مغادرة الدنيا، فالقضية -الآن- تصبح خطيرة جداً.

يعني: أخ كريم قال لي: يعني دخلت مستشفى من أجل أزمة قلبية، صرت أبكي، أقول: يا رب؛ دعني أياماً حتى أتعرف عليك، دعني أياماً حتى أتوب إليك، دعني أياماً حتى أعمل صالحاً ترضى به عني. فنحن نعيش بحكم الاستمرار، أما لو الإنسان وقع بمشكلة، وغلب على ظنه أن قد يغادر الدنيا، يا لطيف! يتغير تغيراً جذرياً. فلذلك: التفرُّك بالموت من أوامر النبي -عليه الصلاة والسلام- إذ يقول:

((أكثرُوا ذكر هادم اللذات، مشئت الجماعات، مفرق الأحاب))

((عشت ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

عمل قد يغيب عن الأذهان :

((رجلٌ يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكل الثرى من العطش، فقال -هذا- الرجلُ: لقد بلغ هذا الكلبُ من العطشِ مثلُ الذي بلغَ مني، فنزل البئرَ، فملاً حُفَّهُ ماءً، ثم أمسكه بفيه، حتى رقي، فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له، فغفرَ له))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه، ومالك في الموطأ]

سقى كلباً؛ لكن بإخلاص شديد، سقاه في الصحراء، لا يوجد إنسان يراه، ونحن في المجتمعات، في إنسان يثني عليك، إنسان ينتبه لك، إنسان يقدرك، إنسان يمدحك، ففي الأعمال الصالحة مشوبة بالشرك أحياناً، أما حينما يكون الإنسان في الصحراء، ليس هناك من يشكرك، وليس هناك من يرى عملك، إلا أنك إن فعلت خيراً، تقعله ابتغاء وجه الله صرفاً، فهذا عمل.

ما رأيكم؟ :

((لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي المسلمين))

يعني: شخص يركب سيارته، يمشي على مئة وعشرين، وجد في المنتصف حجر، هل توجد عنده حيوية أن يوقف يزيحه؟

هذا من أعظم الأعمال، هذا الحجر الكبير: قد يسبب موت إنسان، قد يسبب حادث مروع، قد تأتي سيارة إلى

جانب الحجر، والمقابلة مسرعة جداً أمام الحجر، لا تستطيع أن تتلافي، فهذا الذي نزل من مركبته، ويزيح هذا الحجر عن الطريق، له أجر كبير.

ملاحظة :

كنت ألاحظ أحجاراً كبيرة في منتصف الطريق، لا أفهم لماذا؟ ثم تبين لي: أن هذه الشاحنات الكبيرة، يوضع الحجر وراء الدولاب، فإذا أفلعت، يستمر، ويمشي، وحجر كبير مكعب، هذا يؤدي من في الطريق؛ فأن تزيح شيئاً يؤدي المسلمين من الطريق، هذا عمل صالح، أن تسقي كلباً.....

الآن: إذا إنسان يتلافي، يدوس، أو يقتل دجاجة، أو خروف، لأنه يوجد لها أصحاب، أما الكلب يقول لك: ليس مشكلة، المؤمن يتورع عن قتل كلب خطأ، كما يتورع عن قتل غنيمة، أو دجاجة، هذا له رب سيحاسبني عنه، لم تعذبه؟

عمل يخص المزارع :

حديث آخر:

((ما من مسلم يغرس غرساً، إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أنت زرعت زرعاً، كل من أكل من هذا الزرع حتى الطير، حتى بنو آدم، حتى الذي يسرق ليأكل، لك به أجر، ولك به صدقة.

ما وراء هذا المثال :

العبرة: أن الإنسان ينطلق في الدنيا من عمل صالح، يبيض وجهه به عند الله، وأنت لاحظ:

إذا جندي رئيسه بالجيش لواء بالجيش، لا يستطيع أن يدخل إلى عنده ولا بعشرة أيام، ولا بشهر، بالتسلسل، أما لو هذا الجندي وجد ابن معلمه، ابن اللواء، يسبح بمكان، وشارف على الغرق، فألقى نفسه فوقه، وأنقذه، يستطيع هذا

الجندي أن يدخل على اللواء من دون إذن, يقول له: أهلاً وسهلاً, الله يرضى عليك, عملت معي عملاً لا أنساه لك حتى الموت, مع أنه رتبة عالية جداً , ورتبة متدنية جداً.

ما الذي جعله يقتحم, ويدخل بلا استئذان؟ عمله الصالح, عمله الصالح دفعه, وكل واحد منا إذا كان له عمل صالح, شيء رائع جداً. قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

وقفة متأنية :

نقف هنا وقفة متأنية: في طريق إلى الله, كل معصية عقبة كؤود على هذا الطريق, كل معصية, لن يكون الطريق سالكاً, إلا إذا أزحت كل هذه العقبات, كلما تبت من معصية, أزحت عقبة, إلى أن تتوب من كل المعاصي, ترى الطريق إلى الله سالكاً, ليس من السهل أن يكون الطريق إلى الله سالكاً, حينما تتوب من كل المعاصي والآثام, ترى الطريق إلى الله سالك.

الآن ماذا عليك بعد هذا؟ أن تمشي على هذا الطريق, المشي على هذا الطريق عن طريق العمل الصالح, لأن العمل الصالح يرفعك, الاستقامة تُنجيك من المعاصي, من المصائب, والعمل الصالح يقربك من الله؛ فالسلامة تحتاج إلى استقامة, والسعادة تحتاج إلى عمل صالح, العمل الصالح يرفعك.

هل ينفك العمل الصالح عن الاستقامة؟ :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

والاستقامة, والعمل الصالح: ينبغي أن يجتمعا, لأن كلا منهما شرط لازم غير كاف, كلاهما شرط لازم غير كاف.

لك يا مسلم :

بنو سلمة: أرادوا أن ينتقلوا قرب المسجد, فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ- فقال لهم:

((إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد, فقالوا: نعم يا رسول الله! قد أردنا ذلك, فقال: يا بني سلمة دياركم -يعني: الزموا دياركم- تُكتب آثاركم))

يعني: هذا الذي يأتي من مكان بعيد, له أجر مضاعف عن الذي يأتي من مكان قريب.

حدثني شخص من أمريكا :

والله مرة كنت في أمريكا, في درس ألقيته, قال لي شخص, قال لي: والله -يا أستاذ- أنا قادم إليك من ستمئة ناين, يعني ألف كيلو متر, هذا كم ساعة في؟ ثماني ساعات, ليستمع لهذا الدرس, حسناً: معقول واحد يسكن جانب الجامع, يكون له أجر كأجر هذا؟ مستحيل.

اعلم هذا :

الإنسان كلما بذل جهداً, لقي ثمرة, الحج, لماذا الحج؟ إذا الإنسان حج بيت الله الحرام حجاً مبروراً, رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الحج في مشقة, أنت تصلي في بيتك, تصلي في الجامع جانب بيتك, تصلي في بلدك, تزكي في بلدك, تصوم في بلدك, أما الحج؛ تركت البيت, والزوجة, والأولاد, والأهل, والجيران, ومكانتك, وهيمنتك, ومكتبك التجاري, وحياتك الناعمة, وغرفة نومك, والأكل الطيب الذي تحبه, لك أكالات خاصة, لك جلسات خاصة في البيت, هذا كله تركته, وآثرت تلبية نداء الله عز وجل على كل دنياك, وذهبت؛ حر شديد, ازدحام شديد, دفع أموال كثيرة, ازدحام لا يحتمل, كلما دُفع الثمن أكثر, كان القرب أكثر.

قال لهم:

((بنو سلمة دياركم, تُكتب آثاركم))

((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً: سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

إنسان أتى إلى المسجد؛ ليس له عمل، ليس له تجارة بالمسجد، ولا يوجد زبون وعده، ولا توجد صفقة، ولا يوجد تحقيق ربح، ولا يوجد شيء، أتى ليسمع كلام الله، أتى ليسمع كلام النبي -اللهم صل عليه-، فهذا الطريق الذي يسلكه إلى المسجد، هو طريقه إلى الجنة.

اقرأ بتمعن :

في حديث مقابل لهذا الحديث، قال:

((كان رجل، لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه -يعني: أبعد بيت عن المسجد-، وكان لا تُخطئه صلاة، فقيل له: -يعني: ما ترك صلاة في المسجد- لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي مشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال عليه الصلاة والسلام: قد جمع الله لك ذلك كله))

يعني: يوم الجمعة، الآن: أكثر الناس بالشتاء، يحمي السيارة ربع ساعة، من المهاجرين إلى الميدان، من أجل كيلو فول، يقول لك: فولاته طيبون، انظر، دقق، كيلو فول، يأتي على صلاة الجمعة، جانب بيته، أي مسجد، ليس مقتنعاً بالخطيب، يقول لك: أتتني على الصلاة فقط لحتى يسمع، يعني: نوا الصلاة يأتي؛ كيلو فول غال عليك، تنتقل من طرف لطرف، تحمي السيارة، من أجل أن تتعلم أمر دينك، لا تختار مسجداً تكون مقتنعاً بخطيبه، مقتنعاً بالمسجد، في خطبة ممتازة، في خطبة نافعة!!.

فلذلك -أيها الأخوة-: كلما كان هناك جهد أكبر، كان هناك ثواب أكبر.

كان نبيكم تعظم عنده النعمة مهما دقت :

((إن الله ليرضى عن العبد, أن يأكل الأكلة فيحمده عليها, أو يشرب الشربة فيحمده عليها))

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

[سورة إبراهيم الآية:7]

كان -عليه الصلاة والسلام-: تعظم عنده النعمة مهما دقت.

شخص شرب كأس ماء, والطريق سالك, هذه نعمة لا تقدر بثمن.

كان في أحد أخواننا, أصيب بفشل كلوي, فكلما يغسل بابين النفيس, في مرة قالت له الممرضة نعرته: لا تشرب ماء الجمعة, الآلة معطلة.

يعني: أنت لما تعطش, تشرب كأس ماء, كأسين, ثلاثة, ترتوي, هذه نعمة لا تقدر بثمن, لا تقدر بثمن, يكون معك مفتاح بيت.

هل تعرف قدر هذه النعمة؟ :

مئتان وأربعون مليون بلا مأوى بالصين, في الطريق, تصور أنت الساعة التاسعة ليس لك مكان تنام فيه, على الرصيف, تريد أن تخلخ ثيابك, أين تريد أن تخلخ ثيابك؟ لا في مخدة, ولا في فرشاة, ولا في شيء, الدنيا برد, الدنيا حر, طريق قذر, هكذا الحروب الأهلية, والعواصف, والأعاصير, والفيضانات, تعمل تشرد, الذي معه مفتاح بيت, لا يهم؛ أجرة لما ملك, منخفض لما مرتفع, كبير لما صغير, معك مأوى.

كان -عليه الصلاة والسلام-: إذا دخل بيته, يقول:

((الحمد لله الذي آواني, وكم ممن لا مأوى له؟))

إذا شخص ذهب للغرب, يجد بلادنا متخلفة جداً, إذا ذهب للشرق, يجد أغنياء جداً, أسرة بأكملها تتزوج, وتتجب, وتربي على الرصيف, بالهند لا يوجد بيوت, تسعمئة مليون, أسر بأكملها على الرصيف, له فروغ, أرقام فلكية,

فروغ في هذا الرصيف؛ هو وزوجته، وأولاده، ينام، يأكل، يشرب على الرصيف، هذه الأسرة، في صور عندي.
فإذا الإنسان ذهب للغرب، يرانا فقراء، أما لو شرق، يرى أن الحمد لله نحن في نعم لا تقدر، لا تحصي في نعم.
لذلك النبي علمنا قال:

((انظر لمن هو أدنى منك، فذاك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك))

ما ثمرة دروس العلم؟ :

أيها الأخوة، دروس العلم ثمرتها: أن تعرف الله، وثمرتها: أن تتأدب معهم، وثمرتها: أن تعرف نعم الله أيضاً،
والإنسان لما يعرف نعم الله عز وجل يحبه، لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((لما يغدوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي))

والله عز وجل قال:

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:5]

إذا الله عز وجل أكرمك، زوجك؛ كنت فقيراً أغناك، كنت أعزباً زوجك، كنت تفقد المأوى جعل لك بيتاً، ما عندك
أولاد رزقك أولاد:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾

[سورة الصافات الآية:102]

هذه نعم عظمى، والإنسان إذا كان في بحبوحة، وإذا كان في سعادة، لا يغير الله لا يغير، وإذا توجد عنده مشكلة،
يغير حتى الله يغير.

احفظ هذه الكلمات :

احفظوا أربع كلمات: إذا كنت في بحبوحة, ما عندك مشكلة صحية, ولا اجتماعية, ولا اقتصادية, مرتاح؛ زوجتك تعجبك, بيتك منتظم, أولادك أبرار, دخلك جيد, لا تغير لا يغير, على أحسن, لا تغير لا يغير, لك مشكلة كبيرة, المشكلة, بسبب مشكلة غير حتى يغير:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد الآية:11]

والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-98} : الإقتصاد في الطاعة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 10-10-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما ينبغي أن تكون عليه :

أيها الأخوة الكرام:

باب جديد من أبواب رياض الصالحين, وهو الباب الرابع عشر, وعنوانه: باب الإقتصاد في الطاعة.

الحقيقة الأولى: لا خير في الإسراف, ولا إسراف في الخير, ولا خير في الإسراف, أما الإسراف في الخير, لا يُسمى إسرافاً إطلاقاً, ولكن يُخشى أن يسرف الإنسان في الخير, فيمله ويدعه, هذه نفسها, إذا بقي متوازناً, معتدلاً, أعطى كل ذي حق حقه, هذا أعون على دوام المنهج؛ العبرة بالاستمرار, العبرة الثبات, العبرة الدوام, العبرة أن ينشأ ما يُسمى بالأثر التراكمي, أما الطفرة والهمود, الإقبال والإدبار, الصعود والهبوط, هذا يُنشئ في النفس عقدة: هي اليأس والنكسة, لذلك منهج النبي -عليه الصلاة والسلام- منهج متوازن.

من منهجية النبي عليه الصلاة والسلام أنه متوازن :

((أشدكم لله خشية أنا؛ أنام وأقوم, وأصوم وأفطر, أتزوج النساء, هذه سنتي, فمن رغب عنها فليس من أمتي))

فكل إنسان ادعى أنه يحب الله كثيراً, وأنه سيعبده عبادة فاقت السنة المطهرة, هذا إنسان أحقق أولاً, وإنسان يدعى شيئاً مستحيل المنال, ليس في الأرض كلها من هو أعلم بالله من رسول الله, ولا من هو أحب إلى الله من رسول الله, ولا من هو أشد خشية لله من رسول الله, ومع ذلك قال:

((أنام وأقوم، وأصوم وأفطر، أتزوج النساء، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي))

من الجهد المكلف في عنق الإنسان :

الشيء الدقيق: أن التصرف سهل، أما التوسط صعب، الاعتدال يحتاج إلى جهد، أما أن تترك الدنيا كلياً، أو أن تتكبد عليها كلياً، حالتان سهلتان، أما أن تأخذ منها، بقدر أن تأخذ منها بلغة للأخرة، أن تأخذ منها وتوظفه في الآخرة، فهذا يحتاج إلى جهد كبير.

لذلك -أيها الأخوة-، حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

يعني: مؤمن له حرفة، له صناعة، عنده اختصاص، يحمل شهادة، أو له خبرة؛ يعمل، يجهد، يكسب قوت يومه، ينفق على أهله، وعلى عياله، وعلى أولاده، وعلى أمه، وعلى أبيه، وهو يرقى عند الله، هذا خير، أما أن يأتي الإنسان، يتسكع على أبواب الأغنياء، ويبذل ماء وجهه لهم، ويتضعض أمامهم.

((ومن تضعض لغني، ذهب ثلثا دينه))

إشراقات من السنة :

أيها الأخوة الكرام، يوجد في السنة المطهرة أشياء مشرقة.

النبي -عليه الصلاة والسلام-: أمسك بيد عبد الله بن مسعود، وكانت خشنة، أمسكها ورفعها، وقال:

((إن هذه اليد يحبها الله ورسوله))

يد العمل.

يُروى: أنه سئل رجل يصلي في المسجد: من يطعمك؟ قال: أخي يطعمني، قال: أخوك أعبد منك، الذي يطعمك أعبد منك.

محور هذا الدرس :

فمحور هذا الدرس: التوازن؛ يجب أن تخطط لمستقبلك، يجب أن تتقن عملك، يجب أن تكسب رزقك، بعرق جبينك، بكذك وعرق جبينك، يجب أن تؤدي العبادات، يجب أن تطلب العلم، يجب أن تجمع بين الدنيا والآخرة، لأن الدنيا مطية للآخرة، ولأن الدنيا فيها سلعة الآخرة، تعمل، تكسب المال الآن تتفقه، تتعلم تُعلم، تتسلم منصب رفيع تنصر الضعيف.

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

توازن، أما الذي يحمله عمله الدنيوي على معصية الله، هذا اختل توازنه، والذي تحمله عبادته على إهمال بيته، وإهمال زوجته، وإهمال أولاده، هذا أيضاً وقع في التطرف والغلو، لا بد من التوازن.

من أمثلة التوازن في الإسلام :

يوجد في الإسلام كلية عقائدية، كلية سلوكية، كلية جمالية، لا بد من أن تجمع بين العلم والعمل، وبين كسب الرزق وبين العمل الصالح.

لذلك عن عائشة -رضي الله عنها-، أن النبي -ﷺ-: دخل عليها وعندها امرأة، قال:

((مَنْ هَذِهِ؟ قالت: هي فلانة، تذكر من صلاتها الشيء الكثير، قال: مه، إن الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا، وكان أحب الأعمال إليه، ما داوم عليه صاحبُهُ))

رأيت التوازن؟ خط صاعد صعود هابط، أما في أشخاص يصعدون هكذا، يسقطون هكذا؛ لا نريد صعوداً حاداً، وسقوطاً مريعاً، لا نريد صعوداً هادئاً مستمراً، هذا يحتاج إلى توازن.

((إن لجسمك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لأولادك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه))

هذا هو الصواب -أيها الأخوة الكرام- قال:

((مه, إن الله لا يمل حتى تملوا, وكان أحب الأعمال إليه, ما داوم عليه صاحبه))

لك هذا :

أيها الأخ الكريم, أنت هذا الدرس تحضره, احضره دائماً, لك صلاة فجر في المسجد اجعلها دائماً, لك صدقة تدفعها كل شهر ادفعها دائماً, الدوام على الأعمال ينشئ تراكم, يحقق إنجازاً كبيراً.

يعني: لو ألقينا في قعر برميل خمس قطرات ماء, تجف بعد حين خمس قطرات, تجف بعد حين خمس قطرات تجف, أما إذا فتحنا الصنبور, دائماً يمتلئ البرميل, لا يمتلئ إلا بالعطاء المستمر.

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

هذا ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام :

كان -عليه الصلاة والسلام- عمله مستمر, لكن ما دام مستمراً, يجب أن تقيم توازناً, لو كان قضية دورة مكتفة شهرين, لا توجد حاجة للتوازن, هذا دين, هذا رفيق العمر. فالإنسان ما دام شيء مستمر؛ لا بد من التوازن, لا بد من وقت لأهلك, وقت لعملك, وقت لربك.

واقعة حصلت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام :

وعن أنس -رضي الله عنه- قال:

((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة رسول الله -ﷺ-, فلما أخبروا كأنهم تقالوها -رأوها قليلة- قالوا: فأين نحن من رسول الله -ﷺ- وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ -نحن شيء آخر- قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً, وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر, وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً, فجاء رسول الله -ﷺ- إليهم, فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله, وأتقاكم له, لكني أصوم وأفطر, وأصلي وأرقد, -أرقد, رقد يرقد, يعني نام ينام, ركد يركد, هدأ يهدأ, ركض يركض, عداوة أسرعها ثلاث كلمات, أصلي, أرقد- وأتزوج النساء, فمن رغب عن سنتي فليس مني))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والنسائي في سننه]

قصة وقعت في زمن عمر بن الخطاب :

في قصص كثيرة: سيدنا عمر -رضي الله عنه- جاءت امرأة تتحدث عن زوجها، قالت: يا أمير المؤمنين! إن زوجي صوام قوام -سر كثيراً-، قال لها: بارك الله لك فيه، صائم في النهار، قائم في الليل، سيدنا علي أو أحد الصحابة قال: يا أمير المؤمنين! إنها لا تمدحه، قال له: هكذا فهمت؟ إذاً: احكم بينهما، فوجد أنه من حق الإنسان: أن يتزوج أربعة، وافترض هذا القاضي أن له أربع زوجات، نصيبي واحد من أربعة، فقال له: يوم لها، وثلاثة أيام لله عز وجل، أعجب سيدنا عمر بهذا الحكم، عينه قاضي البصرة.

امرأة تشكو أمرها إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام؟ :

سيدنا عثمان بن مظعون، صحابي جليل، أيضاً: كان صواماً قواماً، جاءت امرأته إلى بيت النبي -ﷺ- وكانت متبذلة -يعني لم تهتم بنفسها- رأتها السيدة عائشة، قالت لها: مالك يا امرأة ابن مظعون؟! قالت: إن زوجي صوام قوام، لا يلتفت إلي إطلاقاً، ليله قائم، ونهاره صائم، ذكرت هذا للنبي -عليه الصلاة والسلام- والنبي استدعاه، قال له: يا عثمان، أليس لك بي أسوة؟ قال له: بأبي أنت وأمي، قال له: إن لجسدك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

هذا الصحابي الجليل، يبدو أنه استمع لوصية النبي، وجلس مع أهله، -يعني جلس معها، وعاملها كما تعامل الزوجة-، في اليوم التالي: جاءت امرأة ابن مظعون إلى بيت النبي -ﷺ- هكذا تروي الروايات- عطرة نضرة، عطرة نضرة، قالوا لها: ما حالك يا امرأة ابن مظعون؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

فهذا نوع من العبادة: أن تعتني بأهلك، أن تعتني بأولادك، أن تعتني بصحتك، أن تعتني بهندامك، أن تعتني ببيتك، لأن الله عز وجل جعل المؤمن سفيراً للمؤمنين، أنت تمثل هذا الدين، فلا بد من أن تكون معتنياً بكل شيء، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتئين من قبلك.

ما هي العبادة المطلقة؟ :

هناك رأي في العبادة رائع جداً: العبادة المطلقة، في عبادة مقيدة، وعبادة مطلقة؛ المطلقة: أن تعبد الله فيما أقامك، بماذا أقامك؟ لو أن امرأة أقامها امرأة، أول عبادة لها: أن تحسن تبعل زوجها، وأن تربي أولادها، أقامك

رجلاً غنياً، أول عبادة: أن تتفق من مالك، أقامك عالماً، أول عبادة: أن تعلم الناس من علمك، أقامك قوياً، أول عبادة: أن تتصف المظلوم.

إليك هذا المثال على العبادة المطلقة :

هذه القضية دقيقة جداً: الورع حسن لكن في العلماء أحسن، التوبة حسن، -أول عبادة الشاب: غض البصر، يُؤخذ من هنا-، التوبة حسن لكن في الشباب أحسن، الحياء حسن لكن في النساء أحسن، -أول عبادة المرأة: ألا تفتن الناس بها، بنفسها، تكون محببة، وأن تعتنى بزوجها، الآن بالعكس: لا تعتنى بزوجها أبداً، لكن كل أناقتها، وزينتها في الطريق، للضيوف، للأقرباء، كل ما عندها من شيء منفر لزوجها، هذه لا تعبد الله. الصحابية الجليلة: كانت تستأذن زوجها، لتصلي قيام الليل، قبل أن تصلي تقول له: يا فلان، ألك بي حاجة؟ ألك بي حاجة؟ فإن قال: نعم، عبادتها: أن تقضي حاجة زوجها، عبادتها الأولى، الأولى.

فالمرأة أن تحسن تبعل زوجها، وأن تربي أولادها-، الحياء حسن لكن في النساء أحسن، -أن تكون حيية، أن تكون محببة، الشاب أن يكون تائباً، مستقيماً، العالم أن يكون ورعاً-، الورع حسن لكن في العلماء أحسن، -الغني- السخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، -القوي- العدل حسن لكن في الأمراء أحسن.

-الآن الإمام عدل، عالم ورع، غني سخاء، فقير صبر-، الصبر حسن لكن في الفقراء أحسن. امرأة حياء، شاب توبة، هذه العبادة المطلقة.

لون آخر للعبادة المطلقة هو :

والعبادة المطلقة لها لون آخر: أن تعبد الله فيما أقامك -الآن- وفي الظرف الذي وضعك فيه.

أقامك امرأة، العبادة الأولى: حسن تبعل الزوج، أقامك غني، العبادة الأولى: إنفاق المال، أقامك عالم، العبادة الأولى: تعليم العلم، أقامك قوي، العبادة الأولى: إنصاف المظلوم.

الآن: وفي الظرف الذي وضعك فيه: والدك مريض -لا سمح الله-، أول عبادة: العناية بالوالد.

عندك ضيف، أول عبادة: إكرام الضيف، عندي ضيف، والله أنا لي ساعتان ذكر، الآن مشغول، أضعه لوحده في

الغرفة, وأجلس أذكر الله, هذا ضيف, هذا يريد أن تؤمن له طعاماً, تؤمن له نومة, تؤانسه, عبادتك الأولى: إكرام الضيف, فالفهم للعبادة بهذه المرونة, يجعل المسلمون متعاونون.

من هو المنتطع؟ :

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-, أن النبي -ﷺ- قال:

((هَلْكَ الْمُتَنْطِعُونَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

المنتطع: هو المتشدد, في غير موضع التشدد, تشدد بلا معنى.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((من كانت ناقته حَرُوم فلا يصحبنا بالجهاد, في صحابي غلب عليه حبه للجهاد, وناقته حروم, فعصى رسول الله, ركب على الناقة وألقته من على ظهرها, فنزل ميتاً, فالنبي أباي أن يصلي عليه))

لمن هذا التوجيه النبوي؟ :

((هَلْكَ الْمُتَنْطِعُونَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

هذا الذي يحمل نفسه ما لا يطيق, وإن كان الدرس لا يناسب العصر أبداً, لأنه الآن الناس لا يوجد أي تشدد, حتى يخففوا قليلاً, لا يوجد سرعة أبداً, أخي خفف السرعة, السيارة واقفة, لا يقال لهذه المركبة الواقفة: خفف, ماذا يريد أن يخفف؟ الرجل واقف, يعني فقط كونوا تأتي بتسلسل, أما وكل زمان له درس؛ هذا في أيام التألق الديني, في أيام الزهد, في أيام العبادات, في أيام الذكر, في أيام قيام الليل, في أيام أداء الصلوات, تقول له: اعتدل, اعتدل.

((هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

ما نقول في عصرنا هذا :

أيها الأخوة، أما الآن يجب أن نقول عكس ذلك: لا إسراف في الخير، لا خير في الإسراف، ولكن لا إسراف في الخير.

كنت أصلي مع النبي -ﷺ-، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً.

أي بين الطول والقصر، لا هي طويلة، ولا هي قصيرة.

في بعض الخطباء ساعتان ونصف طويلة، في خطيب دقيقتان.

في جامع السيرنجية بالشام، دقيقتان الخطبة بالضبط، لا يقول: الحمد لله، أقم الصلاة، انتهت، يعني لأنه كل الزبائن، السيارات جاهزة؛ فيها الفحم، واللحم المشوي، وزوجته بالسيارة، يريد أن يصلي الركعتين، ويلحق يطلع على السيران، فيبحث عن هذا الجامع، هذا خطأ أيضاً، هذه عبادة أسبوعية، هذه العبادة أساسها الخطبة.

المفسرون يقولون:

﴿يا أيها الذين امنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾

أجمع المفسرون: على أن نذكر الله هي الخطبة.

أنت الآن أمام عبادة تعليمية، أنت أمام إنسان سيدركك بالله، سيدرك لك أمره ونهيه، حاله وحرامه، يذكر لك الخير والشر، الدنيا والآخرة، فلا بد من أن تستعد، يعني وإن كان شيء طريف.

هذا هو المسلم المقصر :

أنا لي أصدقاء كثيرون، يعني يسكنون في المهاجرين، والدنيا شتاء، وبرد شديد، يوم الجمعة يحمي السيارة ربع ساعة، يذهب للميدان، يحصل على فول، كيلو فول، يرجع، من أجل كيلو فول، انتقل من المهاجرين، للميدان، أما

خطبة الجمعة الأساسية: أقرب جامع؛ الخطيب أعجبه، أو لم يعجبه، يريد أن يصلي الركعتين، يعني دينه أرخص عليه من كيلو فول.

أنا لا أبالغ، أعرف أشخاصاً، يعرفون بائع فول بالميدان، فولاته طيبون جداً، يوم الجمعة يحمي السيارة، ينتقل من حي، لحي، لحي، حتى يحصل على كيلو فول، أما وقت الجمعة، لا يختار مسجداً؛ مقتنع بخطيبه، في فائدة بالخطبة، خطبة عميقة، متوازنة، فيها أدلة منظمة، فيها صدق، فيها إخلاص، أبدأ، يريد أقرب جامع، يقول لك: الحمد لله، أدركنا آخر ركعة، أدركنا الجمعة، أيضاً: شاكر الله على التقصير.

ما جاء في بيان خطبة الجمعة وصلاتها :

قال تعالى:

﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

أي إلى صلاة الجمعة، إلى خطبة الجمعة:

﴿وَذَرُوا النَّبِيعَ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

والحديث معروف:

((الذي يأتي قبل ساعة، في الساعة الأولى فكأنما قرب بدأ، والذي يأتي في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، والذي يأتي في الساعة الثالثة فكأنما قرب شاة، والذي يأتي في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، والذي يأتي في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، وبعد الساعة الخامسة: إذا صعد الخطيب المنبر طويت
((الصحف))

نحن يصعد المنبر، ويبدأ بالخطبة، وينهي الخطبة، يبدأ بالثانية، ينهي الثانية يقول: أقم الصلاة، ويصلي أول ركعة، حتى أخونا بالله يأتي ليصلي، يقول لك: أدركت الجمعة، والله ما أدرك منها شيء.

((ومن ترك الجمعة ثلاث مرات بغير عذر, نكتت نكتة سوداء في قلبه, ثم يكون الران))

المشقة في الإسلام لا تُطلب لذاتها أبداً:

النبي -عليه الصلاة والسلام-: بينما يخطب, إذا هو برجل قائم, فسأل عنه, فقالوا:

((إنه نذر أن يقوم في الشمس, ولا يقعد, ولا يستظل, ولا يتكلم, ويصوم, فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

مروه, فليتكلم, وليستظل, وليقعد, وليتيم صومه, فإن الله غني عن تعذيب هذا نفسه))

هذا له معنى دقيق جداً الحديث, معنى هذا الحديث: أن المشقة في الإسلام لا يجب, أو لا يمكن أن تُطلب لذاتها.

يعني الآن: إذا إنسان ذهب إلى الحج مشياً, له أجر؟ لا, لكن في طائرة, في سيارة, دق, لم يكن في طائرة, وسيارة, له أجر كبير, أما ذهب إلى الحج, في طائرة, صار في ازدحام بالطواف, له أجر المشقة التي تُفرض عليه مرحباً بها, أما المشقة التي أختارها أنا حباً بالمشقة لا أجر عليها, ديننا عظيم, المشقة في الإسلام لا تُطلب لذاتها أبداً.

وقف في الشمس, لم يستظل, لا يأكل, صائم, قال:

((مروه فليتحول عن الشمس, ولا يعذب نفسه, فإن الله غني عن تعذيب هذا نفسه))

يعني أحياناً: ترى في الحج أشخاصاً, يعني أمرهم عجيب, يبحثون عن المشقة بحثاً, غير مطلوب هذا الشيء أبداً.

النقطة الفاصلة في هذا الدرس :

يعني محور الدرس: التوازن؛ التوازن: من أجل التراكم والاستمرار, التوازن: من أجل الاستمرار, من دون توازن في نكسة, أنا أريد خطأً بيانياً صاعداً هكذا لا أريد صعوداً حاداً, سقوطاً مفاجئاً, هذا لا يكون, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-99} : المحافظة على السنة وآدابها

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 31-10-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء الاستفتاح :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

قف عند هذه النقطة :

أيها الأخوة الكرام:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-, عن النبي -ﷺ- قال:

((دعوني ما تركتكم, فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ, واختلافُهُمْ على أنبيائهم, فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه, وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))

متفق عليه

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

في هذا الحديث نقطة خطيرة جداً: في أمور, في منهيات؛ مأمور أن تتفق مالك, مأمور أن تصلي صلاة نافلة غير فرائض, مأمور أن تحسن إلى الآخرين, لكن منهي عن أكل المال الحرام, منهي عن إطلاق البصر في النساء, منهي عن الكذب, منهي عن الغيبة, منهي عن النميمة, المنهيات لها شأن, والمأمورات لها شأن, المنهيات حدية, وقطعية, ليس فيها نسبية.

يعني: ليس أن تترك الحرام بقدر ما تستطيع, هذه غير واردة إطلاقاً في الإسلام؛ أما أنفق مالك بقدر ما تستطيع, صل في الليل بقدر ما تستطيع, عاون الناس بقدر ما تستطيع, الأعمال الإيجابية التي فيها بذل وإنفاق, على قدر استطاعتك:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية: 286]

إليك هذا المثال لتوضيح هذه النقطة :

أوضح مثل يوضح الحديث: مستودع للوقود السائل, المستودع فيه شيئان؛ في إحكام, وفي تعبئة, تعبىء قدر ما معك, ويسع ثمانية أمتار مكعبة, عبأت متراً جيد, مترين جيد, عبأت ثمانية ممتاز, سبعة لا يوجد معك ثمن ثمانية, تعبىء وقود سائل في هذا المستودع بقدر ما معك, لكن لو عبأت متراً محفوظ, لو عبأت تنكة محفوظة, لو عبأت خمسة أمتار محفوظين, مستودع محكم, أما إذا كان غير محكم, إن عبأت, أو لم تعبىء مثل بعضها. لي صديق أثناء حرب -يمكن تشرين فيما أذكر- كان في أزمة محروقات, أزمة شديدة جداً, حتى استطاع أن يأتي بسيارة للبيت, قال لي: والله أسبوعان, ثلاثة, بجهد جهيد, أتى بسيارة ليعبىء مستودع, قال لي: مليء, للأخير, وأنا من فرحي لم أعد أصدق, في إقبال على الشتاء, وتعرفون الحرب صعبة, قال لي: حاسبته على التمام, كله تمام, سعد ليرى, وجد لا يوجد شيء أبداً, نسي الحنفية بالمرحاض مفتوحة, فقده كله. يعني: إذا كان المستودع غير محكم, إن عبأت, أو لم تعبىء مثل بعضها, المنهيات هي الإحكام, والمأمورات هي التعبئة, فأنت تعبىء بقدر ما تملك, ولا شيء عليك, لكن ليس مسموحاً يكون في تسرب ولا ميلي, أخي ثقب فقط خمسة ميلي ليس مشكلة, لا مشكلة, حسناً: ميلي؟ مشكلة, نصف ميلي؟ مشكلة, ينش؟ مشكلة, طبعاً: تبدأ من بلا قعر, إلى ثقب, إلى النش, النش كل شهر يذهب لك حوالي تنكة في الشهر. فالإحكام حدي, أما التعبئة نسبية, كلام دقيق جداً, الاستقامة حدية, أما العمل الصالح نسبي.

فأنا لا أتساهل أبداً بالإحكام, لأنه إذا لا يوجد إحكام, إن عبأت أو ما عبأت سيان, كله على البلوعة ذاهب, أما إذا يوجد إحكام بقدر ما عبأت لك.

هذا ما يلزمك :

أيها الأخوة، فرق بين المنهيات والمأمورات؛ فيك تصلي قيام الليل أو ما تصلي، أنت تؤدي الفرائض، فيك تنفق فوق زكاتك أو ما تنفق، فيك تقرأ باليوم جزء قرآن، أو خمسة أجزاء، أو صفحة، هذا الأمر طيب، ما دام بالمنهيات تاركها، مستودعك محكم؛ لو صليت ركعتين، لو قرأت صفحة قرآن واحدة، تشعر نفسك قريب من الله، لأن مستودعك محكم، أما إذا لم يكن محكماً، افعَل ما شئت، لا يبقى شيء في المستودع.

علام يشير هذا الحديث؟ :

يعني نقطة، يقول اللهم صل عليه:

((أصحابي لو تركتم معشار العشر لهلكتم، أما أحبائي لو أخذوا معشار العشر لنجوا في آخر الزمان))

أخذه بالأعمال الصالحة، ليس في المنهيات، أما المنهيات: نحن وأصحاب النبي سواء، نحن والأنبياء سواء، ما هذا الكلام؟! يوجد دليل معك أستاذ: نحن والأنبياء سواء؟! طبعاً، قال لي: أريد الدليل:

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[سورة هود الآية:112]

الاستقامة: أنت ومن تاب معك، أما العمل الصالح: النبي هدى الأمم، أنت هديت إنساناً، النبي -اللهم صل عليه- كل من عرف الله في صحيفته، بالأعمال الصالحة: النبي في الأوج، الاستقامة ينبغي

دقق هنا :

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

دقق، يعني أنا لما أقول لمرض: اضرب لفلان إبرة؛ يريد أن يعقم الإبرة، ويغليها، ويعقمها، ويعقم القارورة، ويعقم الثقب، ويعقم الجلد، ويستعمل سبيرتو، وقطن، والإبرة يغليها، لو كلفنا أعلى طبيب جراح في العالم يضرب إبرة، يجب أن يضربها مثل الممرض تماماً، بالمنهيات لا يوجد فرق.

هذا درس مهم جداً أخواننا، بالمنهيات لا يوجد فرق، أما بالمأمورات يوجد فرق، كل إنسان على عزائمه، بقدر ما تستطيع.

اتقوا الله ما استطعتم: من الأعمال الصالحة، أما في الاستقامة:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾

[سورة الحج الآية:15]

﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾

[سورة الحج الآية:15]

﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾

[سورة الحج الآية:15]

كل معصية قطع، فحتى نوفر وقتنا، نستفيد من حياتنا، ونقطف ثمار الإيمان، ونرتقي عند الله، وينبغي أن تدع المنهيات كلياً، وأن تأخذ المأمورات بقدر ما تستطيع.

ما معنى (فاجتنبوه) في هذا الحديث؟ :

((دعوني ما تركتكم، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةَ سُؤَالِهِمْ، واختلافُهُمْ على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه - هذا لا يوجد - وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي والنسائي في سننهما]

أما فاجتنبوه: شيء بليغ، لو قال: فدعوه غير فاجتنبوه.

إذا الله عز وجل قال لك: دع شرب الخمر ممتاز؛ بإمكانك أن تتبعها، وأن تعصرها، وأن تحملها، وأن تنقلها، وأن تريح منها، وأن تعلن عنها، أنت نهاك عن شربها، أما إذا قال لك: فاجتنبوه؛ لا تستطيع أن تتبعها، ولا تشتريها، ولا تعصرها، ولا تعلن عنها، ولا تتاجر فيها، ولا تجلس على مائدة فيها خمر، الاجتناب أقوى أنواع التحريم، لأنه في معاص، لها قوة جذب، لا بد من أن تترك هامش أمان بينك وبينها.

أرأيت قوة الجذب إلى المعصية؟ لك ذلك :

يوجد تيارات كهربائية ثمانية آلاف فولط, يوجد لها حرم, حرمها ثمانية أمتار, إذا الإنسان دخل في حرمها تجذبه, ويصبح قطعة من الفحم, فإذا كان أحب وزير الكهرباء: أن يضع إعلان تحذيري, يكتب: ممنوع مس التيار, أما ممنوع الاقتراب منه, بالمنطق الاقتراب ممنوع, ليس المس, المس صار فحمة.

فكل معصية فيها قوة جذب مثل الزنا. قال:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا﴾

[سورة الإسراء الآية:32]

لم يقل: لا تزنوا, لا تقرب؛ لا تمش بطريق النساء متقلبات, اقطعه قطعاً الطريق عرضاً, لا تجلس مع إنسان زان, يحدثك عن مغامراته, لا تختل بامرأة لا تحل لك, لا تقرأ قصة إباحية, لا تتابع أشياء لا ترضي الله عز وجل. هذه قضية فاجتنبوا:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا﴾

[سورة الإسراء الآية:32]

فكل معصية لها قوة جذب, أنت لست منهيّاً عن عدم اقترافها, منهيّاً عن عدم الاقتراب منها, كلامي دقيق؛ كل معصية فيها قوة جذب, كشهوة الخمر, وشهوة الزنا. فالله عز وجل قال:

﴿فاجتنبوا﴾

قال:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا﴾

[سورة الإسراء الآية:32]

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾

[سورة الإسراء الآية: 34]

لا تدع الحساب هو الحكم, وضع كل شيء في جيبه, أخي على الحسابات, لعل يوجد نفذة لم تسجلها, جاءت ولم تسجلها, تصبح تحسبها لك, اترك ماله بمكان, ومالك بمكان.

فهذه قضية: لا تقرّبوا, فاجتنبوا, يعني: دع هامش أمان بينك وبينهم؛ فالذي أمرنا به يجب أن نفعل منه ما استطعنا, والذي نهانا عنه يجب أن ندعه كلنا, هذا كلام فيصّل, كلام واضح جلي كالشمس.

((دعوني ما تركتكم, فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةً سَأَلَهُمْ, واختلافُهُمْ على أنبيائهم, فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه, وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))

متفق عليه

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

ما سكت عنه الشرع لا تفتش عنه :

يوجد عندنا مأمورات, وعندنا منهيّات, وعندنا عدد من موضوعات, لا فيها أمر, ولا فيها نهي, يأتي -الآن- الفضولي يسأل عنها: سيدي, مسموح أنا أرثدي كنزة شغل الأجنب الكفار؟ قلت له: نعم مسموح يا بني! قال: لكن هؤلاء كفار يا سيدي؟ إذا: اخلعها, قلت له: اخلعها, وارمها في سلة المهملات, أنت هكذا تريد.

يوجد شخص, قضية النبي تعامل مع أهل الكتاب, فيسأل, يسألها: لماذا التحريم؟.

الذي معه أمر فيه, تفعله بقدر ما تستطيع, والذي نهاك عنه تدعه كلية, والذي سكت عنه, ما سكت سكوت نسيان الله عز وجل, سكوت رحمة.

يعني في نقطة دقيقة

الحقيقة الأولى: هي الله؛ أي شيء يقربك مأمور فيه، أي شيء يبعدك منهي عنه، في شيء لا يقربك، ولا يبعدك، أنا أرثدي كحلي، لو لبست بني، تصبح صلاتي أحسن؟ لا، ليس لها علاقة، هذه قضية ليس لها علاقة بالدين إطلاقاً، واحد عمل طقم كنباء، الثاني عمل جلسة عربية، مثل بعضها، لا تقدم ولا تؤخر، واحد لبس مأل، الثاني كارلو، لا يوجد مشكلة، واحد أكل على الأرض، واحد على الطاولة، منخفضة مثل الصين، واحد طاولة عالية، مثل ما تريد، هذه أشياء حيادية، ليس لها علاقة بالدين إطلاقاً، واحد أخذ بيتاً، عمل غرفة نوم، هي نفسها غرفة قعدة، متزوج حديثاً، أخذ غرفة، واحد عمل غرفتين مثل بعضها؛ الألوان، الألبسة، الأطعمة، هذه أذواق. يوجد أناس يأكلون كبسة دائماً، طوال عمرهم كبسة

عندنا بالشام شيخ محشي، فاصولياء، ورز، وفتة مكدوس

فألذي الله عز وجل أمرك فيه تفعله قدر ما تستطيع، والذي نهاك عنه تدعه كلية، والذي سكت عنه لا تسأل عنه مباح، الأصل في الأشياء الإباحة.

بقي عندنا قاعدة ثانية: نحن العبادات الأصل فيها الحظر، ولا تُشرع عبادة إلا بنص، أما المعاملات، والأشياء، الأشياء، المعاملات الأصل فيها: الإباحة، ولا يحرم شيء إلا بنص، أما الذي سكت الله عنه هذا مباح، هذا لا يحتاج إلى أمر، ولا يحتاج إلى نهي.

إنسان يحب أن ينام -مثلاً- بعد أن يتناول طعام الغداء ربع ساعة، إنسان لا يحب أن ينام، لا يوجد أحد عاص.

هذه قضية بني إسرائيل :

فهذا الحديث فيصل بالموضوع:

((دعوني ما تركتكم، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ.

-وأوضح مثل: بنو إسرائيل: لما أمروا أن يذبحوا بقرة، لو أتوا بأي بقرة فذبحوها، أجزأتهم أي بقرة؟ ما لونها؟ ما

هي؟ سأل، يسأل الذي شرط ضيق، بالنهاية: الوصف الذي جاءهم لا ينطبق إلا على بقرة واحدة، فطلب صاحبها وزنها ذهباً.

هذه قضية بني إسرائيل واضحة جداً.

من الشيء المباح :

في شيء مباح:

أنا أبيع صحون، أستاذ، قلت له: ماذا تريد أن تفعل بهم؟ قال له: أنا عندي مطعم، تبيع خمرًا؟ قال له: طبعاً، أنا لا أبيعك، الكلام جيد؛ لكن إذا أنت بعت صحون، لست مكلفاً أن تسأله: إلى أين تريد أن تأخذهم؟ ليس عمك، ليس المعنى: بيعوا المطاعم فيها خمر، هذا ليس قصدي أبداً؛ لكن لا تتدخل في أمور لا تعنيك، أنت تبيع صحوناً، دفع ثمنها صحون، سعرها معتدل، صار إيجاب وقبول، أعطاك الثمن، سلمك البضاعة، أما ماذا تريد أن تفعل بها؟ أما إذا كان طلب منك أشياء محرمة، أنت الآثم ليس هو، لماذا تبيعها محرمة؟.

يوجد كاسات للمشروبات الروحية هذه بديهية، أما كاسات شرب عادية، يوضع فيها خمر، يوضع فيها ماء، ما دام استعمالها واسعاً، أنت لست مؤاخذاً.

انظر إلى فهم عمر لأحكام الدين :

مرة سيدنا عمر مع أصحابه، رأوا بركة ماء، يريدون أن يتوضؤوا، ويشربوا منها، فرجل سأل صاحب البركة، قال له: يا هذا! هل ترد السباع هذه البركة؟ فسيدنا عمر قال له: يا صاحب البركة لا تجيبنا.

أنا رأيت ماء طاهراً انتهى؛ التعقيب، والتشديد، والمبالغة، هذه تنفر من الدين-.

دعوني ما تركتكم, فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةَ سُؤَالِهِمْ، واختلافُهُمْ على أنبيائهم.

-تجد الناس, أحياناً قضايا ثانوية جداً: يشددون عليها, يكبرونها؛ أن الخطبة إذا كان منبر فوق ثلاث درجات لا يجوز, إذا كان أعلى لا تفهم عليه, أسفل تفهم عليه؟.

((صل وراء كل بر -النبى قال- وفاجر))

صل, لا تعمل فتنة, كن مرناً, الأشياء الأساسية تشدد فيها, أما غير الأساسية ابق مرناً فيها, لا تقدم ولا تؤخر-.

فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه, وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))

متفق عليه

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

آخر حديث:

((كلُّ أُمَّتِي يدخلون الجنة إلا من أبى, فقالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: من أطاعني دخل الجنة, ومن عصاني فقد أبى))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

الإنسان إذا كان لا يطيع الله عز وجل, هذا لسان حاله يقول: أنا لا أحب دخول الجنة, أنا أستكف دخول الجنة.

((من أطاعني دخل الجنة, ومن عصاني فقد أبى))

أنت مخير, والجنة لها طريق, والنار لها طريق؛ فإن سلكت طريق النار, وتقول: الله عز وجل لم يكتب لي الجنة, هذا كلام فيه دجل, اسلك طريق الجنة تصل إليها, دع هذا الطريق, طبعاً: المصير إلى النار.

((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي، قَالُوا: وَمَنْ يَا أَبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدَ أَبِي))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هذه هي دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الأخير :

((مِثْلِي وَمِثْلَكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَابُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلُتُونَ مِنْ يَدَيَّ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

النبي يمنعنا عن دخول النار؛ بسنته، توجيهاته، وأوامره، ونواهيه، والناس يقبلون على الشهوات، ليعاقبوا في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-100} : مقالة عن أمريكا

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أصغ السمع لهذه المقالة :

أيها الأخوة، عقب سفرة طويلة في أمريكا، كتبت صبيحة البارحة ما يشبه قصة، مقالة قصصية، هذا اسمها بالأدب مقالة قصصية، رمزية، ولكم أن تفهموا منها كل شيء، وفيها إجابة عن أي سؤال، هذه المقالة القصصية أساسها:

أن رجلاً عنده عشرة أولاد، مختلفون من حيث الذكاء والمحدودية، ومن حيث الطيب والخبث، ومن حيث الالتزام وعدمه، ولكل ولد من أولاده ذرية من الذكور والإناث، -عنده عشرة أولاد، وكل ولد عنده ذرية-، أراد هذا الأب أن يعطي ولاده من أمواله ليمتحنهم، وليرى مدى التزامهم بتوجيهاته، فأعطاهم من أمواله بشكل متساو، كماً مختلف نوعاً، -يعني أعطى ولد بيتاً، أرضاً، محلاً تجارياً، مالاً سائلاً، سيارة، إلى آخره.....

من أبرز شخصيات هذه المقالة :

أيها الأخوة- لكن واحداً من أولاده: يتمتع بذكاء متقد، ويقدر ذكائه المتقد: يتصف بالخبث الشديد، ويقدر خبثه الشديد: ينطوي على أنانية مفرطة، وحب للذات، -ذكي، على خبيث، على أناني-، وعنده قدرة أخرى: وهي أنه يتمتع بقدرة عجيبة، على أن يظهر أمام الآخرين بأعلى مظهر أخلاقي، علمي، حضاري، -ذكي، على خبيث، على أناني، على قدرة على النفاق عالية جداً-، ومن أجل أن يوفر هذا الابن لأسرته حياة رغيدة، ناعمة، مستقرة، لا توفرها له أمواله التي أخذها عن أبيه، ولا الأموال التي يمكن أن يحصلها بكده وعرق جبينه، بدأ بالعدوان على أموال أخوته بشكل مُتَّع تارة، ومكشوف تارة أخرى بحسب الظروف المحيطة به؛ فتارة يُغريهم أن يستثمر أموالهم في محله التجاري، فيحجزها عنده، ويعطيهم من أرباحها النذر القليل، وتارة يبيعهم حاجات يزينها لهم، ويوهمهم أنه في أشد الحاجة إليهم بأعلى الأثمان، ثم إنه يشتري ما عندهم من مواد، هو في أمس الحاجة إليها بأبسط

الأثمان، -إذا باعهم بأعلى سعر، وإذا اشترى منهم بأبخص ثمن-، وتارة يدعي أنه يدافع عن أخوته ضد أخطار موهومة، ويتقاضى عن دفاعه هذا أكرم أموالهم، وكلما تردد أخوته في دفع ما يطالبهم به نظير دفاعه عنهم، يغيري بعض أعوانه -وما أكثرهم- بتهديدهم، وتخويفهم.

أسلوب فيه مكر وخديعة :

وفي نهاية المطاف، وبعد أن تمكن من إزاحة منافس له على الساحة، كشر عن أنيابه، وأزاح القناع عن وجهه، واغتصب معظم أموال أخواته، ولم يبق لهم إلا النذر القليل، وجعلهم يعيشون في فقر مدقع، وفي اضطراب مهلع، والذي أعانه على ذلك: أن أخوته مختلفون فيما بينهم، بل إن بعضهم حريص على حسن العلاقة معه، لذلك يتفضل عليه ببعض الفتات الذي هو جزء من ماله المغتصب، ومع كل الحرص الذي يبدو من بعضهم على حسن العلاقة معه، لم يحصلوا منه شيئاً، بل فقدوا كل شيء، وهكذا بنى مجده على أنقاضهم، وغناه على فقرهم، وأمنه على تخويفهم.

الحال الذي توصل إليه هذا الأخ الخبيث :

-أيها الأخوة- ثم إن هذا الأخ الخبيث اغتصب أرضاً واسعة الأرجاء، كثيرة الخيرات، وطرد أهلها وشردهم، وبنى عليها بيتاً عظيم البنيان، واسع الأبياء، فاخر الأثاث، زوده بكل الوسائل المريحة، والأجهزة العصرية، وألحق به حديقة غناء، فيها ما لذ وطاب، وجعل لكل ولد من أولاده جناحاً في هذا البيت، ومنحه مركبة، وكل وسائل الحضارة، ومنجزات العصر، ولكن مولعاً باقتناء الكلاب، وبدافع من إنسانيته، ورحمته بالحيوان: أجرى لأحد كلابه عملية جراحية في قلبه، كلفته مبالغ طائلة، وبذل لكلب مفصلاً في ركبته، أيضاً: كلفته مبالغ طائلة، وأصلح لكلب آخر أسنانه، وبحث عن طبيب نفسي يعالج بعض كلابه من كآبة ألفت به -نعم-، وكان يُطعم كلابه من اللحم في اليوم ما لا يستطيع أولاد أخوته أن يأكلوه في شهر، -الكلاب من اللحم، ما لا يستطيع أولاد أخوته أن يأكلوه في شهر- مجتمعين، فأولاد أخوته يعانون من فقر الدم، وهشاشة العظام، لأن غذاءهم من النوع الرخيص، وأن أحاً له في أمس الحاجة إلى عمل جراحي، امتنع عن مساعداتهم، وتفريج كرتبتهم، ثم إنه اشترى أرضاً، وجعلها مقبرة لبعض كلابه، الذين ماتوا من شدة العناية بهم.

-طبعاً: كل كلمة تعني شيء، أنا رأيت بعيني، كيف تجرى عملية قلب لكلب، أربعة أطباء يرتدون أخضر،

وأجهزة, ومستشفيات, والعملية لكلب, ومئات الألوفا كل عام يموتون من الجوع.

هذه هي حضارة أمريكا :

بلغني من طبيب عظام: أنه تُجرى عمليات تبادل مفصل كلفتها خمسة آلاف دولار, العملية لكلب.

بلغني أن أطباء للأسنان مختصون بالكلاب, من أجل إصلاح أسنانهم, ثم إن هناك أطباء نفسيون: لمعالجة الكآبة التي تصيب بعض الكلاب.

وحدثني أخ -ما من كلمة في هذه الرسالة, إلا وأساسها واقعي-, وحدثني أخ أنه دخل إلى حديقة غناء, تأخذ بالآلباب, ثم علم بعد حين: أنها مقبرة للكلاب, وحكموا على إنسان قتل كلباً , حكموا عليه بخمس وعشرين سنة سجنًا, قتل كلباً طبعاً, لأنه يوجد عنده رحمة في قلبه, وعنده دافع إنساني شديد, أما هؤلاء الملايين المملينة, الذين يموتون من الجوع, والمقهورون بأفعاله السيئة, هذه ليست مشكلة, المشكلة: أن هذا الكلب

حدثني أخ كان في أمريكا, دخل إلى سوق من أكبر الأسواق, فوجد في حاجات لا تصدق؛ أنواع الطعام, أنواع اللحوم, فحمل بالسلة الشيء الكثير, وفي أثناء المحاسبة, سألته الموظفة: عندك كلب؟ قال: لا, قالت: أرجعه كله, هذا الجناح كله للكلاب.

هذه هي مدينة سان فرانسيسكو :

زرت مدينة من أجمل مدن أمريكا سان فرانسيسكو, خمسة وسبعون بالمئة من سكانها شاذون, خمسة وسبعون, وهناك عقود زواج تجري في الكنائس بين رجل ورجل, وبين امرأة وامرأة, ولم ألمح طفلاً واحداً في هذه المدينة, طبعاً: لا يوجد إنجاب؛ ذكور مع ذكور, وإناث مع إناث. يعني الله عز وجل قال:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:44]

إليكم هذا المظهر الجديد الذي جاء به هذا الأخ الخبيث :

فهذا الأخ الخبيث، يُطعم أولاده من اللحم في اليوم، ما لا يستطيع أولاد أخوته أن يأكلوه مجتمعين في الشهر، مع هذا الغنى الفاحش، صار هذا الأخ ناعم الملمس، حسن المظهر، لطيف العبارة، مخملي المعاشرة، يتأنق في مظهره، يتقيد بمواعيده، يحرص على صحته وصحة أولاده، هياً لأولاده الملاعب، واشترى لهم الأجهزة، ورفعاً لمعنوياتهم، وتثبيتاً لمكانتهم: سمح لهم أن يفتقدوه، وكان يستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة، وأوهمتهم أنهم أفضل الناس بسبب ذكائهم المفرط، وعملهم الدؤوب، ومعيشتهم الناعمة، وأخفى عنهم السبب الحقيقي الذي هم فيه، وكان إذا التقى بأخوته، وجه لهم نقداً لاذعاً، قال لهم: أنتم عنيفون في طباعكم، خشنون في مظهركم، متخاصمون فيما بينكم، لا تعتنون ببيوتكم، ولا تحسنون اختيار ألوان ثيابكم، ولا تتقيدون بمواعيدكم، ولا تتقنون أعمالكم، وأنتم تتمسكون بقيم ومبادئ، هي سبب فقركم وكلفكم، صار ناعماً بعد ما أكل أموال أخوته كلهم، وجعلهم فقراء، ويسكنون في بيوت صغيرة، يحاسب على الخاطرة، يحاسب على التقصير.

محور هذا المقال القصصي :

يا أيها الأخوة، الإنسان الذي يتمتع بنظرة ثاقبة، وعاطفة عميقة، أساسها مبدأ صحيح، وقيم عالية، يُقيمه تقييماً، والرجل الذي يتصف بنظر قاصر، وعاطفة سطحية، وتحكمه المصالح لا القيم، يقيمه تقييماً آخر. أنا قلت في الخطبة البارحة: قل لي: كيف تقيم هذا الرجل، أقل لك: من أنت، فمن هوي الكفرة حشر معهم، ولا ينفعه عمله شيئاً:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:44]

﴿لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾

[سورة آل عمران الآية:196]

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران الآية:197]

هذا كله من كتاب الله عز وجل:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية:42]

فالذي يتصف بنظرة ثابتة، وعاطفة عميقة، أساسها مبدأ صحيح، وقيم عالية، يقيمه تقييماً، والرجل الذي يتصف بنظر قاصر، وعاطفة سطحية، وتحكمه المصالح والقيم، نقيمه تقييماً آخر.

فقل لي: كيف تقيم هذا الرجل -محور هذا المقال القصصي- أقل لك من أنت-.

لكن الآن يسجل كل أبنائه؛ كل حركاتهم، وسكناتهم، وفي أية لحظة يراها مناسبة، يأخذ من أولاده كل شيء، ويحاسبهم عن كل شيء، ويجزي كلاً منهم بحسب عمله.

الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء ثم توزع في الآخرة توزيع جزاء :

في نقطة مهمة جداً في الدرس: أن الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء؛ أنت مبتلى فيما أعطاك، مبتلى فيما منعتك، ثم توزع في الآخرة توزيع جزاء، التوزيع الدنيوي لا قيمة له، لأنه توزيع ابتلاء.

فالله عز وجل: قد يمتحنك بالغنَى، وقد يمتحنك بالفقر، وقد يمتحنك بالقوة، وقد يمتحنك بالضعف، وقد يمتحنك بالصحة، وقد يمتحنك بالمرض، وقد يمتحنك بالأمن، ويمتحنك بالخوف، ولكن هذه الحظوظ في الآخرة: توزع توزيع جزاء إلى الأبد.

مراتب الدنيا لا تعني شيئاً لكن مراتب الآخرة تعني كل شيء :

قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء الآية:21]

توازن بيت مساحته ستون متراً تحت الأرض؛ شمالي، رطوبة، مع بيت مساحته ثمانمئة متر بأرقى أحياء دمشق،

له إطلالة جميلة. الله قال:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

توازن مجند ببلوكوس، في الشتاء مغطى بالماء البارد وبين أعلى منصب بالجيش، توازن بين ممرض مهمته تنظيف المرض وبين أعلى طبيب، توازن بين بائع متجول مع رئيس غرفة تجارة:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء الآية: 21]

مراتب الدنيا لا تعني شيئاً.

((رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره))

لكن مراتب الآخرة تعني كل شيء؛ لأنها أبدية، ولأنها جزاء عمل، لأن الله عز وجل يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب؛ أعطاه لفرعون وهو لا يحبه، أعطاه لقارون وهو لا يحبه، ولكن الآخرة لا يعطيها إلا لمن يحب، بل إنه في الدنيا، إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين من خلقه، يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

أخطر شيء في الحياة :

أيها الأخوة، أخطر شيء في الحياة: أن يعيش الإنسان بلا مبدأ، وبلا هدف، لا يوجد مبدأ يحكمه، ولا توجد قيمة تضبطه، ولا يوجد هدف يسعى إليه.

يعني إنسان يتمتع بكل شيء، لكن له نفسية تدعو إلى التقيؤ، لأنه من شدة الترف صار متكبراً، ومن شدة الترف صار لا يعجبه شيء، ليس له هدف، وليس له عمل، ولا يسعى إلى شيء، ولا يرجو شيء.

يعني مثل بسيط: إذا الإنسان في أيام الحر الشديدة، عبأ حوض الحمام عنده ماء بارد، وجلس فيه، يعني إذا كان

قعد فيه ساعتين, ثلاثة, يصبح مرتاحاً؟ حسناً: يصبح بعد ذلك تاجراً كبيراً؟.

يعني: الاستمتاع ليس له مردود مستقبلي أبداً, أما العمل الدؤوب, والسعي: هذا يصنع الرجال.

فهناك الإنسان يعيش للمتعة فقط, ليس له هدف, طبعاً: هو بالتعبير الشامي الشائع: حمار شغل, يعني ثماني ساعات, خمسة أيام عمل مرهق, وعندك يومان؛ يوم يرتاح, ويوم يفلت, مثل الدابة الفلتانة, يوم يرتاح, يوم يفلت, هذا نموذج الإنسان الشارد, البعيد عن الله عز وجل.

متى يعرف الإنسان قيمة بلده؟ :

الإنسان لا يعرف قيمة بلده, قيمة المجتمع المسلم, قيمة النظافة الأخلاقية, قيمة أنه يوجد جوامع تُؤدى فيها الصلوات, قيمة الأذان, أحياناً لا يعرف هذا, إلا إذا غادر بلده إلى بلد آخر.

من هنا قال الإمام الشافعي: من لم يُعهد منه سفر, لم يُعهد منه علم.

السفر يوسع الآفاق, وتعرف ما عندك من ميزات, وتعرف ماذا ينقصك؟ يعني يعطيك حجمك الحقيقي؛ تعرف الإيجابيات, وتعرف السلبيات, تعرف ما نحن عليه, وما ينبغي أن نكون عليه, وما هم عليه, وكيف هم على ذلك.

دعوة رجاء :

أرجو الله سبحانه وتعالى: أن يجعل النهاية لنا, لأنه من يضحك أخيراً, يضحك كثيراً, ومن يضحك أولاً, يبكي كثيراً:

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:104]

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:105]

﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:106]

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:107]

﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:108]

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:109]

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:110]

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:111]

هل تدبرت هذه الآيات في لحظة من حياتك؟ :

يوجد آية تقول:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:34]

من يضحك أخيراً، يضحك كثيراً، ومن يضحك أولاً، يبكي كثيراً، والآية الكريمة تعيد التوازن:

﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾

[سورة آل عمران الآية:196]

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران الآية:197]

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية:42]

قصة هذه المقالة :

أيها الأخوة، هذه بعض المخاطر التي وردت علي وأنا في هذه البلاد البعيدة، رأيت كيف أن الإنسان يستمتع بعقله دون قيم تحصنه، ودون مبادئ تهديه إلى سواء السبيل، والإنسان حينما يغفل عن الله هو في معيشة ضنك، وإذا سعد هؤلاء بإعراضهم عن الله فهذا من سابع المستحيلات، لأنه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه الآية:124]

وآلامهم النفسية تدعوهم إلى الطعام، إلى الشرب، وفراغهم من مبدأ، ومن هدف، يدعوهم إلى تنويع المتع، فالمرأة من لها؟ بقي لها الطرف الآخر.

لا تغفل عن هذه النعم :

يعني الشيء الذي لا يصدق: أن الشخصيات كبيرة جداً هناك، مصابون بالشذوذ، أغرب شيء سمعته في حياتي: وزير بريطاني في الوزارة الحالية، وزير الصحة البريطاني في مؤتمر صحفي قال: أنا شاذ، فهذا الوزير مهمته صون صحة الشعب البريطاني، هو شاذ نفسه، هو نفسه معرض لمرض الإيدز لأنه شاذ.

فنحن في نعم كبيرة، هذه النعم لا نعرفها، لأننا نعيشها، ونألفها، أما إنسان له زوجة، له أولاد، علاقة نظيفة؛ له أخوة مؤمنون، له مسجد، له مرجع، يعرف هدفه، في جنة تنتظره، خطه البياني صاعد، هدفه الكبير هو الله عز وجل، هذا شيء مفقود كلياً في العالم الغربي، والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {101-119} : أحاديث شريفة عن الصيام والقيام وصلاة الصبح والعشاء

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 20-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

رسالة رمضان :

أيها الأخوة الكرام:

سأبدأ الدرس بأربعة أحاديث شريفة, صحيحة, تتعلق بهذا الشهر الكريم؛ الحديث الأول:

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً, غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

((من قام رمضان إيماناً واحتساباً, غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

((ومن صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي, ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

يعني: أنتم أمام فرصة منحت لكم من قبل الله عز وجل: أن تفتحوا مع الله صفحة جديدة في هذا الشهر الكريم؛ فمن قبل صيامه, وقبل قيامه, كان عتقاً من النار, والله سبحانه وتعالى:

﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ لِبَاسِكُمْ وَلِيُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ لِبَاسِكُمْ وَلِيُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ لِبَاسِكُمْ وَلِيُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:27]

وحيثما يأتي رمضان: تصفد الشياطين، ومعنى تصفد الشياطين: أن المؤمنين بطاعتهم، واستقامتهم، وتوبتهم، وإقبالهم، والتزامهم بالأمر والنهي، أبطلوا عمل الشيطان.

ما الفرق بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان؟ :

أيها الأخوة الكرام، من الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح البخاري، قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

(ثلاثٌ من كُنْ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوة الإيمان -هناك فرق بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان؛ حقائق الإيمان: تقرأ كتاباً عن الإسلام، تكتسب منه حقائق الإيمان، تستمتع إلى درس علم متعلق بالإيمان، تكتسب منه حقائق الإيمان، تجلس في مجلس، تستمتع إلى خطبة ممتعة، تكتسب من هذه الخطبة بعض حقائق الإيمان، حقائق الإيمان قناعات، وأفكار تستقر في الذهن، والإنسان ليس الذي يُحركه قناعاته، ولكن حلاوة الإيمان.

شيء آخر: حقائق الإيمان تُكتسب بالسمع والقراءة، بينما حلاوة الإيمان ثمرة يانعة من ثمرات الاتصال بالله عز وجل، الذي يشد الناس إلى الدين ليست حقائق الإيمان فحسب بل حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان بمتناول أي إنسان، بشرط أن يطيع الواحد الديان.

النوع المقبول من الصيام :

أيها الأخوة، أدنى نوع من أنواع الصيام: ترك الطعام والشراب، النوع المقبول: ترك كل ما نهى الله عنه.

لذلك من أدعية رمضان: اللهم أعنا على الصيام والقيام، وعض البصر وحفظ اللسان.

فالضبط الكامل، وفي مشكلة بالصيام: هو أنك في الصيام تدع المباحات، تدع الطعام والشراب، فإن لم تدع المعاصي والآثام اختل التوازن، تترك المباح خوفاً من الله، فكيف تقترف بعض المعاصي؟ كيف تغتاب؟ كيف تنتظر إلى ما لا يحل لك؟.

هذا الذي ذاق حلاوة الإيمان :

حلاوة الإيمان شيء، وحقائق الإيمان شيء آخر، ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً-.

ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، -كيف؟.

طبعاً: يوجد عندنا حب نفسي وحب عقلي، لما الإنسان يمرض، ويكون بحاجة إلى دواء مهم جداً، والدواء مر، حينما يشتري الدواء، ويأكل الدواء وهو مر، إنه لا يحب هذا الدواء، ليس حباً نفسياً ذوقياً، ولكنه حب عقلي، لأن هذا الدواء سيشفيه من مرضه المستعصي.

فالإنسان يحب أحياناً، أحياناً: إنسان يجلس بمكان، بديكان ضيقة جداً، والحر شديد، أما في موسم جيد جداً؛ ينسى أن يأكل، ينسى أن يستريح، مرتاح نفسياً، هو يحب هذا المحل حباً عقلياً، لأنه يدر عليه أرباحاً طائلة. إذاً: أن يكون الله ورسوله: يعني الله؛ يعني أوامر الله في القرآن الكريم: الأمر والنهي، ورسوله: سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

يعني: النص الشرعي كتاباً كان أو سنة، هذا الأمر الإلهي، أو ذلك النهي الإلهي، إذا كان تنفيذه تنفيذ الأمر، وترك النهي، أعلى عندك من مصالحك، ومن رغباتك، ومن نزواتك، الآن يسمح الله لك أن تذوق حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان ثمنها: طاعة الواحد الديان.

ما موضوع هذا الحديث؟ :

فيقول عليه الصلاة والسلام:- ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

-الحقيقة: الإنسان -أحياناً- يقول لك: أنا الحمد لله أنا تزوجت، والزواج سنة، هناك أعمال كثيرة يأمر بها الدين، لكنها تتوافق مع رغبة النفس.

الحديث هذا ليس هو موضوعه، حين التعارض، حينما تتعارض مصالحك مع النص الشرعي، أنت مع من؟ هل تؤثر دنياك على آخرتك فتخسرهما معاً؟ أو تؤثر آخرتك على دنياك فتربحهما معاً؟ عند التوافق لا يوجد مشكلة

أبداً، لا يوجد مشكلة.

أحياناً الإنسان: يعمل عمرة في الشتاء، يركب طائرة، ينزل في فندق خمس نجوم، يدعى إلى ولاءم نفيسة، يعمل طواف سبعة أشواط، وسعي، ويقص، وانتهت العمرة، ويأتي معه الهدايا، والاستقبال، عملنا عمرة الحمد لله، هذه تتوافق، تتوافق مع رغبة النفس، قضية سهلة جداً تزوجنا.

في أعمال كثيرة يأمرك بها الدين، وتتوافق مع رغبة النفس، أما الحديث يتعلق بشيء آخر: حينما تتعارض مصالحك مع النص الشرعي، أنت مع من؟ مع مصالحك أم مع النص الشرعي؟ مع ما يرضي الله أم مع ما يرضي زوجتك؟ مع ما يرضي الله أم مع ما يرضي شريكك؟ مع ما يرضي الله أم ما يحقق مصلحتك؟.

إذا كان الله في قرآنه: الأمر والنهي، والنبي في سنته: افعل أو لا تفعل، أحب إليك -حباً عقلياً- مما سواهما، ذقت حلاوة الإيمان، ومن ذاق حلاوة الإيمان عرف.

أصحاب النبي عليهم -رضوان الله عليهم- ذاقوا حلاوة الإيمان، فباعوا أنفسهم في سبيل الله، بذلوا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس في سبيل الله.

من علامة الولاء والبراء :

الحديث-: ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَّ بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، -البند الثاني- : وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله -أنت مع من؟ مع الأقوياء أم مع المؤمنين؟ إن كنت مع الأقوياء، ومع الأغنياء، فأنت لا توالي الله ورسوله، المؤمن يوالي أهل الإيمان، ويعادي أهل الكفر والعصيان.

فهذا الذي لا يصلي، لا يصوم، لا يفعل شيئاً في طاعة الله، لو أعطاك شيئاً نفسياً هل تحبه؟ علامة الولاء والبراء: أن تبغض منحرفاً ولو أعطاك، وأن تحب مؤمناً ولو منعك، هذا الولاء؛ أن تحب المؤمنين ولو كانوا فقراء، ولو كانت حياتهم خشنة، ولو كانوا مغلوبين على أمرهم، وأن تكره الكفر والفسوق والعصيان ولو كان الكفر قوياً، مارداً، جباراً، في أعلى درجات التألق، والقوة، والوجاهة، المؤمن الصادق يوالي أهل الإيمان، ولا يوالي أهل الفسوق والعصيان.

أحياناً الإنسان: تأتيه دعوة، إذا لبأها فتليبتها من الدنيا، وقد تأتيه دعوة من فقير مؤمن، إذا لبأها فتليبتها من

نقطة دقيقة :

فالبنء الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما, دائماً دقق, وتأمل, ودقق في تصرفاتك: أنت مع مصلحتك أم مع النص الشرعي؟.

يوجد أناس كثيرون, إذا كانت مصلحته تتحقق بالمحاكم, يقول لك: أخي نحن نعيش في بلد؛ فيها قوانين, وفيها أنظمة, أريد أنا القضاء, إذا كان يسكن في بيت, لا يخرج منه صاحبه, محمي بقانون الإيجار, يقول لك: أريد الشرع, وفق مزاجه؛ إن وجد مصلحته تتحقق يريد الشرع, وإن كانت مصلحته تتحقق بالقانون يريد القانون, هذا الأسلوب الملتوي, هذا لا يُرضي الله عز وجل؛ أنت مع الشرع, أنت مع الحق, ولست مع غير الحق, فإذا واليت أهل الإيمان, واليت أمر الله, دقق في هذه الآية:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب الآية:36]

أحياناً: يكون الزواج في بلد غربي, إذا المصلحة أن يتم ضمن المركز الإسلامي, يتم بالمركز الإسلامي, أما إذا كان في طلاق, تُرفع القضية لقاضي أمريكا, لأن الزوجة تتقاضى نصف أملاك زوجها عند ذلك, فأين الولاء بقي؟ أين الولاء للدين؟.

أنا حينما أحتكم لقاض ليس مسلماً, من أجل أن آخذ نصف مال زوجي, هذا الذي نعينه بقول النبي الكريم: يجب أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما-, وأن تحب المرء لا يحبه إلا الله.

خاتمة القول لهذا الحديث :

((وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقي في النار))

يعني: هو في الأعماق لا في الشاطئ؛ في أعماق البحر, وفي أعالي الجبال, أما هذا الذي:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

[سورة الحج الآية:11]

هذا لا يكره أن يعود في الكفر, كما يكره أن يلقى في النار.

دعوة رجاء :

أرجو الله سبحانه وتعالى: أن يكون رمضان من أجل أن نذوق حلاوة الإيمان, وأن يكون رمضان عتقاً لنا من النار, وأن نحسن صيامه وقيامه, عندئذ نفتح مع الله صفحة جديدة, عقب نهاية هذا الشهر, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-102} : التعاون

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 22-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

لم الأمر في القرآن الكريم يقتضى الوجوب, ومتى يصرف عن الوجوب؟ :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم-, عقد باباً سماه: باب التعاون على البر والتقوى.

فالآية الكريمة -أيها الأخوة-:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

[سورة المائدة الآية:2]

بادئ ذي بدء: كل أمر في القرآن الكريم يقتضى الوجوب؛ لأنه كلام خالق السموات والأرض, لأنه كلام المعبود بحق, لأنه كلام الخبير, لأنه كلام العليم, لأنه كلام الكريم, كلام الرحيم:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

[سورة المائدة الآية:2]

الإنسان -أيها الأخوة- له طبع, ومعه تكليف؛ طبعه فردي, والتكليف:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

[سورة المائدة الآية:2]

فأنت تتعاون مع أخوانك، وتتضامن معهم، وتعينهم، وتصلح حالهم، وترعى صغيرهم، وترحم كبيرهم، وتعطي فقيرهم، وتشفي مريضهم بقدر طاعتك لله، وتتخلى عنهم، وتنتمي إلى ذاتك بقدر تفلتك من منهج الله؛ فالطبع فردي، والتكليف، والتعاون، العلماء قالوا:

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك.

من أوامر القرآن الكريم :

الله عز وجل قال:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[سورة الكهف الآية:29]

هذه اللام: لام الأمر، هل يعقل أن يأمرنا الله بالكفر؟ مستحيل، هذا أمر اسمه تهديد، يعني عملها ولسوف ترى، أمر تهديد، وفي أمر ندب:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾

[سورة النور الآية:32]

إذا شخص لم يتمكن يتزوج آثم؟ لا، أمر ندب، وفي أمر إباحة:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

[سورة البقرة الآية:187]

هذا أمر إباحي، وفي أمر وجوب:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

[سورة النور الآية:56]

ففي أمر وجوب, أمر إباحة, أو ندب, أو تهديد, ما لم تقم قرينة على خلاف الوجوب, فكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب.

من لوازم التعاون كما تقتضيها هذه الآية :

الأمر:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

[سورة المائدة الآية:2]

تعاونوا: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة.

التعاون حيادي, معنى حيادي: يمكن أن يكون على الشر, كما تعاونت بريطانيا مع أمريكا على قصف العراق, تعاونوا, في تعاون على الشر, لذلك قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة الآية:2]

الإثم معصية, والعدوان انتهاك حرمت الآخرين, فهذه الآية أصل, أنت مأمور بالتعاون على شئين, منهي على شئين؛ مأمور بالتعاون على صلاح الدنيا وصلاح الآخرة, البر صلاح الدنيا, والتقوى صلاح الآخرة؛ يعني إذا مشروع خيري, إنشاء مستشفى, تأمين بيوت للسكن للشباب, تأمين فرص عمل مشروع إنتاجي, جمعية خيرية, جمعية تعاونية, مستشفى خيري, مستوصف خيري, يعني شيء يحل مشاكل المسلمين: أنت مأمور فيه:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة الآية:2]

تعلم القرآن, زين الشرع, زين سر وجود الإنسان في الأرض, فأنت مكلف أن تتعاون على البر والتقوى, منهي أن تتعاون على الإثم والعدوان؛ المعصية, والعدوان, انتهاك الحرمات.

من هو الخاسر في هذه الآية، وكيف المخرج؟ :

وكما هي عادة الإمام النووي: يفتح باب كل أبوابه في رياض الصالحين ببعض الآيات؛ الآية الثانية:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

لو فرضنا مستورداً كبيراً، استورد صفقة بمئة مليون، باعها بثلاثمئة مليون، عمل ربحاً خلال جمعيتين مئتي مليون، ممكن يكون ألا يعد رباحاً في نظر أهل الأرض؟ الذي ربح شهراً مئتا مليون، لا يوجد عنده مشكلة؛ ارتفاع الأسعار،

غلاء اللحم، غلاء البنزين، كله ليس مطلوب، لأن أرباحه كبيرة جداً، تمتص أي غلاء أسعار، هذا الإنسان الذي ربح مئتا مليون في شهر، أليس رباحاً؟ هو في نص هذه الآية خاسر:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية:1]

-الله يقسم:-

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية:2]



[سورة العصر الآية:3]

أنت خاسر إلا؛ خاسر وأنت تاجر, خاسر وأنت في أقوى مركز, خاسر وأنت شاب, خاسر وأنت غني, خاسر
وأنت ذكي, خاسر وأنت عاقل, خاسر وأنت متفوق, هكذا الآية:



[سورة العصر الآية:2]

-مطلق الإنسان:-



[سورة العصر الآية:2]



[سورة العصر الآية:3]

يعني: ما لم تتفق الوقت في معرفة الله, وطاعته, والدعوة إليه, والصبر على كل ذلك فأنت خاسر, لذلك: تواصلوا
بالحق, وتعاونوا على البر والتقوى.
كل إنسان يتوقع في مصالحه, وهذا سلوك معظم الناس.

شعار الإنسان اليوم :

سيدنا عمر -رضي الله عن عمر-, أدخل شاعراً السجن, اسمه الحطيئة, أدخله السجن لبيتين من الشعر, نقاد
الأدب قالوا: هذان البيتان, أهجا ما قالته العرب.

لكن قد تفاجؤون: أن هذين البيتين, اللذين هما أهجا ما قالته العرب, شعار كل إنسان اليوم. قال له:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

بريكم, إذا الإنسان دخله كبير, بيته مريح, مركبته فارهة, لا يوجد عنده مشكلة, يعني حقق الهدف من حياته, لذلك: يعد نفسه غير عاقل, لو بحث قضية عامة, أو عاون الناس, اجلس في بيتك مرتاحاً لا ينقصك شيئاً؟. فهذان البيتان اللذان دخل من أجلهما السجن صاحبهما, هما شعار كل إنسان:

دع المكارم لا ترحل لبغيثها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قف هنا :

هنا:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية:3]

فما لم تتفق وقتك في معرفة الله, وطاعته, والدعوة إليه, والصبر على معالجته, وعلى قضائه وقدره فأنت خاسر, وتحدث عن أرباحك ما شئت, وتحدث عن أموالك ما شئت, لأن الموت ينهي كل شيء؛ ينهي قوة القوي, ينهي ضعف الضعيف, ينهي غنى الغني, ينهي فقر الفقير, ينهي ذكاء الذكي, ينهي غباوة الغبي, ينهي وسامة الوسيم, ينهي دمامة الدميم, ينهي كل شيء.

هذه قضية الإنسان :

الإنسان كل ما يملك في الدنيا على ميلي وريع, قطر الشريان التاجي للقلب, أبداً , لو ضافت هذه اللمعة سلسلة من المتاعب لا حصر لها؛ البالون, والراصور, والمذئب, وزرع الشريان؛ القنطرة خمسة وثلاثون ألف, لنرى ما هو الأول؟ كم واحد مسدود؟ بعد ذلك: البالون مئة وخمسون, الراصور خمس وثمانون, تبديل الشريان أربعمئة وخمسون, حسناً: كل عظمة الإنسان على ميلي وريع فقط؟ ميلي وريع الشريان التاجي, إذا ضافت اللمعة, الحياة متعبة جداً, وكل عظمة الإنسان على سيولة الدم, إذا صار لزج, وعمل جلطة, مشكلة كبيرة جداً, وكل عظمة الإنسان على نمو الخلايا, إذا فلتت -والعياذ بالله- انتهى.

فلذلك الإنسان الرابع: هو الذي يعمل لما بعد الموت.

الليل والنهار يعملان فيك, فاعمل فيهما.

اعرف مقدار هذه الآية وخطورتها :

من أجمل ما قال الإمام الشافعي في هذه السورة, قال: إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة.

الآن أكثر الناس: ماذا يصلون؟

﴿والعصر إن الإنسان﴾

أكثر الناس يختارون الصور القصيرة, أخي من كثرة ما يقرؤها في الصلاة, لم يعد لها معنى عنده أبداً, ولا يفكر في معناها إطلاقاً.

مرة أناس يجلسون في التعزية, قال القارئ:

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾

شخص قال: الله يجعلنا منهم, لا يعرف ماذا يقرأ القارئ, يقرأ:

﴿والعصر﴾

يمكن لا يوجد شخص من أخواننا الكرام, لم يقرأها مئة ألف مرة في الصلاة, أما هذه أخطر سورة هذه.

الله عز وجل يقسم بالعصر, إنك خاسر, لأن مضي الوقت يستهلك الإنسان, مضي الوقت فقط, أما من وقت ما وعيت على الدنيا, أسمع بالمنجد رحمه الله, جاء يوم مات, أليس كذلك؟ من وقت ما وعيت, شكله هو هو, رحمة الله عليه, سافرت وأمريكا رجعت, قالوا لي: والله توفي في غيابك, ما عرفت رمضان من دون منجد, أليس كذلك؟ مات, ملف وانطوى, انتهى, بقي عمله فقط.

في قراء القرآن الكريم ماتوا, أصواتهم مستمرة, وفي مغنين ماتوا, وأصواتهم مستمرة, وأخطر عمل إيجابياً أو سلباً: هو الذي يستمر بعد وفاته, أخطر عمل؛ لك دعوة, لك علم نشرته بين الناس, لك أعمال جلييلة, عملت ميثماً, مستشفى, جمعية خيرية, معهداً شرعياً مستمراً, هذا أعظم عمل, عمل مستمر.

((إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له))

من جمالية هذا الدين :

أيها الأخوة، أجمل ما في الدين: أن الله عز وجل يعطي ثواباً مثل ثواب فاعل الخير، إذا دلت على الخير.

فمن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال:

((من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا -معقول!! هو جهز غازياً، قال: فقد غزا.

الآن: طالب علم في الشام؛ تركي، أفريقي، من باغستان، آويته ببيت، عاونته على رمضان، أمنت له ثياباً على العيد جديدة، هو طالب علم، سوف يرجع خطيباً إلى بلده، إذا اعتنيت به في الشام، كأنك نلت أجره نفسه، هكذا الله ...

((يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من الدنيا وما فيها))

إذا أنت هديت إنساناً، كل أعماله في صحيفتك، تبنيت طالب علم، كل أجره لك، جهزت غازياً وصار شهيداً، لك نصف أجر شهادته، هكذا كرم الله عز وجل، ربيت ابناً تعبت فيه فصار داعية كبيراً، كل دعوته لك.

هذا فضل الله :

نحن لا يوجد عندنا في الدنيا: تدل شخصاً على تجارة مثلاً، تقول له: والله اعمل بالخيال، كلمة تكلمتها، فعمل بالخيال، ربح مئة مليون، قال لك: ومئة مليون ثانية لك، أليس أنت قلت لي: اعمل بالخيال؟ هذه من يفعلها؟ هذه مستحيلة، عند الله واقعة، إذا دلت على الله، كل أعمال من اهتدى بدعوتك، بصحيفتك؛ جهزت غازياً لك مثل أجره، تبنيت طالب علم لك مثل أجره.

صانع النبل له مثل أجر المقاتل، والملقن له مثل أجر المقاتل، والمقاتل له أجر المقاتل، إن الله يدخل الجنة بصانع النبل، وملقنه، وراعيه.

الصانع، والملقن، والراعي، عملت عزيمة، أنت أمر الصرف، لك أجر كبير، والزوجة طبخت لها مثل أجرك، أولادك هيؤوا الطعام، وفردوا الخيوان، وأمنوا الحاجات، لهم مثل أجرك أبداً.

إذا ضيف جاء لبيت الله، يؤجر صاحب البيت، وزوجته، أولاده، هكذا ترتيب الله؛ تجهز غازياً لك مثل أجره، تتبنى طالب علم لك مثل أجره، تفتح معهداً شرعياً كل من طلب العلم بها المعهد لك مثل أجرهم، تعمل مستشفى كل مريض شفي بهذا المستشفى لك أجر، تعمر مسجداً كل إنسان حضر صلاة وتاب بالجامع في صحيفتك.

ما وراء هذا المثال :

آخر شيء أحب أن أقوله: يعني تصور بلداً لها نظام إيجار خاص، أنا اخترعته اختراع ، مالك البيت يطرد المستأجر في أي ثانية، وبلا سبب، الساعة الثالثة والربع في الليل، يقول له: اخرج، ليس لك معي شيء، عقد لا يوجد عقد، هكذا نظام البلد، ممكن يكون النظام، يعني عندنا حماية كاملة، أما في بلاد، على العقد انتهى الوقت، يخرجونه، أما أنا تخيلت نظاماً آخر:

مالك البيت في أي ثانية مزاجية، وبلا سبب: يطرد المستأجر، هذا المستأجر إذا كان له دخل كبير، محل دخله أنفقه على هذا البيت؛ عمل جبصين، عمل تريات، عمل أبهاء، زخرف، وفي أي لحظة يُطرد من هذا البيت، يكون عاقلاً؟ عنده بيت على العظم له خاص، أنفق كل دخله على تزيين البيت المستأجر، وترك بيته الأساسي من دون عمار، يكون عاقلاً؟ هذا ما يفعله معظم الناس اليوم، كل مكتسباته في الدنيا، يوقف قلبه، لا يوجد معه شيء، ذهب فقيراً على الآخرة، ذهب شحاداً، لأنه هنا حسب نظام الإيجار: في أي لحظة تغادر.

هل فكرت في هذه اللحظة؟ :

دُعينا إلى احتفال مولد في جامع الحنابلة، والله أنا دخلت للمسجد، شخص واقف، يرتدي كحلي، رحب فيني ترحيباً منقطع النظير: أنورت أستاذ، كلام لطيف تكلمه، دخلت جلست، أنا في مكاني، وجدت اضطراباً في الجامع، ماذا حصل؟ قالوا: الذي استقبلك الآن وقع ومات، ذهبنا على أمية، منته، الآن سلم علي، في حالات كثيرة هكذا

يعني: لنا أخ في جامع الطاووسية، والله لا أزكي على الله أحد، لكن والله أظنه صالحاً، له خدمات، وكان يعاون أخوان طلاب العلم، طلع على حمص؛ هو، وامراته، وحماته، وبناته، ماتوا جميعاً، لم يخطر في بالي أن أرجع ولا أجده.

الموت، والموت يأتي بغتة، القبر صندوق العمل، فما دام ممكن في أي ثانية يقول لك: اخرج، مغادر بلا عودة،

وكل شيء تملكه, وضعته في الدنيا, هذا موقن في حمق شديد جداً.

هذا الأحمق :

يقولون أخواننا التجار: اجمع عيالك, وزع مالك.

غير معقول تاجر, يضع كل رأس ماله بصفقة واحدة؛ لو صار في مشكلة, لو مضى موديلها, لو منعوا استيرداها
فرضاً, أو لو أن مشكلة, وزع مالك, واجمع عيالك.

فكل إنسان يضع كل مكتسباته في الدنيا أحمق.

من قدم ماله أمامه, سره اللحاق به-.

خاتمة القول عن هذا الحديث :

((ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

يا جهزته, يا توليت أمر أهله من بعده, كأنك غزيت معه.

أنا سأعيد: من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا, من خلف غازياً في أهله فقد غزا, من تبني طالب علم كأنه تعلم
العلم, من تبني داعية كأنه دعا إلى الله, من أسس مستشفى كان كل من شفي فيها في صحيفته, من بنى مسجداً
ولو كمفحص قطات كل من تاب فيه في صحيفته, من ربي ولداً كل أعمال ابنه في صحيفته, من دعا إلى الله,
من ألف مؤلفاً, من ترك علماً, من أسس معهداً شرعياً, من أسس ميتماً, أبداً. فالله قال:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة الآية:2]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {103-119} : باب النصيحة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 24-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هذه هي عادة النووي :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في كتابه رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين باباً عنونه: بباب النصيحة, وكما هي عادته: يبدأ هذا الباب ببعض الآيات الكريمة. فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

وقال تعالى:

﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾

[سورة الأعراف الآية:62]

وقال تعالى:

﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية:68]

وقال تعالى:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

[سورة المائدة الآية:79]

بنو إسرائيل, استحقوا الهلاك لذنوب واحد: هو أنهم:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

[سورة المائدة الآية:79]

محور هذا الدرس :

الحديث الأول, محور هذا الدرس: عن أبي رقية, تميم بن أوس الداري -رضي الله عنه-, أن النبي -ﷺ- قال:

((الدين النصيحة))

تعريف جامع مانع: الدين النصيحة.

إذا كان الدين يقوم على النصيحة, دوائر الباطل تنقلص, ودوائر الحق تتنامى, أما إذا ترك المسلمون هذه الفريضة السادسة؛ النصيحة, والأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, دوائر الباطل تتنامى, ودوائر الحق تتلاشى. ففضية التواصي بالحق, وفضية النصيحة, وفضية الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر: جزء أساسي من الدين, والنمط الشائع الآن:

أن المسلم يُهمل هذا الباب, فيرى المعاصي على قدم وساق, في كل حذب وصوب, وهو ساكت.

لما أراد الله إهلاك قرية, الملائكة قالوا:

((يا رب, إن فيها رجالاً صالحاً, قال: به فابدؤوا, قالوا: ولم؟ قال: لأنه كان لا يتمعر وجهه إذا رأى منكراً))

وحيثما قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

[سورة هود الآية:117]

يهلكهم إذا كانوا صالحين, لكن لا يهلكهم إذا كانوا مصلحين, وفرق كبير بين الصالح والمصلح؛ الصالح بذاته, أما المصلح لغيره.

اعلم علم اليقين :

لا بد من أن نعلم علم اليقين: أنك إذا لم تحمل هموم المسلمين, ولم تعباً بانحراف المسلمين, ولم تعباً بالفتن المستعرة في بلاد المسلمين, ولم يهتك أمر المسلمين, فأنت لست مسلماً.

من لم يتفقد شؤون المسلمين فليس منهم.

ف

((الدين النصيحة))

لا بد من أن تتصح.

موقف فيه نصيحة :

اسمحو لي, قصة أروبيها لكم باللغة الدارجة: سائق تكسي على خط بيروت, ينتظر ركاباً, جاءه شاب وشابة, قالوا له: انتظر قليلاً, ستأتينا محفظة, انتظر, يبدو أن الذي سيأتي بها تأخر, فهذا السائق يعني تأفف وضجر, بعد حين جاء رجل عمره سبعون سنة, يحمل محفظة, فهذا الشاب ضربه على صدره, لماذا تأخرت -قال له-؟ أخذ الحقيبة, وانطلقت السيارة, بعد ما قطع السائق حوالي يعني عشرة كيلو متر, سمع الفتاة تقول لزوجها: معقول تضرب أباك؟! فالسائق توقف, قال له: هذا أبوك؟ انزلا, الآن نعمل حادث.

يعني هذا الموقف البسيط: أن السائق غضب, وطرد الركابين, أعطاهم أموالهم, انزلا, الآن نعمل حادث.

إنسان ثان قال لي: أنا سبب تويتي سائق تكسي، اشتريت خمرًا -يمكن بيرا- أوقفه، وقف معه، لمح السائق البيرا، وقف، قال له: انزل، وكان في أزمة مواصلات حادة، قال لي: بقيت ساعتين، لا أحد يركبني، شعرت باهانة، وتبت من يومها.

ما خيرية الأمة المسلمة، ومتى تفقد هذه الخيرية؟ :

أنا أسوق لكم قصة بسيطة؛ لا تحتاج إلى علم، ولا تحتاج إلى ثقافة عالية، لو رأينا إنسان سب الدين ننهاه، وقفنا أمامه، إنسان ضرب طفلاً مثلاً، تدخلنا، أما ليس لنا دخل، ليس لنا دخل، ليس لنا دخل، تجد الشخص يظهر أسوأ ما عنده، والجميع صامتون، تأتي الفتاة إلى عند عمها، تلبس ثياباً فاضحة، كيف حالك؟ مشتاقون لك، طال غيابكم، وثيابها لم تتكلم عليها ولا كلمة، وأنت عمها، ولا كلمة تتكلم؟!:

﴿كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوا﴾

[سورة المائدة الآية:79]

إذا ألغي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذا ألغيت النصيحة -دققوا الآن-: ألغيت خيرية هذه الأمة،
الدليل: قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

[سورة آل عمران الآية:110]

علة هذه الخيرية:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية:110]

فإذا كففنا عن أن نأمر بالمعروف، وعن أن ننهي عن المنكر، فقدنا الخيرية، وأصبحنا أمة التبليغ لا أمة الاستجابة، وليس لنا أية ميزة عند الله، ما دام أمر الله هان علينا، هنا على الله.

هذا واقع العالم الإسلامي اليوم :

أيها الأخوة، أنتم ترون ما يجري في العالم الإسلامي، ترون كيف أن العالم الإسلامي أصبح مضطهداً، يعني يُقصف لأسباب تافهة.

يعني سمعت خبراً، آلمي جداً جداً: أن مجلس الدول بروسيا، وجه رسالة إلى مونيكا - هذه عشيقه كلينتون- يطالبها فيه أن تتدخل بإيقاف القصف.

إذا كان العالم الإسلامي تحت رحمة مونيكا، اقرأ على هذه الأمة السلام، هان أمر الله علينا -دققوا فيما أقول- هان أمر الله علينا، فهنا على الله؛ أين التاريخ الإسلامي؟ أين الأمجاد الإسلامية؟ أين الرايات الإسلامية التي تترف خافقة في أطراف الدنيا؟.

لما كنا مع الله، كان الله معنا، لما تخلينا عنه، تخلى عنا، وكلنا إلى أنفسنا.

كلمة رمضان :

فيا أيها الأخوة:

((الدين النصيحة))

نحن في رمضان، أنا لا أقول لك: وقف في الطريق، نبه النساء الكاسيات، لا، هذه فوق طاقتك، والله لم يكلفك بهذا الشيء؛ لكن ابنة أخيك -أنا أقول لك- ابنتك، زوجتك، ابنة أخيك، هذه التي تمشي في الطريق بـرمضان، هذه ليس لها أب؟ ليس لها أخ؟ ليس لها زوج؟ ليس لها ابن؟ ألا يغارون عليها؟.

من الملاحظ :

الآن تلاحظون: كم دعاية يوجد في الطرقات، كلها بثياب فاضحة، هذا الذي يرسل هذه الدعاية في رمضان، ألا يخشى الله؟ ألا يحسب حساباً للمسلمين؟ إطلاقاً، فكانوا لأنه لا يوجد تناصح، لا يوجد تناصح، إذا كل إنسان وقف موقفاً إسلامياً بأدب، لم يقبل أن يعمل عملاً فيه خطأ، فنكون بحال غير هذه الحال، أما المنكر مستشر، والنساء كاسيات عاريات، والناس يرتكبون كل الموبقات، تحت سمع أقربائهم المسلمين، تحت سمع

أقربائهم, إذا كان ظهر من نصيحتك فتنة أشد من المنكر الذي تتكره, لم يكلفك الشرع, أنكره بقلبك.

نصيحة للبيت المسلم :

أنا أتكلم ضمن بيوتنا, هذا إذا شخص نصح ابنته, يوجد من يحاسبه؟ ينشأ منها فتنة؟ نصح ابنته, نصح زوجته, نصح ابنه, ضمن البيت, إذا فتح محلاً تجارياً, ولم يترك فيه منكراً, يوجد إنسان يحاسبه؟ إذا كان صادقاً, لم يضع فيه صوراً فاضحة محله التجاري, ولا سيما الألبسة النسائية, تجد صوراً فاضحة في المحلات, والظهر يصلي في المسجد, أحب أن يعمل دعاية.

في معامل يعني اتجاهها إسلامي, عملت دعاية, لكن لا يوجد فيها نساء, أما امرأة شبه عارية, تعمل دعاية لمعمل, مسلم يصلي أول صف, لا تصح هذه:

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

[سورة المائدة الآية:79]

هذا المسلم اليوم :

قال لي شخص -والله يصلي في أول صف في جامع من جوامع دمشق-, قال لي: والله عندنا مطعم, والحمد لله أرباحنا جيدة, يبيع خمرًا, لكن في رقبة شريكه إن شاء الله, ليس لي دخل, كيف تمد يدك, وتأخذ الربح؟ قال: في رقبة شريكه, مطعم يبيع خمرًا.

إذا المسلمون بهذا المستوى, هان أمر الله عليهم, فهانوا على الله, أنا أطلبكم في بيتك, وعملك فقط, لا يوجد ولا مشكلة, لا يمكن أن يظهر من هذا مشكلة, ضمن بيتك وعملك, إذا كل إنسان أقام الإسلام في بيته, وفي عمله, والله كنا في حال غير هذا الحال.

يوجد في أمريكا ثمانية ملايين مسلم, أقسمت بالله: لو أن مليوناً واحداً طبق دينه, لكانت أمريكا مع المسلمين, مليون فقط, لا يوجد تطبيق أبداً, كله زعبرة, كلام فارغ, طقوس.

اليوم قلت لشخص كلمة, قلت له: الإسلام تقريباً مئة ألف بند, المسلمون مسخوه إلى خمسة بنود فقط؛ صوم,

ف

((الدين النصيحة))

يجب أن تقيم الإسلام في بيتك أولاً، وتقيمه في عملك ثانياً، نكون في حال غير هذا الحال، المطر واقف، يعني الأرقام لا تعرفونها أنتم، إذا نريد أن نشترى علفاً للماشية استيراد، إذا لا يوجد موسم، نحتاج إلى خمسة آلاف مليون، أرقام الغذاء مخيفة، مخيفة أرقام الغذاء، علف للماشية فقط، إذا لا يوجد موسم، كل موسم نحن نصدر ثلاثة ملايين طن قمح، نستهلك مليون، ونبيع مليونين، يجلسون معنا، إذا لا يوجد موسم، نستورد القمح، نستورده. فقضية المطر: قضية خطيرة جداً:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾

[سورة نوح الآية:10]

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾

[سورة نوح الآية:11]

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾

[سورة نوح الآية:12]

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

[سورة نوح الآية:13]

﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾

[سورة نوح الآية:14]

فإذا الناس ما وقروا ربهم, ما وقروا أمره, تخلى الله عنهم.

أقم الإسلام فيما تملك, يكفك ما لا تملك:

فيا أيها الأخوة الكرام, الإنسان يجب أن يخرج من ذاته, الأقرب فالأقرب, إذا يوجد عندك موظفين في المحل, يهتمك أمر صلاتهم؟ صليتم؟ يحاسبهم على الدوام فقط, يحاسبهم على العمل, أما لا يهتمهم صلاتهم؛ اهتم بصلاة موظفيك في المحل فقط, اهتم بصلاة أهلك, اهتم ببيتك وعملك فقط, لست مكلفاً تتكلم كلمة, ولا تتدخل بشيء, لكن نحن بيوتنا في خطأ. الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد الآية:11]

في قوى مخيفة, قوى مخيفة, متحكمة بالمسلمين, معهم أسلحة فتاكة, وقساء, وحوش, ونحن يوجد لنا كرة نملكها, الآن دقق: إذا أقم الإسلام فيما تملك, كفاك ما لا تملك, أقم الإسلام فيما تملك, يكفك ما لا تملك, انكفىء إلى بيتك, انظر: في مخالفة, في شيء حرام, في جهاز يلهي عن ذكر الله, في متابعة لأعمال فنية تحجبك عن الله عز وجل, في خروج للبنات أو الزوجة خلاف منهج الله عز وجل, في دخل غير صحيح, في إنفاق غير صحيح, كل شخص يعمل مراجعة لبيته؛ أدى زكاة ماله, وصل الأرحام, تقعد أخوانه, أنت قم بالذي عليك.

قف هنا :

مرة طلع أحد الخلفاء يخطب العيد, قبل صلاة العيد, فأحد التابعين أمسكه من طرف ثوبه, وقال له: هذا ما فعله النبي!! تابع, إنسان ثان علق تعليقاً رائعاً, قال: أما هذا فقد أدى الذي عليه. فأنت أد الذي عليك, فإذا لك بنات أخت, انصحهم فقط, نصيحة.

((الدين النصيحة))

يا بنيتي! اللباس لا يتناسب مع ديننا, ولا مع أخلاقنا, ولا مع مكانة أبيك, هذا ثياب أهل الكفر.

((الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين ولعلمائهم))

أول فقرة، والثانية، والثالثة، والرابعة؛ لله: انصح الناس بقراءة كتاب الله، وانصحهم بتقهمه، وانصح بتدبيره، وانصح بتطبيقه، ثم انصح الناس بمعرفة الله من خلال الكون، ومن خلال كلامه، ومن خلال أفعاله، وانصحهم بطاعته، وانصحهم بمحبته، انصحهم بالإقبال عليه.

ولرسوله: انصحهم بمعرفة سنة النبي وتطبيقها، وانصحهم أن يقتدوا بالنبي في أفعالهم وأقوالهم، هذه معنى: لله، ولكتابه، ولرسوله.

ولأئمة المسلمين: ممكن تتصح بأدب.

يعني الإنسان: إذا كان هو موظف عند مدير دائرة، مدير الدائرة -مثلاً- في عمل خلاف الإسلام، بكل أدب انصحه فيها، لك أجر؛ وقد يستجيب، وقد يشكرك على هذا، وقد ترتفع عنده، هذا خلاف الدين، هذه لا تجوز مثلاً.

ولعلمائهم: انصح العوام.

طرفة :

مرة، طرفة هي، ذكر لي أخ: أن البراد إذا كان إنسان اشتراه، ونقله بشكل أفقي، بعد ذلك أوقفه وشغله، يحترق المحرك، يجب أن يتركه ثماني ساعات على الواقف، بعد ذلك أشعله.

مرة رأيت إنساناً، اشتري براداً من المؤسسة من الحريقة، يبدو فقيراً جداً، وضعه في الهوندا ويريد أن يذهب، قلت أنا: الآن يذهب إلى البيت، من فرحه فيه يوقفه، يضع الفيش، يحترق المحرك، ليس له أهمية؛ من شكله، من هيئته، ليس لديه قدرة أن يشتري محركاً جديداً، والله انتقلت من رصيف إلى رصيف، قلت له: البراد تتركه ثماني ساعات على الواقف، لا تشعله، قال لي: جزاك الله خيراً.

مهمتك الآن :

اخرج من ذاتك, مثل بسيط, لا يقدم ولا يؤخر, مثل بسيط, نبه الإنسان, والإنسان الراقى إذا إنسان نبهه, يقول:
جزاك الله خيراً, لا ينزعج منه.
يعني: وجدت بالصلاة في خطأ مثلاً, وجدت في أثناء الركوع لم يكن في اطمئنان, النبي نهانا عن ذلك, انصح
الناس بأدب.

((من أمر بمعروف, فليكن أمره بمعروف))

يعني دائماً الإنسان: يتكلم بلطف؛ فهذا الدين نصيحة, دين خروج من الذات, دين خدمة الخلق, وكلما كنت
لطيفاً, كلامك مقبول أكثر, واللفظ سبيل فعال لوصول النصيحة.
أرجو الله سبحانه وتعالى: أن ينفعنا بما علمنا, والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تَوَثِّرْ علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {104-119} : النصيحة 2

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 27-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما يتميز به المؤمن :

أيها الأخوة الكرام:

في الدرس الماضي: تحدثت عن النصيحة, وكيف أن الدين كما عرفه النبي -عليه الصلاة والسلام- تعريفاً جامعاً مانعاً, قال:

((الدين النصيحة))

أي من لم ينصح فلا دين له, كيف أن النبي -عليه الصلاة والسلام-, قال في بعض الأحاديث:

((ألا لا إيمان لمن لا أمانة له, ولا دين لمن لا عهد له, ومن لم ينصح فلا دين له))

الشيء الذي يميز المؤمن عن غير المؤمن: أنه ينصح.

قارن بين الموحد والمشارك :

أحد الأخوة الكرام, يبحث عن عمل, يعني تصور أن بعض مصالح الطويات مصلحة مريحة, وجيدة, قلت له: اسأل من في السوق, لعلهم ينصحونك بالإقبال على هذه الحرفة, أو بتركها.

والله -أيها الأخوة- كما قال لي: يعني السوق الرئيسي لهذه البضاعة, محل, محل سأل, الجواب متوافق: مصلحة فائرة, متي خزمتي, هذا كلام التجار.

هل يعقل ثلاثون تاجر، وثلاثون بأضخم سوق لهذه البضاعة، تكون هذه أجندتهم؟.

أنا لا أزكي على الله أحداً، أعرف فيهم واحداً لم يلتق به، أعرفه صالحاً، قلت له: اذهب واسأله بالذات، عن رأيه في هذه المصلحة، قال له: مريحة جداً، موادها الأولية موجودة، وبيعها سهل، وليس لها سلوكات، وأنا أساعدك، نظرت إلى الفرق الصارخ؟.

مؤمن لأنه يخشى الله، المشرك يخاف يدخل على المصلحة شخص يخلصه الرزق، لأنه لا يؤمن بالله الرزاق.

ليس الدين بالعبادات فقط وإنما بالمعاملات :

تضع ابنك عند شخص يعلمه المصلحة؛ يستخدمه لتنظيف المحل، ولجلب الغداء، ولاستخدامه الشخصي، أما عند فك المحرك، اخرج، هذا وحش، ولم يدفع أجره، على أساس أنه يعلمه المصلحة، لم يعلمه شيء، استخدمه استخدام رخيص، الدين، هذا الدين؛ أنت في المسجد، من أجل أن تقبض ثمن طاعتك لله، ومن أجل أن تتلقى التوجيهات.

الآن في شركات، عندها مندوبون مبيعات، ليس لها دوام في الشركة، يأتي الساعة الثامنة، يتلقى التعليمات، يذهب، يأتي الساعة الثانية، يعطي المبيعات الرصيد.

فليس كل إنسان دخل المسجد، صار صاحب دين، المسجد دوره تتلقى منه التعليمات، وتتطلق إلى العمل، وتنفيذ التعليمات، ترجع تصلي مرة ثانية، تقبض الثمن من الله عز وجل؛ فدور المسجد أخذ التعليمات، وقبض الثمن، تماماً كمندوب المبيعات، يتلقى التعليمات من مدير الشركة، ويبيع، يرجع يقبض عمولته.

وكل إنسان توهم: إذا كان دخل المسجد صار مسلم، لا؛ الدين في الأسواق، الدين في المحل التجاري، الدين أثناء عقد الصفقة، الدين إذا سئلت لا تكذب.

من صفات التجار الصالحين :

((إن أطيّب الكسب كسب التجار؛ الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا أئتمنوا لم يخونوا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يمطروا))

سبع صفات للتجار.

تاجر لا يخاف الله :

حدثني شخص قال لي: أنا دخلت لمصلحة القماش جديد، جاهل، لا يعرف، اشترى صفقة، نوع من أنواع الأقمشة؛ جورجيت أسود، عرضها على تاجر كبير مستورد، أما أعطاه كلام: الله يصلحك يا بني، هل يوجد أحد يأخذ خمسة آلاف ليرة؟ هل يوجد أحد يأخذها عرض واحد، ليس لها حل؟ هذه لا تباع، ولا بشكل، الله يصلحك؛ أظهر عطف عليه، أظهر شفقة، أظهر غيرة، أظهر، أظهر، هذا الذي اشتراها مسكين برك، لم يعد فيه يقف، بعد ذلك تفضل عليه، أخذها برأس مالها، كان وقتها الريال بثلاث عشرة ليرة، تفضل عليه، أخذها برأس مالها، باعها في اليوم الثاني بثلاث وعشرين، وقت كان الدولار بثلاث ليرات وثمانين قرشاً، بأساليب ذكية جداً.

((وإذا باعوا لم يظروا، وإذا اشتروا لم يذموا))

دينك أثناء البيع والشراء، دينك بالحسابات، مع شركائك، هنا تتلقى التعليمات، وتقبض الثمن فقط، تقبض العمولة، أما ليس كل إنسان دخل المسجد صار صاحب دين.

أكثر الناس يقول لك: والله صاحب دين، حسناً: ما الدليل؟ يصلي، لا يكفي أنه يصلي، الدين المعاملة، والدين النصيحة، هل تتصح؟ نعم.

واقعة :

قال لي أخ: عندي قطعة لسيارة، صار لها خمس سنوات تتحول من جرد إلى جرد، ثمنها عشرون ألف، جاءه زبون قال له: خفضها لي، قال لي: وأنا على السلم، قال له: أصلية؟

قال لي: سأقع من السلم، هذه ليست أصلية، وصار لها خمس سنين، ومبلغها جيد، صار معي صراع، قال له: لا

ليست أصلية، قال له: خفضها، خفضها، صار البيع حلال؛ فدينك في بيعك، دينك في جوارك، دينك في معاملتك، دينك في نصيحتك، لما تكون مستقيماً بالطريقة هذه، تقبض الثمن من المسجد، تقبض الثمن الباهظ من الله عز وجل.

هذه هي النصيحة :

ف

((الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنسائي في سننهما]

يعني: أن تنصح الناس أن يأتروا بما أمر الله، وأن ينتهوا عما نهى عنه الله، وأن تنصح الناس أن يأتروا بما أمر النبي الكريم، وأن ينتهوا عما نهى عنه النبي الكريم، وأن تنصح الناس أن يقرؤوا القرآن، وأن يؤمنوا بالله، وأن يقبلوا عليه، وأن يحبوا.

لله، ولكتابه، ولرسوله، وأن تنصح أئمة المسلمين، -نصيحة، كما قال تعالى:

﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

[سورة طه الآية:44]

ولعامتهم.

حاول تنصح كل إنسان.

ف

((الدين النصيحة))

تعريف جامع مانع؛ إن نصحت المسلمين، فأنت مسلم، وإن لم تفعل ذلك، فلست من الإيمان في شيء.

بيعة مباركة :

الحديث الثاني: عن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال:

((بايعت رسول الله -ﷺ- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وابن خزيمة في صحيحه]

حينما تتوهم أنك إذا كذبت على الناس تريح، هذا وهم ضال، حينما تتوهم أنك إذا حلفت يميناً كاذبة تتبع هذه البضاعة، هذا وهم، وهم منحرف جداً، اليمين الكاذبة منققة للسلعة، ممحقة للبركة.

يعني تجمع الأموال على مدى طويل، بحكمة الله عز وجل تدفعها في يوم واحد؛ مصادرة، أو خطأ، أو يعني غرامة، أو ما شاكل ذلك، فحينما تتق الله في كسب المال، يجعل الله لك مخرجاً من إتلافه، المال لا يتلف، حينما تكسب مالاً حلالاً، يبارك الله لك فيه.

إذاً:

((بايعت رسول الله -ﷺ- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وابن خزيمة في صحيحه]

من هو المؤمن؟ :

أما الحديث الدقيق جداً، الذي هو محور هذا اللقاء

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي والنسائي في سننهما]

وله زيادة ببعض الروايات:

((وحتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه))

فأنت حينما تحب للمسلمين ما تحب لنفسك, فأنت مؤمن, وحينما تكره لهم ما تكره لنفسك, فأنت مؤمن, أما حينما لا تعاملهم إلا بفوقية.

مصلحة شخصية :

مرة التقيت مع صاحب معمل مياه غازية, قال لي: والله أنا لا أدوقه هذا, لأنه يعرف ماذا وضع, لا يدوقه. حسناً: هل يجوز أن تبيع شيء للناس أنت لا تشربه, لا يعجبك, كلها مواد كيميائية, كله حمض الليمون, هذا القلوي, الذي يهري المعدة هري ممكن؟ المؤمن يعامل الناس.

شخص يخاف الله :

والله في أخ من أخواننا, أنا والله أحبه وأكبره, عنده معمل يعني حلويات للصغار, قال لي: هؤلاء الأطفال أبناء المسلمين, يجب أن أطعمهم أفضل شيء, قال لي: والله أحسن زبدة, أحسن شوكولا, أحسن بكم بودر, أحسن مواد, قال لي: ينبغي ألا أربح, لأن المنافس لي, يأتي بمواد منته مفعولها, المواد الغذائية إذا انتهى مفعولها لا تباع, لكن أين تدفن؟ تدفن بالمعامل, هذه الزبدة انتهى مفعولها, فإذا كان باعها لمعمل, يبيعهها, فيأخذها بثلثي القيمة, فصار كلفته متدنية جداً, فيبيع برخيص.

قال لي: كل المنافسين بضاعتنا سيئة, ينبغي ألا أربح, قال لي: والله أربح, وأعيش حياة كريمة, ويزوج الشباب, بنيته العالية, هؤلاء الأطفال, أخذ طفل من أبيه خمس ليرات, يجب أن أطعمه مادة فاسدة, مادة منته مفعولها؟ أين الإيمان؟ لما تعامل الله, تجد الناس كلها معك؛ تجد الله يحفظك, الله يحميك, تجد أنت لك مكانة, لك هيبة, لا أحد يستطيع أن يصل إليك, أما حينما تغش المسلمين, ولا تخاف الله فيما بينك وبينهم, يفضحك فيما بينك وبين الناس.

احفظ هذه الكلمة :

يعني: كلمة سأقولها, لكن اعتبروها يعني دقيقة جداً: لا يمكن تخاف من الله بينك وبينه, ويخوفك من أحد, لا يمكن تخاف من الله بينك وبينه.

يعني أحياناً: يأتيك زبون, غشيم, لا يفهم شيئاً, نصحته, بعته بسعر معتدل, ولم تحرمه, لأنك خفت من الله, هذا المحل صعب صاحبه يخاف من موظف, صعب جداً, الله عز وجل يحميه, لأنه خاف بينه وبينه, أما إذا كان استغليت جهل شخص

والله من ورائهم محيط :

يعني: مرة في صديق, يعني صديق عمل, قال لي: عندي سيارة, والله فيها -قال لي- عطل كبير جداً, فيها بالمحرك شق, الحمد لله بعناها وألبسناها لشخص, هكذا قال لي بالضبط, باعه وألبسه إياها, كان في وقتها الكولف بطرطوس, طلع أخذ جي إل, يعني أحدث موديل, أحلى لون, لون بيج على كحلي, جديدة مثل العروس, ورودجها بالطريق ثلاثة أيام, جاء لعندي مضطرب اضطراب شديد, قال لي: دخل فيها باص بالمخيم روحها كلها, قلت له: ألم تقل لي: أن هناك ألبستها لتلبس لشخص؟.

الله كبير, لو بينت عيبها, لا يوجد مشكلة, لو بينت عيبها بالسعر الجرد, تباع بهذه الطريقة, أخي هذا المحرك المتعلق به سيء, مشعور, يحتاج إلى تبديل, وسأخضم لك على المحرك خمسة وعشرين ألفاً, لا يوجد مشكلة أبداً, بعته حلال, فلما خاف من الله بينه وبينه الله, دفعه الثمن عشرة أضعاف باهظ, فالنصح للمسلمين.

قصة :

لي ابن عم -توفي رحمه الله- يعمل بعمل بالسيارات, له جار, جاءه شخص, يعني هو من دمشق, لكن مقيم في الكويت, أتى بسيارة من الوكالة جديدة, وفيها مشكلة, وجاهل, له, له, له, ما فيه إلا يقول: أف, يعني يظهر عجب أنه في مشكلة كبيرة, قال له: هذه تحتاج عشرة آلاف تصليح, يحتاج إلى فك غطا الكولاس, ويحتاج إلى, ويحتاج إلى نكر له أشياء لا تعد ولا تحصى.

قال لي: هذه فيها وسخة بالكربيرتير, تحتاج إلى عمل خمس دقائق, عرفه جاهل, ويخاف عليها, استغل هذه

النقطة، قال له: والله تحتاج إلى ثلاثة أيام، ذهب يوم فيها على الزيداني، يوم على المطار، ويوم على الوادي، هو وعياله، ثالث يوم أعطاه إياها، وأخذ العشرة آلاف.

قال لي: ابنه يعمل بمخرطة، دخلت نسرة فولاذ في عينه، أخذه على بيروت، دفع ستة عشر ألف ليرة لبناني، كانت الليرة مئة وستين ليرة سوري، الليرة كانت مئة وستين قرش، دفع حوالي اثنين وعشرين ألف، من أجل نزع - ماذا قلت لكم؟- نسرة فولاذ بقرنية ابنه.

فقال له جاره: وقت معك؟ هذه بتلك.

قال له:

((يا رب، كم عصيتك ولم تعاقبني؟ قال له: يا عبدي، كم عاقبتك ولم تدر؟))

النصح لكل مسلم، لما تخاف منه، لا يمكن يخوفك من غيره، لما لا تخاف منه، يوجد في الحياة مطبات لا تعد ولا تحصى، مطبات تلبسك ألف مشكلة، تدفع بالمئات، مئات الألوف، أحياناً بالملايين.

من أيام الله :

يعني: شخص من مدة، من حوالي سنة تقريباً، يعمل عملاً غير قانوني، نيهوه: أن العين الآن حمرة عليه، لا تفعل شيئاً، لو لم يفعل شيء نفذ، ركب رأسه وفعلها، أول رقم طلبت منه مئة وثمانين مليون، أول رقم طلب منه مصالحة لهذه الغلطة مئة وثمانين مليون، كان ظالماً امرأة، ظالمها ظلم شديد، وعدها بالزواج ولم يتزوج منها، وطردها، ودعت عليه، في اليوم الثاني وضع مئة وثمانين مليون، فلا تظن أمورك جزافاً، كل شيء يحاسبه بحساب دقيق.

انظر إلى فقه هذا الرجل :

قال له:

((عظن ولا تطل, قال له: -فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره- قال له: كفيت,
فقال: فقه الرجل))

صار فقيهاً, لا تحتاج إلى عي كثير, لا تحتاج إلى مئة ألف درس, آية واحدة, قال له: اكتفيت.
انتهى, اكتفيت؛ لو تعاملنا مع الله هكذا, لكننا في حال غير هذا الحال, ما كنا بهذا الشكل, معرضين كجيراننا
للعذوان, لأن الله عز وجل قال:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الروم الآية:47]

﴿وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾

[سورة الحج الآية:40]

﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية:141]

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك :

فهنا الحديث:

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي والنسائي في سننهما]

إذا تريد مقياس دقيق, دقيق, لا يخطيء, مستنبط من حديث: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
وانتهى الأمر, والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-105} : تحريم الظلم والأمر برد المظالم

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-12-1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من أقرب الناس إلى الإنسان؟ :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- باباً، في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين سماه, باب: تحريم الظلم والأمر برد المظالم, وبدأه -كما هي العادة- ببعض الآيات الكريمة, كقوله تعالى:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

[سورة غافر الآية:18]

الحميم: القرابة المتينة؛ كأب, كأم, كأخ.

إذا الإنسان اعتقل بسبب تمويني مثلاً, تجد أهله يركضون, يسألون, يبحثون عن كفيل, عن قاض, عن طريقة, فأقرب الناس للإنسان: أمه, وأبوه, وأخوه.

ما هما المعصيتان اللتان يعجل لصاحبهما العذاب في الدنيا قبل الآخرة؟ :

ف:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

[سورة غافر الآية:18]

فالظالم لا أحد ينصره يوم القيامة.

ويا أيها الأخوة, معصيتان يُعَجَّلُ لصاحبهما العذاب في الدنيا: الظلم, وعقوق الوالدين, قبل الآخرة.

احذر من أن تظلم إنساناً ولو كان ملحداً :

أيها الأخوة, يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اتقوا دعوة المظلوم, فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))

في رواية:

((ولو كان كافراً))

كافر, مظلوم كافر, عابد وثن, الله عز وجل يقتص منك إذا ظلمته.

لم أمرنا الله بالعدل مع أعدائنا؟ :

حينما يقول الله عز وجل:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

[سورة المائدة الآية:8]

من هم الذين هم أعداء المؤمنين التقليديون؟ الكفار؛ الكفار يبغضون المؤمنين, والمؤمن يبغض الكافر, يبغض عمله:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

[سورة المائدة الآية:8]

يعني: لا يحملنكم كراهية أناس على ألا تعدلوا معهم, الأمر الواضح, القطعي الدلالة:

﴿اغْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية:8]

إذا عدلت مع هذا العدو اللدود، وكنت عابداً معه؛ قربه إلى الله، وقربه إلى دينك، وقربه إليك، الإنصاف شيء رائع جداً؛ لذلك:

((ليس منا من غش))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

في رواية:

((من غشنا ليس منا))

مطلقاً؛ فلذلك: الظالم ينتقم منه ربنا عز وجل.

من أشد أنواع الظلم :

وفي الحديث الصحيح القدسي:

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا))

وأشد أنواع الظلم -الآن في موضوع ثان-: أن تظلم نفسك، أن تبقىها جاهلة، ألا تعرفها بالله عز وجل، ألا تحملها على طاعته، والدليل: قوله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:57]

سؤال وجه إلى الأزواج في بلاد الغرب :

في مرة سألوا مئة زوج سؤال: لماذا لا تخون زوجتك -في بلاد الغرب-؟ فجاءت الأجوبة متنوعة, صنفوها تصنيف أخلاقي, أقل مرتبة: لا أستطيع, لأنها معه في العمل. الجواب الأرقى: لا أحتمل الشعور بالذنب. الإنسان حينما يظلم, لو كان قوياً, لو كان مكانته عالية في المجتمع, يحدث عنده انهيار داخلي, فطرته تعذبه, وأكبر معذب لك فطرتك, وما مرض الكآبة في العالم, إلا تعذيب الفطرة لصاحبها. فالمستوى الأرقى: لا أحتمل الشعور بالذنب, وكل واحد لو كان منحرفاً.

من وسائل التعذيب عند الإنسان :

أنت بائع, دخل زبون جاهل, في عندك حاسة سادسة, لبسته أسوأ بضاعة, بأعلى سعر, الغلة كبيرة, لكن لا بد ما تحس بانهيار داخلي, لا بد ما تحس أنك محجوب عن الله, لأنك ظلمته, بعته بضاعة سيئة, بسعر مرتفع, واعتمدت على جهله.

ورد في الأثر: غبن المسترسل ريا.

لأنه جاهل, ففي تاجر يعدها شطارة, يعد للعمل ذكاء, وفي تاجر يخاف الله عز وجل.

وقد ذكرت لكم من قبل: أن الإنسان حينما يستقيم في علاقته مع الله عز وجل, يشعر بعزة:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾

[سورة يونس الآية:26]

المحسن عزيز, رافع الرأس.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((إياك وما يُعْتَدِرُ مِنْهُ))

كل عمل تضطر أن تقول: سامحني, لا تؤاخذني, غلظت: لا تفعله.

ما روي عن الشيخ بدر الدين :

يروون: أن الشيخ بدر الدين -رحمه الله- يمشي في الطريق, كان القازوز جديد, المياه الغازية, فرأى بائعاً يبيع مياهاً غازية, وكان يعملونه أثناء قال له: ما هذا يا بني, لعله خمر هذا؟ قال له: لا سيدي, هذا قازوز, قال له: ماذا يعني قازوز؟ قال له: إذا الإنسان يشرب فوق حاجته وشربه يهضم, قال: الإنسان لا يشرب فوق حاجته.

هكذا بهذه البساطة, المؤمن بسيط لا يزيد عن حده, لم يزيد عن حده, ويشرب قازوز.

فالإنسان لا يظلم, عمل تضطر تعتذر منه, لا تفعله, أريح لك, خبر يهملك ألا ينتشر, لا تكلمه لأحد, سررت, لكن والله لا تكلمه لأحد, كأنك قلت له: اعمل إذاعة

كل سر جاوز الاثنين شاع.

فالظلم ظلمات.

من الخيانة :

البارحة ركزت على موضوع الأمانة, وقلت لكم: إن أمانة النفس, إن أمانة التكليف هي أخطر أمانة؛ فالإنسان لما يكون جاهلاً, وشارداً, خان أمانة نفسه. ألم يقل الله عز وجل:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:9]

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:10]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:9]

واليوم: أشد أنواع الظلم: أن تظلم نفسك, أن تبقيا جاهلة, أن تبقيا تائهة, أن تبقيا شاردة, أن تستمرىء المعاصي.

متى ينتبه الإنسان من غفلته؟ :

((الناس نيام, إذا ماتوا انتبهوا))

والحياة الآن, الفتن كلها يقظة, ممكن أن تمضي وقتاً طويلاً في متع متعددة, دون أن تشعر بالوقت, كل يوم؛ من سهرة لسهرة, لمسلسل, لحفلة, للقناة الفلانية, القناة الفلانية, الوقت يمضي سريعاً, أما متى الطامة الكبرى؟ حينما يأتي ملك الموت, حينما ينتقل الإنسان من بيت فخم إلى قبر.

هذه نهاية الإنسان شاء أم أبى :

أنا حدثتكم, كنت مرة في حلب, فالذي كنت عنده, أطلعني على حي الشهباء, الحقيقة: حي, حي المالكي عندنا أكواخ أمامه, شيء مخيف, رأيت قصرأ أبيض اللون على النمط الصيني, -القصة بالسبعينات, بالخمس وسبعين-, هذا القصر مكلف خمسة وثلاثون مليون بالخمس وسبعين, كان الدولار ثلاث ليرات سوري, حدثونا عنه, فيه رخام أونيكس بخمسة ملايين, صاحبه مات في الثانية والأربعين عمره, وكان طويل القامة, وضعوه في قبر, وكان القبر أقصر من قامته, فاضطر الحفار أن يضربه بصدرة, حتى جاء رأسه بهذا الشكل هذا المصير.

وحدثني البارحة عن حفار, قال لي: أيضاً: الميت طويل قليلاً, فدفشه برجليه, حطم عظامه, حتى نظم القامة مع القبر؛ يا روضة من رياض الجنة, يا حفرة من حفر النيران, والقبر صندوق العمل.

اغتنم فرصة رمضان :

ونحن -كما قلت في درس سابق-, نحن في رمضان, أنت معك فرصة ذهبية: أن تفتح مع الله بواحد شوال صفحة جديدة.

تصور تاجر, في عليه ثمانون مليون ديون, وبيته مصادر, ومحله عليه حجز, ولو جاءك من يعفيك من كل هذه

الديون, وكل هذه الحجزات, بسلوك منضبط خلال شهر زمان, ألا تفعلها؟

إذا يوجد عليك ديون ثمانون مليون, والمحل محجوز, والبيت محجوز, ومحاكمات, وأمن اقتصادي, وجاءك من يعفيك من كل هذه بانضباط لشهر.

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً, غفر له ما تقدم من ذنبه, ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه, ورجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه, وصعد النبي المنبر فقال: آمين, ثم صعد المنبر فقال: آمين, ثم صعد المنبر فقال: آمين))

ثلاث

والحمد لله رب العالمين

الدرس {106-119} : قضاء حوائج المسلمين 1- ما هو المقصود من باب قضاء حوائج المسلمين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-01-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما مهمتك في الدنيا؟ :

أيها الأخوة الكرام:

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- باباً في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم-, سماه باب: قضاء حوائج المسلمين, وقد افتتحه بقوله تعالى:

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحج الآية:77]

تعقيباً على هذه الآية: أنت موجود في الدنيا لفعل خير, هو ثمن جنة الله التي أعدها لعباده المؤمن.

بشكل مختصر: مهمتك في الدنيا, سبب وجودك في الدنيا, إرسالك إلى الدنيا, من أجل أن تعمل عملاً صالحاً, يكون ثمناً للجنة في الآخرة, هذا بشكل مختصر.

قاعدة :

الإنسان: حينما يأتيه ملك الموت, يندم على شيء واحد. يقول:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

قاعدة؛ الذي تتدم عليه هو أثنى شيء فيما كنت فيه، الذي تتدم عليه أثنى شيء فيما كنت فيه، نحن في الدنيا؛ في تجارة، وفي صناعة، وفي زراعة، وفي أعمال فنية، وفي أبنية شامخة، وفي لقاءات، واحتفالات، ومؤتمرات، ونزهات، وسفر

نشاط الإنسان واسع جداً، في نشاط واحد هو سر وجوده في الدنيا، أقوى دليل على ذلك: أن الإنسان حينما يأتيه ملك الموت، يعرف لماذا جاء إلى الدنيا؟ يقول:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

إذاً: العمل الصالح في الدنيا هو ثمن الجنة في الآخرة. دليل آخر:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

هل سألت نفسك هذا السؤال؟ :

لو أن أحدنا سأل نفسه هذا السؤال: لو جاءني ملك الموت فجأة، ما الشيء الذي أقدمه بين يدي الله عند الموت؟ يا رب أنشأت بيتاً فخماً جداً لوجهك الكريم، لا ليس لوجهي الكريم؛ سكنت أنت؛ سكنته، واستمتعت فيه، وافتخرت فيه،

وكلما دخل لبيتك إنسان، أريته إياه كله، وقلت له: هذا مساحته أربعمئة متر، وهذا الطعم أخذناه من إيطاليا، وهذا البلاط أتينا به بالطائرة، لا ليس من أجلي هذا، أنت سكنته.

يا رب، أنا تاجرت، أسست تجارة واسعة جداً، دخلها كبير، استمتعت بهذا المال، لو أن الله عز وجل سألك: يا عبدي، ماذا فعلت من أجلي؟ هل جئتني صفر اليدين؟ كنا نخوض ونلعب يا رب.

قف عند هذه الآيات :

قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾

[سورة المدثر الآية:38]

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾

[سورة المدثر الآية:39]

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة المدثر الآية:40]

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:41]

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾

[سورة المدثر الآية:42]

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المدثر الآية:43]

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾

[سورة المدثر الآية:44]

لا تخوض مع الخائضين :

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:45]

يعني على السطح يوجد صحن واحد, صاروا ثمانية عشر صحناً, كان في صحن, صاروا ثمانية عشر, أخي الناس جميعهم عندهم, يعني أنت تعيش خارج العصر؟ أنت معناها متخلف, اطلع:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:45]

يا أخي, هذا لباس زوجتك لا يليق, أخي هكذا الموضة, ماذا نفعل؟ هكذا رأوا في البوردة, يصلحهم الله:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:45]

يا أخي, العلاقة هذه ربوية, سيدي الناس كلها هكذا, ضع رأسك بين الرؤوس, وقل يا قطاع الرؤوس, ماذا نفعل?:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:45]

النبي الكريم يقول:

((لا يكن أحدكم إمعة))

[أخرجه الترمذي في سننه]

من هؤلاء الإمعة؟ إن أحسن الناس أحسنت, وإن أسأؤوا أسأت. معناها ليس لك شخصية, أنت ليس لك وجود أساساً, أنت زائد في المجتمع, زائد أنت.

رسالة لكل إنسان تائه :

أنا أخاطب الشارد, لا أخاطب طلاب العلم في المساجد, لا والله, أخاطب الشارد, التائه:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:45]

﴿وَكُنَّا نَكُذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

[سورة المدثر الآية:46]

أنت لاحظ, كم إنسان أدخل الآخرة في حساباته؟ هذا الذي يقيم دعوى كيدية, هل فكر في أن الله سيحاسبه؟.

قصة وعبرة :

يعني عندنا أخ في الجامع, شاب ناشيء, قال لي: أنا لي ثلاثة عشر أخاً, والده عنده أربعة عشر ابناً, ابن يعمل في التفصيل والخياطة, قال لي: نسكن ببيت في المزة, يعني جيد جداً هذا البيت, والذي اشتراه هو وأخته, عمتي -قال لنا- محامية, حصلت على بيت من جمعية سكنية تابعة لقصر العدل, لا يوجد معها ثمنه, قالت له: نتعاون في السعر, قال لها: أتمنى, فدفعت والده نصف ثمن البيت عدأً ونقدأً, ودفعت هي النصف, لكن لأن الجمعية التعاونية متعلقة بقصر العدل, فالبيت كان باسم الأخت المحامية, دفع ثمنه من عشرين سنة, يمكن خمسمئة ألف, دفع كل أخ النصف, مضى عشرون سنة, صار ثمن البيت ثمانية عشر مليوناً, والبيت باسم الأخت, أخوها وقد دفع الثمن عدأً ونقدأً, قالت له: سأعطيك مليون, وتخرج, قال لها: مليون!! أنا لي تسعة ملايين, قالت له: مليون, أنا عندي إمكان أن أخرجك من البيت, هذا البيت بيتي, أعقد عقد إيجار وهمي لشخص قوي, وأضعك في الطريق, لك يا أختي, أنت أختي, أنا عندي أربعة عشر ولداً ...

يعني القصة, الحقيقة أنا تابعت تفاصيلها, لأن الأخ من أخواننا, أحد أبناءه من أخواننا, تابعت القصة, والله شيء

يخوف, قلب قد من صخر, تقوم بتأجيره مفروشاً في السنة بمليون ليرة في المزة, مطلوب سفارات بمليون أجرته في السنة, وسوف تعطيه مليوناً, فالنتيجة دخلوا القضاء, وبقوا فيها خمس, ست سنوات, قصة طويلة, القاضي حكم لها بالبيت.

قال لي: والله -يا أستاذ- نصف أئاثنا بالمستودعات, ونصف أخواتي عند بيت جدي, والنصف عند بيت جدتي, وادمرنا, والله الذي لا إله إلا هو, كأني أراها القصة أمامي, الآن القصة من حوالي سنتين ليس أكثر. بعد حين: جاء الأخ -اسمه: أيمن- قال لي: أستاذ, عمتي معها سرطان بالأمعاء, أنا أعرف كم إنسان معهم هذا المرض, تم سنتين, غابني شهر, قال لي: ماتت, تلقي لنا كلمة في التعزية, ذهبت إلى البيت نفسه, وألقيت كلمة, من وريثها الوحيد؟ أخوها, رجع إلى البيت هو وأولاده جميعاً, واستحقت لعنة الله, والملائكة, والناس أجمعين.

سؤال موجه إلينا :

أنا سؤالي: من الذي دخل الآخرة في حسابه اليومي؟ يعني دخل خوف الله في حسابه.

الناس يأخذون ما ليس لهم, يعتدون على حقوق بعضهم بعضاً, شركة يخرجها منها, يكون له النصف, لكن الإيجار باسمه, أنت ليس لك شيء, تفضل هذا القضاء, ثلاثة أرباع الناس بهذا الشكل؛ فلما الناس لا يدخلون حساب الآخرة في حركتهم اليومية, هؤلاء استحقوا لعنة الله. لذلك:

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

[سورة الكهف الآية:105]

لذلك:

﴿لَهُمْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾

لذلك: هان أمر الله, فهانوا على الله.

هذا واقع المسلمين اليوم :

أنا لا أعرف بتاريخ المسلمين في فترة, المسلمون -واسمحو لي بالكلمة- هينون على الله كهذه الفترة, اسمها: أيام خضار, تضرب.

يعني القصف الذي حدث في لبنان, شعب آمن؛ يقصف بعنف, بعنجهية, بقسوة, بتجبر, بتسلط, إذا إنسان قال: أين الله؟

((إذا عصاني من يعرفني, سلطت عليه من لا يعرفني))

((أنا ملك الملوك, ومالك الملوك؛ قلوب الملوك بيدي, فإن العباد أطاعوني, حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة, وإن العباد عصوني, حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة, فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك, وادعوا لهم بالصلاح, فإن صلاحهم بصلاحكم))

احفظ هذه الكلمات :

أنا أريد يتوضح لأخواننا الكرام خمس كلمات, من حديث طويل, صحيح, قدسي, بالبخاري:

((فمن جد خيراً فليحمد الله, ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))

و:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

فقبل أن تأخذ ما ليس لك, فكرت أن الله يراك, وسيحاسب, وسيعاقب؟ لكن الله عز وجل يبدو غافلاً, والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية:42]

قصص لا تعد ولا تحصى، هذه أحدث قصة من سنتين صارت، -شخص أخواننا والله، هو الذي روى لي تفاصيلها-، مسكينة صار معها سرطان. أنت هل تعرف ماذا فعلت؟

يعني الله عز وجل حكيم، أنا أتمنى على أخواننا، لا أحد يروي قصة من آخرها، تعمل تشويش، إذا تعرف أول فصل فيها أرويها، تعرف آخر قصة اسكت.

مرة كنت ماشياً في الحريقة، خرج شخص من الدكان، قال لي: أنت تخطب؟ قلت له: نعم، الحمد لله، قال لي: فسر لي القصة، قلت له: تفضل، قال لي: شخص نزل يفتح محله بمدحت باشا، رجل -قال لي- صالح، مستقيم، يريد أن يكسب رزق أولاده، قلت له: شيء جميل والله، والعمل عبادة، قال لي: سمع إطلاق رصاص، اثنان يتضاربان، قد يكونان مجرمين، قال لي: مد رأسه ليرى ما القصة، جاءت الرصاصة في عموده الفقري، استقرت، انشل فوراً، قال لي: هذا ماذا فعل؟ قلت له: والله لن تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال، إلا إذا كان علم كعلم الله، الله ما أعطانا علمه، الله حكيم، ورحيم، وعادل، وأنا لا يوجد عندي جواب والله، وأسكته بهذه الطريقة، وتيسر الأمر.

مضى عشرون يوماً، عندي أخ -الآن في الجامع عندنا، له عمل طيب، يدرس في المعهد عندنا، لكن القصة قديمة، هي قبل عشرين سنة- قال لي: أستاذ، لنا جار، نحن نسكن في المصطبة بالميدان، قلت له: خير إن شاء الله، قال لي: لنا جار آكل أموال أولاد أخيه الأيتام، مبلغ ضخم مقداره ثمن بيت، ولم يتركوا طريقة، لا يعطيهم، ذهبوا اشتكوا للشيخ حسين خطاب -رحمه الله-، فالشيخ حسين استدعاهم العم وأولاد الأخ، قال له: لا أريد أن أعطيهم، هذا الحاضر، التقت هذا، قال لهم: انظروا -يا بني- هذا عمكم، إياكم أن تشكوه إلى القضاء، -لا تليق بكم-، اشكوه إلى الله.

قال لي: أستاذ، في اليوم الثاني، عنده محل بمدحت باشا، -والله كما حدث- نزل ليفتح المحل، سمع إطلاق الرصاص، مد رأسه، جاءت الرصاصة، انشل فوراً، نفسه.

هذا الجواب لتلك الحادثة.

فأنت تعرف, الآن أنا عرفتها من آخرها, أول مرة القصة ما معي الجواب, لو عرفتها من أولها توضحت.
صدقوني كل ما يقع في الكون كهذه القصة, لكن كل واحد منكم يعرف قصتين, ثلاثة, أربعة, من أولهم, ويعرف
مليون قصة من آخرها, التي من آخرها لا ترويها, لأن ليس لها معنى, فلان خسر ماله كله دفعة واحدة.

هذه هي عدالة الله :

قال لي إنسان في العيد, قال لي: يعني شخص توفيت زوجته, أحب واحدة, تزوجها, يبدو أنه طرد منها, طوب
لها البناء كله, عنده معمل غسالات, كيف أقنعتة يطوب لها المعمل أيضاً, لا يعرف, طوب لها المعمل, طردته
من البيت, بقي من دون شيء, ما هذا الكلام؟ قال لي: نعم, جارنا -هو ابن عمي, توفي رحمه الله-, قلت له:
لكن القصة لها فصل, لا تعرفه أنت, ولا أنا أعرفه, تتناسب مع النتيجة, قال لي: نعم, قال لي: هذا توفي والده,
ترك له خمسة أولاد, هو أخذ الثروة كلها هذا.

فقط هذه النقطة يا أخواننا: لا تروي قصة لا تعرف أول فصل فيها, آخر فصل, مشكلة, يوجد في ظلم, آخر
فصل يبدو فيها ظلم ظاهري. لذلك: من يدخل الله في حساباته اليومية؟.

هذا الدين :

قال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها, قال له: ليست لي, قال له: قل لصاحبها: ماتت, أو أكلها الذئب, قال له:
والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها, لو قلت لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب لصدقني, فأني عنده صادق أمين,
ولكن أين الله؟.

هذا الدين كله, هذا البدوي؛ الأعرابي, الراعي, وضع يده على جوهر الدين, إذا لا تقل لي: أين الله؟ ما فيك جنس
الدين؛ ولو صليت, وصمت, واعتبرت أنك مسلم, يجب أن تقول لي: أين الله؟

يعني هنا في محل في آخر الحميدية، شخص على الأرض مد بساطاً، يبيع فضل، لا يوجد عنده محل، -هو الآن من أخواننا-، محل لا يوجد عنده، يمد بساطاً، يبيع فضل، تأتي الشرطة يهرب، طوال النهار كر وفر، قال لي: جاءتني امرأة إيرانية، اشترت قطعة، القطعة بخمسين ليرة، ناولتني هي في ذهنها دولار، أعطتني مئة دولار، لا تعرف، نظرت وجدت مئة دولار، أسرعت وأعطيتها، يراقبني شخص، صاحب محل، أحبني، قال له: تشاركني؟ قال له: نعم، أتمنى، قال له: المحل، غداً، تعال اعمل.

الآن هو شريكه، قال لي: الله عز وجل بالمحل، الله أكرمني؛ اشترت بيت، وسيارة، وربيت أولادي، وأعيش في بحبوحة كبيرة.

قصته حكيته أنا، فحدثني أخ قصة مثلها، لكن من نوع ثان، قال لي: عند ست زينب أيضاً بائع أقمشة، جاءت امرأة من أخواتنا بإيران، اشترت قطعة، أعطته مئة دولار خطأ، هذا دولار، نفس القصة، كن عليها، خبأها، في اليوم الثاني جاءت الشرطة، لم يعترف، ضربوه في المخفر، ودفعوه خمسة آلاف ليرة، لكي لا يبلغوا النيابة العامة، وأخذوا منه المئة دولار.

نفس القصة؛ واحد صار شريك، وأصبح له محلاً، واشترى بيتاً، وسيارة، وعاش في بحبوحة من موقف أمين، والثاني ضرب، ودفع خمسة آلاف، وذهبوا المئة دولار.

يجب أن ندخل الله في حساباتنا؛ بكل حركة، بكل سكنة، بكل كلمة، بكل شهادة، بكل حركة، بكل قبض، بكل دفع.

تقول: أنا زيون جاهل، ألبسناه البيعة، هذه ليست شطارة، (ليست شطارة)، لأن الله موجود.

والله من ورائهم محيط :

والله قال لي أخ، قال لي: الحمد لله أستاذ، عندي سيارة بيجو، بعثها، الحمد لله، لكن بسعر جيد، وفيها عيب كبير جداً؛ لكن، لم أقل للزيون، قال لي: من المحرك في شق مكسور، ولم يدر، وتيسر والحمد لله، قلت له: لكن هذا البيع حرام، قال لي: لا تدقق أستاذ، تيسر الأمر، ذهب، أخذ كولوف من طرطوس، -وقتها كانوا يبيعون كولوف

جديدة, جي إل, اللون طحيني, الفرش كحلي, مثل عروس وقتها كان, والآن عمرها بالثمانين - خمسة أيام جاء إلى عندي, ضربها باص في المخيم, داخل إلى نصفها, يرجف رجفاً, قلت له: ما أنت قلت ألبيست فلاناً السيارة!.
الله كبير يا أخواننا؛ لكن دخلوا الله في حساباتكم, دخلوا خوف الله في حساباتكم, دخلوا الآخرة في حساباتكم, هذا هو الدين, الدين ليس صلاة, وصوم, وحج, وزكاة؛ الدين استقامة, الدين أمانة, الدين صدق, الدين وفاء, الدين كشف عيب, أخي هذه البضاعة فيها عيب.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {107-119} : تعظيم حرّات المسلمين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 30-01-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من سمات المؤمن الصادق :

أيها الأخوة المؤمنون:

فى كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - عليه أتم الصلاة والتسليم-, باب عنوانه: باب تعظيم حرّات المسلمين, وبيان حقوقهم, والشفقة عليهم, ورحمتهم.

المؤمن من خصائص إيمانه الولاء والبراء؛ يوالى المؤمنين, وينكر على أهل الكفر والإلحاد, ولاؤه للمؤمنين ولو كانوا فقراء, ولاؤه للمؤمنين ولو كانوا ضعفاء, وبراءته من الكفار والمنافقين ولو كانوا أقوياء, ولو كانوا أغنياء. فالولاء والبراء من سمات المؤمن الصادق.

فذلك: الإنسان حينما يحترم مؤمناً, ولو كان ضعيفاً أو فقيراً, هذا دليل إيمانه.

لو أن مدير مؤسسة عنده مستخدم, حاجب, مؤمن, يجب أن يعامله كأخيه, أما حينما تحتقر إنساناً لمرتبته الدنيا, أو لدخله القليل, فأنت لم تعظم حرمة هذا المؤمن, لعله عند الله أعلى منك قدراً.

من علامة الإيمان ومن علامة النفاق :

يقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾

[سورة الحج الآية:30]

حينما تكون الصلاة مقدسة، والصيام مقدساً، والحج مقدساً، وبيت الله مقدس، وحينما تحترم المؤمنين، وحينما تشفق عليهم، وتأخذ بيدهم، وتستتر عورتهم، وتلبى حاجتهم، فهذا دليل إيمانك، أما حينما تتسحب من مجتمع المؤمنين، ولا تحمل همومهم، فهذا دليل إيمانك؟! أما حينما تتسحب من مجتمع المؤمنين، ولا تحمل همومهم، فهذا دليل النفاق:

﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾

[سورة الحج الآية:30]

قصة قاضية :

يعني سمعت عن قاضية في بلد مجاور، قاضية متقلبة، امرأة محجبة، جاءت بمخالفة مدنية، هوية، وبإمكانها بحسب القانون أن تأخذ منها دينارين، ثلاثة، لم ترض إلا أن تجعلها تنام ليلة في السجن، لمخالفة مدنية تافهة جداً، وهي محجبة، وسوف تمضي الليل مع مجرمين.

هذا الذي لا يرضى حق المؤمن في مركبة عامة، امرأة محجبة، هذه رمز الإسلام، رمز الإيمان، فحينما لا نقف لها، ولا تحترمها.

قف هنا :

مرة كنت في صيدلية، جاءت امرأة محجبة، اشترت دواء، نقصها نصف ليرة، الصيدلانية مسكت الدواء، سحبتة، وألقت لها المال، اذهبي وائتي بنصف ليرة ثانية، في عمر والدتها، محجبة.

فإذا الإنسان ما رعى حرمة امرأة مؤمنة، ما رعى حرمة شيخ وقور.

يعني رجل -أحياناً- يكون له زي أخلاقي، لا يهم يكون يفهم أو لا يفهم، هذا ليس عملك، لكن يلبس جبة ولفة، يجب أن تحترمه، أن تحترم الزي الذي يرتديه.

يوميات مسلم :

يعني أنا كنت بالتدريس ومعى سيارتي، يوقف بعنوس هكذا رجل، -توفي رحمه الله-، أستاذ الديانة في ثانوية،

وكان في ازدحام سير، وأزمة مواصلات، يعني أشعر بسعادة كبيرة، لما أركبه معي، وأوصله لأمام مدرسته، كل يوم أمام الطلاب، ينزل من السيارة، أشعر أنني عملت شيئاً؛ له زي ديني، يرتدي لفة، وجبة، وأستاذ ديانة، واقف، لا يوجد باصات، الطلاب يركبون السيارات، لما أركبه، وأوصله لأمام المدرسة، أنا ممكن أتركه يمشي -فقط- عشرين متر، لأمام باب المدرسة، يفتح الباب، ينزل، لفة، وجبة، تنزل من سيارة أقوى، لا تأتي مشياً، أو تنزل من سرفيس إلى آخره.

من لوازم المؤمن :

أيها الأخوة، إذا الإنسان يعني رعى شيخاً وقوراً، رعى امرأة محجبة، رعى مؤمناً، لك صديق مؤمن، يسكن في طرف المدينة، فقير، يعني أنجب مولوداً، ذهبت لزيارته، قدمت له هدية، هذا دليل إيمانك، أما الكبراء لما يعطسون، إذا كان أوجعه رأسه، تجد مئة إنسان زاره، وجميعهم معهم هدايا، مصالح، هذه مصالح، هذا من الدنيا؛ تلبى دعوة، يُعزى، تقدم له آيات الولاء، تقدم له الهدايا، يُحترم احتراماً، لأنه غني، فالذي يحترمه يحترم الدنيا، ولا يحترم الآخرة.

فأنت بطولتك: أن تعظم حرمة الله، أن تعظم المؤمن الفقير، أحياناً: يكون عالم ضاع بين الجهال، غني افتقر.

((ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجهال))

هذا من لوازم المؤمنين:

﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾

[سورة الحج الآية:30]

في آية ثانية:

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج الآية:32]

يعني هذا القرآن عظمه.

يعني إنسان -أحياناً- يضع مصحفاً وحذاء في حقيبة, يقول لك: أنا مسافر, لا يتناسبان؛ مصحف كلام الله عز وجل, وضعه في مكان آخر, احمل حقيبتين؛ واحدة للأشياء الثمينة, وواحدة للحاجات الأخرى. أحياناً جريدة, يكون فيها أسماء الله, لف فيها حذاء وذهب, انتبه, أنا لست أخرج عليكم؛ لكن ليس بهذه البساطة, تلف بجريدة, تلف حذاء بجريدة, في أسماء؛ في عبد الله, في محمد, هذه أسماء.

أمنية :

والله أنا في حيرة بموضوع بطاقة دعوة, تأبين, فيها آية قرآنية, والله هلكتي, يجب أن أضعها في مكان معين, وأحرقها على السطح, الآن اشتريت فرامة, أصلحت مشكلة.

يعني معك بطاقة دعوة, لا يوجد في الشقة فيها آية قرآنية, ولما أجد بطاقة دعوة لا يوجد فيها آية, أكون ممنوناً جداً, جداً, جداً من صاحبها.

أتمنى عليكم: أن تلغوا الآيات القرآنية من بطاقات الدعوة, لأنها هذه بطاقة دعوة, عمرها -فقط- دقيقتين, ثلاثة, قرأت الدعوة سجلتها, لبيتها, تريد شقها مستحيل تجمعهم كلهم, مستحيل, ما عندك لا وقت, ولا مكان, ولا تصنيف, فإذا لا يوجد آية قرآنية نعمة, تضعها في المهملات رأساً, أما يكون فيها آيات قرآنية, هذه تريك الآية:

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج الآية:32]

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:88]

يعني في درعا رجل, والله أنا أحبه وأقدره, له وجه -والله- كالبدن, عمره مئة ونيف, حج مئة وثلاثين حجة, بأعلى درجة من النشاط, مرة قابل رئيس الوزارة, يعني بقضية

قال لي: نزل ثلاثة طوابق للباب, للطريق, فتح لي الباب.

أنا والله من وقتها, الإنسان أحترمه, يعني رئيس الوزارة, ينزل ثلاثة طوابق, ويفتح الباب لأستاذه, رجل دين, وقور!.

هذا من الإيمان يا أخوان؛ من الإيمان تحترم إنسان دين, تحترم رجل علم, إنسان يرتدي زياً إسلامياً, تحترمه, توقره, تريحه, هذه من علائم إيمانك:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:88]

اخفض جناحك للمؤمنين, يعني عندك هكذا مستخدم, عندك حاجب, رجل صالح, صائم, يصلي.

هذا الذي رأيته في المغرب :

مرة كنت مدعو لمؤتمر في المغرب, نزلنا في فندق, يعني أواخر فندق في الرباط, اسمه: حياة الجنسي, استيقظت في الصباح الباكر, سمعت قرآناً, أطلبت من الشرفة, وجدت عامل الحديقة يصلي الصبح حاضراً بصوت عذب. قلت: لعل هذا الإنسان أرقى عند الله من كل نزلاء الفندق, يجوز.

فأنا ولاؤك للمؤمنين, ولو كان مستخدم حديقة, ولو كان عامل حديقة, طبعاً: لا يسمح له دخله يقعد في الفندق ولا ساعة, لا يسمح له, بعشرات الألواف الليلة؛ لكن مؤمن, عامل حديقة, يصلي الوقت بصوت عذب, شجي, يعني

كان الصوت مبعث أنس في الصباح الباكر:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:88]

أحياناً: تجد بائع، تدخل لعنده إنسانة محببة، تجد يحترمها، يطول باله، رجع لي، يرجع لها، هذا من إيمانه فقط.

هذا الذي حصل في المدينة المنورة:

حدثتني، الأهل حدثوني، في أحد الحجج، تقول لها امرأة: دخلت إلى محل تجاري في المدينة، قطعت قماشة، قالت له: راعني، قال لها: تكرمي، قالت له: من أجل رسول الله راعني، لف القماشة، قال لها: هذه هدية، انتهى، لا آخذ قرشاً، هدية انتهى، لا آخذ، قلت له: أنا لا أقصد، قال لها: أنت قلت: من أجل رسول الله! والله قرش لا آخذ، يعني قليلة؟.

إنسان كلمة، تأثر فيها هو.

من تعظيم شعائر الله :

تضرب طفلاً، قال لك: من أجل الله، قال: الله، وقف، أريه الاسم عظيم عندك، أريه الاسم عظيم، سألك بالله أن تقف، ما دام قال: الله وقف، حتى يشعر أن الاسم كبير:

﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج الآية:32]

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:88]

دعوة نداء :

مرة عندي كان طالب، الطلاب قالوا: أستاذ، هذا حافظ كتاب الله، والله له معاملة خاصة طوال العام الدراسي.
سبحان الله! الذي يحفظ كتاب الله إنسان آخر؛ يعني بكل لطف، معاونة، بكل احترام، لأنه هذا حافظ كتاب الله، فأنت كمؤمن إذا عندك إيمان حقيقي، أي شيء يمد للدين صلة، تعظمه، ترحمه، تعاونه.

رسالة إنقاذ :

وقال تعالى:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة الآية:32]

يعني: إذا أنت استطعت أن تنقذ إنساناً من الضلال، تعرفه بالله، تعاونه، تؤمن له دخلاً، تؤمن له عملاً.

خدمات :

يعني إنسان قال لي: أنا بلا عمل، يعني هو أسلم حديثاً، وعليه ضغط من أهله، وبلا عمل، كلمت مهندساً من يومين، قلت له: تؤمن لي عمل له؟ قال لي: على عيني، قلت له: هذا يعني في جبر خاطر، قال لي: من الغد. عنده عمل، قضية دينية، إنسان انضم للمسلمين، فالمفروض يجد في عطف، وحنان، واهتمام.

من الوقائع :

مرة زرت إنساناً في عين الفيحة، إنسان دخله يعني أقل من المستوى المعقول، غرفة على النهر، والدنيا شتاء، وبرد، لا يوجد معه ثمن وقود، فقير، أنا خارج من عنده، سألت قريبه

قال لي: هذا كان عنده معمل، فيه ثمانون عاملاً، عنده ثلاث سيارات محل تريكو، كان من كبار الأغنياء، أحب امرأة غير مسلمة في معمل، أسلمت من أجله، بعد ذلك مل منها، يريد أن يطلقها، قالت له: أنا أسلمت من أجلك،

كيف تريد أن تطلقني؟ أنا عادت أهلي جميعهم، طردها، طلقها، وطردها، يوجد أناس حنوا عليها، أخذوا لها بيتاً سكنوها.

والله عز وجل وقف لأقول لك، تراجع، تراجع، تراجع، حتى فلس، باع بيته، -كان بيته بالقصور- باع معمله، باع سيارته الأولى، والثانية، والثالثة، وسكن في غرفة بأجرة في عين الفيحة، بدعاء هذه التي أسلمت من أجلك، ثم تخلى عنها:

﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:88]

إنسان آمن، إنسان أسلم، إنسان له مظهر ديني، إنسان يحمل شعار المسلمين، امرأة محبة لا تهينها:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة الآية:32]

-يهما القسم الثاني:-

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة الآية:32]

قضية ستر :

مرة قلت لكم القصة مشهورة: إنسان سمان، جانب جامع الورد، إمام المسجد رأى النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: قل لجارك فلان أنه رفيقي في الجنة.

جاره سمان، هو إمام المسجد، حافظ كتاب الله، البشارة ليست له، فسأل جاره، قال له: والله تزوجت امرأة، يعني مظهرها ديني، وصالحة، وأهلها أصحاب خلق، بعد خمسة أشهر ظهر عندها الحمل، قال له: بإمكانني أن أطلقها، وبإمكانني أن أفضحها، وبإمكانني أن أرفسها بقدمي، وبإمكانني أن أسحقها بقدمي، لكن قلت: لعل الله يجعل هداها على يدي، فأتى بقبلة، ولدها، ودخل بالطفل بعد أن نوى الإمام صلاة الفجر، وضعه وراء الباب، لا أحد رآه، فلما

انتهت الصلاة، بكى الطفل، تعلق المصلون حوله، هو عمل نفسه لا يعلم، قال لهم: خير، ماذا؟ تعال انظر، يوجد طفل!! قال لهم: أنا أكفله، أعطوني إياه، أخذه أرجعه لأمه، أمام الحي على أنه هو متبنيه، وستر الأم.

من الأعمال الصالحة :

والله سمعت قصة من يومين، والله لا أنساها، يعني فتاة اغتصبت قصراً من أحد أقربائها المحارم قصراً، وردت يعني عشرات الخاطبين، خائفة من الفضيحة، علم بقصتها إنسان، قال: أنا أتزوجها، قبل بها. عمل عملاً يعني كالجبال عند الله؛ إنسانة تائبة، ومغتصبة، ومن غير إرادتها، -كانت صغيرة- من قبل أحد أقربائها في البيت، وخافت من الفضيحة، وردت ثلاثة عشر خاطباً، فلما علم إنسان بفضيحتها، قال: أنا أتزوجها، فمعناها في أعمال كالجبال.

لفتة نظر :

لما في سفرتي الأخيرة، أطلع مجلة، تصدر هناك باللغة العربية، في موضوع لفت نظري: التائبون ينبغي ألا نرفضهم.

إنسان له سوابق تاب، إذا جميعنا خفنا منه، ونظرنا لماضيه، نكون في حقه مجرمين؛ يجب أن تنسى ماضيه، ويجب أن تعامله كتائب، وتعامله كإنسان نظيف، من أجل أن تأخذ بيده، هذا واجب، واجب إسلامي مهم جداً، الإنسان كان، انتهى، الماضي يجب أن يلتغى.

قال له: أفأذكر له ما كان منها؟ -إنسانة زنت، وأقيم عليها الحد، بعد حين طويل جاء من يخطبها، في عهد سيدنا عمر، فسأل أخوها سيدنا عمر: أذكر ما كان منها؟- قال له: والله لو نكرت له ما كان منها لقتلتك. إنسان تاب، تطوى الصفحة نهائياً، هذه أخلاق المؤمن، كما أن الله ستار، وأنت ستار:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾

[سورة المائدة الآية:32]

هل تعلم؟ :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، وشبَّك بين أصابعه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

يعني علامة إيمانك معاونة أخوانك، علامة إيمانك التضامن، التعاون، التكاتف، التناصر، التحابب، التزاور، التبادل، هذه علامة الإيمان، والإنسان لما ينسحب من المجتمع المسلم، يعيش لوحده بانتمائه الفردي، بحظوظه الشخصية، هذا ابتعد عن إيمانه، واقترب من صفات أهل النفاق.

((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبَّك بين أصابعه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

كيف تعطى زكاة المال؟ :

الإنسان: يصبح دخله صفرًا، وحوله أناس أغنياء.

والله أنا أعرف أشخاصاً، تدخل إلى البيت لعنده، هات لنا كأس شاي، يضع في جيبه خمسة آلاف، لا يدري، لا يأخذ منه، لأنه عزيز النفس، وفقير.

فتجد في أعمال كالجبال، تعاونه من دون أن تخرجه، هذه زكاة مالي.

قال لي شخص: هل يجوز أن أعطي زكاة مالي، ولا أقول له؟ قلت له: يجوز، الأولى ألا تقول له.

والله هدية، ما الذي يمنع على العيد هدية، على المدارس، على ممكن أن تقدم الزكاة بأسلوب لطيف، لا تخرجه.

في أشخاص يفهمون الفقه فهماً معكوساً، أخي أنا يجب أن أمسكها له، وبلغه: هذه زكاة مالي، وأمام الناس، يقول

له أيضاً، هذا فهم للدين سقيم، ما هكذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام.

قف عند هذه الكلمة :

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّيهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحَمِي))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

أريد أن أقول لك كلمة دقيقة: هل تحمل هموم المسلمين؟ فأنت مؤمن، وإن لم تحمل، فلست بمؤمن:

((من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم))

هل تحمل هم المسلمين؟ هل ترعى صغيرهم؟ هل تعطف على فقيرهم؟ هل ترعى محتاجهم؟ هل يتقطر قلبك
أسى لهم أم تفرح بمصيبتهم؟.

والله في أناس يفرحون، بمجرد أن تفرح بمصيبة أمت بمؤمن، فاعلم علم اليقين: أنك في خندق المنافقين، اعلم
علم اليقين، ولو طالبتني بالدليل:

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:50]

أبداً، إذا أخوك هياً الله له بيتاً، نال الدكتوراه، تسلم منصباً رفيعاً، اشترى بيتاً، تزوج، انزعجت منه، فاعلم علم
اليقين: أنك في خندق المنافقين، اعلم علم اليقين؛ إذا فرحت من أعماقك، وهنأته من أعماقك، واعتبرت تقوقه لك
لمصلحة المؤمنين، فاعلم علم اليقين: أنك من المؤمنين.

أنواع الاختلاف :

المؤمن يفرح لأخيه المؤمن بما أصابه من خير، ويتألم أشد الألم بما أصابه من سوء، والمنافق يفرح إن أصابه
سوء، ويتألم إن أصابه خير، والتحاسد، والبغي، والعدوان موجود بشكل صارخ بين المؤمنين، تحاسد، في اختلاف

طبيعي؛ اختلاف نقص المعلومات, وفي اختلاف قدر؛ اختلاف البغي والعدوان, في اختلاف مباح, بل مندوب, بل مستحسن, الاختلاف في الطاعات, الاجتهاد في الطاعات:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾

[سورة يونس الآية:19]

هذا اختلاف طبيعي, اختلاف نقص معلومات:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

الكتاب موجود, والإله معروف, والنبى معروف, وكل شيء واضح, والمسلمون يتمزقون, يتطاعنون, يتناوشون, يتباغضون, هذا خلاف البغي والعدوان:

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

هذا الخلاف المحمود, خلاف ضمن الحق؛ هذا رأى أن بناء المسجد أهم شيء, هذا رأى الدعوة إلى الله, هذا رأى تأليف الكتب, هذا رأى الفقه, هذا رأى المواريث, هذا رأى العقيدة, علم الحديث, نشر الدين في الخارج, الرد على شبهات الغربيين, كله جيد.

في الحقل الديني: إذا تنافسنا, خلفنا بالتنافس محمود, أما في التنافس على المناصب, وعلى المكاسب هذا مذموم, والجهل ينتج عنه اختلاف, هذا طبيعي.

الحديث الأخير :

فالحديث الأخير :

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {108-119} : ستر عورات المسلمين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-02-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من منهجية الإسلام :

ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة:

هذا منهج, هذا جزء من الدين, أما عند هؤلاء الغربيين: حينما تقع فاحشة, ينشرونها في أوسع وسائل النشر.

ألفان ومئتا صفحة نشرت على الأنترنت, لفاحشة ارتكبت في البيت الأبيض؛ مع تفاصيل مخزية, مع تفاصيل يندى لها الجبين, مع تفاصيل يستحي الإنسان أن يقرأها وحده, هذا غير منهج الله.

اعلم هذا :

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[سورة النور الآية:19]

هذه الآية -أيها الأخوة- تقسم الظهر, ما فعل شيئاً, ما أشاع الفاحشة, إن أحب إشاعة الفاحشة, لو أشاعها جرم أكبر, لمجرد أنك مرتاح لهذه الفاحشة التي تنتشر, لمجرد أنك يعني سعيد بهذه الفضيحة التي ظهرت بين المؤمنين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[سورة النور الآية:19]

التفسير دقيق، وبسيط، لا يوجد أم على وجه الأرض تفرح بفضيحة ابنتها، أبداً، على الإطلاق، فإذا رأينا أمّاً تفرح بفضيحة ابنتها، نقول: هذه ليست أمّاً قولاً واحداً.

حينما يتمنى الإنسان أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، هو ليس مؤمناً، هو في صف المنافقين، لأن الله عز وجل يقول:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[سورة آل عمران الآية:120]

دقق :

فأنت دقق، هذا مقياس دقيق؛ لمجرد أن تفرح لمصيبة أمت بمؤمن، -لا سمح الله ولا قدر-، فيجب أن يعد الإنسان نفسه مع المنافقين، وهذه أوضح علامة من علامات النفاق: أن تتمنى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، أن تتألم إذا أصاب المؤمن خير، أن تفرح إذا أصاب المؤمن شر، أما إذا رأيت مجتمعاً بأكمله قائماً على التحاسد، وعلى البغي والعدوان، وكل إنسان يتمنى أن يسحق أخاه، لينفرد وحده بالغنيمة، هذا مجتمع يستحق سخط الله عز وجل.

لذلك: حينما يهون أمر الله على المسلمين، يهونون جميعاً على الله.

هان أمر الله عليهم، فهانوا على الله.

انظر إلى خلق المؤمن :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

الله عز وجل من أسمائه الستار، فالستار من أسماء الله الحسنى، والمؤمن المتصل بالله يشترك من هذا الاسم صفة الستار، لا يجب أن تشيع الفاحشة، يستر، حتى لو طلق امرأته لأسباب قاهرة، لا يفضحها، يقول: ليس هناك

نصيب، لعل تباين أطباع، أرجو الله أن يرزقها زوجاً خيراً مني، هكذا، أما لأتفه خلاف بين الخاطب وبين بيت مخطوبته؛ تُنشر فضائح، يُنشر الغسيل على الحبال، تُذكر أدق التفاصيل.

هذا واقع المسلمين اليوم :

يا أيها الأخوة؛ المسلمون يصلون، ويصومون، ويحجون، ولكنهم لا يتخلقون بأخلاق الإسلام؛ في غيبة، نميمة، فحشاء، إشاعة فحشاء، حسد، بغي، عدوان، وكلهم يصلون، لذلك: لا يقيم الله لهم وزناً يوم القيامة:

﴿لَهُمْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾

((لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أيعقل هذا؟ :

في حالة أخرى: يقول عليه الصلاة والسلام:

((كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيُصبحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

ستره الله، هو يفضح نفسه.

أخواننا الكرام، هذا الذي يفتخر بالمعصية فاجر، هذا الذي يدخن في رمضان في الطريق فاجر، هذا الذي يقول فعلت كذا

كتاب كبار مسرحيات لهم قصص، يقول لك: سافرت إلى فرنسا، وفعلت كذا، وكذا، وكذا، يعني وقاحة ما بعدها وقاحة، الله عز وجل ستر الأمر، هو يفضح نفسه.

قصة يستحي التاريخ أن يذكرها :

مرة إنسانة ماتت بحادث, أو فطست بحادث, ومشى في جنازتها ستة ملايين إنسان, وبكى معظم رؤساء العالم لموتها.

حينما اغتصبت خمسة وثلاثون ألف امرأة في البوسنة, ما بكى أحد, وحينما يقتل عشرات الألوف كل يوم من المسلمين, لا يبكي أحد, لكن يرسلون مبعوثاً لتقصي الحقائق, أما حينما تعقد امرأة مؤتمراً صحفياً يبيت على عشر محطات فضائية, يشاهده خمسمئة مليون, تقول هذه المرأة: أنا في المكان الفلاني زينت مع فلان, -هي ملكة-, وفي المكان الفلاني زينت مع فلان, وفي مرة بالإسطنبول زنت مع سايس الخيل, ومرة مع فلان, ومرة مع فلان هكذا صراحة, وقاحة, جهاراً.

هذه حينما ماتت بحادث في باريس, مشى في جنازتها ستة ملايين إنسان.

نحن نعيش مع من؟ والله نعيش مع وحوش.

من آداب الإسلام :

الشيء الذي لا يصدق, انظر آداب الإسلام, ليس الذي أشاع الفاحشة, الذي أحب أن تشيع الفاحشة, أحب فقط, تمنى, ما فعل شيئاً؛ ما تكلم, ما أشار, ما غمز, ما لمز, لكنه تمنى أن تشيع الفاحشة, له عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

الآن المؤمنون في خندق واحد, لأن المؤمنين في قارب واحد, لأن المؤمنين يد على من سواهم, يأخذ بذمتهم أذنهم, وهم يد على من سواهم, والمؤمنون كالجسد الواحد, إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

هذا المؤمن, أما أن يتمنى إشاعة الفاحشة, هذا ليس من الدين في شيء.

((كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح وقد ستره الله،

فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيُصبح يكشف سِرَّ الله عنه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

انس الذنب الذي ارتكبته بعد أن عفا الله عنك :

مرة أخ من أخواننا هكذا، لزم درساً في الطاووسية حوالي سنة، كان معي في نزهة، قال لي: أنا كنت أعمل هكذا، قلت له: قف، قف، ما أحد يعرف هذا عنك، والله عز وجل هداك، وتبت، ما فائدة هذا الكلام؟ كنت أشرب، وكنت أفعل، وكنت لا، هذا كلام من الشيطان، الحاضرون -جميعاً- لا يعلمون عنك شيئاً.

مرة قال لي شخص كلمة، -سبحان الله الإنسان هكذا-، قال لي: أنا ارتكبت الفاحشة في زمني، بعد ذلك تاب، والله الآن يعني أنا لا أزكي على الله أحد؛ لكن رجل إيمانه كبير، وله أعمال طيبة؛ لكن سبحان الله! كلما لمحتة، تذكرت هذا الفعل، هذا الإنسان

فبالإسلام نحن ما عندنا اعتراف بالشيخة، في الإسلام هذه ليست واردة إطلاقاً، إنسان الله سترك، تاب عليك، يعني يجب أن تحترم ستر الله لك، وألا تذكر شيئاً عما مضى منك.

أنا منعتة يكمل، لا أعرف عنك شيئاً سابقاً، والحاضرون كذلك، ما فائدة أن تقول لي: فعلت كذا وكذا في الماضي، الإنسان لا يغفر يا أخوان، الإنسان لا يغفر؛ لكن الله يغفر، يغفر، وينسي العبد ذنوبه.

((إذا رجع العبد العاصي إلى الله، إذا تاب العبد توبة نصوحة، أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض كلها خطاياهم وذنوبهم))

هذه هي أخلاق نبيك :

أُتي النبي -عليه الصلاة والسلام- برجل شرب خمرًا، قال:

((الضُرْبُوهُ، فقال أبو هريرة: فَمِمَّا الضَّارِبُ بيده، والضارب بِنَعْلِهِ، والضاربُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ قال بعضُ القوم: أَخْرَاكَ اللهُ، فقال رسول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، لا تُعِينُوا عليه الشيطان))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هذه أخلاق النبي -عليه الصلاة والسلام-، المؤمن دائماً يعين أخاه على الشيطان، ولا يعين الشيطان على أخيه، أبداً.

إذا إنسان وقع، ذلت قدمه، أنت مهمتك كمؤمن أن تعينه على الشيطان، لا أن تعين الشيطان عليه.

فهذا الموضوع؛ موضوع الستر، موضوع المغفرة، موضوع العفو، والإنسان حينما يعفو يعفو الله عنه، وحينما يستر يستره الله.

شيء خطير :

((ومن تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر بيته))

هناك أشخاص كثيرون، يعني يتتبعون أخبار الناس، ويستمتعون برواياتها، ويمضون السهرات على التندر بفضائحهم وانحرافاتهم، هؤلاء الذين يتتبعون عورات الناس، لعل الله عز وجل يعاقبهم، بأن يفضحهم في عقر بيتهم، لا يوجد إنسان يملك أن يمنع عنه قضاء الله وقدره.

في حالات يعني تتكشف الأمور

واقعة :

أنا حدثني شخص، قال لي: والله أنا أسكن في الصالحية، مرة وجدت ابني يأتي مسرعاً، يقول: يا بابا، في البيت رجل، قال لي: فوراً ذهبت إلى البيت، فعلاً: وجده رجل، وزوجته محجبة حجاباً كاملاً، فأغلق الباب، وأتى بالشرطة، وكتب ضبطاً، يعني فضح نفسه بيده، القصة بعد أن رواها لي مرة ثانية، قال لي: زوجتي تشتري حاجة من محل تجاري، -انظر الآية الكريمة:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾

[سورة الأحزاب الآية: 32]

قالت له: راعني، نحن جيرانك، لماذا قلبك قاس علينا؟ هي بريئة، لكن هذا الكلام يعني شيء، يعني شيء، فراعاها، وطرق الباب في اليوم الثاني، وضع رجله في البيت، ودخل على أساس في دعوة منها، خضوعها بالقول: فسره دعوة، هي يبدو أنها امرأة شريفة، لكن جاهلة، فلما رأته رجلاً في البيت، أرسلت ابنها إلى زوجها تستجده.

قال لي: أنا ارتكبت حماقة كبيرة, تسرعت, أغلق الباب, وجاء بالشرطة, وكتب ضابطاً, وفضح نفسه, طبعاً: طلق زوجته, قضية تعالج, هذه تعالج بسرعة, ينبهها الإنسان.

فإذا الإنسان حينما يتمنى أن يستمع إلى فضائح الناس, لعل الله يعاقبه: بأن يفضح في بيته.

فالإنسان يستر, والإنسان يكون كريماً, والإنسان يعفو, والإنسان لا يذكر الماضي.

رأي شخصي :

يعني أصعب شيء في الحياة: أن الإنسان تاب, ما كان هكذا, كان يفعل كذا وكذا, هذا شيطان صار, هذا الذي يقول عن إنسان تائب, يذكره بماضيه, هذا شيطان, إنسان تاب, يجب أن تعامله كتائب. لي رأي أنا في الموضوع: إذا لم نعامل التائب كتائب, كنا في حقه مجرمين, إنسان عمل عملاً, وتاب منه, واستقام.

هكذا عامل النبي حاطب بن أبي بلتعة بعد أن علم بقصته :

سيدنا النبي -اللهم صل عليه- يعني في صحابي ارتكب معه جرماً, جريمة خيانة عظمى, قبل غزو مكة أو قبل فتح مكة, كتب رسالة حاطب بن بلتعة إلى قريش, قال:

((إن مجداً سيفزركم, فخذوا حذرکم, -ممکن, ممکن مواطن يرسل لدولة معادية كتاباً؛ أنه في خطة لإطلاق النار عليكم, أو لعدوان, أو لفتح, أو

لغزو؟ هذه خيانة عظمى-.

فالنبي جاءه الوحي, لما جاءه الوحي, أرسل صحابيين إلى ما بين مكة والمدينة, في مكان اسمه الروضة, هناك امرأة تحمل في عكاسة شعرها رسالة, راسلها حاطب بن بلتعة إلى قريش, فأخذوا الرسالة منها -بالقوة طبعاً-, وجاء بها إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-.

سيدنا النبي استدعى حاطب, قال له:

(ما هذا يا حاطب؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله! ما كفرت ولا ارتددت, ولكنني لصيق في قريش -أنا موقن بنصرك- أردت أن تكون لي عندهم يد أحمي بها أهلي وأولادي, والله ما كفرت بمحمد, ولا ارتددت, فاغفر لي ذلك يا رسول الله

-كلام واضح-فالنبي -عليه الصلاة والسلام-

قال: إني صدقته فصدقوه, ولا تقولوا فيه إلا خيراً))

قبل توبته.

نقطة خطيرة :

هنا في نقطة خطيرة جداً: أنت تاجر, عندك أمين مستودع خانك, باع البضاعة, ما بلغك, قال لك: ناقصة, حتماً بالتسليم في خطأ, جاء إنسان إلى عندك, قال لك: هذا أمين مستودعك باعني بضاعتك, وقبض ثمنها, هذا إنسان خان, وأنت شفقت عليه, وأعلن توبته لكن تبقيه أمين مستودع؟ لا, في مهمات ثانية, أما إذا أبقيته أمين مستودع, معناها أنت وثقت ثقة كبيرة بتوبته, وعاملته كتائب مئة بالمئة, الذي يرفع معنوياته: أن يبقى في عمله الأصلي-.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- بعد أن قال: إني صدقته فصدقوه, ولا تقولوا فيه إلا خيراً, أرسله في مهمة سياسية لبلد آخر.

كلفه العمل نفسه, عامله كتائب, عاملك كتائب.

قصة نموذجية :

هذه القصة التي أروينا كثيراً نموذجية, إنسان رأى النبي -عليه الصلاة والسلام, إمام جامع الورد- قال له: قل لجارك فلان, -جاره الفلان سمان- قال له: قل لجارك فلان: إنه رفيقي في الجنة.

ما هذه البشارة؟ فطرق باب جاره, واستحلفه بالله: أن يقول له ماذا فعلت مع الله, حتى يقول النبي عنك: إنك رفيقه

في الجنة؟ امتنع عن أن يتكلم, بعد ما ألح عليه, قال له: والله لك عندي بشارة, لا أقولها لك إلا إذا قلت لي: ماذا فعلت؟ قال له: والله تزوجت امرأة, مضى على زواجنا خمسة أشهر, وهي بطنها كبير, معناها الولد ليس منه, وجاءها المخاض في الشهر الخامس, قال له: قررت؛ ممكن أفضحها, ممكن طلقها, ممكن اسحقها, ممكن ممكن لكن احتسبت عند الله سترها, فجاء بقبالة, ولدتها, وأخذ الولد, وأخذه, ودخل فيه إلى جامع الورد, بعد أن نوى الإمام لصلاة الفجر, وضعه وراء الباب, وصلى مع الناس كإنسان عادي, فلما انتهت الصلاة, بكى الصغير, تعلق الرجال حوله, قال لهم: ما عمل نفسه غريباً, قال لهم: ما الأمر ؟ قال: تعال انظر, قال: أعطوني إياه, أنا أكفله, فأخذه, وأرجعه إلى أمه, وسترها.

يرى هذا إمام المسجد, أنه: قل لجارك فلان: إنه رفيقي في الجنة.

الله يحب الستر, لا يحب الفضيحة.

هذا هو مجتمع الغرب :

قال لي شخص, قال لي: في مجتمعات الغرب مجتمع فضائحي, يتمتع بالفضائح, يتمتع أكثر البرامج هناك كلها فضائح.

يعني في إنسان نمطه فضائحي, يقول لك: في شخص فطائسي, وفي شخص فضائحي, يحب الفضائح, وفي إنسان يحب الستر.

((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

[أخرجه الزار في مسنده]

احذر من أن تدخل في هذا الخندق :

موضوع الستر شيء رائع جداً, وكمال كبير, وشيء يرفع مكانة الإنسان؛ لا تحاول تدخل في التفاصيل, لا تحاول تأخذ معلومات وتنتشرها بين الناس, هذه صفة بالإنسان يسمونها العوام, له اسم هكذا معبر جداً, لألوء, لا ليس

لألواء، يعني له أوصاف عديدة، باللغة العامية، إنسان محتقر، هذا الذي يتكلم كثيراً، يأخذ قصة، لقصة، لقصة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[سورة النور الآية:19]

ماذا فعلوا؟ ما فعلوا شيئاً، ولكن أحبوا فقط، تمنوا.

أنت حينما تتمنى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، أنت ليس من المؤمنين، أنت في خندق -لا سمح الله- المنافقين، فليفكر الإنسان؛ يفرح بقلبه لخير أصاب المؤمن، يفرح هذه علامة إيمانه، ينزعج من خير أصاب المؤمن علامة نفاقه.

هل يسعدك أن يكون أخوك قوياً أم ضعيفاً؟ هل تتمنى أن يكون أخوك عالماً أم جاهلاً؟ غنياً أم فقيراً؟ متزوجاً أو غير متزوج؟ إن سعدت بخير أصاب أخاك فأنت مؤمن ورب الكعبة، وإن غضبت، وتألمت، وحسدته، وتمنيت أن تزول عنه هذه النعمة، فهذا الإنسان في صف المنافقين.

أحاديث اليوم :

((لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

((كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

وهذا الذي جيء إلى النبي قد شرب خمرًا، قال:

((اضربوه، فقال أبو هريرة: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ، قال بعضُ القوم: أَخْرَكَ اللهُ، فقال رسول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هذا توجيه النبي -اللهم صل عليه- بخلق الستر؛ استتر، لا تفضح، لا تعير إنساناً، لا تكشف ماضيه، هذا ليس في صالحك، وفي إنسان ستير، والمؤمن ستير.

بماذا وصف النبي الزوجة الصالحة؟ :

النبي الكريم: وصف الزوجة الصالحة: ستيرة، عزيزة في أهلها، ذليلة مع بعلمها، ودود ولود.

الإنسان الآخر فضائحي؛ يحب الفضائح، يحب القصص، هكذا تنتشر، يحب يفهم، لماذا طلقها؟ ليكون لها علاقة مع غيره، ويا ترى ما أنجبت، منه لما منها؟ لماذا تتدخل أنت؟ يريد أن يفهم منه لما منها، هذا كله من فضول الإنسان، ومن تعلقات الشيطان.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {109-119} : قضاء حوائج المسلمين 2

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-02-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما علة وجودك في هذه الحياة؟ :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا مع كتاب رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم- وننتقل إلى باب جديد من أبواب هذا الكتاب المبارك, وهو باب: قضاء حوائج المسلمين. قال تعالى:

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحج الآية:77]

الله ﷻ, ربط الفلاح بفعل الخير, بل هل تصدق أن علة وجودك في الأرض: أن تفعل الخير؟ ولو طالبتني بالدليل, لقلت لك: حينما يأتي ملك الموت, يقول للإنسان:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

ندم على أئمن شيء في الدنيا, والعمل الصالح هو ثمن الجنة, والعمل الصالح هو ثمن لقاء الله عز وجل:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية:32]

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[سورة الكهف الآية: 110]

العمل الصالح هو ثمن الجنة التي خلقت من أجلها، الإنسان خلق لجنة عرضها السموات والأرض؛ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جنة إلى أبد الآبدين.

الحياة الدنيا حياة متعبة، الدنيا تفر، وتضر، وتمر، والزمن ليس في صالح الإنسان في الدنيا، لأنه كلما امتد به العمر، ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة.

لا بد من هذا الممر :

الله عز وجل قال:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآية: 19]

الطفل يولد، يفرح أهله فرحاً شديداً؛ أول فرحة أنه ولد، والفرحة الثانية سليم معافى، أجهزته كلها صحيحة، ينظف يفرحون، تظهر أسنانه يفرحون، يمشي فرحة رابعة، يدخل حضانه يأتي حافظاً الفاتحة، يفرح الوالدان، بعد ذلك المعوذتين، بعد ذلك سورة ياسين يحفظها، يدخل ابتدائي، يدخل إعدادي، يدخل ثانوي، يدخل جامعة، الآن مشكلة العمل، أنهى الدراسة، في مشكلة الدراسة أنهاها، العمل، أمن العمل، الزواج، تزوج، مشكلة الأولاد، لم ينجب أولاد، تربية الأولاد، تزويج الأولاد، تزويج البنات، بعد ذلك الأب صار عنده خمسين علة، صار معه تنكة أدوية؛ مفاصل، على كوليسترون، على أسيد أوريل، على بعد ذلك تأتي النعوة، أبدأ:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآية: 19]

ممر إجباري، كلنا على هذا الطريق؛ يبدأ ولد سليم، اثنان نظف، ثلاثة ظهوروا أسنانه، أربعة مشى، خمسة دخل حضانه، ستة ابتدائي، سبعة إعدادي، ثمانية ثانوي، تسعة جامعة، عشرة عمل، أحد عشر زواج، اثنا عشر إنجاب

أولاد، ثلاثة عشر تزويج الأولاد، تأمين بيت، -نسينا تأمين بيت-، بعد ذلك جاءت الأمراض؛ إما انقراض بالفقرة الثالثة، إما التهاب مفاصل مناقير، ضعف بالكبد مثلاً، وهكذا إلى أن يأتي الأجل، كان شخصاً، صار كلمتين على الطرق، انتهى:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآية:19]

ممر إجباري، والإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم، انقضى بضع منه، فهذه الدنيا متعبة.

هذا سباق الدنيا :

أنا مرة ذكرت مثلاً، يعني الحقيقة معبر، تصور سباق سيارات، طريق كأسترداد المزة، عريض، طوله ستة كيلو متر، لو كان طوله خمسون كيلو متراً، المتسابقون ألف سيارة، السيارة أحدث موديل، وأرقى ماركة؛ سيارة أصغر حجم، سيارة كبيرة، سيارة شرقية، سيارة أميركية، سيارة أوروبية، سيارة يابانية، سيارة سياحية، سيارة فان، سيارة هذا الطريق ينتهي بجدار؛ فالأول نزل، والأخير نزل، وأكبر سيارة نزلت، وأسرع سيارة نزلت، وأضعف سيارة نزلت، هذا، هذا سباق الدنيا.

يقول لك: مات، لكن ترك ثلاثمئة مليون، مات، ذاك مليونير، في شخص ثان مات مليونيراً، عليه ديون يعني، عليه ديون بالملايين؛ هذا مات مريضاً، هذا مات صحيحاً، هذا مات بحادث، هذا مات قوياً، هذا مات غنياً، هذا مات ملكاً، الجميع في الحفرة، هل هذا السباق: جدير أن تسعى إليه؟

((الدنيا جيفة، طلابها كلابها، والدنيا دار لمن لا دار لها، ويسعى لها لمن لا عقل له، من عرفها لم يفرح برحاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي))

هذا سباق الدنيا :

فالله عز وجل قال:

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحج الآية:77]

الفلاح مرتبط بفعل الخير, بقدر فعلك الخير أنت فالح, ليس بقدر حجمك المالي أنت فالح.

ما هو الفقر, وما هو الغنى؟ :

لما سيدنا موسى سقى للمراتين, ماذا قال؟ قال:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص الآية:24]

الفقر هو فقر العمل الصالح, والغنى هو غنى العمل الصالح, تجد شخصاً من عامة الناس, الله عز وجل أجرى على يده أعمالاً طيبة, هذا الغني.

وسيدنا علي: الغنى والفقر بعد العرض على الله.

فينبغي ألا يغيب عن أذهاننا؛ أن علة وجودنا في الدنيا, علة وجودنا في الدنيا هو العمل الصالح, العمل الصالح ثمن الجنة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل الآية:32]

العمل الصالح سبب رضاء الله عن الإنسان.

((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم, ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم))

﴿وَقُلِ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة التوبة الآية:105]

فلذلك: العمل الصالح ثمن الجنة, ثمن رضاء الله, ثمن السلامة, ثمن السعادة, ثمن التوفيق, ثمن النجاح, ثمن الفلاح, إلى آخره

من هو المسلم؟ :

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-, أن رسول الله -ﷺ- قال:

((المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُهُ، ولا يُسَلَمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ.

-خذوا مني هذه الحقيقة: بقدر ما تعين أخاك، تُعان على حاجاتك، بقدر ما تساعد أخاك، تساعد على حاجاتك، بقدر ما تهب لنصرة الضعيف، هناك من ينصرك، إذا كنت ضعيفاً، أبدأ.

حتى هناك بعض الأحاديث:

((هم في مساجدهم والله في حوائجهم))

هذا هو قانون التيسير والتعسير :

يعني أقول لكم بشيء دقيق: أسعد إنسان هو الذي أموره ميسرة, هو التيسير مسعد, والله عز وجل قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾

[سورة الليل الآية:5]

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾

[سورة الليل الآية:6]

﴿فَسْتَيْسِرُ الْيَسْرَى﴾

[سورة الليل الآية:7]

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾

[سورة الليل الآية:8]

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية:9]

﴿فَسْتَيْسِرُ الْغَنَى﴾

[سورة الليل الآية:10]

هذا القانون قانون التيسير والتعسير؛ آمن، واستقم، واعمل الصالحات أمورك ميسرة.

والإنسان إذا لم يؤمن، ولم ينفق من ماله، ولم ينضبط بالشرع، استغنى عن طاعة الله، أموره كلها معسرة، وقد تنشأ مشكلة كبيرة لسبب تافه؛ بأوج نشاطه، بأوج صحته، بأوج قوته، بأوج غناه؛ صحة، على غنى، على مال، على جمال.

حينما يهون عليك أمر الله، تهون على الله:

سبحان الله! دخل إلى البيت، وجد في قاطع كهربائي، يعني أصابه خلل، فأتى بإنسان لتصليحه، قال له: أبدله لي، قال له: محله منخفض، أرفعه لك؟ قال له: ارفعه، رفعه، في اليوم الثاني اضطر أن يستعمله، صار أعلى من طوله، قال لابنته: أعطني الكرسي، صعد على الكرسي، فقس، دخل في مقعده، دخل على المستشفى، قد عشرين يوماً، كان منتهياً، ترك مئتين وعشرين مليون دولار، بأتقه سبب؛ أن القاطع علاه قليلاً، يذهب رخيصاً. الإنسان إذا كان هيناً على الله عز وجل

حينما يهون عليك أمر الله، تهون على الله.

يعني خطأ إيدز انتهى، يعني تجد خطأ ثانياً حدث انتهى؛ أما إذا كنت مع الله، الله يحميك، ويحفظك، ويوفقك-.

من تفريج الكربات :

وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

-مليون كربة يوجد، وأنت متاح لك أن تفرج مئات الكربات.

أحياناً: الكربة أساسها: ينقصه ألفين تعطيه ألفين، فرجت عنه، أحياناً الكربة ينقصها أن تكلم له إنساناً، كلمته، عينه عنده، وظفه، صار له دخل انتهت كربته، يلزمه بيت، عاونه بشراء بيت، أنهيت كربته.

يعني الطبيب -أحياناً- يعاون، يحكم مريضاً، كان مكروباً، شفاه الله-.

من أخلاق المسلم :

((وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

انظر الأخلاق الإسلامية، المسلم ستير، أما الكافر فضاح، مجتمع الكفر مجتمع فضائح، يتغذون بالفضائح، ينشرونها على الأنترنت، يكبرونها، يتمتعون بها الكفار، أما المؤمن ستير، يشتق من أسماء الله الحسنى خلقاً، يشتق من اسم الستار الستر.

ما وراء هذه السطور :

والله كلام جميل:

((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُهُ، -لا يتخلى عنه-، ولا يظلمه؛ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

-حدثني أحد الدعاة، قال لي: زارني شاب في مقتبل العمر، عقد العقد على فتاة، وتأمين البيت، لكن ينقصه بعض الأثاث، والعرس مؤخر على شراء غرفة النوم، والأمر طال، وصار في بلبلة، وصار في مشكلات، يلزمه عشرين ألفاً، قال لي: أمنتهم له، قال لي: من شدة فرحه كاد يُصعق، وقع على الأرض ساجداً، قال له: يا ربي لك الحمد.

تصور إنساناً، كربته كلها عشرون ألفاً.

وطبعاً: من حوالي سنة، صار في عرس بالشيراتون، كلف -هذا أعلى رقم سمعته- خمسة وثمانين مليوناً، على عشرين ألف كم شاب تفرج كربته؟ والله أحياناً كربة إنسان، بألفين تحل.

أنا أغرب إنسان جاء إلى عندي، قال لي: أريد أن أتزوج، قلت له: نعم، قال لي: أريد بيتاً، قلت له: بيت! صعب، قال لي: ليس صعباً، أنا عندي قطعة أرض في الغوطة، وفي عامل باطون يديني أجرته، فقط أريد ثمن المواد، كم؟ قال لي: خمسة وخمسون ألفاً، كل البيت فقط؟ قال لي: فقط، والله تأمنوا، وفاهم، رجعهم.

كربته كلها خمس وخمسون ألفاً، شاب.

قارن بين عمل أهل الدنيا وبين عمل أهل الآخرة :

أحياناً: تجد ورود بمليون ليرة، ورود -فقط- بمليون ليرة، أهل الدنيا -أخواننا- إذا أنفقوا المال أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، وإذا منعه منعوه بخلاً وتقديراً، بخل وتقدير.

أخ من أخواننا -جزاه الله خيراً-، زوج ابنته، ما بعث شيئاً، بعث بطاقة دعوة فقط، في وسطها وصل بألف ليرة، لإنشاء ثانوية شرعية في داريا، كل مدعو موضوع في الظرف وصل بألف ليرة، لتأسيس ثانوية شرعية في داريا. قال لي: أنا دعوت مئتين وعشرين ألفاً دفعناهم للثانوية، لو قدم -هكذا- شيئاً، زبديّة، صار عندي حوالي ألفي زبديّة، ليس لهم محل أساساً، وكل واحدة شكل، هذه ليس لها طعمة، يعني قدم شيئاً، قدم لثانوية إنسان ثان، -كان من أخواننا، لكن ميسور الحال-، أحب أن يزوج أخاه، يعني جعل لكل مدعو هدية بألف ليرة، دعا ثمانمئة، قام الخطيب بعقد القران، قال: أنا دعوت ثمانمئة أخ، صاحب الدعوة دعا ثمانمئة أخ، وخصص لكل مدعو ألف ليرة، المبلغ مودع عند جهة أمينة بتزويج الشباب، والله شيء جميل!.

آن الأوان تتحرك، نحل مشاكل الشباب، ثمانمئة ألف وضعهم عند جهة موثوقة، وأنفقوا على تزويج الشباب، فهذا

.....

مشكلة :

مرة قال لي أخ، فقير جداً، قال لي: أريد عشرين ألفاً، قلت له: لماذا؟ قال لي: أريد أن أشتري دراجة نارية، أوزع أكياساً في الغوطة، قلت له: والله معقول، والله في أخ أمنهم له، ردهم بعد سنة، ودفع زكاة ماله. إنسان حللت له مشكلته بعشرين ألف، تجد أموالاً تتفق من قبل الأغنياء، بلا جدوى، بلا فائدة.-

هذا مجتمع المؤمنين :

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هذا الحديث، والله متفق عليه، ورائع؛ ستر، تقريح، كرب، قضاء حوائج، ألا تظلم، وألا تسلم أخاك، هذا مجتمع المؤمنين، هذا مجتمع التعاون، في قصص ترفع معنوياتنا، وفي قصص تثبط معنوياتنا، في قصص تشعر أن الدنيا بخير، لا زلنا بخير.

عملية إنفاق :

والله مرة دعيت في رمضان إلى طعام الإفطار في ميثم سيد قريش، كلفت إلقاء كلمة لجمع التبرعات لهذا الميثم، والله ألقى كلمة حوالي عشر دقائق، الحصيلة ثمانية ملايين، خلال نصف ساعة، دفعوا ثمانية ملايين، يقومون بتعمير بناء سيد ينقصهم طابق، وعندهم إنفاق، والله نحن بخير.

لا تستغرب :

وأحياناً: تجد شخصاً معه ملايين مملينة، يقول لك: لا يوجد سيولة، (لا يوجد سيولة)، ينفق على شهواته الآلاف المؤلفة، أما على عمل صالح يبخل.

قال لي: دخلت إلى محل تجاري، قلنا له: جمعية خيرية، -أخ من أخواننا-، قال لي: أعطاني عشر ليرات، قال له: بربك، قال له: بربك، لو وجدت في الطريق، هل تلتقطها؟ قال له: لا والله، لا يلتقطها. سخت نفسه بهذه العشر ليرات، وأيضاً من الصعب أن تتداول، من كثرة اهترائها، أما على الشهوات بغير حساب.

والله سمعت زرار بانطو بخمسة وثلاثين ألفاً ثمنه، زرار بانطو نسائي -فقط-، خمسة وثلاثون ألفاً، غير يعني، غير.

حينما ننفق الأموال على البذخ والترف، الله عز وجل يعمننا بالبلاء.

قصة لها مغزى :

آخر حديث: يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

-في تاجر أقمشة، مرة زارني، قال لي: أنا في تاجر بالحמידية، كلما أذكره أبكي، رأساً أبكي، وهذه القصة من ثلاثين سنة، قلت له: ماذا عمل معك؟ قال لي: لم يبق معي مال، جاء ليطالبي بمبلغ كبير، لما قادم من الشام، قلت: أدعوه لتناول طعام الغداء، قلنا له: ممكن أن تتناول طعام الغداء؟ قال لي: لا يوجد مانع، قال له: لكن في البيت، والله إلى مطاعم لا يوجد معي، قال له: في البيت، قال لي: دخلت إلى بيته، التاجر دخل لبيته وجده صغيراً جداً، ليس معناها أكل أموال الناس، ومتوسع فيهم، لا، قال له: أين السندات؟ قال له: هذه، مزقتها، قال له: انزل على الشام في الجمعة الثانية، لكي أبيعك بضاعة، وإذا كان تريد نمر من عند غيري، أو منها لك، واعمل، وأنا معك، ألغى السندات موقتاً، وأعطاه بضاعة، وأمن له بضاعة من عند جيرانه، وقال الكريم: خذ، قال لي: وفي الدينات، وفي السندات

والله زرنا بيته، بيته فخم جداً، الله أكرمه، يقول لي: كلما أتذكره أبكي، لأنه نشلني، كان من الممكن أن يحطمني؛ لكن نشلني.

ليس الكل الريح بخمسمئات، أحياناً تريح أخاك، الماديون عقلهم محدود، قناعة الريح هو أموال فقط، أحياناً تريح أخاك، أهم من المال، لأن تريح إنساناً وتخسر الدنيا، خير لك من أن تريح الدنيا وتخسر إنساناً، هذا كلام دقيق.-

وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُغْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشَّيْتَهُمُ الرَّحْمَةَ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذا الحديث يحتاج إلى درس خاص إن شاء الله في درس قادم.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {110-119} : قضاء حوائج المسلمين 3- من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-02-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من هو الموفق؟ :

أيها الأخوة الكرام:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-, عن النبي -ﷺ- أنه قال:

((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا, نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

-ورد في بعض الآثار القدسية:

((أن يا عبادي, الخير بيدي والشر بيدي, فطوبى لمن قدرت على يده الخير, والويل لمن قدرت على يده

((الشر))

إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيما استعملك.

عملك في العطاء أم في الأخذ؟ عملك في بث الطمأنينة بالناس أم في سلبهم أمنهم؟ عملك في إعطاء الناس

المال أم في ابتزاز أموالهم؟ عملك في الإحسان إلى الناس أم في الإساءة إليهم؟

الويل, ثم الويل, ثم الويل, لمن قدرت الشر على يديه.

يُروى -وهذه قصة في الكتب-: أن رجلاً يطوف حول الكعبة, يقول: ربي اغفر لي ذنبي, ولا أظنك تفعل, فكان وراءه رجل سمع مقالته, فقال: يا هذا, ما أشد بأسك من رحمة الله! قال: ذنبي عظيم, قال: وما ذنبك؟ قال: كنت جندياً في حملة لقمع فتنة, فلما قمعت, أبيحت لنا المدينة, دخلت أحد البيوت, فيه رجل, وامرأة, وولدان, فقتلت الرجل, وقلت لامرأته: أعطني كل ما عندك, أعطته كل ما عندها, فقتلت ولدها الأول, فلما رأته جاداً في قتل الثاني, أعطتني درعاً مذهبة أعجبتني, تأملتها, فإذا عليها بيتان من الشعر, قرأتهما, فوقع مغشياً علي:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

أخواننا الكرام, أقول لكم مرة ثانية:

((طوبى لمن قدرت على يده الخير, والويل لمن قدرت على يده الشر))

هذا مصير كل إنسان يبتز أموال الناس بالباطل :

طوبى لمن أعطى, والويل لمن يأخذ, طوبى لمن طمأن, والويل لمن أخاف, طوبى لمن أعان الناس, والويل لمن ابتز أموالهم. الله عز وجل كبير.

أعرف رجلاً, يعني بانياً عمله على إيذاء الناس, وعلى أكل أموالهم بالباطل, وقوي, جمع أموالاً طائلة, أنشأ مزرعة في غرب دمشق, بيعت بثمانية وخمسين مليوناً, كم فيها

في إحدى الليالي, يذهب إلى هذه المزرعة, أمامه سيارة حديد, الأرض فيها بترول, استعمل المكبح, فلم يجاب, فدخل في هذه السيارة, فيها قضبان خارج منها, قصت رأسه, وألقته إلى المقعد الخلفي, وأصيبت زوجته بالجنون, وابنته ماتت, وابنه مات, وبيعت المزرعة, أرخى الله له الحبل عشر سنوات, ثم قصمه.

خذ هذه العبرة من هذه الكلمة :

فيا أيها الأخوة, طوبى لمن نفس عن مؤمن كربة, والويل لمن سبب له كربة.

أساليب الإيذاء كثيرة جداً؛ ممكن محتال, ممكن تستخدم الثقة التي أولاك إياها الناس.

طبيب موثوق, لو قال: لا بد من عملية جراحية, والعمل الجراحي غير مفيد, ما أحد شعر, هذه بينه وبين الله.

المحامي موثوق, ممكن يقول لك: تريح الدعوة, ابتز منك خمسمئة ألف خلال ثماني سنوات, ثم خسرت الدعوة ممكن, هذه بطرائق عديدة؛ إما بالاحتيال, أو بالقوة, أو بأسلوب, أو بآخر, أو بالمكر؛ العبرة: ألا تبني مجدك على أنقاض الناس, وألا تبني ثروتك على إفقار الناس, وألا تبني أمنك على إخافة الناس, وألا تبني حياتك على موت الناس-.

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا, نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

مقياس دقيق :

-أخواننا الكرام, في مقياس, هذا المقياس دقيق, دقيق, دقيق: ما الذي يسعدك: أن تأخذ أم أن تعطي؟ إن كان الذي يسعدك أن تأخذ, فأنت من أهل الدنيا, وإن كان الذي يسعدك أن تعطي, فأنت من أهل الآخرة, ما الذي يسعدك؛ أن تسعد الناس أم أن تشقيهم؟ أن تريحهم أم أن تتعبهم؟.

في شخص إذا لم يؤذ لا ينام, لا يرتاح, إذا ما أوقع الأذى بالناس لا يرتاح, هذا له مصير وخيم.

يعني إذا الله عز وجل سمح لك تنفس عن مؤمن كربة؛ أن تعينه, أن تقرضه, أن تزوره, أن تواسيه, أن تدله على الله, فأنت من أسعد الناس.

إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيما استعملك :

وأخواننا الكرام, مرة ثانية: إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيما استعملك.

لا أنسى موقف, دعيت لافتتاح مسجد في الصبورة, والذي أنشأ المسجد, دعا كل علماء دمشق, وتناولوا طعام الغداء, وألقيت كلمات, والله رأيته كالشمس, إنسان اشترى أرضاً, وعمرها مسجداً, خرجت من هذا المسجد بعد انتهاء الاحتفال, وجدت أمامي ملهى, بعد أن انتهى, وتم, ودشن, بأسبوع مات صاحبه, وازنت بين من أنشأ هذا المسجد, ومن أنشأ هذا الملهى؛ الأول مات, الثاني لم يمته بعد, لكن ماذا يبقى؟.

وازن بين مغن وقارئ, الاثنان ماتا؛ إنسان: أغانيه فيها فسق, وفجور, وإثارة غرائز, في كل إذاعات العالم العربي تُذاع, وإنسان آخر: القرآن الذي تلاه في كل الإذاعات يُذاع.

مرة افتتحنا مسجداً, جلس إلى جانبي مدير الأوقاف, قلت له: هنيئاً لك, أنت تفتتح مسجداً, وتعين خطيباً, في غير البلاد يوجد من يفتتح ملهى, ويعين راقصة, فرق كبير.

لا تنس:

لا تنس هذه الكلمة: إذا أردت أن تعرف مقامك, فانظر فيما استعملك.

أنت ما هويتك؟ في إنسان عمله أساسه إخافة الناس, في إنسان عمله سلب الناس أموالهم.

لا تنس أن في العالم أنبياء وأقوياء بالضبط؛ الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم, والأقوياء ملكوا الرقاب بقوتهم, أنت تابع لمن؟ إما أن تكون تابعاً لنبي, سلاحك الكمال, تملك القلوب, وإما أن تكون تابعاً لقوي, تملك الرقاب.

قضية تيسير :

الآن-: ومن يسر على معسر, يسر الله عليه في الدنيا والآخرة:

((رحم الله عبداً؛ سهلاً إذا باع, سهلاً إذا اشترى, سهلاً إذا قضى, سهلاً إذا اقتضى))

((المؤمن هين لين, يألف ويؤلف, ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف))

المؤمن وسطي, المؤمن يُسترضى, المؤمن يعفو, المؤمن يتسامح-.

ومن يسر على معسر, يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

قصة تاجر أقمشة :

-يمكن قلت لكم الأسبوع الماضي, زرت إنساناً تاجر أقمشة, قال لي: كلما أذكر فلاناً أبكي, قلت له: ماذا فعل معك فلان؟ قال لي: له معي مبلغ ضخم جداً, جاء ليطلبني به, قال لي: لا يوجد معي, هو حالته فقير جداً, قال لي: كونه قادم من الشام, -هو في اللاذقية-, قال لي: قادم من الشام, خجلت, دعوته لتناول طعام الغداء, قال له: لكن في البيت, قال له: والله في المطعم لا يوجد عندي إمكانية, في البيت, قال له: حسناً.
-هذا التاجر تاجر أقمشة, أخونا في الحريقة- دخل إلى بيته, بيته صغير, فقير, لو كان إنساناً نصاباً, كان عمل بأموال الناس, واشترى بيتاً فخماً, لما رآه بهذا الوضع, قال له: أين السندات؟ معه السندات, مزقهم أمامه, قال له: انزل إلى الشام لأعطيك بضاعة, وبعها, وإذا كان في نمر عندي منها, أنا آخذها لك, والله عز وجل

يبدو أن الإنسان صاحب ذمة, فأخذ البضاعة وباعها, وريح, وسدد له الديون السابقة واللاحقة, وعاش في ببحوحة.

قال لي: سبب سعادتي الإنسان, سبب نجاحي الإنسان, تحملني, يسر على معسر, قال لي: له علي دين كبير, وباعني بضاعة مرة ثانية-.

من يسر على معسر, يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

هذا هو البطل :

-الآن:- ومن ستر مسلماً, ستره الله في الدنيا والآخرة:

-من السهل جداً تقضح الناس, لكن بطولة كبيرة جداً تسترهم, من السهل جداً تكون في سهرة, تحكي قصة مضحكة, وغريبة, وتلفت النظر, لكن فضحت إنساناً فيها, حطمت إنساناً, ومن الصعب جداً يكون عندك ألف قصة, كل قصة تعمل الجلسة متألفة كلها, سكت.

الله ستار, الله عز وجل ستار, والمؤمن الكامل يشفق من كمال الله من ستره الستار, المؤمن يستتر.

بصراحة: المسلمون فضاحون, تجد كل أسرة فيها مشاكل, القصص كلها بين الناس, لا يوجد سر, حتى الزوجة المؤمنة من صفاتها: أنها ستيرة, لا تمتنع عن زوجها, عفيفة, ستيرة, ولود-.

من هم أسعد الناس؟ :

والله في عون العبد, ما كان العبد في عون أخيه:

-كلام دقيق, دقيق؛ إما أن تعين الناس, وإما أن تبلى بالهموم والأوجاع.

الملاحظ: أن الذي ينشط لمعونة الناس, وخدمتهم, هو أسعدهم, وإذا أردت أن تكون أسعد الناس فأسعدهم, أسعد الناس تكن أسعدهم, إذا أردت أن تسعد فأسعد الناس, اخرج من ذاتك إلى خدمة الخلق, اجعل هموم المسلمين همك, اهتم بالآخرين, الله عز وجل يعني يعينك على أمر دنياك.

هم في مساجدهم والله في حوائجهم.

الله يحب العبد يحمل هم الناس, يحمل هم المسلمين.

قصة نموذجية :

والله سمعت عن تاجر بالعصرونية -توفي رحمه الله-, عاش ثمانين سنة, توفي في ليلة القدر وهو يقرأ القرآن, له أخوان فقيران, وزع أمواله في حياته, -وكان في أوج نجاحه التجاري- بين أخوته الثلاث, لا يوجد إنسان من أسرته؛ إلا زوجه, وأمن له بيتاً, أما له مكانة, ملك, كلمته لا ترد, يعيش لمجموعة كبيرة جداً في أفراد أسرته؛ شباب, شابات, تزويج, بيوت, تجارة.....

والله مرة سمعت عنه قصصاً لا تصدق, ما هذه السعادة؟ إحدى القصص:

عنده صانع بأسلوب ذكي, قال له: سيدي, إذا كان أنا يعني أخذت محلاً تنزعج؟ قال له: أعوذ بالله يا بني! قال له: حسناً, هذه أول واحدة, قال له: بعد محلين, يوجد محل معروض للتسليم, ممكن أخذه؟ قال له: تكرم يا بني! قال له: معي -فقط- عشرة آلاف, يريدون تسعين ألفاً فروغه, قال له: تكرم, أنا أو من هم لك, ممكن تأخذه لي أنت؟

قال له: على عيني, أخذه له, واشترى بضاعة من عنده, وصار منافساً له, عندي صانع صار صاحب محل, وكله محل.

يعني يسخن إنسان مادي, لنئيم؟ وإنسان كريم.

أقول لكم: ملك كان في أسرته, ملك, لا يجرؤ إنسان من الدرجة الرابعة, -ليس أولاده يعني-؛ يعني أخواته, أولاد أخواته, وأخواته البنات, أولاد أخواته البنات, لا يجرؤ إنسان من كل هذه الأسرة, أن يعصي له أمراً, عاش للآخرين.

قال: إذا دعا العمال والموظفين, لا يأكل معهم, حتى لا يخلجوا, بعد أن ينتهوا يأكل, متواضع جداً, عاش ثمانين سنة, مات في ليلة القدر, وهو يقرأ القرآن.-

والله في عون العبد, ما كان العبد في عون أخيه.

-الله يحبنا, إذا أحببنا بعضنا؛ حينما نتحاسد, ونتباغض, ونتنافس, لا يحبنا جميعاً.

اسلك هذا الطريق :

الآن-: ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً:

-يعني إنسان جاء إلى المسجد ليتعلم, لا يوجد شيء في المسجد, كأس شاي لا يوجد, بساط لا يوجد, اقعد اسمع الدرس.-

سهل الله له به طريقاً إلى الجنة:

-يعني أنت خرجت من بيتك, وارتديت ثيابك, وركبت سيارة, واتجهت نحو المسجد, هذا طريق الجنة.-

أشرح هذه المفردات التالية: السكينة، الرحمة :

مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُعَلِّمُونَ بَيْنَهُمْ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشَّيْتَهُمُ الرَّحْمَةَ، وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.

-والله كلام طيب، السكينة هذه السعادة:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

[سورة التوبة الآية:40]

والرحمة المعاونة؛ في راحة نفسية، وفي خير بين يديك، والملائكة في حفظ، والله عز وجل يذكرك عنده، يرفع لك ذكرك.

يمكن لا يوجد إنسان على وجه الأرض، أعزه كرسول الله، والإنسان لما يتعرف إلى الله، يرفع الله ذكره:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:1]

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:2]

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:3]

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:4]

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية:4]

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

[سورة الشرح الآية:5]

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

[سورة الشرح الآية:6]

ما النسب المقبول في دين الله وشريعته؟ :

((وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

نحن في حياتنا الدنيا، النسب تاج يتوج به المؤمن، إذا كنت مؤمناً، ومستقيماً، وقلت: أنا منسوب، على العين والرأس؛ نعتد بالنسب، ولكن لا نعتد به من دون إيمان، واستقامة، وإلا كأبي لهب:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية:1]

عم النبي، نعتد بالنسب إذا كان تاجاً يتوج به الإيمان، أما إذا لا يوجد إيمان، النسب لا قيمة له.

النبي - عليه الصلاة والسلام - قال:

((سلمان منا آل البيت))

والله قال:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية:1]

-عم النبي-:

﴿سَيُضَلِّي نَاراً دَاتَ لَهَبٍ﴾

[سورة المسد الآية:3]

وبلال الحبشي, كان إذا ذكره الصحابة قالوا, هو إذا ذكروا سيدنا الصديق قالوا: هو سيدنا, وأعتق سيدنا -يعني بلالاً-.

وسيدنا عمر عملاق الإسلام, خليفة المسلمين, خرج إلى ظاهر المدينة لاستقبال بلال -ما قولك؟! -.

سيدنا الصديق لما اشتراه من سيده الظالم, وضع يده تحت إبطه, وقال: هذا أخي حقاً.

هذه السنة :

والله -أيها الأخوة-, هذا الحديث من أدق الأحاديث:

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشَّيْتَهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذه السنة, وكل مؤمن مكلف أن يعرف السنة, لأن الله عز وجل قال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية:7]

فكيف نأخذ عنه, وننتهي عما نهى عنه وزجر, إن لم نعرف ماذا أمر, وعن أي شيء نهى؟!!

هذا أمره تنفيس الكرب عن المؤمن، التيسير على معسر، ستر المسلم، معونة المسلم، طلب العلم، تدارس كتاب الله تعالى، والاعتماد لا على النسب، بل على الاستقامة والعمل.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {111-119} : باب الشفاعة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-02-28

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مفتاح الدرس :

أيها الأخوة, لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم-, وبنقل اليوم إلى باب جديد عنوانه: باب الشفاعة, وهذا الباب افتتح بقوله تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية:85]

-تتمة الآية-:

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية:85]

من أمثلة الشفاعة السيئة :

موضوع اليوم متعلق بالوساطة؛ لو أنك كنت وسيطاً لمنكر، أو لشر، أو لمعصية، أو لضرر، تتحمل وزراً كبيراً، ولو كنت وسيطاً لخير عميم، أو لنفع صحيح، أو لدعوة، أو لهدى، كان لك مثل أجر الذي حصل لهم، شيء خطير جداً.

يعني شخص قال لك -مثلاً-: أريد أستاذ رياضيات لولدي، تكرم، أعرف شخصاً، لعل هذه الأسرة غير منضبطة، فاختلا هذا الأستاذ مع هذه الطالبة، والطالبة في الحادي عشر مثلاً. الذي يجري، في صحيفة من توسط بين هذا وذاك.

لو شخص سألك عن حاجة لا ترضي الله عز وجل, ودلته على من يفعلها.

لو شخص طلب منك -مثلاً- استئجار بيت, ليلة واحدة بعشرة آلاف, دلته أنت, ليلة واحدة بعشرة آلاف, الشيرتون بثلاثة آلاف, معناها في مشكلة, ليس قضية نوم, قضية دعارة معناها, أنت تعرف شخصاً عنده بيت بالإيجار, فبسذاجة فلان يؤجرك.

فكل إنسان يعين على منكر, يعين على معصية, يعين على فحشاء, يعين على شر, يعين على ضرر.

قال لك شخص: أريد أن أشتري طاولات زهر كي أبيعها, من هؤلاء الذين أعطوك إياها؟ تكرم, فلان, هي الطاولة محرمة, اللعب بالنرد محرم, أنت دلته.

أنا أضرب أمثلة عشوائية, أما في مليون حالة, مليار حالة؛ أية معصية بتوجيه منك, أو بدلالة منك, أو بإشارة منك, أو بعلاقة منك, أو بنصيحة منك, أنت مسؤول.

من أمثلة الشفاعة الحسنة :

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾

[سورة النساء الآية:85]

يعني تعرف إنسانة مؤمنة, طاهرة, نقية, عفيفة, محببة, ملتزمة, دللت عليها إنساناً مؤمناً, فتزوجا, وأنجبا أولاداً طاهرين, والأسرة كانت أسرة راقية, هذه الأسرة بكل أعمالها الصالحة في صحيفتك, لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح))

دللت إنساناً على جامع, الجامع الدعوة فيه صحيحة, نظيفة, وفق الكتاب والسنة, كل أعماله الصالحة في صحيفتك, دلته على جامع, لست متأكداً من سلامة عقيدته.

لو فرضنا دلته, قال لك: أنا ضعيف في الرياضيات, في معهد يعني قائم على الاختلاط, شاب في ريعان الشباب, يجلس إلى جانب فتاة في ريعان الشباب, اختلف الوضع, كان دراسة, صار شيئاً ثانياً.

أنا أضرب أمثلة حتى لا يكون الموضوع محددًا

يعني أي دلالة؛ دلت على شيء، هذا الشيء نتج عنه معصية، دلت على شيء، هذا الشيء نتج عنه فساد، دلت على شيء، الشيء نتج عنه عقيدة زائغة، دلت على شيء، الشيء نتج عنه انحراف، هذا الذي تكلمت به في صحيفتك، ولك تتحمل جزءاً من الإثم، إن لم يكن الإثم كله، هذا كلام دقيق.

اعلم هذا :

إنسان -مثلاً- أجر بيته لمحل تأجير فيديو فرضاً، أجر محله، أخي، ذنبه -إن شاء الله- في رقبته، أنا علي تأجيره المحل، حسناً؛ لكن هذا المحل يؤجره أفلاماً منحرفة، أساساً ممنوعة، مخالفة للنظام؛ تقصد الأخلاق، تقصد الأسر، تشيع الفاحشة والزنا، أنت أخذت أجره، الذي قدم هذا المحل: يتحمل جزءاً كبيراً من الإثم، الذي نتج عن هذا التأجير، والعكس صحيح:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية:85]

كفل: يعني مسؤول عنها.

هذا هو الدين :

والله أنت ضعيف في اللغة، ابعثه إلى بريطانيا، يقعد مع أسرة يتعلم، والله شيء جميل، بعثته، دللته أنت، أنت لم تفعل شيئاً، ليس عندك أولاد، لكن دللته، بعث الابن، وضعه مع أسرة؛ لا يوجد أي رادع، لا يوجد أي قيمة، شاب، وشابة، وأسرة، وتقلت، ذهب شيء، عاد شيء، ذهب طاهراً، عفيفاً، عاد زانياً، أنت قضيت غرضاً؛ دللته أنت.

فانتبه؛ كل كلمة تتكلمها محاسب عنها، هذا الدين؛ الدين دله على الخير، دله على عمل صالح، دله على انضباط، دله على ماذا عمل؟

لا تكن سبباً في معصية, لا تكن وسيطاً في منكر, لا تكن سبباً في إشاعة الفاحشة :

والله -الآن- افتح محلاً أنت تكلمت كلمة فقط, هو فتح محلاً, وبدأ يبيع, ويربح, ويرتب, ويعمل, الناس سعيدة, إلى الساعة الثالثة في الليل قيام ليل, وهذا الشيء كان في صحيفتك, انتبه, كل كلمة محاسب عنها. من غاب عن معصية فرضيها كان كمن شهدها, ومن شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها.

أنا ليس لي علاقة, -يقول لك- أبيع حاجات لا تستعمل إلا في الطريق, لإبراز مفاتن النساء, لا, دخلك, أنت ساهمت بهذا التقلت في المجتمع, لو أنك صنعت شيئاً للزوج, لا يوجد مشكلة, أما هذا الذي تصنعه لا يستخدم إلا في الطريق, ومن قبل النساء المتقلبات, فأنت أعنتهن على معصية الله, وعلى الانحراف.

فهذا الكلام أقوله أداء لأمانة التبليغ؛ لا تكن سبباً في معصية, لا تكن وسيطاً في منكر, لا تكن سبباً في إشاعة الفاحشة.

أنت -أحياناً- تقول: المجلة لا يوجد فيها شيء, أنت متزوج, فيها صور واضحة, أتيت بها إلى البيت, رآها الأولاد, الابن ليس عنده زوجة, ماذا يفعل في نفسه؟ مشى في طريق منحرف, سببه هذه الصور. فالبيت بحاجة إلى مقص رقابة, يجب أن تُمنع هذه المجالات من الدخول لهذا البيت.

أمثلة كثيرة

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية:85]

أجر بيته لمصرف, أجزت بيتك عيادة أسنان, لا يوجد مشكلة, طب, الطب مسموح, أجزت بيتك لمحل مواد غذائية, لا يوجد مانع, أجزت بيتك لتأجير أفلام فيديو, أو محل لا, أجزت بيتك لمصرف, لا, المصرف يقوم على التعامل الربوي.

فإياك أن تكون وسيطاً, أو سبباً, ولو سألتني على الدليل الكبير.

قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة الآية:2]

أحياناً: تنصح إنساناً، يكون طياراً مدنياً، والله شيء جيد، لكن إذا دينه ضعيف؛ كل يوم في بلد، وكل يوم في محل، وفنادق، ومضيفات، كان بشيء، صار في شيء، إذا مصلحة تعرفها فيها مشكلة.

احذر من هذا الموقع :

شخص سألني عن ألبسة -مثلاً- خاصة للنساء، حميمة يعني، قلت له: والله تحتاج إلى إنسان ورع جداً، وإلا والله مفتنة.

يعني المصالح المتعلقة بالنساء، ولا سيما في هذا الزمان، في تقلت شديد، في وقاحة، غرف قياسات، وتأتي إنسانة لا يوجد فيها جنس الدين، تريد أن تقيس، وتريد تسأل صاحب المحل: لبق لها، أو لم يلبق لها مثلاً، أنت لا تتحمل هذه المناظر، وهذا التقلت.

فإياك أن تكون سبباً في معصية، سبباً في منكر، سبباً في فحشاء، سبباً في بلاء، سبباً في شبهة، سبباً في زيغان عقيدة.

أنت كتاب قرأته واستمتعت فيه، لكن أنت محصن بشكل أو بآخر، لو دلت إنساناً به لم يكن محصناً، لعل تتحرف عقيدته، أنت متمكن من عقيدتك، فقرأته، استبعدت الأشياء المنحرفة، وقبلت الأشياء المقبولة، غيرك لم يتمكن، قنع بالشيء السلبي.

الآن، ومن هذا القبيل: لما نعمل ندوة في الفضائية، تأتي بإنسان ملحد وشيخ، نمكن الملحد يتكلم بكل الأدلة غير الصحيحة على الإلحاد، والأدلة على التقلت، والأدلة على الإباحية، إذا كان في نخبة قليلة جداً في المجتمع، عندها إمكان أن تكشف الخطأ والصواب، أما المئتا مليون الذين رأوا هذه الندوة؛ تعلقوا بالسلبيات، تعلقوا بأدلة

الإباحية، تعلقوا بأدلة الإلحاد.

فهذا الذي يقول: نحن ندير ندوة للتوعية

خطأ حصل في ندوة :

مرة عرضوا ندوة -هكذا سمعت-، العلاقات الزوجية الحميمة جداً، جداً، بكل تفاصيلها، بكل جزئياتها، كلها بمحطة فضائية تصدر بالخليج، شيء لا يحتمل؛ يعني نصف الشعب غير متزوج، نصف الشعب شباب، هذا كله خطأ كبير.

نحن نعيش في مجتمع، العصر الحالي كله في فساد كبير.

قصة امرأة ساقطة :

يعني الجنازة التي مشى بها ستة ملايين إنسان في بريطانيا لامرأة ساقطة، في مؤتمر صحفي بُث على عشر محطات فضائية، شاهد المؤتمر سبعمئة مليون.

قالت -هذه التي كانت ملكة، فيما أذكر-: أنا زنييت مع فلان، مع سايس الخيل بالإسطنبول، زنييت مع فلان، مع فلان، مع فلان، مع فلان، عدت سبع حالات زنا اقترفتها؛ بكل راحة، بكل وقاحة، بكل جرأة، ولما ماتت مشى في جنازتها ستة ملايين، ما هذا المجتمع البشري هذا؟ ما هذا المجتمع؟ وفي رؤساء دول كبرى بكوا لما ماتت، لما قتل خمسون ألف مسلم في البوسنة ما أحد بكى، أبدأ، لما اغتصبت خمسة وثلاثون ألف فتاة في البوسنة ما أحد بكى، أما لما ماتت هذه العاهرة بكى، بكى هؤلاء.

دقق :

فأنا أقول بكلام دقيق:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية:85]

لا تدل إنساناً على شيء يوجد معه معصية، لا تدله على عمل يوجد معه منكر، لا تدله على محل يمكن إذا أخذه يخسر دينه.

حدثني شاب :

مرة شاب قال لي: عملت في محل ببعض الأسواق المتقلبة، قال لي: والله لم أتحمل، سأخسر ديني كله، لم أعد أصل، لأن الشيء غير معقول؛ لأن الثقلت، والتبرج، والكلام المنحرف، و.....

فأنت حاول أن تدل الناس على الخير؛ تدلهم على الطاعة، تدلهم على العفة، تدلهم على الإحسان، لا تكن وسيطاً، هو إذا فعل هذا شأنه مع الله، أما أنت تكون سبباً، هذا شيء يتنافى مع أخلاق المؤمن.

كن دالاً على الخير، والدال على الخير كفاعله:

لذلك ورد في الحديث: يقول عليه الصلاة والسلام، كان النبي ﷺ: إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه، فقال:

((اشفعوا تؤجروا.))

-إنسان يريد أن يتعين، أنت توسطت له ممتاز؛ تعين، وتزوج، أحرصن، تزوج امرأة، أحرصن، أنجب ولداً صالحاً، أنت السبب، أنت سعيت له بالوظيفة.

إنسان يحتاج إلى زوجة، دلته على امرأة سالحة فأعجبته، وسعدت بها، أنت السبب، ولك الأجر نفسه، كن دالاً على الخير، والدال على الخير كفاعله-

وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبُّ))

من علامة المؤمن :

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قصة جريرة وزوجها, قال لها النبي -ﷺ-:

((لو راجعته, قالت: يا رسول الله! تأمرني؟ قال: لا, إنما أنا شفيع, فقالت: لا حاجة لي فيه))

المؤمن يتوسط للخير, لا تكن سبب الطلاق.

معقول!!! :

قال لي شخص: شكوت زوجتي إلى أخيها, فتأمني ملياً, ثم قال: طلقها, شكوتها إلى أخيها, بدلاً من أن يكون سبباً في الوفاق, وفي تقريب ذات النظر, وفي يعني دفع إلى أن أعطف عليها, قال لي: لا, طلقها أفضل لك. في شخص كتلة شر, كلامه شر, كلامه في

قال عليه الصلاة والسلام:

((لو راجعته, قالت: يا رسول الله! أتأمرني؟ قال: لا, إنما أنا شفيع))

ما هي المخالعة؟ :

وبالمناسبة, في معنى دقيق جداً: المؤمن لا يضع وزنه كله, الأمر شخصي, قضية الزواج قضية شخصية, فلو أجبرها النبي على أن تبقى معه, لكان قد وضع مكانته الدينية الكبيرة في أمر شخصي.

قالت له:

((أتأمرني؟ قال: لا, إنما أنا شفيع, قالت: لا حاجة لي فيه))

يروى أنه: طلقها تطليقاً, وردى له الحديقة.

هذه المخالعة؛ إذا المرأة رفضت الزوج بسبب غير مقبول لا تحبه, فعليها أن تعطيه كل شيء دفعه إليها, هذه المخالعة.

ما الغاية من طرح هذه الأمثلة التي سبق ذكرها؟ :

يعني أنا لعلّي أكثر الأمثلة، وما قصدت أخرج أحد؛ لكن قصدت أن أبين الحقيقة، القصد: أن الإنسان لا يتكلم كلمة إلا وهو يعلم علم اليقين: أنه محاسب عليها، ولا يكون سبباً في معصية، لا يكون سبباً في منكر، لا يكون سبباً في إشاعة الفحشاء، لا يكون سبباً في ارتكاب ما لا يرضي الله، ولا يكون سبباً في تعليم الناس الانحراف، والناس يتكلمون براحة؛ افعل كذا، افعل كذا، ادفع، اعمل، اذهب، سافر، قد يكون أشياء كثيرة جداً سبب هلاك الإنسان، قد تكون أنت محصن بهذا الشيء، أما غيرك غير محصن، أنت محصن، الذي دللته على هذا ليس محصناً، أنت قد تكون هذا القضية لا تعنيك، غيرك تعنيه.

والإنسان لما يقيم الإسلام في بيته، وفي عمله، يعني عليه أن يكون أول مملكة: بيته بيت إسلامي، وثاني مملكة: عمله عمل إسلامي، هذا الذي عليه، ولا ينصح أحد إلا بالطاعة، لا ينصح أحد بالمعصية، يكون شفيع للناس شفاعاً حسنة، إذاً: له نصيب منها.

أنت إذا دللت إنساناً على طاعة الله، أو على مسجد تثق بخطيبه، والإنسان التزم، كل الخير الذي ينتج عنه في صحيفتك، دللت إنساناً على زوجة، كل الخير الذي ينتج عنه عن هذا الزواج في صحيفتك، دللت إنساناً على عمل طيب، دللت إنساناً على علاقة طيبة، دللت إنساناً على عادة إسلامية.

يعني لو قلت له -مثلاً-: لماذا لم تصورها في العرس؟ هذه ذكرى، هذه لا تنتسى، معقول! تصور النساء الكاسيات، العاريات بفيلم! والفيلم ممكن يطبع عنه نسخ كثيرة جداً، الآن في

((طوبى لمن وسعته السنة، ولم تستهوه البدعة))

قصة حصلت في مصر :

يعني فتاة خطبت، وعند زوجها آلة فيديو، وصورها بأوضاع يعني سيئة جداً، بعد ما تمت الخطوبة، هات الفيلم، لا، انتحرت، يعني فضيحة كبيرة، الخطوبة فسخت، والفيلم عنده.

يعني كنت في العمرة، دخلت إلى فندق جانب الحرم النبوي، يوجد شيء جديد، الفندق عبارة عن ستانس في كتيبات، يعني استعر، اقرأ وأعد، إنسان قادم على الفندق، يريد أن ينام، أحب أن يقرأ شيئاً، يوجد أمام المصعد

مجموعة كتيبات, يعني اقرأ ونم, والله أخذت قصة صغيرة, قرأتها, -أنا ذكرتها في دروس كثيرة, ذكرتها-.

إنسانة شابة, طالبة جامعية, يعني منضبطة جداً, إلى درجة مذهلة, تتلقى اتصالاً هاتفياً, إنسان يعني قال لها: أنا معجب فيك, ترتجف بشكل غير طبيعي, فخيرها مرة ثانية, مرة ثالثة, أنا قصدي الزواج, لانت في المرة الثالثة, خرجت من البيت, سمعت كلمة من وراء ظهرها: أنا صاحب المكالمة, أنا كذا بأسلوب ماكر خبيث, القصة تطورت من اتصال هاتفي, إلى مشي في الطريق, إلى, إلى, إلى إلى أن استدرجها إلى شقة, يعني يبدو أنه حذر بها استيقظت, وجدت نفسها كل شيء منته, زمجرت, قال لها: أنا سأتزوجك, طمأنها, ثم بدأ يتصل بها اتصالات متكررة, ثم أبرز لها الفيلم, وصار يؤجرها برقم فلكي, شابة جامعية, وجميلة, برقم فلكي, إلى أن وصل هذا الفيلم, -كان يؤجر الفيلم, أيضاً يؤجرها, ويؤجر الفيلم-, إلى أن وصل هذا الفيلم إلى أحد أقربائها, فبإساعة من ساعات الحقد: طعنته, وقتلته, وحكم عليها بثلاثين سنة سجن, -هذه القصة في مصر-, وكتبت قصتها للصحف: اقرؤوا هذه القصة؛ قضية فيلم فيديو, قضية كاميرا, قضية كبيرة جداً, لأنه صورها, وبالصورة هددها, وبالصورة أنشرها, بعد ذلك باع الصورة, باع الفيلم, هذا الشيء يحدث كثيراً

((طوبى لمن وسعته السنة, ولم تستهوه البدعة))

على كلِّ؛ كل شيء ممكن يسبب فضائح, ممكن يسبب مشكلات, ممكن يسبب معاصي, منكرات, يجب أن نبتعد عنه, وأن ننهي عنه, وألا نسمح أن يكون بعلمنا, ولا اختيارنا.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {112-119} : الإصلاح بين الناس

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-03-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء الاستفتاح :

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من الأعمال الصالحة :

أيها الأخوة الكرام:

كما هي العادة, الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عقد في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم - باباً, سماه باب الإصلاح بين الناس.

والحقيقة التي يدمى بها القلب: أن المسلمين في أكثر بقاع الأرض؛ متخاصمون, متنازعون, متحاسدون, وهذا سبب ضعفهم. قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:46]

تضعفوا, وهذه السمعة الطيبة التي كانت لكم في الماضي تتلاشى.

فأحد أكبر الأعمال الصالحة: الإصلاح بين الناس.

والآية الكريمة:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

ما سوى ذلك لغو بلغو. و:

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:3]

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

انظر إلى مصير الكلمة إن لم تكن في مسارها الصحيح :

أيها الأخوة، حينما نعتقد -جميعاً-: أن كلامك جزء من عمالك تتجو، أما حينما تتوهم -مخطئاً-: أنه كلام -يا أخي- بكلام

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً -من سخط الله تعالى- يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة -من رضوان الله تعالى- لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها إلى أعلى عليين))

كلمة تطيب القلب، كلمة تكسر القلب، كلمة تجمع، كلمة تفرق، كلمة تشتت أسرة، كلمة تلتئم بها الأسرة، كلمة

تلتئم بها الشركة, كلمة تنفصل بها الشركة, كلمة تطلق بها المرأة, كلمة يؤويها زوجها, بكلمة طيبة.
فلذلك:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة -من سخط الله تعالى- لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

اعلم علم اليقين :

يجب أن تعلم علم اليقين, يقيناً, جازماً: أن كلامك جزء من عملك:

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

كلامك جزء من عملك, فإن لم يهلك الإنسان في الدنيا بكلامه, يهلك في الآخرة, لأن النمام لا يدخل الجنة, كلام
النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:4]

النمام لا يدخل الجنة قطعاً.

النبي لا ينطق عن الهوى لكن معظم الناس ينطقون عن الهوى :

فالآية الأولى في هذا الباب:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:114]

كلام فارغ، الله عز وجل: وصف كلام نبيه -ﷺ- بأنه:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:3]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم الآية:4]

وحي، أما الناس في معظم كلامهم ينطقون عن الهوى؛ إذا شيء اشتراه يمدحه، إذا ما اشتراه يذمه، إذا كان وكيلاً لمادة، يجعلها أحسن مادة في العالم، فإذا سحبت منه الوكالة، يذمها رأساً؛ يمدح ويذم، ويُعلي ويخفض، بحسب هواه.

يعني: حُطبت ابنته، يجعل الصهر من أعظم الناس، ومن أقوى الناس، ومن أكمل الناس، فإذا فسخت هذه الخطبة، يجعله في الحضيض، هذا نطق عن الهوى، النبي -عليه الصلاة والسلام-: لا ينطق عن الهوى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

كن همزة وصل، ولا تكن همزة فصل :

والله عز وجل قال:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

[سورة النساء الآية:128]

عود نفسك: ألا تدخل في قضية إلا للصلح، إياك أن تدخل في قضية للفراق، للطلاق، لفصل الشركة، كن همزة وصل، ولا تكن همزة فصل.

((ليس منا من فرق، ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية))

ولو أنك كذبت, هذا الكذب المباح في الإسلام, أن تكذب كي تصلح بين اثنين. والله عز وجل يقول:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

[سورة النساء الآية:128]

ماذا نستنبط من هذه الآية؟ :

وفي استنباط رائع جداً:

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾

[سورة النساء الآية:35]

التوفيق اقترن بالإصلاح, جعل الله شرط التوفيق فيه الإصلاح, ما دامت النية الإصلاح, فالله عز وجل يوفق بينهما:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

[سورة النساء الآية:128]

ما معنى هذه الآية؟ :

أيها الأخوة, أما الآية الأساسية في هذا الباب:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

يعني اتق الله, والمعنى دقيق جداً: من أجل أن تتقي الله, أصلح ذات بينك؛ لو في خصومات, في عداوات, في مشكلات, هذه تعيق طريقك إلى الله, هذه تشوش عليك دينك, هذه تجعلك في دوامة؛ فمن أجل أن تتفرغ للعبادة, من أجل أن ترتاح, من أجل أن تنام قرير العين.

شكاوى :

الآن: ادخل بمحكمة ثمانى سنوات, كل أسبوعين تسأل محامياً, رفعنا مذكرة القاضي, إن شاء الله تقبل, تبقى ثمانى سنوات في أعصاب مشدودة, تتفاجأ في النهاية: أن القاضي حكم لخصمك, والحق معك, تراجع المحامي, قد أعطيته مئتي ألف, يقول لك: والله -يا أخي- أنت لم تدفع, الطرف الثاني دفع, ماذا نفعل؟ هذا بلدنا, يكون مقصراً, يعزوها إلى غيره, و

فإذا الإنسان, إذا يريد أن يدخل في المحاكم, والخصومات, طريق شائك, وملتو, وقد

أنا سألت أماً كريماً يعمل في المحاماة, قال لي: آلاف الدعاوى تشطب لموت أحد المتداعيين, كم من دعوى تمتد إلى كل العمر؟.

قال لي أخ: يوجد دعوى من ثلاث وثلاثين سنة؛ دعوى ميراث, إلى الآن لم تنته.

الصلح سيد الأحكام :

الله عز وجل قال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

من أجل أن تتقوا الله, من أجل أن تتفرغوا للعبادة, من أجل أن تنام قرير العين, من أجل أن تكون مرتاحاً صافياً:

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

اعتمد الصلح, الصلح سيد الأحكام.

الآن: لو لك خصم, أو أخذت نصف حقه صلحاً, أفضل لك, أفضل ألف مرة من أن تأخذ حقه بعد عشر سنوات قضاء, لأنك تحطمت؛ داومة المحامين, والقضاة, والتأجيل, و, و

ماذا فهم العلماء من هذه الآية؟ :

1-أصلح نفسك :

الله عز وجل قال :

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

العلماء فهموا هذه الآية على ثلاثة مستويات؛ على مستوى فيما بينك وبين نفسك: أصلحها؛ في معصية، في خلل، في شرك، في شهوة، في مخالفة في البيت، في خطأ في كسب المال، في خطأ بإنفاق المال، في خطأ بالعلاقات الاجتماعية، في سهرات مختلطة، أصلح نفسك :

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

أصلح قلبك.

تعاهد قلبك :

يقول سيدنا عمر -رحمه الله تعالى-: تعاهد قلبك:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

كن صالحاً، كن عبداً صالحاً:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

[سورة الكهف الآية:65]

فكن عبداً صالحاً، هذا أول معنى.

2- أصلح العلاقة بينك وبين الناس :

المعنى الثاني:

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

أصلح العلاقة بينك وبين الناس، أنت وزوجتك؛ كلمة طيبة، هدية، ابتسامة، ثناء، اعتذار، لا يوجد مانع؛ أنت وبناتك، أنت وأولادك، أنت وأصهارك، أنت وجيرانك، أنت وزملائك، أنت وأخوانك، أنت وأقربائك، أنت وأخواتك، أنت وأخواتك، أنت وأولاد أصلح، هذه شبكة العلاقات أصلحها؛ بالكلمة الطيبة، بالاعتذار، بالهدية، بالمسامحة، بالعفو.

تجد في أشخاص، الله عز وجل آتاهم يعني حكمة بالغة، فكل علاقاتهم إيجابية مع الناس، قلما تجد لهم عدواً، من حكمة أودعها الله فيهم.

المعنى الثاني: أنت مهمتك أن تصلح بين كل اثنين.

الآن أول معنى: أصلح نفسك، أو أصلح ما بينك وبين الله، المعنى الثاني: أصلح ما بينك وبين الناس.

3- أصلح بين اثنين :

المعنى الثالث: أنت لا علاقة لك بهذه المشكلة؛ أصلح بين اثنين، أصلح بين زوجين، بين متخاصمين، بين جارين، بين شريكين.

هذه رائعة جداً:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

يعني حينما تصلح ذات بينك, حينما تصلح العلاقة بينك وبين الله, تتقي الله, صار الطريق سالكاً, ممهداً, حينما تصلح العلاقة بينك وبين الآخرين, تتقي الله, حينما تسهم بالإصلاح بين الناس, تشعر أن لك عملاً طيباً, تتقي الله عندئذ:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

والآية الرابعة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

يعني الأصل العلاقة بين المؤمنين, علاقة من أمتن العلاقات, أخوة النسب, يجب أن تكون علاقتك بأخيك المؤمن, كأمتن علاقة على وجه الأرض, إنها علاقة الأخوة النسبية:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

هذا هو الأصل, هذا هو المبدأ, فإذا أصاب هذه العلاقة خلل أو ضعف. قال:

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

أخ أحق :

قال له: أختك تعذبني جداً, -إنسان اشتكى لأخ زوجته-, قال له: طلقها, أحسن لك, هكذا, مباشرة, هذا أحق. كم من كلمة طيبة -من أخ إلى الصهر- عطفت قلب الزوج على زوجته, وكم من كلمة طيبة عطفت قلب الزوجة على زوجها, وكم من كلمة طيبة عطفت قلب الشريك على شريكه؛ أما القسوة, والفظاظة, والانتقاد, والغيبة, والنميمة, هذه تفتت المجتمع.

هكذا وصف الله الشاردين عن دينه :

الله عز وجل وصف الطرف الآخر, أهل الدنيا, وصف الشاردين عن الله. قال:

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾

[سورة الحشر الآية:14]

فكيف إذا كان المسلمون على هذه الحال؛ خصومات, وحسد, وبغي, وعدوان, نحن

أنواع الاختلاف :

1-اختلاف طبيعي :

هناك اختلاف, هناك اختلاف طبيعي؛ لا يمدح, ولا يذم, طبيعي, سببه نقص المعلومات:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

هذا خلاف طبيعي, طبيعي جداً؛ لا يمدح, ولا يذم, فرضته الظروف, معلومات قليلة, صار في اختلاف, أما بعد أن يأتي الوحي من السماء, بعد أن ينتزل القرآن, بعد أن توضح الأمور تماماً.

2-اختلاف قدر :

ويوجد خلاف. قال:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:19]

هذا الاختلاف القدر؛ اختلاف البغي, والحسد, والهوى, والمصالح, والعدوان:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:19]

الخلاف الثاني قدر, الأول طبيعي, الثاني قدر.

3- اختلاف محمود :

والثالث -قال-: خلاف محمود:

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

[سورة البقرة الآية:213]

رأي شخصي :

أنا أرى أن أعظم عمل: الدعوة إلى الله, إنسان يرى أعظم عمل: تأليف كتب إسلامية, إنسان ثالث يرى أعظم عمل: إنشاء المساجد, إنسان رابع أعظم عمل: تأسيس جمعية خيرية, إنسان خامس أعظم عمل: تدريس التفسير, إنسان سادس: تدريس السنة, إنسان سابع: تدريس السيرة, إنسان ثامن: تدريس الفقه مثلاً.

فحينما نختلف اختلاف تنافس, هذا خلاف محمود, فنحن بين خلاف طبيعي سببه: نقص المعلومات, علاجه الوحي, وبين اختلاف قدر سببه: الحسد, والهوى, والبغضاء, وبين اختلاف محمود: هو التنافس. قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:26]

﴿لِيَمِثِلَ هَذَا فَلَْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:61]

آيات الدرس اليوم :

أيها الأخوة, يقول الله عز وجل:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء الآية:114]

وقال تعالى:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

[سورة النساء الآية:128]

وقال تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:1]

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الحجرات الآية: 10]

هذه الآيات.

ما الذي يعيننا من هذا الحديث؟ :

في الحديث الصحيح، المتفق عليه -وهو أعلى حديث في العالم الإسلامي، ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال:

((كلُّ سلامي من الناس عليه صدقةٌ، كلَّ يومٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمْيِطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

الحديث طويل، يهمننا فيه الفقرة التي تقول:

((تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَثُمَّيْطُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))

من أسماء الله العدل :

يعني: إذا عدلت بين اثنين:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

[سورة النساء الآية: 58]

يعني العدل هو الله، الله من أسمائه العدل، وحينما يظلم الإنسان، يهتز عرش الرحمن؛ لذلك دعوة المظلوم، ليس بينها وبين الله حجاب ولو كان كافراً، فالإصلاح بين الناس بالعدل لا بالظلم.

أزل عنك هذا الوهم :

يعني أحياناً: تحكم بين اثنين، يوجد عندنا وهم غير صحيح: أن القاضي هو الذي يجلس على قوس المحكمة، لا؛ أنت قاض بين أولادك، قاض بين ابنتك وزوجها، قاض بين كل اثنين ممن يلوذ بك، أنت قاض:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾

[سورة النساء الآية: 58]

اعدل فيما لو رفعت إليك قضية:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة المائدة الآية: 8]

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة المائدة الآية: 8]

من الكذب المسموح به :

والحديث الصحيح -أيضاً- المتفق عليه, يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس الكذآب الذي يصلح بين اثنين -أو قال: بين الناس- فيقول خيراً، أو ينمي خيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

يعني ممكن أن تقولوا: والله إن ذكرت أثنى عليك, إن ذكرت قال لك: فضل عليك, إن ذكرت أمامه قال: أنا لك فضل لا ينسأه لك حتى الموت, إن ذكرت أمامه قال: والله أثنى على أخلاقك, وأنت لم تتكلم بشيء, هذا كذب؛ ولكن هذا الكذب الذي سمح لنا النبي به.

هذا ما فعله الشيخ علي الطنطاوي :

الشيخ علي الطنطاوي في بعض الأحاديث, -هكذا بلغني-, نشب خلاف بين عالمين من أعلام الأمة, والخلاف تقام, فذهب إلى الأول وحدثه بكلام طيب على لسان الطرف الثاني, وذهب إلى الثاني فحدثه بكلام طيب على لسان الطرف الأول, فإذا بهما يجتمعان, ويتعانقان, ويذوب الجليد بينهما.

هذا ما يحصل في أسر كثيرة :

يعني ممكن في أسر كثيرة, يعني أب في ساعة غضب, تحدث على زوجته كلمة قاسية, يأتي الابن الأحمق ينقلها لها: هكذا قال عنك أبي, البنت الحمقاء تنقلها لها. النمام لا يدخل الجنة أبداً.

من أكبر الكبائر: أن يكون الإنسان نماماً, ينقل كلاماً.

يعني أحياناً: تجد ينهدم جسر بين شخصين, ينهدم, تمتلىء القلوب بالأحقاد, فأنت حاول ألا تنقل كلاماً سيئاً, أو لو أنك لم تنقل الكلمة السيئة, ما حدث شيء, بالعكس: أخي قالها, قالها, قالها وندم عليها, قالها ولم يندم, لما

أنت نقلتها, فجرت قنبلة بينهما, لو لم تنقلها

لذلك المغتاب, -الذي يغتاب الناس-, يأكل الذين اغتابهم حسناته يوم القيامة.

قال لك إنسان

قال: إنني اغتبتك, قال له: ومن أنت حتى أغتابك أو اغتابك؟ قال له: فلان تكلم فيك كلاماً بسوء, فاذكره بسوء,

قال: ومن هو حتى اغتابه؟ لو كنت مغتاباً أحد, لا اغتبت أبي وأمي -لماذا؟ قال:- لأنهما أولى بحسناتي منه.

لو كنت مغتاباً أحد, لا اغتبت أبي وأمي, لأنهما أولى بحسناتي منه.

فلذلك الحديث:

((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

صح هذا الخطأ :

والنبي -عليه الصلاة والسلام, لهذا الحديث زيادة- قال مسلم في صحيحه:

((ولم أسمع يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث -يعني لم يرخص النبي الكذب إلا في ثلاث-:

الحرب, والإصلاح بين الناس -الحرب خدعة, فلك أن تذب في الحرب- وحديث الرجل زوجته, وحديث المرأة

زوجها))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

يعني بعض الأخوة الكرام -سامحهم الله- فهموا هذا الحديث: على أن الكذب على الزوجة مباح, لا, الكذب على

الزوجة مباح في حالة واحدة ضيقة جداً, أما كلما سألته على السعر, يقول لها: أربعة أضعاف, تذهب إلى عند

أختها, والله زوجي أخذه بثلاثة آلاف, تقول لها: ماذا؟ مجنونة أنت!! هذا ثمنه خمسمئة, تفضلي لكي أريك

مكانه, يصبح الزوج كذاباً, يسقط من نظر زوجته, من نظر أولاده

هذا الكذب ليس مرخصاً, الكذب المرخص, لو سألتك: أتحنني؟ وأنت لا تحبها, ما كل زواج يبني على الحب,

في زواج بيني على المصلحة.

إنسان توفيت زوجته, أخذ امرأة أخيه, يجوز, يعني مضطر, أولاده حتى تربيهم خالتهم, لو قالت: أتحبني؟ ينبغي أن يكذب, لأن المرأة رأس مالها جمالها, يعني رأس مالها زوجها, هو عالمها كله, فإذا قال لها: لا أحبك؛ حطمها, سحقها, دمرها, فإذا سألته, قال: أحبك, هو قالها كاذباً, هذا الكذب المسموح به؛ هذا كذب فيه جبر خاطر, كذب فيه تطمين, تطمين قلب, هذا الكذب مباح.

النبي لم يكذب في حبه لعائشة :

طبعاً: لما النبي سألته السيدة عائشة, النبي لم يكذب, قالت له:

((كيف حبك لي؟ قال: كعقدة الحبل فأصبح بينهما شيفرة, تسأله من حين لآخر: كيف العقدة يا رسول الله!؟
يقول: على حالها))

لا تتحل, ثابتة وقاسية.

لم يكذب النبي, كان يحبها.

ظاهرة جديدة :

أنا أقول: لو أنك لا تحب امرأتك, ماذا ينبغي أن تقول لها؟ والله إنني أحبك, أو لو سألتها: أتحبيني؟ -أخذته كبيراً؛ طقم أسنان, ويعني - قالت له: والله ليس لي غيرك أساساً, أطال الله في عمرك, أيضاً طيب, يملأ قلب الزوج رحمة, فهذا الكلام القاسي

تجد الشباب أحياناً, يتزوج فتاة, أكثر حديثه استهزاء على شكلها, يحطمها, هو يمزح؛ هذا مزح محرم, هذا مزح فيه جرح, هذا مزح فيه تحقير, يعني هي خلقت نفسها؟ إذا في كذب, إذا تكذب عليك, عنفها, إذا في أخطاء من كسبها عنفها, أما أنت قبلتها بهذا الشكل.

الآن في ظاهرة جديدة: شاب مندفع للدين, يقول لك: لا يهمني الشكل, فقط الدين, نعم, يختار زوجة صالحة, دينة جداً, جمالها درجة خامسة, بعد أن تزوجها, لماذا أنت هكذا؟ أنت لماذا قبلتها؟ أبقتها في بيت أهلها معززة,

مكرمة, محترمة جداً, غالية على أبيها جداً, أنت بعد أن نقلتها لك, وقبلتها بهذا الشكل, تريد أن تحطمها؟.

والله في كل كلمة يقولها الزوج, والله لو أن الله يحاسبه عليها لدمره, هذه هدية من الله.

الآن: أي إنسان منا له رأي بشكله, أي إنسان منا له رأي بكونه أبيض أو أسمر, طويل أو قصير, لا, هذا الخلق من الله عز وجل؛ فلما الإنسان يقرع زوجته على عيب في شكلها, هذا إنسان كأنه يتحدى الله عز وجل, هي ليس لها علاقة, علاقتك بأخلاقها, بطاعتها لك, فقط.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {113-119} : باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-03-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

دعاء الاستفتاح :

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه, وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

هذه مراتب الدنيا :

عقد الإمام النووي -رحمه الله تعالى- باباً في كتابه رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم, عقد باباً سماه: باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين.

يعني: هذه الدنيا فيها مراتب. قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:21]

في معلم بقرية, في أستاذ بالجامعة, في مجند وفي رئيس أركان, في ممرض وفي جراح قلب, في بائع متجول في رئيس غرفة تجارة:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:21]

الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء :

الحظوظ -أيها الأخوة- موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء .

يعني: الله عز وجل امتحنك في شيئين؛ امتحنك فيما أعطاك, وامتحنك فيما حرملك, ولك عند الله مادتا امتحان؛ الذي حرملك منه مادة امتحانك مع الله, لأن جوهر الحياة الدنيا هي دار ابتلاء, دار امتحان, فأحد مواد الامتحان: الشيء الذي حرملك إياه, وأحد مواد الامتحان: الشيء الذي أعطاك إياه, فأنت ممتحن فيما أعطاك, ممتحن فيما زوي عنك, من هنا: كان أروع دعاء للنبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اللهم ما رزقتني مما أحب , فاجعله قوة لي فيما تحب , وما زويت عني مما أحب , فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني: مثل المنشار تماماً, الذي نلته من الله, وظفته في الحق فارتقيت به, والذي حرملك إياه, وظفت وقته الفراغ في الحق فارتقيت به.

إنسان حُرِم الزوجة التي تروق له هذه مشيئة الله, الفراغ الذي كان سيمضيه, سينفقه وهو إلى جانبها, لعله يمضيه في بيوت الله.

من هو الموفق؟ :

من يومين تقريباً أو أربعة أيام, تكلمت كلمة في جامع الناس, قلت: أن الإنسان الموفق يكتشف النواحي الإيجابية بالسلبيات, قال: كيف؟ قلت لهم: طريق كله خطر, هذا الطريق مزعج لمن يقود السيارة, له ميزة واحدة, لا تنام فيه أبداً, لا تنام فيه, أما الطرقات المستقيمة الثقيلة, حوادثها رهيبية, مع صوت رتيب, تنام, فأنت حينما تكتشف: أن هذا الطريق الذي في حفر, والمتعرج, والضيق, هذا يجعلك يقظاً دائماً.

هذه النقطة, هذا نوع من أنواع التوفيق في الحياة, تكشف النواحي الإيجابية بالسلبيات, ارتفع سعر اللحم, اللحم الإكثار منه يقسي القلب, ويرفع الكوليسترول, ويزيد حمض الأسيل, وهناك ثمانية أمثال أمراض القلب في الدول

الغنية من أكل اللحوم.

دراسة أجريت في أمريكا :

يعني: أنا أجمل شيء قرأته: أنهم أجروا دراسة, دراسة بأمريكا حول غذاء الشعوب في العالم, توصلوا إلى أن أرقى غذاء بالعالم, غذاء شعوب المتوسط, لأنها فقيرة.

نحن ما عندنا إنسان كل عمره عصير شرب, يأكل تفاحة, برتقالة, هذه المادة السيللوزية بالتفاح, بالفواكه والخضروات مهمة جداً, أولاً مادة مألوفة, ثانياً مادة محرصة, ثالثاً مادة تمتص كل الكوليسترول الزائد في الأمعاء, فإذا الإنسان أكل هذه الخضر والفواكه, ما أكلها عصير, أكلها كما خلقها الله عز وجل, هذا أفضل ألف مرة.

فشعوب المتوسط لفقرها, تأكل بكثرة المادة السيللوزية في الخضار والفواكه, هذه واحدة, ولفقرها تستخدم البروتين النباتي الفول والحمص, وتستخدم زيت الزيتون, زيت الزيتون + البروتين النباتي + السيللوز في الخضار والفواكه, هذا أفضل غذاء بالعالم.

هل تعلم؟ :

الدول: أعلى نسبة سرطان مستقيم باليابان؛ أن كل الطعام عصير, هذا العصير هذا نهايته, يعمل كسل في الأمعاء, والكسل إذا استمر يعمل سرطان, أعلى نسبة سرطان في الأمعاء في اليابان موجود, سرطان بالمستقيم بالذات, فإذا الإنسان استطاع, ليس عنده سيارة إنسان, هذا شيء مزعج, فإذا اكتشف أن المشي

قال له: إما أن تمشي, إما أن تمشي, (إما أن تمشي, إما أن تمشي), المشي خير الرياضة, فإذا الإنسان ليس عنده سيارة, فاكشف: أن المشي مفيد جداً, دخله قليل, اكتشف أن الغذاء البروتيني النباتي أفضل من الحيواني, إذا وجد الطريق كله حفر, قال: الطريق المتوج الذي في حفر لا ينام فيه.

من علامة سعادة الإنسان :

أنا أضرب أمثلة: المؤمن يكتشف النواحي الإيجابية بالسلبيات, فقال لي شخص: كله واضح, لكن هذه الزوجة السيئة ما ميزتها؟ ما نواحيها الإيجابية؟ قلت له: هذه ميزتها, تأتي إلى عندنا على الجامع, يطفش من البيت,

يأتي على الجامع, لو كان كما يتمنى, وضعها واجلس, جاء يوم القيامة مفلس مثلاً.

فالإنسان إذا كان الله عز وجل قسم له شيء في الدنيا, من علامة سعادته: أن يرضى بها, من علامات سعادته: أن يكتشف النواحي الإيجابية, يقول لك: دخلي لا يكفيني.

وقفة متأنية :

وقت قانون تحويل العملة, في تجار لم يناموا الليل, في سبعين ألف تاجر, انسحب من الاستيراد, عشرون سنة سجن, إذا كان حول عملة للخارج, فالذي أخذ له دخل محدود, يعيش ملك, يقول لك: ليس لي علاقة أنا بالموضوع.

أحياناً: تظهر قوانين, يهتم لها أصحاب الأموال الكبيرة, أما الفقراء في أمان الله:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

فيجب تكشف دائماً النواحي الإيجابية بالسلبيات, فالله عز وجل الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء, وسوف يوزع هذه الحظوظ توزيع جزاء في الآخرة, لذلك: مراتب الدنيا لا تعني شيئاً.

((رَبِّ أَشْعَثَ -أعبر ذي طمرين - مدفوع بالأبواب لو أفسم على الله لأبره))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

من هم أغنى الناس؟ :

في بناية فخمة جداً في أحد أحياء دمشق الراقية, يعني سكان هذه البناية والله لا أبالغ, لو أجريت لهم فحوص صحية, ما في شخص إلا معطوب, إلا هذا الناطور الذي يغسل السيارات, مثل الحصان الله عز وجل المجموع ثابت, يعني أفقر واحد في هذه البناية, عنده أطيب صحة, عمله لأنه متعب, أما الطبقة الغنية كلهم مرتاحون؛ أسنصيرات, وسيارات, وكله أوتوماتيك, كله فل أويشن, عملت له ترهل, عملت له أمراض بالقلب, عملت له

فالإنسان يرضى بما قسم الله له, تكن أغنى الناس, وارض بما قسمه الله لك, تكن أغنى الناس.

هذا الفرق بين مقاييس أهل الدنيا وبين المقاييس عند الله :

الآن النبي قال-اللهم صل عليه-:

((رَبِّ أَشْعَثَ -أَغْبَرِ ذِي طَمْرِينٍ - مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لذلك: الله عز وجل في عنده مقاييس, وعند الناس في مقاييس, عند الناس: الغني محترم, القوي محترم, أما عند الله عز وجل: المستقيم محترم, الذي يخافه محترم:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾

[سورة القمر الآية:54]

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر الآية:55]

دخل على النبي رجل, رجل يعني من عامة أصحابه, فوقف لهم, واستقبلهم استقبالا حاراً, تعجب هذا الصحابي, قال له:

((هلا بمن خبرني جبريل بقدمه, قال: أو مثلي؟ قال: نعم يا أخي, خامل في الأرض, علم في السماء))

استسلم لقضاء الله وقدره :

((هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء, ومنزل ترح لا منزل فرح, فمن عرفها لم يفرح لرخاء, ولم يحزن لشقاء, قد جعلها الله دار بلوى, وجعل الآخرة دار عقبى, فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً, وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً, فيأخذ ليعطي, ويبتلي ليجزي))

نعم.

والإنسان يجتهد ليرفع مستوى معيشته، لكن أين وصل به السعي، وانقطع به الأسباب؟ فهذا قضاء الله وقدره، الإنسان الراضي مرتاح.

يعني: الله عز وجل لحكمة يريد بها: جعلني من أصحاب الدخل المحدود، ولعل الخير كله في الدخل المحدود، ولحكمة يريد بها: جعلني من أصحاب الدخل غير المحدود، ولحكمة أرادها: جعلني كذلك، فأنت استسلم.

أعلى درجة بالإيمان هي :

يعني هو عظمة الإيمان: أن المؤمن راض عن الله عز وجل.

قال له: يا ربي، هل أنت راض عني، يطوف حول البيت، وراءه الإمام الشافعي، قال له: هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك؟ قال: يا سبحان الله! ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا محمد بن إدريس، قال: كيف أَرْضَى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ فقال الشافعي: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله.

يعني: أعلى درجة بالإيمان -لا سمح الله ولا قدر-: أن تأتي مصيبة، وأن ترضى عن الله بها.

((إن لم يك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي))

فهذه الدنيا تفر وتضمر وتمر.

((إن أسعد الناس فيها -دققوا- أرغبهم عنها، وأشقاهم فيها أرغبهم فيها))

الحياة فيها سر :

في بحالية قصر لأحد أمراء الخليج الكبار، ذكر لي واحد، قال لي: ولا أتى إلى هذا القصر ولا مرة في كل تاريخ بنائه، صار له عشرون سنة، قال لي: مرة جاء، وقف أمامه خمس دقائق ومشى، يأتي إنسان فقير، يأخذ أهله يجلسون، يضعون مدة، يأكلون لحمة، يسعدون، الأرض ملك الناس كلها، منظر جميل، ملك، الفقير والغني، الهواء العليل، ملك، الفقير والغني، الحياة فيها سر.

إذا كان الله عنك راضياً، لو أكلت أخشن الطعام فأنت أسعد الناس، لو لبست أخشن الثياب فأنت أسعد الناس، الله عز وجل قادر يتجلى عليك، ويلقي بقلبك السكينة، وأنت في أخشن حياة، وقادر يجعلك -لا سمح الله- أشقى، وأنت في أنعم حياتك، هذه رحمته، إذا حجبها عنك، إذا حجبها عن إنسان فهو أشقى الناس، ولو كان يملك ملايين مملينة.

وقائع :

أنا قال لي أخ هنا في الحريقة، قال لي: والله يعني صدفة، قابلت شخص يعد أحد أربعة خمسة في الحريقة، من كبار أغنياء القطر، قال لي: أربعة خمسة آلاف مليون، قال لي: دخلت عليه من شهرين ثلاثة، قال لي: بقدر ما شكنا لي، لم يعد فيني أوقف؛ لا البلد تعجبه، ولا بيته يعجبه، ولا زوجته تعجبه، أولاده ليسوا يعجبونه، والسوق مسموم، وكساد، ودفع ما في سحب، ولا يعاش في هذه الحياة، أربعة خمسة آلاف مليون والله.

قال لي: دخلت لمحلي التجاري، جاءت امرأة محجبة، قالت له: دلوني عليه، أنا يلزمني ألف ورقة بالشهر، في مجال تساعدونا فيها؟ فهو عضو جمعية خيرية: أين يا أختي ساكنة؟ قالت له: في داريا، قال لها: والله في لجنة هناك، أنا أبلغهم يحققون معك.

قال لي: عندنا اجتماع صدفة بداريا، مساء طلعلنا على داريا، قلنا لهم: في عندنا أخت كريمة، تريد بالشهر ألف مساعدة، فحققوا أنتم، قال: قم معنا نحقق، قال لي: طرقلنا باب، تحت درج، بيتي تحت درج، المطبخ تحت الدرج، وبيت الخلاء بالقسم الأدنى، وغرفة صغيرة فيها تخت، لكن الجماعة بيتهم نظيف، زوجها مريض، وعندها ثلاثة أولاد، ثيابهم نظيفة.

قال لي: بيت لا يسكن، غرفة واحدة، ومطبخ تحت الدرج، وبيت الخلاء تحت الدرج، وممشى، قال لي: شعرت أن هذا البيت جنة، فقال له: أن الأولاد هكذا ثيابهم نظيفة، في ود ميبين بالأسرة، في سرور.

قال لهم: بالله ماشي الحال، أعطوها ألفين بالشهر، قالت لهم: لا، نريد ألف واحد نحن، ألفين لا يلزمننا، نحن دخل زوجي يكفيننا، لكن ينقصنا أجرة هذا البيت ألف.

قال لي: في يوم واحد التقيت مع إنسان، يتكلم بأربعة خمسة آلاف مليون، وفيما بدا من كلامه أنه أشقى الناس،

والتقيت مع أسرة تسكن تحت درج, ودخلها يتيح لها أن تأكل أخشن الطعام, وهي من أسعد الناس.

فربنا عز وجل رحمته, إذا كان منحها لإنسان فهو أسعد الخلق, ولو كان في أخشن حياة, وإذا حجب عنك رحمته, فالإنسان أشقى الخلق, ولو كان معه ملايين مملينة.

مقولة قالها الإنسان :

فإذا قلنا فلان فقير: أن الله عز وجل قال:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾

[سورة الفجر الآية:15]

هذه مقولته هو, هذا كلامه.

يعني: يا عبادي, ليس عطائي إكراماً, ولا منعي حرماناً, عطائي ابتلاء, وحرماني دواء, لا تحس نفسك مهان, إذا الله لم يعطك المال.

ما وراء هذا المثال :

يعني بربكم: إذا إنسان له أب غني غني كبير, ومع غني الأب طيب, وصار مع الابن التهاب أمعاء حاد, والأب الرحيم, الطبيب العالم, منعه من كل الأكلات الطيبة, علمنا كوسا محشي, قال له: لا يوجد لبن, بطاطا ولبن, يعني: أنت تظن هذا الابن مهان عند أبيه إذا أطعمه بطاطا ولبن, وفي أكل فاخر جداً؟ لا.

((إن الله ليحمني صفيه من الدنيا, كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام, إن الله ليحمني عبده المؤمن من الدنيا, كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة))

فمعه الحق الإمام النووي: أن يعقد فصلاً لضعفة المسلمين والفقراء, هؤلاء قد يكونون عند الله ملوكاً, قد يكونون أغنياء عند الله, ألا تقرأ قوله؟:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾

[سورة الواقعة الآية:1]

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كاذِبَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية:2]

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾

[سورة الواقعة الآية:3]

الذي كان في الدنيا أعلى مقام, قد يكون في الحضيض, إنسان مترف غني, غارق في النعيم, قد يكون في الآخرة في أسفل سافلين, وإنسان قد يكون فقير مستقيم, قد يكون في الآخرة في أعلى عليين.

هذه هي البطولة :

فالبطولة: أن تتبغي الرفعة عند الله, عند الناس الرفعة بالمال, وعند الناس الرفعة بالقوة, إذا إنسان قوي, له منصب رفيع, وعند الناس المتعة بالجمال؛ الجمال, والقوة, والمال, هؤلاء رفعوك بين الناس, أما عند الله يرفعك إيمانك, واستقامتك, وعملك الصالح:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة المجادلة الآية:11]

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام الآية:132]

هذا تقديم لموضوع الفصل, فصل في ضعفة المسلمين.

قف هنا :

الله عز وجل يقول:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

يمكن تجلس في المسجد إلى جانب إنسان فقير على الأرض؛ لا يوجد مقعد يتسع لك, ولا يوجد كأس عصير, ولا في طرف هكذا تُلقى, لا يوجد؛ في سجادة, وفي متكلم, وفي كتاب أمامه فقط:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

ما معنى المفردات التالية: العتل, الجواظ؟ :

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف, لو أقسم على الله لأبره, ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتْلٍ جَوَاطٍ
مستكبر))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

العتل الغليظ الجاف, والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو بالطاء: وهو الجموع المنوع, الجواظ الجموع المنوع, شر الناس من يعيش فقيراً ليموت غنياً, بخيل, يترك أموال طائلة, وكان محروم.

هذا الجموع المنوع :

والله أخ من أخواننا، له صديق، قال لي: تجلس معه، يعني: أد ما يشكي لك همه، يعني: تقول: والله لأعطيه حوالي خمسة آلاف، أقسم بالله مات، ترك له حوالي مئتين وخمسين مليون، بيته صغير جداً، أثاث عتيق، كلما جلس معه يشكي لك الهم؛ أنه يا أخي ما في عمل، ما في دخل، مات على مئتين وخمسين مليون، هذا الجموع المنوع.

وسبحان الله! البخيل إذا كان مرض، يصبح عرس في البيت، إذا مرض يأتي الطبيب، يقول لهم: عرضية، ينزعجون انزعاج غير معقول، ماذا يعني عرضية؟ ما في شيء؟ ما في شيء، نحن لا نريد هكذا، نحن فكرنا القاضية كانت، فرق كبير بين الكريم والبخيل.

وفي آباء كثير، أنا أقدرهم تقديراً كبيراً، يعيش لأولاده، أولاده أقرب الناس له بحياته يزوجهم.

صنف من أهل النار :

والله جمعنا ثمن بيت لشخص، والله يا أخوان، أبوه عنده اثنتا عشرة بناية، جمعنا له ثمن بيت، أسكناه فيه، لا يعطيه قرش، هذا البخل مرض، مرض كبير:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة التغابن الآية:16]

إنسان موظف فقير، له عمة معها ملايين مملينة، فتوفيت، هو وريثها، يبدو وريثها، كل الناس يقولون: عظم الله أجركم، إلا شخص فهميم، قال له: تهانينا، أثناء التعزية قال له: تهانينا، مبارك بموتها.

البخيل إذا كان مات، يصير عيد، أما الكريم يتمنى الناس حياته، يتمنى الناس حياته، لذلك أيها الأخوة:

((ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل غليظ، جاف جواظ، جموع منوع))

متفق عليه.

يجمع ويمنع, وقيل: الضخم المختال في مشيته -نعم- مستكبر.

ما محور هذا الحديث؟ :

وقد نقل عن أبي العباس, سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- أنه قال:

((مر رجل على النبي -ﷺ-, فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشرف الناس: هذا والله حري إن خطب أن ينكح, وإن شفع أن لا يشفع, فسكت النبي -عليه الصلاة والسلام-, ثم مر رجل آخر, فقال له رسول الله: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله, هذا رجل من فقراء المسلمين, هذا حري إن خطب ألا ينكح, وإن شفع ألا يشفع, وإن قال ألا يسمع لقوله, فقال عليه الصلاة والسلام: هذا الفقير خير من ملء الأرض مثل هذا))

إذا الأرض بما فيها مجوفة, وفيها من الشخص هذا الأول. الثاني:

((خير من ملء الأرض من مثل هذا))

هكذا قال النبي.

هذا ما قضى الله بين الجنة والنار :

قال عليه الصلاة والسلام: احتجت الجنة والنار, فقالت النار:

((في الجبارون والمتكبرون, وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكنهم, فقضى بينهما: أنك الجنة رحمتي, أرحم بك من أشياء, وأنت النار عذابي, أعذب بك من أشياء, ولكليهما علي ملؤها))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

و:

((إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ))

يعني: أكل جموع ممنوع، أدواقه عالية جداً، بيته فخم، لكن لا يخرج منه خير إطلاقاً، لا خير فيه، وهذا يوم القيامة: لا يزن عند الله جناح بعوضة.

من روائع هذا النبي :

وامرأة سوداء كانت تقم المسجد، أو شاباً، ففقدتها رسول الله -ﷺ-، فسأل عنها أو عنه، فقالوا:

((مات، ماتت -يعني: زبالة، تكنس المسجد- قال النبي: أين هي؟ والله ماتت يا رسول الله، فقال: أفلا كنتم آذنتموني؟

-لماذا لم تقولوا لي؟- فكأنهم صغروا أمرها -من هي لنقول لك عنها: إنها ماتت، الموضوع يعني قليل الأهمية لنبلغك إنها ماتت.

امرأة تكنس المسجد ماتت-

فقال: دلوني على قبرها -اللهم صل عليه- فدلوه، فصلى عليها ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم))

متفق عليه.

و:

((رَبِّ أَشْعَثَ -أَعْبَرِ ذِي طَمْرِينِ - مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

فلا تقل لي: أنا فقير، أنا درويش، أنا من أسرة متواضعة، أنا أسكن في غرفة ومنافعها، أنا عملي ضارب آلة كاتبة لا، أنا حاجب لا، قد تكون عند الله في أعلى مقام، قد تكون عند الله، وإن كان

أنا أقول: المؤمن القوي، المؤمن المستقيم، إذا كان قوي؛ قوي بماله، أو بعلمه، أو بمكانته، أو بمنصبه، نفعه للمسلمين كبير جداً، لكن أهم شيء الإيمان؛ إذا كنت مؤمناً، أنا أفضل تكون مؤمن قوي، أما إذا كان قوي غير مؤمن ظلف.

قلامة ظفر المؤمن الفقير، أفضل عند الله من مليون غني عاص، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {114-119} : علامات حب الله تعالى للعبد وعلامات حب العبد لله تعالى

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-08-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما الدليل من القرآن على صدق الرجل في محبته لله؟ :

أيها الأخوة, لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم, ومنتقل اليوم إلى باب: علامات حب الله تعالى للعبد, وعلامات حب العبد لله تعالى.

والدعوى سهلة, كلٌ يدعي أنه يحب الله, ولو سألت أي مسلم على وجه الأرض, لما تردد ثانية في أن يقول لك: إنني أحب الله:

كل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

العبرة: أن تأتي بالدليل.

لو أن إنساناً قال لك: أنا أحب الله, وأطاع مخلوقاً, وعصى ربه, فهو كاذب قولاً واحداً, لو أحبه لأطاعه:

تعصي الإله وأنت تظهر حب هـ ذاك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فكل أخ كريم, حدثته نفسه أنه يحب الله, فليقل لها: أين الدليل؟ أقوى دليل جاء به القرآن: اتباع سنة النبي. قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية:31]

فعلامة محبة الله ﷺ: اتباع سنة نبيه.

من إشارات القرآن الكريم :

ويوجد في القرآن الكريم إشارات رائعة جداً. فالله عز وجل يقول:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

قال علماء التفسير: استجابة الإنسان لرسول الله، هي عين استجابته لله.

فمن استجاب لسنة النبي، فهو قطعاً استجاب لله عز وجل، والدليل: هذه الآية:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

وفي آية ثانية:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[سورة النساء الآية:80]

وفي آية ثالثة:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾

[سورة التوبة الآية:62]

بضمير المفرد، بحسب اللغة: أحق أن يرضوهما. جاء في الآية:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾

[سورة التوبة الآية:62]

بضمير المفرد. فقال العلماء: إرضاء رسول الله عين إرضاء الله، وإرضاء الله عين إرضاء رسول الله.

قف هنا :

قال بعض الشعراء عن هؤلاء المنافقين. قال:

خاضوا بحار الهوى -دعوى- وما ابتلوا

يعني: خاض ولم يصبه البلل، فهو كاذب، علامة الحب: اتباع النبي.

الآن إنسان قال: الله أكبر، قالها ألف مرة، وعصى خالقه، وأطاع مخلوقاً، الجواب: ما قالها ولا مرة، ولو ردها بلسانه ألف مرة، ماذا رأى؟ رأى طاعة هذا المخلوق، أهم عنده من طاعة الله، فأطاع مخلوقاً، وعصى خالقاً. إنسان غش المسلمين في بيعهم، يعني سلك طريق في غش، وحقق أرباحاً طائلة، هو ماذا رأى؟ رأى هذا المال الذي حصله من غش المسلمين، أعلى عنده من طاعة الله.

فلو قال: الله أكبر في العيد، وبصوت عال، وغفر الله لمن كبر، ورفع صوته، نقول له: ما قلتها ولا مرة، ولا رفعت صوتك بها ألف مرة دجل.

إنسان خضع لرغبة زوجته في شيء محرم، وقال: الله أكبر، نقول له: أنت كاذب، ما قلتها ولا مرة، ولو لفظتها ألف مرة، لأنك رأيت بالواقع: أن إرضاء زوجتك، أعلى عندك من إرضاء الله.

لا تعبأ بأهل الباطل :

فعود نفسك -أيها الأخ-: إذا أنت دعيت دعوى، أن تأتي بالدليل، ما الدليل؟ أنا أحب الله، ما الدليل؟ إذا حظوظي مؤمنة، علاقاتي كلها متينة مع الآخرين، على حساب ديني طبعاً، كل واحد أعطيه جملة، جش نبضه، ما معنى كلامه؟ وأتكلماً كلاماً أرضيه، أرضي الجميع، هذا ليس ذكاء؛ المؤمن له خصوم، المؤمن يقول لا بملء فمه، الأنبياء الذين كمالهم فوق التصور. قال:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾

[سورة الأنعام الآية:112]

قضية العداوة, يعني شيء طبيعي جداً؛ في حق, وفي باطل, ومن قديم الزمان, من آدم إلى يوم القيامة: هناك معركة بين الحق والباطل.

فأنت لا تعبأ بأهل الباطل:

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾

[سورة آل عمران الآية:111]

هل سمعتم بهذا القصر؟ :

الآن: إنسان -بريكم دققوا في هذا المثل ولا تجاملوني- إذا إنسان اتجه نحو الشمس, ونفخ نفخة, يريد أن يطفئها, أين مكانه الصحيح هذا؟ بالقصور, اتجه نحو الشمس, وجمع نفس عميق, ونفخ على الشمس من أجل أن يطفئها, هذا يريد قصر مجنون. الله عز وجل قال:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِمْ﴾

[سورة الصف الآية:8]

ليس ضوء الشمس, نور الله:

﴿وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[سورة الصف الآية:8]

فالإنسان لما يدعي حب الله عز وجل، ولا يطيع الله، فهو يُدَجَّل، ويكذب، ولا يستحي من الله.

((ابن آدم أظع ربك تسمى عاقلاً، ابن آدم عظ نفسك فإن وعظتها، فأعظ غيرك، وإلا فاستحي مني))

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول؟

إلى متى؟!؟

فيا خجلي مني إذا هو قال لي أيا عبدنا ما قرأت كتابنا؟
أما تستحي منا وكيفيك ما جرى؟ أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا؟
أما آن أن تطلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا؟

إلى متى؟!؟

متى تنصاع إلى نداء الرحمن؟!!! :

خوفاً على شبكية العين، انصاع الناس انصياعاً عجيباً، يوم الكسوف منع تجول، ما ترى أحداً في الطريق، هناك آباء ربطوا أبناءهم بالحبال، أغلقوا النوافذ، والله شيء رائع، يعني ظاهرة تلفت النظر، أيضاً: الدولة ساهمت؛ عملت إعلانات بالإذاعة، والتلفزيون، والصحف، والطرق: لا تنظر إلى قرص الشمس، حفاظاً على شبكية عينك، وحفاظاً على شبكية أعين أولادك.

حسناً: وهذا الإله العظيم، الذي يقول لك في قرآنه الكريم:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبُسَارِهِمْ﴾

[سورة النور الآية:30]

حفاظاً على آخرتك، وعلى سعادتك، لم ينصاع الناس إلى إنسان، ولا ينصاعون إلى الواحد الديان، لماذا؟.

الآن: أنتم سمعتم أخبار الصرب, وأخبار يوغسلافيا, كم شهر استمر القصف؟ ستة أشهر تقريباً, ستة أشهر, كل يوم في قصف, ثلاثمئة طلعة أيام, أربعمئة طلعة, مئتا طلعة, بأحدث أنواع الطائرات, هل تصدقون أن ستة أشهر قصف ببيلغراد؟ ستة أشهر, كل يوم مئتي, ثلاثمئة طلعة, لا تفعلوا فعل زلزال حدث في تركيا, في خمس وأربعين ثانية!!:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

حلف ثلاثين دولة, بأحدث أسلحة, أحدث تكنولوجيا, بالأقمار الصناعية, بالكمبيوتر, بالطائرات الشبح, بالأشعة الليزرية, الأهداف مئة في المئة, الذي فعله حلف الناتو ببيلغراد, أقل بكثير ما فعله زلزال, خمسة وثلاثون ألف تحت الأنقاض, ما مات العدد بيوغسلافيا أبداً, وستة أشهر قصف ما مات العدد, وأحد عشر ألفاً مشرد, وب..... ستة آلاف قتل, إلى آخره

هذا ربنا عز وجل؛ دولة جميلة جداً, سياحة, قوة, ست عشرة محطة فضائية إباحية, كل شيء فيها جميل, واتفاق مع إسرائيل ضد المسلمين.

ويا فرعون من فرعنك؟ قال له: لا يوجد أحد يردني.

فجاء بطش ربك:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾

[سورة البروج الآية:13]

قف عند هذه المحطة الفضائية :

حدثني أخ، قال: سمع بمحطة فضائية، مقابلة مع إنسان تركي يتكلم بلغة عربية، فيها لكنة، قال له: نحن حاربنا الدين، ومنعنا الحجاب، وضربنا الإسلاميين، واتقنا مع اليهود، وسحبنا الجنسية من نائبة واحدة دخلت محجبة، فاستحقنا هذه الضربة.

هكذا قال بمحطة فضائية، رجل تركي، يتكلم اللغة العربية بصعوبة، قال له: حاربنا الدين، منعنا الحجاب، اتقنا مع اليهود ضد المسلمين، أبحننا الزنا.

قانون باطل :

يعني: أنا قبل شهر، طلع قانون بتركيا: لا يستطيع الزوج أن يقيم دعوى على زوجته إذا زنت، أبدأ، قانون ظهر بتركيا، حرة، كما أنه يذهب حيثما يشاء، تذهب حيثما تشاء، كما أنه له عشيقات، ولها أخدان أبدأ:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة النروج الآية:12]

﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

[سورة هود الآية:102]

تصور خمسة وثلاثين ألفاً تحت أنقاض، لا يوجد أمل.

من أخبار زلزال مصر :

في زلزال مصر، تابعت أخبار زلزال مصر، في أشخاص شربوا بولهم، أربعة أيام بلا ماء، شربوا بولهم، وفي إنسان ما شرب، مات أمام أسرة بكاملها، البناء تداعى فوقها، من العطش، وحر شديد يا أخوان، لا يوجد أحد أحسن من أحد:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

من فتن هذا الزمان :

أحياناً: ترى فتاة في الطريق, يعني لا يوجد شيء فيها مخبأ أبداً, بكل مفاتها ظاهرة في الطريق, أنا أقول: هذه أليس لها أب؟ إذا رآها هكذا ماذا يقول؟ أليس لها أخ؟ أليس لها زوج؟ أليس لها ابن؟ حينما رخص لحم النساء, غلا لحم الضان, وحينما قل ماء الحياء, قل ماء السماء.

لا يوجد ماء الآن, الآبار كلها جفت, يعني أكثر المدن الآن بالصهاريج تشرب, وفي خطر؛ خطر على المزروعات, على الأشجار, النباتات انتهت, على الأشجار, وكأس الماء هذا الذي نشربه, صار ثميناً جداً, وهذا الذي يغسل سيارته بماء الفيحة, هذا محاسب عند الله حساباً شديداً.

ونحن ينقصنا الوعي أيها الأخوة.

النبي -عليه الصلاة والسلام-: توضع من قعر -إناء يعني- ففضل في فضلة, فقال:

((ردوها في النهر, ينفع الله بها قوماً آخرين))

يعني يبدو في بئر ماء, أو ساقية, كان في سفر, ردوها في النهر, نصف كأس شرب.

يعني: يا أخوان, بالمناسبة: الذي عنده حنفية منزوعة يصلحها, له أجر, في إحصائية بجامع النابلسي مدهشة, نقطة نقطة, نقطة نقطة, لا أعلم كم برميل؟ لا أعلم كم تنكة في اليوم؟ يعني: أي خطأ بالصنابير, يذهب هدرًا, بكميات أنت لا تصدقها, باستمرار.

حبك لله من دون دليل مرفوض :

فيا أخواننا الكرام, قضية الحب يحتاج إلى دليل, ومن لم يأت بالدليل: مرفوض عند الله عز وجل:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:111]

إذا أنت سألت نفسك: هل أنت تحب الله؟ نعم, حسناً: ماذا فعلت من أجله؟ عن أي شيء امتنعت خوفاً من الله؟ وأي شيء فعلت حباً بالله؟ ومن أعطيت حباً بالله؟ قل لي ماذا تركت, وماذا فعلت, انطلاقاً من حبك لله؟ لا تقبل من دون دليل؛ من دون دليل زعبرة, من دون دليل تلبسة.

أمر عجيب!!! :

قال لي شخص: يا أستاذ, أتيت بصحن, الساعة خمسة من محطة لمحطة, هكذا تتكلم زوجته, لم يعد ينام الليل, قال لي: يا أستاذ, صليت بجامع, كأنني لمحت على ثوب الإمام بقعة نجاسة, صلاتي صحيحة؟ هذه اسمها زعبرة, قلت له: الإمام ضامن, لو الإمام صلى بلا وضوء, ليس لك علاقة, لو صلى بلا وضوء, ليس لك علاقة أنت, بس بمزىء قرون الثور بغص بالذنب.

قال له: بلع الثور وغص بالذنب, كيف مرأ الصحن, أنت وأهلك للساعة الخامسة صباحاً, الآن أقلقك: أنك صليت بجامع وراء إمام, يوجد على ثوبه بقعة؟! قال: لعلها نجاسة, صلاتنا صحيحة أستاذ؟ نعم صحيحة.

طرفة :

قال: واحد -هذه من باب الطرفة يعني-, حكموه بالإعدام, وهو في طريقه إلى المشنقة, طلع عليه مخالفة سير, نسامحه فيها؟ نسامحه, لم يعد في شيء يتحاسب عليه, بعد

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

[سورة القصص الآية:78]

هذا الرجل يخاف الله :

هذه حقيقة واحدة أخواننا, الحب يحتاج إلى دليل, ماذا فعلت لأنك تحب الله؟ وماذا تركت لأنك تحب الله؟ نعم. أقسم لي بالله رجل, أرجع لورثة عشرين مليون ليرة, لا يعلمون عنها شيئاً, وليس هناك وثيقة تدينه في الأرض, صاحب المبلغ بخيل جداً, أعطاه في استثماره, بنفس اليوم عمل حادث؛ لا في وصل, ولا في علم, وبقي أربع, خمس سنوات, ما أحد طالبه فيه أبداً, سمع درس الأمانة خاف.

قال لي: والله ذهبت, ودفعت للورثة العشرين مليون ليرة, خوفاً من الله.

اسأل نفسك هذا السؤال :

فأنت اسأل نفسك: ماذا فعلت من أجل الله؟ وماذا تركت من أجل الله؟ إذا كنت تحب الله, وأن تحب الله شيء عظيم جداً, الدين كله حب.

قال له:

((يا رسول الله! إني أحبك أكثر من أهلي وولدي والناس أجمعين, إلا نفسي التي بين جنبي, قال: لما يكمل إيمانك يا عمر, إلى أن قال: حتى نفسي التي بين جنبي, قال: الآن يا عمر))

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {115-119} : إجراء أحكام الناس على الظاهر

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من باب التآلي على الله :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - عليه أتم الصلاة والتسليم - ننقل اليوم إلى باب جديد, وهو باب: إجراء أحكام الناس على الظاهر.

يجب أن تجري الأحكام بين الناس على الظاهر, أما أن تتخطى الظاهر إلى السرائر, ولا نملك حكماً يقينياً في السرائر, فهذا من باب التآلي على الله عز وجل. قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:5]

أقام الصلاة وآتى الزكاة.

إنسان عقيدته سليمة؛ يصلي, ويصوم, وليس هناك خير سيء عنه, هذا ماسوني, هكذا؛ من دون تأكيد, من دون تحقق, من دون تروي, من دون بحث, من دون درس, من دون دليل, اتهام الناس بالانحراف من دون دليل, الدليل موضوع ثان.

إنسان نطق بالكفر, لعله يكون ولياً, هذه -أيضاً- جدية, نطق بالكفر لعله يكون ولياً, هذا كلام مرفوض, أما إنسان ما بدا منه شيء يخالف منهج الله, كيف تتهمه؟

من أساء الظن بأخيه, فكأنما أساء الظن بربه.

فنحن في الإسلام لنا الظاهر، والله يتولى السرائر، السرائر موكولة إلى الله.

إليكم هذا المثال لبيان هذه الظاهرة: إجراء أحكام الناس على الظاهر :

سأبين لكم مثلاً:

إنسان ذهب إلى فرنسا، أراد الزواج من امرأة إفرنسية، يجوز أن يأخذ من أهل الكتاب، ذهب إلى مركز إسلامي وعقد عقد؛ بإيجاب، وقبول، ومهر، وشاهدين، هذا العقد شرعي مئة في المئة، أما هو نوى بعد أن تنتهي دراسته يطلقها، هو نوى التوقيت، بقاءه معها زنا، أربع سنوات زنا، لكن هذا من يعلمه؟ الله ﷻ، أما نحن صار في إيجاب، وقبول، ومهر، وشاهدين، والشيء تسجل، ولا نستطيع أن نصل إلى باطنه، نقول: هذا زواج شرعي، أما الله عز وجل يعلم النية التي وراء هذا الزواج، لو أنه نوى التوقيت لكان زواجه غير شرعي، وكان زواجه بمثابة الزنا.

اعلم هذا :

((من تزوج امرأة على صداق وفي نيته ألا يفعله لها، لقي الله سارقاً))

سارق أعطاه رقم، قال لها: هذا حبر على ورق، أكثر الناس هكذا، يقول لك: ضع نصف مليون، نصف بنصف، حسناً: يقول لك: حبر على ورق، غير مقبوضة، وفي نيته ألا يؤدي هذا المهر، المهر دين ممتاز، دين ممتاز للزوجة.

فنحن -أيها الأخوة- نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

انظر إلى هذه الدقة العلمية عند أبي بكر :

سيدنا عمر، سيد الصحابة الكرام، رشحه سيدنا الصديق خليفة من بعده، فيبدو أنه كان شديداً سيدنا عمر، كان شديداً فعلاً، يبدو أنه مرة ذكر بهذه الشدة، ذكره أبو ذر الغفاري، قال له: يا أبا ذر! يعني أتخوفني بالله؟ لعلمكم خشيتم شدتي، قال: والله في قلبي من الرحمة، ما لو اطلع الناس عليه لأخذوا عباةتي هذه.

يقول سيدنا عمر عن نفسه -رضي الله عنه- يقول: كنت خادم رسول الله، وجلواذه، وكنت سيفه المسلول، فكان يغلبني إذا شاء، وتوفي عني وهو عني راض، الحمد لله على هذا كثيراً، وأنا به أسعد، ثم جاء الصديق، فكنت

خادمه، وجلواذه، وسيفه المسلول، وتوفي عني، وهو عني راض، وأنا بذلك أسعد، ثم آلت الأمور إلي.

أيها الناس، اعلّموا أن تلك الشدة قد أضعفت، وإنني أضع خدي لأهل العفاف والتقوى ليطؤوا علي، أيها الناس، خصال خمس خذوني بهن: لكم علي ألا آخذ من أموالكم شيئاً إلا بحقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم إن شاء الله تعالى، ولكم علي ألا أجركم في البعوث، وإذا كنتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا.

هكذا كان سيدنا عمر، فسيدنا الصديق ولاء خليفة من بعده، فلما قيل له: إنه شديد يا خليفة رسول الله، قال: والله لو أن الله سألني يوم القيامة، لم وليت عليهم عمر؟ أقول: يا رب، وليت عليهم أرحمهم، ثم قال: هذا علمي به، فإن بدل وغير فلا علم لي بالغيب.

أرأيت إلى هذا التواضع، وهذه الدقة العلمية؟.

فإن بدل وغير فلا علم لي بالغيب.

الدليل من الكتاب والسنة على إجراء الأحكام على الظاهر :

الآية الكريمة:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:5]

أنت ليس لك حق تقول: فلان أنا أعلم أنه ينوي نية ثانية، لا يعلم النوايا إلا الله، احكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

المنافق: إذا كان ذكياً جداً وأظهر, مثل تمثيلاً متقناً أنه مسلم, وأخذ ميزات المسلمين, أخذ ميزاتهم جميعاً, هذا عذابه في الآخرة, في الدرك الأسفل من النار؛ لأنه مثل, أخذ ميزات المسلمين, تمتع فيها, ثم هو كافر؛ فالكفر له عذاب, وغش الناس له عذاب.

الآن: إنسان شخص كافر, صريح بكفره, أنت يعني لا يؤذيك, صنفته كافراً, لم تعد تفكر فيه, أما إنسان يتكلم بكلام المؤمنين, يصلي صلاتهم, يصوم صيامهم, وهو ليس كذلك, هذا يغشهم.

احذر أن يفضحك الله :

لذلك: اللهم صل عليه -والله هذا الحديث -أيها الأخوة والله- يقسم الظهر-, قال:

((يؤتى رجال يوم القيامة, لهم أعمال كجبال تهامة, يجعلها الله هباء منثورا -كلها أعمال كالجبال-, فقال أصحاب النبي -عليهم رضوان الله-: يا رسول الله! صفهم لنا كي لا نكون مثلهم -دقق الآن- قال: إنهم يصلون كما تصلون, ويأخذون من الليل كما تأخذون, ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

يعني: لهم خلوات يرتكبون فيها المعاصي, في خلواتهم, أما في جلواتهم أناس طيبون, طاهرون, أولياء, قديسون في جلواتهم, أما في خلواتهم ينتهكون حرمة الله, لذلك ورد:

((من لم يكن له ورع يصدده عن معصية الله إذا خلا, لم يعبأ الله بشيء من عمله))

ومر معي حديث -الآن لا أذكر نصه الحرفي-: إذا الإنسان أتقن التمثيل أمام الناس, وهو إذا خلا مع نفسه ارتكب المعاصي والآثام, هذا الإنسان لا بد أن يفضحه الله عز وجل.

حوار جرى في أمريكا :

مرة جرى نقاش حاد بين أحد أكبر القساوسة بأمريكا اسمه شودر, دخله اليومي مليون دولار, للدعوة, للدعوة؛ محطات إذاعية, محطات تلفزيونية, ألف كتاباً, هو جميل الصورة جداً, دخل مع أحمد زيدات العالم الإسلامي, المقيم في جنوبي أفريقيا بجوهاز مبورغ, عالم إسلامي كبير, والله عز وجل مكنه من إتقان الإنجيل.

جرى حواراً في أمريكا, هل هذا الإنجيل كلمة الله؟ هو أدلى برأيه الدقيق, بعد حين, هذا الطرف الثاني الخصم: ضُبط بجريمة جنسية, فصار يبكي كالأطفال يبكي, لأن كل هذه السمعة التي حصلها انهارت في ثانية.

نقطة دقيقة :

يعني في نقطة دقيقة -يا أخوان-: إذا الإنسان له أعمال لا ترضي الله فيما بينه وبين الله, يعطيه الله مهلاً؛ مهلة, اثنتين, ثلاثة, فإذا استنفد المهل, فضحه على رؤوس الأشهاد.

يعني: لا يوجد إنسان يخدع الناس إلى أمد طويل.

قال بعض الفرنسيين: يمكن أن تخدع كل الناس إلى أمد قصير, ويمكن أن تخدع بعضهم إلى أمد طويل, أما أن تخدع كل الناس كل الوقت هذا مستحيل.

فالله عز وجل: يتولى فضح من له سريرة تُناقض علانيته, هذا نوع من انفصام الشخصية.

الإنسان متى يرفع رأسه؟ متى يرى أنه عند الله يعني مقبول, لا يوجد عنده ازدواجية في حياته؟ ما يفعله في خلوته يفعله في جلوته, ما يفكر به في سره يقوله بلسانه, يعني لا يوجد عنده شيء معلن؛ باطن ظاهر, سر وعلانية, ما يفعله في البيت لا يفعله في السوق, واضح, هذا الوضوح كما قال عليه الصلاة والسلام:

((تركتم على بيضاء نقية, ليلها كنهارها, لا يزيغ عنها إلا باطل))

احذر أن تكفر مسلماً :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((من قال: لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعْبُدُ من دون الله، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وحسابُه على الله))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

انتهى.

إنسان أعلن الشهادة، وأدى الصلاة، وآتى الزكاة، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، من دون تمييز، هذا مبدأ عظيم، مبدأ يحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، لا تكفر أهل القبلة، ما دام يصلي تجاه القبلة، لا تكفر أهل القبلة، لا تكفر من قال: لا إله إلا الله.

((من قال هلك الناس فهو أهلكهم -يعني أشدهم هلاكاً- ومن كفر مسلماً، باء بالكفر أحدهما))

قف عند أهمية هذا الحديث :

وعن أبي معبد المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال:

((قلت لرسول الله ﷺ: -: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَأَقْتَتْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْيَ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَادَ مِنِّي بِشَجْرَةٍ، فَقَالَ: أَسَلَمْتُ لَكَ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: لَا تَقْتُلْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَطَعَ إِحْدَى يَدَيْيَ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ -مَا قَطَعَهَا-: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

ما دام قال: لا إله إلا الله، عصم منك دمه.

هذه قواعد الإسلام :

حسناً: من الإنسان ألم النبي أشد الإيلام؟ من هو؟ قاتل سيدنا الحمزة الحبشي، يعني سيدنا الحمزة، كان -عليه الصلاة والسلام- يحبه حباً جماً، فجاء عبد حبشي، وُعد أنه إذا قتل الحمزة يُعتق، فهو له مهمة واحدة في القتال، جاء بقناة، وغرزها في قلبه، فجاءت هند، ففتحت بطنه، ولاكت كبده بضمها، انتقاماً منه.

فهذا الذي قتل عمه الحمزة أسلم، انتهى، قال له:

((اجلس ورائي))

لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يطيق أن يراه أمامه، قال له:

((اجلس ورائي))

فالإسلام شيء عظيم، قواعد واضحة.

منعطف هام :

أحد الصحابة، يبدو أنه تمكن من كافر، فقال: اشهد أن لا إله إلا الله، رافق فالنبي غضب غضباً شديداً، فقال: يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت على قلبه، حتى تعلم أنه قالها، أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

تطبيق عملي للأحاديث التي سبق ذكرها :

الآن في قول دقيق جداً لسيدنا عمر، قبل أن ننهي الدرس: عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول:

((إن ناساً كانوا يُؤخَذون بالوحي في عهد رسول الله

في عهد النبي في وحي واحد، يعني فيما بينه وبين ابن زوجته، قال له: لو كان محمد صادقاً فيما يقول، لكننا فراء من الخمر، يعني لكن ليس صادقاً هو، فجاء الوحي،

قال: وقالوا كلمة الكفر، فإن يتوبوا خير لكم،

فكان في وحي يفضح بعد انقطاع الوحي-.

وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناً، وقرئنا، وليس لنا من سريره شيء، الله يحاسبه في سيرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه، ولم نصدق، وإن قال: إن سريره حسنة))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

نحن الآن لا يوجد وحي يحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، فأنت بكل موقف؛ بحركتك اليومية، بعلاقاتك، ببيعك، بشرائك، لك الظاهر، ما دام الظاهر صح، ليس لك أن تقول شيئاً في الباطل، إلا إذا في مؤشرات، إذا في علامات، إذا في دلائل، لكن لا يوجد ولا دليل تتهم إنساناً.....

ابتعد عن هذا العمل :

قالوا: قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة.

يعني: إذا كان امرأة ذكرت، أنت عملت هكذا فقط:

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

[سورة النور الآية:15]

وهذا الإنسان الذي يتهم محصنة، يُجلد ثمانون جلدة.

محور الدرس :

فأيها الأخوة, هذا الدرس مفاده: عود نفسك أن تحكم بالظاهر, ودع السرائر لله عز وجل, هذه موكولة لله تعالى؛ أما إذا في دلائل, في مؤشرات, في فلتات لسان, في مواقف, هذا موضوع ثان والله أعلم, والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {116-119} : الخوف

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 25-09-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من لوازم الإقبال على الله :

أيها الأخوة الكرام:

ننتقل اليوم إلى باب جديد من أبواب رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم-, وهو باب: الخوف.

وبادىء ذي بدء: إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم, خلق جسمه في أحسن تقويم, لكن نفسه فطرها فطرة تسعد بربها, فالخوف من لوازم الإقبال على الله.

لو أن الإنسان لا يخاف لا يتوب, لو أنه يخاف يتوب, لو أن الإنسان لا يغار لا ينطلق إلى الأعمال الصالحة, لأنه يغار يفعل هذه الأعمال الصالحة.

فكل خصائص النفس: تمت لتكون عوناً للإنسان على معرفة الله وطاعته, يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾

[سورة المعارج الآية:19]

هكذا خُلِقَ.

هذه نقطة الضعف عند الإنسان :

هذه نقطة ضعف في أصل خلقه, لا ذنب له بها:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:20]

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية: 21]

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج الآية:22]

لأنه يخاف يتوب إلى الله.

من بواعث التوبة :

الآن: الإنسان وجد في فتنة, أخذ خزعة حللها, وجدها سرطان خبيث, رأساً يصلي, كان لا يصلي أبداً, شخص فقد بصره, رأساً حجب زوجته, معنى يعرف قبل أن يحجب زوجته: أنه هو مخالف الشريعة, فلما جاءت المصيبة, عاد إلى الله, لأن الإنسان يخاف, الخوف أكبر باعث له على التوبة, فالخوف من جبلة الإنسان, من طبيعة الإنسان.

الآن أخ -لكن سابقاً، هو صديق، أو أخ نسبي لأخ في الإيمان-، قال لي: في إحدى السنوات حققت أرباحاً كبيرة جداً، عنده تجارة رابحة، قال لي: وضعت خمسمئة ألف في جيبي، فأحببت أن أقضي شهرين في أمريكا أسر، لوحده من دون زوجة، لأن الزوجة محرجة، لوحده، وفي باله أشياء كثيرة يفعلها خلافاً لمنهج الله، وصل إلى هناك، آلام في ظهره شديدة، زار طبيباً أمريكياً، قال له: سرطان في النخاع الشوكي، قطع رحلته، وعاد إلى الشام يبكي، من طبيب إلى طبيب، بعد ذلك من جامع إلى جامع، بعد ذلك تاب، ثم اكتُشف أنه لا يوجد معه سرطان في النخاع الشوكي:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:19]

شخص في حياته ما صلى، تورط ورطة، نام ليلتين عند خالته، ذاق الأمرين، بدأ يصلي:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:19]

فالهلع والجزع: نقطة ضعف لصالح الإنسان.

من لوازم إيمان الإنسان :

يوجد أحياناً جهاز ثمنه مئة ألف في بيوز، البيوز عبارة عن خط كهربائي ضعيف جداً، على أدنى حرارة عالية يسخ، يقطع التيار، هو البيوز في الحقيقة نقطة ضعف في الجهاز، لكن الضعف لصالح الجهاز، لو جهاز سيارة عال فجأة، بدل أن يحرق الجهاز، يحترق البيوز، ثمنه ليرتان، فهذا البيوز رحمة لما نقمة؟ رحمة.

والإنسان يوجد عنده البيوز، الضعف، الخوف:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:19]

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية:20]

إذا لا يخاف لا يتوب, إذا لا يخاف لا يلجأ إلى الله عز وجل, إذا لا يخاف لا يصطليح مع الله.
فالخوف, وإن كان نقطة ضعف في الإنسان, إلا أنه من لوازم إيمانه.

أنت تخاف من؟ :

أيها الأخوة, أنت تخاف من؟.

المسرف يخاف من بني البشر, يخاف من زيد وعبيد, يخاف من جرثوم, من مرض, من عدوى, من تجارة بائرة, من إفلاس, من منع استيراد, من إلغاء الوكالة, سحب الوكالة, يخاف أن تقصر زوجته معه, يخاف من أمراض وبيلة, يعني قلبه مشتت بين مخاوف لا نهاية لها, أما المؤمن يخاف من الله وحده, فإذا خاف من الله وحده, أمنه على كل شيء.

((لا أجمع بين خوفين وأمينين؛ إن خافني في الدنيا أمنتني يوم القيامة, وإن أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة))

والإنسان يخاف بقدر علمه.

هذه المسافة بين العلم والجهل :

مرة دخلت لمعمل, وجدت صاحب المعمل وجهه أصفر, خير؟ قال: تعال انظر, معمل عتيدي, طويل عريض, آلات تعمل بانتظام, العمال ماذا حصل؟ قال لي: رأيت الجسر؟ فعلاً, قلت له: ما الخبر؟ قال لي: في خط قال لي: هذا الخط, أساس المعمل تحته ماء مالحة, الماء المالحة حبست من تحت الأثاث, والأثاث هبط, فلما هبط طق الجسر من الأعلى, قال لي: أتينا بدكتور في الهندسة, قال: يكلف خمسمئة ألف إلى حدود

السبعين دعم التأسيس، قلت له: كنت ائت بدهان، هل تعرف ماذا يقول لك الدهان؟ يحتاج إلى معجون، بين معجنة الشق، وبين تدعيم الأثاث، مسافة كبيرة جداً؛ مسافة العلم والجهل.

بقدر علمك تخاف:

الآن: طفل صغير، عمره حوالي عشرة أشهر، ضعه إلى جانب ثعبان ضخمة، طوله عشرون متر، يمس جلده، لا يخاف منه، لماذا لا يخاف؟ لأنه لا يوجد إدراك، بقدر علمك تخاف.

مرة كان عندي أطباء قلب جالسين، كلهم أطباء قلب، أكلة قشطة، لم يرضوا أن يأكلوا أبداً، قال: من كثرة ما نرى شرايين مسدودة، نفتح القلوب، نعمل عمليات زرع شرايين، نكره القشطة، معهم حق.

كلما العلم زاد، يزداد الخوف، الذي يعيش مع الجراثيم والعدوى، يغسل الخضار مرتين، ثلاثة بالمركنات، يقول لك: شيء يخوف؛ في زحال، وفي حمى مالطية في البلد، يخاف، بقدر علمك تخاف.

رأس الحكمة مخافة الله :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية:28]

و: رأس الحكمة مخافة الله.

فأنت تخاف بقدر إيمانك، الذي لا يخاف، يكون ليس من بني البشر، أبداً:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

إذا شخص ميت لا يخاف، لذلك قال تعالى:

﴿وَأَيُّ فَازِهِبُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:40]

﴿وَإِيَّاي فَارْهَبُونِ﴾

[سورة البقرة الآية:40]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

من علامات قيام الساعة :

هذه الزلازل, إعصار في أمريكا: حمل اثنين ونصف مليون على النزوح, والآن إعصار في اليابان -خبر اليوم- وقبله زلزال في تايواند, وقبله زلزال في اليونان, وقبله زلزال في تركيا, وأخبار الزلازل, والبراكين, والفيضانات, والأعاصير, لا تتقطع والحمد لله.

من علامات قيام الساعة: كثرة الزلازل.

الآن أحدث خبر: ارتفع عدد ضحايا زلزال تايواند لثلاثة آلاف, ثلاثة آلاف إنسان ميت, وعشرات الألوف متشردين. الآية الكريمة:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

[سورة هود الآية:102]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾

[سورة هود الآية:103]

هذا الذي حصل في تركيا :

في قاعدة بتركيا، قاعدة بحرية، فيها مئتان وستون ضابط، وجاءهم زوار من إسرائيل ستة عشر ضابطاً، أحد عشر ضابطاً أمريكياً، ورئيس القاعدة، قائد القاعدة، هذه القاعدة غاصت في البحر مئة متر، ولم يخرج منها أحد عقب ليلة حمراء، استمرت حتى الساعة الثالثة صباحاً، يوجد على هذا الموضوع تعميم كامل، هذه من أضخم القواعد العسكرية في تركيا، قاعدة بحرية؛ مئتان وستون ضابطاً تركياً، وأحد عشر ضابطاً إسرائيلياً، وستة عشر إسرائيلياً، أحد عشر ضابطاً أمريكياً، مع قائد القاعدة، لم يخرج منها أحد:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج الآية:12]

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام الآية:65]

موقع تحذير :

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

[سورة آل عمران الآية:28]

إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك، وأنت تعصيه، فاحذره، في ضربة، والمؤمن يكاد يعلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، لكن يعلم القوانين، إنسان منحرف، قوي، لا بد من أن يبطش الله به:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة الحج الآية:1]

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[سورة الحج الآية:2]

هذا الذي حصل في مصر :

صار زلزال في مصر, أقسم لي إنسان يمين: أن زوجته من هول الصدمة, حملت حذاء زوجها وظنته ابنها, يعني من أجل أن تخرج من البناء لتتجو بنفسها, أهم شيء ابنها, ففي حذاء جديد بكيس النايلون, موضوع على التخت, فحملته وظنت أن هذا الشيء هو ابنها, فلما خرجت من البناء مسافة طويلة, وجدته حذاء زوجها:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[سورة الحج الآية:2]

ماذا قال علماء التفسير حول هذه الآية؟ :

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

[سورة الرحمن الآية:46]

قال بعض علماء التفسير: جنة في الدنيا وجنة في الآخرة.

في الدنيا جنة, من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

إنها جنة القرب, ويوجد في الدنيا جحيم, هو جحيم البعد, في الدنيا جحيم ونعيم, وفي الآخرة جحيم ونعيم:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾

[سورة الانفطار الآية:13]

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

[سورة الانفطار الآية:14]

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة الطور الآية:25]

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾

[سورة الطور الآية:26]

﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾

[سورة الطور الآية:27]

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الطور الآية:28]

حديث خطير :

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال :

((سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِرَجُلٍ يُوَضِّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ -هَذَا أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِرَجُلٍ يُوَضِّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ- مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

يعني: أنا من فترة طويلة في حياتي, موضوع جهنم مؤمن به إيمان يقيني, لكن يا رب, معقول للأبد!؟!!.

حينما أرى ما يفعله المجرمون في العالم, حينما يبنون مجدهم على أنقاض الشعوب, حينما يدمرون.

قارن :

سأل جندي ضابط إفرنسي في حرب الخليج, الضابط يعطي توجيهات: أن اضربوا كل متحرك, فقال له جندي إفرنسي -يبدو أن عنده نزعة دينية-: حسناً: لو أنه باص مدني, قال له: اضربوه, قال له: هؤلاء لا ذنب لهم, وليسوا محاربين, قال له: حينما يُضرب هذا الباص, يشترون باصاً مقابله, أما ستون رجل ماتوا, يتمت ستين أسرة, أفزعت ستين زوجة, قضيت على ستين أم, يتمت ستين بخمسة مئات الأطفال, المشكلة: أننا إذا ضربنا الباص, سيشترون مكانه باصاً آخر.

هذا كتب في مقالة في مجلة, رواها هذا الجندي عن قائده, يقيس, بالإسلام في حرب, لكنها حرب مقدسة, الله عز وجل قال:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية:190]

لا يقاتل إلا المقاتل, هو مهيةء نفسه, متدرب, عنده وسائل الدفاع عن نفسه؛ أما طفل صغير, امرأة, رجل كبير في السن, هذا ليس له ذنب.

حديث يقسم الظهر :

وعن أبي سمرة بن جندب -رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال:

((منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم من تأخذه إلى حِجْزَتِهِ -يعني سرته-
ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْفُوتِهِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

ما وراء هذا القسم :

أنا أقسم لكم بالله: أنني أشعر أن معظم المسلمين موضوع الآخرة لا يصدقونه، موضوع الآخرة لا يصدقونه حقيقة؛ كيف الإنسان يغتصب بيتاً ليس له، يغتصب تجارة ليست له، يفعل الموبقات وهو مرتاح، إذا في آخرة كيف يريد أن ينام أساساً؟ كيف يتوازن؟ لما الإنسان يرتكب المعاصي والآثام، ويعلم أنها معاص، لا يمكن أن يكون مؤمناً باليوم الآخر.

وقفه متأنية :

وعن ابن عمر -رضي الله عنه، أو رضي الله عنهما-، أن رسول الله -ﷺ- قال:

((يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم برشحه إلى أنصاف أذنيه))

الرشح هو العرق، من شدة تعرقه، يغيب إلى شحمة أذنه من عرقه يوم القيامة.

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فغَطَّى أصحابُ رسول الله -ﷺ- وجوههم، ولهم خنين))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه]

أحد المنافقين، أو رئيس المنافقين، طلب قميص النبي ليلبسه قبل أن يموت وهو على فراش الموت، أعطاه النبي قميصه، وفي رواية: أنه ألبسه قميصه بنفسه، فلما مات، قال عليه الصلاة والسلام:

((الآن استقر في جهنم حجر، كان يهوي به سبعين خريفاً))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسألَ عن أربع: عن عُمره فيما أفناه؟ وعن عِلْمِهِ ما عملَ به؟ وعن ما له من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟))

[أخرجه الترمذي في الصحيح]

وقانا وإياكم من عذاب النار أيها الأخوة.

علاقة الإيمان: الخوف من الله عز وجل.

سيدنا محمد -اللهم صل عليه-: أرسل غلاماً طول كثيراً، فأثار غضبه الشريف، فلما رجع أمسك سواكاً بيده، وقال لهذا الغلام:

((والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك))

يعني: السواك نفسه لا يوجع، ومع ذلك: لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {117-119} : الرجاء 1

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-10-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بادر إلى الصلاة :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم- ولا زلنا في باب الرجاء.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مثل الصلوات الخمس, كمثل نهر جار على باب أحدكم, يغتسل منه كل يوم خمس مرات -في بعض الروايات- هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا, قال: كذلك الصلوات, يمحو الله بهن الخطايا))

فأيها الأخوة, الإنسان يحتاج إلى غذاء روحي, ويحتاج إلى غذاء عقلي.

الإنسان: جسم, وعقل, ونفس؛ فالجسم: غذاؤه الطعام والشراب, والعقل: غذاؤه العلم, والنفس: غذاؤها الحب, والاتصال بالله عز وجل, فلا بد للإنسان من هذه الأغذية الثلاث مجتمعة.

الإنسان اليوم: اكتفى بغذاء الجسم فأصبح وحشاً؛ يأكل ويؤذي, يأكل ويعتدي, يأكل ويتجاوز.

فالإنسان يُشحن في اليوم خمس شحنات في الصلاة؛ لو أنه قصر فيما بين الصلاتين, لو أنه سهى, لو أنه لغى, تأتي الصلاة الثانية لتكفر ما بين الصلاتين.

الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.

يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

معنى تنهى: نهى داخلي؛ لذلك النظام -الآن, يعني بالعالم-؛ إما نظام ردع, أو نظام وازع, فالأديان ولا سيما الدين الإسلامي: يقوم على الوازع الداخلي, أما الأنظمة الوضعية: تقوم على الرادع الخارجي, ولو الإنسان سافر إلى بلاد الغرب, في انقباض منقطع النظير, لكن أساسه إلكترون.

استقامة الغرب إلكترونية :

أيها الأخوة, مرة هكذا داعبتهم في أمريكا الجالية الإسلامية, قلت لهم: إن استقامتكم إلكترونية.

يعني: محل فيه بضاعة بألف مليون دولار, المحل مدين, المحل مدينة, خمسة موظفون فقط, كل قطعة مهما غلا ثمنها, أو مهما قل ثمنها, في عليها كوب؛ رمز, وفي مادة, إن لم يُدفع ثمنها, وخرجت من قوس من باب السوق, يصدر صوتاً مخيفاً, فكل من في هذا السوق يدفعون الثمن, من هو الأمين؟ لا نعرف, من هو السارق؟ لا نعرف, ضبط, ضبط دقيق جداً.

فالله عز وجل: قادر يضبط الناس ضبطاً قسرياً, لكن هذا الضبط القسري: لا ينتج عنه سعادة يسعد بها الإنسان, فنظام الغرب: مبني على الرادع الخارجي.

والله عز وجل لحكمة أرادها: في إحدى المرات انقطع التيار الكهربائي عن نيويورك, ارتكبت في ليلة واحدة مئتا ألف سرقة, كل هذا الضبط ما دام في كهرباء, فإذا انقطع التيار الكهربائي

مشكلة في لوس أنجلوس :

مرة صار مشكلة في لوس أنجلوس بين زنجي وبين شرطي, وفي إنسان يصور كيف أن الشرطي يضرب الزنجي, عرض الفيلم في التلفاز, صار في مشكلة, الخسائر ثلاثون مليار دولار, اضطرب الأمن. فهذا الانضباط الشديد في السن: انضباط ردع, ليس انضباط وازع, أما الوازع شيء آخر.

الدين الإسلامي مبني على الوازع الداخلي :

قال له ابن سيدنا عمر لراع: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها, قال له: ليست لي, قال له: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب, قال له: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها, ولو قلت لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب لصدقتي فإني عنده صادق أمين, ولكن أين الله؟. ديننا العظيم: مبني على الوازع الداخلي.

لا تستغرب :

والله أخ لا أعرفه, أرسل لي ورقة, قال لي: أنا حضرت درس الأمانة في جامع العثمان , وأديت لورثتي عشرين مليون ليرة لا يعلمون عنها شيئاً, أب مخيف, وضع هذا المال عند صديقه ليستثمره, ولم يُعلم به أحداً, ولم يعلم أهله, ومات بجاذث, فقال لي: أنا المبلغ بقي معي فترة طويلة, إلى أن سمعت هذا الدرس, فخفت من الله عز وجل فأديته.

فديننا كله مبني على الوازع الداخلي, الأنظمة الوضعية كلها مبنية على الرادع الخارجي.

قف عند هذه الآيات :

قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

-نهى ذاتي-:

﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

لأن ذكر الله أكبر ما فيها، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية:14]

ذكر الله أكبر ما في الصلاة.

حسناً: الإنسان: من صلاة إلى صلاة، يمحو الله بهن الخطايا، هذه الشحنة اليومية، وجبة تكفيه للوجبة القادمة، لكن في وجبة دسمة تأخذها يوم الجمعة، في صلاة، لكن في خطبة، في عبادة تعليمية، في قرآن مشروح، في سنة مشروحة، في قصة لصحابي في معالم الدين.

خطأ ولك الصواب فيه :

أكبر خطأ يرتكبونه أخواننا، والله الحمد صلينا الجمعة، أدركنا آخر ركعة، الحمد لله، افتح كل كتب التفسير، واقرأ قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

ما معنى ذكر الله؟ علماء التفسير قالوا: خطبة الجمعة:

﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة الآية:9]

لذلك:

((من جاء في الساعة الأولى فكأنما قدم بدناً, ومن جاء في الساعة الثانية فكأنما قدم بقرة, ومن جاء في الساعة الثالثة فكأنما قدم شاة, ومن جاء في الساعة الرابعة فكأنما قدم دجاجة, ومن جاء في الساعة الخامسة فكأنما قدم بيضة, فإذا صعد الخطيب المنبر جلست الملائكة تستمع الخطبة))

فالذي يأتي بعد ما انتهت الخطبة, إذا جاء أول الخطبة ما قدم شيء.

من ميزات بعض البلاد الإسلامية :

لذلك: مرة زارنا أخ من بلد إسلامي, جاء للمسجد الساعة الحادية عشرة, قبل بساعة.

الآن في بعض البلاد الإسلامية: يأتي قبل بساعة يأتي, حسب الحديث: يأتي يعمل ذكر , يقرأ قرآن, يهيبه نفسه, يرتاح لسماع الخطبة.

قصة غريبة :

مرة هكذا شخص, قلت له: أنت, أعرف أنه يصلي في أقرب مسجد لبيته, ولا يستمع إلى الخطبة, يعني إما أن يلحق ركعتين أو ركعة, في فكره أنه: سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب.

مرة سمعت عنه قصة غريبة: يعني يحب بائع فول في الميدان, وعنده سيارة, يحمي سيارته ربع ساعة من أجل المحرك, يذهب إلى الميدان, بيته في المهاجرين, يذهب إلى الميدان, من أجل كيلو فول ويرجع. فمرة التقيت معه, قلت له: الله وكيلك, أنت كيلو الفول أعلى من دينك, قال: كيف؟ طبعاً : من أجل كيلو فول, حميت السيارة ربع ساعة, وذهبت إلى الميدان, من حي إلى حي, أما بحثت عن مسجد تنتفع من خطيبه؟

دينك إنه لحمك ودمك.

خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا.

إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

من مكفرات الذنوب :

حسناً: إذا يوجد عندنا وجبة، شحنة أدم، شحنة يوم الجمعة، هذه شحنة كبيرة، يوجد عندنا شحنة أكبر شحنة رمضان، أيضاً:

((من رمضان إلى رمضان، ومن الجمعة إلى الجمعة، ومن الصلاة إلى الصلاة: كفارة لما بينهما))

من صلاة لصلاة، من جمعة لجمعة، من رمضان لرمضان.

نقطة افهم الوجه الصحيح منها :

في نقطة حريص جداً تفهمونها صح:

هكذا الأستاذ راتب قال، نحن نأخذ حروفنا طوال السنة، يأتي رمضان نتوب تغفر كلها، نأخذ حريتنا طوال الجمعة، تأتي الجمعة نصلي نستريح، لا، ليس هذا المعنى، هذا المعنى مرفوض كلياً، هذا المعنى استهزاء بالله، يعني إذا الإنسان عن غير قصد، وعن غير تصميم، دون أن يشعر: وقع بمخالفة بسيطة، وجاء رمضان آخر، رمضان

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما

تقدم من ذنبه.

-فإذا: الذنب الذي يرتكبه الإنسان عن غير قصد وتصميم، ولا تنسوا أنه لا صغيرة مع الإصرار؛ فكل إنسان يقول لك: أنا أخذ حريتي أثناء السنة، وإذا جاء رمضان تبت إليه، هذا الإنسان مرفوض، يوجد عندنا شحنة عن عمر بأكمله الحج؛ الحج شحنة، ورمضان شحنة، والجمعة شحنة، والصلوات الخمس شحنة فيما بين الصلاتين،

إذا في تقصير غير مقصود, وغير متكرر, أما إذا الإنسان أصر على صغيرة كانت كبيرة.

اركب سيارة على طريق عريض, وعلى اليمين واد, وعلى اليسار واد, واحرف المقود اتجاه واحد, وثبت الانحراف على الوادي, لو حرفته تسعين درجة فجأة, على الوادي رأساً, لو حرفته ميلي واحد وثبته, على الوادي أيضاً, فمهما كان شيء صغير, لو ثبت صار كبيراً.

لذلك: الصغيرة إذا أصررت عليها, تتقلب كبيرة.

لا صغيرة مع الإصرار, ولا كبيرة مع الاستغفار.

إذا: فهم أن الصلاة شحنة, وشحنة يومية, والظروف غير المقصودة وغير المتكررة, التي تقع بين الصلاتين: تكفرها الصلاة التالية, والذنوب الصغيرة وغير المقصودة وغير المتكررة: تكفرها صلاة الجمعة القادمة, والذنوب الصغيرة وغير المقصودة وغير المتكررة, والتي لم تصر عليها: يكفرها رمضان القادم.-

ما هي الذنوب التي ترجع منها كيوم ولدتك أمك؟ :

ومن حج البيت فلم يفسق, ولم يرفث, رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

ولكن ما هي الذنوب التي ترجع منها كيوم ولدتك أمك؟ إنها الذنوب التي بينك وبين الله فقط, أما ما كان بينك وبين العباد, فهذه الذنوب لا يمكن أن تغفر إلا في حالتين: في حالة الأداء, أو المسامحة, لا يمكن أن تُغفر إلا في حالتين: حالة الأداء, أو حالة المسامحة.

ماذا يفعل العبد إذا تاب من ذنب ثم عاد إليه؟ :

يوجد عندنا الآن حالة جديدة: إنسان تاب توبة نصوحة, لو فرضنا -لا سمح الله ولا قدر, ولا قدر, ولا قدر- زلت قدمه, فعاد إلى الذنب نفسه, ماذا يفعل؟.

بالمناسبة: أهون توبة على الإطلاق: هي التوبة الأولى, لا تكلفك إلا أن تقول: يا رب لقد تبت إليك, فيقول الله عز وجل: يا عبدي, أنا قد قبلت, أهون توبة أول توبة, لكن الذنب نفسه لو أعدته, التوبة الثانية صعبة جداً, ماذا تفعل؟ تساوي الحديث, صرت تحتاج إلى توبة مع عمل صالح, لقول الله عز وجل:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾

[سورة هود الآية:114]

إذا العبد لم يكن معه عمل صالح مع التوبة ماذا يفعل؟ :

صار في توبة مع عمل صالح ما معك, صوم, صيام, ما معك, معك صدمة.

يعني: كل من قطع رجاءه من الله فهو كافر؛ لذلك: المنتحر خالد مخلد في النار, لأنه لما يؤس من رحمة الله, ويؤس من روح الله, استحق النار خالدًا مخلدًا.

اليوم طبعاً درسنا اليوم: الرجاء, يجب ألا تقطع رجاءك من الله عز وجل, ولا سيما وأن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية:53]

وفي حديث ثالث: يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إِنَّ اللَّهَ -تعالى- يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

يعني: إذا أذنبت في النهار, فالله ينتظرك في الليل كي تتوب منه, وإن أذنبت في الليل, ينتظرك الله في النهار, هو ينتظرك.

((لو يعلم المعرضون انتظاري لهم, وشوقي إلى ترك معاصيهم, لتقطعت أوصالهم من حبي, ولماتوا شوقاً إلى))

إذا: هو ينتظرك, فإذا أذنبت في النهار ينتظرك في الليل, وإن أذنبت في الليل ينتظرك في النهار.

فضل قيام الثلث الأخير من الليل :

أيها الأخوة الكرام، ورد في الحديث الشريف الصحيح أنه:

((إذا كان ثلث الليل الأخير، نزل ربكم إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ حتى ينفجر الفجر))

الذي له شغلة عويصة، له عدو لدود، في شبح مصيبة صحية، في عنده انهيار اقتصادي، في عنده يعني أزمة مالية خانقة، في عنده مشكلة في بيته، في عنده ابن عاق، في عنده بنت يعني كاد يفوتها قطار الزواج، في عنده زوجة سيئة، في عنده شريك صعب، في عنده أزمة معينة، شبح مرض ليس متأكداً منه، لا يوجد إنسان لا توجد عنده مشكلة، فعليك أن تستيقظ قبل الفجر، وأن تصلي ركعتين لله عز وجل، وأن تسأل في هاتين الركعتين حاجاتك من الله عز وجل.

على كلِّ؛ أي يأس، أو قنوط من رحمة الله، فهو يقابل الكفر:

﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

[سورة يوسف الآية: 87]

قاعدة فقهية :

آخر حديث: عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال:

((سمعت عمر -رضي الله عنه- يقول: إن ناساً كانوا يُؤخِّذون بالوحي في عهد رسول الله -ﷺ-، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناً، وقرَّبناهُ، وليس لنا من سرِّيرته شيء، الله يُحاسبُهُ في سرِّيرته.

-الآن: إذا إنسان سافر إلى فرنسا، وأحب أن يتزوج فتاة، فقط أربع سنوات وقت الدراسة، ولم يتكلم لأحد، ذهب إلى المركز الإسلامي، وأتى بفتاة؛ صار إيجاب، وقبول، وشاهدان، ومهر، فالذي عقد القران لا يوجد عنده إمكانية يكشف نواياه، الظاهر عقد شرعي مئة في المئة، أما لو أنه نوى التوقيت صار زنا.

من شروط العقد النفسية: أن يكون على التأييد, ما دام على التوقيت صار زنا, فعقد العقد ليس في إمكانه أن يعلم, وكل من حوله لا يعلم, لكنه نوى التوقيت, فكان زواجه زنا.

فنحن لا يوجد عندنا وحي الشيخ, في عهد النبي كان هناك وحي, أما في عهد بعد النبي لا يوجد وحي, نحن لنا الظاهر, والله يتولى السرائر, الله عز وجل يتولى السريرة-.

فمن أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً أَمْنَاءُ، وَقَرَّبَنَا، وليس لنا من سَرِيرَتِهِ شيء، اللهُ يُحَاسِبُهُ في سريرته، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءاً
لم نَأْمَنُهُ، ولم نُصَدِّقْهُ، وإن قال: إِنَّ سريرته حسنة))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

لذلك القاعدة الفقهية: نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

هذه والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {118-119} : الرجاء 2

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-10-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من شمائل قلب المؤمن :

أيها الأخوة الكرام, لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين -عليه أتم الصلاة والتسليم-, ونحن اليوم في باب الرجاء .

ذكرت لكم من قبل: أن قلب المؤمن ينبغي أن يكون مفعماً بالحب, وبالخوف, وبالتعظيم, فقد ورد في الأثر القدسي أن:

((يا ربي أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إلي: تقي القلب, نقي اليدين, لا يلقي إلى أحد بسوء, أحبني, وأحب من أحبني, وحببني إلى خلقي, فقال: يا ربي إنك تعلم أي أحبك, وأحب من يحبك, فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: نكرهم بآلاني, ونعمائي, وبلائي))

فالآلاء من أجل التعظيم, والنعماء من أجل الحب, والبلاء من أجل الخوف, ونحن في باب الرجاء .

قف هنا :

يقول الله سبحانه وتعالى, مخبراً عن العبد الصالح:

﴿وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

[سورة غافر الآية:44]

﴿فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا﴾

[سورة غافر الآية:45]

ما دام قد فوض أمره إلى الله، يقيه الله سيئات ما مكروا.

اتصال هاتف :

رجل اتصل بي اليوم خائف, قلت له: إذا كنت مؤمناً, مستقيماً, ينبغي ألا تخاف, والدليل: قول الله عز وجل:

﴿لَنْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية:51]

فرق كبير بين كتب الله علينا, وكتب الله لنا؛ لنا: تفيد العطاء, لن: لتأديب النفي في المستقبل:

﴿لَنْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية:51]

هذه الآية: ينبغي أن تملأ قلب المؤمن بالتفاؤل.

متى يعم البلاء ؟ :

قال تعالى:

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾

[سورة سبا الآية:17]

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾

[سورة سبا الآية:17]

أما قول العامة: أن البلاء يعم, هذا كلام غير صحيح, بحالة واحدة يعم: إذا كان الإنسان صالحاً غير مصلح.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

[سورة هود الآية:117]

إذا كانوا مصلحين لن يهلكوا، أما إذا كانوا صالحين قد يهلكون، لأن الملائكة أرسلها الله لإهلاك قرية، فقالوا:

((يا رب، إن فيها رجلاً صالحاً، قال: به فابدؤوا، قالوا: ولم يا رب؟ قال: لأنه لم يتمر وجهه حينما يرى
منكرًا))

لا يتأثر؛ فهذا الذي لا يحمل هم المسلمين، ولا يسعى لهدايتهم، ولا يغار على سلامتهم، ولا يتأثر بمصائبهم، ولا يفرح بخيرهم، هذا ليس من المسلمين.

((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

فذلك:

﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

[سورة غافر الآية:44]

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾

[سورة غافر الآية:45]

حديث قدسي :

ومن الأحاديث القدسية، التي تملأ قلب المؤمن بالبشر والتفاؤل، قول الله عز وجل في الحديث القدسي:

((أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حيث يدكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه
أهرولاً))

يعني: أنت بمجرد أن تخطب ود الله عز وجل؛ بصدقة، بدعاء، بصيام، بإنفاق، بغض بصر، بنصيحة، بطلب علم، بتعليم علم، بإنفاق مال، بمساعدة فقير، برعاية يتيم، بر والد، أي عمل تفعله: هو قرينة إلى الله عز وجل، بل إن أي عمل صالح تفعله، ما هو إلا قرض حسن لله عز وجل:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾

[سورة البقرة الآية:245]

يعني: من منا يصدق: أنك إذا استقمت على أمره، واصطلحت معه، أدخل على قلبك السرور، أدخلت عليه السرور، الله يفرح، الله يفرح بتوبة المؤمن، وأنه رحيم، فإذا تاب، فقد حقق المراد الإلهي من خلقه.

من آيات الله :

الأم التي تقنى في محبة أولادها، ما الذي يسعدها؟ أن يكونوا سعداء، ما الذي يسعدها؟ أن يأكلوا من طعامها، ما الذي يسعدها؟ أن يكونوا مرتاحي البال، فمن شدة رحمتها تسعد بسعادتهم، وربنا عز وجل أعطى الأم جزءاً بسيطاً من رحمتها؛ فالأم تجوع ليشبع ابنها، وتعري لتكسو ابنها، وتتألم كي يسعد ابنها، علاقة الأم، الأم من آيات الله، الأم من آيات الله.

قصة رمزية :

يقولون -قصة رمزية-: شخص شرب الخمر، وغرق فيها، ولعب القمار، فساوموه على قلب أمه: أن يأتيهم بقلب أمه، فذبحها، وشق صدرها، وأخذ قلبها، وفي أثناء سيره إليهم، تعثر فوق، فقال له القلب: ولدي حبيبي، هل أصابك من ضلال؟.

هي قصيدة شعرية طويلة؛ فتجد الابن يببالغ بالإساءة، والأب والأم، رعيًا هذا الابن رعاية ممتنة، لأن جو الآباء، ساعات القسوة؛ أن يرى ابنه شخصية محترمة، أن يرى ابنه متزوجاً، له بيت، له عمل، له سمعة طيبة، يدخل على قلب الأب من السرور ما لا يعلمه إلا الله، والذي عنده أولاد يعرف، يدخل على قلب الأب من السرور، والطمأنينة، والتعبير القرآني، وقررة العين، ما لا يعلمه إلا الله، لأنه قد يكون الأب ليس بحاجة إلى ابنه، قد يكون

الأب لم يأخذ من ابنه درهماً واحداً، ولا تلقى منه أية خدمة، هذا قلب الأب، وكأن النظام الأبوي: أن الأب يعيش لأولاده، الأم تعيش لأولادها؛ سعادتهم بسعادتهم، طمأنينتهم بطمأنينتهم، هذا الشيء الذي الله عز وجل أراده.

ما وراء هذا الكلام :

لو فرضاً: إنسان تقرب إلى الله، والله ما أعطاه رد فعل يمل، لكن ربنا عز وجل مرّبي، إذا تقربت شبراً تقرب منك ذراعاً، إذا تقربت منه ذراعاً تقرب منك باعاً، إذا أتيت مشياً أتاك هرولة، يعني إذا خطبت وده، خطب ودك، إذا أحسنت إلى خلقه، أحسن إليك.

((ما ذكرني عبدي في نفسه، إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا ذكرني في ملأ من خلقي، إلا ذكرته في ملأ خير منه))

فإذا الإنسان عتم على ذاته، عتم على ذاته، وبين عظمة الله وكماله، ربنا عز وجل يلقي محبته في قلوب الناس، ويلقي توقيره في قلوب الناس، هو نسي ذاته، حدث الناس عن ربه، لكن ربه يكافئه: أن يرفع له ذكره.

نقطة دقيقة :

يعني: لا أعتقد يوجد في الأرض إنسان على الإطلاق، نال من الرفعة كما نال النبي الكريم، وبالمقابل: لا يوجد إنسان عتم على نفسه كما فعل النبي الكريم.

شخص دخل عليه، أصابته رعدة، قال له:

((هون عليك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد بمكة))

شخص أمسك ثوبه، وشده شدة أثرت على عنقه الشريف، فقال:

((أعطن من مال الله، فهو ليس مالك، ولا مال أبيك، تبسم النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: صدق إنه مال الله))

سيدنا عمر ذهب إلى الحج، أو إلى العمرة، قال له:

((يا أخي, لا تنسنا من دعائك))

يدخل عليه الأعرابي يقول:

((أيكم محمد؟))

أين محمد؟ دلوني عليه, ليس له مكان خاص أبداً.

عودة إلى الحديث الأول :

وفي حديث آخر: يقول الله عز وجل:

((يا بن آدم! إنك ما دعوتني, ورجوتني, غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي))

نعود إلى الحديث الأول, في موضوع دقيق: إذا أنت تقربت إلى الله, وما أعطاك رد فعل تمل, ما الذي يحصل؟ ما من حركة, مهما تكن طفيفة تحركتها إلى الله, إلا وتجد من الله القريب, والطمأنينة, والتوفيق, والتيسير, والسعادة, تشجيعاً لك, هذا معنى: إذا تقربت منه شبر, تقرب منك ذراع.

تطبيق عملي للحديث الأول:

(أنا عند ظنّ عبدي بي):

قال لي أخ: يعني عنده معمل, عمل لا يوجد, المعمل واقف تقريباً, يعني لا يوجد عنده ثمانون عامل, ونفقات, وهموم, له قريب دكتور في الجامعة, توفي بمرض خبيث, فذهب لتعزية أولاده, سألهم عرضاً: أعليكم دين؟ قالوا: نعم, فقال: دين والدكم علي, قال لي: والله لم أسأل كم الدين, يعني استحيت, أنا متوقع حوالي خمسة وعشرين ألفاً, ومعه أخبار قديمة كان, في اليوم التالي: جاء ليدفع الدين, كان الدين مئة وثلاثين ألفاً, فدفعه عدأً ونقدأً, واحتسب هذا عند الله, هو ماذا فعل الآن؟ تقرب من الله شبرأً.

أقسم لي بالله العظيم: يوم السبت, باعوا ببيعاً -هم ثلاثة شركاء-, باعوا ببيعاً على خلاف العادة, خلاف الأوضاع العامة, وخلاف كساد الأسواق, وخلاف ضعف الشراء, قال لي: ربحي الصافي وحدي في يوم واحد مئة وثلاثين

ألف, تقرب إلى الله, هذه قاعدة هذه.

أنت لما تخطب ود الله عز وجل, تجد في رد فعل سريع, أقل شيء يحصل لك: شعور بالسعادة, بالطمأنينة, بالرضا, بالتوازن, بالأمن؛ يملأ قلبك غنى, يملأ قلبك أمناً وأماناً, يملأ قلبك رضى, يعطيك الحكمة, تتصرف في حكمة بالغة, يعطيك الرؤية الصحيحة, يعطيك سداد القول, يعطيك الموقف الصحيح, هذا كله عطاء إلهي.

رجل أحمق :

شخص يبيع قماش, يوجد عنده مستودع, في بضاعة غير نظامية, فعنده صانع, اختلف معه, طرده, الصانع اشتكى عليه للجمارك, جاؤوا ضبطوا المستودع, -القصة قديمة جداً-, دفعوا وقتها ستمئة ألف, فهو عرف القصة, فأتى بمسدس, وقتل الصانع, قتله, حكموه ستين سنة, حكيم الإنسان؟ لا, ستمئة كان بإمكانه أن يعرضهم, بقي في بيته جالساً, خبر عنه, دفع مصالحة وانتهى, لو كان موحداً لم يحقد عليه, كان رآها تأديباً من الله عز وجل, لأنه لا يوجد عنده حكمة, فورة غضب قتله, أما هو فقد حرّيته ثلاثين سنة؛ لا قعد مع زوجته, ولا مع أولاده, ولا عاد يدير محله, انتهى, أعتقد ولا زال في السجن الآن.

إذاً: الحكمة ثمينة جداً, الإنسان بلا حكمة, يرتكب حماقات مدمرة, فأكبر عطاء إلهي الحكمة, تجد حاله واحد موازن عمله, كلامه سليم, موقفه حكيم, كلامه بالميزان, حركاته, سكناته, بيته, عمله؛ دائماً صحيان, دائماً يقظ, دائماً كيس, دائماً فطن, هذه من ثمار الطاعة لله عز وجل: يؤتيك الحكمة.

باب التوبة مفتوح على مصراعيه :

الحديث القدسي الثاني:

((يا بن آدم! إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ على ما كانَ مِنْكَ ولا أباي, يا بنَ آدم! لو بلغْتَ دُنُوبَكَ عَنانَ السماءِ, ثم اسْتَغْفَرْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ ولا أباي, يا بنَ آدم! إِنَّكَ لو أتيتني بِقَرابِ الأرضِ خَطايا, ثم لَقِيتني لا تُشركُ بي شيئاً: لأَتِيَنَّكَ بِقَرابِها مَغْفِرَةً))

في حديث يملأ قلب الإنسان تفاؤلاً, كهذا الحديث؟ لو جنّت الله بقراب الأرض, يعني بملء الأرض خطايا, جاء

بملاء الأرض مغفرة ولا أبالي، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم جئتنى تائباً، غفرتها لك ولا أبالي.

معنى ذلك: باب التوبة مفتوح على مصراعيه، دون قيد أو شرط، طبعاً: على أن تغلغ عن الذنب، على أن تتقدم، على أن تعلم، وأن تتقدم، وأن تغلغ.

من شروط التوبة :

1- العلم :

فالتوبة تحتاج إلى علم، وإلى حال، وإلى عمل؛ العلم: أن تعلم ما هي الذنوب، حتى تشعر أنك أنت وقعت في ذنب، أما إذا الإنسان لا يعلم ما هو الذنب، قد يرتكب أكبر ذنب، يقول لك: ماذا أفعل؟.

الآن: معظم الناس: ماذا نفعل؟ لم نأكل أحداً يا أخي؟ يكون في بيته في معاص، بتجارته في معاص، بعلاقاته الخاصة في معاص، حتى بمرحه في معاص، بحفلاته في معاص، يعني مفعم بالمعاصي، يقول لك: ماذا نفعل؟ لا نفعل شيئاً يا أخي، والله أنا أحسن منك يقول لك أنا، لأنه لم يطلب العلم.

هذا الجهل بعينه :

إذا أنت أعطيناك نصاً، يعني بصراحة أتينا بشخص، يعني صف ثاني ابتدائي، قلنا له: اقرأ الصفحة، أتينا بإنسان أمي، وكل كلمتين في كلمة خاطئة، يمكن كل كلمة الثانية خطأ، إذا كان سمعناك نصاً مقروءاً من شخص ضعيف في اللغة، وأنت مثله لا تفهم، كيف قراءته؟ والله ممتازة، ما شاء الله على هذا الصوت! كيف؟ قلت: ممتازة، لأنك مثله جاهل، أما لو كنت تعرف باللغة، تحاسبه حساباً، وقف، وقف، كله خطأ.

قصة منبر :

قيل: صعد على المنبر شخص ليخطب، نزل، كيف الخطبة؟ والله ممتازة، يوجد كم خطأ قال له، مثل ماذا يعني؟ قال له: لكن عنتر ليس صحابياً، ترضيت عنه.

فترضى على عنتر، وظنه صحابياً، وهذه امرأة أبي لهب، هي ليست امرأة النبي، هي ليست زوجته، له مشاكل

كثيرة.

متى يعرف الشخص أنه على حق أو على باطل؟ :

يعني: إذا كان شخص لا يعرف, سوف يرتكب أخطاء كبيرة جداً, من يكشف الخطأ؟ المتعلم. فأنت بالتوبة يجب أن تعرف الشرع, تعرف المنهج, من أجل أن تقيم, أما الآن اجعل شخص يقرأ النص أمام متعلم لغة, يقول له: وقف؛ هذه فاعل, وهذه مفعول به, هذه مضاف إليه, هذه تمييز, هذه حال, هذه استئناف, هذه واو العطف, يبين له كل أخطائه؛ فأنت لن تعرف ما إذا كنت على حق, أو على باطل, على استقامة, أو على انحراف, إلا بطلب العلم.

هذا الذي لم يدرس الشريعة :

يقول لي: يا أخي, والله أخلاقه عالية جداً, شغلت مالي عنده, أخلاقه عالية جداً, يعطيني على الألف خمسة آلاف في السنة, أبدأ, أخلاقه عالية جداً, لك هذه ربا هذه, الربح الثابت ربا, قال: الحسابات صعبة أستاذ, لا يريد أن يدخل نفسه في الحسابات, لا يريد وجع الرأس, يعطيني على الألف مقدار
لأنه لم يدرس الشريعة, ما طلب علم, استوى عنده الربا والاستثمار.

2-الندم :

فأول شيء بالتوبة: يجب أن تعرف المنهج, تطلب العلم الشرعي, تعرف أحكام الفقه, والتوبة ثانيها: فيها ندم, إذا الإنسان لم يندم, لا يتوب.

3- العمل :

والثالثة: في ثلاثة أفعال؛ فعل متعلق بالمستقبل: أن تعقد العزم على أن تعود من هذا الذنب, وفي فعل متعلق بالماضي: أن تصلح ما أخطأت به, وفعل متعلق بالحاضر: أن تقلع عن الذنب مباشرة, هذه التوبة. قالوا: التوبة: علم, وحال, وعمل.

والنبي قال:

((الندم توبة))

هذا كلام بليغ.

قالوا: الندم حال سببه علم، وأفضى إلى عمل.

النبي اختصر التوبة كلها بكلمة واحدة، قال:

((التوبة ندم))

الندم توبة، فالذي يندم: لا بد من علم سبب هذا الندم، ولا بد من سلوك تبع هذا الحال؛ فكل من علم، وندم، وأقلع: قد تاب.

إلى متى تقبل التوبة؟ :

والحديث الأخير، الذي ذكرته قبل قليل:

((يا بن آدم! إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ على ما كانَ مِنْكَ ولا أباي، يا بنَ آدم! لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السماءِ، ثم استَغفَرْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ ولا أباي، يا بنَ آدم! إِنَّكَ لو أتيتني بِقُرَابِ الأرضِ خَطايا، ثم لَقِيتني لا تُشْرِكُ بي شيئاً: لأَتِيَنَّكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً))

فالإنسان ما دام قلبه ينبض، في بقية بعمره، باب التوبة مفتوح على مصراعيه، ما لم يغرغر، يدخل في النزاع، بالنزع الأخير، فقبل أن يغرغر الإنسان تقبل توبته، والله عز وجل قال:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾

[سورة النساء الآية:18]

لا بد من أن تتوب، وأنت في الحياة:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾

[سورة الأنعام الآية:158]

والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس {119-119} : بادروا بالأعمال الصالحة

شرح الحديث الشريف - جامع الأحمدى - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسى بتاريخ: 09-11-1999

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ما علة وجود الإنسان على سطح الأرض؟ :

أيها الأخوة الكرام:

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((بادروا بالأعمال الصالحة.

-ذلك أن علة وجود الإنسان على سطح الأرض: أن يعمل صالحاً, بدليل قوله تعالى:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون الآية:99]

﴿أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية:100]

حينما يأتي ملك الموت, لا يتمنى الإنسان إلا أن يكون قد تزود بالعمل الصالح, لأن العمل الصالح عملة الآخرة.

ما ثمن الجنة؟ :

هل تستمعون إلى إنسان يسافر إلى بلد بعيد, ليس معه شيء من المال؟ كيف ينفق؟ العمل الصالح: ثمن الجنة:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

فذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: بادروا بالأعمال الصالحة.

-العمل الصالح؛ إما أن تبادر إليه، وإما أن يُعرض عليك.

بادر إلى العمل الصالح :

الحديث:- بادروا.

-في إنسان يطرق بابك، يطلب منه مساعدة، يُقدم، هو ينتظر أن يأتيه العمل الصالح، أنت ينبغي أن تبحث عن عمل صالح، أن تبحث عن أخ تعاونك، عن فقير تطعمه، عن يتيم ترعاه، عن طالب علم تتبناه، عن أم وأب تبرهما، عن ابن تربيه، عن دعوة تنشرها، عن عمل صالح تفعله، يجب أن تبحث أنت-.

بالأعمال الصالحة.

إن عرفت الهدف، صحت الحركة :

-لو أن إنساناً ذهب إلى بلد ليتعلم، إلى فرنسا، ذهب إلى هناك من أجل أن يأخذ دكتوراه، قد يكون في مليون شيء مغربي؛ في مسارح، في نوادي، في -مثلاً- ملاعب، في حدائق، في منتزهات، ما دام هذا الإنسان جاء إلى فرنسا ليأخذ دكتوراه، يجب أن يكون هذا الهدف ماثلاً أمامه دائماً.

بل كنت أضرب مثلاً: لو إنسان سافر لفرنسا، ونام في أحد الفنادق، واستيقظ صبيحة اليوم الأول، لو أنه سألنا: إلى أين أذهب؟ نسأله: نحن لماذا جئنا إلى هنا؟ إن كنت جئت طالب علم، اذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً، اذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً، اذهب إلى المقاصف والمنتزهات، أي أن الحركة لا تصح إلا إذا عُرف الهدف، إن عرفت الهدف، صحت الحركة.

هل خطر في بالك هذا السؤال؟ :

حسناً: هل أحدنا يسأل هذا السؤال: لماذا أنا في الدنيا؟.

سؤال كبير؛ لكن شدة القرب حجاب، نعمل بعمل يومي آلي، عمل آلي، قد يكون ليس له معنى إطلاقاً، نستيقظ، نأتي إلى أعمالنا، نبيع، ونشتري، نأكل، ننام، نسهر، في اليوم الثاني

السؤال الخطير، والمزعج: ممكن نستيقظ كل يوم كالسابق إلى ما شاء الله؟ سؤال، الذي يقول لا

ممكن تستيقظ كل يوم كالسابق إلى ما شاء الله؟ لا، في أحد الأيام لا بد ما يكون في شيء بالجسم جديد، لم يكن من قبل، فإذا كان هذا المرض مرض الموت، يتفاهم إلى أن ينتهي بالنعوة، أبدأ.

هذا كلام واقعي، ولو كان مزعجاً، الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، في ساعة مغادرة، ساعة مغادرة للدنيا.

ماذا تنتظر من الدنيا؟ :

النبي الكريم يقول:- فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟.

-لو أن الإنسان أراد الدنيا، أرادها؛ أراد مالها، ونساءها، وبيوتها، وقصورها، ومكانتها، ووجاهتها، ماذا ينتظره منها؟.

قال:- هل تنتظرون إلا -دققوا، في سبعة أشياء- هل تنتظرون إلا فقراً منسياً.

-يعني آلاف الحالات، وكيل حصري، الوكالة سحبت من يده، تجارة كبيرة جداً، وقف البيع فجأة، عليه مطالبات، فلس-.

هل تنتظرون إلا فقراً منسياً؟ -وقد يكون هذا، وما أكثر ما يكون أساساً.

يقول لك: محل فروغه ثلاثون مليون، باعوا بثمانمئة ليرة اليوم، هذا ليس فقراً، هذا في مصاريف، وفي ضرائب، وفي التزامات، لا يوجد، لا يوجد شيء، والله يمتحن الناس، ليس كل الحياة رواج، يأتي رواج، يمتحن الناس، يأتي

كساد, يمتحن الناس.

هذا حال الإنسان الغافل :

مرة التقيت مع صاحب معمل أثناء الزواج, ولا تستطيع الكلام معه, ولا يقول لك: تفضل اجلس, ولا يقدم لك الضيافة, مشغولاً, عند الكساد يأتي إلى عندك على المحل, نحن بخدمتكم, تعالوا خذوا بضاعة, ضعوها عندكم, يبعوا وأعطوني, صار أخلاق ملائكية على الكساد, فلو كانت التجارة على طول رابحة, لا تستطيع الكلام معه؛ فلا بد من كساد تارة, ومن رواج تارة أخرى-.

من المصائب :

هل تنتظرون إلا فقراً منسيا, أو غنى مطغيا.

-يا لطيف! عده النبي أحد المصائب: غنى مطغي, يعني غنى يملك على أن تقيم عرساً بالشيراتون؛ اختلاط, وأن توزع الخمور, له مكانة كبيرة, فيجب أن يعمل عرساً لابنه أو لابنته, يتناسب مع مكانته, العرس الراقي يريد يكون في اختلاط, وفي فنانين, وفي غناء, وفي بالهولندا, وفي ألبسة من فرنسا, هذا الغنى المطغي.

الترف طريق الكفر, والكفر يؤدي إلى الترف :

ويوجد ثماني آيات حصراً, المترف كافر:

﴿كَفُرُوا﴾

[سورة المؤمنون الآية:33]

﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة المؤمنون الآية:33]

الترف طريق الكفر, والكفر يؤدي إلى الترف-.

هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً -حمية كاملة، لا يستطيع أن يتحرك، ضيق الشريان التاجي، يريد قثطرة، يريد تغيير صمام، يريد عملية بأمريكا، فشل كلوي، يريد يذهب على العراق يبدل كلوته.

والعياذ بالله! يوجد في الجسم أي خطأ، يجعل حياة الإنسان جحيماً، أليس كذلك؟ وتحت سمعكم وأبصاركم آلاف الحالات، والأمراض متفاقمة جداً.

الآن من الشدة النفسية، الشدة النفسية تضعف جهاز المناعة، وإذا ضعف جهاز المناعة، نمت أو قويت الجراثيم، وقويت السرطانات، من ضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة يقويه الأمن، والحب، والطمأنينة، ويضعفه الحقد، والخوف، والقلق، وجهاز المناعة موكل بضبط الأمراض الجرثومية، والسرطانية؛ لذلك أكثر المصابين بالإيدز: معهم سرطان، أبدأ، التغيى جهاز المناعة، الخلايا نمت نمواً عشوائياً.-.

هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمياً مفندا، -يتقدم به السن، يصبح يضوع:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

يصبح عقله صغيراً، حشري، القصة يعيدها مئة مرة، يتدخل بشؤون ليست له، له انتقادات لادعة، ظله ثقيل، ينفذ الناس من حوله، وهذا عقاب من الله؛ لأنه من عاش تقياً عاش قوياً، من عاش تقياً عاش آمناً، عاش ببركاته، من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت، فأرذل العمر -والعياذ بالله-

من الوقائع :

والله قال لي شخص: ثلاث وثلاثون سنة طريق الفراش, يتمنى الموت فلا يجده أبداً.

قال لي أخ ثان, قال لي: والدته يربطونها من يديها ورجليها على الديوان, قلت له: لماذا الترييط؟ قال: إن أطلقت يداها, أكلت غائطها, وخلعت كل ملابسها:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

ما هو الموت المجهز؟ :

أو مرضاً مفسداً, أو هرمياً مفنداً, أو موتاً مجهزاً:

-إذا الإنسان أراد الدنيا, وانصب عليها, وانكب عليها, وآثرها على الآخرة, ونسي دينه, ونسي آخرته, ونسي صلاته, ونسي صيامه, ونسي زكاة ماله, وأراد الدنيا, في أمامه سبعة أشياء؛ فقراً منسياً, غنى مطغياً, مرضاً مفسداً, هرمياً مفنداً, موتاً مجهزاً, -هذه خمسة, بقي اثنان.

من الشر الغائب :

قال:- أو الدجال -الدجال: فعله عكس كلامه, أي إنسان يقول شيئاً, ويفعل شيئاً آخر دجال.

يعني مثلاً: لو أردنا أن نوضح الأمر: لو أن أباً قال لأولاده الجياح, ولم يذوقوا الطعام من يومين, وقد أكل أمامهم طبق من اللحم نفيس جداً, ولم يطعمهم لقمة واحدة, أب كالوحش, أكل هذا الطبق وحده, وترك أولاده يتضورون جوعاً, لو أنه قال لهم: أنا أحبكم يا أبنائي, هذا دجل, هذا لو أحبهم لأطعمهم-.

أو الدجال فشر غائب ينتظر, أو الساعة والساعة أدهى وأمر))

أخواننا الكرام، الله عز وجل: اصطفى رمضان من بين بقية شهور العام، اصطفاه لينسحب الصفاء فيه على كل الشهور.

يعني أنا أتألم ألماً شديداً، لما أجد ازدحام في المسجد غير معقول في رمضان، ينتهي رمضان، لا يوجد أحد، الناس في رمضان يصلون الفجر في المسجد، التراويح، وفي الأعم الأغلب يغضون أبصارهم، ويضبطون لسانهم، حسناً: بعد رمضان؟! كما قال شوقي:

رمضان ولي هاتها يا ساق مفتاقة تسعى إلى مفتاق

هذه عبادة سخيفة جداً، أن تعبد الله في رمضان، وفي بقية العام، أنت متقلت من منهجه.

فالذي أتمناه على كل صائم: أن المكسب الذي حققه في رمضان، ينبغي أن يستمر بعد رمضان، لا يُفطر إلا فمه فقط؛ أما لسانه، وعينه، وأذنه، ويده، وضبطه لإنفاقه، ودخله، وأسرته، هذا يستمر بعد رمضان.

أيها الأخوة، في هذا الشهر الكريم، شهر القرآن، يعني الإنسان يقرأ القرآن، لكن بركم: لو أن إنساناً أصيب بمرض، وذهب إلى طبيب حادق، وصف له وصفة متقنة، هذه الوصفة لو أنه قرأها، هل يشفى؟ قرأها قراءة مزودة، هل يشفى؟

قرأها مع فهم؛ هذا الدواء مضاد للالتهاب، هذا الدواء مسكن، هذا خافض حرارة، يشفى؟ لو قرأها لا يشفى، لا يشفى إلا إذا أخذ الدواء.

وأتمنى على كل أخ مسلم، أن يعتقد اعتقاداً جازماً: أن هذا القرآن وصفة إلهية، لقول الله عز وجل:

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة يونس الآية:57]

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة يونس الآية:57]

فهذا القرآن:

((ما آمن بالقرآن من استحل محارمه))

ما معنى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً؟ :

و:

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية:30]

معنى مهجوراً: يعني هجوره في التعامل اليومي, لعلمكم تقرؤون القرآن, وتستمعون إليه, ولكن البطولة: أن تطبقه, أن تجعله منهجاً لك, أن تحل حلاله, وأن تحرم حرامه, وأن تطبق منهج الله عز وجل فيه. فهذا الحديث -أيها الأخوة-: يدعوننا إلى العمل الصالح, وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح, ومن أراد أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راض, فليعمل عملاً صالحاً, وهويتك عند الله بالعمل الصالح, والعمل الصالح يرفعك, يرفعك عند الله عز وجل, والعمل الصالح يحتاج إلى شرطين؛ يحتاج إلى أن يكون صواباً.

متى يقبل العمل الصالح؟ :

حسناً: في عمل صالح غير صواب؟ ممكن, ممكن عمل صالح غير صواب, مثل ماذا؟.

حفلة غنائية, يرصد ريعها للمحتاجين, للفقراء, هذا عمل صالح, في ظاهره فقط مبني على معصية, مبني على حفلة غناء, حفلة -مثلاً- لا ترضي الله عز وجل, فالعمل الصالح الذي يقبله الله: ما كان وفق منهج رسول الله. قال الفضيل بن العياض: العمل لا يقبل إلا بشرطين: إلا إذا كان خالصاً وصواباً؛ خالصاً: ما ابتغي به وجه الله, وصواباً: ما وافق السنة.

فالعامل الصالح: ينبغي أن يرتبط على منهج الله، وعلى منهج رسول الله، وأن يكون مخلصاً، حتى يقبل عند الله.

متى يكون للعمل الصالح أثر كبير؟ :

الآن: العمل الصالح لا يكون ذا أثر كبير، إلا إذا بني على استقامة.

في أعمال صالحة أساسها: المال، إنفاق المال على الغني سهل جداً، معه مخزون كبير، يقول لك: ضع لي مليون مليون، يا ترى هو منضبط!؟:

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة الآية:19]

فالانضباط هو الأصل، الانضباط هو الأصل، فإذا في انضباط، العمل الصالح بعد الانضباط مؤثر جداً، وناجح جداً.

فرصة ذهبية :

فيا أيها الأخوة الكرام؛ نحن في شهر كريم، نحن في شهر العمل الصالح، نحن في شهر الإنفاق، نحن في شهر جبر الخواطر، نحن في شهر إطعام اليتامى، إطعام الفقراء، إكساء الفقراء:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[سورة الكهف الآية:110]

وليسع كلاً منكم لمن يلوذ به، لأن الذين يلوذون بك أنت لهم، لأن الناس أنت لهم، وغيرك لهم، أما الذين يلوذون بك، من لهم غيرك؟

فكل إنسان عليه أن يصل رحمه، وصلة الرحم في رمضان: تعني الرعاية، وتعني التقدر، وتعني الإحسان، وتعني الدعوة إلى الله، تبدأ صلة الرحم بالزيارة، وتتابع بالتقدر: كيف أحوالكم؟ ثم بالإحسان، ثم بالدعوة إلى الله،

والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

- الدرس {01-119} : التجارة 1
- الدرس {02-119} : الزكاة 17
- الدرس {03-119} : أحاديث تبدأ بكلمة (ويل)..... 31
- الدرس {04-119} : الزكاة في الحديث النبوي 44
- الدرس {05-119} : لمحات حول قوله تعالى - لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - 59
- الدرس {06-119} : تماسك الأسرة
- ما هو أساس دعائم وتماسك الأسرة المسلمة وأساس ضعفها؟ 74
- الدرس {07-119} : من دلائل نبوة النبي مُحَمَّد 82
- الدرس {08-119} : ما هي فحوى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام؟
- وما هي بعض وصاياه لأصحابه ولأئمة؟ 95
- الدرس {09-119} : أحاديث تبدأ بكلمة (ويل)- ما هي الأخطار التي حذرنا منها النبي
- عليه الصلاة والسلام من خلال هذه الأحاديث؟ 110
- الدرس {10-119} : أحاديث نبوية تتحدث عن صفات المؤمن 125
- الدرس {11-119} : تصحيح المفاهيم 139
-

الدرس {12-119} : نماذج بشرية سلبية يحذرنا منها رسول الله ﷺ 149

الدرس {13-119} : المتاع يمكنك أن توظفه في الحق ويمكنك أن توظفه خلاف ذلك 163

الدرس {14-119} : ما هي الصفات التي تتناقض مع الإيمان؟

وما أنواع العلاقات التي تفسد ذات البين؟ وكيف تتم إصلاحهما؟ 175

الدرس {15-119} : حرص النبي عليه الصلاة والسلام على أمته 190

الدرس {16-119} : الفساد- درء المفاسد مقدم على جلب المنافع- 208

الدرس {17-119} : فلسفة المصيبة 223

الدرس {18-119} : الحديث عن الغضب ونهيه 236

الدرس {19-119} : الكبر 251

الدرس {20-119} : ما هي علامات حلاوة الإيمان؟ وما لوازمه 263

الدرس {21-119} : ماذا عن التمني؟ 273

الدرس {22-119} : متى يفتن الكافر؟ وبماذا جاؤوا الأنبياء؟ ومتى نقطف ثمار هذا الدين؟

ما هو الشرح الذي تتضمنه هذا الحديث:

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.....))؟ 289

الدرس {23-119} : من أصول الدين 304

الدرس {24-119} : أحاديث آخر الزمان 317

- الدرس {25-119} : أحاديث متفرقة من كتاب الرقاق للداراني في ترقيق القلب وتليينه 331
- الدرس {26-119} : التفاؤل والأمل 344
- الدرس {27-119} : اللغو 357
- الدرس {28-119} : الإسراف 373
- الدرس {29-119} : أهمية نشر العلم 386
- الدرس {30-119} : وصف للعبادات التعاملية 401
- الدرس {31-119} : خواطر إيمانية حول آيات سورة الفرقان 414
- الدرس {32-119} : ضرورة التقيّد بكتاب الله وسنة رسوله في العبادات 430
- الدرس {33-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا) 442
- الدرس {34-119} : حقيقة صلاة الجمعة 455
- الدرس {35-119} : الحديث عن رمضان 472
- الدرس {36-119} : خصائص شهر رمضان 487
- الدرس {37-119} : من نصائح النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام 501
- الدرس {38-119} : التوجيه النبوي للمؤمنين 514
- الدرس {39-119} : الذكر 527
- الدرس {40-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا) 541
-

- الدرس {41-119} : حديث شريف (إذا رأى أحدكم لأخيه بلاء ..) 552
- الدرس {42-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا) 563
- الدرس {43-119} : حديث شريف عن الأمانة والتعيين للمسؤولية 577
- الدرس {44-119} : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة 595
- الدرس {45-119} : العمل الصالح 604
- الدرس {46-119} : الإستخارة والإستشارة 613
- الدرس {47-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (إذا) 621
- الدرس {48-119} : صفات المنافق 629
- الدرس {49-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (أربع) 639
- الدرس {50-119} : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة (أربع) 649
- الدرس {51-119} : أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت 660
- الدرس {52-119} : حديث شريف (ارحموا من الناس ثلاثة) 669
- الدرس {53-119} : الحياء 679
- الدرس {54-119} : فلسفة البلاء 688
- الدرس {55-119} : أحاديث شريفة تبدأ بحرف (الألف) 696
- الدرس {56-119} : أحاديث شريفة تبدأ بحرف (الألف) 706
-

- 718 الدرس {57-119} : أحاديث شريفة تبدأ بأفضل
- 729 الدرس {58-119} : أحاديث نبوية متفرقة
- 740 الدرس {59-119} : أحاديث شريفة تبدأ بأفضل
- 752 الدرس {60-119} : جهاد النفس ثم الجهاد الدعوي ثم الجهاد القتالي
- 762 الدرس {61-119} : أكبر الكبائر
- 776 الدرس {62-119} : أدعية مأثورة - الفرق بين الخليل الماكر وبين المؤمن الصاحب
- 790 الدرس {63-119} : تُعمَّار المساجد
- 807 الدرس {64-119} : السخاء وحسن الخلق
- 820 الدرس {65-119} : المسؤولية
- 832 الدرس {66-119} : لا ينفع الإنسان إلا القلب السليم
- 849..... الدرس {67-119} : إِنَّ الرجل لِيُحَرِّم الرزق بالذنب يُصِيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء.....
- 863 الدرس {68-119} : تمهيد عن رمضان
- 876 الدرس {69-119} : المصيبة
- 886 الدرس {70-119} : أحاديث نبوية - أحب الخلق إلى الله
- 898 الدرس {71-119} : حديث شريف - إِنَّ العبد ليتكلم بالكلمة لا يُلقِي لها بالاً.....
- 907 الدرس {72-119} : حديث شريف - إن لله عبداً اختصهم بجوارح الناس.....
-

917	الدرس {73-119} : الأمراض النفسية
928	الدرس {74-119} : حقيقة الإيمان
938	الدرس {75-119} : الإنفاق والرزق
950	الدرس {76-119} : فضل كلام الله
962	الدرس {77-119} : الإحسان - الرحمة التي خصها النبي في ذبح الذبيحة
971	الدرس {78-119} : الصدق والبر
984	الدرس {79-119} : ضرورة تهيئة الإنسان نفسه لساعة مغادرة الدنيا
995	الدرس {80-119} : التوبة
1011	الدرس {81-119} : الصبر
1027	الدرس {82-119} : المجاهدة
1044	الدرس {83-119} : باب المبادرة إلى الخيرات
1059	الدرس {84-119} : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا - العمل الصالح
1073	الدرس {85-119} : ميزان المؤمن - الإصلاح بين الناس
1088	الدرس {86-119} : التوبة
1100	الدرس {87-119} : الصبر
1114	الدرس {88-119} : المراقبة

- 1127 الدرس {89-119} : اليقين والتوكل
- 1141 الدرس {90-119} : التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى
- 1151 الدرس {91-119} : المبادرة إلى الخيرات 1
- 1165 الدرس {92-119} : المبادرة إلى الخيرات-2
- 1180 الدرس {93-119} : المجاهدة -1
- 1194 الدرس {94-119} : المجاهدة -2
- 1205 الدرس {95-119} : الموفقون في الحياة
- 1220 الدرس {96-119} : بيان كثرة طرق الخير 1
- 1232 الدرس {97-119} : بيان كثرة طرق الخير 2
- 1244 الدرس {98-119} : الاقتصاد في الطاعة
- 1255 الدرس {99-119} : المحافظة على السنة وآدابها
- 1265 الدرس {100-119} : مقالة عن أمريكا
- 1275 الدرس {101-119} : أحاديث شريفة عن الصيام والقيام وصلاة الصبح والعشاء
- 1281 الدرس {102-119} : التعاون
- 1291 الدرس {103-119} : باب النصيحة
- 1302 الدرس {104-119} : النصيحة 2
-

- الدرس {105-119} : تحريم الظلم و الأمر برد المظالم 1311
- الدرس {106-119} : قضاء حوائج المسلمين 1
- 1319 ما هو المقصود من باب قضاء حوائج المسلمين
- الدرس {107-119} : تعظيم حرمان المسلمين 1330
- الدرس {108-119} : ستر عورات المسلمين 1343
- الدرس {109-119} : قضاء حوائج المسلمين 2 1353
- الدرس {110-119} : قضاء حوائج المسلمين 3- من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ... 1365
- الدرس {111-119} : باب الشفاعة 1376
- الدرس {112-119} : الإصلاح بين الناس 1386
- الدرس {113-119} : باب فضل ضعفه المسلمين والفقراء والخاملين 1404
- الدرس {114-119} : علامات حب الله تعالى للعبد وعلامات حب العبد لله تعالى 1418
- الدرس {115-119} : إجراء أحكام الناس على الظاهر 1428
- الدرس {116-119} : الخوف 1437
- الدرس {117-119} : الرجاء 1 1449
- الدرس {118-119} : الرجاء 2 1459
- الدرس {119-119} : بادروا بالأعمال الصالحة 1470
-

